

شرح
مقامات الحريري البصري

للامام الأديب الشيخ العلامة

ابى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى

المتوفى ٦٢٠ هـ — ١٢٢٢ م

أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

الجـــزء الأول

الطبـــعة الأولى

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصـــر صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧



والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الذى اصطفى

تمهـــــيد ودراسة

هذه مقامات الحريرى بشرح الامام أبى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى المتوفى عام ٦٢٠ ﻫ؛ التى اشتملت على الكثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها ورموزها وأسرار فصاحتها ، والتى تدل على فضل الحريرى وكثرة اطلاعه وغزارة مادته .

يروى أن الحريرى كان جالسا فى مسجده ببنى حرام (١) ، فدخل شيخ فتير عليه أهبة السفر ، رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة ، فسألته الجماعة : من أين الشيخ ؟ فقال : من سروج ، فاستخبروه عن كنيته فقال : أبو زيد ، فعمل المقامة المعروفة بالحرامية ، وهى الثامنة والأربعون ، ونسبها إلى أبى زيد المذكور ، واشتهرت فبلغ خبرها وزير المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، فأشار عليه أن يضم إليها غيرها : وإلى الوزير المذكور أشار الحريرى فى خطبة المقامات بقوله : « فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم » . وقال ابن خلكان : رأيت بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات جميعها بخط مصنفها الحريرى وقد كتب بخطه على ظهرها انه صنفها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة وزير المسترشد أيضا . ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف .. وأما تسمية الراوى لها بالحارث بن همام فإنما عنى به نفسه ، فالحارث هو الكاتب ، والهمام الكثير الاهتمام ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام ، لأن كل واحد كاسب ومهتم بنفسه ، وقد اقتدى بالحريرى كثيرون من الكتاب والعلماء ، كناصيف اليازجى الذى صنفت خمسين مقامة أيضا سماها « مجمع البحرين » ، وهو مشهور طبع فى بيروت عدة مرات . وقد اعتنى بشرح مقامات الحريرى كثيرون ، فمنهم من طول ومنهم من اختصر (٢) ، وأحسن الشروح شرح أبى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى (٣) وهو هذا الشرح ننشره اليوم .

والحريرى هو أبو محمد القاسم بن على بن عثمان الحريرى البصرى كان أحد أئمة عصره ، ورزق الحظوة التامة فى عمل المقامات (٤) ، التى عملها للوزير جمال الدين عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة المتوفى عام ٥٢٢ ﻫ وزير المسترشد بالله الخليفة العباسى ، ويروى أنه صنعها بأمر وزير المسترشد شرف الدين أبى نصر أبو شروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشانى المتوفى سنة ٥٣٢ ﻫ ويرجح ابن خلكان الرواية الأولى. وقد ولد ونشأ الحريرى ببلد قريب من البصرة يسمى المشان (٥) ؛ وسكن البصرة فى محلة بنى حرام ؛ وتتلمذ فى الأدب على أبى القاسم الفضل بن محمد البصرى وغيره من العلماء . وكان فى غاية الذكاء والفطنة والفصاحة

---

(١) راجع صفحة ١٦ من هذا الكتاب (٢) انظر كشف الظنون لحاجى خلفا المجلد السادس .

(٣) وقد طبعت مقامات الحريرى عدة مرات منها فى كلكتة سنة ١٨٠٩ فى ثلاثة أجزاء ومع قاموس عربى وفارسى وفى باريز سنة ١٨١٩ و ١٨٢٢ وأخيراً سنة ١٨٤٧ ، وطبعت أيضا عدة مرات فى القاهرة وبيروت. وترجم المقامات إلى اللغة النمساوية روكرت سنة ١٨٤٤ وإلى الانكليزية بريستون سنة ١٨٥٠ ثم توماس ترجم منها ستة وعشرين مقامة إلى الانكليزية أيضاً .

(٤) راجع ١٦٥ - ٢ ابن خلكان . (٥) بفتح الميم والشين .

والبلاغة، واتصل بخلفاء بغداد ووزراء الخلافة وكتب وألف وصنف ورزق الشهرة والذيوع في تآليفه.

وللحريري درة الغواص في أوهام الخواص، وملحة الأعراب المنظومة في النحو؛ وشرح الملحة، وديوان رسائل، وشعر كثير غير شعره في المقامات

وتوفى عام ٥١٥ هـ أو ٥١٦ هـ الموافق عام ١١٢١ م بالبصرة «في سكة بني حرام» [١] وكان ميلاده عام ٤٤٦ هـ – ١٠٥٤ م.

يقول ياقوت في معجم الأدباء: ولقد وافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب، ويقول ياقوت في معجم الأدباء أيضا [٢] .. وكان الحريري من أعيان دهره؛ وفريد عصره؛ وممن لحق طبقة الأوائل، وغبر عليهم في الفضائل [٣]

وكتابه «الدرة» يشهد بعلمه وفضله، وقد طبع في القاهرة عام ١٢٧٣ هـ.

كما أن أسلوب مقاماته دليل على مكانته الأدبية الممتازة، التي بذفيها أعلام الأدب والكتابة في عصره.

وللحريري ومقاماته أثر لا ينسى، فقد كانت هي المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الشباب الأدب والكتابة وأساليب البيان، إذ كان ولا يزال عماد الأدباء في ثقافاتهم الأدبية هو قراءة مقامات الحريري بل حفظها والافادة منها.

ولما كان شرح الشريشي على المقامات [٤] هو أوسع الشروح وأوفاها وأدقها وأجمعها للفدئدة؛ وكانت الحاجة إليه ماسه والرغبة فيه شديدة؛ وكانت نسخ طبعة بولاق وطبعة القاهرة التي ظهرت عام ١٣١٤هـ قد نفدت جميعا فوق ما اشتملت عليه من تحريف وأخطاء كثيرة

لذلك استخرت الله في إخراج هذا الشرح النفيس على نظام جديد؛ ومنهج علمي سليم، خدمة للغة العربية وأدبها والناطقين بها.

ومن الله نستمد العون والتوفيق والسداد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب؟

أول ذي الحجة عام ١٣٧٢ – أغسطس عام ١٩٥٢ م

محمد عبد المنعم خفاجي
أستاذ في كلية اللغة العربية
بالأزهر الشريف

---

(١) وكانت نسبة الحريري «الحرامي» إلى هذه السكة – بفتح الحاء والراء – وبنو حرام قبيلة من العرب سكنوا فيها فنسبت إليهم.. والحريري نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه. (٢) ٢٦٧ ج ١٦ معجم الأدباء – نشر فريد رفاعي (٣) ٢٨٣ ج ١٦ المرجع (٤) راجع معنى كلمة مقامة في صفحة ١٤ من هذا الجزء.

مقدمة الشريشي لشرح المقامات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأستاذ اللغوى النحوى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى بن موسى بن عبد المؤمن القيسى الشريشى ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جناته ، بمنه وكرمه آمين :

الحمد لله الذى اختص هذه الأمة بأفصح الألسنة وأفسح الأذهان ، وشرف علماءها بالافتنان فى أفانين البلاغة والبيان ، وميزنا بين سائر الأمم بالنثر المتفق الفقر والنظم المعتدل الأوزان .. نحمده على أفئدة هداها وألسنة أطال فى شأو البلاغة مداها . ونصلى على سيد المرسلين ، وخيرة العالمين ، الذى ختمت بنبوته العامة النبوة ، ونسخت بشريعته السامة الكتب المتلوة : محمد سيد هذا العالم ، والمخصوص بعلو المكانة وعموم الديانة فى ولد آدم ، وعلى آله وأصحابه الذين عزروه ووقروه وآووه إيواء الموفين بالعهود ونصروه ، ونقلوا شرعه الكريم نقل التواتر وآثروه ؛ ونسلم تسليما ؛ وآتاهم من لدنه رحمة وأجراً عظيما ؛ ورضى الله عن الامام المعصوم المهدى المعلوم ؛ مجدد معالم الديانة ؛ والملىء بأداء الأمانة ؛ والمشهور على تعاقب العصور بالزمان والمكان والمكانة ؛ وعن خلفائه الراشدين المرشدين أئمة الهدى ؛ والتالين فى شرف ذلك المهدى ؛ والقائمين باعباء أمره الموعود ، إنه يبقى أبدا

ونسأل الله تعالى لسيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين ؛ ابن الخلفاء الأئمة الراشدين ، سعدا يعلى أعلامه ؛ ونصرا يصحب قلمه وحسامه ؛ وتأييدا يظهر أمره وينصر اعتزامه ؛ حتى ينتظم شذاذ الأمصار فى سلك ملكه وتزدحم وفود الأمم على غمر بره ؛ وتنطوى ضمائر القلوب ومخبآت الغيوب على إخلاص طاعته والانثناء لأمره

أما بعد : فان العلم أربح المكاسب ؛ وأرجح المناصب ؛ وأرفع المراتب ؛ وأنصح المناقب . وحرفة أهل الهمم من الأمم ؛ ونحلة أهل الشرف من السلف . لم يتقلد سلكه إلا جيد ما جد ؛ ولم يتوشح برده الا عطف حاد فى طلب الكمال جاهد ؛ ولم يستحق اسمه إلا الواحد الفذ بعد الواحد . وهو وإن تشعبت أفانينه ؛ وتنوعت دواوينه ؛ فعلم الأدب علمه ، والأس الذى يبنى عليه كلمه ؛ والروح الذى يخب فى ميدان الطروس قلمه . ولذلك كان أولى ما تقترحه القرائح ؛ وأعلى ما تمنح اليه الجوانح . فذوو الأخطار فى سائر الأقطار ، يتنافسون فى اقتنائه ؛ ويتصافنون فى عافى إنائه ؛ ويرتاحون لأوضاعه وتآليفه ، ويستريحون إلى أعبائه المكدودة وتكاليفه . فانه زمام المنظوم والمنثور ، وقوام نطق الألسنة وفكر الصدور ، ومنشط المقال من عقال الفهامة ؛ ومميز الأقدار بالمهابة والنباهة ، ولم يزل فى كل عصر من حملته بدر طالع وزهر غصن يانع ، وعلم ترنو اليه أبصار وتومىء اليه أصابع ، وصناعة البراعة بينهم تتمكن وتتأصل ، وتنويع البديع ينضبط ويتحصل ، والآخر يكد ذهنه فى تتميم ما غادره الأول ، إلى أن اعتدلت كفتاه ، وامتلأت صفحتاه ، وراق مجتلاه ومجتناه ، وتناهى فى الحسن والاحسان لفظه ومعناه .

وكان آخر البلغاء ، وخاتمة الأدباء ، أولهم بالاستحقاق وأولاهم بسمة السباق ، والفذ الذى عقمت عن

توأمه فتية العراق . وفارس ميدان البراعة ، ومالك زمام القرطاس واليراعة ، والملي عند استدعاء درر الفقر بالسمع والطاعة : أبو محمد القاسم بن علي الحريري ، سقى الله ثراه صوب رحماه ، وكافأ إحسانه في الثناء عليه بحسناه فبسط لسان الإحسان ، ومد أفنان الافتنان ؛ ومهد جادة الاجادة . وقوى مادة الافادة ، ولم يبق في البلاغة متعقبا ، ولا للزيادة مترقبا ، لا سيما في المقامات التي ابتدعها ، والحكايات التي نوعها وفرعها ، والملح التي وشحها بدرر الفقر ورصعها ، فانه برز فيها سابقا ، وبذ البلغاء فائتا ، وأتى بالمعنى الدقيق للفظ الرقيق مطابقا ؛ وخلد تاجا على هامة الأدب ، وتقصارا في جيد لغة العرب ، وروضة تحوم نفوس المطامع عليها : ولا تصل أيدي المطامع إليها . ولما كانت من البراعة بهذا المحل الشهير ، وسارت مسير النيرين بين مشاهير الجماهير ، جعلت الاعتناء بها سهم فهمي ، والعكوف عليها حزم عزمي ، والدؤوب في ضبط لغاتها وملك مخبآتها أم همي ، وصيرت تحفظها فرض عيني ، والفكر الذي لا يحول وسني بينه وبيني . فبدأت بروايتها عن الشيوخ الثقات ، وتقييد ألفاظها عن أعلام هذه الجهات ، حتى لا أنقل لفظا إلا عن تحقيق ، ولا أثبت ضبطا إلا من طريق ، فكان أول من أخذت عنه روايتها ، وتلقيت منه درايتها ببلدي : الشيخ الفقيه المقرى أبو بكر بن أزهر الحجري ، حدثني بها عن صهره الفقيه المحدث الرواية أبي القاسم بن عبد ربه القيسي المعروف بابن جهور عن منشئها أبي محمد الحريري .

وحدثني بها أيضا ببلدي الشيخ الفقيه المحدث الراوية عن صهره الفقيه المحدث الراوية ، أبو بكر بن مالك الفهري عن ابن جهور المذكور ، وعن الشيخ الفقيه أبي الحجاج الأزدي القضاعي ، كلاهما عن أبي محمد الحريري ، وحدثني بها أيضا اجازة الشيخ الفقيه المحدث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري عن القضاعي ، وحدثني بها أيضا الكاتب الزاهد أبو الحسين بن جبير عن الشيخ الجليل بركات بن ابراهيم بن طاهر بن بركات القرشي المعروف بالخشوعي عن الحريري ، وحدثني بها أيضا الشيخ الفقيه الأستاذ أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني بسنده بعد وقوفه رحمه الله على هذا الشرح وأمره لي بتكميله .

وتلقيت بها جماعة من جلة الأشياخ أكثر في العدد ممن ذكرت لا يعد مني واحد منهم إفادة ضبطية أو لفظية ولا يفقدني زيادة هزلية أو وعظية ، فأخذتها أخذ متثبت ، عن واع منكت ، ثم لم أدع كتابا ألف ، في شرح ألفاظها ، وإيضاح أغراضها ؛ وتبيين الانصاف بين انفصالها واعتراضها ، إلا أوعيته نظرا ، وتحققته معتبرا ومختبرا ؛ وترددت في تفهمه وردا وصدرا ، وعكفت على استيفائه بسيطا كان أو مختصرا ، حتى أتيت على جميع ما انتهى اليه وسعي ممن فسرها ، واستوعبت عامة فوائده الممكنة بأسرها ، ولم أترك في كتاب منها فائدة لا استخرجتها ، ولا فريدة إلا استدرجتها ، ولا نكتة إلا علقتها ، ولا غريبة إلا استلحقتها ، ولا غادرت في موضع منها مستحسنا يشذ عن جمعي ، ولا مستجادا ينبو عنه بصري أو سمعي ؛ فاجتمع من ذلك حفظا وخطا أعلاق جمة ، وفوائد لم تهتم بها قبلي همة . ثم لم أقنع بتبيين الدواوين ؛ ولا اقتصرت على توقيف التصانيف حتى لقيت بها صدور الأمصار ، وعلماء هذه الأعصار ، فباحثت وناقشت ، وتأولت وتداولت وطالبت المتحفظ بالأداء ، والمتيقظ بالإبداء ، حتى لم أبق في قادحة زندا إلا اقتدحته ، ولا مقفلا إلا افتتحته فتحصل من ذلك أيضا عيون صائبة النواظر ، وفنون قلما توجد في مخبآت الدفاتر ، وأنا في خلال ذلك ألقس

مزيدا، ولا أسأم بحثا وتقييدا، إلى أن عثرت على شرح الفنجديهى للمقامات؛ والفنجديهى هو الشيخ الحافظ أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودى، من قرية فنجديه من عمل خراسان؛ فرأيت فى شرحه الغاية المطلوبة، والبغية المرغوبة؛ والضالة التى كانت عنى إلى هذا الأوان مطوية محجوبة، فاستأنفت النظر ثانيا وشمرت عن ساعد الجد لا متكاسلا ولا وانيا، وعاينت نور المعنى فى نور اللفظ فأصبحت مجتليا جانيا، فاستوعبته أيضا أبلغ استيعاب وقيدت من فوائده ما لم أجد قبله فى كتاب؛ وأخذت منه أحاديث مسندة أوردها، وآثارا مرفوعة قيدها؛ تليق بالباب الذى أوردت فيه، وتورد مصححة إما لألفاظه وإما لمعانيه، وحذفت أسانيدها وإن كان قد أوردها تخفيفا عمن يريد المتن ويبتغيه، فتم لى بهذا الغرض استيفاء مقاصده، واستيعاب فوائده، وتركته مستلب المعانى، مطروق المغانى، كالروض ركدت ريحه والجسم قبض روحه، فانضاف من فوائد هذا التأليف البديع إلى الفوائد الملتقطة من الألسنة والمأخوذة من التصانيف المستحسنة: روض كله زهر وسلك كله درر وأدب، إن لم يجمعه التصنيف فهو بعد عين أثر، فاستخرت الله تعالى فى ضم ما انتشر من فوائدها؛ ونظم ما انتثر من فرائدها، والاعتناء بتأليف فى المقامات يغنى عن كل شرح تقدم فيها، ولا يحوج إلى سواه فى لفظ من ألفاظها، ولا معنى من معانيها، فتم من ذلك مجموع جامع، وموضوع بارع؛ أودعته من اللغات أصحها وأوضحها، وأسلسها قياد اللفظ وأسمحها، وأولاها بالصواب فى مظان الاختلاف وأرجحها، ونسبت المشكل منها إلى قائله من جهابذة العلماء، وجمعت بين مشهور اللغات ومشهور الأسماء، وسبكت العبارة عن المعانى سبكا يدل على الالقاء والاصغاء، وهذا الفضل وإن سبقنى إليه من تقدمنى من الشارحين قبلى فلى فيه مزية إيراد اللفظ البعيد عن الاشكال، والمطابقة بين الأقوال وأرباب الأقوال وأرباب الأقوال. ثم زدت فى هذا التأليف التعريف بالأمصار المذكورة فى المقامات على أوفى ما يمكننى من ذكر مواضعها وأقدارها واختطاطها، ومن عقد صلحها أو تولى فتحها. وهذه فوائد لا يخفى مكانها، ولا ينكر استحسانها، فالحاجة إلى التعريف بالمكان تتلو الحاجة إلى غوامض اللسان، ثم استوعبت شرح الأمثال ونسبتها جمعا بين القائلين والأقوال، ولم أغفل منها الكثير الدور ولا القليل الاستعمال: وهذا الفن لم يتتبعه أحد على الكمال، وإن ذكره فانما يذكره استطرادا بحسب الحال.

ثم استوفيت أيضا ذكر من وقع فيه من الرجال والنساء أتم استيفاء، وعرفت المشتهرين من الآباء والأبناء وبينت أنسابهم وأمكنتهم وأخبارهم وحرفتهم وآثارهم ومدتهم زيادة فى التهم والاعتناء.

وهذا الفن أيضا لم يورده الشارحون حق إيراده، ولا اعتمدوه بالتبليغ حق اعتماده، وهو مهم فى الافادة وعلى مغفله فى الوقت وبعده الإعادة.

ثم زدت فيه فصلين مفيدين لم أر من اعتنى بهما ولا من قصد قصدهما، سوى أبى سعيد الفنجديهى فى بعض المواضع فانه ألمح وألمع. وأورد اليسير فما شفى ولا أقنع: أحدهما تبيين مآخذ الحريرى فى الكلام، وإخراج الاحالات المودعة فيه من حيز الإبهام، والرد إلى المنشأ فى آية أو أثر أو خطبة أو خبر أو حكمة فائقة أو لفظة رائقة أو بيت نادر أو مثل سائر، وهذا تتميم بين وتكميل متعين. والفصل الثانى التنبيه على صناعة البديع وتوفية أسمائه: كالتجنيس والتتميم والترصيع والإتيان بهذا النوع من التبيين والتنبيه على الجميع

وبسط أنواع الأدب وافتنانه ، والإكثار من الشعر فى مظانه : من الجد والهزل فى المواضع اللائقة باستحسانه ومقابلة كل باب بما يزيد فى حسنه وبيانه ، والجرى مع أبى محمد حسب اتساع خطوه وامتداد ميدانه . فمن تمام التصنيف رد الفرع إلى أصله ، والجمع فى الترتيب بين الشكل وشكله ، فأتبعت المواعظ بما يزيدها أثراً فى القلوب ، وأردفت المسليات بما يعينها فى إجلاء الكروب ، وسلكت هذه المسالك فى سائر الأساليب وأنواع الضروب ، فان وجد فى هذا الكتاب لفظ ظاهره الهزل ،أومعنى ينسب فيه إلى العذل : من وصف نور وثمر ، وذكر نديم وخمر ، أو نعت حسن وحسن أو مدح سماع وأذن . فلأن أبا محمد بدأ بأمر فتمم ، وخص نوعا فعمم ، مع أن صنعة الأدب مبنية على الملح ، وخواطر الأدباء جائشة بما سنح . فجاء من هذا الترتيب الغريب ، ما يضرب فى الاجادة بسهم مصيب ، ويثبت لى فى الجد والدأب أوفى نصيب .

ثم رأيت الشارحين لها من أولى البصر : كالفنجديهى وابن ظفر قد جردوا من شروحهم مختصرات وجيزة اقتصروا فيها على إيراد اللغات ، فحذوت حذوهم فى مختصر أوردتها فيه على الكمال ، ووفيتها حقها من رفع الغلط وكشف الاشكال ، ولم أخل فى تصريفها واشتقاقها بوجه من الوجوه ولا حال من الأحوال . فجاء غاية فى هذا الباب ، مغنيا فى اللغات العربية عن كل كتاب ، فان فاته هذا الأصل بضروب من الإفادات وأنواع من الزيادات فلذلك الفرع شفوف الاستيعاب فى اللغات ، ومزية الاشتقاق والتصريف والشاهد من الشعر والآيات .

وكل ذلك بلطف الله تعالى ، وبسعد من شرفت كتابى بخدمته ، وبنيت تأليفى على أداء شكر نعمته ، ونصبت نفسى لأقف ببابه الأعلى وأتزين بلثم تربته . فأنا العبد وهو المولى :عماد الأنام ،والظل الممدود على المسلمين والإسلام ، ونعمة الله التى هى من أفضل النعم الجسام . منفق سوق المعارف ، ومفجر بحور المنن والعوارف المجير بفضله وعدله من المفاقر الفادحة والمخاوف : سيدنا الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبد الله بن إمام الأئمة الراشدين ،وولى عهده سيدنا الأمير الأجل أبو يعقوب ، أيد الله سلطانهم . وأيد بيضهم وحزبهم ، وجمع القلوب على الانقياد لهم ، والوجوه على التوجه قبلهم. وهذا الكتاب وإن كان المعبر عن حسنه ، والغاية الملتمسة فى فنه ، والجامع لما افترق فى شواه ، والمبرز بما رشحه من الزيادات وحلاه ، فانه لم يتم جماله ، ولا استوفى احتواؤه على الفوائد واشتماله ، إلا ببركة مولانا الخليفة ، واقتران اسمه الكريم باسم ولى عهده المستحق للتقديم فى هذه الصحيفة .

فالحمد لله على التوفيق لخدمتهم ، والمعونة على شكر نعمتهم والتعرض لخيرى الدنيا والآخرة فى ظل حرمتهم . وقد بذلت فى الخدمة جهدى وأبرزت من فوائد هذا التأليف أنفس ما عندى ، ولم أتعاط قياماً بكل الواجب ، ولا وفاء بجميع الحق الراتب ، فالقول يقصر عن التحصيل ، وليس إلى مطاولة الطرد ومكاثرة اليم من سبيل .

وقد كنت حين أتممت هذا التأليف ، وألقيت عن كاهلى الأعباء التى له والتكليف ، وجلوته كالحسناء

ألفت فى المنصة النصيف (١) كثرت خطابه (٢) إلى من البلدان ، وتواردت عليه رغبات الاستجادة والاستحسان فقلت : حتى يتشرف بلثم اليمين العليا ، ويتخصص بقبول إمام الدين والدنيا ، فمن بابه الأسمى يلتقط دره المنظوم وببركاته يسطع مسكه العبيق المختوم.

وهاأنا (ذا) (٣) أشرع ببركة الله ، وببركة خليفته المبارك الأهدى ، وبنجله المتقلد منه صفة وعهدا ، فى شرح الخطبة : كلمة كلمة ، وإيضاحها حتى لاأدع لفظة مبهمة . وأسلك الجمع بين الايجاز والاستيفاء ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله وسلم أفضل التسليم .

(١) هو الخمار الذى تستر به المرأة وجهها .

(٢) جمع خاطب : من خطب المرأة تقدم للزواج بها .

(٣) ليست موجودة فى الأصل وقد زدتها لتصحيح الكلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة شروح المقامات ـ شرح صدر المقامات

اللهُمَّ إنّا نَحْمَدُكَ (١) على مَا عَلَّمْتَ مِنَ البَيَانِ (٢)، وَأَلْهَمْتَ مِنَ التِّبْيَانِ (٣) ؛ كما نَحْمَدُكَ على ما أَسْبَغْتَ (٤) مِنَ العَطاءِ ، وَأَسْبَلْتَ مِنَ الغطاءِ (٥) ، ونَعُوذُ (٦) بِكَ مِنْ شِرَّةِ (٧) اللَّسَنِ (٨) ؛ وَفُضولِ (٩) الهَذَرِ (١٠) ؛ كما نَعُوذُ بِكَ مِنْ مَعَرَّةِ (١١) اللَّكَنِ (١٢) وَفُضُوحِ (١٣) الحَصَرِ (١٤)

(١) اللهم اسم خصصته الميم المشددة فى آخره بنداء البارى سبحانه ، والتزم معها حذف حرف النداء لوقوع الميم خلفا عنه ولحل اللام فى أوله ،لأنه لا يلى حرف النداء لام التعريف إلا فى قولهم يا ألله ، لتكون اللام الزائدة نائبة عن حرف أصلى وهى همزة إله فصارت كالأصلى ، وفى غير هذا الاسم تتجرد اللام للزيادة فى أول الاسم ، ويا زائدة فى أوله كذلك ، وهما جميعا لتخصيص الاسم وإزالة شياع التنكير عنه ، فلما تقاربا فى المعنى وتشابها فى الزيادة وطلب كل واحد منهما أن يلى الاسم دون صاحبه ترك استعمال الجمع بينهما فى أول الاسم إلا فى ضرورة الشاعر لإقامة الوزن . وأما اللام فى قولهم يا ألله فلما كانت نائبة عن حرف أصلى خفيت زيادتها فلما زادوا الميم فى آخره فضحت اللام وشهرت معنى الزيادة فامتنعت يا من أوله إلا عند الضرورة كامتناعها من غيره .

ونحمدك معناه نثنى عليك بأتم وجوه الثناء كلها فيدخل تحته الشكر ، والشكر ثناء يقابل به معروف ، وفى الحديث « الحمد رأس الشكر » فمن لم يحمد الله لم يشكره ، والحمد ذكر الرجل بما فيه من صفات جليلة ، والشكر ذكره بماله من أفعال جزيلة ، من قولهم دابة شكور إذا ظهر بها من السمن فوق ما تأكل من العلف ، ويقال أشكر من بروقة وهى شجرة معروفة تخصب بأدنى مطر ، ويؤكد الفرق بينهما أن الحمد فى مقابلة الذم والشكر فى مقابلة الكفر ، فاختلاف نقيضيهما دليل على اختلافهما فى أنفسهما .

(٢) وضوح المعنى وظهوره . (٣) تفهم المعنى وتبينه والبيان منك لغيرك والتبيان منك لنفسك مثل التبيين ، تقول بينت الشيء لغيرى بيانا وتبينته أنا تبيانا ، وقد يقع التبيان بمعنى البيان . حكى أبو منصور الأزهرى رحمه الله بينت الشيء تبيناً وتبيانا ، قال تعالى تبيانا لكل شيء أى يبين لك فيه كل ما تحتاج اليه أنت وأمتك من أمر الدين . فهو لفظ عام أريد به الخاص . وقد يقع البيان لكثرة الكلام ويعد ذلك من النفاق قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » خرجه الترمذى وقال : العى قلة الكلام ، والبذاء الفحش ، والبيان كثرة الكلام .. وألهمت أى نبهت عليه وفهمته .

(٤) أتممت وكثرت . (٥) أراد به ستر الله على عبده . (٦) أى نستجير . (٧) حدة (٨) حدة اللسان وإدلاله على الكلام . (٩) زوائد . (١٠) اكثار الكلام بغير فائدة . (١١) شدة وصعوبة والمعرة العيب والعار ، وقيل هى كل ما يؤذيك . وفلان يعرقومه أى يدخل عليهم مكروها يلطخهم به ، وأصله من العرة وهى الفعلة القبيحة أو من العر وهو الجرب . (١٢) احتباس اللسان عند الكلام . (١٣) شهرة وفضيحة . (١٤) العى وحصر حصراً إذا أعيا واستحيا أو ضاق صدره . واستعاذ من شرة اللسن لأنه من

وَنَسْتَكْفِي (١) بِكَ الافْتِنَانَ (٢) بإِطْرَاءِ (٣) المادِحِ ؛ وَإِغْضَاءَ (٤) المُسَامِحِ (٥) ؛ كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الانْتِصَابَ (٦)

اقتدر على الكلام أداه إلى المطاولة فى الجدل وتصوير الباطل فى صورة الحق وفيه اثم على فاعله . وأصل الشرة القلق والانتشار ومنه الشر ؛ وقد شر يشر ومنه شرر النار ثم استعاذ من ضدها وهى المعرة لأن صاحبها لا يتم لفظه فيشين بذلك نفسه ويقصر عن مراده من البيان ثم قرن بها الحصر لأن من يعتريه يتوالى عليه الوهل والخجل فلا يستطيع الكلام فيفتضح ويشتهر عيبه ؛ وهذا الفن من الكلام يسمى فى صنعة البديع المقابلة وأول من صدر به كتابا عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب البيان فقال : اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ؛ ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ؛ ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العى والحصر ؛ وقديما تعوذ وابالله من شرهما ورغبوا اليه فى السلامة منهما ؛ وقد قال النمر بن تولب :

أعذنى رب من حصر وعى ومن نفس أعالجها علاجا

وقال محمد بن علقمة :

لقد وارى المقابر من شريك كثير تحلم وقليل عاب
صموتا فى المحافل غير عى جديراً حين ينطق بالصواب

ثم استرسل فى ذكر العى والبيان إلى غاية بعيدة ؛ واستشهد على النوعين بآيتين أو بقوله تعالى « سلقوكم بألسنة حداد » ، وفى الضد بقوله تعالى « أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » ، فاحتذى الحريرى هذا الحذو فجاءت تشبيهاته أطبع وأصنع ، وزاد عليه بأن ابتدأ بحمد الله على نعمة البيان ، ثم استعاذ مما استعاذ منه الجاحظ وبيان المقابلة فى كلامه أنه قابل شرة بمعرة واللسن باللكن والهذر بالحصر ؛ فاذا تفهمت مواقعها فى كلامه قست عليها ما يشبهها فى النظم والنثر ؛ وسئل قدامة الكاتب عن المقابلة فقال : هى أن يضع الشاعر ألفاظا يعتمد التوافق بين بعضها وبعض فى المخالفة فيأتى فى الموافق بما يوافق وفى المخالف بما يخالف وأنشد فى ذلك :

فيا عجبا كيف اتفقنا فناصح وفى ومطوى على الغش غادر

فجعل بازاء ناصح وفى ، غاشا : غادرا ، ومثله :

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

(١) معناه نسألك ونطلب منك أن تكفينا (٢) وذلك ان يصاب بفتنة الاعجاب وأصل الفتنة اختبار الفضة بالنار ؛ وقال تعالى فى الاختبار : وفتناك فتونا أى اختبرناك ، والفتين الفضة المحرقة والفتين أيضاً الحجارة المحرقة يدلك بها الاقدام فى الحمام (٣) الاسترسال فى مدح الانسان بمحضره ؛ وفى الحديث عن النبى ﷺ قال : لاتطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد الله ورسوله (٤) تجاوز ومسامحة وأصله أن يبدولك الشىء فتدنى جفنيك وتقصر نظرك كأنك لم تره والاغضاء الاغماض ، وأغضيت عنه وأغمضت إذا تغافلت عنه (٥) الموافق لغرضك المتجاوز عن عيبك (٦) الظهور والاعتراض

لإِزْرَاءِ (١) القَادِحِ (٢) ، وَهَتْكِ (٣) الفَاضِحِ (٤) ، وَنَسْتَغْفِرُكَ (٥) مِنْ سَوْقِ الشَّهَوَاتِ ، إلى سُوقِ الشُّبُهَاتِ (٦) كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الخُطُوَاتِ (٧) إلى خِطَطِ (٨) الخَطِيئَاتِ (٩) ؛ وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقاً قَائِداً إلى الرُّشْدِ (١٠) ، وَقَلْباً مُتَقَلِّباً مَعَ الحَقِّ ؛ وَلِسَاناً مُتَحَلِّياً (١١) بِالصِّدْقِ ؛ وَنُطْقاً مُؤَيَّداً (١٢) بِالحُجَّةِ ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً (١٣) عَنِ الزَّيْغِ (١٤) ، وَعَزِيمَةً (١٥) قَاهِرَةً (١٦) هَوَى النَّفْسِ ؛ وَبَصِيرَةً (١٧) نُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ القَدْرِ (١٨) وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالهِدَايَةِ ، إلى الدِّرَايَةِ (١٩) . وَتَعْضُدَنَا (٢٠) بِالإِعَانَةِ عَلَى الإِبَانَةِ (٢١) ؛ وَتَعْصِمَنَا مِنَ الغَوَايَةِ (٢٢) ، فِي الرِّوَايَةِ (٢٣) ، وَتَصْرِفَنَا (٢٤) عَنِ السَّفَاهَةِ (٢٥) فِي الفُكَاهَةِ (٢٦) ، حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الأَلْسِنَةِ (٢٧)

---

(١) تقصير وتنقيص أمام الشيء (٢) العائب وقد حت الدود فى الأسنان والشجر أكلتها فكأن فعل هذا العائب فى أعراض الناس فعل الدود فى الشجر والقادح أيضا الذى يضرب الزند بالحجر لتورى (٣) شق وهتكت الستر خرقته (٤) الذى يشهر عيوبك وفضحت الشيء كشفته (٥) نسألك المغفرة وهى من غفرت الشيء سترته (٦) جمع شبهة وهى ما يشتبه عليك أمره (٧) جمع خطوة وهى ما بين القدمين (٨) جمع خطة وهى الطريق يخطه الرجل فى الأرض يجعله حدا للشيء يحرزه ويعتمده والخطة بالضم المنزلة والمزية (٩) الذنوب وهى من الخطا وجعل ما ساقه فى المقامات كأنه شهوة اشتهى عملها ثم اشتبه عليه هل فى ذلك رضا الله أم سخطه فكأنه ساق شهوة إلى سوق يجهل التبايع فيها فلعله فيها خاسر الصفقة فلهذا استغفر الله منها (١٠) الهداية ورشده الله رشدا وأرشده هداه ورشد هو رشدا ورشادا اهتدى (١١) متصفا ومتزينا (١٢) معانا وأصاب فى كلامه إصابة إذا نطق بالصواب ورمى فاصاب لم يخطىء ، وقوله تعالى رخاء حيث أصاب أى حيث أراد ، قال الفراء اختلفت أنا وعيسى النحوى فى الآية فقلت ما أحد أعلم بهذا من رؤبة قال فسرنا اليه فلقيناه يتوكأ على اثنين فقال أين تصيبان أى أين تريدان فقلت لصاحبى كفيت السؤال (١٣) دافعة (١٤) الميل وزاغ عن الحق مال عنه إلى الباطل (١٥) الجد وعزم على الشيء جد فيه (١٦) غالبة ، وهوى النفس ما تحبه وتميل إليه (١٧) يقينا والبصيرة للقلب والبصر للعين (١٨) أى معرفة أقدارنا (١٩) مصدر دريت الشيء دراية ودريا علمته (٢٠) تقوينا وعضده أعانه وكان له عضدا (٢١) مصدر أبنت الشيء أى بينته (٢٢) أى تمنعنا من الضلالة والفساد والغواية مصدر غوى غيا وغواية وغوى أيضا غواية وهما ضد رشد رشدا (٢٣) نقل الحديث من صاحبه إلى طالبه (٢٤) تزيلنا (٢٥) الجهل (٢٦) المزاح وما تستريح به النفوس وهى فى الكلام كالفاكهة فى الطعام (٢٧) سر كلامها وقطعها فى أعراض الناس ، وأراد ماجاء فى الحديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال قلت يارسول الله : إنا لنؤاخذ بما نتكلم ، فقال : ثكلتك أمك يامعاذ هل يكب الناس فى النار على رؤسهم إلا حصائد ألسنتهم . فدعا الله أن يتم سعده بأن يؤمنه عادية الالسنة ، والحصائد فى الأصل جمع حصيدة وهى الحزمة من الزرع المحصودة فهى فعيلة بمعنى مفعولة والحصيد الشيء المحصود

وَسَكِّنِّي (١) غَوائِلَ (٢) الزَّخْرَفَةِ (٣) ؛ فلا نَرِدَ (٤) مَوْرِدَ مَأْثَمَةٍ (٥) . وَلَا نَقِفَ مَوْقِفَ مَنْدَمَةٍ (٦) . وَلَا نَرْهَقُ (٧) بِتَبِعَةٍ (٨) وَلَا مَعْتَبَةٍ (٩) . وَلَا نَجْأُ (١٠) إلى مَعْذِرَةٍ (١١) عن بادِرَةٍ (١٢) اللهُمَّ فحقِّقْ لنا هٰذه الْمُنْيَةَ (١٣) . وَأَنِلْنَا (١٤) هٰذِهِ الْبُغْيَةَ (١٥) . وَلَا تُضْحِنَا (١٦) عن ظِلِّكَ السَّابِغِ (١٧) وَلَا تَجْعَلْنَا مُضْغَةً (١٨) لِلْمَاضِغِ (١٩) . فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ (٢٠) . وَبَخَعْنَا (٢١) بِالاسْتِكَانَةِ (٢٢) لَكَ وَالْمَسْكَنَةِ (٢٣) . واستنزَلْنَا (٢٤) كَرَمَكَ الجَمَّ (٢٥) . وَمَنَّكَ (٢٦) الذي عَمَّ (٢٧) بِضَرَاعَةِ (٢٨) الطَّلَبِ ؛ وبِضَاعَةِ (٢٩) الأَمَلِ (٣٠) ثم بالتَّوَسُّلِ (٣١) بمحمدٍ سَيِّدِ البَشَرِ (٣٢) . والشَّفِيعِ (٣٣) الْمُشَفَّعِ (٣٤) في الْمَحْشَرِ (٣٥) . الذي خَتَمْتَ (٣٦) به النَّبِيِّينَ . وأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ (٣٧) في عِلِّيِّينَ (٣٨) . ووصَفْتَهُ في كتابكَ المُبِينِ (٣٩) . فقُلْتَ وأنتَ أصدَقُ

---

(١) تمنع (٢) قوائل ومهلكات وأحدها غائلة وغالته المنية أهلكته

(٣) تزيين الباطل وأصلها تزيين الشيء بالزخرف وهو الذهب (٤) تقصد

(٥) موضع ثم المورد أصله الموضع يشرب منه الماء (٦) ندم (٧) نتهم ونعاب والرهق العيب

(٨) خطيئة يتبعه ضرها بعد الموت (٩) سخط وهي من العتاب وهو تقبيح القول على جهة الاشفاق وأصله من عتبت الأديم أى رددته إلى الدباغ ليصلح ، ومنه إنما يعاتب الأديم ذو البشرة ، ويقال عتب على فى كذا عتبا فأعتبته أى رجعت إلى ما يريد وأرضيته وباء تبعة وتاء معتبة يكسران ويفتحان (١٠) نحوج

(١١) اعتذار (١٢) سقطة وزلة وقد بدرت الكلمة والفعلة خرجت من غير أن يدر موقعها وفلان تخشى بوادره أى فلتاته (١٣) مايتمنى (١٤) أعطنا (١٥) مايطلب (١٦) تكشفنا (١٧) ستوك المديد وأصل الظل الستر والموضع الذى لاتبلغه الشمس وفى حديث ضحا ظله أى عدم فانكشف موضعه للشمس (١٨) لقمة وكل ما يمضغ لقمة (١٩) هذا العائب الآكل أعراض الناس وجعل العرض حين يعيبه مضغة له . قال النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت باقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم

(٢٠) الحاجة والفقر (٢١) أقررنا وبخع له بحقه أقر به وبخع نفسه قتلها غيظا ، ومنه لعلك باخع نفسك فالمتعدية بالباء غير المتعدية بنفسها (٢٢) الخضوع (٢٣) الفقر والذلة (٢٤) طلبنا أن تنزل علينا والاستنزال السؤال بتلطف (٢٥) الكثير (٢٦) إحسانك (٢٧) شمل (٢٨) ذلة

(٢٩) المال يتجر به (٣٠) الرجاء يقول تجارتنا التى يحصل بها منك وإحسانك رجاؤنا وتوكلنا عليك

(٣١) التقرب (٣٢) الخلق وهو فى الأصل جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وسموا بشرا لظهور أبشارهم خلافا لغيرهم من الحيوان (٣٣) الطالب لغيره (٣٤) الذى أعطى الشفاعة قال النبي صلى الله عليه وسلم : خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين (٣٥) موضع اجتماع الناس يوم القيامة والمحشر أيضا الحشر وهو الاشبه باليوم (٣٦) جعلته خاتمهم أى آخرهم (٣٧) منزلته (٣٨) أعلى الجنة وكأنه جمع علية (٣٩) المبين

القائلينَ : « إِنَّهُ لَقولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢) مُطَاعٍ ثَمَّ (٣) أَمِينٍ » اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ (٤) الهَادِينَ (٥) . وأَصْحابِهِ الذينَ شادُوا (٦) الدِّين . واجْعَلْنَا لِهَدْيِهِ وهَدْيِهِمْ (٧) مُتَّبِعِينَ . وانْفَعْنَا بِمَحَبَّتِهِ ومَحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ . إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وبالإجابَةِ جَدِيرٌ (٨)

وبعدُ فإِنَّهُ قَدْ جَرَى بِبَعْضِ أَنْدِيَةِ (٩) الأَدَبِ (١٠) الذي رَكَدَتْ (١١) في هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ وخَبَتْ مَصابِيحُهُ ذِكْرُ الْمَقَاماتِ (١٢)

---

(١) قيل هو جبريل وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (٢) رفيع المنزلة (٣) معناه هناك قال الزجاجي هي إشارة إلى ماكان متراخيا من الأماكن . والاشهر أن المراد به فى الآية جبريل لذا رجع الحريرى آخرا فازال الآية من كتابه واستشهد بما اتفق مشاهير المفسرين على أن المراد به نبينا صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وليس رجوعه عن القول الضعيف إلى المشهور بعيب بل هو حسن إذ كان الرجوع عن الخطأ إلى الصواب واجبا إلا أن الثابت عند ابن جهور : إنه لقول رسول كريم ، قال ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل وهو الرسول لمحمد بالقرآن ، وذى قوة لانه قلع باحد جناحيه أربع مدائن لقوم لوط وهى سدوم وداورا وصابورا وعمورا فى كل مدينة مائة ألف انسان سوى ما فيها من الدواب والأنعام (٤) أى أهله وأصله أأل فابدلت الهمزة ألفا وأكثر ما تضاف إلى الظاهر وقد سمع إضافتها إلى المضمر فى الشعر والكلام الفصيح خلافا لأبى جعفر النحاس وأبى بكر الزبيدى فانهما منعا من إضافتها إلى المضمر وأكثرهم على أن همزتها مبدلة من هاء أهل وصوابه أنها أصل فى بابها من آل يؤل إذا رجع لأنهم يرجعون اليه ويرجع اليهم (٥) المرشدين إلى طريق الخير وقد هديته الطريق إذا أرشدته (٦) رفعوا وبنوا (٧) طريقته وطريقتهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه (٨) حقيق (٩) مجالس واحدها ندى ، والمندى والنادى والمنتدى مجلس القوم للحديث وقيل هو من الندى وهو الكرم لأنهم يقصدون فيه فيعطون ، وقيل هو من النداء الذى هو الصوت لأنه ينادى فيه بعضهم بعضا ليجتمعوا وقيل هو من الندى وهو العرق لأن الداخل فيه يحتشم فيعرق (١٠) معرفة الاخبار والاشعار وفلان أديب إذا كان متفننا مشاركا (١١) سكنت (١٢) المجالس واحدها مقامة والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا لان المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ولان المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى ، قال الاعلم : المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير * ذكر البديع أبو منصور الثعالبى فى يتيمته فقال : « بديع الزمان هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عطارد وفريد الدهر وغرة العصر ومن لم يلف نظيره فى ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ولم يدرك قرينه فى ظرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته ، ولم يرو أن أحدا بلغ مبلغه من لب الآدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه

وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويوردها إلى آخرها لا ينخرم حرف منها وينظر فى الأربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سردا ، وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة فى معنى غريب وباب بديع فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عما فيها ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح فيبتدىء بآخر سطوره ثم هلم جرا إلى الاول ويخرج كأحسن شيء وأملحه ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من إنشائه فيقرأ من النظم النثر ومن النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الابيات الرشيقة ويقترح عليه كل عروض من النظم والنثر فيرتجله فى أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر. وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الظرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص الود حلو الصداقة مر العداوة فارق همذان سنة ثمانين وثلثمائة وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ماعنده واستنفد علمه . ورد حضرة الصاحب أبى القاسم ابن عباد فتزود من ثمارها وحسن آثارها وولى نيسابور فى سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فنشر بها بزه وأظهر طرزه وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الكدية وغيرها وضمنها ما تشتهى الأنفس من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ؛ وهزل يشوق فيسحر العقول ؛ ثم ألقى عصاه بهراة فعاش فيها عيشة راضية وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنه ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه فى سنه ثلاث وتسعين وثلثمائة ، فقامت نوادب الآدب وانثلم حد القلم وبكاه الفضائل والأفاضل ؛ ورثاه الأكارم مع المكارم ؛ على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقى على الأيام نظمه ونثره ، والله عز وجل يتولاه بعفوه وغفرانه ويحييه بروحه وريحانه . وذكر الحصرى رحمه الله فى كتاب الزهر ان الذى سبب للبديع رحمه الله تأليف مقاماته هو أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب بأربعين حديثا ذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بألفاظ بعيدة حوشية فعارضه البديع بأربعمائه مقامة لطيفة الاغراض والمقاصد بديعة المصادر والموارد » . انتهى كلامه ، والذى قصد بها قلة امتاعه للسامع من حديثها وفيها مقامات لا تبلغ عشرة أسطار فجاءت مقامات الحريرى أحفل وأجزل وأكمل ، فلذلك فضلت البديعية ، وقد صرح علماء الأدب فى كتبهم بتفضيل البديع على نظرائه من أهل زمانه ولقبه بالبديع يدل على قدره الرفيع :

وقلما ابصرت عيناك من رجل　　إلا ومعناه إن فتشت فى لقبه

وسئل بعض علماء الأدب من اهل عصرنا عن الحريرى والبديع فقال : لم يبلغ الحريرى أن يسمى ببديع يوم فكيف يقارن بديع زمان . وجرى ذكر مقاماته فى مجلس بعض أشياخنا وكان حافظا أديبا فقال: مقامات البديع يحكى أنها ارتجال وأن البديع كان يقول لأصحابه فى آخر مجلسه اقترحوا غرضا نبنى عليه مقامة فيقترحون ماشاءوا فيملى عليهم المقامة ارتجالا فى الغرض الذى اقترحوه ، وهذا أقوى دليل إن صح على فضل البديع

الَّتِي ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزَّمانِ . وعَلَّامَةُ (١) هَمَذانَ (٢) . رحِمَهُ اللهُ تعالى . وعَزَا (٣) إلى أبي الفَتْحِ الأسْكَنْدَرِيِّ نَشْأَتَها (٤) . وإلى عيسَى بنِ هِشامٍ رِوايَتَها (٥) . وكِلاهُما مَجْهُولٌ لا يُعْرَفُ . ونَكِرَةٌ لا تَتَعَرَّفُ (٦) ، فَأَشارَ مَنْ إشارَتُهُ حُكْمٌ ، وطاعَتُهُ غُنْمٌ (٧) ، إلى أنْ أُنْشِئَ مَقاماتٍ أَتْلُو فِيهَا تِلْوَ البَدِيعِ

---

(١) أى كثير العلم وهى بنيت للمبالغة (٢) بفتح الميم ونقط الذال بلد بخراسان وقيل همذان من كور الجبل وبلد همذان واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور افتتح سنة ثلاث وعشرين ويشرب أهلها من عيون وأودية ؛ قال اليعقوبى : من أراد من الدينور إلى همذان سار متنزها إلى موضع يقال له أسد آباذ مرحلتين ومن أسد آباذ إلى مدينة همذان مرحلتان وهى كثيرة البرد ، وقال فيها ابن خالويه وهو همذانى واستوطن حلب عند بنى همذان :

إذا همذان اعترها البرد وانقضى بزعمك أيلول وأنت مقيم
فعيناك عمشان وأنفك سائل ووجهك مسود البياض بهيم
بلاد إذا ما الصيف أقبل جنة ولكنها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم . همذان متلفة النفوس ببردها والزمهرير وحرها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها فكأنما تموزها كانون

وكل الرواة يروونها همذان بفتح الميم ونقط الذال إلا ابن اللبانة فانى رأيت فى شرحه همدان بسكون الميم ودال غير معجمة وهى قبيلة يمانية ، قال فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه :

ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

والرواية الأولى أثبت (٣) أى نسب يقال عزيته عزيا وعزوته عزوا نسبته واعتزى إلى بنى فلان انتسب إليهم وأبو الفتح فى البديعية بمنزلة أبى زيد فى الحريرية وعيسى بمنزلة الحرث (٤) صنعتها (٥) إسناد أحاديثها (٦) هى غير الأسماء (٧) غنيمة ، وحكى الفنجديهى فى شرحه للمقامات أن الذى أشار عليه بها هو شرف الدين أبو شروان بن خالد وزير الخليفة أمره بانشاء المقامات وحكم عليه به ، وقيل أمره بها صاحب البصرة واليها ، وقال : سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور البزار ببغداد يقول سمعت الشيخ الرئيس أبا محمد الحريرى يقول : أبو زيد السروجى كان شحاذا بليغا ومكديا فصيحا ورد علينا البصرة فوقف يوما فى مسجد بنى حرام يتكلم ويسأل الناس شيأ وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء فأعجبهم بفصاحته وحسن صناعته وملاحته ، وذكر أسر الروم ابنته كما ذكرنا فى المقامة الحرامية وهى الثامنة والأربعون ، قال فاجتمع عندى عشية ذلك اليوم جماعة من معارف فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته فى تحصيل مراده وظرافة إشارته فى تسهيل إيراده ، فحكى كل واحد من جلسائى أنه شاهد من هذا السائل فى مسجده مثل ما شاهدت وأنه سمع منه فى معنى آخر فصلا أحسن مما سمعت وكان يغير فى كل مسجد زيه وشكله ويظهر فى فنون احتياله فعجبوا من جريانه فى ميدانه وافتنانه فى إحسانه ، قال الحريرى : فابتدأت فى إنشاء المقامة

وإنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِـعُ شَأْوَ الضَّلِيعِ ، فَذَاكَرْتُهُ بِما قِيلَ فِيمَنْ أَلَّفَ بيْنَ كَلِمَتَيْنِ ، ونَظَمَ بَيْتاً أوْ بيْتَيْنِ (١) واسْتَقَلْتُ (٢) منْ هَذَا المَقَامِ (٣) الذى فيهِ يَحارُ (٤) الفَهْمِ ، ويَفْرُطُ (٥) الوَهْمُ (٦) ، ويُسْبَرُ غَوْرُ العَقْلِ (٧) وتَتَبَيَّنُ (٨) قِيمَةُ المَرْءِ فى الفَضْلِ ، ويُضْطَرُّ (٩) صاحِبُهُ إلى أنْ يَكونَ كَحاطِبِ لَيْلٍ (١٠) ،

الحرامية تلك الليلة حاذيا حذوه ، فلما فرغت منها أقرأتها جماعة من الأعيان فاستحسنوها غاية الاستحسان وأنهوا ذلك إلى وزير السلطان واقترحوا على أخواتها والله المستعان .. وهذا الذى ذكر الفنجديهى قد حدثنى بنحوه من يوثق به من الطلبة بسند يتصل بأبى محمد الحريرى وأن الحريرى وفد مع أهل البصرة بغداد فوجدوا بواسطة أبا زيد السروجى فقال يا أهل البصرة أنتم تزعمون أنكم لاتكادون ولاتخدعون وقد والله مشيت على مساجدكم ومحاضركم فما تعذر على فيها موضع لم أجلب منافع أهله بضروب من المكر ، فلما بلغوا بغداد أخبروا بالقصة وزير السلطان فأمر الحريرى بجمع المقامات ، لكن الذى ثبت عندنا هو ماحدثنى به الشيخ الفقيه أبو بكر بن أزهر أن الفقيه الراوية أبا القاسم بن جهور حدثه أن الحريرى حدثه أن قصة المقامة الثامنة والأربعين حتى وأن رجلا قام بمسجد بنى حرام فأظهر التوبة من ذنبه وسأل عن الوجه فى كفارته فقام رجل من بين الناس فذكر أسر ابنته فنظم الحريرى القصة وجعلها مقامة وأنها أول مقامة أثبتت فى الكتاب وكان ابن جهور يقول إن الذى أشار إليه بها فى قوله : فأشار من إشارتة حكم هو المستظهر بالله العباسى وكان لهذا المستظهر رغبة فى الطلب وحظ من الأدب وعناية بأهل العلم . . وحدث ابن جهور أنه دخل بغداد فى أيامه وبها ألف رجل وخمسمائة رجل حامل علم وكلهم قد أثبت أسماءهم السلطان فى الديوان وأجرى على كل واحد من المال بقدر حظه من العلم . وكان ابن جهور يحدث أن الحريرى ألف المقامات كلها على الركاب ، وذلك أن المستظهر بالله لما أمره بصنعتها أخرج كالحافظ على العمال فكان يخرج فى الابردين يتمشى فى ضفتى دجلة والفرات ويصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه فلم ينقض فصل العمل إلا وقد اجتمع له مائتا مقامة فخلص منها خمسين وأتلف البواقى وصد الكتاب ورفعه إلى السلطان فبلغ عنده أسنى المراتب

(١) قال أبو عمرو بن العلاء : الإنسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من أفواه الناس مالم يضع كتابا أو يقل شعراً وقال العتابى من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والغيبة وإن أساء فقد تعرض للشتم بكل لسان ، غيره : من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وقال حسان:

وإنما الشعر عقل المرء يعرضه ... على البرية إن كيسا وإن حمقا

وإن أحسن بيت أنت قائله ... بيت يقال إذا أنشدته صدقا

(٢) طلبت الإقاله (٣) موضع القدمين وأنت قائم (٤) يتحير (٥) يسبق (٦) الغلط (٧) يختبر قدره ومنتهاه وأصله فى الجرحات يختبر غورها أى بعد قعرها والمسبار الحديدة التى يقاس بها مقدار غور الجراحة وسبرها قاسها به يفعل ذلك الطبيب للقصاص أو للدواء ويقال لحديدته السبار والمسبار والمسبر والمكحل والميل والمرود والمجراف (٨) تتبين (٩) يلجأ (١٠) جامع الحطب بالظلام وهذا مثل لأكثم بن صيفى حكيم العرب ذكره أبو عبيدة فى الأمثال وقال : إنما شبهه بحاطب الليل لأنه

أوْ جالِبِ رَجلٍ وخَيْلٍ ، وقَلَّما سَلِمَ مِكْثار ، أو أُقيلَ لهُ عِثار ؛ فَلَمَّا لَمْ يُسْعِفْ بالإقالة ، ولَا أعْفَى منَ المَقالة لَبيْتُ دَعْوَتَهُ تَلْبِيَةَ المُطيع ، وبَذَلْتُ فى مُطاوَعَتِهِ جُهْدَ المُسْتَطيع ، وأنشأْتُ على مَا أُعانيهِ منْ قَريحَةٍ جامِدَة ، وفِطْنَةٍ خامِدَةٍ ؛ ورَوِيَّةٍ ناضِبَةٍ ، وهُمومٍ ناصِبَة ، خَمْسينَ مَقامَةً تحْتَوي على جِدِّ القَوْلِ وهَزْلِه ، ورَقيقِ اللّفظِ وجَزْلِه ، وغُرَرِ البَيانِ ودُرَرِهِ ؛ ومُلَحِ الأدَبِ ونَوادِرِهِ ، إلى مَا وَشَّحْتُها بِهِ منَ الآياتِ ، ومَحاسِنِ الكِنايات ،

ربما نهشته الحية ولسعته العقرب فى احتطابه ليلا فكذلك المهذار ربما أصابه فى إكثاره بعض مايكره قال الفرزق :

كمحتطب ليلا أساود هضبة أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه

وأبين من تفسيره أن حاطب الليل لا يبصر مايحتطب فهو يؤلف بين الحطب الكبير والصغير والقوى والضعيف والجيد والردىء فكذلك المكثار يأتى بالضعيف من الكلام والقوى والجيد والردىء فشبهه لذلك بالحاطب وأراد (بجالب رجل وخيل) ما أراد بحاطب الليل لأن الراجل ضعيف والفارس قوى و(المكثار) الكثير الكلام . قال النبي صلى الله عليه وسلم . من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به ألا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا ليسكت .
(اقيل) اقيم ورفع (عثار) انكباب وسقوط وإقالة العاثر أن ترفعه من سقطته ومنه الاقالة فى البيع ونحوه . (يسعف) يؤاتى وينيل الرغبة وأسعفت الرجل بمطلبه ساعدته عليه والإسعاف المصدر وساعفته مساعفة قضيب إرادته (ولا أعفى من المقالة) أى يعفنى من كلامه وإلحاحه ، وأعفيت الرجل وعافيته أزلت عنه مايشق عليه . وأصله الترك ، ومنه إعفاء اللحية وهو أن يتركها على حالها ومنه عفا الله عنك (لبيت) أجبت وقلت لبيك (أنشأت) ابتدأت وأخذت أفعل (أعانيه) أعالجه وأصلها من العناء وهو التعب (قريحة) ذهن وأصلها ماء البئر النابع عند حفرها ومنه القرحة للجراحة لأن أصله مادة ، وشبه الذهن بذلك لما يتولد عنه من المعانى (فطنة) ذكاء والفطن الذكى (خامدة) ساكنة وخمدت النار سكن لهبها (روية) تدبر وروأت الأمر تدبرت كيف تصنعه وأصل الروية الهمز واستعملت بغير همز (ناضبة) جافة ونضب الماء غار فى الأرض (ناصبة) متعبة وهم ناصب على معنى النسب أى ذو نصب ولو جاء على القياس لقيل منصب لأن فعله أنصبه الهم ، وقال بشر :

تعناك هم من أميمة منصب وجاء من الأخبار مالا يكذب

ونصب نصباً أعيا من التعب (جزله) غليظه ومتينه (غرر) جميع غرة وهى خيار الشىء ومنه غرة الفرس وهو البياض فى جبهته فجعلها للبيان مجازا (درره) جمع درة وهى الجوهرة العظيمة والكلام الحسن يشبه بالدرر والجوهر (ملح) جمع ملحة وهى ملح الكلام (نوادره) غرائبه (وشحتها) زينتها .

(الكنايات) ضرب من الألغاز وأصل الكناية أن تذكر الشىء بغير لفظه اما لابهام على جليسك أولتعظيم

ورَصَّعتُهُ فيها منَ الأمثالِ العَربيّة ، ولطائفِ الأدَبيّة ، والأحاجي النَّحْويّة ، والفَتاوَى اللُّغَويّة ، والرَّسائلِ المُبتكَرَة والخُطَبِ المُحَبَّرَة ، والمَواعِظ المُبْكِيَة ، والأضاحيك المُلهيَة ، مِمَّا أمْلَيتُ جميعَه على لِسانِ أبي زَيدٍ السَّروجيّ ؛ وَأسْنَدْتُ روايَتَهُ إلى الحرث بنِ هَمَّامٍ البَصْريّ وما قَصَدتُ بالإحماضِ فيه ، إلّا تَنْشيطَ قارئيه ، وتكثيرَ سَوادِ طالبيه ، ولم أودعْهُ منَ الأشعارِ الأجنَبيّةِ إلّا بيتَينِ فَذَّينِ ، أسَّسْتُ عليهما بِنْيَةَ المَقامة الحُلوانيّة وآخَرَيْنِ تَوأمَينِ ، ضَمَّنْتُهما خَواتِمَ المَقامة الكَرَجيّة ؛ وما عدا ذلكَ فخاطِري أبو عُذْرِهِ ومُقتَضِبُ حُلْوِهِ ومُرِّهِ ؛ هذا مَعَ اعْترافي بأنَّ البديعَ رحمه اللهُ سَبَّاقُ غاياتٍ ؛ وصاحبُ آياتٍ ، وأنَّ المُتَصَدّي بَعدَهُ لإنشاءِ مَقَامة ، ولو أوتيَ بَلاغةَ

أو لتحقير ، فالابهام أن تذكر لفظا يفهم من ظاهره غير مرادك مثل قوله تعالى حاكيا عن هود عليه السلام حين قال له قومه إنا لنراك فى سفاهة قال ياقوم ليس بى سفاهة فليس فى اللفظ زيادة على نفى السفاهة ، وقد تضمن الكلام التكذيب لهم ، والتعظيم مثل كناية الرجل بأبى فلان ترك اسمه وعدل إلى كنايته تعظيما له ، والتحقير أن يكون الشيء خسيسا فتأنف من ذكره فتذكره بغير اسمه مثل قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فكنى عن الحدث بالأكل لما كان يتولد عنه (رصعته) نظمته وألصقت بعضه ببعض وتاج مرصع مزين بخرز وجوهر ينظم فيه (اللطف) الرقائق والكلمة اللطيفة أى الرقيقة المعنى التى تحل فى القلب فتلطفه (الأحاجى) ضرب من الألغاز واحدها أحجية وهى قولك لصاحبك أخرج مافى يدى ولك كذا تقول العرب أحاجيك مافى يدى وحجياك ما فى يدى وهى من الحجى وهو العقل (الفتاوى اللغوية) المراد بها المسائل المائة التى فى الثانية والثلاثين والفتيا إظهار الشيء المسؤل عنه عند السؤال (المبتكرة) التى لم يسبق إليها ، وبكر وابتكر خرج بكرة ومنه الباكور وهو المبكر من كل شيء فى الادراك وبكر كل شيء أوله (المحبرة) المزينة وحبرت الشيء تحبيرا زينته وأصلها من الحبر وهى ثياب تصنع باليمن فيها رقوم وتزيين (أمليت) ألقيت وأمليت على الصبى ألقيت عليه ما يكتب (أسندت) رفعت (الاحماض) الانتقال من شيء إلى شيء وأصله فى الابل ترعى الخلة وهى حلو المرعى فتمله فتنتقل إلى الحمض تأكل منه فيذهب الحمض عن قلوبها استيلاء الحلاوة فتنشط بذلك على المرعى فيقال أحمض الرجل إحماضا والعرب تقول الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها فأراد به تنقله فى المقامات من حكاية فائقة إلى قضية رائقة ومن موعظة تبكى إلى ملهية تسلى ، وفى ذلك تنشيط وترغيب فى قراءتها ونفى للملل والكسل عن قراءتها (سواد) أشخاص ويسمى الشخص سوادا لأنه يسود الأرض بظله (أودعه) أضمنه (الأجنبية) التى ليست من شعره والأجنبى من ليس بينك وبينه قرابة من الجنابة وهى البعد (فذين) منفردين هذا من شعر وهذا من آخر (توأمين) أخوين من شعر واحد (أسست) أصلت والأساس أصل الحائط (الحلوانية والكرجية) منسوبتان إلى حلوان والكرج وهما بلدان (ماعدا) ماجاوز (خاطرى) ذهنى (أبو عذرى) أى أول صانع له يقال للمرأة فلان أبو عذرها أى أول زوج تزوجها فوجدها عذراء فافتضها وأزال عذرتها أى مابها من صعوبة (مقتضب) مقتطع (حلوه ومره) جيده ورديئه (غايات) جمع غاية وهى طلق الخيل والسباق منها الذى يجىء أبدا سابقا (المتصدى) المتعرض (بلاغة) فصاحة

قُدامة ؛ لا يَغْتَرِفُ إلَّا من فُضالَتِه ، ولَا يَسْرِى ذَلكَ المَسْرَى إلَّا بِدلالتِه ، ولله درُّ القائل :

فلو قَبْلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صَبابةً ... بِسُعْدَ شَفَيْتُ النَّفْسَ قبلَ التندُّمِ
ولَكِن بَكَتْ قَبلى فهيَّجَ لى البُكا ... بُكاها فقُلْتُ الفَضْلُ لِلمُتَقَدِّمِ

وأصلها أن يبلغ الانسان من الكلام والحجة ما أراد (قدامة) هو أبو الوليد بن جعفر كان بليغاً مجيدا عالما بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها وله كتاب يعرف بسر البلاغة فى الكتابة وترجمته تدل على متضمنه وله تحقيق فى صنع البديع يتميز به عن نظرائه ،وتدقيق فى كلام العرب يربى فيه على أكفائه ، وتحذيق فى علوم التعليم أضرم فيها شعلة ذكائه . فلذلك سار المثل ببلاغته واتفق المتقدم والمتأخر على فضل براعته (الفضالة) البقية من الماء وغيره وهى ما فضل عن الحاجة ؛ واغترفها آخذها بيده (يسرى ذلك المسرى) يقصد ذلك المقصد وأصل يسرى يسير بالليل (دلالته) تقدمه وهدايته ، وتفتح دالها وتكسر والفتح أكثر والدليل بالفلاة الذى يهدم القوم قصدهم (مبكاها) بكاها (صبابة) شوقا (هيج) حرك والبيتان لعدى بن الرقاع وقبلهما :

وبما شجانى أننى كنت نائما ... أعلل من فرط الكرى بالتنسم
إلى أن دعت ورقاء فى غصن أيكة ... تردد مبكاها بحسن الترنم

فلو قبل مبكاها وعدى هو أبو زيد بن مالك ينتمى إلى معاوية بن الحرث، وهو عاملة وينسب إلى الرقاع وهو جد جده ، وكان شاعراً مقدما عند بنى أمية مداحاً لهم خاصا بالوليد بن عبد الملك ومنزله بدمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم وكان من أوصف الناس للمطية وكذا ذكره صاحب الأغانى فى ترجمته ؛ وقال نوح بن جرير لأبيه : من أنسب الناس ؟ قال : ابن الرقاع فى قوله :

لولا الحياء وأن رأسى قد عسا ... فيه المشيب لزرت أم قاسم
وكأنها بين النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سنة وليس بنائم

أقر الحريرى ههنا للبديع بالفضل وجعله سباقا للغايات ، وما أحسن هذا الأدب منه مع علمه بفضل مقاماته على مقامات البديع ، ومن أدل دليل على ذلك أنه مذ ظهرت مقامات الحريرى لم تستعمل مقامات البديع ثم انه طبق استعمالها آفاق الأرض إلا أنه أسر هنا شيأ لأنه ختم كلامه بأن البديع بالتقدم فضله وهذا منه مذهب مستحسن ألا تراه كيف بدأ بتجريد الفضل للبديع وحده ثم لم ير لنفسه قدرا فى قوله وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع فجعل نفسه كالفرس الأعرج الذى جريه إذا اجتهد دون مشى الصحيح وجعل البديع كالفرس العتيق الكامل القوة ثم لما بلغ إلى هذا الموضع بعد أسطار صرح فى الظاهر للسامع بأن البديع سباق غايات وصاحب آيات وأومأ إلى من فطن أنه إنما فضله بتقدم الزمان ثم خلط الكلام فى الخيفاء بين المتقدمين والمتأخرين ثم تناسى ذلك إلى آخر الكتاب فى السابعة والأربعين وصرح هناك بتفضيل المتأخر على المتقدم وتفضيله نفسه على البديع حيث يقول :

إن يكن الاسكندرى قبلى ... فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل

ولو كان غيره من العلماء المنسوبين إلى سواء الأدب ورأى فضل مقاماته لذم البديع ونقص كتابه فكان ينعكس الذم عليه وكذا رأينا فى الغالب من أدعى لنفسه فضلا وازدرى غيره أنه قلما يكون إلا ممقوتا ، فلما أظهر الحريرى مدح البديع ووفاه قسطه من التفضيل والترفيع ولم ينظر نفسه إلا بطرف خفى قل من يتفطن له ستر الله عليه ورفع صيته ووضع لكتابه القبول عند الخاصة والعامة :

فشرق حتى لم يجد ذكر مغرب ... وغرب حتى لم يجد ذكر مشرق

فلا يذم كتابه إلا أحد الرجلين اللذين ذكرهما إما جاهل أو حاسد ومذهب الناس فى تفضيل الحديث على القديم وأكثرهم على تفضيل القديم . وقد أحسن حبيب حيث يقول :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفه الفتى ... وحنينه بدا لأول منزل

وقال رضى الله تعالى عنه :

لا زلت من شكرى فى حلة ... لابسها ذو سلب فاخر
يقول من يقرع أسماعه ... ما ترك الأول للآخر

وذكر ابن شرف علة ذلك فقال :

أولع الناس بامتداح القديم ... وبذم الحديث غير الذميم
ليس إلا لأنهم حسدوا الحى ... ومالوا إلى العظام الرميم

وللمتأخرين شعر كثير فى تفضيلهم أنفسهم على المتقدمين من أحسنه قول المعرى :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

وقال ابن عمار :

أنا ابن عمار لا أخفى على أحد ... إلا على جاهل بالشمس والقمر
ان كان أخرنى دهرى فلاعب ... فوائد الكتب يستلحقن فى الطرر

والذى ذكر أبو العباس فى الكامل هو الحق قال : وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل مايستحق ... وأما بيت عدى فى الحمام فالحمام قد كثر ذكر العرب لها فى أشعارها ونلم هنا بفصل منها ، ويروى عن على رضى الله عنـــه أنه اشتكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشية فقال له اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها ، (وعن) ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :اتخذوا الحمام فانها تلهى الجن عن صبيانكم ، وروى جابر رضى الله عنه أى صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر وإلى الأترج وكان ابراهيم بن سيار يعجب بالحمام وكان إذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن المنظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها وتكثر لديك معو نتها فهى للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم فى الصحراء وتعود عليك بالسراء ويأنس الوحيد بحركتها وتغنيه عن الأوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهى ناطقة وينفر عنك وهى داجنة وفى طباعها سكون الى الناس واستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الأنثى مفردا والأنثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طارا

طارا معا وان وقعا معا لها سرعة طيران لاتكاد تصيدها سباع الطير إلا بحيلة ، ولم تزل العرب تستحسن تسجيع الحمام وتغريد البلبل والورشان وقد ذكرت العرب من رقة تسجيعه مايبعث التذكر ويولد الشجون ويهيج الأسى ويجدد رقة القلب حتى يجعل البكاء فردا معها والتصابى لازما لأجلها وأعراب وادى القرى إذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط النخل عند استعلاء الظهيرة إذا صارت الوراشين والفواخت إلى تلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون ترجيح أصواتهن مقام المزامير والأوتار ، وأنا أسوق من المنظوم مايوافق هذا النثر كقول أبى صخر الهذلى :

ولما دعت غورية الايك سجعت ... فسجع دمعى يستهل ويستشرى
يذكرنى شجوى دعاء حمامة ... ويبعث لوعات الصبابة فى صدرى
بكت حزنا رزء الهديل وشفنى ... فراق حبيب ضاق عن فقده صبرى

وأنشد الأصمعى فقال :

أيها البلبل المغرد فى النخـل غريبا من أهله حيرانا
أفراقا تشكوه أم ظلت تدعو ... فوق أفنان نخلة ورشانا
هاج لى صوتك المغرد شجوا ... رب صوت يهيج الأحزانا

وقال آخر : أحن إلى حوائط ذات عرق ... لتغريد الفواخت والحمام
ألم بها بكل فتى كريم ... من الفتيان مخلوع الزمام

وقال آخر : إذا غنت على الأغصان ورق ... أجبناها بأعمال المدام

وقال آخر : سيغنيك عن مزمار آل محرق ... ومربعهم تغريد تلك الحمائم
بأيكة نظار تجاوبن بالضحى ... على باسقات مائلات نواعم

وأنشد أبو على عفا الله تعالى عنه :

ومن بستان إبراهيم غنت ... حمائم بينها فنن رطيب
فقلت لها وقيت سهام رام ... ورقط الريش مطعمها الجبوب
كما هيجت ذا حزن معنى ... على أشجانه فبكى الغريب

وقال نصيب : لقد هتفت فى جنح ليل حمامة ... تبكى على الألف وانى لنائم
كذبت وبيت الله لوكنت عاشقا ... لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

وأنشد أبو العباس لحميد بن ثور :

وماهاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت ساق حر ترحة وترنما
محلاة طوق لم يكن من تميمة ... ولاضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع ... لنائحة فى نوحها متلوما
إذا حركته الريح أو مال ميلة ... تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحا ولم تغفر بمطقها فما

وأرجُو أن لا أكُونَ فى هـذا الهَذَر الذى أوردْتُه ، والمَوْرِد الذى تَوَرَّدْتُه ، كالباحِث عن حَتْفه بِظِلْفِهِ والجادِع مارنَ أنفِه بكَفِّه ، فَأَلْحَق بِالأَخْسَرِينَ أعْمالًا « ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنيَا ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً » .

فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال حبيب :

لتضعضعت عبرات عينك ان دعت ورقاء حين تضعضع الاظلام
لاتستحن لها فان بكاءها ضحك وان بكاءك استغرام
هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

وسمع حبيب بخراسان غناء بالفارسية فلم يدر ما هو غير أنه شوقه فقال :

حمدتك ليلة شرفت وطالت أقام سهادها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان أولى بأن يقتاد نفسى من عناها
ومسمعة يحار السمع فيها ولم تصممه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن روت قلبى فلم أجهل شجاها
وظلت كأننى أعمى معنى يحب الغانيات ولا يراها

يعنى بهذا الأعمى بشار حيث يقول :

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم الأذن كالعين تورى القلب ما كانا

(الهذر الذى أوردته) أى الاكثار الذى اتيت به وقد تقدم المورد و (توردته) اقتحمته (الباحث) المفتش و (الظلف) للبقر والغنم كالحافر للخيل والحمير ؛ وهذا مثل للعرب : وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها فى الأرض فاستخرجت منها شفرة فذبحوها بها وقالوا : بحثت عن حتفها بظلفها ، فسارت مثلا . وقال الشاعر :

وكانت كعنز السوء قامت بظلفها إلى مدية تحت الثرى تستثيرها

وقال أبو الأسود :

فلا تك مثل الذى استخرجت بأظلافها مدية أو بفيها
فقام إليها بها ذابح ومن يدع يوما شعوبا يجيها

ولفظ المثل عند أبى عبيد كالعنز تبحث عن المدية (والجادع) القاطع الأنف (والمارن) طرف الأنف وأراد به قصيرا مولى جذيمة الأبرش ، وقد ذكرنا قصته فى شرح الرابعة والعشرين ورجا المصنف أن لا يدركه من الضرر ما أدركهما من الضرر حين جنيا على أنفسهما وانتفع غيرهما (ضل سعيهم) خابت أعمالهم وأصل ضل تحير فلم يدر أين يتوجه وأصل السعى المشى بسرعة . سمع اعرابى رجلا يقرأ قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا

عَلَى أَنِّى وإنْ أَغْمَضَ لِىَ الْفَطِنُ الْمُتَغَابِى ، ونَضَحَ عَنِّى الْمُحِبُّ الْمُحَابِى ، لا أَكادُ أَخْلُصُ من غُمْرٍ جاهِلٍ ، أو ذِى غِمْرٍ مُتَجَاهِلٍ يضعُ مِنِّى لِهَذا الوَضْعِ ، ويُنَدِّدُ بِأَنَّهُ من مَنَاهِى الشَّرعِ . ومَن نَقَدَ الأَشْيَاءَ بِعَيْنِ المعقولِ وأَنْعَمَ

فقال أنا أعرفهم قيل له : ومن هم ؟ : قال الذين يبردون ويأكل غيرهم (أغمض) سامح وسد عينيه عما لم يرض و(الفطن) الذكى (المتغابى) المتجاهل عن الشىء وهو عارف به وهو مما يحمد به الرجل قال حبيب :

ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى

(ونضح) بالماء غسل (المحابى) الذى يفضلنى على غيرى ، وحبانى اختصنى بالعطية وأصل حاباه أن تعطيه ويعطيك وقد يكون فى معنى حباه (الغمر) الجاهل (ذى غمر) صاحب عداوة (متجاهل) مستعمل للجهل وهو على خلافه . يقول : إن سد عينيه عن عيبى فطن ذو عقل وتعامى حين يبصر لى خطأ أو رأى لى ذلك العيب محب فجعل يغسله عنى لمحبته لكلامى فلا أخلص مع ذلك أما من جاهل يعيب ما لا يفهم أو من عارف يظهر لى عداوة وحسدا فيرد حسنى قبيحا وهو عارف بحسنى فيشيع فى الناس أن المقامات أكاذيب وهو عارف بفضلها وما قصد بها والغمر الحقد وصاحبه مذموم ولا أعرف من تعرض من الفصحاء لمدح حامله سوى ما يحكى أن عبد الملك بن صالح جىء به إلى الرشيد فى قيوده فقال له يحيى بن خالد وأراد أن يبكته : بلغنى أنك حقود فقال عبد الملك : أيها الوزير إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر انهما لباقيان فى صدرى وفى رواية أخرى إنما صدرى خزانة تحفظ ما استودعت من خير أو شر فقال الرشيد : والله ما رأيت أحداً احتج للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ففتح الباب لابن الرومى فقال يخاطب بعض من عابه بالحقد :

لئن كنت فى حفظى لما أنا مودع من الخير والشر انتحيت على عرضى
فما عابنى إلا بفضل أمانة ورب امرىء يزرى على خلق محض
ولولا الحقود المستكنات لم يكن لينقض وتراً آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد إلا توأم الشكر فى الفتى وبعض السجايا ينتسبن إلى بعض
فحيث ترى حقداً على ذى أساءة فثم ترى شكراً على حسن العرض

ثم رجع إلى الطريقة المثلى فانتحل المذهب الأعلى وقال يعيبه ضاربا بسهم البلاغة فى الوجهين :

يامادح الحقد محتالا له شبها لقد سلكت اليه مسلكا وعثا
يادافن الحقد فى ضعفى جوانحه ساء الدفين الذى أضحت له جدثا
الحقد داء ردىء لا دواء له يورى الصدور إذا ما جمره حدثا
فاستشفينه بصفح أو محادثة فانما يبرى المصدور مانفثا
ان القبيح إذا أصلحت ظاهره يعود مالم منه مرة شعثا
كم زخرف القول ذو زور ولبسه على القلوب ولكن قلما لبثا

(يضع منى) أى يحط من منزلتى (الوضع) الكتاب (يندد) يشهر العيب وندد به إذا أسمعه المكروه (نقد الأشياء) فتش وبحث عليها (المعقول) العقل (أنعم) بالغ ، وأصل النظم جعل حبات الجوهر فى خيطها

النظرَ فى مَبَانى الأُصول ، نَظَم هذه المَقَامات فى سِلْكِ الإفادات ، وسَلَكَها مَسلَكَ المَوضُوعات ، عن العَجْماوات والجمادَاتِ ، ولم يُسْمعْ بمَنْ نَبَا سَمْعُهُ عن تِلْكَ الحِكَايات ، أوْ أَثَّمَ رُواتَها فى وَقْتٍ من الأوقات . ثم إذا كانتِ الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ ، بها انْعِقادُ العُقودِ الدينيَّات ؛ فأَىُّ حَرَجٍ عَلَى مَن أنشأ مُلَحا

وضمها فيه لغيرها ثم سمى بيت الشعر نظما لأن الكلام فيه ملتصق ببعض كحب الجوهر و(الافادات) الفوائد (سلك) قصد (الموضوعات) الكتب المؤلفة أى أدخلها مدخل هذه الكتب (العجماوات) البهائم وسميت واحدتها عجماء لأن صوتها لا يفهم منه معنى و (الجمادات) ما عدا الحيوان وأراد ما ألف من الكتب مما لا حقيقة له فى الظاهر وقد ضمن الحكم الشافية فى الباطن مثل كتاب كليلة ودمنة وغيره مما ألف على ألسنة مالا عقل له ولا روح وكذلك المقامات وإن كان ظاهرها كذبا فالقصد بها تمرين الطالب وتهذيبه وتذكية عقله وأن يكتسب تجارب الدنيا من حكايات السروجى فيكون متنبها لما يطرأ عليه من النوازل فتؤمن على عقله الغفلة والخديعة إلى ما ينضاف إليه من صنعة الكتابة والشعر فانها أعون شىء عليها : ومما يحكى على ألسنة البهائم ما جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينما راع فى غنم عدا عليها الذئب فأخذ شاة منها فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى ؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها إذ التفتت إليه فكلمته فقالت أنا لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى مؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر ، السبع بسكون الباء أرض المحشر والسبع الفزع ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يختبىء اليهودى وراء الحجر فيقول الحجر ياعبد الله يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله . قالوا : خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالا وأرنبا ، فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا هذا ، فقال : الحمار للملك والغزال لى والأرنب للثعلب فرفع الأسد يده فضربه ضربة فإذا هو مجدل بين يديه ثم قال للثعلب : اقسمها فقال : الحمار يتغذى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك ، فقال الأسد : ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء ؟ قال : رأس هذا الذئب . وحدث الشعبى قال : صاد رجل قبرية فقالت ما تريد أن تصنع بى ؟ قال : أذبحك وآكلك . فقالت والله ما أشبع من جوع وخير لك من أكلى أن أعلمك ثلاث خصال واحدة وأنا فى يدك والثانية وأنا على الشجرة والثالثة وأنا على الجبل قال : هات قالت لا تلهفن ما فات فخلى سبيلها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون ، فلما صارت على الجبل قالت له : ياشقى لو ذبحتنى أخرجت من حويصلتى درتين كل واحدة عشرون مثقالا ، قال : فعض الرجل على شفته تلهفا ثم قال : هات الثالثة فقالت : أنت قد نسيت ثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فات ولا تصدقن بما لا يكون أنه سيكون أنا ولحمى ودمى وريشى لا يكون فى عشرون مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت . وأمثال هذه الملح أكثر من أن تحصى (نبا سمعه) أى ارتفع وأصله فى السيف إذا ارتفع فلم يمض فى الضربة (أثم) جعلهم أصحاب إثم (انعقاد العقود) أى ارتباط العقائد (حرج) اثم وأصل

للتَّنْبيه لا للتَّمويه ، وَنحَا بِها مَنْحَى التَّهذِيب لا الأَكَاذِيب . وهَل هو فى ذَلك إلّا بمنزلةِ منِ انتَدبَ لتَعْليم ؛ أو هَدَى إلى صِراط مُسْتَقيم ؟

على أنّى راض بأنْ أحمِل الهَوى   وأخْلُصَ منــــهُ لا علىَّ ولا ليا

وبالله أعْتضِدُ فيما أعْتَمِد ، وأعْتصِم ممّا يَصِم ، وأسْتَرْشِد إلى ما يُرْشِد . فما المَفْزَعُ إلّا إليه ، ولا الاستِعانةُ إلّا به ، ولا التَّوفيقُ إلّا منهُ ، ولا المَوْئِلُ إلّا هُو ، عليه توكلْتُ وإليْه أُنِيب ، وبه نَسْتعين ، وهو نِعمَ المعين

التحريج التضييق   (للتنبيه) أى لينبه به الغافل الذهن فيجعله حاضر الخاطر   (نحا منحى) قصد مقصد (التهذيب) التخليص وهذبت الطالب أخرجته وخلصته ورجل مهذب مخلص من العيوب ، ويروى ندب وانتدب فندب دعا وانتدب أجاب   (وهدى) أرشد   (صراط مستقيم) طريق معتدل ومن فعل ما ذكر ماجور غير آثم لكنه مع هذا رضى أن يخلص ممن يتكلم فى كتابه بتعييب وأن يخرج من هذا الكتاب كفافا لا أجر ولا وزر بل نرجو له الأجر على نية الافادة والتعليم إن شاء الله تعالى   (اعتضد) أستعين

(أعتمد) أقتصد (أعتصم) أمتنع (يصم) يعيب (أسترشد) أستهدى (يرشد) يهدى ويدل على الخير و (المفزع) الملجأ وكذلك الموئل ، وتقول فزعت إلى فلان إذا لجأت إليه واستعنت به ليحميك ويمنعك ، وفزعت منه خفته والمفزع الذى ذكره مصدر بمعنى الفزع وتقول وألت من ذلك إذا نجوت منه وأنت موئلى منه أى الذى تنجينى منه والمفزع الموئل والحصن تفزع إليه فينجيك من طالبك   (أنيب) أرجع والانابة الرجوع إلى الله تعالى والتوبة إليه .

المقامة الأولى الصنعانيـــــة

حَدَّثَ الحارثُ بنُ هَمَّام قالَ: اقْتَعَدْتُ غاربَ الاغتِراب، وأنْأَتْنِي المَتْرَبةُ عن الأتْراب، طَوَّحَتْ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ، إلى صَنْعاء اليَمَنِ، فدخَلْتُها

شرح المقامة الأولى

إن قيل: لأي معنى اختار الحريري حارثا وهماما وأبازيد دون غيرهم من الأسماء؟ فالجواب: أنه إنما قصدهم لأنهم أصدق الأسماء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع: تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحرث وهمام وأقبحها حرب ومرة وصدقهما أنه ليس أحد إلا وهو يحرث أي يحاول الكسب أو يهم بحاجته وأما أبو زيد فان صدق أنه إنسان بعينه كما تقدم في الصدر وقع الاكتفاء به وإن لم يصدق فقد حكى أهل اللغة أنه كنية الكبر. وأنشد ابن قتيبة:

أعار أبو زيد يميني ســـلاحه وحد سلاح الدهر للمرء كالم
وكنت إذا ماالكلب أنكر أهله أفدى وحين الكلب جذلان نائم

سلاحه العصا، وإنكار الكلب أهله لبسوا السلاح، وجذلان نائم في الجدب إذا ماتت المواشي فيشبع من لحومها وينام، وقال ابن الأعرابي: يقال للشيخ الكبير أبو زيد وأبو سعيد والسروجي في الغالب إنما يصفه بالكبر والهرم فوقعت التسمية لغوية وإنما عنى بالحرث بن هشام نفسه لأنه ممن يحرث ويهم ولذلك نسبه إلى البصرة وهي بلدة الحريري وإنما وضع أبا زيد كنية للدهر لأنه يصفه بأشياء لاتليق إلا بالدهر مثل قوله:

وكل سرح فيه ذئبي عائث حتى كأني للأنام وارث سامهم وحامهم ويافث

ومثل قوله: ووترب أرباب الأرا ئك والدرانك والسجوف

وهي كثيرة وفي الخمسين له كلام لا يليق إلا بالدهر فجعل أخذ الحرث من أبي زيد كناية عن علم الحريري بما جرب من صروف الدهر (اقتعدت) أي ركبت وأصله اتخذت قعدة أو قعودا وهما اسمان للبعير يقعد عليه راكبة (والغارب) مقدم سنام البعير و (الاغتراب) والغربة التحول في البلدان والبعد عن الأوطان وسيأتي ما أصلها وأراد لما اتخذت ظهر الغربة قعوداً (أنأتني) أبعدتني (المتربة) الفقر (الأتراب) الأصحاب على سن واحدة (طوحت) رمت و (طوائح) نوائب وتقول طوحت بالرجل إذا رميت به إلى الهلاك وقياس الطوائح المطاوح لأنك تقول طوحت فهي مطوحة والجمع مطوحات ومطاوح قال أبو عبيدة جاءت الطوائح على حذف الزيادة ورد الفعل إلى أصله فانه من طاحت فهي طائحة والجمع طوائح قال أبو عمر الشيباني: جاءت على النسب مثل لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر وذات تطويح قال الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

ومثله، وأرسلنا الرياح لواقح، تقديره ملاقح لأنك تقول ألقحت الريح السحاب إذا جمعته وألقته وضارع مرتفع بمضمر تقديره يبكيه ضارع وهو الذليل (صنعاء) بلد باليمن وأضافها إلى اليمن لأن ثم صنعاء أخرى

خاوِى الوِفاضِ ، بادِىَ الإنفاضِ ، لا أَملِكُ بُلْغَة ، ولا أَجِدُ فى جِرَابى مُضغَة ، فطَفِقْتُ أَجُوبُ طُرُقاتِها مِثْلَ الهَائِم ، وأَجُولُ فى حَوْماتِها جَوَلانَ الحائِم ، وأَرُودُ فى مَسارِحِ لَمَحاتى

وهى قرية بدمشق وكان اسم صنعاء فى القديم أزال قال ابن الكلبى والشرقى ولما وافتها الحبشة قالوا نعم أى أنظر فسمى جبلها نعم فلما نظروا إلى مدينتها ورأوها حصينة مبنية بالحجارة فالوا هذه صنعاء وتفسيرها هنية فسميت صنعاء ، وحكى الهمدانى قال : وأهل صنعاء يتولون فى الإسلام أنها القرية المحفوظه وانهم سمعوا هاتفا يقول فى بعض أيام من حاربهم كل عليك يا أزال وأنا أتحنن عليك وأقدم قصور اليمن وأنبهها ذكرا وأبعدها صيتا غمدان وقصر أزال وهى صنعاء والذى أسس غمدان وابتدأ بنيانه واحتفر بئره الذى هو اليوم سقاية لمسجد جامع صنعاء سام بن نوح عليه السلام على ما يذكره علماء صنعاء واليمن ، وذلك لأنه لما مات نوح احتوى بعده السكنى فى الأرض الشمالية فأقبل طالعا فى الجنوب يطلب أطيب البلاد حتى صار إلى الاقليم الأول فوجد اليمن أطيبه مسكنا وصنعاء أطيب اليمن فوضع مقراته وهى الخيط الذى يقدر به البناء ويبنى على حده فوضع الأساس فى ناحية فج غمدان فى غربى الجبل فبنى الطير وهو اليوم معروف بصنعاء فلما ارتفع بعث الله طائراً فاختطف المقراة فطار بها وتبعه سام لينظر أين يقع فأم بها جنوب النعم من سفح نعم فوقع بها فلما تبعه طار بها وطرحها على حرة غمدان فلما قرت علم سام أنه قد أمر بالبناء هناك فأسس غمدان واحتفر بيده بئره المسمى كرامة ويستقى منها إلى اليوم لكنها أجاج (خاوى الوفاض) فارغ المزاود يقال خوى الرجل إذا سجد وترك بين جسده وبين الأرض خوا ، وخوى البعير برك على هذا الحال ، والوفاض جمع وفضة وهى شبه الجراب وهى أيضا كنانة السهم إذا كانت من جلد لا خشب ، فان كانت من خشب مجلد أو غير مجلد فهى كنانة أو جعبة ، ابن سيده فى المحكم : الوفضة خريطة يحمل فيها الراعى أداته وزاده والوفضة جعبة السهام . أبو منصور الأزهرى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : أنه أمر بصدقة توضع فى الأوفاض ، أنهم اخلاط الناس . قال الفراء : هم أهل الصفة . قال أبو عبيد . هذا كله عندنا واحد لأن أهل الصفة أخلاط من قبائل شتى ويمكن أن يكون مع كل واحد منهم وفضة فعلى هذا من قصر الوفضة على الجعبة وخطأ الحريرى بأن الزاد لا يكون فى الجعبة فهو المخطىء والجاهل باتساع اللغة .

(بادى الانفاض) ظاهر الفقر وقد أنفض إذا فنى زاده وانفض الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد ومنه قولهم الأنفاض يقطر الجلب أى فناء زادهم يجعل إبلهم قطاراً أى مربوطة بعضها خلف بعض تساق إلى السوق فتباع فيأكلون ثمنها قال الهذلى :

له ظبية وله عكة إذا أنفض القوم لم ينفض

ظبية جريب صغير من جلد ظبى (بلغة) زاد للمسافر يبلغ به من يومه إلى غده (الجراب) وعاء من جلد يصنع للزاد (مضغة) لقمة (طفقت) أخذت وجعلت ومعناها ابتداء الفعل والدخول فيه (أجوب) أقطع وأخرق وجوب الأرض قطعها بالمشى (الهائم) الحيران (أجول) أتصرف (حوماتها) جهاتها (الحائم) الطائر العاطش يحوم حول الماء أى يدور به (أرود) ألتمس (المسارح) مراعى البهائم (لمحاتى) نظراتى

مَسايحِ غَدَوَاتِى وَرَوْحاتِى ؛ كَرِيماً أَخْلِقُ له دِيباجَتِى ، وأَبُوحُ إليهِ بحاجَتِى ، أَوْ أَدِيباً تُفَرِّجُ رُؤْيَتُهُ غُمَّتِى ، وتَرْوِى رِوَايَتُه غُلَّتِى ، حتَّى أَدَّتْنِى خاتِمَةُ المَطَافِ ، وهَدَتْنِى فاتِحَةُ الأَلْطافِ ، إلى نادٍ رَحِيبٍ ، مُحْتَوٍ عَلَى زِحامٍ ونَحِيبٍ فَوَلَجْتُ غابَةَ الجَمْعِ لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدَّمْعِ فرأَيْتُ فى بُهْرَةِ الحَلْقَةِ شَخْصاً شَخْتَ الخِلْقَةِ ، عليه أُهْبَةُ السِّياحَةِ ؛ ولهُ رَنَّةُ النِّياحَةِ . وهوَ يَطْبَعُ الأسْجاعَ بِجَواهِرِ لَفْظِه ، ويَقْرَعُ الأَسْماعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ ، وقد أَحاطَتْ بهِ أَخْلاطُ الزُّمَرِ إحاطَةَ الهالَةِ بالقَمرِ ، والأَكْمامِ بالثَّمَرِ .

يريد المواضع التى يسرح عينيه فيها بالنظر (مسايح) مسالك أراد طرقه التى يسير فيها بالمشى بالغدو والعشى والسيح الماء الجارى على وجه الارض وتكون المسايح أيضاً جمع مسيحة أو مسحة وهى الطوفة من قولك مسحت البيت أى طفت به فيكون على هذا فعائل ميمها أصلية وعلى الاول مفاعل (أخلق) أهين (ديباجتى) جلدة وجهى يريد أنه يخلق وجهه بالمسئلة كما يخلق الثوب ، وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم المسئلة كدوش وخدوش فى وجه صاحبها وقوله صلى الله عليه وسلم لاتزال المسئلة بالرجل حتى يلقى الله عز وجل وما على وجه مزعة لحم أى قطعة (أبوح) أذكر (حاجتى) فقرى (تفرج) تزيل (غمتى) غمى وما يضيق نفسى (غلتى) عطشى (أدتنى) أوصلتنى (خاتمة المطاف) آخر المشى (هدتنى) دلتنى (والالطاف) حسن السؤال وفاتحته أراد به سؤالك من تلقى فى للطريق إذا دخلت بلدا غريبا فاذا سألت بتلطف أرشدت بسرعة فسؤالك هو الذى فتح لك الطريق ويقال لطف سؤال الرجل إذا رق لفظه ولم يكن فيه جفاء فتقبله القلوب وألطف الرجل سؤاله إذا سألك بحنان وتلطف واللطف، الرفق وألطفتك أيضاً بررتك وأكرمتك فالالطاف مصدر ألطف ويروى الالطاف جمع لطف وهو الرفق يقال لطف الله بالعباد لطفا رفق بهم رفقا وهو راجع إلى الاول (ناد) مجلس (رحيب) واسع (محتو) مشتمل (نحيب) بكاء (ولجت) دخلت (غابة الجمع) وسط الناس وأصل الغابة الشجر الملتف يغيب فيه من يدخله (لأسبر) لافتش وأراد دخلت بين الناس لاجرب وأعرف ما الذى أبكاهم وجلب دموعهم ، ويروى محلبة بالحاء وهى من الحلب يقال انحلبت عينه إذا سالت بالدمع (بهره) وسط (شخت) دقيق ورقيق والشخت الحطب الرقيق (أهبة السياحة) آلة العبادة وهى مثل العصا وركوة الماء وثياب الصوف وغير ذلك (يطبع الاسجاع) أى يرتبها ويصنعها تقول طبعت الدرهم والسيف إذا صنعتهما وطبعت الكتاب إذا ختمته وكانت الملوك تكتب فى فصوص خواتمها لا إله إلا الله والملك لله وتطبع بذلك كتبها وهذا المعنى أليق ، يطبع الاسجاع أى يزينها ويختمها بجواهر كلامه ، ومن روى لجواهر باللام فعلى يصنعها لاغير والتفسير على الروايتين أخذته عن أبى ذر والاسجاع الكلام المفقر له قافية كقافية الشعر وكان من كلام الكهان وهذه الموعظة التى فى المقامة من الاسجاع وسجعت الحمامة إذا غنت على طريقة واحدة (يقرع) يضرب (الاسماع) الآذان (زواجر) نواهى وزجره نهاه وانتهره (أحاطت) حلقت (أخلاط) أصناف مختلطون (الزمر) الجماعات (الهالة) الدارة حول القمر من نوره والطفاوة الدارة حول الشمس والساهور هو غلاف القمر الذى يستتر فيه ماانتقص منه (الاكمام) جمع كم

فدلَفْتُ إليْهِ لأَقْتَبِسَ مِن فَوائِدِه ، وأَلتقِطَ بَعْضَ فَرائِدِه ، فَسَمِعْتُه يَقولُ حينَ خَبَّ فى مَجالِه ، وَهدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِجالِه ، أيُّها السَّادِرُ فى غُلَوائِه ، السادِلُ ثَوْبَ خُيَلائِه ، الجامِحُ فى جَهالاتِه الجانِحُ إلى خزَعْبلاتِه ، إلامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيِّكَ ، وَتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيِكَ ، وَحَتَّامَ تَتَنَاهَى فى زَهْوِكَ ، ولا تَنْتَهِى عن لَهْوِكَ ،

وهو الغلاف الذى يشق عن الثمر ويحيط به وسمى كالانه يستر ماتحته والا كام جمع قليل والكثير كام والثمر حمل الاشجار (دلفت) قربت ودلف الشيخ فى مشيته إذا أسرع من ضعف فقارب خطوه (اقتبس من فوائده) ألتمس وأطلب أخذها واكتبسها (الفرائد) شذور الذهب تفصل مابين الجوهر (خب فى مجاله) أخذ فى كلامه والخب عدو سهل وهو الذى تسميه العامة السير وفرس مسيار والمجال للخيل موضع تصرفها وجريها (هدرت) صوتت (شقاشق) جمع شقشقة وهى النفاخة يخرجها فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره شبه صوت الواعظ حين يرفعه ويزجر به الناس بصوت البعير يهيج ويتابع الهدير ، قال الاخطل :

إذا هدرت شقاشقه ونشبت ... له الاظفار ترك له الهدير

أراد نشبت وترك فخفف (السادر) الراكب هواه لايرده شىء استطالة وبغيا ويقال للذى يطيل الجلوس فى الشمس حتى يتحير بصره قد سدر فهو سادر (فى غلوائه) ارتماعه للشر ولجاجه فيه وهو من غلا يتلو فى الأمر إذا جاز الحد فيقال ياأيها الاعى الكثير اللجاج فى ركوب المعاصى هلا نظرت بعين البصيرة ورجعت عما أنت عليه من الضلال (السادل) المرخى (خيلائه) كبره (الجامح) الجارى إلى غير غاية وقد جمح الفرس إذا ركب رأسه وجرى فى غير قصد فيريد أنه أكثر الفساد حتى جرى منه فى طريق (الجانح) المائل والخزعبلات: الاباطيل وهو مايتراءى للانسان فى نومه من الخيال (تستمر) تدوم فى مرورك (غيك) ضلالك (تستمرىء) تستطيب من المرىء وهو مايلتذ به من الطعام (بغيك) ظلمك (تتناهى) تبلغ النهاية ونهاية الشىء آخره (زهوك) كبرك وعجبك (اللهو) ما يشغل عن الخير من أنواع الطرب ، وقال القاضى أبو حفص بن عمر فى ذم الكبر وما يتعلق به :

ولا تنسب إلى كبر فهذا ... أبوك الترب يخفضك انتسابا
ولا تصحب أخا كبر وقدم ... على النفس الاعادى والصحابا
ولا تحب محاباة بمــــدح ... كفى بالمرء حوبا أن يحابى
وحاذر أن ترى فى القوم رأسا ... ولا تنس الذنوب وكن ذنابا
ترابا كن هنا فعساك أن لا ... تمنى أن تكون غدا ترابا

وقال أبو نواس :

حذرتك الكبر لا يغشاك مبسمه ... فانه ملبس نازعته الله
يابؤس جلد على جوف مجوفة ... يحوى مقاذير ان كلمته تاها

تبارزُ بمَعْصِيَتِكَ ، مالكَ ناصيتِك ؛ وتَجْتَرِئُ بقُبحِ سيرَتك ، عَلَى عالِمِ سَرِيرَتك ، وَتَتَوَارَىٰ عن قَرِينِكَ ، وأنتَ بمَرْأى رَقيبِك ، وَتَستَخْفِى من مملوكِك وما تَخْفَى خافِيةٌ على مَلِيكك ؛ أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفَعُك

إن نال فى العاجل السلطان والجاها ... يرى له عليك فضلا يبين به
فكيف آمن مقت الله إياها ... إنى لأمقت نفسى عند نخوتها

وقال أبو العتاهية :

عجبت للانسان فى فخره ... وهو غدا فى قبره يقبر
مابال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفخر
أصبح لايملك تقديم ما ... يرجوا ولا تأخير مايحذر

(قوله تبارز) أى تكاشف وتقابل والبارز الظاهر المنكشف (الناصية) شعر مقدم الرأس (تجترىء) تقدم وتشجع والجرىء الشجاع المقدام (سيرتك) عادتك وجمعها سير وهى مايعامل به الناس من خير أوشر وتقول سرت سيرة من خير أو شر إذا أحدثتها فعمل بها الناس بعدك فصارت عادة لهم ولذلك فسرنا السير بالعادة حيث وقعت وأصل السير هيئة فعل السير وذلك أنك تقول جلس فلان جلسة بالفتح وهى المرة الواحدة من جلوسه فاذا كسرت الجيم فهى هيئة جلوسه ومثله ركب ركبة والركبة هيئة ركوبه وتقول سار هذا الفعل سيرة والسيرة بالكسر هيئة سيره فى الناس من حسن أو قبح أو صواب أوخطأ وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هيئة أفعال حيث كانت (تتوارى) تستتر (بمرأى رقيبك) أى بمنظر ربك أى بحيث يراك أى ورقيب الشىء حافظه وحارسه (مليكك) مالكك وأراد أن الانسان إذا خلا بريبة استتر بها عن أخيه وعبده حياء منهما ولا يستحى من ربه الذى يطلع على معاصيه ولا يخفى عليه خافية وأشار إلى قوله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم الآية وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

إن كنت تعلم أن الله ياعمر ... يرى ويسمع ماتأتى وما تذر
وأنت فى غفلة من ذاك تركب ما ... نهاك عنه فأين الخوف والحذر
تجاهر الله إقداما عليه ومن ... حثالة الناس تستحيى وتعتذر

وقال نابغة بن شيبان :

إن من يركب الفواحش شرا ... حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه ... شاهداه وربه ذو الجلال

وقال أبو نواس :

إذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولاتحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن مايخفى عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تراكمت ... ذنوب على آثارهن ذنوب

حالُك ، إذا آنَ ارْتحالُك ، أو يُنقذُك مالُك ، حينَ تُوبِقُك أعمالُك ، أو يُغنِي عَنك نَدَمُك ، إذا زَلّتْ قَدَمُك ، أو يَعطفُ عَليكَ مَعْشَرُك يوم يَضُمُّك مَحْشَرُك ، هَلَّا انتهجْتَ مَحَجَّةَ اهتدَائِك ، وعَجّلْتَ مُعالَجَةَ دائِكَ ، وفَلَلْتَ شَباةَ اعتِدائك ، وقَدَعْتَ نفسَك فهِيَ أكبَرُ أعدائِك ، أمَا الحِمامُ ميعادُك ، فما إعدادُك ، وبالمشيبِ إنذارُك ، فما إعذارُك ،

(حالك) عزتك ومالك (آن) حان وقرب (ارتحالك) انتقالك (توبقك) تهلكك يقال أوبقته الذنوب أهلكته فوبق أى هلك ووبق أيضا وقال أعشى همدان

استغفر الله أعمالى التى سلفت   من عثرة أن يعاقبنى بها أبق

(زلت) زلقت (معشرك) قومك (محشرك) موضعك الذى تحشر اليه (انتهت)ركبت والنهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (محجة) طريق من حجه يحجه إذا قصده (اهتدائك) استقامتك (معالجة) مداواة (فللت) كسرت (شباة) حد (اعتدائك) جورك وظلمك (قدعت) كففت قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس عدوك الذى ان قتلته كان ذلك نوراً وان قتلك دخلت الجنة ولكن أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ، قال الأصمعى : كنا بطريق مكة فى بعض المنازل إذ وقفت علينا اعرابية فقالت أطعمونا مما أطعمكم الله فناولها بعض القوم شيأ فقالت له كبت الله لك كل عدو لك إلا نفسك (أما) حرف اخبار واستفتاح كألا (الحمام) الموت من حم الأمر قضى (الميعاد) الموعد (ما أعدادك) ما استعددت له والاعداد مصدر اعد للأمر اذا هيأ له مايحتاج اليه من عدة يقول الموت هو الذى وعدت به أن يأتيك ولا بد فما استعدت له من أفعال البر ، وللفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران :

باصاح فى الموت لنا حكمة   بالغـة لو أننا ننتفع
فأعمل له قبـل مفاجاته   ويحصد الزارع ماقد زرع
لا حيلة تنجيك منه ولا   ذو وزر عنه به يمتنع
كم أمم أفنـاهم قبلنا   وشمل قوم شته فانصدع

ولحبيب :

فقد أيقنت بالموت نفسى لأننى   رأيت المنايا يخترمن حياتيا
فياليت أنى بعد موتى ومبعثى   أكون رفاتا لاعلى ولاليا

(المشيب) الشيب يقال شاب رأسه شيبا ومشيبا (اندارك) اعلامك وأنذرك أعلمك بما تحذره وخوفك منه وأراد قوله تعالى وجاءكم النذير وانظر هذا المعنى فى الحادية والأربعين مستوفى نظما ونثرا (اعذارك) جمع عذر والإعذار بكسر الهمزة مصدر أعذر فى طلب الحاجة إذا بالغ فيها قال ابن القابلة السبتى وجنس قوافيه :

الشيب فى مفرقى حـلا   وعقد عهد الملاح حلا
وكان كالآبنوس رأسى   فاحتله عاجه فخلا
وحرمت وصل الغوانى   وقلن قتل العميد حلا

وفى اللَّحْدِ مَقِيلُك ، فما قِيلُكَ ، وإلى اللهِ مَصِيرُك ، فَمَن نَصِيرُك ، طالما أَيقَظَك الدَّهرُ فتناعَسْت ، وجَذَبَكَ الوَعْظُ فتقاعَسْت ، وتَجَلَّتْ لك العِبَرُ فتعامَيتَ ، وحَصْحَصَ لك الحقُّ فتمارَيْتَ ، وأذكَرَكَ الموتُ فتناسَيتَ ، وأمكَنَكَ أن تُواسِيَ فما آسَيتَ . تُؤْثِرُ فَلْساً توعيه ، على ذِكْرٍ تَعِيه وتَختارُ قَصْراً تُعليه ، على بِرٍّ تُوليه ؛ وتَرغَبُ عن هادٍ تَستَهديه ، إلى زادٍ تَستَهديه ، وتُغَلِّبُ حُبَّ ثَوبٍ تَشتَهيه ، على

(اللحد) حفرة فى جانب القبر ولحد الميت وألحده شق له فى جانب القبر وأصل اللفظة الميل
(مقيلك) مقامك وأصله النوم فى القائلة (قيلك) حديثك المقول وحجتك الواضحة والقول مصدر كالطعن والذبح والقيل اسم للمقول كالطحن بالكسر اسم للدقيق المطحون والذبح اسم للمذبوح . . يعقوب : القال والقيل اسمان لامصدران ، ابن سيدة : القيل فى الاصل مصدر وحكى الفارسى : قاله قولا وقيلا مثل ذكره ذكرا والقال يجوز أن يكون مصدرا فان سيبويه حكى ذامه ذاما وعابه عابا إلا أنه لم ينص على القال
(مصيرك) رجوعك (نصير) معدول على ناصر المبالغة (تناعست) أى أظهرت أنك ناعس
(جذبك) قادك بعنف ويقال جذب وجبذ رهى أقل من الأولى وصحفت العامة هذه الثانية وقالوا جبد بدال غير منقوطة (تقاعست) تأخرت وتصعبت وتشبهت بالأقعس وهو الذى دخل ظهره وخرج صدره أى قادك الوعظ إلى الخير فلم تنقد له وللعرب تقول عزة قعساء كأنها تنقعس عن الذلة (تجلت) ظهرت
(العبر) مايتخوف ويتعظ به عند رؤيته (حصحص) تبين من الحص وهو ذهاب الشعر فيتبين ما تحته والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة وإذا اجتمع الأمثال فى مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفا من جنس الحرف السابق ومثله حثحثت ورقرقت أصلهما جثثت ورققت هذا قول الكوفيين وقال البصريون هما لغتان تقاربنا إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه فى المخرج وهذه الحروف متباعدة لا يصح ابدالها (ماربت) شككت (تواسى) تعطى (تؤثر) تفضل (توعيه) تجعله فى وعاء (بر) إحسان
(توليه) تعطيه وتلصقه بمن تبره (هاد) مرشد لطريق الخير (ترغب عنه) أى تتركه (تستهديه) أى تسترشد وتسأله أن يهديك إلى الخير (تستهديه) الثانية تطلب أن يهدى لك هدية يقول تترك من يهديك إلى طريق الخير فلا تسأله الهداية وتقصد أعراض الدنيا من الأطعمة وغيرها ترغب أن تعطى منها هدية قال الزاهد بن عمران :

توقى وحاذر من قبول هدية ... وأن جاءنا فيها الحديث المرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث ... تحذرنا منها وعنها نرغب
فكانت هديات الأوائل قبلنا ... تولف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلا يا يسرع المن نحوها ... تفرق فيما بيننا وتجنب

وله فى مثله :

احذر هدايا الناس تأمن من الـــمن بهـا أو قول واش بشى
فقل من يهديك الا امرؤ ... من رغبة أو رهبة قد خشى
التبس الأمر فلا تقدمن ... واخش مقام الله فيمن خشى

ثوابٍ تَشْتَرِيه . يوَاقيتُ الصِّلات ، أَعْلَقُ بقلبِكَ من مَواقيتِ الصَّلاة . ومُغالاةُ الصَّدُقات آثَرُ عندكَ من مُوَالاةِ الصَّدقاتِ ، وَصِحافُ الألوانِ ، أَشْهَى إليك منْ صَحائِفِ الأَدْيانِ . وَدُعابَةُ الأَقْرانِ ، آنَسُ لك من تِلاوةِ القُرْآنِ ، تَأمُر

كانت هدايا ثم عادت رشا وفى الرشا الهلك لمن يرتشى
حذرنا منها نبى الهـدى إذ لعن الراشى والمرتشى

(الثواب) المكافأة على الفعل وأراد به ما يجازى الله به عبده على إحسانه من الأجر وهو من ثاب يثوب إذا رجع وأثبت الرجل أعطيته الثواب وهو المكافأة على فعله (يواقيت) أى جواهر (الصلات) العطايا (أعلق) ألصق (مواقيت) أوقات وهى جمع ميقات . . ومما يستحسن من تجنيس الصلات والصلات حكاية أحمد بن المدبر وكان إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه امض به الى المسجد فلا تفارقه حتى يصلى مائة ركعة ثم خله فتحاماه الشعراء إلا الافراد المجيدين ، فجاء الحسين بن عبد الرحمن البصرى المعروف بالجمل فاستأذنه فى الإنشاد فقال أعرفت الشرط قال نعم وأنشد :

أردنا فى أبى حسن مديحا كما بالمدح تنتجع الولاة
فقلنا أكرم الثقلين طرا ومن كفاه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغنى صلاتى عيالى انما تغنى الزكاة
فأما إذا أبى إلا صلاتى وعاقتنى الهموم الشاغلات
فيأمر لى بكسر الصاد منها لعلى أن تنشطنى الصلات
فتصلح لى على هذا حياتى ويصلح لى على هذا الممات

فضحك واستظرفه وأمر له بمائة دينار ، وقال من أين أخذت هذا قال من قول أبى تمام :

هن الحمام فان كسرت عيافة من حائهن فانهن حمام

(مغالاة الصدقات) أى الزيادة فى المهور وغاليت زدت فى ثمن السلعة ورددتها غالية والصدقات واحدتها صدقة وهى الصداق قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يمن المرأة تيسير صداقها وخطبتها ؛ قال عروة وأنا أقول من أول شؤمها أن يكثر صداقها (آثر) أفضل وأكثر اثره (موالاة) متابعة (صحائف) جمع صحيفة وهى الورقة يكتب فيها من الرق والقرطاس (دعابة) مزاح وفى فلان دعابة وتداعب الرجلان تمازحا ، وفى الحديث كانت فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وفى حديث جابر رضى الله عنه هلا بكرا تداعبها وتداعبك (الاقران) الاصحاب والامثال (تلاوة) قراءة وتلوته قرأته ، واختلفوا فى اشتقاق القرآن : فقال أبو عبيدة سمى قرآنا لأنه يجمع السور ويضمها قال الله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه أى إذا جمعنا لك شيأ فضمه واعمل به ؛ وقال قطارب : سمى قرآنا لأن القارىء يظهره ويبينه ويلقيه من فيه من قول العرب ما قرأت الناقة سلاقط أى مارمت به وقال

بِالعُرْفِ وتَنتَهِك حِماهُ وتَحمِي عن النُّكْرِ وَلا تَتحَامَاهُ ، وَتُزَحْزِحُ عن الظُّلم ثمَّ تَغْشَاهُ ؛ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ؛ ثم أنشد :

ما يَسْتَفِيقُ غَرَاماً بِها وَفَرْطَ صَبَابَة
تَبًّا لِطَالِبِ دُنْيَا ثَنَى إِلَيهَا انْصِبَابَة
وَلو دَرَى لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَة

النبي صلى الله عليه وسلم أن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قالوا يارسول الله ماجلاؤها قال قراءة القرآن (العرف) أى المعروف (تنتهك) تبالغ فى تناوله بما لا يجوز (حماه) ماحمى منه ومنع وأصل الحمى موضع العشب يحميه الرجل لابله وانتهاكه استئصال عشبه بالرعى ونهكت الجلد وانتهكته إذا أخذته بشفرة حتى يرق ويضعف (النكر) المنكر (تتحاماه) تتباعد عنه (تزحزح عن الظلم) تنحى عنه غيرك وتزيله (وتغشاه) تأتيه وتباشره (تخشى) تخاف ، وقال ذو الرمة فى هذا المعنى وهو أحسن شعر قاله :

يارب قد أسرفت نفسي وقد علمت علما يقينا لقد أحصيت آثارى
يامخرج الروح من نفسي إذا احتضرت وفارج الكرب زحزحني عن النار

دعا لنفسه أن يكون من الفائزين لقوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (تبا) أى خسرانا وهلاكا وتبت يده خسرت ، وقال تعالى وما زادهم غير تتبيب أى خسار وهلاك ، قال الشاعر :

عرادة من بقية قوم لوط ألا تبا لما عملوا تبابا

(ثنى) عطف ورد (انصبابه) جريه (يستفيق) يستريح ، وأفاق من المريض استراح (غراما) شدة حب لازم له غير مفارق ومنه سمى الغريم لملازمته التقاضي وإلحاحه فيه ، وقال تعالى إن عذابها كان غراما أى ملحا دائما ومنه إنا لمغرمون وفلان مغرم بالنساء يحبهن ويلازمهن ، وقال حاتم :

فما أكلة إن نلتها بغنيمة ولا جوعة إن خفتها بغرام

أى بهلاك وملازمة (فرط صبابة) شدة شوق ومجاوزة حد فى ذلك (يروم) يطلب (صبابة) بقية الماء ؛ هذا الشعر مستحسن القوافى ومثله فى ذلك قول الزاهد بن عمران وكثيرا ما كان يستمد فى شعره من أدب المقامات :

تبا لذى جهل دعا لميرة وأجبته برا به فأذاعها
هنا وقد كافأته بهباته وذخرتها عندى له فأضاعها
فاقل اللئام من الرجال ولا تجب مهما دعوك وجنبين أوضاعها

وقال آخر : يا من يضيع عمره متماديا فى اللهو أمسك
وأعلم بأنك لا محا له ذاهب كذهاب أمسك

ولمنصور الفقيه فى الشعر المردف :

إذا كنت تزعم أن الفراق فراق الحياة قريب قريب

ثمَّ أنهُ لَبَّدَ عجَاجَتَه ، وغَيَّضَ مُجَاجَتَه ، واعتَضَدَ شَكْوَتَه وتأَبَّطَ هِرَاوَتَه . فلمَّا رَنَت الجماعَةُ إلى تحفّز

وان المقدم ما لايفوت ‏ ‏ ‏ على مايفوت مصيب مصيب
وأنت على ذاك لاترعوى ‏ ‏ ‏ فأمرك عندى عجيب عجيب

وقال القاضى أبو حفص عمر فى معنى شعر الحريرى فى ذم الدنيا .

ياراكدا فى طلاب دنيا ‏ ‏ ‏ ليس لمن تضرع انتعاش
لم تخش نارا هوى لظاها ‏ ‏ ‏ من له نحوها انحياش
أعذر منك الفراش حالا ‏ ‏ ‏ علمت ما يجهل الفراش
تطلبها لا تنام عين ‏ ‏ ‏ عنها ولا يستقر جاش
من لك بالرى من شراب ‏ ‏ ‏ يشتد من شربه العطاش
دعها فطلابها رعاع ‏ ‏ ‏ طاشت بألبابهم فطاشوا
لم يردوها فهم رواء ‏ ‏ ‏ وواردها هم العطاش
فاظمأ لتروى وكن كقوم ‏ ‏ ‏ سقوا بها غبة فعاشوا
كأن آمالنا ظباء ‏ ‏ ‏ ونحن من حيرة خداش
إن لآمالنا انبساطا ‏ ‏ ‏ به لأعمارنا انكماش
كأن آجالنا صقور ‏ ‏ ‏ ونحن من تحتها خشاش

ولابن الرومى رحمه الله :

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ‏ ‏ ‏ إذا زال عن عين اللبيب غطاؤها
فكيف بقاء الناس فيها وإنما ‏ ‏ ‏ ينال بأسباب الفناء بقاؤها

وقال آخر :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ‏ ‏ ‏ فسوف لعمرى عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ‏ ‏ ‏ وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

ولابن سادة رحمه الله تعالى :

بنو الدنيا بجهل عظموها ‏ ‏ ‏ فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها ‏ ‏ ‏ مهارشة الكلاب على العقيره

(ثم انه لبد عجاجته) أى سكن عبرته المرتفعة حتى لصقت بالأرض (غيض) جفف (المجاجة) مايلقى من فيه وقد مج الرجل ريقه إذا سال من حمق أو كبر وأراد بلبد عجاجته قطع كلامه الذى كان قد استرسل وأخذه من قول سليمان بن عبد الملك وقد تكلم وفد بين يديه فلم يصنعوا شيأ وتكلم بعدهم رجل قبيح المنظر فأبلغ فقال سليمان كأن كلامه بعد كلامهم سحابة لبدت عجاجا ، وأراد بغيض مجاجته ما كان بسيل من عينيه وأنفه عند البكاء (اعتضدها) جعلها تحت عضده (والشكوة) ركوة الماء تصنع من جلد الثور أو الخروف .
(تأبطها) جعلها تحت إبطه (هراوته) عصاه (رنت) نظرت (تحفزه) تهيئه وعجلته لانصراف وتحفز وانحفز

ورأتْ تأهُّبَهُ لِمُزايَلةِ مَرْكزِه ، أدْخلَ كلٌّ منهُمْ يدَهُ في جَيْبِه ، فأفعمَ له سَجْلاً من سَيْبِه ؛ وقال : اصْرِفْ هَذا في نَفقَتِك ، أوْ فَرِّقْهُ على رُفْقتِك فَقبِلَه منهُمْ مُغْضِياً ، وانْثَنى عنهُمْ مُثنِياً ، وجعل يُودِّعُ مَن يُشيِّعه ، لِيَخْفَى عليه مَهْيَعُه ؛ ويُسرِّبُ مَن يَتْبعه ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُه .

قالَ الحارثُ بنُ همّام : فاتّبعْتُه مُوارِياً عنه عِياني ، وقَفوْتُ إثرَهُ من حَيْثُ لا يَراني ، حتّى انْتَهى إلى مَغارةٍ ، فانْسابَ فِيها عَلى غَرارةٍ ، فأمْهلْتُه رَيْثما خَلعَ نَعْلَيه ، وغَسَلَ رِجلَيْه ؛ ثمّ هَجَمْتُ عليه ، فوَجدْتُه مُحاذِياً لِتِلْميذٍ على خُبْزٍ سَمِيذٍ ؛ وجَدْيٍ حَنيذٍ ، وقُبالَتَهُما خابيةُ نَبِيذٍ ، فقُلْتُ له ياهذا أيكونُ ذاك خَبَرَك ، وهذا مَخْبَرَك

إذا كان جالسا على عقبيه متهيئا للقيام (تأهبه) استعداده (مزايلة) مفارقه (مركزه) موضعه الذى قام به (أفعم) ملأ وفعمت الشيء فعما ملأته (سجلا) دلوا (سيبه) عطائه ، معناه وهب لنا نصيبا من عطائه (رفقتك) أصحابك (مغضيا) مستحييا وأصل أغضى كف بصره بضم جفنيه (انثنى) رجع وانعطف عن طريقه (مهيعه) طريقه البين (يسرب) يفرق فكأنه تفعل من السرب وهو الطريق كأنه يردهم من تشييعه فى طرق مختلفة أو يكون من لفظ السرب وهو الحجر فكأنه يغيبهم عنه حيث يقصد تعمية طريقه عليهم أو يكون من لفظ السارب وهو الذاهب فى الأرض وقد سرب سروبا فكأنه يذهبهم فى كل ناحية ليجهل مكانه (مربعه) منزله فى الربيع خاصة والمربع المنزل فى كل وقت ، من ربعت المكان أقمت به (موريا) ساترا (عيانى) شخصى أى تبعته مستخفيا بحيث لا يرانى (قفوته) اتبعته من جهة قفاه (انساب) دخل وأصل الانساب جرى الحية على وجه الارض أوجرى الماء كذلك ولا يكون الانسياب إلا على وجه الأرض لا يقال انسياب فى الحجر حدثنى به بعض من لقيت من أصحابنا وكان أضبط الناس للسان العرب قال وقول الحريرى انساب فيها وهم منه ولو قال انسام فيها لكان أمثل ؛ يشبهه بالسيف إذا وضع فى غمده (غرارة) غفلة (ريث) قدر (هجمت عليه) دخلت عليه لجأة ومنه هجم عليه الحر وهجمت عينه دخلت فى رأسه (محاذيا) ملاصقا أو جالسا بحذائه (تلميذ) متعلم الصنعة (حنيذ) مشوى وحنذ اللحم حنذا شواه بحجارة محماة (نبيذ) أراد به خمرا (خبرك) أراد به أمرك الذى أنت عليه (مخبرك) أى باطنك وما يختبر منك ومما ينتظم هذا النمط حكاية أبى نواس حين رؤى فى مجلس منصور بن عمار يبكى فظن الناس أنه قد نسك فجعلوا يهنئونه ويقولون نرجو لك من الله الخير فقال أنا أهون على الله من ذلك ليس كما تظنون ولكن أبكى لبكاء ذلك الغزال وغلام بالمجلس يبكى من وعظ منصور ، ثم قال

لم أبك فى مجلس منصور ... شوقا إلى الجنة والحور
لكن بكائى لبكا شادن ... تقيه نفسى كل محذور
تنتسب الالسن فى وصفه ... إلى مدى عجز وتقصير

وحضر أيضا مجلس بعض القصاص فقالوا له لعل الله قد أقبل فقال إنما حضرت لأجل هذا الغزال ثم قال :

خليانى والمعاصى ... ودعا ذكر القصاص
واسقيانى الخمر صرفا ... فى أباريق الرصاص

فَزَفَرَ زَفْرَةَ القَيْظِ ؛ وكاد يَتَمَيَّزُ من الغَيْظِ ؛ ولم يُحَمْلِقْ إليَّ حتَّى خِفْتُ أن يَسْطُوَ عليَّ . فلمَّا أن خَبَتْ نارُه ؛ وَتوَارَى أُوَارُه أنشد :

لَبِسْتُ الخَمِيصَةَ أبغِي الخَبِيصة ... وأنْشَبْتُ شِصِّي في كلِّ شِيصَه
وصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أُحْبُولَةً ... أُرِيغ القَنِيص بها والقَنِيصه
وأَلجأني الدَّهر حتَّى وَلَجْتُ ... بلُطْفِ احتيالي على اللَّيْثِ عِيصَه
على أنَّني لم أَهَبْ صَرْفَهُ ... ولا نَبَضَتْ لِيَ منه فَرِيصه
ولا شَرَعَتْ بي على مَوْرِدٍ ... يُدَنِّسُ عِرضي نفسٌ حَرِيصه
ولوْ أنْصَفَ الدَّهرُ في حُكْمِه ... لما مَلَّكَ الحُكْمَ أهْلَ النَّقِيصه

وعلى وجه غزال طائع ليس بعاصى
بين فتيان كرام قد تواصوا بالمعاصى
وعلى الله وإن أفـــرطت فى الذنوب خلاصى

(فزفر زفرة الغيظ) الزفرة تنفس المهموم أو المغتاظ والقيظ شدة الحر شبه ما أبداه من شدة الغيظ بوهج الحر (يتميز) يتقطع ويتفرق (يحملق) يحد النظر والحملقة نظر الغضبان والحملاق باطن الجفن (يسطو) يصول ويتناولنى بالمكروه يقال سطا عليه وبه يسطو سطوا وسطوة إذا قهره وأذله (خبت ناره) سكنت حدة غيظه (توارى) تغطى واستتر (أواره) لهبه ونار غيظه والاوار وهج النار (الخميصة) كساء فيه خطوط وقال يعقوب وأبو عبيد الخميصة كساء مربع أسود له علمان (الخبيصة) نوع من الحلواء وتسميه عامتنا الخبيز بالزاى وكنى به عن لذة العيش (الشص) حديدة معوجة يصاد بها الحوت وتسمى الصنارة (شيصة) تمرة رديئة ؛ ومن ملح قصاص البلدان أن أبا عبد الله الخواص كان يقول فى قصصه إنما الناس مثل التمر فيهم الشيص والبرنى يارب اجعلنا برنيا ولا تجعلنا شيصا وقال قاص آخر : إن فى الجنة لحم جدى ولحم خروف ولحم كل شىء بلاعظم مثل الشيص فى بلادنا بلا نوى يريد أنه لا يحتقر شيأ فكل ما اتخذله أخذه (أحبولة) آلة يصاد بها (أريغ) طلب ما يصعب أخذه كأنه يروغ من كذا وأصل راغ من كذا أى عدل عنه ورجع وهو يخفى رجوعه قال الفراء لا يقال للذى يرجع راغ يروغ الا أن يكون مخفيا لرجوعه قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين أى رجع اليهم يضربهم مخفيا لرجوعه ومعنى باليمين أى بيمينه الذى حلف فى قوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم أو يريد باليمين القوة وقال تعالى فراغ إلى أهله فجاء بعجل أى رجع اليهم فى إخفاء منه لرجوعه (القنيص والقنيصة) الذكر والأنثى مما يصاد من الوحش وهذا مثل وإنما أراد ما يأخذه من الناس بالحيل (ألجأنى) أحوجنى (ولجت) دخلت (لطف) رقة وتلطف (عيصه) بيته وأصله الشجر الملتف و(الليث) الأسد (أهب) أخف (صرفه) تقلبه (نبضت) تحركت (فريصة) بضعة فى آخر الكتف تتحرك عند الفزع (شرعت) دخلت و(على) بمعنى فى نحو قولك كان ذلك على عهد فلان أى فى عهده (مورد) موضع الماء (يدنس) يوسخ ويعيب (عرضى) ذكرى (نفس حريصة) كثيرة الرغبة والطمع (النقيصة) الخصلة القبيحة يفعلها الرجل فينقص بها

ثم قال لى : اُدْنُ فكل ، وإن شئتَ فقم وقلْ ؛ فالتفتُّ إلى تلميذه وقلتُ عزمتُ عليك بمن تستدفعُ به الأذى لتُخْبِرَنى مَن ذا ، فقال هذا أبو زيدٍ السَّروجىُّ سراجُ الغرباء ؛ وتاجُ الادباء . فانصرفْتُ من حيثُ أتيت ؛ وقضيتُ العجبَ ممَّا رأيت

ومن أحسن ما قيل فى الدهر قول تميم بن المعز :

يادهر ماأقساك من متلون	فى حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا	وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا ؟
وإذا صفوت كدرت شيمة باخل	واذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن كرمت لاننى	أدرى بأنك لا تدوم على الصفا
زمن إذا أعطى استرد عطاءه	وإذا استقام بداله فتحرفا
ما قام خيرك يازمان بشره	أولى بنا ماقل منك وما كفى

ولإدريس بن اليمانى :

ماذا أقول لدنيا لوظفرت بها	أدبتها غضبا للعلم والأدب
شجا من اقذية الأيام برح بى	بل بالعوالى وبالهندية القضب

(أدن) أى اقرب (قل) أى قل ماشئت (التلميذ) الخادم والجمع التلاميذ قال لبيد :

تجلوا التلاميذ لؤلؤا قشبا أى تجلوا التلاميذ لؤلؤا جديدا وطلبة العلم تلاميذ شيخهم (الأذى) الضرر (سراج) مصباح يريد أنه للغرباء مصباح يفخرون به ويهتدون بحيلته وللادباء تاج يتزينون به ويضعونه فوق رؤسهم (انصرفت) رجعت (قضيت العجب) أى أتممته كأنه قال قضيت حاجتى مما رأيت ويقال قضى نحبه من كذا أى بلغ مراده وقضى عليه القاضى أى قطع عليه والقاضى القاطع للأمور المحكم لها وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين أى قطعهن وأحكم خلقهن ويكون قضى بمعنى عمل .

المقامة الثانية الحلوانية

حَكَى الحارثُ بنُ همَّام قال: كَلِفتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي التَّمائمُ، ونِيطَتْ بي العَمائمُ بأنْ أغْشَى مَعانَ الأدَب وأُنضِيَ إليهِ ركابَ الطَّلَب، لأعْلَقَ منه بما يكونُ لي زينةً بينَ الأنام، ومُزْنةً عندَ الأوام، وكنتُ لفَرْطِ اللَّهَجِ باقتباسِه، والطَّمعِ في تَقَمُّصِ لباسِه، أُباحِثُ كلَّ مَن جَلَّ وقَلّ، وأستَسْقي الوَبْلَ والطَّلّ وأتعلَّلُ بعسَى ولعَلّ، فلما حلَلْتُ حُلْوان، وقد بَلَوْتُ الإخوان، وسَبَرْتُ الأوزان، وخَبَرْتُ ما شانَ وزان، ألفَيْتُ بها أبا زيدٍ السَّروجيَّ يتقلَّبُ في قَوالِبِ الانتِساب، ويَخْبِطُ

شرح المقامة

(كلفت) أى اشتد حبى والكلف شدة الحب والمبالغة فيه وفلان كاف بفلان أى مبالغ فى محبته .

(ميطت) وأميطت أزيلت (التمائم) الاحراز (نيطت) علقت وإذا بلغ الصبى الحلم عند العرب أزالوا الاحراز عن عنقه وألبس العمامة والازار وقلد السيف فأراد أحببت منذ بلغت الحلم مجالس الأدباء (أغشى) أقصد وأدخل (المعان) المنزل، أبو عبيد: يقال البصرة معان منا أى منزل منا، قال المعرى: معان من أحبتنا معان فالأول اسم موضع معلوم جنس به وجعله منزل أحبابه وقال بعضهم سمى معانا لمعاينة الناس فيه بعضهم بعضاً أو لأن فيه أعيانا (أنضى) أهزل (الركاب) الإبل وجعل للطلب إبلا مجازا وإنما يريد أتعبت نفسى فرحلت إلى طلبه على الابل (لاعلق منه) لاحصل منه على فائدة أتعلق بها (الانام) الخلق (مزنة) سحابة (الاوام) شدة العطش يريد أنه يتعب نفسه فى طلب الأدب ليتزين به بين الناس ويعيش به إذا احتاج إليه (فرط اللهج) شدة الحب يقال قد لهج بالشىء إذا أكثر الحديث به لحبه فيه وحرصه عليه ولهج الفصيل بالرضاع إذا لج فيه (اقتباسه) اكتسابه (التقمص) لبس القميص (لباسه) ثيابه أى أطمع أن ألبس من ثيابه قميصا (أباحث) أسائل (جل) عظم (قل) حقر (استسقى الوبل والطل) أى أطلب منه السقى، والوبل أشد المطر والطل أضعفه ويقال الرك أضعف من الطل، ومنه قيل للدنىء ركيك (أتعلل) أشغل نفسى وأطعمها والعلالة الشىء اليسير .

(عسى ولعل) معناهما الرجاء والطمع يريد أنه يسائل الجليل فى العلم والحقير ومن كثر علمه كان كالوبل أو قل كان كالطل وإذا فقد من يؤخذ عنه العلم رجى نفسه بوجوده وأطمعها والتعلل قطع الزمان بالعيش اليسير وقد تعلل بشرابه إذا أخذ منه قليلا قليلا فمعنى أتعلل بعسى ولعل أذهب علة وجدى بالرجاء والطمع .

(حللت) نزلت وحلوان بلدة بينها و بين مدينة بغداد أربع مراحل وهى من كور الجبل وسميت باسم بانيها وهو حلوان بن على بن الحاف بن قضاعة وهى مدينتان بينهما نهر عظيم مقداره فرسخ وهى مقابلة لطبرستان وهى جبلية سهلية بحرية لها زيتون ونخيل وبها قصب السكر وافتتحت فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (بلوت) جربت (الأخوان) الأصحاب (سبرت) فتشت (الاوزان) أقدار الناس (خبرت) جربت وعرفت (شان) عاب (وزان) زين يريد أنه دخلها وهو مجرب عارف بالناس (ألفيت) وجدت (يتقلب) يتنوع (قوالب) جمع قالب وقالب كل شىء قياسه وما يصنع عليه (يخبط) يمشى والخبط المشى فى الأرض على غير

فى أساليبِ الاكتساب فيَدّعِى تارةً أنَّهُ مِن آلِ ساسان ، و يعتزى مَرّةً إلى أقيالِ غسّان ، ويَبْرُزُ طَوْراً فى شِعارِ الشُّعراء ، ويَلْبَسُ حينا كِبْرَ الكُبَراء بَيْدَ أَنَّهُ مع تَلوُّن حالِه ، وتَبَيُّن مُحالِه ، يَتَحلّى بِرُوَاء ورِوايَة ، ومُداراة ودِرايَة ، وبَلاغة رائعة وبَديهة مُطاوعَة ، وآدابٍ بارعَة ، وقَدَمٍ لأعْلامِ العُلومِ فارعَة ، فكانَ لِمَحاسِنِ آلاتِه يُلْبَسُ على عِلاَّتِه ، ولسعَة روايتِهِ يُصْبَى إلى رُؤيتِهِ ، ولِخلابَةِ عارِضَتِه ، يُرْغَبُ عن مُعارَضَتِه ،

قصد كمثنى الأعمى (أساليب) طرق واحدها أسلوب (آل ساسان) ملوك الفرس (يعتزى) ينتسب (أقيال) ملوك (غسان) قبيلة باليمن كان منها ملوك وغسان ماء كان شربا لولد مازن بن الأزد بن الغوث فسموا به (يبرز) يظهر (طورا) حينا (شعار) ثياب والشعار ثوب يلى الجسد (كبر) تكبر ، يريد أنه لقى أبا زيد يحلو ان يتنوع بذلك فى أحوال المكدين ويجرى بذلك فى طرق اكتساب المعيشة فيدعى أنه من آل ساسان وأصل هذا أن الفرس كان فيهم الملك وكانت العرب تحت حكم ملوكهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لملكهم بكتابه يدعوهم به إلى الاسلام مزقوه فدعا الله عليهم أن يمزقوا كل ممزق فأوقع بهم المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد حروب شديدة معظمها بالقادسية فلم يبق لهم من الملك رسم وصاروا فى خلافة عثمان رضى الله عنه تحت حكم المسلمين وكانوا أهل دهاة وجراءة وحروب ورماية فسكن من بقى منهم الامصار واستعربوا وتفقهوا فكان منهم من نفع الله به المسلمين وكان منهم أهل أهواء وبدع ونشأت منهم هذه الطائفة الخسيسة أهل الكدية فكانوا يطوفون فى البلدان ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون إلى ملوكهم ثم يتذللون فى السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال الملكة إلى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس إذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا ساسانى وقيل ان ساسان اسم رجل معين وهو أول من أسس الكدية فنسبوا اليه كما أن الطفيلى منسوب إلى رجل اسمه طفيل وهو أول من تطفل فأراد أن أبا زيد كان يتنوع فى أحواله فيتمسكن تارة ويدعى أنه من ساسان ويتعاظم أخرى فينتسب إلى غسان ويبرز مرة فى أحلاس الشعراء المكدين ويظهر ثانية فى ثياب فاخرة لباس الكبراء المثرين (بيد أنه) أى غير (محاله) باطله والمحال مالا يمكن أن يتصور وهو مفعل من حال الشىء إذا تغير كأنه زال عن وجهه (يتحلى) يتزين (رواء) نظافة وحسن منظر (مداراة) حسن سياسة فى صحبة وأصلها المخادعة (دراية) ودرية مصدر دريت (بلاغة) فصاحة (رائعة) معجبة من شاهدها ارتاع وتعجب (والبديهة) والبداهة الأخذ فى الكلام من غير فكرة وهى الارتجال (مطاوعة) منقادة (بارعة) فائقة تفضل غيرها (أعلام) جبال (فارعة) طائلة قد علتها واللام فى قوله لا علام زائدة وزيادتها إذا تقدمت أحسن منها إذا تاخرت مثل ضربت زيدا ولزيد ضربت (آلاته) عدده وأراد به هذه الأنواع التى قدمها التى تحلى بها (يلبس) يصاحب ويخالط (علاته) عيوبه التى ذكر من أنواع الغربة (سعة روايته) كثرة علمه وما يرويه (يصبى) يمال (خلابة) خداع وقد خلبه خلبا وخلابة خدعه (عارضته) قوة كلامه (معارضته) مقابلته ومناقضة كلامه وتقول رغبت عن الشىء تركته وتزهدت فيه ورغبت فيه إذا أحببته فيريد أنه لقوة كلامه وصلابته

ولِعذُوبَةِ إيرادِه ؛ يُسْعَفُ بمرادِه ، فَتَعَلَّقْتُ بأهدابه ، لِخصائص آدابه ؛ ونافَسْتُ فى مُصافاته ، لِنفائسِ صِفاته

فكُنْتُ به أجلو هُمومى وأجْتَلى ... زمانِىَ طَلْقَ الوجهِ مُلْتَمِعَ الضِّيا

أرَى قُرْبَهُ قُرْبَى وَمَغْنـــاهُ غُنْيَةً ... ورؤيَتَهُ رِيًّا ومَحْيَاهُ لى حَيـــا

ولَبِثْنَا على ذلك بُرْهَةً ، يُنْشِىءُ لى كلَّ يوم نُزْهَةً ؛ وَيَدْرَأُ عن قَلْبِى شُبْهَةً ، إلى أن جَدَحَتْ له يَدُ الإملاقِ ، كأسَ الفِراقِ ؛ وأغراهُ عَدَمُ العُراق ؛

لا يتعرض أحد لجداله فهو يخادع به الناس حتى لا يعترض فيما يقول وقيل معنى فلان شديد العارضة إذا أفحش وأسمع المكروه ورجل شديد العارضة أى لا تقرب ناحيته (ايراده) أخذه فى الكلام (يسعف) يساعد (أهدابه) أطراف ثوبه و (خصائص) الشيء مايختص به أن ينفرد (نافست) زايدت وغالبت (مصافاته) مصاحبته (نفائس) جمع نفيس وهو الرفيع من كل شيء سمى نفيسا من النفس وهى العين حتى كأنه لرفعته تتعلق به العين وقد قال المعرى :

فالعين يسلم منها مارأت فنبت ... عنه وتلحق مانهوى من الصور

(أجلو) أى اكشف (أجتلى) أنظر (طلق الوجه) مستبشرا والطلق ضد العابس (ملتمع) منير بادى اللمعان (قربى) نسبا و (مغناه) منزله من قولهم غنى بالمكان يغنى غنيانا إذا أقام به (غنية) غنى يقال غنى يغنى غنى فهو غنى إذا استغنى والاسم الغنية (ريا) شبعا من الماء ورويت من الماء ضد عطشت (محياه) حياته (حيا) مطر عام يقول انه كان بمصاحبته أبازيد يزول همه ويلقاه ببشر منه فيرى قربه منه بالود كقرابة النسب وكان منزله لما يجد فيه من الخصب أو من غزارة العلم يرى أنه غناه وإذا رآه زال عطشه للعلم أو للماء برؤيته ، وقصد تجنيس الالفاظ يبعد المعنى (لبثنا) أقمنا (برهة) مدة (ينشىء) يصنع ويبتدىء (النزهة) أصلها التباعد عن الريب ثم كثرت حتى صارت الخروج للرياض للتفرج ثم استعملت فى المعانى فقيل نزه فلان فى آدابه وكنى بهذا عما يستفيده من علمه (يدرأ) يدفع (شبهة) اشكال والتباس (جدحت) حركت ومزجت والمجدح آلة يمزج بها المشروب الصعب الامتزاج (الاملاق) الفقر من الملقة وهى الصخرة الملساء فأملق كأنه صادف ملقة لا تنبت شيأ ولم يصادف خصبا بعد أن كان فى ترفه وغنى (أغراه) حرضه و (العراق) اختلفوا فيه فقال صاحب العين العراق العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق ، ابن قتيبة : يقال للعظم الذى عليه اللحم عراق وللخالى من اللحم عرق ، أبو عبيد : العراق القطعة من اللحم . أبو زيد : قول العامة ثريدة العراق خطأ إذا كان العراق العظام وأنشد لرجل يطرد الطير عن زرعه فى عام جدب :

عجبت من نفسى ومن اشفاقها ... ومن طراد الطير عن أرزاقها

فى سنة قد كشفت ساقها ... حمراء تبرى اللحم عن عراقها

ابن الانبارى : قول أبو عبيد هو الصواب لأن العرب تقول أكلت العراق ولا تقول أكلت العظم وفى حديث أم اسحق العنزية فجعلت لا آكل العراق ولا أضعه فقولها لا آكل يدل على أن العراق لحم مفرد أو

بتَطْلِيقِ العراقِ ؛ ولَفَظَتْه مَعَاوِزُ الإِرفاقِ ؛ إلى مَفَاوِزِ الآفاقِ ؛ ونَظَمَهُ فى سِلْكِ الرِّفاقِ ؛ خُفوقُ رايةِ الإخْفاقِ . فَشَحَذَ لِلرِّحْلةِ غِرارَ عزْمتِه ؛ وظَعَنَ يَقْتادُ القلبَ بأزِمَّتِه :

فمَا رَاقَنِى مَن لاقَنِى بَعْدَ بُعْدِه ... وَلَا شاقَنِى مَن ساقَنِى لِوِصالِه
وَلَا لَاحَ لِى مُذْ نَدَّ نِدٌّ بفَضْلِهِ ... وَلَاذُو اخِلالٍ حازَ مِثلَ خِلالِه

لحم على عظم ؛ الأصمعى : قيل لاعرابى إن الطعام أطيب قال ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من البضع لها جناحان من العراق ؛ قيل كيف أكلك لها قال أصدع بهاتين يعنى السبابة والوسطى وأسند بهذين يعنى الابهام والخنصر وأجمع ماشذ منها بهذه يعنى البنصر وأضرب فيها ضرب ولى السوء فى مال اليتيم ؛ فهـــذا يدل على أن العراق قطع اللحم إذا كانت العرب لاتصف الثريد والأطعمة بكثرة العظام والعراق فى البيت الأكل تقول عرقت العظم عراقا أكلت ما عليه من اللحم والعظم معروق وهو بمنزلة سكت سكاتا (العراق) قال صاحب العين هو شاطىء البحر ؛ أخذمن عراق القربة وهو الخرز فى أسفلها ، قطرب: سمى عراقا لأنه دنا من البحر وبه يناخ وينجد ويقال استعرقت الهم إذا أتت ذلك الموضع (لفظته) أى رمته و(معاوز) جمع معوز والمعوز هو العوز نفسه والمعوز بالكسر الثوب الخلق وجمعه معاوز (الارفاق) مصدر أرفقته إذا أوصلت اليه نفعا يرتفق به ورفقته بمعناه فأراد بمعاوز الارفاق قدر مايرتفق به (المفـاوز) جمع مفازة وهى الصحراء سميت مفازة على التفاؤل لأن الرجل إذا قطعها فاز ونجا (الآفاق) نواحى الأرض (نظمه) ضمه وجمعه (سلك) خيط (الرفاق) جمع رفقة وعنى بسلك الرفاق الطريق الذى ينتظمون فيه إذا أخذوا فى السير لأنهم يمشون فيه واحدابعدواحد فنظمهم الطريق وصار لهم كالسلك (خفوق) اضطراب وقد خفق خفقا وخفوقا و (الاخفاق) الخيبة ويقال غدا فأخفق إذا خاب ومثله فى الصائد صاد فأورق (شحذ) حد وسن ، شحذ الرجل سيفه إذا ألح عليه بالتحديد ومنه قولهم للملح فى المسئلة شحاذ والعامة تصحفه فتقول شحات بالتاء (غرار) حد وأراد أنه لما عزم على الارتحال حد عزمته أى عول على السفر بجد (العزمة) مصدر عزم إذا جد وجعل لها حدا مبالغة فى تجعيل السفر (ظعن) ذهب وارتحل (أزمة) جمع زمام وهو حبل من جلود يشد به فى حلقة مجعولة فى وتد أنف البعير فجعل تعلق قلوب أصحابه به عند فراقه وحنينهم اليه كأنه قد ربطها بأزمة وقادها معه فمن روى القلوب عادت الهـــاء من أزمته على السروجى ومن القلب عادت على القلب أو على السروجى والقلب لابن همام (راقنى) أى أعجبنى وقد راق الشيء يروق روقا فهو رائق إذا أعجب (لاقنى) لصق بى وصحبنى (شاقنى) شوقنى (ساقنى لوصاله) دعانى لصحبته (لاح) ظهر (ند) فر وشرد (ند) مثل والجمع انداد (خلال) جمع خلة بالضم وهى الصداقة (خلاله) جمع خلة بالضم أيضا وهى الخصلة وهذا النمط فى وصف الصديق وغيبته بارع ؛ ولابن عمران فى ذلك :

يامرحبا بصديق لست أبصره ... إلا تجـــدد لى أنس بمرآه
وإن تغيب عن عينى فلم أره ... فلى فؤاد بظهر الغيب يرعاه

واسْتَتَرَ عنِّى حِينا لا أعْرِفُ له عَرِينا ، ولا أجِدُ عنهُ مُبينا ، فلمَّا أُبْتُ من غرْبَتى ، إلى مَنْبِتِ شُعْبَتى ، حضَرْتُ دارَ كُتُبِها متى هىَ مُنتَدَى المُتأدِّبِينَ ، ومُلتَقَى القاطِنينَ منهم والمُتغرِّبين ، فدَخَلَ ذو لِحيَةٍ كَثَّة

(استتر) غاب واختفى وأصله فى سرار الهلال فى آخر الشهر وهو يستسر لايظهر أو ليلتين و(العرين) بيت الأسد ومأواه (مبينا) معلما به يبين لى أين استقر (أبت) رجعت (منبت شعبتى) أى بلدة قرابتى التى نبتوا فيها يريد البصرة والشعبة القرابة (داركتبها) مدرسة العلم (منتدى) مجتمع (القاطنين) الساكنين وقطن بالمكان أقام فيه (كثة) كثيرة الأصول من غير طول ويقال للحية إذا قصر شعرها وكثر إنها الكثة وقد كثت تكث كثاثة وكثوثة ورجل كث اللحية ولحية كثحومة إذا كثفت وقصرت وجعدت ورجل كثحم اللحية ، وإذا عظمت وكثر شعرها قيل إنه لذو عثنون وانه لهلوف فاذا كانت اللحية قليلة فى الذقن ولم تكن فى العارضين فذلك السنوط والسناط ورجل سناط بين السنط فاذ لم يكن فى وجهه كثير شعر فذلك الثطط ورجل ثط ورجال ثطاط والسبلة مقدم اللحية ورجل مسبل وفلان خفيف العذارين وهما ما اتصل من شعر اللحية بالصدغ وهما العارضان وهما ما نبت فى الخدين من الشعر على عوارض الاسنان قال رؤبة فى لحية حرب بن قطن :

هلوفة كأنها جوالق ... نكداء لا بارك فيها الخالق
لها فضول ولها نفائق ... إذا الرياح العصف السوابق
طيرنها طارت لها عقائق ... إن الذى يحملها لمائق

وأنشد أبو على :

وأنت امرؤ قد كثأت لك لحية ... كأنك منها قاعد فى جوالق

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة رضى الله عنها تقسم فتقول لا والذى زين الرجال باللحى ، وتقول إنه قسم الملائكة وقال الأحدب الصوفى سمعت مطيار بن أحمد يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله أشتهى لحية كبيرة فقال لى لحيتك جيدة وأنت محتاج إلى عقل تام ، وقال صلى الله عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته ، وأتى رجل طويل اللحية معاوية فقال أما اللحية فلا نسأل عنها فما نقش خاتمك فقال وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قال فما كنيتك فقال أبو الكوكب الدرى قال كمل الرجل وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسوء وكان عبد الله بن عمر يقبض على لحيته ويأخذ مازاد منها على قبضته ، الحسن بن المثنى ، إذا رأيت رجلا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شىء وكان المأمون جالسا مع ندمائه ببغداد مشرفاً على دجلة وهم يتذكرون أخبار الناس فقال المأمون ماطالت لحية إنسان قط إلا ونقص من عقله بمقدار ماطال من لحيته ومارأيت عاقلا قط طويل اللحية ، فقال له بعض جلسائه ولا يرد على أمير المؤمنين قد يكون فى طوال اللحى أيضا عقل فبينما هم يتذاكرون فى هذا إذ أقبل رجل كبير اللحية حسن الهيئة فاخر الثياب فقال المأمون ماتقولون فى هذا الرجل فقال بعضهم رجل عاقل وقال آخر يجب أن يكون هذا قاضيا

فقال المأمون لبعض الخدم : على بالرجل فلم يلبث ان أصعد اليه ووقف بين يديه فسلم فأجاد السلام فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال المأمون ما اسمك فقال علويه قال فما الكنية قال أبو حمدويه فضحك المأمون وغمز جلساءه ثم قال ما صنعتك قال فقيه أجيد الشرع فى المسائل فقال نسألك مسئلة فقال الرجل سل عما بدا لك فقال له المأمون ما تقول فى رجل اشترى شاة من رجل فلما تسلمها المشترى وقضى الثمن ضرطت فخرج من استها بعرة ففقأت عين رجل على من توجب دية العين قال فنكت بأصبعه فى الأرض طويلا ثم قال تجب على البائع دون المشترى فقال المأمون وما العلة التى أوجبت الدية عليه دون المشترى قال إنه لما باعها لم يشترط أن فى استها منجنيقا قال فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه وضحك كل من حضره من الندماء وأنشد المأمون يقول :

ما أحد طالت له لحية   فزادت اللحية فى حليته
إلا وما ينقص من عقله   أكثر مما زاد فى لحيته

وقال آخر :

إذا عظمت للفتى لحية   فطالت فصارت إلى سرته
فنقصان عقل الفتى عندنا   بمقدار ما زاد فى لحيته

وأنشد أبو على :

لا تفخرن بلحية   كثرت منابتها طويلة
تهوى بها هوج الريا   ح كأنها ذنب الحسيلة
قد يدرك الشرف الفتى   يوما ولحيته قليلة

قال : الحسيلة : العجلة ، وأنشد أبو العباس :

كل امرىء ذى لحية عثولية   يقوم عليها ظن أن له فضلا
وما الفضل فى طول السبال وعرضه   إذا الله لم يجعل لصاحبه عقلا

عثولية كبيرة ، نظر بن مزيد الشيبانى رحمه الله إلى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره وإذا هو خاضب فقال له إنك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول :

لعمرك لو يعطى الأمير على اللحى   لأصبحت قد أيسرت منذ زمان
إذا لشفتنى لحيتى من عصابة   لهم عنده ألف ولى مائتان
لها درهم للدهن فى كل جمعة   وآخر للحناء يبتدران
ولو لا نوال من يزيد بن مزيد   لصوت فى حافاتها الجلمان

فأمر له بعشرة آلاف درهم والجلمان المقص ويسمى الجالم وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية :

ماسرنى أننى فى طول داود   وأننى علم فى البأس والجود
ما شيت داود فاستضحكت من عجب   كأننى والد يمشى بمولود
ما طول داود إلا طول لحيته   يظل داود فيها غير موجود
تكنه خصلة منها إذا نفحت   ريح الشمال وجف الماء فى العود
أجدى وأغنى من الخز الصفيق ومن   بيض القطائف يوم القر والقود

هَيْئَة رَثَّة ، فَسَلَّمَ على الجُلَّاس وَجَلَسَ فى أُخْرَيَاتِ النَّاس ، ثمّ أَخَذَ يُبْدِى ما فى وِطَابِه ؛ وَيُعْجِب الحاضِرِينَ بِفَصْلِ خِطابِه ؛ فقال لِمَنْ يَلِيه : ما الكتابُ الذى تَنْظُرُ فيه ، فقال : ديوانُ أَبى عُبَادَة ، المَشهودِ له بالإِجادَةِ ؛

وأشد إفراطا منه قول ابن الرومى .

ولحية يحملها مائق | مثل الشراعين إذا أشرعا
تقوده الريح بها ضائعا | قوداً عنيفاً يتعب الاخدعا
وإن عدا والريح فى وجهه | لم ينبعث فى مشيه اصبعا
لو غاص فى اليم بها غوصة | صاد بها حيتانه أجمعا

وأشد إفراطا منه قول الآخر :

يالحية الشيخ الأزب تميم | أهديت للأقوام عرف الثوم
لو أنها دون السماء غمامة | ضاقت مسالك دعوة المظلوم
أو صبها فى الماء ثم سما بها | قامت مقام العارض المركوم

ولابن سارة : ولحية لست أدرى كيف أنعتها | فضول أشعارها أودت بأشعارى
كأنها ويمين الريح تنشرها | مذبة رفعت فى عود بيطار

وقال آخر : أبصرت شيخا ذاهبا جائيا | ذا لحية قد كبرت فى اتساع
عرضا وطولا وهو من خلفها | كأنه ناشر ثوب يباع

وقال آخر : لقد كانت مجالسنا فساحا | فضيقها بلحيته رباح
مقلبة الأسافل والأعالى | لها فى كل زاوية جناح

وقال آخر : يا أيها الناس خذوا حذركم | قد برزت لحية بهلول
فطولها الفرسخ فى فرسخ | وعرضها ميل إلى ميل
لو ضم ما يقطر من دهنها | أسرج منه ألف قنديل
ولوسها الحجام عن قصها | لخالطت ما فى السراويل

ذكر هنا أبو محمد لحية السروجى أنها كثة ، وكل صفة يصف بها السروجى فى المقامات فتلك كانت صفة الحريرى ، وذكر ابن جمهور أن الحريرى كان قليل اللحية لا خلقة وإنما كان مولعا بنتفها كانت يده رحمه الله لا تفارق لحيته ، وهذا على كثرته قليل فيما قيل فى اللحية (رثة) أى خلقة بالية (أخريات) أطراف وهى جمع أخرى ، أتى طلحة رضى الله عنه مجلس قوم فجعلوا ينادونه من كل جانب ههنا ياصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجلس فى أدنى المجلس ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن من التواضع لله الرضا بالدون من شرف المجلس (وطابه) زقاق لبنه أراد أنه يظهر ماعنده (يعجب) تجعلهم يتعجبون (بفصل خطابه) يريد بفصل كلامه وجودة بلاغته وقوله تعالى وفصل الخطاب هو قول الخطيب أما بعد (يليه) يلصق به (أبى عبادة) قال البكرى : هو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد من بنى بحر بن عتود بن عنبس سلاسان بن نفيل بن عمرو

ابن الغوث بن جلهمة وهى طيء ، شاعر مقدم لا يعدل به أحد ، يفضل على حبيب والناس فى تفضيلهما على اختلاف ، قال أبو الفرج الأصبهانى ، كان البحترى شاعرا فصيحا حسن المذهب نقى الكلاب ختم به الشعراء المحدثون وله تصرف فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة قال البحترى وكان أول أمرى أنى سرت إلى أبى عامر بحمص فعرضت عليه شعرى والشعراء يعرضون عليه أشعارهم فترك من حضر وأقبل على فقال لى حين تفرقوا أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك فشكوت خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد لى بالحذق فى الشعر وشفع لى اليهم وقال امتدحهم فسرت اليهم فاكرمونى بكتابه ووظفوا لى أربعة آلاف درهم فكانت أول مال أصبته ... وحدث أبو الفرج قال حدثنى أبو الغوث بن البحترى عن أبيه قال أول أمرى أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف المعرى فانشدته قصيدة أولها :

أأفاق صب من هو فأفيقا

فسر أبو يوسف بها وقال أحسنت والله يا فتى وأجدت وفى مجلسه رجل رفيع نبيل قريب المجلس منه فوق كل من يحضر تكاد تمس ركبته ركبته وينشد بحضرته فأقبل على وقال أما تستحى منى هذا شعرى تنتحله وتنشده بحضرتى فقال له أبو سعيد أحقا ما تقول قال نعم وإنما علقه منى وسبق به اليك وزاد فيه ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى وبقيت متحيرا فقال لى أبو سعيد يا فتى قد كان لك فى قرابتك منى ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الايمان أن الشعر لى ما سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئا وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت أن يساخ بى فى الأرض فقمت منكسف البال أجر رجلى فما رجعت باب الدار حتى ردنى الغلام فأقبل على الرجل وقال الشعر لك يا بنى والله ماقلته قط ولا سمعته إلا منك ولكنى كنت ظننت أنك تهاونت بموضعى فاقدمت على الانشاد بحضرتى تريد مضاهاتى حتى عرفنى الأمير نسبك ولوددت أن لا تلد طائية إلا مثلك ودعانى وضمنى اليه وعانقنى وأبو سعيد يضحك فلزمته بعد ذلك وأخذت عنه واحتذيت فنه . وعن أبى الغوث عن أبيه قال لى أبو تمام بلغنى أن بنى حميد أعطوك ما لا جليلا فيم مدحتهم فأنشدنى شيأ منه فأنشدته فقال لى كم أعطوك ؟ فقلت : كذا فقال لى : ظلموك والله ما وفوك حقك فلم استكثرت ما أعطوك والله لبيت منها خير مما أخذت ثم أطرق قليلا ، ثم قال لعمرى لقد استكثرت ذلك لما مات الكرام وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت أسواق الأدب أنت والله يابنى أمير الشعراء غدا بعدى فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت والله لهذا القول أسر لى مما وصل إلى منهم . قال البحترى أنشدت أبا تمام يوما شيأ من شعرى فأنشدنى بيت أوس :

إذا مقرم منا دنا حدثانه   تمخط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال يابنى نعيت إلى نفسى فقلت اعيذك بالله من هذا ، فقال : إن عمرى ليس يطول وقد نشأ مثلك لطيء أما علمت أن خالد بن صفوان المنقرى رأى شبيب بن شيبة وهو من رهطه يتكلم فقال : يابنى نعى نفسى إلى احسانك فى كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله قال فمات أبو تمام بعد سنة من قوله هذا ومات البحترى سنة ثلاث وثمانين ومائتين . المبرد : ذكر للمتوكل المنازعة التى جرت بينى وبين أبى الفتح فى تأويلات فبعث إلى عامله بالبصرة أن يحملنى اليه مكرها فوردت سر من رأى فأدخلت على المتوكل وفى المجلس البحترى وأبو العنبس الضمرى فأنشده البحترى قصيدة أولها :

عن أى ثغر تبتسم ... وبأى حكم تحتكم

حتى بلغ :

حسن يضن بحسنه ... والحسن أشبه بالكرم

قل للخليفة جعفر الـ ... ـمتوكل بن المعتصم

المرضى بن المجتبى ... والمنعم بن المنتقم

أما الرعية فهى من ... أمنات عدلك فى حرم

يا بانى المجد الذى ... قد كان قوض فانهدم

أسلم لدين محمد ... فإذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى ... بل والغنى بعد العدم

ثم مشى القهقرى للانصراف فوثب أبو العنبس وقال ياسيدى تأمر برده فقد والله عارضته فأخذ ينشد فى ذلك : فى أى سلح تنتظم ٭ وبأى كف تلتقم أدخلت رأى البحترى ٭ أبى عبادة فى الرحم ووصله بما يشبهه من الشعر فضحك المتوكل حتى استلق وقال يدفع إلى أبى العنبس عشرة آلاف درهم فقال أبو الفتح يا أمير المؤمنين والبحترى الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائبا؟ قال ويدفع إلى البحترى عشرة آلاف درهم قال ياسيدى وهذا البصرى الذى أشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه قال ويدفع له عشرة آلاف ، قال وانصرفنا كلنا فى شفاعة الهذلى ولم ينفع البحترى جده وحذقه . وأما أبو الفرج فقال حدثنى جحظة عن أبى العنبس الضمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشده عن أى ثغر تبتسم وكان البحترى من أبغض الناس إنشادا يتشادق ويتزاور فى مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ويشير بكفيه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ثم يقبل على المستمعين ويقول لهم ما لكم لا تقولون أحسنت هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله فضجر المتوكل من ذلك وأقبل على فقال أما تسمع ياضمرى مايقول ؟ فقلت بلى ياسيدى فمر فيه بما أحببت فقال بحياتى أهجه على هذا الروى فقلت على البديهة :

أدخلت رأسك فى الرحم ... وعلمت أنك تهزم

يا بحترى حذار ويحـ ... ـك من فضافضة ضغم

فلقد أسلت بواديـ ... ـك من الهجاسيل العرم

فبأى عرض تعتصم ... وبهتكه جف القلم

لأصيرنك شهرة ... بين المسيل إلى العلم

يا ابن الثقيلة والثقيـ ... ـل على قلوب ذوى النعم

وعلى الصغير مع الكبـ ... ـير من الموالى والحشم

وبعد هذا ما يقبح ذكره فغضب البحترى وخرج يعدو وجعلت أصيح به :

أدخلت رأسك فى الرحم ... وعلمت أنك تهزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه ... ومدح البحترى بعض الولاة فتوانى فى حقه فأنشده :

إن الأمير أطال الله مدته   يعطى من العرف مالم يعطه أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا   من العباد ولا ينسى الذى يعد

فأعطاه خمسين ألف درهم وقال البيتان خير من قصيدة ، وقال الهذلى قيل للبحترى أيما أشعر أنت أو أبو تمام قال : جيده خير من جيدى وردیئى خير من رديئه،وصدق أبو تمام لايتعلق به أحد فى جيده وربما اختل لفظه لامعناه والبحترى لا يختل لفظه ، وقيل لهقد عثرت باحتذائك أبا تمام فى شعرك فقال أيعاب على أن أتبع أبا تمام ما عملت بيتاً قط حتى أخطر شعره ببالى وذكروا معنى تعاوره البحترى وأبو تمام فقال المبرد للبحترى أنت فى هذا أشعر من أبى تمام فقال لاوالله ذلك الرئيس الأستاذ والله ما أكلت الخبز إلا به وقال عبد الله بن الحسن سألت المبرد عن أبى تمام والبحترى أيهما أشعر فقال لأبى تمام استخراجات لطيفه ومعان ظريفةوجيدة أجود من شعر البحترى ومن تقدمه من المحدثين وشعر البحترى أحسن استواء من شعره لأن البحترى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن وأبو تمام يقول البيت النادر والبادر ، وهذا المعنى كان أعجب إلى الاصمعى وما أشبهه الابغائص يخرج الدرة والخشلبة وهى زجاجة توضع مكان الدرة ثم قال : لأبى تمام والبحترى من المحاسن مالو قيس بأكثر شعر الأوائل ماوجدوافيه مثله ثم قال : والبحترى ضم الشعر وله بيتان لو وضعا إلى شعر زهير لجاز فيه وهما :

فما سفه السفيه وإن تعدى   بأنجع فيك من حلم الحليم
متى أحفظت ذا كرم تخطى   اليك ببعض أفعال اللئيم

وذكر المبرد فى هذا المجلس شعراً له وقدمه على نظرائه :

وإذا ذكرت محاسن ابنى صاعد   أدت اليك مخائل ابنى مخلد
كالفرقدين إذا تأمل ناظر   لم يعل موضع فرقد عن فرقد

وقوله :

من شاكر عنى الخليفة للذى   أولاه من فضل ومن إحسان
حتى لقد أفضلت من إفضاله   ورأيت نهج الجود حيث رآنى

وبعدهما :

أغنت يداه يدى وشرد جوده   بخلى فأفقرنى بما أغنانى

وله أيضا فى الفتح بن خاقان وقدنزل إلى الأسد فقتله :

حملت عليه السيف لاعطفك انثنى   ولا يدك ارتدت ولاجدة نبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا   وصمم لما لم يجد عنك مهربا

وله فيه :

وما منع الفتح بن خاقان نيله   ولكنها الأيام تعطى وتحرم
سحاب خطانى جوده وهو مسبل   وبحر عدانى فيضه وهو مفعم
وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا   وموضع رجلى منه أسود مظلم
أأشكو نداه بعد أن وسع الورى   ومن ذا يذم الغيث الامذمم؟

وله أيضافى انتقاض صلح بين عشيرته :

إذا ما الجرح رم على فساد   تبين فيه تفريط الطبيب

فقال هلْ عَثَرتَ له فيما مَحَنْتَهُ عَلَى بَديعٍ اسْتَمْلَحْتَه ؛ قال نعم قوله :

كأنّما يَبْسِمُ عن لُؤلُؤٍ مُنَضَّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

وللسهم السيد أشد حبا إلى الرامى من السهم المصيب

ومن جيد شعره : ولما التقينا واللوى موعد لنا تبين رائى الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

والبحترى مكثر جدا وديوان شعره نسخ مختلفات بالزيادة والنقص لأن شعره لاينضبط لكثرته ، قال البحترى : كنت أذم الشعر فى حداثى وكنت أرجع فيه إلى الطبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه إليه واتكلت فى تعريفه عليه فكان أول ماقال لى : يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم أن العادة جرت فى الأوقات أن يقصدها الأنسان لتأليف الشىء وحفظه ومن ذلك الوقت السحر لأن النفس تكون قد أخذت بحظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق فاذا أخذت فى مدح سيد فاشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرف مقاومه ونفض المعانى واحذر المحتمل منها وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الهجينة وكن كانك خياط تقطع الثياب على مقادير الأجسام وإذا عارضك الضجر فارح نفسك ولاتعمل شعرا إلا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك إلى الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وماتركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله تعالى فاعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة (هل عثرت) معناه اطلعت (محنته) نظرته (بديع) معنى لم يسبق غيره إليه من تشبيه أو تجنيس وشبههما مماذكر من صنع البديع فى الثالثة والعشرين ، والبدع إحداث الشىء قبل أن يكون أولا والبدعة ما ابتدع من الدين والبديع المحدث العجيب وأبدع الرجل أتى ببديع من قول أوفعل وأبدع الله الأشياء وابتدعها خلقها بلا مثال (استملحته) وجدته مليحا (يبسم) يبدى بعض أسنانه عند الضحك (لؤلؤ) جوهر شبه به الأسنان وهذا البيت من من شعره وقبله :

بات نديما لى حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح

فبت أفديه ولا أرعوى لنهى ناه عنه أو لحى لاح

أمزج كأسى بجنى ريقه وإنما أمزج راحا براح

كأنما يبسم البيت وبعده :

سحر العيون النجل مستهلك مالى وتوريد الخدود الملاح

قل لأبى نوح شقيق العلا ومعدن الجود وترب السماح

أعزز بالفضل الجميل الذى عودتنى والنائل المستماح

من أن يصد الطرف عنى وأن أخيب من جداك بعد النجاح

أشمت حسادى واحرمتنى من سيبك المغدق عالى المراح

فإنَّهُ أبدَعَ فى التشبيه ، المودَعِ فيه ، فقال له : ياللعَجَب ، واضَيْعَةَ الأدَب ، لقد استَسْمَنْتَ ياهذا ذا وَرَم ، ونفَخْتَ فى غيرِ ضَرَم ، أينَ أنتَ من البَيْتِ النَّدْرِ الجامِعِ مُشَبَّهاتِ الثَّغر ؛ وأنشد :

نَفْسِى الفِداءُ لثَغرٍ راقَ مَبْسِمُهُ ... وزانَهُ شَنَبٌ ناهيكَ من شَنَبِ

يَفْتَرُّ عن لؤلؤٍ رَطْبٍ وعن بَرَدٍ ... وعن أقاحٍ وعن طَلْعٍ وعن حَبَبِ

فاستجادَهُ من حَضَر واستحلاه ، واستعادَهُ منه واستملاه ؛ وسُئِلَ لمن هذا البيت ؟ وهلْ حيٌّ قائِلُه أوْ مَيت ، فقال : أيمُ الله للحقُّ أحقُّ أنْ يُتَّبَع ، وللصِّدْقُ حَقِيقٌ بأنْ يُستَمَع ؛ إنَّهُ يا قَومِ لنَجِيِّكُمْ مُذ اليَوْم ؛ قال :

فهل لأنس بان من عودة ... وهل لحال فسدت من صلاح

لست على سخطك جلد القوى ... ولا على هجرك شاكى السلاح

(المودع) المضمن وأودع الشىء صيره وديعة (استسمنت) حسبته سمينا وطلبت السمانة من هزيل (ورم) دمل والمعنى أنه يرميه بسوء الفهم وقد بين هذا أبو الطيب المتنبى فقال :

أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

(نفخت فى غير ضرم) مثل لطلب الشىء فى غير موضعه ، ولفظ المثل نفخت أو تنفخ ، والضرم النار (الندر) والنادر الغريب (الثغر) الأسنان (مبسمه) موضع ابتسامه يعنى الفم (الشنب) الماء القليل الجارى على الأسنان ، الجرمى : سمعت الأصمعى يقول . الشنب برد الأسنان والفم فقلت : أصحابنا يقولون حدتها حين تطلع فيراد بذلك حداثتها وطراءتها إذا أتت عليها السنون تغيرت فقال ما هو إلا بردها . ابن سيده : قال الأصمعى سألت رؤبة عن الشنب ما هو ؟ فأخذ حبة رمان فأومأ إلى بصيصها (ناهيك) كافيك وتقول ناهيك بفلان أى قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية ونهى الرجل من اللحم وانتهى إذا شبع منه واكتفى والنهى الغدير لانه ينتهى اليه ماء الوادى (يفتر) يكشف ويبسم (رطب) أى طرى كما أخرج من أصدافه وفى اللؤلؤ إذ ذاك رطوبة وسطوع بياض فاذا أصابه الهواء ودام عليه صلب وإذا تداولته الأيدى باللمس وقدم تغير بياضه (الطلع) أول حمل النخلة وهو الفرخ فاذا انشق فهو الضحك وبه تشبه الأسنان فى بياضه ثم الاغريض إذا افترق حبه . وإنما شبه الأسنان بالطلع وهو الفرخ لأنه إذا شق وجد ما فيه من حمل النخلة فى غاية البياض ويقال له الواسع قال الشاعر :

وتبسم عن لؤلؤ كالوليـ ... ـسع شقق عنه الرقاة الجفوفا

الجفوف جمع جف وهو قشر الفرخ ويقال له القبقا والبلبلة وهو طيب الريح والرقاة الراقون إلى أعلى النخل (الحبب) تنضد الأسنان وقيل طرائف تظهر فى الخمر عند مزجها بالماء فأما الفقاقيع التى تعلو الخمر عندالمزج فهى الحباب بزيادة الألف ، قال المتلمس :

عقار عتقت فى الدن حتى ... كأن حبابها حدق الجراد

وقال آخر :

حمراء قانية إذا ما شعشعت ... ينزو إلى وجه النديم حبابها

(استعاده) أى قال أعده على (استملاه) طلب أن يكتبه (أيم الله) يمين حلف به (نجيكم) محدثكم يعنى نفسه

فكانَّ الجماعةَ ارتابَتْ بعزْوَته ، وأبَتْ تَصْديقَ دِعْوَتِهِ ، فتوجَّسَ ما هَجَسَ فى أفكارهم ، وفَطَنَ لِمَا بَطَنَ من استنكارِهِم ، وحاذَرَ أنْ يَفرُطَ إليْه ذَم ، أو يَلْحَقه وَصْم ، فَقرَأَ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثمٌ . ثمَّ قال : يارُواةَ القريضِ . وأُساةَ القَوْلِ المَرِيض ، إنَّ خلاصَةَ الجَوْهَرِ تَظْهَرُ بالسَّبْك ، وَيَدَ الحَقِّ تَصْدَعُ رِداءَ الشَّك ، وقد قِيلَ فيما غَبَرَ منَ الزَّمان : عِندَ الامتِحان ، يُكْرَمُ الرَّجُلُ أوْ يُهَان ، وها أنا (ذا) قد عَرَّضْتُ خَبِيئِي لِلاخْتِبارِ ، وَعَرَضْتُ حَقِيبَتِى عَلَى الاعْتِبارِ . فَابْتَدَرَ أحدٌ مَنْ حَضَرَ ، وقال : أعْرِفُ بَيْتاً لم يُنْسَجْ عَلَى مِنْوَالِه وَلا سَمَحَتْ قَرِيحَةٌ بِمثالِه . فإنْ آثَرْتَ اخْتِلابَ القُلوب ، فانْظِمْ عَلَى هَذَا الأُسْلُوب ، وأنشد :

فأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً من نَرْجِسٍ وَسَقَتْ   وَرْداً وَعَضَّتْ على العُنَّابِ بِالبَرَدِ

(ارتابت) شكت والريب الشك (بعزوته) بنسبته إلى نفسه (دعوته) ادعاؤه أنه من قومه والدعوه بكسر الدال فى النسب وبفتحها فى الطعام (فتوجس) أى أحس وسمع (هجس) وقع وخطر (فطن) شعر (بطن) خفى يريد أنه فهم منهم أنهم لم يصدقوه فى أن الشعر له وأنكروا أن يقول مثله (حاذر) خاف (يفرط) يسبق (القريض) الشعر (أساة) أطباء واحدهم آس (القول المريض) الضعيف من قبل راويه (خلاصة) ماخلص منه (جواهر) الأرض مثل الحديد والنحاس وغيرهما فاذا عرض الجوهر على النار فما كان منه خالصا زاد صفاء وجودة وما لم يكن خالصا فضحته النار وأظهرت عيبه (السبك) الاختبار بالنار (تصدع) تشق (غبر) مضى هنا ويستعمل كثيرا بمعنى بقى وهو من الأضداد يقال غبر الشيء غبورا إذا بقى قال الله تعالى إلا امرأته كانت من الغابرين أى الباقين (الامتحان) الاختبار والبحث وهذا المثل من أمثال الفرس ولهذا أبعد مدته حيث قال غبر من الزمان (خبيئى) مكتومى وماخبأته من علمى، وأصل خبيئى الهمز فقلبت همزته ياء وأدغمت فيها الياء كما قلبت فى خاسية وتقول عرضت الشيء على البيع وعرضته للبيع إن أتيت بعلى خففت الراء وإن أتيت باللام شددتها (والحقيبة) وعاء يحمله الراكب خلفه (الاعتبار) والاختبار واحد (ابتدر) أى سبق بالكلام وبادربه (المنوال) خشبة الحائك يريد أن البيت رفيع الصنعة فى الشعر لم يصنع بيت مثله لأن الثوب أنواع وصنعة الشعر تشبه نسج الثوب (سمحت) جادت (قريحة) ذهن (آثرت) فضلت (اختلاب القلوب) إمالتها اليك بتصديقك وانخداعها بما تبديه وهو من الخلب وهو من غشاء القلب ، وعن أبى عبيدة وغيره قال ثعلب : الخلب الذى بين الزيادة والكبد يقال خلبنى حب فلان أى وصل حبه إلى خلبى وفلان خلب نساء أى تحلبه النساء وخلاب يخلب الناس أى يذهب بقلوبهم وخلب جمعه خلبة وكله من الخلب ، قال أعرابى :

من كان لم يدرى ماحب جمعت له   أو كان فى غفلة أو كان لم يجد
فالحب أوله روع وآخره   مثل الحرارة بين الخلب والكبد

(لؤلؤا) درا (النرجس) نوار أصفر فى نوره انكسار وفتور لا يكاد يرى له ورقة قائمة تشبه به العينان إذا كان فى نظر هما فتور وقد تمادى انكار أدباء وقتنا تشبيه العين بهذا النوار الأصفر المعروف عندنا بالنرجس

فأكثرهم ينكر أن يقع به تشبيه لأجل صفرته وإن ذكرته لأحد قال وأي صفرة في العين إلا أن يكون بصاحبها علة اليرقان ويستهجن موضع التشبيه جدا وقد سألت عنه بعض أشياخي في صغري وأنا أقرأ عليه كتاب الجمل وكان أديبا شاعرا فأنكر وقوع التشبيه بهذا النور الأصفر وقال لي النرجس عندهم بالمشرق نور يشبه نوار الفول ، وأكثر من لقيته يستبعد التشبيه بهذا الأصفر لأجل لونه وذلك لقلة تحصيلهم معرفة كلام العرب وتشبيهاتها على الصورة دون المعنى وعلى المعنى دون الصورة وعليهما جميعا وهو أكمل وجوه التشبيه وانظر أقسام التشبيه في الثالثة والعشرين تقع على علم هذا وغيره بإذن الله تعالى . . وتشبيه العيون بالسيوف والسهام إنما المراد به المضاء والقطع ولا يلتفت في ذلك إلى اللون وكذلك تشبيه العيون بالنرجس الأصفر إذا قصد ما فيه من الفتور واقع متمكن في التشبيه ألا ترى ابن المعتز التفت إلى الفتور وحده حين قال :

وسنان قد خدع النعاس جفونه ... فحكى بمقلته ذبول النرجس

والنرجس الذي يشبه به أهل المشرق العيون هو نبات له قضبان خضر في رؤسها أقماع يخرج منها نور ينبسط منها على الأقماع وورق أبيض في وسط البياض دائرة قائمة من ورق صغير ، هذه الصفة التي تقع في أشعارهم إذا ذكروا النرجس وبذلك وصفه كسرى أبو شراون فقال النرجس ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر أخذه بعضهم فقال فيه :

وياقوتة صفراء في رأس درة ... مركبة في قائم من زبرجد
كأن بهى الدر عقد نظامها ... فريد أنيق قد أطاف بعسجد

وأنشد أبو عون الكاتب في كتاب التشبيه له فقال : من جيد ما قيل في النرجس ما أنشد المبرد رحمه الله تعالى :

نرجسه لاحظني طرفها ... تشبه دينارا على درهم

وقال عبيد الله بن عبد الله فيه :

ترنوا بأبصارها اليك كما ... ترنوا إذا خافت اليعافير
مثل اليواقيت قد نظمن على ... زمرد فوقهن كافور
كأنها والعيون ترمقها ... دراهم وسطها دنانير

وقال أبو نواس : لدى نرجس غض القطاف كأنه ... إذا ما منحناه العيون عيون
مخالفة في شكلهن وصفرة ... مكان سواد والبياض جفون

أجاد التشبيه وكشف بذكر المخالفة قناع الشبهة وبين مواقع التشبيه غاية البيان وقال أبو عبد الملك بن فرج في كتاب الحاس والمحسوس له : وأحسن بيت أنشدنيه أبو جعفر البغدادي رحمه الله :

مداهن در بين أوراد فضة ... على قيس شبر أخضر كالزبرجد

وقال أبو الفرج الببغاء :

ونرجس لم يعد مبيضه الـ ... ـكاس ولا أصفره الراحا
تخال أحقاق لجين حوت ... من أصفر العسجد أقداحا
كأنما يهدى المحيي به ... لطفا إلى الأرواح أرواحا

يغنى عن الورد إءا ما رنا ويخلف الورد إذا فاحا

وقال ابن المعتز: كأن عيون النرجس الغض بيننا مداهن در بينهن عقيق
إذا بلهن القطر خلت دموعه بكاء عيون كحلهن خلوق

وقال الشاشي : خص الصفات التى تناولها من كتب
عيون بلا أوجه لها حدق من ذهب

وقال ابن الرومى : يا نرجس الدنيا ترى أبدا للافتراج ودائم النحب
ذهب العيون إذا مثان لنا در الجفون زبرجد القضب

وهذه الصفة التى أثبتها أهل المشرق للنرجس هي التى يصف بها أهل المغرب البهار قال ابن أبى عامر فى جارية اسمها بهار :

حدق الحسان تقر لى وتغار وتظل فى صفة البهار تحار
طلعت على قضبي عيون كائمى مثل العيون تحبها الاشفار
أخص شيء بى إذا شبهتنى در تمنطق سلكه ويسار
أهدى لنا قضب الزبرجد ساقه وحباه أنفس عطره العطار
أنا نرجس حقا بهرت عقولهم ببديع تركيبي فقيل بهـــار

بين أن البهار عندنا هو الذى تسميه أهل المشرق نرجساً وقال أبو جعفر بن مبرد .

تأمل فقد شق البهار مغلسا كأنه عن نوره الخضل الندى
مداهن تبر فى أنامل فضة على أذرع ممدودة من زبرجد

وقال القسطلى . بهار يروق بمسك ذكى وصنع بديع وخلق عجب
غصون الزبرجد قد أورقت بها فضة نورت بالذهب

وقال القاضى بو الحسن بن ليال .

وبها ريحكى كؤوس لجين حملتها أنامل من زبرجد
سامرتها الكواكب الزهر حتى سمرت وسطها كواكب عسجد

وأنشدنى بعض أشياخنا .

انظر إلى حسن البهار وغنجه يرنو اليك بمقلتى وسنان
فكأنما هى راحة من فضة قد ضمنت كأسا من العقيان
وكان نشر نسيمه غب الندى يأتيك بالانفاس من بغدان

والذى تسميه أهل المغرب نرجسا تسميه أهل المشرق بهارا ولذلك قال الحريرى فى العاشرة ووردتى بالبهار دعا فيها على الغلام بالحمى وأن ينعكس حمرة خده صفرة ، وقال حبيب فى ذلك .

إن وجه الحمى لوجه صفيق حين تسطو به نهارا جهارا
لم تشن ورد وجنتيه ولكن صيرت ورد وجنتيه بهارا

وبلون النرجس يشبه أهل الأندلس المريض وقال أبو بكر الأبيض .

ياشاكيا صدنى عن مسه ألمى ... طال اشتياقى به ليلا فلم أنم
تضاءل الدهر إشفاقا على قمر ... رقيبه فى سماء المجد والكرم
لم أرض قابى مكانا إذ حللت به ... حتى خلطتك فى سودائه بدمى
أنت البهار ولا أدرى متى خلعت ... عليك أيدى الليل نرجس السقم

ولابن الرقاق :

وغزال ذى اعتدال شفه ... بعد ماشق هواه الانفسا
جارت الحمى على وجنته ... فاستحال الورد منه نرجسا

فثبت بماقد مناه أن نرجسهم بهارنا وأن بهارهم نرجسنا وآكد مايدل على صحته اشتراك البيت الذى أنشده أبو الفرج على النرجس مع بيت بن برد فى لفظ واحد أخذ ابن برد منه النرجس فقلبه لاسم البهار حين نظمه . . . واعلم أن تشبيه العين بنرجسهم أبين لتعلقه بالصورة وان تشبيهها بنرجسنا أدون لتعلقه بالمعنى وهو مع متمكن فى باب التشبيه ، وأن اسم النرجس لابد فيه من صفرة وقد قال شاعر من المشرق وهو أحمد بن يونس الكاتب فى مناقضة ابن الرومى فى تفضيله النرجس على الورد .

ان كنت تنكر ماذكرنا بعدما ... قامت عليه دلائل وشواهد
فانظر إلى المصفر لونا منهما ... وافطن فما يصفر إلا الحاسد

فلولا ما ذكرنا من أشعارهم لحكمنا بهذا البيت على أن نرجسهم هو نرجسنا ومذهب ابن الرومى فى تفضيله على الورد وهو القائل :

وأحسن مافى الوجوه العيون ... وأشبه شىء بها النرجس

والنفوس تتشوق إلى رؤية نرجسهم لانا لم نعلم نرجسا غير هذا الأصفر حتى نعلم بما ذكرنا أنه هو النوار المعروف وهم أيضا يتشوقون لمنظر نرجسنا ، ويدل على ذلك حكاية القاضى الفقيه أبى الحسن بن اللبان قال خرجت عشية لخارج أشبيلية أيام حداثتى وقراءتى بها فجلست فى وسط واديها وبيد كتاب أنظر فيه وإذا رجل يحلق حوالى فاذا نظرت فى الكتاب يأخذ ينشد للاشعار التى بين أيدينا نظائر من بديع الشعر فذاكرته فوجدته بحر أدب فسألته عن محفوظه فقال أحفظ خمسة عشر ألف بيت من الشعر فسألته هل تنظم شيأ فأنشدنى فى وصف فرس وزعم أنه قائلها :

منع الحوافر أن يطئن به الثرى ... فكأنه فى جريه متعلق
وكأن أربعه توافق طرفه ... فتكاد تسبقه إلى مايرمق

فاستعدت بيته وارجعته فى قوله يطئن فقلت له إنما هو يطأن فلم يعرف اللفظ وإنما تكلم بلا همز على لحن عامته فجربته فى غيره فوجدت شعره من جهة الطبع وكثرة الحفظ لامن جهة العلم فسألته عن بلاده فقال أنا من العراق فقلت له فما السبب الذى جاء بك الأندلس فقال لى لأرى النرجس الأصفر المذكور فى أشعاركم عيانا ودعانى إلى الاطالة فى ذكر النرجس رغبة أن أرفع عن غيرى حيرة الشبهة التى أقمت فيها زمانا طويلا لا أجد من يرفعها عنى والبيت الذى اقتضى النظم على أسلوبه هو لأبى فرج الغسانى الدمشقى المعروف بالواواء ذكره أبو منصور الثعالبى فى يتيمته فقال أبو الفرج : من حسان الدهر وصاغة الكلام ومن عجائب أمره أنه كان مناديا

بدار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه وما زال يشعر حتى جاد شعره ووقع له مايروق ويشوق ويفوق حتى تعلق بالعيوق ، وقال الفتح بن خاقان انى انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت مجلسى لقيت خلافة جاريتى فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هواء لو رقد المحموم فيه لأفاق وهذا مستظرف من كلام الفتح فقال الواواء ملماً به :

سقى الله ليلا طاب إذ زار طيفه ... فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى ... فلو رقد فيه المحموم أفاقا

وله أيضاً :

بالله ربكما عوجا على سكنى ... وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما ... ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة ... ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيدى غضب ... فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وله فى النحول :

وما ابقى الهوى والشوق منى ... سوى روح تردد فى خيال
خفيت عن العواذل أن ترانى ... كأن الروح منى فى محال

وله فى الزرقة :

يا من هو الماء فى تكوين خلقته ... ومن هو الخمر فى أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طل دمى ... والسيف ما خره إلا بزرقته
علمت إنسان عينى أن يعوم فقد ... جادت سباحته فى بحر دمعته

وله أيضا :

تملكت يامهجتى مهجتى ... وأسهرت يا ناظرى ناظرى
وما كان ذا أملى يا ملول ... ولا هجس الهجر فى خاطرى
فجد بالوصال فدتك النفوس ... فلست على الهجر بالقادر
وفيك تعلمت نظم القريض ... فلقبنى الناس بالشاعر

وله من قصيدة :

يقمن لنا برق الثغور أدلة ... إذا ما ضللنا فى ظلام الذوائب

قال ومن بديع تشبيهاته قوله فأمطرت لؤلؤا من نرجس البيت ثم قال هذا البيت ضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه وذكر المتنبى منها أربعة فأجاد وهى ما ضمنها قوله رحمه الله :

بدت قمراً ومالت خوط بان ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وللفقيه أبى محمد بن حزم خمس تشبيهات فى بيت واحد ولا يقدر أحد على أكثر منه إذ لا يحتمل العروض ولا أبنية الأسماء أكثر من ذلك قال :

خلوت بها والكأس ثالثة لنا ... وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش إلا بقربها ... وهل فى ابتغاء العيش ويحك من حرج
كأنى وهى والكاس والخمر والدجى ... ثرى وحيا والدر والتبر والسبج

وقبل بيت الواواء :

أنسية لو بدت للشمس ما طلعت ... للناظرين ولم تغرب على أحد

فلم يكُنْ إلا كَلَمْحِ البَصَرِ أو هو أقْرَب ، حتَّى أنشدَ فأغْرَب :

سَأَلْتُها حِينَ زارَتْ نَضْوَ بُرْقُعِها الـ ... قانِى وإيداعَ سَمْعى أطْيَبَ الخَبَرِ
فَزَحْزَحَتْ شَفَقاً غَشَّى سَنَا قَمَرٍ ... وساقَطَتْ لُؤْلُؤاً من خاتَمٍ عَطِرِ

قالت وقد فتكت فينا لواحظها ... ما أن أرى لقتيل الحب من قود
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ... ورداً وعضت على العناب بالبرد
ثم استمرت وقالت وهى ضاحكة ... قوموا انظروا كيف فعل الظبى بالأسد

وأول القصيدة: لما وضعت على صدرى المحب يدى ... وصحت فى الليلة الظلماء وا كبدى

وقال أيضاً : أتانى زائراً من كان يبدى ... لى الهجر الطويل ولا يزور
فقال الناس لما أبصروه ... ليهنك زارك القمر المنير
فقلت لهم ودمع العين يجرى ... على خدى له در نثير
ولو نصبت روحى بازاء عينى ... لكانت من مدامعها تدور

(لمح البصر) يعنى نظر العين إلى الشىء بسرعة ثم يغيب عنه بسرعة وأصل البصل الادراك بالعين (أغرب) أتى بغريب (نضو) كشف (القانى) الأحمر (إبداع سمعى) إعطاء أذنى كأنه جعله رديعة عنده (زحزحت) أزالت (الشفق) حمرة الشمس بعد الغروب (غشى) غطى (سنا) ضوء (عطر) فواح طيب التنفس ؛ وبيت الحريرى فى صنعة البديع فائق وإن لم يأت بعدد تشبيهات بيت أبى الفرج وبيانه أن أبا الفرج يصف امرأة باكية فيقول إنها نثرت دموعها على من قتلت من عشاقها فسقطت على خدها فبللته بدموعها وعضت على أصابعها المصبوغة بالحناء بأسنانها فجعل البيت كله استعارة فقال فأمطرت لؤلؤا وهو يريد بكت وذكر نرجسا ووردا وهو يريد عينا وخداً وذكر عنابا وهو يريد أنامل وأسناناً فضمن تحت ألفاظه هذه المعانى وزاد فائدة التشبيه وهذا يفعله أهل القدرة على الشعر . فقابل الحريرى هذا بقوله : فزحزحت شفقا وهو يريد نقابا أحمر وذكر سنا قمر وهو يريد ضوء وجهها وذكر لؤلؤا من خاتم وهو يريد كلاما من فم والبيت الثانى فى مقابلة أبى الفرج والأول توطئة وهو يصف امرأة زارته منتقبة فسألها أن تكشف عن وجهها وتحدثه فأزالت نقابها وأسمعته كلاما حسنا من فم عطر واللؤلؤ يشبه به الأسنان فى مثل قوله : كأنما يبسم عن لؤلؤ رطب . وقوله : يفتر عن لؤلؤ رطب : ويشبه به الكلام فى مثل قول البحترى : ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه ، وقول الحريرى وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر . ويشبه به الدمع كقول الواواء فأمطرت لؤلؤا وهو كثير . ومن أحسنه قول الشاعر :

ولما وقفنا للوداع ودمعها ... ودمعى يثيران الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا وفاضت مدامعى ... عقيقاً وصار الكل فى نحرها عقداً

وقال ابن عبد ربه : وكأنما غاص الأسى بجفونها ... حتى أتاك بلؤلؤ منثور

فأخذه الزيادى فحسنه فقال :

ولم أر احلى من تبسم أعين ... غداة اللوى عن لؤلؤ كان كامنا

قال : فوقعت استعارة التبسم للعين موقعا لطيفا وإنما هو للثغر بسبب توسط اللؤلؤ الذى هو للعيون والثغور فقبل المعنى . . والحذاق يتحيلون فى أخذ المعانى بترك القافية والوزن كقول ابن شهد :

ولما فشا من دمعنا بعض سرنا ... إلى كاشحينا والقلوب كواتم
أمرنا بإمساك الدموع جفوننا ... ليشجى بما يطوى عذول ولائم
أبى دمعنا يجرى مخافة شامت ... فنظمه بين المحاجر ناظم
وراق الهوى منا عيون كريمة ... تلمحن حتى ماتروق المباسم

وقال ابن شهيد فى الإمتحان فأحسن:

ونبئت أقواماً تجيش صدورهم ... على وإنى منهم فارع الصدر
أصاحوا إلى قولى فأسمعت صمهم ... وغاصوا على سرى فأعياهم أمرى
فقال فريق ليس ذا الشعر شعره ... وقال فريق أيمن الله ما ندرى
فمن شاء فليخبر فانى لحاضر ... ولا شىء أجل للشكوك من الخبر

وينظر إلى هذا الامتحان ونسبة شعره فيه إلى الانتحال قصة أبى بكر بن تقى حين استهدى بعض إخوانه أقلاما فبعث إليه بثلاث من القصب وكتب معها :

خذها إليك أبا بكر العلا قصبا ... كأنما صاغها الصواغ من ورقه
يزهى بها الطرس حسنا ما نثرت به ... مسك المداد على الكافور من ورقه

فأجابه أبو بكر بن تقى فقال :

أرسلت نحوى ثلاثا من قنا سلب ... ميادة تطعن القرطاس فى ورقه
فالحظ ينكرها والخط يعرفها ... والرق يخدمها بالرق فى عنقه

فحسده عليها بعض من سمعها ونسبه إلى الانتحال فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول:

وجاهل نسب الدعوى إلى كلمى ... لما رماه بمثل النبل فى حدقه
فقلت من حنقى لما تعرض لى ... من ذا الذى أخرج اليربوع من نفقه
ما ذام شعرى وأيم الله لى قسم ... إلا امرؤ ليس الأشعار من طرفه
الشعر يشهد أنى فى كواكبه ... بل الصباح الذى ينشق فى افقه

وخرج السلامى إلى الموصل وهو صبى حين راهق البلوغ فوجد بها أبا عثمان الخالدى وأبا الفرج الببغاء وأبا الحسن التلعفرى وشيوخ الشعراء فلما رأوه عجبوا منه واتهموه فى شعره فقال الخالدى أنا أكفيكم أمره فاتخذه دعوة وجمع الشعراء والسلامى معهم فلما توسطوا الشراب أخذ فى التفتيش عن قدر بضاعته فجاء مطر شديد وثلج وبردعم الأرض كثرة فألقى أبو عثمان الخالدى نارنجا بين أيديهم على ذلك البرد وقال يااصحابنا هل لكم فى أن تصف ذلك فقال السلامى ارتجالا :

لله در الخالدى — الأوحد الندب الخطير
أهدى لماء المزن عنـــد جموده نار السعير
حتى إذا صدر العتا — ب اليه من حنق الصدور
بعثت اليه بعذره — من خاطرى أوفى السرور
لا تعذلوه فانما — أهدى الخدود إلى الثغور

فأمسكوا عنه عند ذلك واعترفوا له بالفضل إلا التلعفرى فانه أقام على قوله فيه حتى قال السلامى فيه :

ياشاعرا بشعوره لم يشعر — ماكنت أول طالب لم يظفر
لو كنت تعرف والداتسمو به — لم تنتسب صفة إلى التلعفرى
تاه بن فائقة الفسوق على الورى — بقذال صفعان ونكهة أبخر
وبلادة فى الشعر تعلم أنه — تيس ولو قصرت بطبع البحترى

وقال فيه :

سما التلعفرى إلى وصالى — ونفس الكلب تكبر عن وصاله
ينافى خلقه خلق وتأبى — فعالى أن تضاف إلى فعاله
فصنعتى اللطيفة فى لسانى — وصنعته الخسيسة فى قذاله
فان أشعر فما هو من رجالى — وإن يصفع فما أنا من رجاله

وكان المنصور بن أبى عامر قد أثبت عنده الحسدة أن صاعدا اللغوى متهم فى كل مايورده من حديث أو شعر فأدخلت عليه يوما باكورة وردة لم تفتح أكامها فقال فيها صاعدا ارتجالا :

أتتك أبا عامر وردة — يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر — فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور وكان ابن عريف حاضرا فحسده وقال إن هذين البيتين لغيره وأتى مجلس ابن برد وكان أحسن أهل وقته بديهة فوصف له ما جرى فقال :

عشوت إلى قصر عباسة — وقد صرع النوم حراسها

أبياتا ضمن فيها البيتين فكتبها ابن العريف بخط بصرى وسارها إلى المنصور فاشتد غيظه وقال غدا أمتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق فى موضع لى فيه سلطان فأخذ طبقا فيه ضروب من الأنوار وعليه جوار ياسمين على بركة ماء حصباؤها الدر والجوهر ودعاه فى مجلس حافل وقال له هذا طبق فيه شىء ما توهمت انه قدم بين يدى ملك قبلى فصفه فقال على البديهة :

أبا عامر هل غير جدواك واكف — وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها عامر الحيا — حليا فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت — عليها بأنواع الملاهى الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا — تظللها بالياسمين السقائف
فـــلم ترعينى فى البلاد حديقة — تنقلها فى الراحتين المناصف

فحار الحاضرون لبداهته ، فلما آنس استئناسهم بكلامه ؛ وانصبابهم إلى شعب إكرامه ، أطرق كطرفة

والحكاية بطولها فى القسم الرابع من الذخيرة ، وخرج معه إلى أرض الزهراء فمديده إلى شيء من الترنجان يعبث به ورمى به إلى صاعد معرضا بأن يصفه فقال :

لم أدر قبل ترنجان عبثت به ... أن الزمرد قضبان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته ... ياقوم حتى من الأشجار سراق
كأنما الحاجب المنصور علمه ... فعل الجميل فطابت منه أخلاق
من ليس يعقده عن سودد كرم ... ولا يقوم له فى سوأة ساق

وله أيضاً :

بعثت إليك من خير دارى ... محزمة كألوان العقيق
توكل بالعكوف على التصابى ... وتصطاد الخليع من الطريق

(لبداهته) أى لارتجاله وإنشاده من غير فكرة ويقال بدهه بدها وبديهة وبداهة إذا فجأه وبده فى كلامه إذا لم يتفكر فيه وفلان حسن البديهة والبداهة أى الارتجال والقول من غير تفكير وهو عندهم مما يمدح به وإن كانت الإصابة غالبا فى الروية وإطالة الفكرة كما قال عبد الله بن وهب الراسى للخوارج حين عقدوا له : دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير فى الرأى الفطير والقول القصير وقال المنصور لكاتبه لا تبرم أمراً حتى تتفكر فان فكرة العاقل مرآته تريه حسنه من قبيحه وقال أيضا الحكمة نور الفكرة والصواب فرع الروية والتدبير فرع الهمة قال ابن الرومى :

إن الروية نار الجلد منضجة ... وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها ... لكنه عاجل يمضى مع الريح

وقال أشجع فى جعفر بن يحيى :

يريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع
وليس بأوسعهم فى الغنى ... ولكن معروفه أوسع
بديهته مثل تفكيره ... متى تلقه فهو مستجمع

وقال فيه :

بديهته وفكرته سواء ... إذا التبست على الناس الأمور

وقال ابراهيم بن العباس الصولى فى الفضل بن سهل :

يقضى الأمور على بديهته ... وتريه فكرته عواقبه
فيظل يوردها ويصدرها ... فلنعم حاضره وغائبه

ودخل المأمون يوما بعض دواوينه فرأى غلاما جميل الصورة وعلى أذنه قلم فقال من أنت ياغلام فقال أنا يا أمير المؤمنين الناشيء فى دولتك والمتقلب فى نعمتك والمؤمل بخدمتك الحسن بن رجاء خادمك فقال المأمون أحسنت ياغلام وبالإحسان فى البديهة تفاضلت العقول ثم أمر أن ترفع مرتبته فى الديوان (بنزاهته) أى برفعته وبعده من التهمة بسرقة الشعر ، (آنس) أبصر (استئناسهم) أنسهم وتركهم الانكار (طرفة)

العَيْن ، ثم قالَ : ودونَــكم بَيْتَيْن آخَرَيْن ، وأنشد :

وأقبلَتْ يومَ جَدَّ البَيْنُ فى حُلَلٍ ... سُودٍ تَعَضُّ بَنانَ النَّادِمِ الحَصِرِ
فَـــلاحَ لَيْلٌ على صُبْحٍ أَقَلَّهُما ... غُصْنٌ وضَرَّستِ البلُّورَ بالدُّرَرِ

نظرة وقد طرف يطرف طرفا إذا حرك جفنيه بعد النظر (دونكم) إغراء ومعناه خذوا حذركم واسمعوا (جد) تحقق (البين) الفراق (بنان) أصابع (الحصر) المنقطع عن الكلام عيا (ليل) أراد به نقابا أسود ، (صبح) وجه (أقلهما) رفعهما (غصن) قد (ضرست البلور) الأصابع (الدرر) الاسنان والظاهر من سياق هذين البيتين أنه قصد أن يزيدهم استئناسا بأنه غير مدع فى الشعر ودل على هذا ظاهر الكلام قبل البيتين وبعدهما وهو قد أدرك معنى زائدا فى البيت ولم يصرح به لما عليه فى ذلك من التقصير عن درجة غيره وذلك انه لما لم يستوف مقابلة أبى الفرج مرة ببيتيه المتقدمين استوفاها فى هذا البيت الثانى لأنه قابل أمطرت بساقطت واللؤلؤ باللؤلؤ والنرجس بالخاتم وهما العين والفم وحمرة الخد بسنا القمر وبقى عليه زائد من قول أبى الفرج وعضت على العناب بالبرد فقابله فى هـــذا البيت بقوله وضرست البلور بالدرر وجعلها تعض على أصابعها وهى بيض لأنه يصف امرأة شعرت بفراق أحبابها فتركت الزينة واستعمال الحناء فلما حان فراقهم لبست ثياب الحزن وأقبلت تودعهم تلهفا وتندما على فراقهم ووصف الأصابع باللين والصبغ وذلك مذكور فى العاشرة وجعلها لابسة السواد لأن أهل المشرق يلبسونه لحزنهم وأهل الأندلس يلبسون البياض لحزنهم قال الشاعر :

ألا يا أهل أندلس فطنتم ... بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضا ... وجئتم منه فى زى غريب
صــدقتم فالبياض لباس حزن ... ولا حزن أشـد من المشيب

وأنشد أبو عثمان الاشنانْدى فى أبيات المعانى له :

أرعت مراتع مدراها على عجل ... صنوين إن أفردا لم يرعيا أبداً
واستبدلت من رياض الحزن مونقة ... ثوب الأمير الذى فى ملكه قعدا

عنى بمراتع مدراها شعرها وبصنوين مقصا حلقته به وبرياض الحزن ثيابا ملونة وبثوب الأمير ثوبا أسود لأن ملوك بنى العباس لباسهم السواد . . وعارض ابن ليال الحريرى فى أبياته فقال :

ودعتها ومــدامعى ... تنهل بالدمع الطليق
فبكت فأذرت أدمعا ... فى صفحة الخد الأنيق
ومضت تعض بنانها ... بين التلهف والشهيق
فرأيت درا ساقطا ... من نرجسين على شقيق
ورأيت مبيض اللجين ... يعض محمر العقيق

فَحِينئذٍ اسْتَسْنَى القَوْمُ قِيمَته ، واسْتَغْزَرُوا دِيمَتَه وأجْمَلوا عِشْرَتَهُ ، قال المُخبِرُ بِهـــذِهِ

وكما عارض بيت الحريرى عارض قول البحترى المتقدم :

يا بأبى ظبى إذا مارنا أثخن قلبى وفؤادى جراح
يفتر عن طلع وعن جوهر وفضة أو حبب أو أقاح

فزاد عليه بوصفين . . ومما يناظر ما تقدم من البكاء عند الفراق قول محمد بن يوسف :

وكأنما أثر الدموع بخدها طل تساقط فوق ورد يانع
عذاب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اجترعناه كسم ناقع

وقال ابن الرومى :

لو كنت يوم الوداع شاهدنا وهو يطفئن غلة الوجد
لم تر إلا دموع باكية تسفح من مقلة على خد
كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

وقال الناشىء :

بكيت الفراق وقد راعنى بكاء الحبيب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها بقية طل على جلنار

وقال أبو نواس .

تقول غداة البين إحدى نسائهم أفى الكبد الحراء قسر ولى الصبر
وقد غلبتها عبرة فدموعها على خدها جمر وفى نحرها صفر

يقول . لون خدها أحمر فتشكلت الدمعة به جمرا ولون نحرها أصفر عاجى كما قال ذو الرمة :

فصار فيها للون الدمع صفرته كأنما فضة قد مسها ذهب

وقيل للعباس بن محمد : مالون الماء ؟ فقال لون إنائه ، ولما ذكر الحريرى الحلل السود على الجارية تذكرت ما قال أبو عثمان الناجم فى جارية رأى عليها ثوباً أزرق :

ماتعدت قبول حين جلت زيـ ـا شبيها بوجهها ذى الضياء
لبست أزرقا فجاءت بوجه يشبه البدر فى أديم السماء

ولأبى جعفر بن برد فى غلام بداله فى ثوب لازوردى فقال :

لما بدا فى لازور دى الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجما ل وقلت : ما هذا بشر
فأجابنى لا تنكرون ثوب السماء على القمر

وقال ابن المعتز فى غلام عليه ديباج بنفسجى :

وبنفسجى الثوب قتـ ـل محبه من حاله

(استسنى) أى استعظم وقد سنو الرجل وسنا شرف وعظم (ديمته) كلامه بالشعر وهو دائم غير منقطع أو يريد بها فطنته التى تمده بما شاء من الشعر وأصل الديمة المطر الدائم واستغزروها استكثروها ووجدوها غزيرة (أجملوا عشرته) أى أحسنوا صحبته وعاشروه بالجميل (جملوا قشرته) أى حسنوها من لفظ اجمال

الحكاية : فلما رَأيْتُ تَلهُّبَ جَذْوَتِهِ ، وَتَأَلُّقَ جَلْوَتِهِ ، أمْعَنْتُ النَّظَرَ فى تَوَسُّمِهِ ، وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ فى مِيْسَمِهِ ، فإذَا هو شَيْخُنا السَّرُوجِيُّ ، وقد أقْمَرَ لَيْلُهُ الدَّجُوجِيُّ ، فَهَنَأْتُ نَفْسِي بِمَوْرِدِهِ ، وابْتَدَرْتُ اسْتِلامَ يَدِهِ ، وقُلْتُ له: ما الذى أحالَ صفتك حتَّى جَهِلْتُ مَعْرِفَتَك ، وأىُّ شىءٍ شَيَّبَ لِحْيَتَكَ ، حتى أنْكَرْتُ حِلْيَتَك . فأنْشَأَ يقول:

وَقْــعُ الشَّوائِبِ شَيَّبْ وَالدَّهْرُ بِالنَّاسِ قُلَّبْ
إنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ فَفِى غَــدٍ يَتَقَلَّبْ

أو يكون معناه جملوا من جملت الحساب وأجملته أى جمعته فكأنهم جمعوا له شيأ وكسوه ، وقشرته ثوبه لأنه قدم أن هيئته كانت رثة فاحتاجوا أن يكسوه (تلهب جذوته) اشتعال جمرته واتقادها وأراد حدة ذهنه والجذوة النار فى طرف العود (تألق) لمعان (جلوته) ما جلاه وكشفه من وجهه وتقول جلوت العروس جلوة إذا أزلت نقابها وأظهرت وجهها والجلوة بالكسر هيئة جلوه حين يجلى وأراد بتألق جلوته بريق وجهه (أمعنت) بالغت وأدمت النظر وأصله من أمعن فى الأرض إذا أبعد الذهاب فيها (توسمه) نظر سماته وهى علامته التى يعرف بها ويريد أنه أدام النظر فى نعوته (سرحت الطرف) أرسلت العين بالنظر وأصل الطرف تحرك العين عند النظر تقول طرفت العين طرفا والعين الجارحة والبصر ما تدركه بنظرها ثم سميت العين طرفا لذلك (ميسمه) علامته (أقمر) أبيض فصار مثل لون القمر (الدجوجى) الشديد السواد وأراد نبات شعره الأسود (بموردِه) أى بقدومه وهنأ نفسه على ذلك (استلام) تقبيل اليد . ابن الأنبارى : استلم الحجر معناه أخذه ومسه بيده واستلم افتعل من المسالمة يريد أخذ الحجر وضمه إليه أو يكون استفعل من اللأمة وهى السلاح يريد أنه حصن نفسه بمس الحجر من العذاب لأن السلاح إنما يلبس ليمتنع به ويتحصن (أحال) غير (حيلتك) صفتك ولذلك احتاج أن يمعن النظر لما تغيرت صفاته التى كان يعرفه بها من الفتوة والشيبة فلما رآه قد شاب شعره وتغيرت صفاته لم يعرفه إلا بعد طول تأمل وقال الحلوانى القيروانى .

ولرب باكية رأت فى لمتى وخز المشيب تألقت ضحكاته
قالت أغصننا قد علاه فلا أرى زهر الرياض ونورت ورقاته
فأجبتها قارعت فى جنب الهوى صرف الزمان وهذه نكباته

ولابن المعتز:

نكرت نحولى وهو من فرط الأسى لفراق إخوان على كرام
وتعجبت للشيب لا تنعجبى هذا غبار وقائع الأيام

(فأنشأ يقول) أى ابتدأ .

وأنشدوا : أنشأت تطلب ماتغــير قد تناشبت الأظافر

أى أبتدأت تطلب (الشوائب) أصله مايقع فى الماء الصافى من الاقذاء فيكدره فأراد أنكاد الدهر شيبته (قلب) كثير التقلب فيحول من حال إلى حال (دان) طاع وانقاد (يتقلب) يتحول عن الطاعة (وميض) لمع خفى

فلا تَثِقْ بوَمِيضٍ من بَرْقِه فَهُوَ خُلَّبْ
وَاصْبِرْ إذا هُو أضرَى بك الخُطُوبَ وَألَّبْ
فمَا على التِّبْرِ عارٌ في النّارِ حينَ يُقَلَّبْ

ثم نَهَضَ مُفَارِقاً موْضعَه، وَمُسْتَصْحِباً القُلوبَ مَعَه

(خلب) خداع لاماء فيه وأراد لاتثق بالدهر إذا ماكسبت فيه شيأ من المال فإنه يحول عليك ولا يترك لك منه شيأ (أضرى) أغرى وألصقها بك وأصل أضرى من ضراوة الكلب تقول ضرى بالصيد إذا تعلم الصيد وأضريته أي بمعنى عرضته للصيد (الخطوب) الأمور الشداد . (ألب) حشد أي اصبر للشدائد إذا أضراها الدهر بك وحسدها فما عليك في ذلك عيب كما أن الذهب يسبك بالنار وهو مع ذلك القدر (التبر) الذهب قبل سبكه وانظر هذا المعنى عند قوله في السابعة والأربعين :

وطالما أصلى الياقوت جمر غضا ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

وزاد الآخر في المعنى فقال :

إني أنا الذهب المحمى ومخبره يزيد في السبك للدينار دينارا

وأنشدوا : اصبر على نوب الزما ن فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن تارة لا الحزن دام ولا السرور

المقامة الثالثة الدينارية

رَوَى الحَارِثُ بنُ همَّام قال : نَظَمَنِي وأخداناً لي نادٍ ، لَمْ يَخِبْ فيه مُنادٍ ، ولا كَبَا قَدْحُ زِنادٍ ، ولا ذَكَتْ نارُ عِنادٍ .. فبينما نَحْنُ نتجاذَبُ أطرافَ الأناشيدِ ، وَنَتوارَدُ طُرَفَ الأسانيدِ ، إذْ وَقَفَ بنا شَخْصٌ عليه سَمَلٌ وفي مِشْيَتِهِ قَزَلٌ فقال يا أخايرَ الذَّخائِرِ ، وَبَشَائِرَ العَشَائِرِ : عِمُوا صَبَاحًا ، وأَنْعِمُوا اصْطِبَاحًا ، وانْظُرُوا إلى مَنْ كانَ ذا نَدِيٍّ وَنَدًى وجِدَةٍ وجَدًا ، وعَقَار

شرح المقامة

(نظمنى) أى جمعنى (أخدانا) أى أصحابا (ناد) مجلس (مناد) متكلم (كبا) شح ولم يبد نارا (قدح) ضرب (زناد) حديدة النار وزناد العرب من خشب وأكثر ما يكون من المرخ والعفار وإنما هو أن يؤخذ عود قدر شبر فيثقب فى وسطه ثقب لا ينفذ ويؤخذ عود آخر قدر ذراع فيحد طرفه ويجعل ذلك فى الثقب وقد وضعه رجل بين رجليه فيديره ويفتله فيبدى النار فالأعلى زندوالسفلى زندة والزناد جمع زند (ذكت) أى اشتعلت (عناد) خلاف يريد أن هؤلاء الأصحاب لحسن أدبهم ومناظرتهم ليس بينهم خلاف وهم علماء لا يسقط من كلامهم شىء وليس فيهم جاهل فيكون كلامه قليل الأصابة (الاناشيد) ما يتنا شدونه من الأشعار بينهم كان واحدها أنشودة وتجاذب أطرافها يريد المشاركة فى إنشادها أى إذا أنشد أحدهم شعرا ليغرب به شاركوه فى إنشاده لحفظهم الأشعار فكأنهم تجاذبوه كما يتجاذب بأطراف الثوب (الأسانيد) الأخبار المسندة إلى أهلها . . . وأصل (التوارد) مزاحمة الابل على شرب الماء فجعل مشاركتهم فى ضبط غرائب الأخبار كتوارد الابل على الماء (الطرف) الغرائب والطرفة الشىء العجيب من كل شىء الذى لا يوجد له نظير (سمل) ثوب خلق و أكثر ما تقول العرب ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع لأنه قطع متفرقة وسمل قليل ، وفى تبذل اللباس روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذى لا يبالى بما لبس (قزل) عرج (يا أخاير الذخائر) الأخاير جمع أخير كما يقال أكبر وأكابر والمستعمل خير وشر ولا يقال أخير ولا أشر الا شاذا وان كان هو الأصل لكنه رفض استعماله وجاء الجمع على الأصل لأنه يرد الشىء إلى اصله وقال رؤبة . بلال خير الناس وابن الأخير فنطق بالمستعمل لشهرته وبأصله وهو قليل فاذا تعجبوا من ذلك قالوا ما أخير فلانا وما أشر فلانا والذخائر جمع ذخيرة وهى الشىء النفيس الغالى يصونه الانسان ويعتده لزمانه (البشائر) جمع بشارة وقد بشرت الرجل بشارة إذا أدخلت عليه السرور (العشائر) جمع عشيرة وهى قرابة الرجل من قبيلته يقول أنتم أرفع الذخائر وخيرها وانتم يستبشر من لقيكم برؤيتكم ويتيامن بلقائكم ويعلم أنكم تصلونه وتكرمونه ليستعطفهم بهذا الكلام (عموا صباحا) دعاء لهم بالنعمة فى الصباح أى جعلكم الله تنعمون فى صباحكم وعموا أمر من عم يعم وهى فى معنى نعم ينعم (وأنعموا اصطباحا) أى طاب شربكم فى الصباح وتنعمتم به والاصطباح أن يصبحوا وهم يشربون (ندى) مجلس اجتماع أى هو شريف يعقد المجالس ويجتمع عنده (ندى) كرم (جدى عطية (العقار) المال الذى لا ينتقل كالنخل والدور

وقُرًى ، ومَقَارٍ وقِرًى . فما زالَ به قُطُوبُ الخُطُوب ، وحُرُوبُ الكُرُوب ، وشَرَرُ شَرِّ الحَسُود ، وانتيابُ النُّوَبِ السُّود ؛ حتى صَفِرَت الرَّاحَة ، وقَرِعَتْ السَّاحَة ؛ وغارَ المَنْبَعْ ؛ ونَبَا المَرْبَعْ ؛ وأقْوَى المَجْمَعْ ؛ وأقَضَّ المَضْجَع ؛ واستَحالَتِ الحالُ ؛ وأعْوَلَ العِيالُ ؛ وخَلَتِ المَرابِطُ ؛ ورَحِمَ الغابِطُ ؛ وأوْدَى النَّاطِقُ

والأرضين (قرى) جمع قرية (مقار) جفان يقرى فيها الاضياف أى يطعمون فيها (القرى) طعام الضيف (قطوب) عبوس (الخطوب) الشدائد (الحروب) القتال (الكروب) الهموم قال النبى صلى الله عليه وسلم : مما أعلم أنه لا يقوله مكروب إلا فرج الله عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات أن لاإله إلا أنت الآية . ومن كلام ابن المعتز : الحوادث المحضة مكسبة لحظوظ جزيلة وثواب مدخر وتطهير من ذنب وتنبيه من غفلة وتعريف بقدر النعمة ومرور على مقارعة الدهر وإذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة . غيره : لولا حوادث الأيام لم يعرف صبر الكرام ولا جزع اللئام . وقال أبو تمام :

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذى أنباك كيف نعيمها

(الحسود) المتمنى إهلاك مالك وإذا رأى لك خيرا تمنى إزالته يريد أن الحسود اتبع ماله بالعين حتى أهلكه وقلما يوجد الذى يرمى بالعين إلا حسودا (انتياب) نزول وقصود (النوب) النوازل (صفرت) أى خلت من الدراهم (الراحة) باطن الكف (قرعت) خلت من المال وصارت قرعاء (الساحة) فناء الدار والساحة عند العرب الرحبة التى تحلق بها البيوت وأراد أنها خلت من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك (غار المنبع) جف الماء النابع والمنبع موضع النبع (المربع) المنزل فى الربيع (نبا) بأهله وجدوه نبوة أى ارتفاعا غير وطىء فلم تمكن الإقامة فيه (أقوى) خلا (المجمع) موضع الاجتماع (أقض) خشن وصار فيه القضض وهى الحجارة (المضجع) موضع رقاده وأخذه من قول أبوا ذؤيب :

أما لجنبك لا يلائم مضجعا إلا أقض عليك ذاك المضجع

وكنى بهذه الألفاظ عن تغير الأحوال وذهاب المال وساق الكلام مساق حكايات الأعراب . ومنها أن أعرابيا وقف بقوم فقال أشكو إليكم أيها الملأ زمانا أناخ على بكلكله بعد نعمة من البال وثروة من المال وغبطة من الحال أصمانى جديداه بنبل مصائبه عن قسى نوائبه فما ترك لى راغية أجتدى ضرعها ولا ثاغية أرتجى نفعها فهل فيكم من معين على صرفه أومعد على حتفه . وقد ذكرنا منها جملة فى الثالثة والثلاثين . . وحكى أبو على فى نوادره حكاية عن أبى زيد اللغوى على لسان أعرابى يشبه كلام الحريرى هنا فى سياقه وكثير من الألفاظ فيقول إن المنبع الذى كنا نعيش به نحن وأموالنا قد ذهب فهلكنا بذهابه والمربع وهو موضع الخصب صار نبوة لاينبت شيئاً فلم تجد الابل ماترعاه فهلكت وإذا هلك المال هلك صاحبه والمجالس التى كنا نجتمع فيها هلك أهلها نخلت ومضجعنا الذى كان موطأ بالفرش أقض فامتنع من الاضجاع عليه (استحالت) تغيرت (وحال) الرجل ماهو عليه من خير أو شر أو غنى أو فقر والحال ايضا المال (أعول) بكى (عيال) الرجل من يفتقر إليه فى مؤنته ونفقته وأحدهم عيل (المرابط) المواضع التى تربط فيها الخيل وتحبس (الغابط) الذى يتمنى مثل مالك ولا ينقص منه شىء (أودى) هلك (الناطق) المال من الحيوان مثل الابل والبقر والغنم

والصامت ورثى لنا الحاسد والشامت :

وكل مايتملك من ذى روح سميت بذلك لأصواتها والناطق كل حيوان له صوت (الصامت) الذهب والفضة والمتاع (رثى) بكى وأشفق (الشامت) الذى يسر بمصيبتك ومنه تشميت العاطس وهو إدخال السرور عليه بالدعاء وقد شمت به شماتا وشماتة فهو شامت إذا سر ببلاء ينزل به (الحاسد) هو الحسود والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء والأرض أما فى السماء فحسد إبليس آدم وأما فى الأرض فحسد قابيل هابيل وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى « ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس » إنهما قابيل وإبليس فالحسد حمل إبليس على الكفر وحمل قابيل على قتل أخيه ، وقال على رضى الله عنه لاراحة لحسود ولا أخ لملول ولامحب لسيء الخلق وقال رجل لخالد بن صفوان إنى أحبك قال ومايمنعك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد أن الحسد موكل بالأدنين ، الحسن والبصرى : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد بنفس دائم وحزن لازم وغيرة لاتنفد ، معاوية : كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة فانه لايرضيه إلا زوالها ، المبرد حدثنا الزيادى قال : يقال ستة لاتخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله التلف والحسود والحقود وطالب مرتبة فوق قدره وخليط أهل الأدب وليس منهم ، قال الأصمعى : اجتمع ثلاثة حساد فقال أحدهم لصاحبه مابلغ حسدك قال ما اشتهيت أن يفعل بمسلم خير قط فقال الثانى أنت رجل صالح ولكنى ما اشتهيت أن يفعل بى خير قط فقال الثالث مافى الأرض خير منكما ولكنى ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط قال وأنشد الشاعر :

كل العداوة قد ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حبيب

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال القاضى ابن عمر :

نهانى حلمى فما أظلم ... وعز مكانى فما أظلم
ولابد من حاسد قلبه ... بنور مآثرنا مظلم
رحمت حسودى على أنه ... يعذب بى ثم لايرحم
قفانا الحسود ولسنا كما ... يقول ولكن كما يعلم

وقال اليمانى :

إنى لأرحم حاسدى لفرط ما ... ضمنت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم ... فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى قد رمت كتم فواضلى ... فكأنما برقعتها بنهار

(رثى لنا الحاسد والشامت) قال النبى صلى الله عليه وسلم : ارحموا ثلاثا غنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل وفقيها يلعب به الجهال ، قال الشافعى خمسة مرحومون عزيز ذل وغنى قل وحبيب مل وفصيح كل وفقيه ضل ، وقال الشافعى : ومن حديث واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك

وآلَ بنا الدهرُ المُوقِعُ ، إلى أن احتذينا الوجَى ، واغتذينا الشَّجا ، واستبطنَّا الجوَى ، وطوينا الاحشاء على الطوَى واكتحلنا السُّهاد ، واستوطنَّا الوهادَ ، واستوطأنا القتاد ، وتناسينا الأقتادَ ، واستطبنا الحَينَ المجتاحَ واستبطأنا اليومَ المُتاحَ فهل من حُرٍّ آسٍ ، أوْ سَمْحٍ مُؤاسٍ ؟

فأخذه الحريرى من قول الآخر :

لم يبق إلا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
ومغرم توقـد احشاؤه بالنار إلا أنه ساكت
رق فما فى جسمه مفصل إلا وفيه سقم ثابت
يرثى له الشامات مما به ياويح من يرثى له الشامت

(آل بنا) أى رجع بنا وقد آل يئيل ويؤول أى رجع (الموقع) المهلك من أوقع به ويحتمل أن يريد بالموقع الذى يحمله على الوقع ورجل موقع إذا اشتكى ألم رجليه (المدقع) الملصق بالدقعاء أى التراب أى لم يترك للانسان شيأ يبسطه غير التراب (احتذينا) انتعلنا (الوجى) توجع باطن القدمين من الحفاء يريد أنه لبس مكان النعال الحفـاء حتى توجعت قدماه (الشجى) ما يعرض فى الحلق وكنى بهذا عن سوء الحال لأن الشجى ليس بغذاء إنما هو مشقة وتعب ولكن بالغ فى وصف سوء حاله انه ينتعل مالا ينتعل ويتغذى ما ليس بغذاء أى ليس ثم انتعال ولا غذاء (استبطنا) أى جعلناه فى بطوننا (الجوى) فساد الجوف (الاحشاء) اسقاط الجوف وما حشى به (الطوى) الجوع وقد طوى يطوى لأن الاحشاء إذا امتلأت من الطعام انتشرت وإذا فرغت منه انطوى بعضها على بعض (السهاد) امتناع النوم من قول الشاعر :

ما لعينى كحلت بالسهاد ولجنبى نائبا عن وسادى

(استوطنا) سكنا واتخذناه وطنا (الوهاد) ما انخفض من الأرض (استوطأنا) وجدناه وطيأ (القتاد) شجر له شوك شديد يسمى عندنا حمض الأمير (الاقتاد) خشب الرحال يريد أنهم نسوا ركوب المطايا لبعد عهدهم بها ورجعوا الآن يمشون على الشوك فيجدونه وطيأ (الحين) الموت (المجتاح) من لفظ الجوائح يريد به المستأصل للاموال (استبطأنا) وجدناه بطىء المجىء (المتاح) المقدر يريد أنهم يوم موتهم تمنوه لشدة ما قاسوا وأبطأ عليهم (آس) طبيب يطب علة الفقر والجمع الاساة (سمح) كريم (المواسى) المعين وذكر عاصم فى شرح قوله : يواسى فى كريهته أخاه ، إن معناه جعله أسوة نفسه فمواس من الأسوة كأنه يشاركه فى ماله ويقال آسيته وواسيته والأصل الهمز ، المفضل : معنى فلان يواسى فلانا يشاركه والمواساة المشاركة وآساه شاركه فيما هو فيه ، مؤرج : ما يواسيه : أى مايصيبه بخير أى أصلا ، غيره : معناه يعوضه من مودته وقرابته شيأ من الأوس وهو العوض قال الشاعر :

فلأرمينك مشقصا أوسا أويس من الهبالة

والهبالة اسم ناقة أى أرميك بسهم يكون عوضا عن الناقة وكأن أصله يؤاوسه فقدموا السين وهى لام الفعل

فوَ الذى اسْتَخرَجَنى من قَيْلَةَ ، لَقَدْ أَمْسَيْتُ أخاعَيْلة ، لاأمْلِكُ بِيْتَ لَيْلَة. قال الحارثُ بنُ همّامٍ: فأوَيتُ لمَفاقِرِهِ ولوَيتُ إلى استنباطِ فِقرِهِ ، فأبرَزْتُ دينارًا ، وقُلتُ له اختبارًا : إنْ مَدَحْتَهُ نَظمًا ، فهوَ لكَ حتمًا . فانبرَى يُنْشِدُ فى الحال ، من غيرِ انتحَال :

أكْرِمْ بِهِ أصفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهْ ... جَوّابَ آفاقٍ تَرامَتْ سَفْرَتُهْ
مَأثورَةٌ سُمْعَتُـــهُ وشُهْرَتُهْ ... قَدْ أُودِعَتْ سِرَّ الغِنَى أسِرَّتُهْ
وقَارَنَتْ نُجْحَ المَساعِى خَطْرَتُهْ ... وحُبِّبَتْ إلى الأنامِ غُرّتُهْ
كأنّما مِنَ القُلوبِ نُقْرَتُهْ ... بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهْ

وأخروا الواو وهو عينه فصار يؤاسوه فقلبت الواو ياء لا نكسار ما قبلها فهو من المقلوب وإن جعلته من أسوت الجرح إذا أصلحته فلا قلب فيه (فو الذى استخرجنى من قيلة) قيلة هى أم الأوس والخزرج وهى بنت الأرقم الغسانية وانتسابه قيل إلى أقيال غسان (أخا عيلة) صاحب فقر قال تعـــالى . وإن خفتم عيلة أى فقرا وقال صلى الله عليه وسلم . أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والمسكنة (بيت ليلة) قوت يبيت عليه ليلة (أويت) أشفقت وحنت (مفاقره) جمع فقر على غير قياس ومثله مذاكير الرجل جمع ذكر ومحاسنه ومساويه (لويت) انعطفت (استنباط) استخراج (الفقر) فى النثر فواصله وهى مثل القوافى فى النظم والفقر مـا تقـــدم فى المقامة من الكلام المفقر (أبرزت) أظهرت (حتما) واجبا يريد أنه قصد إلى ما يحقق ماتقـدم من الفصـاحة فى فقره إن كانت له أو انتحلهـا فقال ليختـبره امتـدح هذا الدينـار بشعر (فانبرى) أى اعتراض وتقدم (انتحال) ادعاء منه فى شعر غيره يقال انتحل كـذا أى ألزمه نفسه وجعله كالمالك لما أخـذه من النحلة وهى الهبة والعطية (أكرم به) معناه ما أكرمه (راقت) أعجبت (جواب آفاق) قطاع بلاد (ترامت سفرته) بعدت غيبته وسمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال أى يكشفها ويوضحها أخذ من قولهم سفرت المرأة عن وجهها إذا كشفته وأظهرته ويقال للمكنسة مسفرة لأنها تسفر التراب عن الموضع وسفر بيته كنسه (مأثورة) محدث بها (سمعته) ذكره المسموع (اودعت) ضمنت (أسرته) خطوط وجهه أراد نقشه وأن بين أسطاره سر الغنى من ملـكه ملك الغنى (قارنت) ساوت (النجح) ضد الخيبة (المساعى) المشى فى طلب الحوائج (الأنام) الخلق (غرته) وجهه قيل لأبى الزناد مالك تحب الدراهم وهى تدنيك من الدنيا قال إنها وإن أدنتنى من الدنيا فقد صانتنى عنها (النقرة) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة قبل أن يطبع منها الدراهم والدنانير وأراد كأنما قطعت نقرته من قلوب الناس لشدة حبهم فيه والنقرة إنما تستعمل من الفضة واستعملها فى الذهب لقرب ما بينهما وأخذه من قول البحترى :

فكل قلب اليه منصرف ... كأنه من جميعها خلقا

أو من قول ابن الرومى :

به أمست الأهواء يجمعها هوى ... كأن نفوس الناس فى حبه نفس

أو من قول المتنبى .

وإنْ تفانَتْ أَوْ توانَتْ عِتْرَتُهْ ... يا حَبَّـذا نُضارُهُ ونَضْرَتُهْ
وحَبَّذا مَغْناتُهُ ونُصْرَتُهْ ... كَمْ آمِرٍ بِهِ اسْتَتَبَّتْ إِمْرَتُهْ
ومُتْرَفٍ لَوْلاهُ دامَتْ حَسْرَتُهْ ... وَجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهْ
وبَدْرِ تِمٍّ أَنْزَلَتْهُ بَدْرَتُهْ ... ومُسْتَشِيطٍ تَتَلَظَّى جَمْرَتُهْ
أَسَرَّ نَجْواهُ فَلانَتْ شِرَّتُهْ ... وكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أُسْرَتُهْ
أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهْ ... وَحَقِّ مَوْلًى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهْ

لَوْلَا التُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهْ

ثم بَسَطَ يَدَهُ ، بَعْدَ ما أَنْشَدَهُ ، وقال أَنجزَ حُرٌّ وَعَدَ ،

في خطه من كل قلب شهوة ... حتى كأن مداده الأهواء

(يصول) يقهر ويغلب وصال الشجاع على قرنه والفحل على إبله والحمار على أتنه صولا إذا قهر وعلا وصاح بها (الصرة) الخرقة تصر فيها الدراهم (حوته) ضمته يريد أن من ملك الدينار صال به على زمانه (تفانت) هلكت (توانت) أبطأت وضعفت عن نصرته (عترته) قرابته الأدنون (نضاره) ذهبه (نضرته) حسنه (مغناته) منابه يقال فلان يغنى مغناتك أي ينوب منابك ويقوم مقامك يريد أنه ينوب عن الانسان في المضايق وينصره (استتبت) تمت واستقامت والمستتب الطريق البين قال الشاعر : على مستتب كالمجرة تعمل . (إمرته) ولايته (مترف) منعم (حسرته) تفجعه وحزنه (كرته) رجعته (بدر تم) القمر ليلة الكمال ويريد به شخصا يشبه البدر في حسنه ورفعته فاذا بعثته نفسه في طلب الدينار أنزلته عن مرتبته وتملكته (البدرة) عشر آلاف درهم (مستشيط) غضبان (تتلظى) تلتهب (جمرته) شدة غيظه (أسر) أخفى (نجواه) حديثه سرا (شرته) حدته وغضبه يقول كم من غضبان شديد الغيظ مثل حاكم يصول بصاحب جناية ويهدده فاذا رشى بالدينار وبعث اليه سرا أزال غضبه وسكن حدته (أسلمته) تركته (أسرته) قومه (مسرته) فرحه (أبدعته) أوجدته قبل أن يكون (فطرته) خلقته (التقى) الخوف (جلت) عظمت (أنجز حر ماوعد) هذا مثل قاله الحرث آكل المرار - وهو جد امرىء القيس - لصخر بن نهشل بن دارم ، وذلك أن الحارث قال ياصخر هل أدلك على غنيمة على أن لى خمسها قال نعم فدله على قوم من العرب فأغار عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا فحملهم صخر على أن يعطوا الحرث الخمس فأبوا وكان طريقهم على سجعات وهى ثنية متضايقة فلما دنوا منها صار اليهم صخر حتى قعد على رأسها ومنعهم الجواز أو يعطو للحرث الخمس فقال حمزة اليربوعى والله لا نعطيه من غنيمتنا شيأ ومضى في الثنية فحمل عليه صخر فقتله فلما رأى ذلك الجيش أعطوه الخمس ففي ذلك يقول نهشل بن حرى بن منجز بن نهشل بن رارم : ونحن منعنا الجيش أن يتأوبوا ... على سجعات والجياد بنا تجرى

حبسناهم حتى أقروا لحكمنا ... وأدى انفال الخميس إلى صخر

وسَحَّ خالٌ إذ رَعدَ ؛ فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إليه ، وقلتُ : خُذْهُ غَيْرَ مأسُوفٍ عليه ، فَوَضَعَهُ فى فِيه ، وقال بارِكِ اللّهمَّ فيه ؛ ثم شَمَّرَ لِلانْثِناءِ ؛ بَعْدَ تَوْفِيَةِ الثَّناء ؛

فعنى أنجز حرما وعد أحضر وهيأ وقد أنجز الشيء إذا حضر ولفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر أراد لينجز حرما ما وعد (سح) صب وأمطر (خال) سحاب يخيل لك أن المطر فيه (رعد) صوت يقول لابن همام إن السحاب إذا سمع الرعد سح بالمطر وأنت قد أسمعتنى ذكر الدينار ووعدتنى به فأنجزلى وعدى (نبذت) رميت (مأسوف) محزون (بارك) أى ضع البركة فيه . وقولهم تبارك الله أى تقدس وتطهر وقيل هو تفاعل من البركة أى البركة تنال بذكر اسمك (الانثناء) الرجوع (توفية الثناء) كال الشكر والمدح ... ومما قيل فى وصف الدينار ومدحه :

ومقسم الوجنات يبرق وجهه باد على وجناته عباد
جبل الأنام على محبة حسنه فكأنه رب وهن عباد

وفى مقامات البديع فى وصفه :

ياحسنها فاقعة صفراء مشرقة منقوشة قراء
يكاد أن يقطار منها الماء قد أثمرتها همة علياء
ياذا الذى بغيته الثناء ما ينقضى بقدرك الاطراء
امض على الله لك الجزاء

وإذ قد فرغت من شرح ألفاظه فى انجاز الوعد فى المثل وما اتصل به . فلنذكر مذاهبهم فى ذلك فأكثرهم على انجاز الوعد وقد ذكر فيما هو مستقبل : وبع آجلا منك بالعاجل . وقال : وإذا خيرت بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد . وقال جرير :

إنى لأرجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

وقال آخر :

ولا شك أن الخير منك سجية ولكن خير الخير عندى المعجل

وقال آخر :

أنى زائر من غير وعد وقال لى أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

وبعضهم يرى أن يكون بين الوعد والانجاز مهلة ومنه أن منصور بن زياد كلم يحيى بن خالد فى حاجة رجل فقال لى عده عن قضاءها فقال منصور بن زياد وما يدعوك إلى العدة مع القدرة فقال هذا قول من لا يعرف الصائع من القلوب : ان الحاجة إذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجحها لم تتحدث النفس بسرورها . إن الوعد مطعم والانجاز طعام وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحة وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل . قال ابن الكلبى لهشام بن عبدالملك ياأمير المؤمنين لاتصنع إلى معروفا حتى تعدنى به فانه لم يأتنى منك سيب على غير وعد إلا هان على قدره وقل منى شكره فقال له لم قلت ذلك وقد قال سيد قومك أبو مسلم الخولانى إن أنجح المعروف فى القلوب وأبرده على الأكباد معروف غير منتظر بوعد لايكدره مطل .. ووعد المهتدى عيسى بن داب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى : ولا تيأسن من صالح أن تناله وإن كان بؤسا بين أيد تبادره

فَنَشَأَتْ لى من فكاهَتِهِ نَشْوَةُ غرامٍ سَهَّلَتْ علىَّ ائْتِنافَ اغتِرام ، فَجَرَّدْتُ دِيناراً آخرَ وَقُلْتُ له : هَلْ لَكَ فى أنْ تَذُمَّهُ ؛ ثم تضمَّهُ . فأَنْشَدَ

فقال : يدفع لعبد الله جارية أخرى فقال الزبيرى :

وأنجز خير الناس من قبل وعده أراحك من مطل ومن طول كده

فقال له عيسى بن دأب ما صنعت شيأ هلا قلت :

حـــلاوة الفضل بوعد ينجز لا خير فى العرف كنهب ينهز

فقال المهتدى : الوعــــد أحســن ما يكو ن إذا تقدمـــــه ضمانـ

وقال بعض البلغاء : دع الوعد يركض ثلاثاً فإن كثير العطاء قبل الوعد قليل وجليله حقير ، وقال يحيى بن خالد من لم يبت مسروراً بوعد لم يجد للصنيعة مطعماً . وفيه يقول أبو قابوس النصرانى :

رايت يحيى أتم الله نعمته عليه يأتى الذى لم يأته أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبدا إلى الرجال ولا ينسى الذى يعد

وقال الحارثى : وما روضـة دارية أسـدية متمنمة زهراء ذات ثرى صعد
بأحسن من حر تضمن حاجة لحر فأوفى بالنجاح مـع الوعـد

وقال ابن رشيق :أحسنت فى تأخيرها منة لو لم تؤخر لم تـكـن كاملة
وكيف لا يحسن تأخيرها بعـد يقينى أنهـا حاصلة
وجنة الفردوس يدعى بهـا آجلة للمرء لا عاجـــلة

وقال رجل لأبى عمرو بن العلاء : وعدتنى بأمر فلم تنجزه فقال أبو عمرو من أولى منا بالعتب أنا وإلا أنت قال أنا قال أبو عمرو لا والله بل أنا قال وكيف قال لأنى وعدتك وعداً فأنت تفرح بالوعد فبت ليلتك جزلان مسرورا وبت أنا بهم الانجاز فبت ليلتى مفكرا مغموماً بما علق الدهر من بلوغ الارادة فيه فلقيتنى مدلا ولقيتك مستحيا ، واعتذر بعض الرؤساء لأبى على البصرى من تأخر وعد فقال : فى شكر ما تقدم من إحسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (فنشأت) أى ظهرت وبدت (فكاهـة) مزاح (نشوه غرام) سكرة شوق والغرام الحب المعذب للقاب (ائتناف) استقبال (اغترام) غرم ثم ذكر أن يذمـه ثم يضمه ، وقد نظمهما الزاهد بن عمران فى قوله :

إن المؤنة والحساب كلاهما قرنا بهذا الدرهم المـذموم
كلف الأنام بذمه وبضمه فتعجبوا لمـذمم مضموم

وقال ابن شرف الدينار والدرهم :

ألا رب شيء فيه من أحرف اسمه نواه لنا عنه وزجر وانذار
فتنا بدينار وهمنا بدرهم وآخر ذا هم وآخر ذا نار

وقال ابن رشيق : صحف دالين من دينار يلوح ودرهم

مُرتَجِلاً ، وشَدَا عَجِلاً :

تَبًّا له من خادِعٍ مُماذِقِ ... أصْفَرَ ذي وَجْهَيْنِ كالمُنافِقِ
يَبْدُو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرَّامِقِ ... زِينَةِ مَعْشُوقٍ ولَوْنِ عاشِقِ

فقال لى ذلكم ذى ... ناروذا قال درهم

وابن رشيق وابن شرف أديبا القيروان بجمعهما البلد والزمان وكانا مرة يتباغضان وقال ابن رشيق فى مدح الدينار والدرهم .

صديق المرء كالدينار طبعا ... وكيف يفارق المرء الطباعا
تراه إذا أقام بقيم جاها ... وإن فارقته أجدى انتفاعا

أخذه من قول كشاجم : ومريد من أباه ... ومهين من أجله
فهو كالدينار لا يكـ ... ـرم إلا من أذله

وقال آخر : النار آخر دينار نطقت به ... والهم آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء مالم يفد من غيره ورعا ... مقسم القلب بين الهم والنار

(مرتجلا) أى غير مفكر (شدا) ابتدأ الغناء وطرب بنشيده (تبا) أى خسرا (مماذق)لا يصفو وده لصاحبه وقد مذق وده إذا لم يخلصه ومذق اللبن خلطه بالماء والمذيق المخلوط (أصفر ذى وجهين) ، قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، ووقع هذا فى نثر البديع قال فى مخاطبة أبى الفتح عيسى أظعنا تريد قلت أى والله قال أخصب رائدك ولا ضل قائدك فمتى عزمت قلت غداة غد فقال

صباح الله لا صبح انطلاق ... وطير الوصل لا طير الفراق
وقال السعد لا يعدوك دأبا ... يصاحبكم إلى يوم التلاقى

فأين تريد قلت الوطن قال بلغت الوطن وقضيت الوطر فمتى العود قلت القابل فقال طويت الريط وثنيت الخيط فأين أنت من الكرم قلت بحيث أردت فقال إذا رجعك الله سالما من هذا الطريق فاستصحب لى عدوا فى ثياب صديق من تجار الصفر يدعو إلى الفكر ويرقص على الظفر كدارة العين يحط ثقل الدين وينافق بوجهين فعلمت أنه يلتمس دينارا فقلت ذلك لك نقدا ومثله وعدا فأنشأ يقول :

رأيك فيما خطبت أعلى ... لا زلت للمكرمات أهلا
صليت عودا ودمت فردا ... وطبت فرعا وطبت أصلا
ياواحد الدهر والمعالى ... لا لقى الدهر منك شكلا

قوله عدوا فى ثياب صديق من قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

(الرامق) أى الناظر ورمقت الشىء رمقا أتبعت النظر اليه (زينة المعشوق) التى فى الدينار ونقشه وتزيينه

وحُبُّهُ عِندَ ذَوِى الحقَائِقِ   يَدْعُو إلى ارتكابِ سُخطِ الخالِقِ
لولاه لم تُقطعْ يمينُ سارقِ   ولا بَدَتْ مَظلمَةٌ من فاسِقِ
ولا اشمأزَّ باخلٌ من طارقِ   ولا شَكا المَمْطُولُ مطْلَ العائقِ
ولا استُعيذَ من حَسُودٍ راشِقِ   شرُّ ما فيـــه منَ الخلائقِ
أنْ ليسَ يُغنِي عَنكَ فى المَضايِقِ   إلا إذا فرَّ فِرارَ الآبِقِ
واهًا لمَنْ يَقذِفُهُ من حالقِ   ومَن إذا ناجاهُ نَجوَى الوامِقِ

(لون العاشق) صفرته فالناظر فى الدينار يرى فى الظاهر زينته فيهواه فيقع على ماوقع عليه باطن العاشق من العذاب والغرام ويدل على ذلك صفرته الظاهرة عليه وقال ابن ظفر زينة المعشوق غرور مدعاة إلى التهور فى الغرام ولون العاشق وهو الاصفرار دليل على ما أسر من شاغف الكاف فالغافل ينظر من الدينار مثل زينة المعشوق مجردة عن عاقبتها فيصيده الهوى والعاقل ينظر منه إلى لون العاشق فيستدل على باطن الجوى (ذوى الحقائق) يعنى أهل الرشد والعلم والدين ينظرون إلى ما فى الدنيا بعين الحقيقة ثم لولاحب الدنياماسرق السارق فيستوجب قطع يده أو بعض أعضائه واليد يجب قطعها بربع دينار ذهب ؛ ومن ملح السرقة أن الجاحظ حكى أن رجلين كان أحدهما أيمن والآخر أعسر فكان الأيمن يفخر على الاعسر فأخذا فى سرقة فقطعت أيمانهما فكان الاعسر يعمل بيساره أعماله كلها والأيمن لا يستطيع أن يعمل بيساره شيأ ففخر الاعسر عليه بذلك فقال له الأيمن ما علمت أن للاعسر فضيلة إلا أن يسرق فيؤخذ فتقطع يمينه (الفاسق) الخارج عن الطاعة إلى ركوب المعصية أو عن الإيمان إلى الكفر أخذ من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وقال قوم الفاسق الجائر واحتجوا بقوله تعالى إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أى جار عنه قال رؤبة :

يهوين فى نجد وغور غائرا   فواسقا عن قصدها جوائرا

(اشمأز) انقبض (باخل) شحيح وبخيل أكثر من باخل (طارق) قاصد بليل (المطل) تأخير الحق الواجب وأصله من مطل القين الحديد فى النار إذا مده وطوله (العائق) الحابس وقد عاقه عن الشىء إذا حبسه (راشق) عائن وأصله الرامى لجعله للذى يصيب الناس بعينه (استعيذ) قرىء عليه المعوذتان وهما قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (الخلائق) الطبائع واحدتها خليقة (الآبق) الهارب وأبق العبد يأبق إباقا زال عن مولاه وفى معنى فراق الدنيا قول الاخطل :

ومعشوق يرقص كل يوم   ترى فى وجهه أبدا كلاما
إذا فارقته أجداك خيرا   ولا يجدى عليك إذا أقاما

وهذا من قول الحسن البصرى وقد رأى رجلا يقلب درهما فقال له أتحب درهمك هذا قال نعم قال فانه ليس لك حتى يخرج من يدك (واها) أتعجب معناه ما أعجب من يقذفه (حالق) جبل أملس منيف (ناجاه) حدثه سرا

قال قولَ المحقّ الصّدِق لا رأيَ في وضلِكَ لي ففارِق

فقُلْتُ له : ما أغزَرَ وَبْلك ، فقال : والشّرطُ أمْلَك ، فنفَحْتُهُ بالدينارِ الثّاني ، وقُلْتُ له : عوِّذْهُما بالمَثاني ، فألقاهُ في فِمِهِ ، وقَرَنَهُ بتوأمِهِ ، وانكفأ يَحْمَدُ مَغْداه ، ويَمْدَحُ النّادِيَ ونَداه ، قال الحارثُ بن همّام

(الوامق) المحب وقد ومق يمق مقة (المحق) القائل الحق (ما أغزر وبلك) أى ما أكثر بلاغتك (أملك) ألزم وأحق يريد أن شرطك الذى شرطت من إعطائى دينارا آخر إن ذممته قد لزمك بذمى له والشرط أملك مثل وأول من قاله الافعى الجرهمى وكان حكيما للعرب فتحاكم اليه خصمان فاشترط أحدهما وأراد أن لا يلتزمه فقال الافعى الشرط أملك وتقديره الشرط أملك لأمرك منك (نفحته) رميته (عوذهما) رقاهما (المثانى) أم القرآن سميت بذلك لأنها تثنى فى الصلاة واختصها لأنه أشار عليه أن يحمد الله على أخذ الدينار فكأنه قال اقرأ الحمد لله رب العالمين شكراً لله عليهما وتعويذاً لهما وهذا كما قال ابن رشيق فى غلام جميل :

معتدل القامة والقد مورد الوجنة والخد
لو وضع الورد على خده ما عرف الخد من الورد
قل للذى يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد

وله فى مثله :

شكوت بالحب إلى ظالمى فقال لى مستهزئاً ما هو
قلت غرام ثابت قال لى اقرأ عليه قل هو الله

وقال أبو عبيد المثانى فى كتاب الله ثلاثة أشياء القرآن سماه الله المثانى فى قوله تعالى كتابا متشابها مثانى وسمى الفاتحة مثانى فى قوله سبعا من المثانى وروى عثمان وابن عباس وابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم إن المثانى من السور ما دون المئين كأنها جعلت مبادى والتى تليها مثانى (بتوأمه) أى بأخيه يعنى الدينار الأول (انكفأ) انقلب وولى (مغداه) بكوره وسيره فى الغدو (النادى ونداه) المجلس وكرم أهله ... ونريد أن نأتى بفصل فى مدح الشيء وذمه على حكم ما مدح الحريرى الدينار وذمه ونبين مذهب العرب وأهل الأدب فى ذلك فقد ألف ابن رشيق فيه كتابا جليت فى هذا الكتاب عيونه قال أبو عثمان الجاحظ العربى يعاف الشيء ويهجوبه غيره فان ابتلى به فخر به ولكن لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجابه غيره فافهم هذا فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون أنهم يمدحون بالشيء الذى يهجون به وهذا باطل ؛ ليس شيء إلا وله وجهان فاذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين وإذا ذموا ذكروا أقبح الوجهين قال ابن رشيق أكثر ما تجرى هذه المدائح والمذام على جهة المنافقة لا على جهة المناصفة ومن باب المسامحة لا من باب المشاحة وإلا فالشيء لا يوافق ضده فيكون الحسن قبيحا فى حالة واحدة والمدح ذما لمعنى واحد ولكن لكل شيء - كما ذكر الجاحظ - مساو ومحاسن كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهده الزبرقان بن بدر ما ادعاه من الشرف فى قومه قال عمرو أجل يا رسول الله إنه مانع حوزته مطاع أنديته شديد العارضة فقال الزبرقان أما والله لقد علم أكثر مما قال ولكن حسدنى شرفى فقال عمرو اما وقد قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق العطن زمن المروءة لئيم الخال حديث الغنى فرأى الكراهة فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف

فَنَاجَانِى قَلْبِى بِأَنَّهُ أَبُو زَيْد ، وأنَّ تَمارُجَهُ لِكَيْد ، فاسْتَعَدْتُهُ وقُلْتُ له : قَـــدْ عُرِفْتَ بِوَشْيِكَ ، فَاسْتَقِمْ فِى مَشْيِكَ ، فقال : إِنْ كُنْتَ ابنَ هَمَّامٍ ، فَحُيِّيتَ بَيْنَ كِرَام فَقُلْتُ : أَنَا

قوله فقال يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وماكذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة ؛ وكتب يزيد بن معاوية فى صدر كتابه إلى عبد الله بن زياد وقد ولاه محاربة الحسين بن على رضى الله عنهما وكان قبل ذلك يسىء الرأى فيه أما بعد فان المسبوب يوما ممدوح وإن الممدوح مسبوب يوما ، ويرى أن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يعب شيئا قط فمر يوما بكلب ميت فقال أصحابه ما أنتن ريحه فقال عيسى عليه الصلاة والسلام ما أحسن بياض أسنانه ، وقالت للحصين بن منذر امرأة كيف سدت وأنت دميم بخيل فقال لأنى شديد الرأى شديد الاقدام وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان فقال لأنى حليم وأنى عفيف فسلم لعائبه ما ادعاه من مساويه وذكر من محاسنه مالم ينازع فيه ؛ صعد خالد بن عبد الله القسرى منبر مكة يوم الجمعة وهو أمير الوليد بن عبد الملك بن مروان فأثنى على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب سليمان بأمره بشتم الحجاج وذكر عيوبه وإظهار البراءة منه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن إبليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفى عن الملائكة فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه منهم فلعنوه وأن الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلا وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غله وغشه على ما خفى عنا فلما أراد فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل ؛ ومر غيلان بن خراشة الضبى مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير يتعلم العوم فيه صبيانهم ويكون لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم بميرتهم ثم عاد ابن عامر فساير زيادا عليه فقال زياد ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال أجل والله أيها الأمير تنزمه دورهم وتغرق فيه صبيانهم ويكثر لأجله بعوضهم ؛ ومدح الجاحظ العروض فقال هو ميزان الشعر ومعياره به يعرف الصحيح من السقيم والعليل من السليم وعليه مدار القريض والشعر وبه يسلم من الأود والكسر ، ثم ذمه فقال هو علم مولد وأدب مستبرد ومذهب مرفوض تستنكره العقول مستفعلن وفعول من غير فائدة ولا محصول . وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده ثم يقول لها أما المال فتبلدين وأما المروءة فتخلدين وأما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول أما النفس فتسمحين وأما الهم فتطردين فتراك منى تفلتين ثم أيشربها ؛ وشكا أبو العيناء حاله إلى عبيد الله بن سليمان فقال أليس قد كتبنا إلى إبراهيم بن المدبر قال كتبت إلى رجل قد حصر من همته طول الفقر وذل الأسر ومعاناة محن الدهر فأخفقت فى طلبتى قال أنت اخترته قال وما على أعز الله الأمير فى ذلك قد اختار موسى قومه سبعين رجلا وماكان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فرجع إلى المشركين مرتدا واختار على رضى الله عنه أبا موسى حاكما فحكم عليه (فاستعدته) أى قلت له اعد على (عرفت بوشيك) أى عرفت بحسن كلامك وتزيينه (استقم) استعدل وأزل عوجك (حييت) طال بقاؤك والتحية البقاء (حييت)

الحارثُ فَكَيْفَ حالُكَ وَالحوادِث ، فقال : أَتقَلَّبُ فى الحالَيْنِ بُوسٌ وَرَخاء ؛ وَأَنقَلِبُ مَعَ الرِّيحَيْنِ زَعْزَعٍ وَرُخاء ؛ فقلتُ : كَيفَ ادَّعَيْتَ القَزَلَ ، وَما مِثْلُكَ مَنْ هَزَلَ ، فَاسْتَسَرَّ بِشْرُهُ الذى كانَ تَجَلَّى ، ثم أنشد حِينَ وَلَّى :

تَعارَجْتُ لا رَغْبَةً فى العَرَجْ ... وَلكِنْ لأَقْرَعَ بابَ الفَرَجْ

وَأُلْقِيَ حَبْلِي على غارِبِى ... وأَسْلُكَ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجْ

فإِنْ لامَنِى القَوْمُ قُلْتُ اعذُرُوا ... فَلَيْسَ على أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجْ

عشت (والحوادث) ما يحدث من الخير والشر (بؤس) شدة العيش (رخاء) لينة وسعته (زعزع) ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه والزعزعة تحريك الشىء إذا أردت قلعه (رخاء) ريح لينة سريعة من الارخاء فى السير وهو عدو فوق التقريب وناقة مرخاء سريعة (القزل) أسوأ العرج وقد قزل قزلا (هزل) هزلا ترك الجد فى قول أو فعل يقول كيف تحليت بالعرج ومثلك لايهزل ولا يقع فى هذه النقيصة فهو يهزأ به فغضب عند ذلك (استسر بشره) زال عنه سماحة وطلاقة وجهه (تجلى) ظهر (ولى) ذهب (أقرع) أى أضرب (الفرج) كشف الهم (ألقى حبلى على غاربى) أى أسرح وأمشى حيث أحببت والعرب تطلق هذا اللفظ فتقول للمرأة حبلك على غاربك أى أنت مسيبة فتوجهى حيث شئت لا مانع لك ولا حابس والغارب ما انحدر من السنام والحبل هو الذى يعقل به البعير فاذا سرحوه حلوا عقاله وألقوه على عاربه قال ابن الانبارى أصله أن يلقى حبل الناقة على غاربها فتفزع ولا ترعى إذا لم تره على الأرض (أسلك مسلك) أى أدخل مدخل والمسلك الطريق (مزج) خلط الجد بالهزل (حرج) إثم ... والله تعالى أعلم

المقـــــامة الرابعة الدمياطية

أخبرَ الحارث بنُ همّام قال : ظَعَنتُ إلى دِمْيَاط ، عامَ هيَاطٍ ومِيَاط ؛ وأنا يومئذ مَرمُوقُ الرَّخاء ؛ مَوْموق الإخاء ، أسْحَبُ مطَارفَ الثَّرَاء ؛ وأجْتَلي مَعارِفَ السَّرَّاء ؛ فرَافقتُ صَحْباً قد شقُّوا عصَا الشقَاق ؛ وارْتَضَعوا أفاويقَ الوِفَاقِ ، حتّى لاحوا كأسْنَانِ المُشْطِ فى الاستواء ؛ وكالنَّفسِ الواحدة فى التِئَامِ الأهْواء ؛ وكُنّا مع ذلك نَسيرُ النَّجاء ؛ ولا نَرْحَلُ إلّا كلَّ هَوجاء . وإذا نَزَلنَا مَنزِلا ؛ أو وَرَدْنَا مَنْهلا : اخْتَلَسْنَا اللُّبْثَ ؛ ولم نُطِل المكْثَ . فعَنَّ لنَا إعمالُ الرِّكاب ، فى لَيلَةٍ فَتيَةِ الشبَاب ؛ غُدَافِيَةِ

شرح المقامة

(ظعنت) رحلت والظعن ضد الاقامـة (دمياط) بلد بينه وبين مصر ثلاثون فرسخا وهى على ساحل البحر الملح وإلى دمياط ينتهى ماء النيل فيفترق منهـا فيخرج بعضه إلى بحيرة تنيس وهى بحيرة تجرى فيها السفن والمراكب العظام ويخرج بعضه إلى البحر وبها تعمل الشروب وقد ذكرنا ذلك عند تنيس (هياط) صياح وتهايط القوم اجتمعوا ودبروا أمورهم (مياط) دفاع أى كان عام هرج وخلاف (مرموق) منظوراً اليه (الرخاء) سعة المال (موموق) محبوب (أسحب) أجر (مطارف) ثياب لها أعلام فى أطرافها (اجتلى) أنظر (معارف) وجوه (السراء) الغنى والسرور (رافقت) صحبت فى السفر (الصحب) الأصحاب (الشقاق) الخلاف ومعنى شقوا عصاه أزالوه وطرحوه والعرب تقول شق فلان العصا إذا ترك الطاعة وخرج مبـاينا قال ابو عبيد العصا تضرب مثلا للاجتماع وانشقاقها يضرب مثلا للافتراق الذى لا اجتماع بعده (أفاويق) جمع أفواق وأفواق جمع فواق وهو ما بين الحلبتين (الوفاق) ترك الخلاف وقد وافقته موافقة ووفاقا (لاحوا) ظهروا والعرب تضرب المثل بأسنان المشط وهو يقع على كل استواء فى أى حال كان وقال النبى صلى الله عليه وسلم النـاس كأسنان المشط وإنمـا يتفاضلون بالعـافية فان أرادوا الأستواء فى الشر قالوا سواسية كأسنان الحمار وقال كثير يهجوه ضمرة : فسائل بقومى كل أجرد سابح وسل غنما ربى بضمرة أو سخلا

سواء كأسنان الحمار فـــلا ترى لذى كبرة منهم على ناشىء فضلا

(التئام) اجتماع واتفاق (الاهواء) جمع هوى وهو ما تحبه وتميل اليه النفس فأراد أن أغراضهم متفقة (النجاء) السير السريع (نرحل) نشد عليهـا الرحل ونشخص بها (هوجاء) ناقة سريعة كأن هوجا وهو الحمق لسرعة مشيها (وردنا منهلا) أتينا ماء ننزل عليه والنهل الشرب الأول والعلل الثانى وذلك ان الابل ترد المـاء فتشرب منه ثم تخرج ترعى ساعة وتستريح وتسمى تلك الاستراحة فى الرعى التمرثة ثم ترد مرة أخرى فتشرب المـاء فالشرب الأول نهل والثانى علل والمنهل موضع النهل والورود قصد المـاء (اختلسنا) استرقنا (اللبث) الاقامة ومثله المكث أى لا يستقرون بموضع ينزلون فيه إلا قيلا (الركاب) الابل (وإعمالهـا) استعمالهـا (فتية الشباب) صغيرة السن وأراد أنها طويلة سوداء لا قمر فيها لأن شعر الشباب أسود ويريد أنها أول الشهر فهى كالفتية والليلة أول الشهر سوداء (غـــدافية) منسوبة إلى الغداف وهو الغراب لسواده

الإهَاب ؛ فأَسْرَيْنَا إلى أنْ نَضَا اللَّيْلُ شَبَابَه، وسَلَتَ الصُّبْحُ خِضَابَه ؛ فَحِينَ مَلِلْنَا

(الإهاب) الجلد وأراد لونها (أسرينا) مشينا بالليل يقال سرى وأسرى (نضا الليل شبابه) أى أزال ظلامه ونضا ثوبه جرده عنه . ومثله (سلت خضابه) وأراد أن الصبح بيض الظلام بضوئه وسلت الشيء سلتا أزاله عما علق به والمرأة خضابها كذلك وسيأتى ذكر الصبح آخر المقامة وينظر إلى سراه مع صحبه فى سواد الليل قول ابن شهاب :

وفتوا سروا وقد عكف الليـــل وأقعى مغدودف الاطناب
وكأن النجوم لما هدتهم أشرقت كالعيون من أهداب
يتفرون جوز كل فلاة جنح ليل حزاوه من ركاب
عن ذكرى لمدحهم فتناهوا من حديثى فى عرض أمر حجاب
همة فى السماء تسحب ذيلا من ذيول العلا وجد الركاب

ومما جاء فى سرى الليل قول عبد الصمد بن المعدل وهو من حسن الاستعارة :

أقول وجنح الدجى ملبد ولليل فى كل فج يد
ونحن ضجيعان فى مسجد فلله ماضمن المسجد
فياليلة الوصل لاتبعدى كما ليلة الهجر لاتبعد
وياغد إن كنت لى راحما فلا تدن من ليلتى ياغد

وقال ابن المعتز : يارب ليل حالك الجلباب ملتحف خافقتى غراب

وما أحسن قول ابن شهيد فى وصف الليل :

وبتنا نراعى الليل لم نطو برده ولم يحن شيب الصبح من فرعه وطا
تراه كملك الزنج من فرط كبره إذا رام شيأ فى تأخره أبطا
مطلا على الآفاق والبدر تاجه وقد علق الجوزاء فى أذنه قرطا

وقال حبيب : اليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلت منه البلاد بأثمد

وقال ذو الرمة : ودوية مثل السماء اعتسفتها وقد صبغ الليل الحصى بسواد

وقال أيضاً : وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص فى العين واحد
أحم غدا فى وأبيض صارم وأعيس مهرى وأروع ماجد

وقال البحترى : ياخليلى بالهواجر من معـــن بن عوف وبحترى بن عتود
اطلبا ثالثا سواى فانى رابع العيس والدجى والبيد

وقال السلامى : اليك طوى عرض البسيطة عاجلا قطار المطايا أن يلوح لها القصر
وكنت وعزمى فى الظلام وصارمى ثلاثة أشباح كما اجتمع النسر
وبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

السُّرى ؛ ومِلْنا إلى الكَرَى ، صادَفْنا أرضاً مُخْضَلَّةَ الرُّبى ، مُعْتَلَّةَ الصَّبا . فتَخَيَّرْناها مُناخاً للعِيس ؛ ومَحطّاً للتَّعريس ، فلمَّا حَلَّها الخليط ، وَهَدأَ بها الأطيطُ وَالغَطيط ، سَمِعْتُ صَيِّتاً منَ الرِّحال ، يَقولُ لِسَميرِهِ في الرِّحال : كَيْفَ حُكْمُ سِيرَتِكَ ، مَعَ جِيلِكَ وَجيرتِكَ ، فقال : أرْعَى الجار ، ولوْ جار ؛ وَأَبْذُلُ الوِصَالَ لمنْ صَال ؛ وأحْتَمِلُ الخليط ، ولوْ أبْدَى التَّخْليط ؛ وأَوَدُّ الحميم ، ولوْ جرَّعَني الحَميم ، وأُفَضِّلُ الشَّفيقَ ، على الشَّقيق ؛ وأَفي لِلعَشير ؛ وإن لم يُكافِئْ بالعَشير ؛ وأَسْتَقِلُّ الجزيل ؛ للنَّزيل ؛ وَأَغْمُرُ الزَّميل ؛ بالجَميل ؛ وَأُنْزِلُ سَميري ؛ مَنْزِلَةَ أَميري ؛ وأُحِلُّ أَنِيسي ؛ مَحَلَّ رئيسي ؛ وأُودِعُ مَعارِفي ؛ عَوارِفي ؛ وأُولي مُرافِقي ؛ مَرافِقي ؛ وأُلِينُ مَقالي لِلقَالي ؛ وأُديمُ

فالبيت الأول نحو بيت البحتري والبيت الثاني نحو بيت ذي الرمة في التقسيم وبمثل هذا الكلام يمتدح الملوك وإلافلا . ولما مدح عضد الدولة بلغه به من المكانة الغاية القصوى وفتن بشعره حتى كان يقول إذا رأيتم السلامي في مجلسي ظننت أن عطارد أنزل من السماء وسنذكر من شعره ما يحسن (السرى) أي السير بالليل (الكرى) النوم (مخضلة) مبتلة بالندى (الربا) الكدى واحدها ربوة (معتلة الصبا) أي لينة الريح (مناخا) منزلا (العيس) الابل يخالط بياضها حمرة (محطا) منزلا يحط به الاحمال (التعريس) النزول بالليل في آخره وهذا التخير الذي ذكر لهذه الأرض منتزع من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كانت أرض مخصبة فتقصدوا في السير واعطوا الركاب حقها فان الله رفيق يحب الرفق وإذا كانت مجدبة فألحوا عليها وعليكم بالدلجة فان الأرض تطوى بالليل وإياكم والتعريس على ظهر الطريق فانه مأوى الحيات ومدارج السباع (الخليط) الاصحاب (هدأ) سكن(الأطيط) أصوات الأبل (الغطيط)أصوات الناس النيام (صيتا) جهير الصوت (سميره) رفيقه الذي يسمر معه بالحديث (الرحال) منازل المسافرين سميت رحالا باسم الرحال التي توضع فيها والرحل اسم لما يحمله البعير من حمله وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل (سيرتك) عادتك (جيلك) أهل عصرك (جيرتك) جيرانك (أرعى) أي احفظ (جار) تعدى ومال عن الحق قال صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه (ابذل) اعطى (صال) صاح مخوفا (الخليط) الصاحب ويقع للواحد والاثنين والجمع بلفظ واحد وسمي بذلك لاختلاط الأمر بين الصاحبين (الحميم) الأول الصديق المخلص والثاني الماء الحار (الشفيق) المحب (الشقيق)الأخ من الأب كأنه شق معك ظهر أبيك ومن الأم كأنه شق معك بطن أمك (أفي للعشير) أعامل الصاحب بالوفاء (يكافىء بالعشير) يجازي بالعشر من فعلي والمكافأة المواساة (أستقل) أراه قليلا (الجزيل) الكثير (النزيل) الضيف والنزل مايعد للضيف من طعام وغيره (أغمر) أعطى (الزميل) الرديف (الجميل) الأفعال الجميلة (أميري) الحاكم على (الأنيس) الذي يؤنسك بحديثه وفلان رئيس قومه أفضلهم وأعزهم (أودع) أعطى وديعة (معارفي) من يعرفني (عوارفي) هباتي واحدها عارفة وهي اليد من النعمة (أولي مرافقي) أعطى مصاحبي في السفر ومنه الرفقة لارتفاق بعضهم ببعض (مرافق) جمع مرفقه وهي المعونة ومايرتفق به (القالي) المبغض وقليت الرجل

تَسَآلى ؛ عن السَّالى ، وَأَرْضَى مِنَ الوَفاء ، بِاللَّفَاء ، وأَقْنَعُ مِنَ الجَزَاء ، بِأَقَلِّ الأَجْزَاء ، وَلَا أَتَظَلَّمُ حِينَ أُظْلَمُ ؛ وَلا أَنْقَمُ ، ولوْ لَدَغَنى الأَرْقَمُ ؛ فقالَ لَهُ صاحِبُهُ وَيْكَ يَا بُنَىَّ إِنَّما يُضَنُّ بالضَّنِينِ ، ويُنافَسُ فى الثَّمِينِ ، لَـكِنْ أنَا لَا آتِى ؛ غَيْرَ المُواتِى ؛ ولا أَسِمُ العَاتِى ، بِمُرَاعاتى ، ولا أُصَافِى ؛ مَنْ يَأْبَى إِنْصافى ؛ ولَا أُوَاخِى ، مَنْ يُلْغِى الأَوَاخِى ؛ ولَا أُمالِى ، مَنْ يُخَيِّبُ آمالى ، ولَا أُبالِى ، بِمَنْ صَرَمَ حِبَالى ، ولَا أُدَارِى مَنْ جَهِلَ مِقْدارِى ؛ ولا أُعطِى زِمامِى ، مَنْ يُخْفِرُ ذِمامِى ، ولَا أَبْذُلُ وِدَادِى ، لأَضْدادِى ، ولَا أَدَعُ إِبْعادِى ؛ لِلمُعادى ولَا أَغْرِس

قلى أبغضته (تسآلى) كثرة سؤالى (السالى) الناسى للمودة والتارك لها وسلوت عن الشىء أسلو سلوا وسلوة إذا تركته (اللفاء) النقصان ، وقال أبو على فى الإيضاح اللفاء مادون الحق وقال أبو زيد الطائى واسمه حرملة بن المنذر رحمه الله :

فما أنا بالضعيف فتظلموه ولاحظ اللفاء ولا الخسيس

(أقنع) أرضى والقناعة الرضا باليسير (الجزاء) المكافأة وجازيته بما صنع مثل كافأته مكافأة (الأجزاء) الانصباء تقسم على جماعة واحدها جزء وأقلها أنقصها (أتظلم) اشتكى من الظلم (لاأنقم) لا أنتقم تقول نقمت منه نقمة أى عاقبته فمعناه لا أعاقب صاحبى ولو بلغ فى الاضرار منى الغاية وتقول أيضا نقمت الشىء وأنقمته نقما ونقوما إذا أنكرته فمعناه على هذا لا أنكر على صاحبى ولو بالغ فى الأذى ويقال فى الانكار نقم ينقم (ويك) معناه التعجب كأنه قال ماأعجبك أوعجبالك وقيل أراد ويلك فحذف اللام (إنما يضن بالضنين) وهذا مثل أول من قاله الاغلب العجلى وفسره أبو عبيد فقال معناه تمسك باخاء من تمسك باخائك وبيانه أن الضنين البخيل ويضن يبخل فيقول إنما أتمسك وأتعلق بصاحب تمسك بى وعرف حقى وأنا أبخل به على غيرى أن يشركنى فى صحبته كما يبخل بى هو على غيره وقيل الضنين فى المثل هو الشىء المضمون به لنفاسته فمعناه إنما يبخل بالشىء النفيس الرفيع (المواتى) المساعد الموافق (العاتى) المتكبر الصعب الخلق (المراعاة) المحافظه للود (اسم) اجعلها سمة أى علامة (اصافى) أخلص له ودى (يأبى) يمنع (انصافى)أى اعطائى الحق من نفسه (أواخى) أصير له أخا وأتخذه صديقا (يلغى) يترك ويطرح (الأواخى)أسباب الود واحدها أخية وأصل الأخية عروة من حبل تشدوتد أو على حجر تحت الأرض وتبقى العروة على وجه الأرض فيربط فيها حبل الدابة فيمسكها (أمالى) أعاون وأصلها الهمزة تقول مالأته على الأمر أمالئه إذا عاونته وساعدته ومنه والله ما قتلت عثمان ولا مالأت فى قتله فخفف الهمزة ليوافق (آمالى) وهو جمع أمل وهو الرجاء (صرم حبالى) قطع أسباب وصالى وهم يكنون بالحبل عن الود لأن الود يربط القلوب ويؤلفها كالحبل فيما يربط به (أدارى) أسوس وأحسن صحبته (الزمام) حبل من جلود يربط فى حلقة فى أنف البعير (يخفر ذمامى)ينقض عهدى أى لا أنقاد لمن لا عهد له (ودادى) حبى وهو من واده وهو الذى لا يكون إلا من اثنين فوضعه موضع ودى ويقال أيضا فى الحب حباب مثل وداد قال الشاعر :

أداء عرانى من حبابك أم سحر (أضدادى) أعدائى المناقضين لأفعالى (إبعادى) تهديدى وتخويفى

الأيادى فى أرض الأعادى ، وَلَا أَسْمَحُ بمُوَاساتى ، لِمَنْ يَفْرَحُ بمسا آتى ، وَلَا أَرَى الْتِفَاتِى ، إلى مَن يَشمت بوَفَاتى ، وَلَا أَخُصُّ بِحِبائى ، إلَّا أحِبَّائى ؛ وَلَا أَسْتَطِبُّ لِدائى ، غيرَ أوِدَّائى ؛ وَلَا أملكُ خلّتى ، مَنْ لَا يَسُدُّ خلّتى وَلا أُصفى نِيّتى ، لِمنْ يَتَمَنَّى مَنِيّتى ، وَلَا أُخلِصُ دُعائى لِمَنْ لا يُفْعِمُ وعائى ، وَلَا أُفْرِغ ثنائى ؛ على مَنْ يُفَرِّغُ إنائى ، ومَنْ حَكَم بأَنْ أَبْذلَ وتَخزُنَ ؛ وأَلِينَ وتَخْشنَ ، وأذُوبَ وتَجْمُد ، وأذْكوَ وتَخْمُد ، لا والله بَلْ نَتوازَنُ فى المَقال ، وَزْنَ المِثقال ، ونَتحاذَى فى الفعَال ، حَذْوَ النِّعَال ، حتّى نأمنَ التّغابُن ، ونَكْفِى التّضاغُن ، وإلّا فلِمَ أُعِلُّكَ وتُعِلُّنى وأُقِلُّكَ وتَسْتَقِلّنى ، وأجْتَرِحُ لكَ وتَجْرَحُنى ، وأَسْرَحُ إليك وتُسَرِّحُنى . وكَيْفَ يُجْتَلَبُ إنْصافٌ بضَيْم ، وأنّى تُشْرِقُ شَمْسٌ مَعَ غَيم ، ومَتَى أُصْحِب وُدٌّ بعَسْف . وأىُّ حُرٍّ رَضِى بخُطَّة خَسْف ؛ ولله أبوكَ حيثُ يقُولُ :

جَزَيْتُ مَنْ أعْلَقَ بِى وُدَّهُ　　　جَزاءَ مَنْ يَبْنى عَلَى أُسِّهِ

(الأيادى) النعم (وواسيته)مواساة جعلته أسوة نفسى فى مالى ففاسمته فيه (مسا آتى)أحزانى وما يسوءنى (التفاتى) نظرى وانعطافى إلى جهته (يشمت) يسر (وفاتى) موتى (أخص) أفرد (حبائى) عطائى (أحبائى) جمع حبيب(استطب) اطلب طلبه (خلتى) صداقتى (يسد خلتى)يصلح فقرى(أخلص)أجعله خالصا (يفعم)يملأ (أفرغ إنائى) أصب مدحى وأكسوه أو يكون أفرغه أبلغ آخره (تخزن) أى تحبس (أذكو)أضىء يقال (خمدت) النار إذا سكن لهبها وذكت اتقدت (المثقال)الصنجة التى يوزن بها سميت بذلك لأنها تثقل ما يوزن بها فى الكفة الثانية (تحاذى) تتشابه (والفعال) بفتح الفاء إسم للفعل الحسن والقبيح ولا يقال بكسرها إلا فى مصدر فاعل قال ابن الاعرابى الفعال فعل الواحد من الخير والشر والفعال بالكسر الفعل بين الاثنين (حذو) مشابهة والعرب تقول فى الشيئين يشتبهان هما حذو النعل بالنعل أى كل واحد من النعلين تقطع على قالب أختها ومنه قول الهذلى :

وتأمل السبب الذى أحذوله　　　وانظر بمثل حذائه فاحذونى

(التغابن) الغبن (نكفى) نمنع (التضاغن)العداوة وتضاغن الرجلان اعتقد كل واحد منهما لصاحبه ضغنا وهو الحقد (أعلك) أسقيك عللا أى مرة بعد أخرى (تعلنى) تمرضنى (أقلك) أرفعك (تستقلنى) تحقرنى (أجترح) اكتسب (أسرح) أرعى عليك وأجلب عليك الرزق بالغداة والعشى (تسرحنى) تهملنى (ضيم) ذل (أنى) كيف (تشرق) تضىء من أشرقت وتشرق تطلع من شرقت (غيم)سحاب(أصحب) أنقاد (بعسف)بجور وأصل العسف ركوب الامر بغير تدبير(الخطة) المنزلة والمرتبة(الخسف)الاذلال والنقصان ومنه خسف الأرض والخاسف المهزول ويقال باتوا على الخسف أى جياعا ليس لهم شىء يتقوتون به والخسف للدابة أن تبيت بغير علف (أعلق) بمعنى علق أى ألصق (أسه) أصل بنائه يقول من علق بقلبى وده جعلت ذلك الود أسا بقلبى وبنيت عليه ودى فان اسس فى قلبى ودا سليما بنيت له عليه مثله وإن غشنى فى ود غششته

وَكِلتَ لِلخِلِّ كَمَا كالَ لي ... على وَفاءِ الكَيْلِ أو بَخسِهِ
ولم أُخَسِّرْهُ وشرُّ الورَى ... مَنْ يومُهُ أخْسَرُ مِنْ أمسِهِ
وكلّ من يَطْلُبُ عِنْدِي جَنًى ... فما لهُ إلّا جَنَى غَرْسِهِ
لا أبْتَغِي الغَبْنَ ولا أنْثَنِي ... بِصَفْقَةِ المَغْبُونِ في حِسِّهِ
ولَسْتُ بالمُوجِبِ حَقًّا لِمَن ... لا يُوجِبُ الحَقَّ على نفسِهِ
ورُبَّ مَذَّقِ الهَوَى خالَني ... أصْدُقُهُ الوُدَّ على لَبْسِهِ
وما دَرَى مِنْ جَهْلِهِ أنني ... أقضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِن جِنْسِهِ
فاهجُرْ مَنِ اسْتَغْبَاكَ هَجْرَ القِلَى ... وهَبْهُ كالمَلْحُودِ في رَمْسِهِ
والْبَسْ لِمَنْ في وصْلِهِ لُبْسَةً ... لِباسَ مَنْ يَرْغَبُ في أُنْسِهِ
ولا تُرَجِّ الوُدَّ مِمَّنْ يَرَى ... أنَّكَ مُحتاجٌ إلى فَلْسِهِ

والهاء فى أسه ترجع إلى من نصحنى فى صحبته نصحته (الخل) الصاحب (بخسه) نقصه (أخسره) أنقصه (الورى) الخلق من الناس (الجنى) مايجنى من الثمرة (أبتغى الغبن) أطلب الخداع (أنثنى) أرجع.
(صفقة المغبون) بيعة المخدوع (حسه) فهمه والحس صوت حركة الحى (الصفقة) فى الاصل مصدر يقال صفق بيده يصفق صفقا إذا ضرب باحداهما على الأخرى وكانت صفقة البيع عند العرب أن يضرب المشترى بيده على يد البائع فان رضى البيع قبض على يد المشترى وانعقد البيع وإن لم يرض أرسل يده ثم صاروا يقولون رضى الصفقة إذا رضى البيع ثم سمى عقد البيع صفقه (مذاق) خلاط غير مخلص (الهوى) الحب (خالنى) حسبنى (لبسه) تخليطه وتلبيسه (غريمى) صاحب دينى (من جنسه) من نوع ما أعطانى (استغباك) استجهلك (القلى) البغض (هبه) احسبه (الملحود) المدفون (رمسه) قبره وينظر إلى بيته قول ابن الرومى:

من تصدى لأخيه ... بالغنى فهو أخوه
فان احتـــاج اليه ... راء منه ما يسوه
يكرم المثرى فان أمـــلق ... أقصاه بنوه
أنت ما استغنيت عن صا ... حبك الدهر أخوه
فان احتجت اليه ... ساعـــة مجك فوه

ووجد على حجر مكتوبا:

كل من أحتجت الدهر اليه ... وتعرضت هنت عليه

وهذان المذهبان اللذان ذكرهما الحريرى مبنيان على آيتين من كتاب الله تعالى الأولى قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خـــير للصابرين والثانية قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك

ما عليهم من سبيل قال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير فى صحبة من لا يرى لك من الحق مثل الذى ترى له وللشعراء القدماء والمحدثين فى المذهبين شعر كثير ، قال المقنع الكندى فى المذهب الأول

وإن الذى بينى وبين بنى أبى　　وبين بنى عمى لمختلف جدا
أراهم إلى نصرى بطاء وإن هم　　دعونى إلى نصر أتيتهم شدا
وإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم　　وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم　　وإن هم هوا واغيى هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيرا بنحس يمر بى　　زجرت لهم طيرا يمر بهم سعدا
لهم جل ما لى إن تتابع لى غنى　　وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم　　وليس يسود القوم من يحمل الحقدا

(وقال معن بن أوس المزنى فى المذهب الثانى :)

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته　　على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه　　إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنت إذا ما صاحب رام خلقتى　　وبدل سوأ بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المجن ولم أدم　　على ذاك إلا ريثما أتحول

(وقال ابراهيم بن العباس الصولى :)

أميل مع الزمان إلى ابن عمى　　وآخذ للصديق من الشفيق
وإن ألفيتنى حراً مطاعا　　فانك واجدى عبد الصديق
أفرق بين معروفى وبينى　　وأجمع بين مالى والحقوق
وكنت إذا الصديق أراد غيظى　　وأشرقنى على شرق بريق
غفرت ذنوبه وصفحت عنه　　مخافة أن أعيش بلا صديق

(وكاتب ابراهيم بن العباس بعض إخوانه مقاطعة صديق فقال له :)

إنى متى أحمل بحقـ　　ـدك لا أضر به سواكا
ومتى أطعتك فى أخيـ　　ـك أطعت فيك غدا أخاكا
حتى أرى مستقسما　　يومى لذا وغدا لذاكا

(وقال أبو الفتح البستى فى المذهب الثانى)

فإن تزرنى أزرك أو ان　　تقف ببابى أقف ببابك
والله لا كنت فى حسابى　　إلا إذا كنت فى حسابك

أين هذا من قول البستى أيضا وقد خالف فيه خلافا شديداً ولا نازعه أحد فيه ولا سبقه إليه إذ يقول :

وإنى لأختص بعض الرجال　　وإن كان فدما ثقيلا عياما
فان الجبين على أنه　　وخيم ثقيل يشهى الطعاما

قَالَ الحارِثُ بنُ هَمَّامٍ : فلمَّا وَعَيْتُ ما دَارَ بَيْنَهما تُقْتُ إلى أنْ أعرِفَ عَيْنَهما . فلمَّا لَاحَ ابنُ ذُكاء وَأَلْحَفَ الجوَّ الضِّياء ، غَدَوْتُ قَبْلَ اسْتِقْلَالِ الرِّكَابِ ، ولَا اغْتِدَاءِ الغُرَابِ . وَجَعَلْتُ أَسْتَقْرِي صَوْبَ الصَّوْتِ

ولا بن شرف : بع من حفاك ولا تبخل بسلعته واطلب به بدلا إن رام تبديلا
وهو كثير وبما ذكرت يستدل على الباب (وعيت) أى حفظت (تقت) أى اشتقت (عينهما) شخصهما (لاح) ظهر (ابن ذكاء) هو الصبح وذكاء هى الشمس ويقال أصبح ابن ذكاء لأنه من ضوئها (ألحف) غطى (الجو) الهواء بين السماء والأرض أراد أن الصبح غطى نواحى السماء بضوئه . . ومن حسن التشبيه فى ضوء الصبح قول ذى الرمة :

وقد لاح للسارى الذى كمل السرى على اخريات الليل فتق مشهر
كاون الحصان الأبيض البطن قائما تمايل عنه الجل واللون أشقر

شبه اختلاط الضوء بالظلمة بالفرس الأشقر الأبيض البطن ، وقال ابن المعتز :

وساق يجعل المنديل منه مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشقر ملق الجلال

وقاو أبو يوسف الرمادى :

وليلة أنس قد أمرنا ظلامها بأوجه راح تستنير فترشف
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنما تحمل لقمان وأقبل يوسف

(غدوت) أى بكرت (استقلال) ارتفاع وقيام (الركاب) الابل واحدتها راحلة (ولا اغتداء الغراب) أى ولا مثل اغتدائه فحذف مثل المنصوبة بلا وأقام اغتداء مقامها لأن لا تنصب المعارف وأراد أن اغتدائى كان قبل أن يغتدى الغراب والغراب أكثر الطير بكورا . . وهذا وماشابهه فى هذا الكتاب مثل قوله ولا كيد فرعون موسى ولا انهلال السحب ولا عمرو بن عبيد إذا طلبت حقيقة معناه صار المشبه أقوى من المشبه به ولم يأت هذا إلا عن العرب تقول العرب فتى ولا كمالك فيريدون أن مالكا أفضل من الفتى ومثله مرعى ولا كالسعدان أى إن المرعى فاضل فى طيبه ولكن السعدان أفضل منه ومثله ماء ولا كصداء فصداء أفضل من ذلك الماء على طيبه ، فهذا مذهب العرب فى ذكر ولا بين المشبهين وأما قول الحريرى غدوت ولا اغتداء الغراب فيريد أن غدوى أبكر من اغتداء الغراب وكذلك ولا انهلال السحب وهو يريد أن جودهم فوق جود السحاب لأن كلام العرب فلان أبكر من الغراب وأجود من السحاب ولا يقولون السحاب أجود من فلان ولا الغراب أبكر من فلان ولا فائدة فى ذلك فاذا حققت لفظة ولا فى تشبيه الحريرى على مايجب لها فى كلام العرب انقلب المعنى وإنما اللفظ من كلام عامة العراق فاستعملها لأنها عندهم متعارفة وليست بعربية ومثل هذا قد جوزه المولدون فى أشعارهم وجاء منه فى مقامات البديع كثير ويستعمل أهل فاس فى مغربنا لفظة ولا فى تشبيهاتهم كثيرا جدا على حد استعمال الحريرى لها ولا يستعملها أهل الأندلس وقال الفنجديهى الرفع فى قوله ولا اغتداء الغراب أكثر مبالغة فى التشبيه وهى بالنصب (استقرى) أى اتتبع (صوب) جهة

اللَّيلِىّ ، وأتوسَّمُ الوجُوهَ بالنَّظَرِ الجلىّ ، إلى أنْ لمحتُ أبا زَيْدٍ وابْنَهُ يتحادثان ، وعلَيهما بُرْدَانِ رثَّان ، فَعلِمْتُ أنّهما نجيّ ليْلَتِي ، ومعْتَزَى روايتى ، فقصَدْتُهما قصْدَ كَلِفٍ بدماثتهما ، رَاثٍ لرَثاثتهما ، وأبحَتُهما التحوّلَ إلى رَحْلى ، والتحكُّمَ فى كُثْرى وقُلّى ، وطَفِقْتُ أسيرُ بين السيَّارة فَضْلَهما ؛ وأهُزُّ الأعْوادَ المُثمِرَةَ لَهُما ، إلى أنْ غَمَرَا بالنُّحْلان ؛ واتخذا منَ الخُلاّن ، وكنا بمُعَرَّسٍ نتَبيَّنُ مِنْهُ بُنيانَ القُرَى وَنَتَنَوَّرُ نيرانَ القِرَى ، فلمَّا رَأَى أبُو زَيْدٍ امتلاءَ كِيسِهِ ، وانجلاءَ بُوسِهِ ، قال لى : إنَّ بدَنِى قد اتّسخ ، ودَرَنِى قد رَسَخ ، أفتأذَنُ لى فى قصْدِ قَرْيةٍ لأستحِمَّ ، وأقْضِىَ هذا المُهِمّ .

وناحية (الليلى) الذى سمع بالليل (أتوسم) أتعرف وأنظر سمنها (الجلى) البين (لمحت) رأيت (بردان رثان) ثوبان خلقان (نجيا ليلتى) أى المتحدثان فيها وجعلهما متحدثين مع الليلة مجازا لما أوقعا الحديث فيها كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ولا يمكر ان إنما يمكر فيهما فنسب ذلك المكر اليهما (صاحبا روايتى) أى اللذان أروى عنهما هذه القصة (كلف) محب (دماثتهما) سهولتهما والدماثة سهولة الأرض وكل ما وطأته وسهلته أو ذللته بيدك فهو دمث (راث) بك مشفقى (ورثاثتهما) سوء حالهما (أبحته) جعلته له مباحا (كثرى وقلى) أى كثير مالى وقليله (طفقت) أخذت (أسير) أمشى (السيارة) القوم الذين يسيرون فى الأسفار (أهز الأعواد) استعارة وأراد أنه يستعطف لهما أصحاب الأموال فيواسونهم فكنى عنهم بالأعواد ، وقد كرر هذا المعنى نظما حين قال:

قصدته والشيخ يبغى جنى عود له مازال مهزوزا

وقال الشاعر فى مثله : إلا يكن ورقى غضا أراح به للمعتفين فانى لين العود

أراد : إن لا أكن كثير المال فانى كريم والورق المال غير الصامت وأراح به اهتزبه من الأريحية وراح الشجر أى يورق فى آخر الصيف لا أصل لها ويقال لها الخلفة والرمل (غمرا) أى اعطيا (النحلان) العطايا (الخلان) الأصحاب (وكنا بمعرس) المعرس موضع النزول آخر الليل (تتنور) ننظر النيران (القرى) طعام الضيف (كيسه) وعاء دراهمه والكيس خريطة تسع خمسمائة درهم والبدرة تسع عشرة آلاف درهم قال حبيب

من بعد ماصارت هنيده صرمة والبدرة النجلاء صارت بوسا

(انجلاء بوسه) انكشاف فقره (درنى) وسخى و(رسخ) الشيء منه رسوخا غاب فيها ورسخ العالم فى العلم دخل فيه (استحم) أدخل الحمام استحم الرجل اغتسل بالحميم وهو الماء الحار (أقضى) أقطع وأزيل وقضيت الشيء صنعته (المهم) أراد به فرض الصلاة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن أهم أموركم عندى الصلاة فمن ضيعها فهو لما سواها أضيع وقيل المهم الوسخ لأن الأمر المهم هو الذى فى القلب منه هم وشغل وقد ذكر أن الذى أوجب عليه قصد الحمام هو ماعليه من الوسخ فيكون قوله وأقضى هذا المهم من قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وقد أهمنى الشيء فهو مهم وهذا القول أوفق بمراده . . وللزاهد بن عمران رحمه الله وقد استبطأ فى دخول الحمام

يا صاح عهدى بالحمام قد بعدا فلا تلمنى فيه ان طلبت مدى
قارعت فيه العدى فى معرك لجب دحض تزول به الأقدام قد بعدا

عدا أثرن برأسى حين ثرن به　　توقدا وأعادت جلده جلدا
فظلت مستأصلا بالقتل أجمعها　　فلم أدع والدامنها ولا ولدا
ثم انثنيت معافى ناعما جذلا　　مظفرا أستزيد الواحد الصمدا

ورأى نفسه ممتدا بين يدى الحكاك فقال :

أأغتر إن مدفى العمر لى　　وأرجى المتاب إلى قابل
وأغفل والموت لى طالب　　حثيث كذئب الغضا القاتل
كأنى بى هكذا ميتا　　تحكم فى يد الغاسل

وله أيضاً :

شكوت للدهر حسن ماصنعا　　طريد مجد نحيى رفعا
ياحسن حمامنا وقد غربت　　شمس الضحى فيه بعد ما منعا
أيقن أن الهلال راكبه　　فضاء للحاضرين واتسعا
فأنعم أبا عامر بنعمته　　واعجب لأمرين فيه قد جمعا
نيرانه من زنادكم قدحت　　وماؤه من بنانكم نبعا

ولبعضهم فى حمام كانت مضاوئة من زجاج أحمر وفى سمائه حمرة وبياض

تحيرت من طيب حمامنا　　تخيل لى أن فيه الفلق
فمن حمرة فوقنا وابيضاض　　لخد الحبيب إذا ما عرق
رأى الدهر ما سد من حسنه　　فسد كوى سقفه بالشفق

ودخل الحمام أبو جعفر الطليطلى وأبو بكر بن تق رحمه الله تعالى فقال أبو جعفر

ياحسن حمامنا وبهجته　　مرأى من السحر كله حسن
ماء ونار حواهما كنف　　كالقلب فيه السرور والحزن

ونظر فيه إلى غلام وسيم فقال :

هل استمالك ميال القوام وقد　　سالت عليه من الحمام انداء
كالغصن باشر حر النار من كثب　　فظل يقطر من أعطافه الماء

وقال آخر :

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم　　وفيه للبرد سر غير ذى ضرر
ضدان ينعم جسم المرء بينهما　　كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال ابن رشيق : ومما قلته على عقب الوداع :

ولم أدخلى الحمام ساعة بينهم　　لأجل نعيم ، قد رضيت ببوسى
ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة　　فأبكى ولا يدرى بذاك جليسى

وقال آخر :

وحمام كأن النار فيه　　مسعرة بنيران الجحيم
دخلت أنا ومن أهواه فيه　　فعاد لنا كجنات النعيم

وقال آخر فى ذم الحمام :

وحمام سوء وخيم الهوا　　قليل المياه كثير الزحام

فقلتُ : إذا شئْتَ فالسُّرْعَةَ السرعةَ ، والرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ ، فقالَ : سَتَجِدُ مَطْلعي عَلَيْك ، أَسْرَعَ من ارْتِدادِ طَرْفِكَ إِلَيْك ، ثم اسْتَنَّ اسْتِنانَ الجَوَادِ في المِضْمار . وقالَ لابْنِهِ

فما للقيـــام به من قعود　　ولا للقعود به من قيـام
حنياته عطفات القسى　　وقطراته صائبات السهام

وقال آخر فى تعجيل الخروج منه :

خذ من الحمام واخرج　　قبل أن يأخذ منك
حدثا عنه وإلا　　حدث الحمام عنك

وقال ابن رشيق :

ومرتهن لدى الحمام أضحى　　وحالاه لأصحاب السعير
إذا سئموا العذاب أو استغاثوا　　أغاثوهم بباب الزمهرير
كذلك حاله حرا وبرداً　　ببيت الحوض أوبيت الطهور
وطال به انتظار مراعيه　　فقد زاد الشىق على النظير

وله أيضا :

سأشكر للحمام بدأ وعودة　　أيادى بيضاء ما لهن ثمين
جلاك على عينى عريان حاسرا　　فرحت بتطليق وأنت تمين
وطهر قلبى من هواك ببارد　　وسخن فقر الجفن وهو سخين

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الحمام يذكر جهنم وينقى الدرن ، وقال على رضى عنه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله تعالى ودخله بعض الامراء مع الرقاشى فقال له امدحه فقال يذهب القشافة ويعقب النظافة ويفش التخمة ويطيب النغمة فقال ذمه فقال يهتك الاستار ويؤلف الاقذار ويذهب بالوقار (اذا شئت فالسرعة السرعة) يقول اذا شئت أن تقصد الحمام فالزم السرعة وعجل الرجعة وكررهما تأكيدا والفعل الناصب لهما يلزم اضماره مع التكرير فاذا أفردت جاز اظهار الفعل ونظيرهما قول العرب الطريق الطريق والاسد الاسد وقال الشاعر :

خل الطريق لمن يبنى المنار له ـ فلما سقط التكرير ساغ له اظهار الفعل (مطلعى) مصدر بمعنى طلوعى ، اهل الحجاز يفتحون لامه فى المصدر وغيرهم يكسرها (ارتداد طرفك) أى رجوع نظرك (استن استنان الجواد) جرى كما يجرى الفرس وانما يقال استن فى كلامهم اذا جرى فى غير طريق يتحريف ومنه قولهم استنت الفصال حتى القرعاء يريدون جرت الفصال وهى تلعب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فاستنت شرفا أو شرفين وقال الشاعر يذكر طعنة خرج دمها فى جهة　　بمستنة كاستنان الخروف　　وقد قطع الحبل بالمرود أراد المهر ويقال له خروف وفلو وقد فسر استنت الفصال بأن معناه أحسن رعيتها حتى كانه صقلها والجواد الفرس الكريم (المضمار) الطلق تجرى فيه الخيل سمى مضمارا لأن الخيل تضمر فيه وذلك ان العرب كانت تسمن الخيل فتجرجها الى المضمار فتجريها طلقا قدر ماتحتمل ثم تزيدها يوما آخر فى الجرى على ذلك ثم

بَدَارِ بَدَار ، ولم نَخَلْ أنّهُ غَرٌّ وطَابَ المَفَرُّ فَلَبِثْنَا نَرْقُبُهُ رقبَةَ الأعْيَاد ، ونَسْتَطلِعُهُ بالطلائِعِ والرُّوَّاد ؛ إلى أنْ هَرِمَ النَّهَار وكاد جُرْفُ اليَوْمِ يَنْهار ، فلمَّ طالَ أمَدُ الانْتِظار ، ولاحَتِ الشَّمسُ في الاطْمار ، قُلْتُ

لا تزال تزيدها فى الطاق كل يوم حتى تجرى بها الأميال فيسيل عرق الخيل بذلك الجرى ويشتد لحمها بذلك التضمير قال زهير :

تضمر بالأصائل كل يوم ... تسن على سنابكها القرون

القرون دفع العرق واحدها قرن (بداربدار) أى سبقا سبقا وهو معدول عن بدر فيقول لابنه ابدر بالجرى واسبق الى الحمام (نخل) نحسب (غر) خدع (نرقبه) أى ننظر من أين يجيء ويرى (رقبة) أهلة وما أحسن قول ابن الرقاق فى هذه الرقبة :

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله ... جفونا إلى نحو السماء موائلا
إلى أن بدا أحوى المدامع أحور ... يجر لأذيال الشباب غلائلا
فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا ... بمن قد حوى طيب الشمول شمائلا
أتطلبك الابصار فى الجو ناقصا ... وأنت كذا تمشى على الأرض كاملا

وله فى معناه :

لله شهر ما نظرت هلاله ... الا كنون او كعطفة لام
حتى تبدى لى اغن مهفهف ... بضيائه ينجاب كل ظلام
فطفقت أهتف بالأنام ضللتم ... وغلطتم فى عدة الأيام
ماجاءنا شهر لأول ليلة ... مذ كانت الدنيا ببدر تمام

(نستطلعه) أى نلتمس طلوعه (الطلائع) الباحثون عليه (والرواد) الطالبون وأصل الطلائع الباحثون عن أخبار العدو والراصدون فى الطرقات ، الواحد طليعة . وأصل الرواد الطالبون للمرعى (هرم) شاخ ومعناه قارب أن يتم (ينهار) ينهدم (الجرف) ما يأكله الوادى استعاره للنهار (لاحت) ظهرت (الاطمار) الثياب الخلقة أراد أن ثوب الشمس وهو ضوءها قد تغير وبلى عند الغروب وبعضهم يستعمل هذه الاستعارات فى الشتاء وغروب الشمس ، ومما يستغرب من ذلك قول العلوى الأصبهانى

ومجلس شرب جئته متطربا ... عشيا وعين الشمس فى الافق تنعس

وقال ابن الرومى :

كأن جنون الشمس ثم غروبها ... وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين صد أجفانها الكرى ... يرنق منها النوم وهى تغمض

وقال أيضاً :

إذا رنعت شمس الأصيل ونقضت ... على الأفق الغربى ورسا مرصعا
وودعت الدنيا لتقضى نحبها ... وشول باقى عمرها فتشعشعا
ولاحظت الأنوار وهى مريضة ... وقد وضعت خدا على الأرض أضرعا
كما لاحظت عوادة عين مدنف ... توجع من أوصابه ما توجعا

لأصحابي : قَدْ تَنَاهَيْنَا فى المُهْلَة ، وتَمادَيْنا فى الرِّحلَة ، إلى أن أضعْنا الزَّمان ، وبان أنّ الرَّجُلَ

أخبرنى ابن منصور قال خرجت بخارج فاس عشية مع فتى وراق فنظر إلى صفرة الشمس واستنشق برد النسيم وأنشدنى مرتجلا :

انظر إلى الشمس فى الأصيل كأنها وجنتا عليل
ورق هذا النسيم حتى كأنما يشتكى نحولى

وقال ابن الرقاق : وعشية لبست ملاء شقيق تزهى بلون للخدود أنيق
أبقت بها الشمس المنيرة مثل ما أبقى الحياء بوجنتى معشوق
لو أستطيع شربتها كلفا بها وعدلت فيها عن كؤوس رحيق

وقال ابن سراج : والشمس تنفض زعفرانا بالربا وتبث مسكتها على الغيطان

وما أحسن قول الرصافى فى معناه :

وعشى أنس للسرور وقد بدا من دون قرص الشمس مايتوقع
سقطت و لم تملك يمينك ردها فرددت ياموسى لوانك يوشع

وقال ابن الرمى فى طلوع الشمس من خلل السحاب وذكر امرأة :

تريك بياض غرتها ووجها كقرن الشمس أغسق ثم زالا
أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانفل سائره انفلالا

قوله بدا كليلا إشارة إلى أنه عند ما بدا غاب بسرعة ،وأذكر كلا فى المقامه التاسعة والثلاثين ،وقال ابن المعتز فى نحوه

تظل الشمس ترمقنا بلحظ مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتح غيم وهو يأبى كعنين يريد نكاح بكر

(تناهينا) أى بلغنا النهاية (المهلة) التراخى يقول قدر اخينا فى انتظاره حتى بلغنا الغاية فى ذلك (تمادينا فى الرحلة) هذا على حذف مضاف للعلم به تقديره تمادينا فى ترك الرحلة وانتظارها ومثل هذا الحذف جائز فى النظم والنثر وأنشد أبو على :

أنا النذير لكم منى مجاهرة كى لا ألام على نهى واندارى

أى على ترك النهى والانذار ، وقال آخر :

وأهلك مهر أبيك الدوا ء ليس من له طعام نصيب

أى فقد الدواء وجاء فى القرآن واسأل القرية التى كنا فيها أى أهل القرية وهى أشد قوة من قريتك أى من أهل قريتك ومثل هذا كثير فى القرآن والكلام الفصيح مما لا يتم المعنى إلا بتقديره ، فالذى غلط الحريرى فقال لو تمادت بهم الرحلة لكانوا فى سير متصل ، قد جهل الكلام الفصيح فأراد طالت بنا هذه السفرة وتمادى الشىء فهو متماد إذا طال فيه المدى وهو الغاية البعيدة يقول : تأخرنا عن السفر اليوم لتمادينا فى انتظاره فطالت علينا السفرة لعطلة السفر حتى أضعنا اليوم الذى انتظرناه فيه حيث لم نسافر فيه (الزمان) اليوم (بان) تبين

قدْ مان . فتأهَّبُوا لِلظَّعَن ، ولا تَلْوُوا عَلَى خَضْراءِ الدِّمَن ،وبَهضْتُ لأحْدِجَ راحِلَتى،وأَتحَمَّلَ لِرِحْلَتى ؛ فَوَجَدْتُ أبا زيْدٍ قد كَتَب على القَتَب :

يا مَنْ عَدَا لى ساعداً ومُساعداً دُونَ البَشَرْ
لا تحسبَنْ أنّى نأَيـــتُكَ عنْ مَلالٍ أو أشَرْ
لـكنّنى مُذْ لم أزَلْ ممَّنْ إذا طَعِمَ انتَشَرْ

قال فأقْرأتُ الجماعَةَ القَتَب ، لِيَعْذِرَهُ مَنْ كان عَتَب ، فأُعجبوا بخُرافته ،

(مان) كذب يقال منه مان يمين مينا وأما مانه يمونه مونا فقام بمؤنته (فتأهبوا) استعدوا (الظعن) الرحيل (ولا تلووا) تعرجوا (خضراء الدمن) عشب المزابل هى حسنة المنظر سيئة المخبر وإذا يبست لم ينتفع بعودها لخوره وضعفه فشبه بها أبا زيد لحسن ظاهره فيما أبدى لهم من فصاحته وسوء باطنه فى كذبه واخلاف وعده حتى عطلهم عن سفرهم نهارا فى انتظاره ، قال النبى صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدمن فقيل له وما خضراء الدمن فقال الجارية الحسناء فى المنبت السوء (أحدج) أى اجعل عليها الحدج وهو مركب من مراكب النساء وأراد أرحل الناقة (وراحلته) ناقته (أتحمل لرحلتى) أى قرب حملى للرحيل يقال تحمل القوم إذا عبوا أحمالهم وارتحلوا (القتب) خشب الرجل (ساعدا) أى ذراعا يستعين به (مساعدا) موافقا (نأيتك) بعدت عنك (أشر) بطر وعدم شكر يقال أشرا الرجل يأشر أشر إذا بطر ، قال الاخطل يذكر بنى أمية :

أعطاكم الله جد تنصرون به لا جد الا صغير بعد محتقر
لم يأشروا فيه إذ كانوا امواليه ولو يكون لقوم غيرهم أشروا

(مذلم أزل) أى مذ بنت ووجدت (انتشر) ذهب (عتب) لام وسخط فعله (خرافته) حديثه الملهى وحديث خرافة مثل سائر على ألسنة الناس فى القديم والحديث يضرب لكل حديث لا حقيقة له ووقع فى أمثال المفضل بسند يصل إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : حدثنى حديث خرافة فقال رحم الله خرافة كان رجلا صالحا فأخبرنى أنه خرج ذات ليلة فلقى ثلاثة من نفر الجن فسبوه فقال أحد نعفو عنه وقال آخر نقتله وقال آخر نستعبده فبينما هم يتشاورون فى أمره إذ ورد عليهم رجل فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام قال وما أنتم قالوا نفر من الجن أسرنا هذا فنحن نأتمر فى أمره فقال إن حدثتكم عجبا أتشركونى فيه قالو نعم قال إنى كنت ذا نعمة فزالت وركبنى دين فخرجت هاربا فأصابنى عطش شديد فسرت إلى بئر فنزلت لأشرب فصاح صائح من البئر مه فخرجت منها ولم أشرب فغلبنى العطش الشديد فعدت فصاح بى ثم عدت الثالثة فشربت ولم ألتفت اليه فقال اللهم إن كان رجلا فحوله امرأة وإن كان امرأة فحولها رجلا فاذا أنا امرأة فأتيت مدينة فتزوجنى رجل فولدت منه ولدين ثم عدت إلى بلدى فمررت بالبئر التى شربت منها فنزلت فصاح بى كما صاح فى الأول فشربت ولم ألتفت له فدعا كالأول فعدت رجلا كما كنت فأتيت بلدى فتزوجت امرأة فولدت منها ولدين فلى ابنان من ظهرى وابنان من بطنى فقالوا إن هذا لعجب أنت شريكنا فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم ثور يطير فلما جاوزهم إذا رجل بيده خشبة وهو يحفر فى أثره فوقف عليهم فسلم فردوا وسألهم فردوا عليه

وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ ، ثم إِنَّا ظَعَنَّا ، وَلَمْ نَدْرِ مَنِ اعْتَاضَ عَنَّا

مثل ردهم على صاحبهم فقال إن حدثتكم بحديث أعجب من هذا أتشركونني فيه قالوا نعم قال كان لى عم وكان موسرا وكانت له ابنة جميلة وكنا سبعة إخوة وكان لعمى عجل يربيه فانفلت فقال أيكم يرده فابنتى له فأخذت خشبتى هذه واتزرت ثم حفرت فى أثره وأنا غلام وقد شبت فلا أنا ألحقه ولا هو يكل فقالوا إن هذا لعجب اقعد فأنت شريكنا فبينما هم يتشاورون إذ ورد عليهم رجل على فرس أنثى وخلفه غلام على فرس ذكر فسلم كما سلم صاحباه فردوا عليه كردهم على صاحبيه فسألهم فأخبروه الخبر فقال لهم إن حدثتكم بحديث أغرب من هذا أتشركوننى فيه فقالوا نعم قال كانت لى أم خبيثة ، ثم قال للفرس الأنثى التى تحته أكذلك فقالت برأسها ، نعم قال وكنت أتهمها بهذا العبد وأشار إلى الفرس الذى تحت غلامه أهكذا ؟ فقال برأسه نعم ، فوجهت بغلامى هذا الراكب ذات يوم فى بعض حاجاتى لحبسته عندهافأغفى فرأى فى منامه كأنهاصاحت صيحة فاذا هى بجرذ قد خرج فقالت اسجد فسجد ، ثم قالت اكرب فكرب ، ثم قالت ادرس فدرس ، ثم دعت برحى فطحنت قدح سويق فأتت به الغلام فقالت له ائت به مولاك فأتانى به فاحتلت عليهما حتى سقيتهما القدح فاذا هى فرس أنثى وإذا هو فرس ذكر قال أكذلك ؟ قالت الفرس الأنثى برأسها نعم وقال الفرس الذكر برأسه نعم فقالوا إن هذا أعجب شىء سمعناه أنت شريكنا فأجمع رأيهم فأعتقوا خرافه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بهذا الحديث . فما جاء من الأحاديث المحاليه نسب إلى خرافة صاحب الحديث

(آفته) أى ضرره (ظعنا) رحلنا (اعتاض) استبدل .

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال : سَمَرْتُ بالكوفةِ فى ليلةٍ أديمُها ذو لونَيْنِ ، وقمرُها كتعويذٍ من لُجَيْن

شرح المقـــامة

(سمرت بالكوفة) الكوفة بلد بالعراق مشهور بينه و بين بغداد ثلاثون فرسخا وسميت كوفة لاستدارتها أخذت من الكوفان وهى الرملة الشديدة البياض وقيل سميت كوفه لاجتماع الناس فيها من قولهم تكوف الرمل تكوفا إذا ركب بعضه بعضا وقيل سميت كوفة لأنها قطعت من البلاد من قولهم أعطيت فلانا كيفة أى قطعة وكفت أكيف كيفا قطعت والكوفة فعلة منه قلبت الياء واوا للضمة التى قبلها وهى مدينة العراق الكبرى والمصر الأعظم وقبة الإسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق ، وذكر شيخنا أبو الحسن بن جبير فى رحلته حاجا أنه دخل الكوفة فى أول محرم سنة تسع وتسعين وخمسمائة فقال هى مدينة كبيرة قد استولى الخراب على أكثرها فالعامر منها أقل من الخراب ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها وهى لا تزال تضربها وكفاك بتعاقب الأيام والليالى ماحقا ومفنيا وبناؤها بالآجر خاصة ولا سور لها والجامع العتيق آخرها مما يلى شرق البلد ، ولا عمارة تتصل بها من جهة الشرق ، وهو جامع كبير فى الجانب القبلى منه خمس أبلطة وفى سائر الجوانب بلاطتان متسعتان وهى على أعمدة من السوارى المصنوعة من صميم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا قسى عليها وهى فى النهاية من الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون فى تفاوت ارتفاعها فما رؤى فى الأرض مسجد أعلى سقفا منه ولا أطول أعمدة ولهذا الجامع آثار كثيرة منها بيت وراء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال أنه كان مصلى الخليل ابراهيم عليه السلام وعليه ستر أسود صونا له منه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة والناس يزدحمون على هذا البيت للصلاة فيه ، وبمقربة هذا البيت عن يمين القبلة محراب أغلق عليه بأعواد الساج كانه مسجد صغير مرتفع عن صحن البلاط هو محراب على بن أبى طالب رضى الله عنه وفيه ضربه الشقى عبد الرحمن بن ملجم فالناس يصلون فيه باكين داعين ، وفى الزاوية من البلاط القبلى المتصل بآخر البلاط الغربى شبه مسجد صغير أغلق عليه بأعواد الساج وهو مفار التنور الذى كان آية نوح عليه السلام ، ويتصل بالجدار القبلى فضاء يقال أنه كان منشأ السفينة ومع هذا الفضاء دار على بن أبى طالب رضى الله عنه . تلقينا هذه الآثار من أشياخ البلد ، وفى الشرقية بيت قبر مسلمة بن عقيل وفى جوف الجامع سقاية كبيرة فيها ثلاثة أحواض وفى غربى المدينة على مقدار فرسخ المشهد الشهير حيث بركت ناقة على رضى الله عنه وهو محمول عليها ميتا وفيه قبره والله تعالى أعلم بصحة ذلك ، والفرات فى الجانب الشرقى على قدر نصف فرسخ والجانب الشرقى كله حدائق نخل ملتفة يمتد سوادها امتداد البصر (سمرت) أى ذهب نومى (الأديم) الجلد وأراد أن لون الليل فيه سواد وبياض لأن قمرها ناقص ولذلك جعله (كتعويذ من لجين) وهو خرز فضة يستعمل مستديرا استدارة القمر وبعض الدائرة فارغ فيربط فى الدائرة خيط فيعلق فى أعناق الصبيان ، وقال فيه الكردى :

مَعَ رُفْقَةٍ غُذُوا بِلِبانِ البَيانِ وسَحَبوا على سَحْبانَ ذَيْلَ النِّسْيان ، ما فيهم إلا مَنْ

قم سل همى بالمدا م ففيه هم قد أمضه
أو ماترى قمر السما ء كأنه تعويذ فضة
فاذا ألم به المحا ق تخاله فى الخد عضة

وعلى معنى البيت الآخر قال اسمعيل القاضى يصف الهلال :

اسقنى قبل صاحبى واخش صرف النوائب
فالهلال الذى يلو ح خلال الغياهب
مثل فخ اللجين صيغ لصيد الكواكب

وقال القاضى أبو محمد عبد الوهاب :

لما رأيت الهلال منطويا فى غرة الفجر قارن الزهرة
شبهته والعيان يشهد لى بصولجان أو فى لضرب كرة

وقال القاضى أبو الحسين بن ليال :

انظر إلى الهلال إذ لاح بهى المنظر
كزورق من فضة وسط لجين أخضر

أخذه من قول ابن المعتز :

أهلا بفطر قد أنار هلاله فالآن فاغ إلى المدام وبكر
وانظر اليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وله أيضاً :

أهلا وسهلا بالنادى والعود وشرب كأس بكف مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد بشر مرأى الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لأكل عنقود

وقد شبهه ابن المعتز بقلامة الظفر فأحسن حيث يقول :

وجاءنى فى قيص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحه مثل القلامة قد قدت من الظفر

وأخذه من قول الأعرابى :

كأن ابن مزنتها جانحا فسيط لدى الافق من خنصر

ابن مزنتها الهلال والفسيط قلامة الظفر (غذوا) أى ربوا به وجعل غذاءهم واللبان للآدميات واللبن للآميات وغيرهن (سحبوا) جروا (سحبان) فصيح العرب وانظره فى السادسة عشرة (ذيل النسيان) طرفه يريد أنهم بفصاحتهم أنسو اذكر سحبان فكأنهم جروا عليه ثوب النسيان حتى غطوه فلم يذكره أحد من هؤلاء وأصل ذلك أن يسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى كقول امرىء القيس : تعفى بذيل الدرع إن جئت موئلى

يُحفَظُ عنه ولَا يُتَحَفَّظُ منه ، ويَمِيلُ الرَّفيقُ إليه ولا يَميلُ عنه ؛ فَاستَهوَانَا السَّمَر ، إلى أنْ غَرَبَ القَمَر ، وغَلَبَ السَّهر ؛ فلمَّا رَوَّقَ اللَّيلُ البَهِيم ، ولم يَبقَ إلَّا التَّهوِيم ؛ سَمِعْنا مِنَ البابِ نَبأَةَ مُسْتَنبِح ،

وكقوله : خرجت بها تمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

(يحفظ عنه) أى هم علماء يروون العلم فيحفظ عنهم (يتحفظ) يتحذر وأخذ هذا من قول سليمان الارت لعبد الملك قد أكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره وتبطنت العذراء فلم يبق لى من لذتى إلا صديق أطرح فيما بينى وبينه مؤنة التحفظ ، فهذا الذى طلبه سليمان وجده الحريرى فى أصحابه وأصل التحفظ الاجتهاد فى حفظ الشىء وقلة الغفلة فى الأمور كأنه على حذر ، وأنشد ثعلب :

إنى لأبغض عاشقا متحفظا لم تتهمــه أعين وقلوب

(يميل الرفيق إليه) تقول ملت إلى فلان إذا أحببته وتقربت منه وملت عنه إذا كرهته وبعدت عنه والرفيق الصاحب يرتفق به فى السفر (استهوانا) هوى بنا وشغلنا (السمر) الحديث يسمر عليه وذكر الحريرى أن أصل السمر ظل القمر والسمر الحديث ومنه أخذ السميرة وغالب أحوال السمار أنهم يتحدثون فى ظل القمر وذكر هذا فى تفسير الرابعة والاربعين وهو الأصل ثم اتسع فيه فصار الجلوس بالليل للحديث يسمى سمراً على أى حال اتفق (روق) ضرب رواقه والرواق الثوب يستظل به من الشمس يريد أن الليل ضرب عليهم من ظلامه رواقا فاحجب عنهم به القمر (البهيم) الخالص السواد والبهيم الخالص من كل لون

(التهويم) النوم بالليل والتغوير النوم فى القائلة وقد هوم الرجل إذا أسقط النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه . فحقيقته سجود الرأس من النعاس ، قال ذو الرمة فى ذلك :

وأشعث مثل السيف قدلاح جسمه وخيف هموم والمهاوى الا باعد
سقاه نعاس كأس سكر فرأسه لدين الكرى فى آخر الليل ساجد

ويقال خفق رأسه فهو خافق قال ذو الرمة .

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له دع بالزمام وجوز الليل مركوم

وقال الرصا فى فأحسن :

ومجدين فى السرى قد تعاطوا غفوات الكرى بغير كؤوس
جنحوا وانحنوا على العيس حتى خلتهم يلثمون أيدى العيس
نبذوا الغمض وهو حلو إلى أن وجدوه سلافة فى الرؤوس

(نبأة) أى صوت (مستنبح) يحكى نباح الكلاب وكان الرجل إذا تلف بالليل بالصحراء ولم يدر أين يتوجه حاكى بصوته نباح الكلاب فان كان قريبا من العمران نبحت لنباحة كلاب الحى فسمع أصواتها فقصد الحى فتسمى العرب من يفعل هذا المستنبح وأنشد أبو على فى نوادره :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه فناه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له نارا ثقوبا زنادها يليح إلى السارى هلم إلى قدر

ثمَّ تَلَتْهَا صَكَّةٌ مُسْتَفْتِح ، فَقُلْنَا مِنَ الْمُلِمُّ ، فى اللَّيْلِ الْمُدْلَهِمّ ؛ فقال :

يا أهلَ ذا الْمَغْنَى وُقِيتُمْ شَرَّا ولا لَقِيتُمْ ما بَقِيتُمْ ضُرَّا
قَدْ دَفَعَ اللَّيْلُ الذى اكْفَهَرَّا إلى ذَرَاكُمْ شَعِثًا مُغْبَرَّا
أَخَا سِفَارٍ طالَ وَاسْبَطَرَّا حتَّى انْثَنَى مُحْقَوْقِفًا مُصْفَرَّا
مِثْلَ هِلالِ الأُفْقِ حِينَ افْتَرَّا وَقَدْ عَرَا فِنَاءَكُمْ مُعْتَرَّا
وَأَمَّكُمْ دُونَ الأَنامِ طُرَّا يَبْغِى قِرًى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرَّا
فَدُونَكُمْ ضَيْفًا قَنُوعًا حُرَّا يَرْضَى بِمَا احْلَوْلَى وَمَا أَمَرَّا
وَيَنْثَنِى عَنْكُمْ يَنُثُّ البِرَّا

وقال حسان بن ماثل :

ومستنبح فى جنح ليل دعوته بمشبوبة فى رأس صمد مقابل
فقلت له أقبل فانك راشد وإن على النار الندى وابن ماثل

وقد أنشد أبو تمام فى حماسته فى باب الاضياف فى المستنبح مافيه كفاية فلينظر هناك (تلتها) أى تبعتها (صكة) دفعة (مستفتح) طالب فتح الباب (الملم) الزائر (المدلهم) الشديد السواد من الدهمة ولامه زائدة (المغنى) المنزل (وقيتم) كفيتم وإنما دعا لهم بهذا لأن فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يوشك قلوب الناس أن تملأ شراً حتى يجرى الشر فضلا بين الناس فلا يجد قلبا يدخله (اكفهر) تراكم ظلامه وكثر (ذراكم) منزلكم وكنكم وكل ما استترت به من ريح أو مطر أو شمس فهو ذرا (شعثا) متغير الشعر والشعث ترك غسل الرأس حتى يتغير (مغبرا) عليه الغبار وفى حديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخت ثيابه فقال أماوجد هذا ما ينقى به ثيابه ورأى رجلا شعث الرأس فقال أما وجد هذا ما يسكن به شعره (أخا سفار) صاحب أسفار أى ملازم لها (اسبطر) امتد وطال سفره (انثنى) رجع وعاد (محقوقفا) منحنيا (الافق) ناحية السماء (افتر) انفتحت أطرافه ولم يتقارب كأنه فر هذا من هذا ومنه فرت الدابة وافتر ضحك وشبه انحناءه من السفر بدائرة القمر الناقص وأكثر مايوقعون هذا التشبيه فى الانحناء من الكبر قال الشاعر :

تقوس بعد مر العمر ظهرى وداستنى الليالى أى دوس
فأمشى والعصا تهوى أمامى كأن قوامها وتر لقوسى

وقال ابن ليال : قوس ظهرى المشيب والكبر والدهر ياعمرو كله عبر
كأنى والعصا تدب معى قوس لها وهى فى يدى وتر

(عرا) قصد (فناءكم) منزلكم وفناء الدار ما أحاط بها من الأرض لخدمته (معترا) قاصد الطلب معروفكم (أمكم) قصدكم (طرا) أجمع (يبغى قرى) يطلب طعاما (احلولى) اشتدت حلاوته (ينث) يفشى وينشر (البر) الإحسان

قال الحارث بن همّام : فلما خلبنا بعذوبة نطقه ، وعلمنا ما وراء برقه ، ابتدرنا فتح الباب ، وتلقيناه بالترحاب . وقلنا للغلام هيا هيا ، وهلم ما تهيا ، فقال الضيف : والذي أحلّني ذراكم ، لا تلمظت بقراكم ، أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلا ، ولا تجشموا لأجلي أكلا ، فرب أكلة هاضت الآكل ، وحرمته مآكل ، وشر الأضياف من سام التكليف ، وآذى المضيف ، خصوصاً أذى يعتلق بالأجسام ، ويفضي إلى الأسقام . وما قيل في المثل الذي سار سائره : خير العشاء سوافره ، إلّا ليعجل التعشي ، ويجتنب أكل الليل الذي يعشي

(خلبنا) أي خدعنا (علمنا ما وراء برقه) يريد أن ما أبدى لهم من الكلام الفصيح دلهم على ما عنده من العلم كما أن البرق إذا ظهر ولمع علم ما وراءه من المطر (ابتدرنا) استبقنا (الترحاب) قولهم مرحبا مرحبا (هيا هيا) أي سق سق (هلم ما تهيا) أي أحضر ما تيسر (تلمظت بقراكم) تذوقت بطعامكم وأصل التلمظ تتبع اللسان ما بقي من الطعام في الفم بعد الأكل (كلا) ثقيلا وفلان كل على أهله إذا لم يكفهم مؤنة نفسه والكل الاعياء وجمعه كلول وعلى فلان كل كثير قال النابغة الجعدي :

رأيت بني سعد كلولا كثيرة   شهيد بذاك ابن حمار ابن أحمرا

(تجشموا) تكلفوا (أكلا) طعاما (الأكلة) الغداء والعشاء والأصل في هذا أن الأكل بالفتح مصدر أكل وبالضم ما أكل والأكلة بالفتح المرأة الواحدة وبالضم اللقمة وبالكسر هيئة الأكل (هاضت) أضعفت وأحدثت عليه هيضة وهي القيء والاسهال وأصل المثل رب أكلة تمنع أكلات وقال ابن هرمة :

وربت أكلة منعت أخاها   بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يشقى بشيء   وفيه هلاكه لو كان يدري

(المآكل) جمع مأكلة أو مأكل وهي الأكل وهي أيضا ما يؤكل (سام التكليف) أي عرض مضيفه إلى تكلف ما يشق عليه (الأذى) الضرر (المضيف) صاحب المنزل (يفضي) يؤول (سار سائره) انتشر التحدث به ومشى في الناس (خير العشاء سوافره) بواكره أي ما أكل منه بضوء النهار واحدها سافرة والسافرة المرأة التي سفرت نقابها عن وجهها أي كشفته فكأن اللقمة إذا أبصرتها عند أكلها قد سفرت الظلام عن نفسها وتجمع على سوافر على هذا المعنى حكى أبو بكر بن شعبان النحوي قال دخلت على محمد اليزيدي وهو يتغذى فقال يا أبا بكر خير الغذاء بواكره فخير العشاء ماذا فقلت لا أدري فقال دخلت على حسين بن الخادم وهو يتغذى فقال يا أبا سليمان خير الغذاء بواكره فخير العشاء ماذا فقلت لا أدري فقال كنت بحضرة الرشيد وهو يتغذى فدخل الأصمعي فقال يا أصمعي خير الغذاء بواكره فخير العشاء ماذا فقال بواصره يعني ما يبصر من الطعام قبل الظلام وحكى أبو يعقوب في الغداء التأخير فقال قال الحكيم وقيل هو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من سره النساء ولا نساء فليبكر الغداء وليباكر العشاء وليخف الرداء يريد ثقل الدين (التعشي) أكل العشاء وهو ما يؤكل بالعشي (يعشي) يورث العشا وهو سوداء البصر ليلا قال ابن دريد :

اللهمَّ إلّا أنْ تقدَ نارُ الجوع ، وتحولَ دونَ الهجُوع . قالَ : فكأنّهُ اطّلعَ على إرادَتِنا ، فرَمى عنْ قوْسِ عقيدَتِنا لا جَرَمَ أنّا آنسْناه بالتزامِ الشّرطِ ، وأثنَيْنا على خُلُقِه السَّبْطِ ، ولمّا أحضَرَ الغُلامُ ما راجَ ، وأذْكَى بيْننَا السِّراج ، تأمّلْتُهُ فإذا هُوَ أبُو زَيْد ، فقُلْتُ لصَحْبي : لِيُهْنِئْكُم الضّيْفُ الوارِدُ ، بلِ المَغْنَمُ البارِد ، فإنْ يكُنْ أفَلَ قمَرُ الشِّعْرَى فقدْ طلَعَ قمَرُ الشِّعْر ، أو اسْتَسَرَّ بدْرُ النَّثْرَة فقدْ تبلّجَ بدْرُ النَّثْر ، فسَرَتْ حُمَيّا المَسَرّةِ فيهم ، وطارَتِ السِّنَةُ عنْ مآقِيهم ، ورَفَضُوا الدّعَةَ التي كانُوا نوَوْها ، وثابُوا إلى نَشْرِ

ورأى العشا فى العين أكثر مايكون من العشاء

أراد من تأخير العشاء لأن أكل الطعام بالليل يحدث ضعف البصر أكثر من غيره ، وقال كشاجم :

... ونديم مخالف لايشاء الذى أشا
هو فى الصحولى أخ وعدو إذا انتشى
اقترحت العشاء يو ما عليه فأدهشا
ساعة ثم قال لى العشا يورث العشا

كان هذا التطبب أخذه كشاجم من قول الصاحب بن عباد قال الصاحب ما أخجلنى أحد كأبى الحسن البديهى فانه كان عندى فقدمت إليه فاكهة فأمعن فى المشمش فقلت المشمش يلطخ المعدة فقال لايعجبنى المضيف إذاتطبب فوددت أنى أقلها وورد النهى عن ترك العشاء فى حديث أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدعوا العشاء ولو بكف حشف وإن تركه مهرمة (تحول دون الهجوع) أى تمنع من النوم وجاء فى الحديث النهى عن التكلف قال سفيان ذهبت أنا وصاحب لى إلى سلمان فقال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن عن التكلف لتكلفت لكم ثم جاء بخبز وملح فقال صاحبى لوكان فى ملحنا صعتر فبعث سلمان مطهرته فرهنها فجاء بصعتر فلما أكلنا قال صاحبى الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت لم تكن مطهرتى مرهونة وجاء فى حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال نعم الادام الخل وكفى بالمرء إثما أن يسخط ماقرب إليه الهجوع أى النوم (عقيدتنا) أى ما انعقدت عليه نياتنا ويقال رميت عن القوس ولايقال رميت بها إلا أن ترمها من يدك (لاجرم) بمعنى حقا ولابد ولا محاولة (السبط) السهل (راح) تيسر (أذكى) أوقد (السراج) المصباح (تأملته) نظرته (ليهنئكم) أى ليسركم (الوارد) القاصد (المغنم البارد) الهنى الذى يغنم دون قتال أوتعب (أفل) غاب (الشعرى) كوكب معروف وهما شعريان العبور والغميصاء سموها عبورا لأنهم يزعمون أنها عبرت المجرة وسموا الأخرى الغميصاء لأنها بكت على أختها حتى غمصت عينها أى خفيت (استسر) غاب وخفى (النثرة) ثلاثة أنجم مجتمعة (تبلج) ظهر وأضاء (النثر) ضد النظم يقول إن غاقرب السماء الذى يتحدث بضوئه فهذا أبو زيد قمر الفصاحة قد طلع فجدوا حديثكم ودعوا النوم (سرت) مشت (حميا المسرة) شدة السرور والحميا حدة الخمر وتسمى الخمر الحميا (السنة) أخف من النوم (مآقيهم) عيونهم والمأق طرف العين من جهة الأنف (رفضوا) تركوا

الفُكاهَةِ بعد ما طَوَوْها ، وأبُو زَيْدٍ مُكِبٌّ عَلَى إعْمالِ يَدَيْه ، حتى إذا اسْتَرْفَع ما لَدَيْه ، قُلْتُ له : أطْرِفْنا بِغَرِيبَةٍ من غرائِبِ أسْمارِك ، أو عَجِيبَةٍ من عجائِبِ أسْفارِك فقال : لَقَدْ بَلَوْتُ من العَجائِبِ مالم يَرَهُ الرّاؤون ، وَلَا رَوَاهُ الرّاوُون ، وإنّ منْ أعْجَبِها ما عايَنْتُهُ اللَّيْلَةَ قُبَيْلَ انْتِيابِكم ، ومَصِيرِي إلى بابكم ، فاسْتَخْبَرْناهُ عن طُرْفَةِ مَرْآه ، في مَسْرَحِ مَسْراه ، فقالَ إنّ مَرامِيَ الغُرْبَة ، لَفَظَتْنِي إلى هذهِ التُّرْبَة ؛ وَأنا ذُو مَجاعَةٍ وبُؤْسَى ، وَجِرابٍ كَفُؤادِ أُمِّ مُوسَى .

(الفكاهة) الحديث المظرف وأصلها المزاح ومنه قولهم لا تمازحن صبيا ولا تفاكهن أمة قال ابن الأنبارى المعنى لا تمازحن إلا أنه استسمح إعادة اللفظ فأتى بلفظ فى مثل معناه مخالف للفظه وتفاكهن مشتق من الفكاهة وهى المزاح وقال طرفة :

وإن امرأ لم يعف يوما فكاهة ... لمن لم يرد سوءا به لجهول

ووصف أبو العيناء ابن أبي داود فقال له هزل يؤنس به وجد يتقدم الجد وبين ذلك فكاهة تستملح ودعابة تستظرف ومزح مصادره ثلاثة مزح ومزاح ومزاحة . اليزيدى المزاح بالكسر لا غير . أبو عمرو وما ذكره اليزيدى مصدر ما زحت مزاحا وممازحة (مكب) أى مائل الرأس (اعمال يديه) استعمالها بالأكل (استرفع) أمر برفعه ويروى استفرغ أى أتم (أطرفنا) أى حدثنا بطرفة وهى الحديث المستملح والطرفة عند العرب الشيء المحدث الذى لم يكن عرف وجاء فلان بطرفة وشيء طريف وهو مشتق من الطريف والطارف وهما المال المستحدث الذى جمعه الرجل واكتسبه والتالد ما ورثه عن الآباء ، قال الشاعر :

وأصبح مالى من طريف وتالد ... لغيرى وكان المال بالأمس ماليا

(أسمارك) جمع سمر وهو الحديث يسمر عليه (مالم يره الراءون) أى الناظرون اليه (ولا رواه الراوون) أى حفظه الحافظون (عاينته) شاهدته ورأيته بعيني (انتيابكم) قصدكم (مصيرى) رجوعى (مرآه) رؤيته (مسرح) حيث يسرح ويمشى (مسراه) سيره بالليل (مرامى) قواذف (التربة) البلدة (مجاعة) جوع (بوسى) ضرر (جراب) وعاء الزاد (كفؤاد أم موسى) فارغا لقوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا وسمى موسى لأنهم وجدوه بين ماء وشجر ومو بالقبطية هو الماء وشا هو الشجر فعربت فجعلت الشين سينا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام ولم يزل بنو إسرائيل من عهد يوسف عليه السلام تحت أيدى الفراعنة وهم على بقايا من دين إبراهيم عليه السلام المشروع له واسحق ويعقوب ويوسف عليهم الصلاة والسلام حتى كان فرعون الذى بعث موسى عليه السلام إليه ولم يكن منهم فرعون أعتى على الله منه ولا أطول عمرا وكان شديد الغلظة سيء الملكة واسمه الوليد بن مصعب وكان اتخذ بنى اسرائيل خولا فصنف منهم يبنون وصنف يحرثون ومن لا عمل له وظف عليه الجزية فرأى فى منامه أن نارا أقبلت من المقدس فأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل فسأل عن رؤياه فقيل يخرج من هذا البلد الذى جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يديه هلاك مصر فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى إسرائيل

فَنَهَضْتُ حِينَ سَجَا الدُّجَى : عَلَى مَا بِي مِنَ الوَجَى ؛ لأَرْتَادَ مُضِيفاً ؛ أَوْأَقْتَادَ رَغِيفاً : فَسَاقَنِي حَادِي السَّغَبِ ، وَالقَضَاءُ المُكَنَّى أَبَا العَجَبِ ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارٍ ، فَقُلْتُ عَلَى بِدَارٍ :

حُيِّيتُمُ يَا أَهْلَ هَذَا المَنْزِلِ وَعِشْتُمُ فِى خَفْضِ عَيْشٍ خَضِلِ

فجمع القوابل وعهد اليهن بذلك فذبح الولدان وعذب الحبالى حتى يطرحن مافى بطونهن حتى كاد يفنيهم فقيل له إنما هم خولك وإنك إن تفنهم ينقطع النسل فأمر بقتل الغلمان عاما ويستحيون عاما فولد هرون فى السنة التى يستحلون فيها وولد موسى فى السنه التى يقتلون فيها فلما وضعته أمه حزنت لنشأته فأوحى الله إليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى فعملت تابوتا وجعلته فيه وألقته فى اليم وقالت لأخته قصيه أى اقتفى أثره فحمله الماء حتى أدخله بين أشجار تحت قصر فرعون فخرج جوارى فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية امرأة فرعون وهى بنت مزاحم اسرائيلية فكشفت عنه التابوت فرأته فرحمته وأحذته وأخبرت به فرعون فأراد أن يذبحه وخشى ان يكون المولود الذى حزر منه فلم تزل به آسية حتى تركه لها وذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) فاللام من ليكون للعاقبة ولم يكن لفرعون ولد فاتخذه له ولدا فارتادوا له المرضعات فلم يقبل ثدى واحدة منهن ولما غاب أمره عن أمه كاد قلبها يطير وجداً عليه فبعثت أخته كأنها تلتمس رضاعه فلما رأت أسفهم عليه حيث لا يقبل على مرضعة وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم فقالوا لها دلينا على ذلك فذهبت فجاءت بأمه فلما رأته كادت لشدة حبها فيه وفرحها به أن تقول هو ابنى وتفتضح فعصمها الله من ذلك وذلك قوله تعالى (وأصبح فؤادأم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على على قلبها) فأعطته ثديها فأخذ يرضعه فربته فى قصر فرعون فلما تحرك عرضته آسية على فرعون فلما أخذه مد موسى يده إلى لحيته فنتفها فقال فرعون على بالذباحين فانما هو هذا فقالت آسية قرة عين لى ولك لا تقتلوه فانه صبى لا يعقل ودعت له بجمر وياقوت فطرح جبريل عليه السلام يده فى النار فوضعها موسى عليه السلام فى فمه فاحرقته فتركه فرعون فكبر فى حجره فلما ترعرع تبناه فكان يركب مراكبه ويلبس ملابسه ويدعى ابن فرعون ثم إن موسى عليه السلام أخبر أن فرعون قد ركب فركب أثره فأدركه ببلد منف فدخلها وقد أخليت لفرعون وليس فى طرقها أحد فرأى إسرائيلياً مع قبطى يقتتلان فاستغاثه الاسرائيلى فوكز القبطى فقضى عليه فكان من قصته معهما ماقص الله تعالى فى كتابه حتى خـــرج خائفايترقب إلى مدين وأما رجوعه منها إلى فرعون بأنه رسول الله إلى أن غرق فرعون فى البحر وجنوده فمذكور فى الثامنة عشرة

(نهضت) أى مشيت (سجا الدجى) سكن بالظلام وغطى كل شىء (الوجى) الحفاء (أرتاد) أطلب (مضيفا) منزلا واضافه أنزله وضافه نزل به فهو ضيفه أى النازل به (أقتاد) أقود (حادى السغب) سائق الجوع (حييتم) طابت حياتكم والتحية البقاء (خفض) لين وخفض عيشه حفضا إذا أخصب (خضل) ناعم وخضل الشىء يخضل خضلا ابتل (ابن سبيل) خاطر طريق وهو الغريب وسمى الغريب ابن السبيل لأنه إذا

ما عِندَكُم لابنِ سَبيلٍ مُرمِلِ ... نِضوِ سُرًى خابِطِ لَيلٍ أليَلِ
جَوِي الحَشى طَلّ الطَّوى مُشتَمِلِ ... ماذاقَ مُذ يَومانِ طَعمَ مأكَلِ
ولا لَهُ في أرضِكُم مِن مَوئِلِ ... وقد دَجا جُنحُ الظَّلامِ المُسبِلِ
وهوَ مِنَ الحَيرَةِ في تَمَلمُلِ ... فهَل بِهذا الرَّبعِ عَذبُ المَنهَلِ
يَقولُ لي ألقِ عَصاكَ وادخُلِ ... وابشِر بِبِشرٍ وقِرًى مُعَجَّلِ

قال: فَبَرَزَ إلَيَّ جَوذَرٌ، عليهِ شَوذَرٌ؛ وقال:

وحُرمَةِ الشَّيخِ الذي سَنَّ القِرى ... وأُسِّسَ المَحجوجِ في أُمِّ القُرى

ظهر على قوم لايعرفونه لم يعرف له نسب إلا السبيل الذى جلبه (مرمل) لا زاد له وأرمل القوم فنى زادهم
ومن أبيات اللغز فى ابن السبيل:

ونحن ابن من لا ينكر الناس فضله ... وليس له فى الناس من طالب وترا
فأن تحفظوا فينا أبانا خفقنا ... رعيتم وإلا أوقدت ناركم شرا

أى سبيتم فى كل مكان، كما قال الآخر:

وأنت الذى شيبتنى قبل شيبتى ... وأوقدت لى ناراً بكل مكان

ومنها أيضاً:

وأحياناً يكون كبير سن ... وأحياناً يكون من الشباب
ومنسوب إلى من لم يلده ... كذاك الله أنزل فى الكتاب

(نضو سرى) أى هزيل من مشى الليل فى الأسفار (خابط ليل) الذى يمشى فيه على غير هداية (أليل) شديد السواد (جوى الحشى) فاسد الجوف من الجوع وهو (الطوى مشتمل) منضم أى قد انضم جوفه على الجوع ففسدت احشاؤه (موئل) ملجأ من وألت إلى كذا أى لجأت (دجا) ألبس (جنح) سواد (المسبل) المطبق (تململ) تقلب وتوجع (الربع) المنزل (المنهل) موضع الماء. ويقال ألقى عصاه إذا ترك السير وأقام وروى الأصمعى عن بعض البصريين أنه قال سميت العصا عصا لأن اليد والأصابع تشتمل عليها ومن قول العرب عصوت القوم إذا جمعتهم على خير أو شر ويقال عصى بالسيف يعصى إذا ضرب به كما يضرب بالعصا
(بشر) طلاقة وجه (برز) خرج (جؤذر) ظبى وأصله ولد الغزالة (الشوذر) ثوب قصير (الشيخ الذى سن القرى) هو ابراهيم عليه السلام واختصه بلقب الشيخ لأنه أول من شاب ولما رأى الشيب قال يارب ماهذا فأوحى الله إليه ياإبراهيم هذا وقار فقال يارب زدنى وقاراً وشاب وهو ابن مائة وخمسين سنة وذلك أنه لما ولدت سارة إسحق قال الكنعانيون ألا تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاما فتبنياه فصور الله اسحق على صورة إبراهيم عليهما السلام فلم يفصل بينهما فوسم الله إبراهيم بالشيب (سن) ابتدأ وجعله سنة وهو أول من ضيف الضيف وأطعم المساكين وقص شاربه وقلم أظفاره واستحدوا ستاك وفرق شعره ومضمض واستنثر واستنجى بالماء (وأسس المحجوج) أى بنى أساس البيت الحرام (أم القرى) مكة (الطارق) الآتى بالليل

ما عندَنا لِطَارِقٍ إذا عَرَا ... سِوَى الحديثِ والمُناخِ في الذَّرَى
وكيفَ يَقرِي مَنْ نَفَى عنه الكَرَى ... طَوًى بَرَى أعظُمَهُ لمَّا انبَرَى
فما تَرى فيما ذَكَرْتُ ما تَرَى

فَقُلْتُ: ما أصنَعُ بمنزِلٍ قَفْرٍ،

(المناخ) موضع البروك (يقرى) يضيف (الكرى) النوم (برى أعظمه) أى أزال اللحم عنها (انبرى) اعترض وقال حبيب فى أن أول من قرى الضيف ابراهيم عليه السلام:

للجود سهم حين يقتسم العلا ... لا ربه المكدى ولا المسهوم
وبيان ذلك أن أول من قرى ... وحيا خليل الله ابراهيم

وقال أبو بحر صفوان بن إدريس فى فتى اسمه ابراهيم وذكر لفظ المقامات وأبدع ما شاء حيث قال:

أسمى من سن القرى رفقا بمن ... يفنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حسنك فاصطنعني إنه ... ضيف الهوى يستوجب الإكرام
لما نظرت نجوم خيلان بدت ... فى صحن وجنتك استفدت مقاما
أفنيت جسم الصب شوقا مثلما ... أفنى سميك قبلك الأصناما
يازهرة سكنت فؤادى غضة ... إنى تبوأت اللهيب كماما
حتى كأن الحب قال لأضلعى ... يا نار كن بردا له وسلاما

وقال أبو بكر بن ميمون فيما يتعلق بهذه النار

أبا قاسم والهوى جنة ... وإنى من حرها لم أفق
تقحمت جاحم نار الحشى ... وخضت بحار سواد الحدق
أكنت الخليل وكنت الكليم ... أمنت الجوى وأمنت الغرق

انظر إلى الأضياف فى الرابعة والأربعين (بمنزل قفر) كأن هذا المنزل هو الذى وصفه الآخر حيث يقول:

ليس إغلاقى لبابى أن لى ... فيه ما أخشى عليه السرقا
انما أغلقه كى لا يرى ... سوء حالى من يمر الطرقا
منزل أوطنه الفقر فلو ... يدخل السارق فيه سرقا

انما أخذ الحريرى هذا المعنى من قصة يزيد المدنى وكان من أهل الملح فاستضافه أعرابى فقال ما عندنا إلا الأسودان فقال الاعرابى خير كثير فقال لعلك تظنهما التمر والماء والله ماهما إلا الليل والحرة فلم يكن ليزيد دار إلا الحرة وهى أرض سوداء فيها حجارة سود وهى مقبرة المدينة والقبور المجصصة بالليل موحشة فما ظنك بقبور سود البناء فى أرض سوداء فى ظلمة الليل كيف حال من يكون هذا قراه فهذ البلاء أعرض

تزيد عن ضيافة الإعرابي ونحو هذا من أقوال المازحين قول أبي الشمقمق ويروى عن وهب عابد قرطبة :

برزت من المنازل والقباب ... فلم يعسر على أحد حجابى
فمنزلى الفضاء وسقف بيتى ... سماء الله او قطع السحاب
لانى لم أجد مصراع بيت ... يكون من السحاب إلى التراب
ولا انشق الثرى عن عود نحت ... أؤمل أن أشد به ثيابى
وفى ذا راحة وفراغ بال ... ولا خفت الهلاك على دوابى

وقال آخر :

ولما التمست الرزق فانجذ حبله ... فلم يصف لى من بحره العذب مشرب
خطبت من الأعدام أحدى بناته ... فزوجنيها الفقر إذ جئت أخطب
فأولدتها الحرب الشقى فما له ... على الأرض غيرى والدحين بنسب
فلو تهت فى البيداء والليل مسبل ... على جناحيه لما لاح كوكب
ولو خفت شرا فاستترت بظلمة ... لأقبل ضوء الشمس من حيث تغرب
ولو جاد انسان على بدرهم ... لرحت إلى رحلى وفى الكف عقرب
ولو تمطر الناس دنانير لم يكن ... بشيء سوى الحصباء رأسى تحصب
وان يقترف ذنبا ببرقة مذنب ... فانى برأسى ذلك الذنب يعصب
وان أر خيرا فى الأنام فنازح ... وان أر شرا فهو منى مقرب
أمامى من الحرمان جيش عرمرم ... ومنه ورائى جحفل حين أركب

وقال آخر :

لو ركبت البحار صارت أجاجا ... لا ترى فى متونها أمواجا
ولو أنى وضعت ياقوته حمراء فى راحتى لصارت زجاجا
ولو أنى وردت عذبا فراتا ... عاد - لاشك فيه - ملحا أجاجا

وقال آخر

ولو وردت البحار أطلب ماء ... جف قبل الورود ماء البحار
أو مسست العود النضير بكفى ... لذوى بعد بهجة واخضرار
أو رمى باسمى النجوم الدرارى ... لانزوى ضوءها عن الأبصار
ولو أنى بعت القناديل يوما ... أدغم الليل فى ضياء النهار

وقال شواش :

كسدت شواشينا وقل معاشنا ... فسعودنا مقرونة بنحوس
فكانما قطعت رؤس الناس أو ... خلقوا لشقوتنا بغير رؤس

قيل لأبى الشمقمق ابشر فانا روينا فى الحديث العارون فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فانشأ يقول :

أنا فى حال تعالى الله ربى أى حال

ليس لى شيء إذا قيل ... لك هـذا قلت ذالى
فأراضى الله فرشى ... والسموات ظلالى
ولقد أفلست حتى ... حل أكلى لعيالى

وَمُنْزِلِ حِلفِ فَقْر ، وَلَـكِنْ يا فَتَى ما اسْمك ؟ فقد فَتَنَنِي فَهْمُك فقال : اسْمِي زَيْد ، وَمَنْشَئِي فَيْد ،

من رأى شيأ محالا فانا عـــين المحال
لو بقى فى الناس حـر لم أكن فى مثل حالى

(منزل) اى مضيف (حلف) صاحب (منشىء) موضعى الذى نشأت فيه و (فيد) بلد مشهور فى نصف المسافة التى بين مكة وبغداد وفيها عين ماء وبنزلها عمال طريق مكة واهلها طيء وهم فى سفح جبلهم المعروف بسلمى وقدذكرها زهيرفى بوله :

ثم استمروا وقالوا أن مشربكم ماء بشرقى سلمى فيد أو ركل

قال الزجاجي سميت بفيد بن حام وهو اول من نزلها قال ويقول اهل العراق هى من قولهم فاذا الرجل يفيد فيدا إذا مات او من قولهم استفاد فائدة وقلما يقولون افاد فائدة والفيد ايضا نور الزعفران قال شيخنا ابن جرير رضى الله عنه إنه خرج من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضحوة يوم السبت الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين مع أمير الحج وصبحوا فيدا يوم الاحد فى اليوم الرابع عشر من خروجهم ثم وصفها فقال هى مصر كبير منفرج فى بسيط من الأرض ممتد حوله ربض لطيف بهسور عتيق وهو معمور بسكان من الاعراب يتعيشون من الحجاج فى التجارات والمبايعات وغير ذلك من المرافق وفيها ينزل بعض الحجاج بعض أزوادهم اعتداد الارمال من الزاد عند انصرافهم يتركونها عند معارفهم بها وهى نصف الطريق من بغداد إلى مكة أو أقل يسيرا ومنها إلى الكوفة إثنا عشر يوما فى طريق سهلة ودخلها أمير الحاج على تعبية وأهبة إرهابا للمجتمعين بها من الأعراب لئلا يداخلهم الطمع فى الحاج فهم لا يجدون اليهم سبيلا والمياه كثيرة فى آبارها تمدها عيون تحت الأرض وامتلأت أيدى الحاج القادمين من أغنام العرب بالمبايعة فلم يبق خيمة ولا ظلالة إلا وإلى جانبها كبش أو كبشان بحسب الوجد فعمت جميع المحلة الغنم واللبن والسمن والعسل فأكلوا واحتملوا وكان ذلك اليوم عيد للركب قال وبهذه المحلة العراقية وما انضاف اليها من الخرسانية والموصلية وسائر جهات الآفاق صحبة أمير الحاج جمع لا يحصى عددهم إلا الله تعالى يغص بهم البسيط الا فيح ويضيق بهم المهمة الضحضح فترى الأرض تميد بهم ميدا وتموج بجمعهم موجا فتصبر بهم بحرا طامى العباب ماؤه السراب وسفينة الركاب وشراعه الظلال المرفوعة والقباب يسير سير السحاب متدا خلا بعضها على بعض فتعاين تزاحما فى البراح المنفسح يهول ويروع واصطكا كالمبيع التجارات فيه فبعضها ببعض مقروع فمن لم يشاهد هذا السفر العراقى لم يشاهد عجبا يتحدث به ويتحف السامع بغرائبه والقدرة والقوة لله وحده وحسبك أن النازل فى منزل من هذه المحلة متى خرج لبعض حاجاته ولم يكن له دلالة على موضعه ضل وتلف وعاد منشودا بجملة الضوال وربما اضطر به الحال إلى الوصول لمضرب الأمير ورفع المسئلة اليه فيأمر أحد المنشدين ممن أعد لذلك أن يردفه خلفه على جمل ويطوف به المحلة مناديا باسم جماله وبلده إلا أن يؤذيه إلى رفقته وعجائب هذه المحلة كثيرة ولأهلها من اليسار مايعينهم على ماهم بسبيله وماذكرنا أمر هذه المحلة إلا ليستدل على أن فيها بلدا فى غاية القوة والعمارة حيث أمد هذا الجمع الـكثير والجم الغفير بما تقدم من أنواع الأرزاق وان قبائل طي متوفرة بحيث تطلع إلى الغارة

وَوَرَدْتُ هذه المَدَرَةَ أَمْسِ ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ ، فَقُلْتُ له : زِدْنِي إِيضَاحاً عِشْتَ وَنُعِشْتَ ، فقال : أَخْبَرَتْنِي أُمِّي بَرَّةُ ، وهِيَ كَاسْمِهَا بَرَّةٌ ، أَنَّها نَكَحَتْ عَامَ الغَارَةِ ، بِمَاوَانَ ، رَجُلاً مِنْ سَرَاةِ سَرُوجَ وغَسَّانَ ، فَلَمَّا آنَسَ مِنْها الإِثْقَالَ وكَانَ بَاقِعَةً عَلَى ما يُقَالُ ، ظَعَنَ عَنْهَا سِرًّا ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، فَمَا يُعْرَفُ أَحَيٌّ هُوَ فَيُتَوَقَّعُ ، أَمْ أُودِعَ اللَّحْدَ البَلْقَعَ ، قالَ أَبو زَيْدٍ : فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ العَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي وَصَدَفَنِي عَنِ التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ صَفَرُ يَدِي فَفَصَلْتُ عنه بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ ودُمُوعٍ مَفْضُوضَةٍ ، فَهَلْ سَمِعْتُمْ يا أُولِي الأَلْبَابِ بِأَعْجَبَ مِنْ هذا العُجَابِ ، فَقُلْنا لَا وَمَنْ عنده عِلْمُ الكِتَابِ ، فقال أَثْبِتُوها في عَجَائِبِ الاتِّفَاقِ وخَلِّدُوها بُطُونَ الأَوْرَاقِ ، فَمَا سُيِّرَ مِثْلُها في الآفَاقِ ، فَأَحْضَرْنا الدَّوَاةَ وأَسَاوِدَها ، وَرَقَشْنا الحِكَايَةَ على ما سَرَدَها ، ثم اسْتَبْطَنَّاهُ عَنْ مُرْتَآهُ ، في اسْتِدْعَامِ فَتَاهُ . فقال : إِذا ثَقُلَ رُدْنِي ، خَفَّ عَلَيَّ أَنْ أَكْفُلَ ابْنِي ، فقُلْنا : إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ نِصَابٌ مِنَ المَالِ ، أَلْفَيْنَاهُ لك في الحَالِ . فقال : وكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي نِصَابٌ ، وهل يَحْتَقِرُ قَدْرَهُ ، إِلَّا مُصَابٌ ؟ قال الرَّاوِي : فَالْتَزَمَ منه كُلٌّ مِنَّا قِسْطاً ، وكَتَبَ له به قِطًّا ، فَشَكَرَ عند ذَلِكَ

على مثيل هذه المحلة والملك لله وحده مفنى الجميع بعد كمال العدة (وردت) أى أتيت (المدرة) البلد (عبس) قبيلة (إيضاحا) بيانا (نعشت) جبرت (برة) الأولى اسمها والثانى صفتها يريد أنها مكرمة كثيرة البر (نكحت) تزوجت (عام الغارة) أى عام أغار عليهم عدوهم (ماوان) بلدة (سراة) سادة (آنس) أبصر (الاثقال) الامتلاء بالولد (باقعة) داهية ويقال إنه الذى جال بقاع الارض وعرف خيرها وشرها ، قال ابن الانبارى رحمه الله : فلان باقعة أى داهية حذر محتال حاذق والباقعة عند العرب الطائر الحذر المحتال الذى يشرب الماء من المناقع ولا يرد المشارع والمياه المحصورة خوفا من أن يحتال عليه فيصطاد ثم شبه به كل حذر محتال (هلم جرا) معناه إلى الان قال ابن الانبارى هلم جرا سيروا على هينتكم أى تثبتوا على سيركم ولا تجهدوا أنفسكم ولا تشقوا عليها ، أخذ من الجر فى السوق وهو أن تترك الغنم والبقر ترعى فى السير وينتصب جرا فى قول الكوفيين على المصدر لأن فى هلم معنى جر وفى قول البصريين هو مصدر فى موضع الحال تقديره هلم جارين أى مستثبتين قياسا على جاء عبد الله مشيا وأقبل ركضا وجاء وأقبل عند الكوفيين بمعنى مشى وركض وقال بعضهم ينصب على التمييز (يتوقع) ينتظر (أودع) أدخل (اللحد البلقع) اللحد الخالى (صدفنى) أمالنى (التعرف) أن يعرفه أنه أبوه (صفر يدى) فراغها من الدراهم (فصلت) زلت (مرضوضة) مدقوقة مكسورة (مفضوضة) مفترقة (أولى الألباب) أهل العقول (العجاب) مبالغة فى العجب (خلدوها) أى اثبتوا سكنها (الآفاق) البلدان وجهات الأرض جميعا (أساودها) أقلامها (رقشنا) كتبنا (على ما سردها) أى كما حكاها وتكلم بها (استبطناه) سألناه وطلبنا منه معرفة باطنه (مرتآه) رأيه وغرضه (ردنى) كمى (أكفل) أضم (نصاب) عشرون دينار (ألفناه) جمعناه (يقنعنى) يكفينى (مصاب) مجنون (قسطا) أى نصيبا (قطا) كتابا

الصُّنْعَ ، واسْتَنْفَدَ فى الثَّناء الوُسْعَ ، حتّى إنّنا استَطَلْنا القَوْل ، واستَقْلَلْنا الطَّوْل ؛ ثمّ إنّه نَشَرَ مِن وَشْيِ السَّمَر ، ما أزْرَى بالحِبَر ، إلى أنْ أظلَّ التَّنويرُ ، وجَشَرَ الصُّبْحُ المنيرُ ، فقضَيْناها ليلةً غابَتْ شَوائبُها ، إلى أن شابَتْ ذَوائبُها ، وكَمُلَ سُعُودُها ، إلى أن انفَطَرَ عُودُها ، ولما ذَرَّ قَرْنُ الغَزالَة ، طَمَر طُمورَ الغَزالة ، وقال : انْهَضْ بِنا لِنَقْبِضَ الصِّلاتِ ، ونَسْتَنِضَّ الإحالاتِ ، فقد استطارَتْ صُدُوعُ كَبِدِي ، مِنَ الحَنِينِ إلى وَلَدِي ؛ فوصلْتُ جَناحه ، حتّى سَنَّيْتُ نَجاحَه ؛ فحِين أحْرَزَ العَيْن فى صُرَّته ، بَرَقَتْ أساريرُ

(الصنع) الفعل الجميل (استنفد) استتم (الوسع) الطاقة ووسع الرجل قدر مايجد من مال أوكلام أو غير ذلك وهو من السعة أى أثنى غاية ما يمكنه من الثناء (استطلنا) استكثرنا ووجدناه كثيرا طويلا والطول الأنعام والفضل أى رأينا ما أنعمنا به عليه قليلا (الوشى) ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير (الحبر) ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة والحبر تصنع باليمن تشبه حسن حديثه بالوشى وإنما شبه بالحبر لحسن فنونه وقال ابن الرقاق وكأنه وصف الليلة والعجاب الذى سامرهم أبو زيد وزاد عليه بالشجاعة :

لله ليلتنا التى استجديها قلق الصباح لسرية الاظلام
طرأت على مع النجوم بأنجم من فتية بيض الوجوه كرام
إن حورِبوا فزعوا إلى بيض الظبا أوخوطبوا فزعوا إلى الاقلام
فترى البلاغة إن نظرت إليهم والبأس بين براعة وحسام

(جشر) طلع (قضيناها) أتممناها (شوائبها) ما ينكدها ويكدرها (الذوائب) الشعر الطويل الأسود وأراد به ظلام الليل وجعل فيه بياض الصبح بمنزلة الشيب فى سواد الشعر قال ابن دريد :

أما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى

انفطر) انشق وطلع (عودها) بياض صبحها ويقال انفطر القضيب إذا بدا نبات ورقه وقال امرؤ القيس كخر عوبة البانة المنفطر (قرن الغزالة) شعاعها وحاجبها والغزالة من أسماء الشمس وأسماؤها كثيرة ذكرها يعقوب وغيره وذكر منها عشرة خمسة بالهاء وهى الغزالة والخارجة والجونة ومهاة والهة وخمسة بغير الهاء وهى الشمس والسراج والصبح وذكاء وبوح (طمر) وثب (الغزالة) الظبية (انهض) أى قم (الصلات) العطايا (نستنض) نستحضر والناض المال الحاضر (الاحالات) الديون التى وعدوه بها (استطارت) توسعت وانتشرت (صدوع) شقوق (الحنين) الشوق والرحمة (وصلت جناحه) أى مشيت معه ويدى فى يده وجناح الرجل يده (سنيت) يسرت (نجاحه) قضاء حاجته (أحرز العين) حصل المال (صرته) خرقة دراهمه (برقت) لمعت (أسارير) طرق الوجه ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تبرق أسارير وجهه ويقال لها الأسرة ويقال لخطوط الكف الأسرة ويقال جمعهما التهامى فى لفظ واحد فى قوله :

يبدى أسرة وجهه ويمينه فى ساعة الاعسار والايسار

مَسَرَّته ، وقال لي جريتَ خيراً عن خُطا قدمَيك ، واللهُ خليفتي عليك ؛ فقلتُ : أريدُ أن أتبعَك لأُشاهدَ وَلَدَكَ النَّجيب ، وأنافِثَهُ لِكَيْ يُجيب ، فنظرَ إليّ نظرةَ الخادعِ المَخدُوعِ ، وضحِكَ حتّى تغرغَرتْ مُقلتاهُ بالدُّموعِ ؛ وأنشد :

يا من تَظنّى السَّرابَ ماءً   لمّا رَوَيتُ الذي رَوَيتُ
ما خِلتُ أن يَستَسِرَّ مَكرى   وأنْ يُخيلَ الذي عَنَيتُ
واللهِ ما بَرّةٌ بعرسي   ولا لِيَ ابنٌ بهِ اكتَنَيتُ
وإنّما لِي فنونُ سِحرٍ   أبدعتُ فيها وما اقتَدَيتُ
لم يَحكِها الأصمعيُّ فيما   حكى ولا حاكَها الكُمَيتُ

(مسرته) سروره أراد انطاق وجهه سرورا بالمال (خطا) مشى (النجيب) الجيد العقل الكريم الأصل (قوله أنافثه) أى أكاه (تغرغرت) امتلأت (تظنى) حسب (خلت) حسبت (يستسر) يخفى (مكرى) خدعى (يخيل) يلبس ويشبه (عرسى) زوجتى (فنون) أنواع (أبدعت فيها) أحدثتها ولم أقتد بغيري فيها (يحكها) يحدث بها (حاكها) نسجها وقال الأصمعى مثلها وذلك مذكور فى المقامة الأربعين ..وأما الكميت الشاعر فهو ابن زيد الأسدى وهو شاعر مجيد مكثر جدا وديوان شعره مستعمل مشهور ولما قال قصائد الهاشميات قصد البصرة فأتى الفرزدق فقال ياأبا فراس أنا ابن أخيك فقال وما أنت فانتسب له قال صدقت وما حاجتك قال أنت شيخ مضر وشاعرها وأحببت أن أعرض عليك ما قلت فان كان حسنا أمرتنى باذاعته وأن كان غير ذلك أمرتنى بستره قال ياابن أخى : أحسب شعرك على قدر عقلك فقل راشدا فأنشده :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب   ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

قال بلى فالعب فأنشده :

ولم تلهنى دار ولا رسم منزل   ولم يتطربنى بنان مخضب

قال لم يتطربك إذا فقال :

ولا أنا ممن يزجر الطير همه   أصاح غراب أم تعرض ثعلب

قال أنت من ويحك وإلى من تسمو قال :

ولا السانحات البارحات عشية   أمر صحيح القرن أم مر أعضب

قال أما هذا فقد أحسنت فيه قال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى   وخير بنى حواء والخير يطلب

قال فمن هم ويحك فقال :

إلى النفر البيض الذين بحبهم   إلى الله فيما نابنى أتقرب

فقال أرحنى ويحك من هؤلاء فقال :

بنى هاشم رهط النبى فاننى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

فقال لله درك يابنى فقد أصبت وأحسنت إذ عدلت عن الزعانف والأوباش ، إذن لا يصرد سهمك ولا يثلب قولك ثم مر فيها فقال أظهر وأشهر فانت أشعر من مضى وأشعر من بقى فحينئذ قدم المدينة فأتى عبدالله بن الحسين فأنشده فقال ياأبا المستهل إن لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينا وهذا كتابها وقد أشهدت لك بها شهودا فقال بأبى أنت وأمى كنت أقول الشعر لغيركم أريد به الدنيا والمال ولا والله ماقلت فيكم شيأ إلا لله وما كنت لآخذ فى شيء جعلته لله ثمنا فلما أبى عليه أخذ مئزره فدفعه إلى أربعة غلمان فجعل يدور به دور بنى هاشم ويقول هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم وعرض دمه لبنى أمية فأثيبوه بماقدرتم فاجتمع له من حلى النساء ومن الدنانير والدراهم ماقيمته مائة ألف درهم فجاء بها إلى الكميت فقال ياأبا المستهل أتيناك بجهد المقل ونحن فى دولة عدونا فاستعن بهذا على دهرك فقال بأبى أنت وأمى قد أكثرتم وأطبتم وما أردت بمدحى إياكم إلا الله فاردده إلى أهله فجهد به كل حيلة فأبى فقال أما إذا أبيت أن تقبل فان رأيت أن تقول شعرا تغضب به بين النزارية والتميمية لعل فتنة تحدث فتخرج بين أضغانها فقال قصيدته التى أولها :

الاحييت عنا يامزينا وهل باس فقول المسلمينا

فعرض فيها وصاح باليمن فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم مثل قوله :

لنا قمر السماء وكل نجم تشير إليه أيدى المهتدينا
وما ضربت هجان بنى نزار هوانج من فحول الأعجمينا
وما حملوا الحمير على هجان مضمرة فيلفوا مبغلينا

ومشت فى العرب ، فافتخرت نزار على اليمن واليمن على نزار وثارت العصبيه فى البادية والحاضرة وتحزب الناس فتعصب مروان بن محمد لقومه من نزار على اليمن فانحرفت عنه إلى الدعوة العباسية وكان الكميت سبب ذلك وكان لامتداحه بنى هاشم وتعريضه ببنى أمية يطلبه خلفاء بنى أمية فهرب منهم عشرين سنة فجد هشام بن عبدالملك فى طلبه ولم يجده ولم يستقر للكميت قرار من خوفه وكان لمسلمة بن عبد الملك حاجـــة عند هشام يقضيها له لا يرده فيها فخرج مسلمة لبعض صيوده فأتاه الناس يسلمون عليه فأتاه الكميت ومسلمة لا يعرفه فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد :

قف بالديار وقوف زائر وتأن إنك غير صاغر

حتى انتهى إلى قوله:

علقت حبالى من حبا لك ذمة إنك الجار المجاور
فالآن صرت إلى أمية والأمور لهـــا مصاير
والآن كنت به المصـ ـيب كمهتد بالأمس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الذى أقبل من أخريات الناس ثم بدأنا بالسلام ثم قال أما بعد ثم بدأنا بالشعر؟

تَخِذْتُهَا وُصْلَةً إلى ما تَخْفِيهِ كَفِّي مَتَى اشْتَهَيْتُ
ولو تَعَافَيْتُهَا لَحَالَتْ خَالي وِذا أَحْوَ ما حَوَيْتُ
فَمَهِّدِ العُذْرَ أوْ فَسَامِحْ إنْ كُنْتُ أَجْرَمْتُ أوجَنَيْتُ

ثم إنه ودَّعنى ومَضَى ، وأَوْدَعَ قلبى جَمْرَ الغَضَا

قيل الكميت فأعجب بفصاحته فسأله عما كان فيه من طول غيبته فذكر له سخط هشام عليه فضمن له أمانه وتوجه به حتى أدخله على هشام وهشام لا يعرفه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال هشام نعم الحمد لله من هذا قال الكميت : مبتدىء الحمد ومبتدعه الذى خص بالحمد نفسه وأمر به ملائكته وجعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره وكلام أهل جنته أحمده حمد من علم يقينا وأبصر مستبينا وأشهد بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده العربى ورسوله النبى الأمى الذى أرسله والناس فى سنوات حيرة ومدلهمة ظلمة عند استقرار أبهة الضلالة فبلغ عن الله ما أمر به حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم . ثم انى ياأمير المؤمنين تهت فى حيرة وحرت فى سكرة أهاب بى داعيها فأجابه عاويها فاطوطبت فى الضلالة حائدا عن الحق قائلا بغير الصدق ، فهذا مقام العائذ بك ومنطق التائب ومبصر الهدى بعد طول العمى يا أمير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ومجترم عفوتم عن جرمه فقال هشام وقد علم أنه الكميت من سن لك هذه الغواية واهاب بك فى العماية قال الذى أخرج آدم من الجنة فنسى ولم يجد له عزما وأنت يا أمير المؤمنين اضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها فبصرت وحقن بك دماء قوم أشرب خوفك قلوبهم لما يعلمون من حزمك وعزمك وبصيرتك وعز بأسك وثبات جأشك وأنت مستغن برأيك عن رأى ذوى الألباب برأى أريب وحلم مصيب فأطال الله لأمير المؤمنين البقاء وأتم عليه النعماء ودفع به الأعداء ، فرضى عنه وأمر له بمال كثير ، فهذا منزلة الكميت من الشعر والخطابة

(حاكها) أى نسجها يريد أن الكميت ممن يصنع الشعر ولا يقوله على طبعه فلذلك قال حاكها ، وسأل بعض الخلفاء جريرا عن النابغة وزهير فقال ينيران الشعر ويسديانه والعلماء بالشعر يسمون صناع الشعر عبيد الشعر مثل زهير وابنه كعب والحطيئة وعدى بن الرقاع والكميت (تخذتها) اتخذتها يقال تخذ يتخذ بمنزلة اتخذ يتخذ وخفف منه حذفوا الف الوصل من اتخذ والتاء الأولى الساكنة التى هى فاء الفعل فبقى تخذ ومثله اتقى يتقى وتقى يتقى حذفت ألفه وتاؤه الأولى وليس يطرد هذا التخفيف وإنما جاء فى اتخذ واتقى واتجه واتسع فقالوا تقى وتخذ وتجه وتسع (وصلة) أى مرصلة (تعافيتها) تكارهتها وهى تفاعلت من عفت الشيء أعافه عيافا أى كرهته (حالت) تغيرت (أحوى) أجمع (مهد) اقبل وسهل (اجرمت) اذنبت لنفسى (جنيت) اذنبت لغيرى أراد أن كان عذرى بينا فاقبله وإن كنت ظالما فتجاوز واسمح (أودع) ضمن وجعل فيه (الغضى) شجر جمره يثبت فى النار

المقامة السادسة المراغية

رَوَى الحَارِثُ بنُ هَمَّام قال : حَضَرْتُ دِيوانَ النَّظَرِ بالمَرَاغة ، وقد جَرَى بهِ ذِكْرُ البلاغة ؛ فأجمعَ من حَضَرَ من فُرْسانِ اليَرَاعَة ، وأرباب البَرَاعَة ، على أنَّه لم يَبْقَ مَن يُنقِّحُ الإنشاء ، ويَتَصرَّفُ فيه كَيفَ شاء . ولا خَلَفَ بعد السَّلَف ، مَن يَبْتَدِعُ طَرِيقةً غَرَّاء أو يَفتَرِعُ رِسالةً عَذْراء وأنّ المُفلِقَ مِن كُتَّاب هذا الأوان ، المتمكنَ مِن أزِمَّةِ البيَان ، كالعِيالِ على الأوائل ، ولو مَلَكَ فَصاحةَ سَحْبانِ وائِل . وكانَ بالمَجلِسِ كَهْلٌ جالسٌ في الحاشيَةِ ، عند مَوَاقِفِ الحَشيَة ، فكانَ كُلَّما شَطَّ القَوْمُ في شَوْطِهِمْ ، ونَثَرُوا العَجْوَةَ والنَّجْوَةَ مِن

شرح المقامة

(ديون النظر) أى مجلس المناظرة (المراغة) بلدة من كور أذربيجان (اليراعة) القلم قبل أن يبرى ويسوى فاذا برى وسوى قيل له قلم وبق عليه الاسم الأول وهو اليراعة واليراع القصب (أرباب البراعة) أصحاب أصالة الرأى والبارع الأصيل الجيد الرأى ويقال برع يبرع بروعا وبراعة إذا فاق (ينقح) يحسن ويخلص (الانشاء) الكتابة (خلف) بقى (السلف) المتقدمون وسلفوا ذهبوا وتقدموا (يبتدع) يحدث (طريقة) حالة موصوفة وطريقة فلان كذا أى حالته التى هو عليها (غراء) واضحة مشهورة لم يقل أحد مثلها وغرة الشىء أوله (يفترع) يفتض (عذراء) بكرا سميت عذراء لصعوبة جماعها وتعذر الشىء تصعب وافتراع البكر ادماؤها وإزالة ما تصعب منها وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته فمعنى يفترع رسالة عذراء أى يأتى برسالة قد تصعب طريقها على غيره فاقتدر هو على سلوك طريقها والاتيان بها (المفلق) الفصيح المعرب الذى يأتى بالفلق وهو الشىء العجيب (الأوان) الوقت (العيال) من يتكل فى مؤنته على غيره ولا يقوم بنفسه وعال الرجل عيلة إذا افتقر وعلته عولا قمت بمؤنته فيريد أن كتاب هذا الزمان عيال على من تقدمهم حيث افتقروا إلى الأخذ من كلامهم ، وقد وعدنا أن نذكر سحبان فيما يأتى إن شاء الله تعالى (الكهل) التام الخلق بين الشاب والشيخ (الحاشية) طرف المجلس (الحاشية) الثانى الاتباع وخدمة القوم وأصلها رذال المال وصغار ، وقال يعقوب : الحاشية والحواشى والحشو صغار الابل وأنشد : جللتها والاخر الحواشيا

(شط) جرى (شوطهم) طلقهم (نثروا) القوا عليها (العجوة) الثمرة الطيبة (والنجوة) الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور وما وجدت فى كتاب لغة أن النجوة اسم للتمرة الرديئة وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث فى كل كتاب فيه ذكر النخل والتمر فاخبرنى أنه ما وجد لها ذكرا وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم فى التمر الردىء لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده لأن البصرة أكثر بلادالله نخلا فيسمون كل نوع من التمر باسم والتمر تكثر أنواعه عندهم ورأيت أكثر أهل سجلماسة لا يكادون يحصون أنواعه لكثرتها ورأيت بها نوعا من التمر زعموا أنه لا يطيب أبدا وإنما حاله أن ينكمش على نواه فلا تجد إلا جلدا يابسا على النواة فيعلفونه المعز فيحتمل أن يكون مثل هذا فى نخل البصرة يسمى

نَوطِهِمْ ، يُنْبِيءُ تخازُرُ طَرْفِه ؛ وتَشامُخُ أنفِه ، أنَّه مُخْزَنبِقٌ لِيَنْباع ومُجْرَمِزٌ سَيَمُدُّ الباع ، ونابِضٌ يَبْرِي النبالَ ورَابِضٌ يَبْغِي النِّضال ؛ فَلمَّا نُثِلَتِ الكنائِن ، وفاتتِ السَّكائِن ، ورَكَدَتِ الزَّعازِع ، وكَفَّ المُنازِع وسَكَنتِ الزَّماجِر ؛ وسَكَتَ المَزْجُورُ والزَّاجِر ، أقبلَ عَلَى الجَماعةِ وقال : لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدًّا ، وجُرْتُمْ عنِ القَصْدِ جِدًّا وعَظَّمْتُمُ العِظامَ الرُّفات ، وافْتَتُّم فِي المَيْل إلى مَنْ فَات ، وَغَمَصْتُمْ جِيلَكُمُ الذين فِيهِمْ لَكُمُ اللِّدات ، ومعهم انعقدتِ المَودَّات ، أنَسِيتُمْ يا جَهابِذةَ النَّقْد ، ومَوابِذةَ الحَلِّ والعَقْد ،

نجوة ويقابل بالعجوة التي هي أشرف التمر وأطيبه وأما من فسر النجوة هنا بالمرتفع من الأرض فلا معنى له . الفنجديهي : النجوة قيل انها لفاظة التمر إذا سقطت لا يبالي بها فان صحت روايتها فكأنها سميت بالنجوة التي هي العذرة (نوطهم) وعاء تمرهم قال أبو حنيفة النوطة الحلة الصغيرة من حلال التمر والحلة الوعاء الذي يكنز فيه التمر وكل وعاء له علاقة فهو نوطة والجمع نوط وقد ناطه ينوطه إذا علقه فأراد ألقوا الكلمة الجيدة والرديئة من كلامهم (ينبيء) يخبر (تخازر طرفه) كسر عينه بالنظر وتخازر نظر بمؤخر عينه وهو نظر المنكر للشيء (تشامخ) ارتفاع وهو فعل المستحقر للشيء (مخزنبق) متهيء (لينباع) لينهض وفسره أبو عبيد في الامثال فقال المخزنبق المطرق الساكت لينباع ليثب إذا أصاب فرصة قال ومعناه أنه سكت لداهية يريدها وقيل المخزنبق الساكت على السوء لينباع ليظهر الذي في ظنه من الشر (مجرمز) مقبض وهو كقول النابغة :

وقلت ياقوم إن الليث منقبض   على براثنه للوثبة الضاري

فأخذه ابن الرومي فقال :

سكن سكونا كان رهنا بوثبة   عماس كذاك الليث للوثب يلبد

(نابض) رام ويقال أنبض القوس إذا جذب وترها ثم أطلقه لتخبر شدتها ونبض العرق تحرك فيكون نابض على النسب وعلى حذف الزائد ، الفنجديهي : أورد أبو الحسين بن فارس اللغوي في كتاب المجمل أن نبض لغة في انبض وهما بمعنى واحد قال الشاعر :

فان أباها مقسم بيمينه   لئن نبضت كفي فاني لنابض

فصح بهذا قوله (رابض) لاطيء بالأرض وربضت الشاة اضطجعت (يبغي النضال) أي يطلب المراماة وأراد أنه يريد أن يلقي عليهم المسائل ليجاوبوه (نثلت) أي نفضت وصب مافيها (الكنائن) الجعاب وهي أوعية السهام (فاتت) رجعت (السكائن) جمع سكينة وهو الوقار يريد أنم أهل المجلس كلامهم فسكتوا (ركدت) سكنت (الزعازع) الرياح الشديدة المزلزلة واحدها زعزع (كف المنازع) أمسك المخالف يريد انقطع كلامه (إدا) أمراً فظيعاً منكراً (جرتم عن القصد) خرجتم عن الاستقامة (جداً) كثيراً (الرفات) البالية (افتتم) فعلتم مالا يجب وتجاوزتم فيه ويقال افتات الرجل افتعل من الفوات وفات ذهب وعدم (غمصتم) حقرتم وغطيتم (جيلكم) أهل عصركم (اللدات) جمع لدة وهو الذي ولد معك (جهابذة) حذاق الواحد جهبذ (النقد) معرفة الكلام نقدة ميزه وأصله من ميز الدراهم الجيدة من الرديئة (موابذة) حكام والموبذ الكثير الجاه من الفرس

ما أبرزته طوارف القرائح ، وبرز فيه الجذع على القارح ، من العبارات المهذبة ، والاستعارات المستعذبة ، والرسائل الموشحة ، والأساجيع المستملحة ، وهل للقدماء إذا أنعم النظر من حضر ، غير المعاني المطروقة الموارد ، المعقولة الشوارد ، المأثورة عنهم لتقادم المولد ، لا لتقدم الصادر على الوارد . وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ وشى ، وإذا عبر حبر ، وإن أسهب أذهب ، وإذا أوجز أعجز ، وإن بده شده ، ومتى اخترع خرع ... فقال له ناظورة الديوان

مثل الوزير والقائد (أبرزته) أظهرته (طوارف) جديدات وغريبات (القرائح) الاذهان (برز) غلب (الجذع) من الخيل ابن سنتين (القارح) ابن خمس أي غلب فيه الحديث العصر القديم (عبارات) جمع عبارة وهي التفسير وعبرت عن فلان تكلمت عنه وكنت لسانه (المهذبة) المخلصة من العيب (استعارة) أن تعير اللفظ ما يستحقه غيره وهي من العارية (الموشحة) المزينة (الاساجيع) جمع أسجوعة وهي الكلام المربوط بقافية (أنعم) بالغ (المطروقة) التي نزل عليها (المعقولة) المربوطة (الشوارد) الفارة يقول ليس للقدماء إلا المعاني التي قصدها المتأخرون كما قصدها المتقدمون وقيدها المتأخرون بالكتاب كما قيدها المتقدمون فكان تقيدها سببا لأن مشت في الأقطار فعرفت وحفظت (المأثورة) المحدث بها (الصادر) الخارج عن الماء (الوارد) الداخل اليه وذكرهنا أن الصادر يتقدم الوارد وذلك أنا إذا فرضنا موضعا مالا يمكن وروده إلا واحدا بعد واحد فالصادر يسبق الوارد على ماذكره في المقامة قال الحريري في درة الغواص : إن الخواص يقولون هذا أمر يعرفه الصادر والوارد ، ووجه الكلام أن يقال الوارد الصادر لأنه مأخوذ من الورد والصدر ولما كان الورد يتقدم الصدر وجب أن يتقدم لفظ الوارد على الصادر وهذا كما ترى على أن الورد يتقدم على الصدر في حق واحد ويقال يرد الماء ثم صدر عنه وأما في حق اثنين كما قدمناه كما ذكر هو في هذه المقامة فالصادر يتقدم الوارد وقول الناس هذا أمر يعرفه الصادر والوارد في حق اثنين فهم فيه على صواب ، ومحال أن يكون المثل في حق واحد لأن الشيء لا يعطف على نفسه ولو كان الوارد على زعمه يتقدم الصادر لجاز تقديم الصادر عليه لأن الواو لا تعطى رتبه يقول لا تتحدث بكلمهم ونظمهم ونثرهم لفضلهم علينا ولكن لسبقهم لنا (أنشأ) كتب (وشى) زين ورقم (عبر) تكلم أو فسر (حبر) حسن (أوجز) اختصر (أعجز) أي عجز عن فعله غيره (أسهب) أطال الكلام (أذهب) جاء بالذهب وأصل أسهب حفر بئرا بعيدة القعر وأذهب صادف معدن الذهب في حفير (بده) ارتجل ولم يتفكر (شده) حير من يتعاطى منزلته (اخترع) قال مالم يسبق إليه (خرع) شقق المعاني (ناظورة) أي كبير القول ومقدمهم الذي ينظرون إليه (الديوان) دار الكتاب وموضع اجتماعهم والديوان الزمام يكون فيه أسماء الجند وأرزاقهم وأصله دوان فقلبت واوه الأولى ياء لانكسار ماقبلها ودل عليه دواوين في جمعه وهو اسم أعجمي عرب والأصل في تسميته أن كسرى أمر الكتاب أن يجتمعوا له في دار ويعملوا حساب السواد في ثلاثة أيام وأعجلهم فيه فأخذوا في ذلك وأطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر إليهم يحسبون بأسرع ما يمكن وينسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال أرى ديوانه ومعناه شياطين ثم سمى موضعهم ديوانا ثم استعمله العرب وجعل

وَعينْ أُولئك الأعْيان : مَن قارعُ هَذِي الصَّفاة وقَرِيعُ هَذه الصِّفَات . فقال : إنَّه قِرْنُ مُجالِك ، وقَرِينُ جِدَالِك . وإذَا شِئْتَ ذَاكَ فَرِضْ نَجِيباً وَادْعُ مُجِيباً لِتَرى عَجِيباً ، فقال له : يا هـذا إنَّ البُغَاثَ بأَرْضِنا لا يَسْتَنْسِر ، والتَّمييزَ عِنْدَنا بَيْنَ الفِضَّة والقَضَّة مُتَيَسِّر ، وقَلَّ مَن استهدفَ للنِّضال ، فخَلَصَ مِنَ الدَّاء العُضَال أو اسْتَثارَ نَقْعَ الامتِحانِ ، فلم يُقْذَ بالامتِهانِ ، فلا تُعَرِّضْ عِرْضَكَ للمَفاضِح ولا تُعْرِضْ عن نَصاحَةِ النَّاصِح ، فقال : كلُّ امْرِيء أعْرَفُ بِوَسْمِ قِدْحِه ، وسَيَتفرَّى اللَّيلُ عَن صُبْحِه . فَتَناجَتِ الجماعَةُ فيما يُسْبَرُ بِهِ قَلِيبُه ، فقال أحدُهم ذَرُوه فى حِصَّتِى ، لأَرْمِيَهُ بِحَجَرِ قِصَّتِى ، فإنَّها عُضْلَةُ العُقَد ، وَمِحَكُّ

كل محصل من كلام أو شعر ديوان (قارع) ضارب وكاسر (الصفاة) الصخرة الملساء استعارها للصعب من الكلام (قريع) سيد (الصفات) النعوت التى تقدم أنه يعرف بفعلها (قرن مجالك) صاحب كلامك الذى تجول فيه يعنى نفسه (قرين جدالك)صاحب مجادلتك والقرن بالكسر الذى يماثلك فى شدة أو خصام او علم وإن لم يكن بينكما معرفة وقرينك صاحبك الذى لا يفارقك كأن قرن معك والمجال الموضع الذى تراض فيه الخيل (رض) سس ولين (النجيب) الفحل الكريم من الإبل وعنى نفسه (ادع مجيباً) يقول سسنى ثم ادعنى أستجب لك (ترى عجيباً) فى حسن جوابى (البغاث) صغار الطير (يستنسر) يصير نسراً يقول نحن أهل علم ومعارف فلا تجوز علينا المخاوف والعرب تقول فى أمثالها إن البغاث فى أرضنا يستنسر أى يرجع الضعيف قوياً لعزنا وحمايتنا له ممن يريده وقيل فى البغاث إنه ذكر الرخم وقيل البغاث كل مايصاد من الطير والجوارح كل ما يصيد والرهام مالا يصيد ولا يصاد كالخطاف وغيره (القضة) الحصى البيض الصغار ويقال جاء بالقض والقضيض بالقاف والضاد ومعناه جاء بالكبير والصغير والقضيض صغار الحصى وما تكسر منه وقالوا جاؤا قضهم بقضيضهم أى كلهم (استهدف) صار هدفاً وهو الغرض للسهم (النضال) المراماة (العضال)الذى لا يبرأ منه (استثار) حرك (نقع) غبار(الامتحان) الاختبار (يقذ) يقع فى عينه القذى وهو مايسقط فى العين يقول من صار غرضاً للالسنة قل أن يسلم ومن صار طالباً المناظرة أهل المعارف أهين وأفحم (المفاضح) المخزيات واشتهار العيوب (وسم) علامة (قدحه) سهمه يريد قداح الميسر وكان كل رجل يعمل فى قدحه علامة يعرف بها قال دريد بن الصمة وأصغر من قداح النبع فرع به علمان من عقب وضرس
الضرس العض بالضرس ، وسنذكر فى الثالثة والأربعين قداح العرب (سيتفرى) سيتكشف (تناجت) أى تحدثت سراً (يسبر) يقاس (قليبه) بئره (يعمد) يقصد (تقليبه) تجريبه (ذروه) اتركوه (حصتى) نصيبى (قصتى) خبرى وجعل لمسئلته حجرا يرميه به مجاز (عضلة) صعبه (العقد) جمع عقدة يريد أن عقدها صعب الحل (محك المنتقد) وهو حجر يقاس به جيد الفضة والذهب من الردىء أراد أن مسئلته نهاية فى الصعوبة والعضلة كل مسئلة شديدة لا يهتدى لمثلها ولا يوقف على جــوابها من قولهم داء عضال ومعضل إذا كان شديد لا يهتدى لدوائه ولا يوقف على علاجا وعضلت المرأة تعضيلا نشب ولدها فى بطنها وعضلت الدجاجة بيضتها كذلك

الْمُنْتَقَد ؛ فَقَلَّدُوه فى هذا الأَمْرِ الزَّعَامَة ؛ تَقْلِيدَ الخَوَارِجِ أَبَا نَعَامَة . فأَقْبَلَ عَلَى الكَهْلِ وقال : اعْلَم أَى

وفلان عضلة من العضل أى داهية لايهتدى لمكره (قوله الزعامة) أى الرياسة (وأبو نعامة) هو قطرى بن الفجاءة التميمى الخارجى وكان له فرس يكنى بها فى الحرب ويكنى فى السلم أبا محمد وقطرى منسوب إلى قطر موضع قريب من عمير وكان فارسا شجاعا شاعراً مجيداً وكان رئيس الخوارج وسلموا عليه بأمير المؤمنين عشرين سنة كان خطيباً فصيحاً وله خطبة فى ذم الدنيا انتهى فيها من البلاغة إلى الغاية ، وأولها : أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات ودانت بالقليل وتجلببت بالعاجل وتحلت بالأمانى وتزينت بالغرور لاتدوم زهرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة لاتعدو إذا هى تناهت إلى أمنية لرغبة منها والرضا عنها أن تكون كما قال تعالى (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا) ، ومنها : وكم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته وذى احتيال فيها قد خدعته وكم من ذى أهبة فيها قد صيرته حقيراً وذى نخوة قد ردته ذليلا وذى تاج قد كبته لليدين والفم سلطانها دول وعيشها رنق وعذابها أجاج وحلوها صبر مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع أن وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . . ومن جيد شعره فى وقعة دولاب

لعمرك إنى فى الحياة لزاهد — وفى العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها — شفاء لذى بث ولا لسقيم
لعمرك إنى يوم ألطم وجهها — على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت — طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طغت غلمان بكر بن وائل — وعجنا صدور الخيل نحو تميم
فلم أر يوما كان أكثر مقطعاً — يمج دماً من فائض وكليم
وضاربة خداً كريماً على فتى — أغر نجيب الأمهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطناً — له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنى يوم ذاك وخيلنا — تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم — بجنات عدن عنده ونعيم

وأم حكيم التى شبب بها كانت معه فى عسكر الأباضية وكانت من اشجع الناس وأجمعهم وجها وأحسنهم بدينة متمسكا ، وكان قطرى يحبها ويحلها وأخبر من شاهدها فى تلك الحروب أنها كانت ترتجز فتقول :

أحمل رأساً قد سئمت حمله — وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عنى ثقله

والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات وخطبها جماعة من أشراف الخوارج فردتهم وقالت

إلا أن وجها أحسن الله خلقه — لأجدر أن يلفى به الحسن جامعا

أوالى ، هـذا الوَالِي وأُرَقِّحُ حالى ، بالبَيَانِ الحَالى ، وكُنتُ أَستَعِينُ عَلى تَقوِيمِ أَوَدِى ، فى بَلَدِى ، بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِى ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِى . فلمَّا ثَقُلَ حاذِى ، ونَفِدَ رَذَاذِى ، أَمَمْتُه مِنْ أَرجائِى بِرَجائِى ودَعَوْتُه لإعادَةِ رُوَائِى وَإِروَائِى . فَهَشَّ لِلوِفادَةِ وراحَ ، وغَدَا بالإفادَةِ وراحَ ، فلمَّا استَأْذَنتُه فى المَرَاحِ ، إلى المُرَاحِ ؛ على كاهِلِ المِرَاحِ ، قال : قَدْ أَزْمَعْتُ أَنْ لا أُزَوِّدَكَ

وأكرم هذا الجرم عن أن يناله   تورك فحل همه أن يجامعا

أبن هذه من أم خارجة واسمها عمرة بنت سعد كان يقال لها خطب فتقول نكح وضرب بها المثل فقيل أسرع من نكاح أم خارجة . وأين هى من حفيدة قطرى صاحبها ، حكى الأصبهانى عن إسماعيل ابن المباجر قال خرجت أنا والسيد الحميرى سكارى فلقينا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطرى بن الفجاءة وكانت امرأة برزة حسناء فواقفها السيد وأنشدها من شعره فأعجب كل واحد منهما صاحبه ثم خطبها فقالت كيف يكون هذا ونحن على ظهر الطريق قال يكون كنكاح أم خارجة قيل لها خطب قالت نكح فاستضحكت وقالت تنظر فى هذا وعلى ذلك فمن أنت قال

إن تسأليني بقومى تسألى رجلا   فى ذروة المجد من أجواد ذى يمن

ثم الولاء الذى أرجو النجاة به   من كبة النار للهادى أبى حسن

فقالت لاشىء أعجب من هذا يمان وتميمية ورافضى واباضية فكيف يجتمعان فقال بحسن رأيك فى تحشد نفسك ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً قالت أفليس التزوج إذا علم انكشف معه الستور قال وأنا أعرض عليك أخرى قالت وما هى قال المتعة التى لا يعلم بها أحد قالت تلك أخت الزنا قال أعيذك بالله أن تكفرى بعد إيمانك قالت وكيف قال لها قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قالت أستخير الله وأقلدك إذ كنت صاحب قياس وتفتيش فانصرفت معه وبات معرسا بها وبلغ أهلها من الخوارج أمرها فتوعدوها بالقتل فجعدت وقالوا أتزوجت بكافر فكانت تختلف إليه مرة وتواصله ... وقوله تقليد الخوارج أبا نعامة لما قتل الزبير بن على أمير الخوارج أداروا أمرهم فاراد تولية عبيد بن هلال اليشكرى فقال ألا أدلكم على من خير منى لكم من يطاعن فى قبل ويحمى عن دبر عليكم بقطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه (أوالى) أى ألازم وأتخذه وليا (أرقح) أصلح يقال رقح من عيشه إذا أصلح منه قال الشاعر :

يترك ما رقح من عيشه   يعبث فيه همج هامج

الهمج (البعوض ثم قيل لأرذال الناس همج (الحالى) المزين بالحلى (أودى) عوجى (سعة) كثرة (ذات يدى) أى مالى (عددى) عيالى (حاذى) ظهرى وفلان خفيف الحاذ أى قليل العيال وأصل الحاذ مؤخر الفخذين (نفد رذاذى) فرغ قليل مالى والرذاذ المطر الضعيف (أممته) قصدته (أرجائى) جهاتى وبلادى (رجائى) أملى (روائى) حسن هيئتى وحالى (إروائى) إزالة عطشى (هش) خف ورجل هش بسام طليق الوجه (للوفادة) القدوم عليه (وارتاح) طرب واهتز (الأفادة) تكسيب الفوائد (المراح) بفتح الميم المثى والانصراف (المراح) بالضم الموضع الذى تروح اليه الإبل وتروح منه أوتراح اليه أى تساق بالعشى (المراح) بالكسر النشاط والخفة وقد مرح مرحا لعب من الفرح (كاهل) مابين فروع الكتفين استعاره للنشاط (أزمعت) عزمت

بَتَاتًا ولا أَجْمَعَ لَكَ شَتَاتًا ، أو تُنْشِىءَ لى أمامَ ارْتِحالِك ، رِسالةً تُودِعُها نَرْحَ حَالِك ، حُرُوفُ إحْدَى كَلِمَتَيْها يَعُمُّها النَّقْط ، وحُرُوفُ الأُخْرَى لم يُعْجَمْنَ قَط ، وقَدْ اسْتَأْنَيْتُ بآيَتِى حَوْلا ، فما أحارَ قَوْلا ، ونَبَّهْتُ فِكْرَى سَنَة فما ازْدَادَ إلا سِنَة ، واسْتَعَنْتُ بِقاطِبَةِ الكُتَّاب ، فكلٌّ مِنْهُمْ قَطَّبَ وتاب ، فإنْ كُنْتَ صَدَعْتَ عَنْ وصْفِكَ باليَقِين ، فَاتِ بآيةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِين ، فقال له : لَقَدْ اسْتَسْعَيْتَ يَعْبُوبا ، واسْتَسْقَيْت أُسْكوبا ؛ وأَعْطَيْتَ القَوْسَ بَارِيها ،

(بتاتا) زادا (شتاتا) مالامتفرقا (تنشىء) تصنع وتكتب (إمام ارتحالك) قبل سفرك (تودعها) تضمنها وتجعل فيها (يعجمن) ينقطعن وأعجمت الكتاب أزلت عنه عجمته (قط) لفظة موضوعة لما مضى من الدهر وجعل الحريرى قول الخواص لا أكلمه قط من أفحش الخطأ لتناقض الكلام قال وذلك أن العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة أبدا فيما يستقبل فيقولون ماكلمته قط ولا أكلمه أبدا والمعنى ماكلمته فيما انقطع من عمرى لأنه من قططت الشيء إذا قطعته ومنه قط القلم إذا قطع طرفه ، وفيما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان إذا استقبل قد وإذا استدبر قط فالقد قطع الشيء طولا والقط قطعه عرضا يقول تصنع رسالة تضمنها حالك يكون تركيبها من كلمة يعم حروفها النقط منها حرف . . وبهذا المعنى سميت المقامة الخيفاء لأن الاخيف من الخيل الذى إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء (استأنيت) أمهلت وأخرت (أحار) ردوراجع (نبهت) أيقظت (سنة) حولا (سنة) نوما (قاطبة) جماعة (قطب) وجهه إذا عبسه (صدعت) أوضحت وأظهرت واصل الصدع الشق (باليقين) بالحق الواضح (آية) علامة قال ابن الانبارى رحمه الله فى قولهم آية القرآن ثلاثة أوجه قيل انها علامة انقطاع الكلام قبلها وبعدها واحتج أبو عبيدة لذلك بقول الشاعر :

بآية ماتحبون الطعاما

وبقول النابغة : توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

الثانى سميت آية لأنها جماعة حروف قال أبو عمرو وخرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم الثالث سميت آية لأنها عجب من العجائب فالآية العجب (استسيعت) طلبت سعيه أى جريه (اليعبوب) الفرس السريع (استسقيت) استمطرت وطلبت سقياه (الاسكوب) المطر الكثير (باريها) صانعها وكل هذه أمثال ويريد أنا أهل لكل ماطلبت وأول من قال أعط القوس باريها الحطيئة وذلك أنه دخل على سعيد بن العاص وهو يقرى الناس فأكل أكلا جافيا وخرج الناس فأقام وأتاه الحاجب ليخرجه فامتنع وقال أترغب بهم عن مجالستى إنى بنفسى عنهم لأرغب فقال له سعيد دعه ثم تذكروا الشعر والشعراء فقال لهم الحطيئة والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ولو أعطيتم القوس باريها وقعتم على ماتريدون فقال له سعيد ماشعر العرب قال الذى يقول :

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من قد رزئته الاعدام

إلى آخر القصيدة قال فمن قائلها قال أبو داود الايادى قال ثم من قال والله لحسبك عند رهبة أو رغبة أنا إذا رفعت إحدى رجلى على الأخرى ثم عويت فى اثر القوافى كما يعوى الفصيل الصادى اثر أمه قال ومن أنت قال

وأَسْكَنْتَ الدارَ بانِيها • ثم فَكِّرْ رَيْثَما؛ تَسْتَجِمَّ قَرِيحَتَه ، واسْتَدِرَّ لِقْحَتَه ،وقال : أَلِقْ دَوَاتَكَ وَاقْرُبْ

الحطيئة قال حياك الله يا أبا مليكة ألا أعلمتنا بمكانك ولم تحملنا على الجهل بك فنضيع حقك و نبخسك قسطك وأدناه ووصله قال الشاعر :

يا بارى القوس بريا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

(ريث) مقدار وبطء (استجم) استكثر (قريحة) طبيعته والقريحة فى الأصل أول ماء البئر النابع واستجمها تركها حتى تكثر (استدر) استنزل درها وهو لبنها (اللقحة) الناقة ذات اللبن يريد أقام قليلا لا يفكر ويختار ما يقول .. ومثل هذه الحالة ذكروا أن صديقا لكلثوم العتابي أتاه يوما فقال له اصنع لى رسالة فاستمد مدة ثم علق القلم فقال له صاحبه ما أرى بلاغك إلا شاردة عنك فقال له العتابي إنى لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه . وهذا مثل قول امرىء القيس ويقال إنه قالها وهو ابن عشر سنين :

أذود القوافى عنى ذيادا ذياد غلام غوى جوادا
فلما كثرن وعنينه تخير منها جوادا جيادا
فأعزل مرجانها جانبا وآخذ من درها المستجادا

وقال عويف القوافى :

أبيت بأبواب القوافى كأنما أصادى بها سربا من الوحش نزعا
عواصى الا ماجعلت وراءها عصا مربذ تغشى وجوها وأذرعا
إذا خفت أن تزرى على رددتها وراء التراقى خشية أن تطلعا

أصادى أدارى وجعل القوافى تقتحم عليه كالإبل وهو يضربها بعصاه حتى يختار جيادها (ألق) أى اجعل فيها ليقة تقول لقت الدواة فهى مليقة وألقتها فهى ملاقة وجمع الليقة ليق ويقال للصوفة قبل أن تبل بالمداد البوهة والمرارة فاذا بلت بالمداد سميت ليقة وقد يقال لها ليقة قبل أن تبل سميت بما تؤول اليه كما قيل للكبش ذبيح وللصيد رمية فان كانت قطنة فهى العطبة والكرسفة وكرسفت الدواة كرسفة والقطن كله يقال له العطب والكرسف ويقال للمداد نقس ونقس والكسر أفصح وقيل الفتح مصدر نقستها جعلت فيها نفسا والحبر من المداد بالكسر لاغير والحبر بالفتح والكسر العالم وقال بعضهم سمى المداد حبرا باسم العالم كأنهم أرادوا مداد حبر فحذفوا ولو كان ماقالوه صحيحا لقالوا للمداد حبر بالفتح والاشبه أن يسمى حبرا لانه يحسن الكتابة من قولهم حبرت الشيء حسنته ويقال للجمال حبر وسبر فمداد حبر كقولك مداد زينة وجمال أو يكون من الحبر والحبار وهو الاثر فيسمى بذلك لتأثيره فى الكتاب ويقال مددت الدواة أمدها مدا إذا جعلت فيها مدادا فان كان فيها مداد فزدت عليه قلت أمددتها فاذا أمرته أن يأخذ من المداد بالقلم قلت استمدد فان سألته أن يعطيك على القلم مدادا قلت أمدد لى من دواتك واستمددته أنا سألته أن يمدنى ، وقال الخليل مدنى وأمدنى أعطنى من مداد دواتك وكل شيء زاد فى شيء فهو مداد له وأمهت الدواة وموهتها إذا جعلت فيها ماء والأمر من ذلك

وخُذْ أَدَاتَكَ واكْتُبْ :

كله أمه ومؤه دوانك واشتقاق الدواة من الدواء لأن بها إصلاح أمر الكتاب وبعض الشعراء واشتقها من دوى الرجل يدوى دويا إذا صار فى جوفه الداء قال :

أما الدواة فادوى حملها جسدى وحرف الخط تحريف من القلم

ووزنها فعلة تحركت الياء وقبلها فتحه فقلبت ألفا وتجمع دويات كقناة وقنوات ودوى كقناة وقنى ويقال أدويت فأنا مدو اتخذت دواة ويقال للذى يبيعها دواء كخياط وإذا أمرت من يتخذها قلت أدو دواة ويقال لمن يحملها ويمسكها دواء ويقال لها الدواة والرقيم والنون ويقال هو القلم والمزبر بالزاى والمذبر من زبرت وذبرت أى كتبت ومن فرق بينهما قال زبرت بالزاى أى كتبت وذبرت أى قرأت وسمى قلماً لأنه قلم أى قطع وسوى كما يقلم الظفر وكل عود قطع وحز رأسه وعلم بعلامة فهو قلم قال الله تعالى إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وكانت سهاما فيها أسماؤهم مكتوبة ويقال للذى يقلم به مقلم وللذى يبرى به مبرى ولما سقط عن البرى والتقليم القلامة والبراية وقيل لأعرابى ما القلم ففكر ساعة وجعل يقلب أصابعه ثم قال لا أدرى فقيل له توهمه فى نفسك قال هو عود قلم من جوانبه كتقليم الأظفار ويقال لعقده الكعوب واحدها كعب ولما بينها الانابيب واحدها أنبوب ويستعملان فى الرمح وفى كل عود فيه عقد والعقدة التى تشتبه تسمى الابنة وجمعها أبن فإن كان فى العود أو القصبة تأكل قيل فيه قادح ونقد ويقال لباطنه الشحمة ولظاهره الليط فان قشرت منه قشرة قلت ليطت من القلم ليطة فإن أخذت شحمته بالسكين قيل شحمته أشحمه فإن أفرطت فى أخذها قلت بطنته تبطينا فهو مبطن وحفرته فهو محفور فان تركت شحمته قلت أشحمته إشحاما ويقال لغشائه الذى عليه الغلاف واللحاء والقشرة فاذا نزعتها عنه قيل قشرته وبشرته ولحوته ونجوته وسحوته ويقال فى ثلاثتها بالياء وسحقته وجلمته وجلفته ورشقته ونقحته مشددان ويقال لطرفيه اللذين يكتب بهما السنان والشعيرتان واحدهما سن وشعيرة فاذا قطع طرفه وهيء للكتابة قيل قططته أقطه قطا وقصمته أقصمه قصما والمقط بالكسر ما يقط عليه وبالفتح الموضع الذى يقط من رأسه فان جعلت إحدى سنيه أطول من الأخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا فان سويتهما قلت قلم مبسوط فان سمع له صوت عند الكتابة فذلك الصريف والصرير والرشيق ويقال للقصب البراع والاباء الواحد براعة وأباءة وقيل الأباء أطراف القلم أى القصب ويقال للقطن الذى يوجد فى بطنها البيلم والقيصف والقيسع واحدته بيلمة وقيصفة وقيسعة فان كان فى القصب تأكل قيل فيه قادح ونقد وكذلك العود والسن والقرن فان كان فيها عوج فذلك الدر (خذ أداتك) أى قلمك وقال ابن طاهر لكاتب له ألق دواتك وأطل سن قلمك وفرق بين السطور وتوسط بين الحروف وقال ابن عبد ربه ينبغى للكاتب أن يصلح آلته التى لا بد له منها وأداته التى لا تتم صناعته إلا بها وهى دواته فلينعم ربها اصلاحها ثم ليختر من أنابيب القصب أقلها عقدا وأكثفها لحما وأصلبها قشرا وأعدلها استواء ويجعل لقرطاسه سكينا حادا ليكون عونا له على برى أقلامه ويبريها من ناحية نبات القصب واعلم أن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس نظم هذا أحد الشعراء فقال :

يمسك الفارس رمحا بيده   وأنا أمسك فيها قضبة
فكلانا فارس فى شأنه   إنما الاقلام رمح الكتبة

وقال أبو الفتح البستى :

ان هز أقلامه يوما ليعملها   أنساك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله   أقر بالرق كتاب الأنام له

رأى جعفر بن يحيى خطافاستحسنه فقال الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها ، ومن كتاب لجعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط أما بعد فليكن قلمك محرفا لامتينا ولارقيقا ضيق القلب فابره بريا مستويا كمنقار الحمامة اعطف بطنه ورقق شفرتيه وليكن قرطاسك رقيقا مستوى النسيج مخرج السحاءة مستويا من أحد الطرفين إلى آخره فليست تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك وليكن أكثر مطك فى أطراف القرطاس الذى فيه يسارك وأقله فى الوسط ولا تمط فى الطرف الآخر والمط نصف الخط ولا يقوى عليه إلا العاقل قال العتابى سألنى الاصمعى فى دار الرشيد أى الأنابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر فقلت له ما نشف بالهجير ماؤه وستره من تلويحه غشاؤه من التدرية الظهر والبيرة القشور الفضية الكسور قال فأى نوع من البرأصواب وأكتب فقلت له البرية المستوية القطة التى عن يمينها برية تأتى معها الجة عند المدة والمطة للهواء فى شفها ضيق وللريح فى جوفها حريق والمداد فى خرطومها رقيق فبقى شاخصاً إلى لايجـــد جواباً ، وقال الحسن بن وهب يحتاج الكاتب إلى خلال : جودة برى القلم وإطالة جلفته وتحريف قطته وحسن التأنى لامتطاء الأنامل وإرسال المدة بعد إشباع الحروف واستواء الرسوم وحلاوة المقاطع ، وقال بعض الكتاب عطروا دفاتركم بجيد الحبر فان الكتب غوان والحبر غوال . وقال بعض الكتاب أيضاً :

وما روض الربيع وقد زهاه   ندى الأسحار يأرج بالغداوة
بأضوع أوبأسطع من نسيم   تؤديه والأفاوه من دواة

كان هذا يفادى قول الآخر :

دعى فى الكتابة لاروى   له فيها يعد ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه   تلاق فريحها أبداً كريه

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد وهو يستره فقال له

لاتجزعن من المداد فانه   عطر الرجال وحلية الكتاب

ولبعضهم يهجو كاتباً

حمار فى الكتابة يدعيها   كدعوى آل حرب فى زياد
فدع عنك الكتابة لست منها   ولو لطخت نفسك بالمداد

وقال كشاجم الوراق يدعى الكتابة :

وزعمت أنك فى الكتابة مدرك   شأوى فقلت رماحها أقلام
هيهات تلك صناعة ممزوجة   فيها ضياء واضح وظلام
هذا الحديد سلاح ابطال الوغى   وبه يهيج دماءنا الحجام

وقال أبو العيناء كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً فنقطت من القلم نقطة مفسدة فسحها بكمه فتعجبت فقال لا تعجب المال فرع والقلم أصل والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع وبهذا السواد جاءت هذه الثياب ثم أطرق قليلا وقال :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشاه فنمنمه جواد فصيح فى المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات تجلى بينها صور المعانى

وكتب سليمان بن وهب بقلم صلب فاعتمد عليه اعتمادا شديدا فصر القلم فى يده فأنشد :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارما يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط فى القرطاس منها بدائع كمثل اللآلى نظمها ونثيرها
تقود أبيات البيان بفطنة تكشف عن وجه البلاغة نورها
تظل المنايا والعطايا شوارعا تدور بما شئنا وتمضى أمورها
إذا ماخطوب الدهر أرخت ستورها تجلت بنا عما يسر ستورها

وأتى رجل وكيعا فقال : رجل يمت إليك بحرمة فقال له : وما حرمتك ؟ قال له : كنت تكتب بحبرتى عند الأعمش فوثب وكيع إلى منزله ثم أخرج منه دنانير لنفقته وقال له اعذرنى فما أملك غيرها ودفعها إليه . وقال أبو الحسن ابن ليال فى محبرة آبنوس :

وخديمة للعلم فى أحشائها كاف بجمع حلاله وحرامه
لبست رداء الليل ثم توشحت بنجومه وتتوجت بهلاله

وحدثنى عن شيخى الفقيه أبى عبد الله بن زرقون ابنه الفقيه أبو الحسن قال حدثنى أبى أنه كان بسبتة أيام الشبيبة والطلب فى مجلس جمع من طلبة الأدب فتعرض لهم رجل بمحبرة صنعها وأراد أن يقصد بها الوالى على حسبها وكانت محبرة آبنوس بحلية صفراء مذهبة فأطرقوا يروون فبادرهم أبو الطالب بن أبى ركب فقال :

جاءتك من غرر العلا زنجية فى حلة من حليلة تتبختر
سوداء صفراء الحلى كأنها ليل تطرزه نجوم تزهر

فاستحسنهما من حضر ورأوا أنه قد أربى على الغاية فيما عنه صدر فكتبا للرجل فى رقعة فبعدما سار بها قليلا رجع فأبرز منها قلم صفر مذهبا ورغب أن يضمن ذكره فى منظوم يضاف إلى البيتين فأطرقوا يروون فى ذلك فبادرهم أبو طالب المذكور فقال :

كملت بأصفر من نجار حليها تخفيه أحياناً وحينا يظهر
خرسان إلا حين يرضع ثديها فتراه ينطق مايشا ويذكر

وقال آخر يصف دواة وأقلاما :

قد بعثنا إليك أم العطايا والمنايا زنجية الاحسان
فى حشاها من غير حرب حراب وهى أمضى من نافذات الحراب

وأحسن ما قيل فى القلم قول حبيب يصف قلم محمد بن عبد الملك الزيات :

لك القلم الأعلى الذى بسنانه · تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها · لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الأفاعى القاتلات لعابه · وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها · بآثاره فى الشرق والغرب وابل
فصيح إن استنطقته وهو راكب · وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت · عليه شعاب الفكر وهى حوافل
أطاعته أطراف القنا وتقوضت · لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الذكى وأقبلت · أعاليه فى القرطاس وهى أسافل
وقد رفدته الخنصرات وسددت · ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف · ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

وقال أبو الفتح البستى :

إذا أقسم الابطال يوما بسيفهم · وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب مجدا ورفعة · مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال البحترى: تعنوا له وزراء الملك راغمة · وعادة السيف أن يستخدم القلما

وقال أبو العباس التنوخى :

إن يخدم القلم السيف الذى خضعت · له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لاشىء يقابله · مازال يتبع مايجرى به القلم
بذا قضى الله للاقلام مذ بريت · أن السيوف لهامذ أرهفت خدم

وناقضه أبو الطيب المتنبى فقال :

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى · المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به · فانما نحن للاسياف كالخدم

وقال الصولى : فاخر صاحب سيف صاحب قلم فقال صاحب القلم أنا أكتب بلاغرر وأنت تقتل على خطر فقال صاحب السيف القلم خادم السيف ان تم مداده وإلا فالى السيف معاده . قال الصولى وقال بعض اليونانيين الدين والدنيا تحت شيئين سيف وقلم والسيف تحت القلم وفى تلك يقول جرير النميرى :

أتحقرنى ولست لذاك أهلا · وتدنى الاصغرين من الخوان
جهابذة وكتاب وليسوا · بفرسان الكتيبة والطعان
ستذكرنى وتعرفنى إذا ما · تلاقى الحلقتان من البطان

وقال كشاجم : هنيئا لأصحاب السيوف بطالة · تقضى بها أيامهم فى التنعم
وكم فيهم من دائم الأمر لم يرع · بحر ولم ينهر لقرن مصمم

وكل ذوى الأقلام فى كل ساعة　　سيوفهم ليست تجف من الدم

وقال آخر : قوم إذا أخذوا الاقلام من قصب　　ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وأن بعدوا　　مالا ينال بحسد المشرفيات

وقال البحترى يصف كلام الحسن بن وهب وأقلامه :

وإذا تألق فى العيون كلامه الـــمحمود خلت لسانه من عضبه
وإذا دجت أقلامه ثم انحنت　　برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده　　منا ويبعد نيله من قربه
حكم فسائحها خلال بنانه　　متدفق وقليبها من قلبه
فكأنها والسمع معقود لها　　شخص الحبيب بدا لعين محبه

وقال على بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جارية :

ما رقعة جاءتك مثنية　　كأنها خد على خد
نثر سواد فى بياض كما　　ذر فتيت المسك فى الورد
ساهمة الاسطر مصروفة　　عن وجهة الهزل إلى الجد
يا كاتبا أسلمنى عتبه　　اليه حسبى منك ما عندى

وقال البحترى فى ابن الزيات :

قد تصرفت فى الكتابة حتى　　عطل الناس ذكر عبد الحميد
فى نظام من البلاغة ماشك　　امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا　　حك فى رونق الربيع الجديد
ما أعيرت منه بطون القراطيـ　　ـس وما حملت ظهور البريد
حزن مستعمل الكلام اختيارا　　وتجنبن ظلمة التعقيد
فالعذارى غدون فى الحلل الصفـ　　ـر إذا رحن فى الخطوب السود

قال المأمون لمحمد بن داود إن شاركناك فى اللفظ فقد تاركناك فى الخط فقال يا أمير المؤمنين أن من أعظم آيات النبى صلى الله عليه وسلم أنه أدى عن الله تعالى رسالته وحفظ وحيه وهو أمى لا يعرف من فنون الخط فنا ولا يقرأ من حروفها حرفا وبقى عمود ذلك فى أهله فهم يشرفون بالشرف الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته وإن أمير المؤمنين أخص الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث لموضعه والمتقلد لنهيه ولأمره فتعلقت به المشابهة الجليلة وتناهت اليه الفضيلة فقال المأمون يا محمد لقد تركتنى لا آسى على الكتابة ولو كنت أميا . قد ذكرنا من آلات الكتابة نثرا ونظما ما فيه كفاية وفى السادسة والعشرين من النظم فى أوصاف الكتاب ما يستحسن وينتظم بما أوردنا هنا وإنما أخرج الحريرى رسالته الخيفاء من هذه الأوصاف المنظومة فى الرسائل التى قدمناها آنفا لما ذكره من أن جميع الكتاب قطب لانشائها ، وباب لما فيها من لزوم نقط لفظه وترك أخرى وهى على ما بها من التكلف رائقة المعانى أنيقة المبانى ولو غيره تعاطاها لأظلمت معانيها وتداعت مبانيها فلله هو لقد كان منقادا له صعب الكلام بأيسر مرام وما هو فى محاولة البلاغة إلا كما

الـكَرَمُ ثَبَّتَ اللهُ جَيْشَ سُعُودِكَ يَزِين ، وَاللُّؤْمُ عَضَّ الدَّهْرُ جَفْنَ حَسُودِكَ يَشِينُ ؛ وَالأَرْوَعُ يُثِيب ، وَالمُعْوِرُ يُخِيب ، والحُلاحِلُ يُضِيفُ وَالمَاحِلُ يُخِيفَ ، وَالسَّمْحُ يُغْذِي ، والمَحِكُ يُقْذِي وَالعِطاءُ يُنْجِي ، وَالمِطالُ يُشْجِي ، وَالدُّعاءُ يَقِي وَالمَدْحُ يُنَقِّي وَالحُرُّ يُجْزِي ، وَالإِلْطاطُ يُخْزِي ، وَاطِّرَاحُ ذِي الحُرْمَةِ غَيٌّ ، وَمَحْرَمَةُ بَنِي الآمالِ بَغْي ، وَمَا ضَنَّ إِلَّا غَبِين ، وَلَا غُبِنَ إِلَّا ضَنِين ، وَلَا خَزَنَ إِلَّا شَقِي ، وَلَا قَبَضَ رَاحَةً تَقِي ،

قال ابن حبيب فى سليمان بن وهب :

سرح نطقة إذا مـــا استمرت ... عقد العى فى لســان الخطيب
ومصيب شواكل الأمر فيــه ... مشكلات ملــكن لب اللبيب
لا معنى بــكل شيء ولــكن ... ما عجيب فى عينه بعجيب

(غض الدهر جفن حسودك) يقال غض جفنه أى سد عينه دعاء عليه بالعمى ، يقول: الكرم يزين صاحبه واللوم وهو البخل يشينه ويعيبه ثم دعا له بدوام السعد وثبوته وبعمى عين الحسود حتى لا يبصر ما أعطى الممدوح من النعم فيأخذها بالعين (الأروع) السيد الكريم وهو الذى قصد وقيل الأروع الحديد النفس وقيل الذى يروعك بجماله (يثيب) يجازى قاصده (والمعور) البادى العورة وهو الفارس يظهر فى طعنه خلل وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة ومن جملة عيوبه البخل حتى يخيب قاصده لأنه قابل به الأروع وهو التام الجسيم الجهير الصوت قال الشاعر :

يواخى لئيم النـاس كل مـلائم ... وينطق بالعوراء من كان معورا

(الحلاحل) السيد الذى يحل به الناس كثيرا (يضيف) ينزل الأضياف ويكرمهم (والمـاحل) البخيل شبه بالبلد الماحل وهو الجدب فكأن الماحل الذى لا يوجد عنده خير يقال أمحل البلد وبلد ما حل وذو محل مثل لابن وتامر والماحل النمام يقال محل به إلى الشيطان إذا وشى به وهو الذى (يخيف) على الحقيقة والماحل أيضا المخاصم وقد ما حلته وما حلنى (يغذى) يطعم (والمحك) اللجوج وهو مقابل السمح الخلق (يقذى) يجعل فى العين قذى أى يضر قاصده ويؤلمه (ينجى) يخلص صاحبه من الذم وتقدم المطال (ينق) يغسل العيب (والألطاط) الامتناع من فعل الخير ويقال لط وألط إذا ذهب ولط الشيء وألطه إذا ستره (يخزى) يهين (اطراح) ترك (ذى الحرمة) أى صاحبها والحرمة ما لا يحل تركه لضياع ومن قصدك فقد دخل فى حرمك فتركه ليس من المروأة (غى) فساد وضلال (محرمة) منع (بنى الآمال) أهل الرجال الذين يرجون خيره ويأملونه (بغى) ظلم (ضن) بخل (غبين) مخدوع فى رأيه (ضنين) بخيل يقول ما يضن بماله من هو سديد النظر ولا المصيب الرأى إنما يبخل به من هو فاسد النظر مغبون فى رأيه (خزن) حبس ماله (قبض راحه) ضم كفه على ما فيها وهذه كناية عن المنع والبخل (التق)الذى يق نفسه من العذاب بعمله الصالح من وقيت نفسى أقيها واختلف فى وزنه فقيل فعول وأصلها وقوى فأبدلوا من الواو تاء لقرب مخرجيهما ومن الواو الثانية ياء وأدغموها فى الياء وكسروا القاف لتصحيح الياء والاختيار أن يكون وزنه فعيلا وأصله تقي فأذغموا الياء

وما فَتِيءَ وِدُكَ يَنِي ؛ وآرَاؤُكَ تَشْفِي ، وهِلالُكَ يُضيء ، وحِلْمُكَ يَغْضِي وآلاؤُكَ تُفْنِي ، وأعداؤُكَ تُثْنِي وحُسامُكَ يُفْنِي ؛ وسُودَدُكَ يُقْنِي ،ومُوَاصِلُكَ يَجْتَنِي ، ومادِحُكَ يَقْتَنِي ؛ وسَمَاحُكَ يُغِيث ، وسَمَاؤُكَ تُغِيث ؛

فى الياء والدليل على صحته جمعهم له على أتقياء كولى وأولياء ومن قال انه فعول قال لما أشبه فعيلا جمع جمعه (مافتىء) أى مازال (ينى) يصدق ويكون وفيا (آراؤك) جمع رأى (تشفى) تزيل الهم عن قلب وليك وتبرىء مرض قاصدك من فقره يصمه بجودة الرأى وحسن النظر فيما يصلح به أحوال أصحابه وقصاده (هلالك يضى) يصفه بطلاقة الوجه وإضاءته عند السؤال . قال زهير :

ترآه إذا ماجئتـــه متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وكما قال أبو بكر فى الطلاقة :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

خلافا للسيء الخلق الذى يقطب وجهه عند اللقاء واللئيم الذى إذا سئل أنزوى وتقبض (يغضى) يسمح(آلاؤك) نعمك (أعداؤك تثنى) يقول لكثير المادحين لك والناشرين لفضلك لم يمكنى أعداءك وحسادك ذمك لتكذيب الناس إياهم فصاروا يثنون عليك مع من يثنى ه ويحكى أن أعرابيا استضاف حاتما فلم ينزله فبات جائعا مقرورا فلما كان فى السحر ركب راحلته وانصرف فتقدمه حاتم فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكرا فقال له من كان أبا مثواك البارحة قال حاتم قال فكيف كان مبيتك عنده قال خير مبيت نحر لى ناقة فأطعمنى لحما عبيطا وأسقانى الخمر وعطف راحلتى وسرت من عنده بخير حال فقال له أنا حاتم والله لا تبرح حتى ترى ما وصفت فرده وقال له ما حملك على الكذب فقال له الاعرابى ان الناس كلهم يثنون عليك بالجود ولو ذكرت شرا كنت أكذب فرجعت مضطرا إلى قولهم إبقاء على نفسى لا عليك . . وقد تقدم قول البحترى فى هذا المعنى :

أأشكو انداه بعدما وسع الورى ومن ذا يذم الغيث إلا مذمم

وقال حبيب :

فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا عدوك فاعلم اننى غير جامد
بسباقة تنساق من غير سائق وتنقاد فى الآفاق من غير قائد
أفادت صديقا من عدم وغادرت أقارب دنيا من رجال أباعد
ومخلفة لما ترد أذن سامع فتصدر إلا عن يمين وشاهد

وهذه القصيدة من كلامه يمدح بها محمد بن الهيثم يقول يسمع عدوك اطنابى فى مدحك نيمدحك صاغرا فكيف وليك فأمدحك بقصيدة تقطع الأرض ليست بابل تساق ولا بخيل تقاد فترد العدو صديقا والبعيد قريبا ولا يسمعها أحد إلا ويحلف انه لم يسمع مثلها فيشهد له بالصدق (وسوددك يبنى) اى يرفع لك مجدا وشرفا (حسامك يفنى) أى سيفك يقطع ويفنى أعداءك (مواصلك يجتنى) أى من زارك وواصلك اجتنى نعمك ومواهبك (يقتنى) أى يكتسب (سماؤك تغيث) أى تأتى بالغيث وهو المطر فيستغيث الناس به من الجدب(سماحك يغيث) أى جودك وحسن خلقك يفرج كرب المهموم وتقول غوث الرجل اى قال واغوثاه وأغثته أغيثه

ودَرُّكَ يفيض ، وردُّكَ يَغيض ، ومُؤَمِّلُكَ شَيْخٌ حَكاهُ فَيْء ولم يَبْقَ له شيْء ، أَمَلٌ بِطَنٌّ حِرْصُهُ يَثِب ، وَمَدْحُكَ بِنُخَبٍ مُهُورُها تَجِبُ ، وَمَرَامُهُ يَخِف ، وأَوَاصِرُهُ تَشِف ؛ وإِطْرَاوُهُ يُجْتَذَب ، وَمَلامُهُ

إذا فرجت عنه ما يشتكى منه (درك يفيض) عطاؤك يشمل أى لبنك يملأ الاناء ويفيض عليه يريد أن عطاءه يكثر لسائله (وردك يغيض) أى منعك يذهب الرزق وغاض الماء غار فى الارض (مؤملك) راجيك (الفيء) الظل بعد الزوال يريد أن عمره قد أدبر فشبه نفسه بالفيء الذاهب (أمك بظن) أى قصدك برجاء (حرصه يثب) طعمه يتزايد فيجعله فى غاية من القلق (نخب) مختارة (مهورها) حقوقها يقول مدحك بنخب فى ملئه فوجبت حقوقها لحسنها وجودتها ومما ينظر إلى هذه المعارضة قول الشاعر :

وخذ حمدى بجودك ذا بهذا ... كلانا اليوم أربح صير فى

لأصبح من نوالك فى رياش ... وصبح من مقالى فى حلى

وقال حبيب ، وحلة كساها ... كالحلى فى التهابه

فاستبطنت مدحا ... كالارى فى نصابه

فراح فى ثيابى ... ورحت فى ثيابه

وقال ابن شهيد فى ضيف له :

وما أنفك معشوق الثواء بمده ... ببشر وترحيب وبسط لسان

إلى أن تشهى البين من ذات نفسه ... وحن إلى الاهلين حنة حان

فأتبعته ما سد خلة حاله ... وأتبعنى ذكرا بكل مكان

(مرامه يخف) أى مطلبه يسهل عليك (أواصره) جمع آصرة هى صلة الرحم والاصر الموضع الحابس من قولهم أصرت فلانا على الشيء آصره اصرا إذا حبسته عليه وعطفته ويقال ما تأصرنى على فلان آصرة أى ماتحبسنى عليه حابسة ولا تعطفنى عليه عاطفه ذكره ابن الانبارى ، وذكر الحريرى فى الدرة ان اشتقاق أواصر القرابة والعهد من المأصر بكسر الصاد ومعناه الموضع الحابس المار عليه فسميت أواصر لأنها تعطف على ما يجب رعايته من المودة والرحم ، قال : وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الاعرابى فتحادثا فحكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثه فكساه ثيابا جديدة من غير أن يسأله أو استكساه فخرج وهو يقول

كساك ولم تستكسه فحمدته ... فتى ما يعطى الجزيل وياصر

وأن أحق الناس إن كنت مادحا ... بمدحك من أعطاك والعرض وافر

فقال ابن الاعرابى وناصر بالنون فقال له أبو نصر دعنى ياهذا وياصرى وعليك بناصرك يريد بياصر يعطف (تشف) أى تزيد وتفضل غيرها يقول أن الأسباب التى توجب عطفك وحنانك على كثيرة منها الشيخ والضعف وكثرة العيال وجودة المدح والعهود السابقة التى بينى وبينك (اطراوة يجتذب) أى مدحه يتجاذبه الناس ويحرصون على تحصيله لجودته وأصل الاطراء المدح فى الوجه فهو بمشاهدته كأنه مدح طرى أو ظهرت عليه طراوة (ملاحة)

يُجْتَنَب ، ووراءه ضَفَف ، مَسّهم شظف ، وحصّهم جنف ، وعمّهم قشف ، وهو فى دمع يجيب ، وله يذيب وهمّ تضيّف ، وكمد نيّف ، للمأمول خيّب ، وإهمال شيّب وعدوّ نيّب ، وهدوّ تغيّب ولم يزغ ودّه فيغضب ، ولا خبث عوده فيقضب ولا نفث صدره فينفض ، ولا نشز وصله فيبغض ، وما يقتضى كرمك نبذ حرمه ، فبيّض أمله ، بتخفيف ألمه ، ينثّ حمدك بين عالمه ، بقيت لإماطة شجب ، وإعطاء نشب ، ومداواة شجن ، ومراعاة يفن ، موصولا بخفض ، ومرور غض ، ما غشى معهد غني ، أو خشى وهم غبي والسلام .

فلما فرغ من إملاء رسالته وجلّى فى هيجاء البلاغة عن أرضته الجماعة فعلا وقولا ، وأوسعته حفاوة وطولا ، ثم سئل من أى الشعوب نجاره ، وفى أى الشعاب وجاره ، فقال :

غسّان أسرتى الصميمه ... وسروج تربتى القديمه
فالبيت مثل الشمس إشـــراقا ومنزلة جسيمة

يجتنب) ذمه يخاف ويبعد منه فيرشى عليه يقول ان الذى رجاك شيخ مسن فقير قصدك بيقين أنك من أهل الكرم فطمعه لذلك يزيد لما ارتجى من معروفك وأهدى اليك من مدائحه عرائس وجبت عليك حقوقها ومرامه سهل عليك ولديك علق تقوم مقام القرابة وتزيد على ذلك وله مدح يرغب فيه وذم يرهب منه (ووراءه ضفف) أى خلفه كثرة عيال من ضف الطعام ضفا إذا كثر القوم عليه وضف العيش اشتد (الشظف) سوء الحال (حصهم) عراهم وتنف ريشهم (جنف) ميل الدهر عليهم (قشف) بؤس عيش (يجيب) يساعد (وله) هم وحيرة (يذيب) يذهب اللحم (تضيف) نزل به ومال إليه (كمد) حزن قارب الموت (نيف) زاد على المعهود (لمأمول) أى لمقصود مرجو (إهمال) تضييع وتسييب (نيب) عض بأسنانه (وهدو تغيب) أى سكون وأمن زال عنه (يزغ) يمل (نفث صدره) أى تكلم بشر ونفث بزق من داء فى صدره ومنه المثل لا بد للمصدور أن ينفث (ينفض) أى يضرب ويبعد (نشز) ارتفع وزال (يقتضى) يتضمن ويلزم (نبذ) طرح (حرمه) جمع حرمة (بيض أمله) أى أسعد رجاءه ورده أبيض بعطائك الذى يخفف ألمه ويزيل وجعه (ينث) ينشر (عالمه) ناسه وأهل زمانه (بقيت) عشت وطال بقاؤك (اماطة شجب) إزالة هلاك وتنحيته (نشب) مال (شجن) حزن والشجن أيضا الحاجة (مراعاة) حفظ (يفن) شيخ كبير (موصولا) أى متصلا (بخفض) عيش هنيء (غض) ناعم جديد (غشى) قصد ودخل (معهد) موضع يعهد به جلوسه (وهم غبي) غلط جاهل (قوله املاء رسالته) أى القائها عليه ليكتبها (جلى) كشف (الهيجاء) الحرب وهى من الهيج وهو الحركة والاضطراب (بسالته) شجاعته (أوسعته) كثرت له (حفاوة) اكرام (الطول) الانعام (الشعوب) القبائل واحدها شعب بفتح الشين وهو الاب الكبير ، ثعلب الشعب ، الأب الأكبر الذى ينتهون اليه والقبيلة دونه (نجاره) أصله (الشعاب) الطرق فى الجبال (وجاره) حجره وأراد بيته لأنهم سألوه من أى قبيلة هو وعن مسكنه فى أى موضع هو (غسان أسرتى) أى هذه القبيلة أصلي وقرابتى (الصميمة) الصريحة الخالصة (ربتى) بلدتى (اشراقا) ضياء

وَالرَّبعُ كالفِرْدَوْسِ مَطْـــيَبَةً وَمَنْزَهَةً وقيمَة
وَاهاً لِعَيْشٍ كانَ لِي فِيهـــاَ وَلَذَّاتٍ عَمِيمَة
أَيَّامَ أَسْحَبُ مطْرَفِي فِي رَوْضِهاَ مَاضِي العَزِيمَة
أَخْتالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا بِ وَأَجْتَلِي النِّعَمَ الوَسِيمَة
لا أَتَّقِي نُوبَ الزَّمَا نِ وَلا حَوَادِثَهُ المُلِيمَة
فَلَوانَّ كَرْباً مُتْلِفٌ لَتَلِفْتُ مِنْ كُرَبِي المُقِيمَة

وماء من العجيب (جسيمة) عظيـة (الفردوس) الجنة سميت بذلك لعرائشها والفردوس المعروش من الكرم (مطيبة) أي سروج مثل الجنة في طيب الهواء وفي نزوتها وحسنها وفي قدرها وأراد بالبيت غسان وبالربع سروج أو يرتد بيتـه في غسان في الشرف كالشمس ومنزله في سروج كالجنـــة في طيبها ونزهتها وقد قال في أخرى : من رآها قال مرسى جنـة الدنيا سرج
ومثل قوله البيت مثل الشمس قول أبي الطمحان القيسي :

وإني من للقوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال حسان بن ثابت :

بيض الوجوه مضيئة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وزاد عليه في الاضاءة والاشراق حجة بن الضرب فقال :

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المنيرة والبدر

وزاد عليه أبو الطيب وعلى الناس في علو الهمة وتبعيد منازلها من منازل الكواكب حيث يقول:

وعزمة بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

وزحل أرفع من الشمس ومن سائر الكواكب منزلة وهذا من غلو المتنبي الذي يخرج به عن الناس حتى يعاب لأنه لو جعلها مع زحل في منزلة واحدة كما جعل الحريري منزلته مع الشمس لكان قد بلغ النهاية وزاد على غيره فلم يكتف بذلك حتى جعلها تعلو على زحل كما يعلو زحل عل الأرض ومن هذا الافراط في شعره كثير وأكثر النقاد يعيبون عليه وبعد هذا فمعجزاته في الشعر زاد بها على المتقدمين والمتأخرين عند الأكثر فلا يجارى في كثير منها (واها) تعجبا كانه قال ما أعجب ما كان عيشي بها (عميمة) كثيرة (أسحب مطرفي) أي أجر ثوبي المعلم في طرفه إعجابا بنفسي (أختال) أمشي الخيلاء متكبرا (برد الشباب)ثوب الفترة (أجيلي) أنظر (الوسيمة) الحسان (النوب والحوادث) والنوازل والمصائب كلها بمعنى واحد وهو ماينوب الانسان أو يحدث عليه أو ينزل به أو يصيبه من البلاء بعد العافية (المليمة) التي تأتي بما يلام عليه (كربي المقيمة) همومي الثابتة (مهجتي) نفسي

أَوْ يُفْتَدَى عَيْشٌ مَضَى   لَفَدَتْهُ مُهْجَتِي الْكَرِيمَةْ
فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى   مِنْ عَيْشِهِ عَيْشَ الْبَهِيمَةْ
تَقْتَادُهُ بُرَةُ الصَّغَا   رِ إِلَى الْعَظِيمَةِ وَالْهَضِيمَةْ
وَيَرَى السِّبَاعَ تَنُوشُهَا   أَيْدِي الضِّبَاعِ الْمُسْتَضِيمَةْ

وأصلها دم القلب (تقتاده) تسوقه (برة) حلقة من صفر تجعل فى وتره أنف البعير يذلل بها ، الصغار ، الذلة ، العظيمة ، داهية يستعظم أمرها ، والهضيمة ، المحقرة لشانه عند الناس فيريد بالبهيمة البعير الذى يقاد ويذلل بالبرة وبالعظيمة سؤاله الناس وبالهضيمة احتقارهم له إذا سألهم فيردونه خائباً ، والسباع ، هنا الأسود ، تنوشها ، تناولها وتخدشها ، والضباع ، جمع ضبع وهو نوع من سباع الأرض وهى مضادة فى الخلقة لسبع الأندلس لأنها عظيمة الكفل والفخذين رقيقة الصدر وهذا السبع أزل عظيم الصدر والضبع عظيم البطن ولذلك سمى حضاجر بالجمع والحضجر العظيم البطن والحضجر الوطب الكبير من اللبن ويشبه به العظيم البطن وهى عرجاء مثل هذا السبع ويضرب بحمقها المثل فيقال أحمق من ضبع وأحمق من أم عامر وهى كنيتها ، ومن حمقها أن الصائد يدخل وجارها فيقول لها خامرى أم عامر ومعناه الجئى إلى أقصى مغارك واستترى فتنقبض فيقول لها أم عامر ليست فى وجارها ثم يقول ابشرى أم عامر بكمر الرجال أبشرى أم عامر بشاة هزلاء وجراً عضلاء فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقيبها بحبال فلا تتحرك ولو شاءت أن تقتله لامكنها ولا يدخل عليها إلا عريانا وإن دخل بثوب قتلته ثم يخرج لأصحابه بالحبال وهم على فم الوجار باسلحتهم فيخرجونها بالجر من قعر الوجار ويقتلونها ، ومن حمقها أنها تترك جراءها إذا خرجت تلتمس ما تأكل فتجد جراء أخرى قد خرجت أيضاً لذلك وتركت جراءها فترضع أولاد غيرها وتترك أولادها فربما ضاعت جراؤها فأكلها الذئب قال الشاعر :

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت   بنى بطنها هذا الضلال عن القصد

قال أبو زيد والضباع لا تفترس شيأ إنما تأكل الجيف وتنبش القبور عن الموتى وربما اجتمعت الجماعة منها على حمار فأكلته وليس لها بالنهار كبير عمل قال الهذلى :

تبيت الليل لا يخفى عليها   حمار حيث جر ولا قتيل

(المستضيمة) أى المذلة والضيم الذل يضرب المثل لتلاعب الزمان بالناس بالأسود والضباع فقال إن الضباع المحتقرة عند الأسود تتناول الأسود بالضرر وكذلك الزمان يرفع الحقير والهجين ويكثر رزقه ويضع الرفيع ويقتر عليه ويملك الهجناء والأراذل الخطط الحسام ويجرع النبلاء والأعيان غصص المخازى وكؤس الحمام وهذه أحوال مشاهدة تنسب إلى الدهر لوقوعها فيه وقدرها البارى عز وجل اختبارا لعباده وليبصر العقلاء جريان أحكامه فى خلقه وأن الكل تحت قهره وأن كل إنسان أهل الحزم والرأى عاجز عن إدراك مالم يقدر له وقال محمد بن الفضل :

والذَّنبُ للأيامِ لوْ لَا شُؤْمُها لم تَنْبُ شيمَة
ولَوِ استَقَامَتْ كانَتِ الأ حْوَالُ فِيها مُسْتَقِيمَة

هانت الدنيا على الله فأعطاها اللئاما
فهم فيها يعيشو ن ويلحقون الكراما

وقال المعرى فى معنى بيت الحريرى :

ومن صحب الليالى علمته خداع الالف والقيل المحالا
وغيرت الخطوب عليه حتى تريه الذر يحملن الجبالا

قال يزيد المهلبى يرثى المتوكل :

علتك أسياف من لا دونه أحد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
وأصبح الناس فوضى يعجبون به ليثا صريعا تندى حوله النقد

وأخذ لفظ بيته من قول حبيب :

من لم يعاين أبا نصر وقاتله فما رأى ضبعا فى شدقه سبع
فيم الشماتة أعلانا بأسد وغى أفناهم الصبر إذا أبقاكم الجزع

هكذا ينظم حر الكلام ويعتذر لموت الكرام وتنفى عنهم شماتة اللئام ، وقد أحسن الاعتذار أيضا لأبى نصر بأغرب من هذا وجعله قاتل نفسه إذ لا نظير له فى شجاعته فيقتله وإنما قتله أمر الله الذى لا يغالب كما قال أبو الطيب : ألا إنما كانت وفاة محمد دليلا على أن ليس لله غالب

وكذلك قوله : فان ترم عن عمر توانى به المدى لما بك حتى لم يجد فيك مصرعا
فما كنت ألا السيف لاقى ضريبة فقطعها حتى انثنى فتقطعا

أى لم يقتل حتى قتل أعداءه وأبو نصر هو محمد بن حميد وقتله بابك الخرمى ، ومما قال فيه حبيب وهو أشجع بيت قيل - قوله ونفس تعاف للعار حتى كأنما هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخمصك الحشر

(والذنب للأيام) نسب الذنب اليها لوقوع المكروه فيها كما تقدم (تنب) ترتفع (شيمة) طبيعة أى لولا شؤم الأيام لم تتغير الطباع أى لو استقامت هى لاستقامت أحوال الناس فيها فكان كل إنسان يدرك منها على قدر منزلته ومما قيل فى ذم الزمان مما يوافق هذا المعنى أن عبد الملك بن مروان سأل مسلمة بن يزيد وكان من المعمرين فقال أى الملوك رأيت أكمل وأى الزمان رأيت أفضل فقال أما الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواماً وكلهم يذم زمانه لأنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم . أبو جعفر الشيبانى : قال أتانا يوما أبو مياس الشاعر ونحن فى جماعة فقال ما أنتم فيه فقلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا إن الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أو شر كان على حاله ثم أنشأ يقول :

ثمَّ إنْ خَبَرَه نَمَا إلى الوَالى ، فَملأ فَاهُ باللآلى ، وسَامَهُ أنْ يَنْضَوِىَ إلى أحْشَائِه

أرى حللا تصان على رجال ... وأخلاقا تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فساد ... وهم فسدوا وما فسد الزمان

وقال آخر :
أيادهر ان كنت عاديتنا ... فها قد صنعت بنا ما كفاكا
جعلت الشرار علينا خيارا ... وأوليتنا بعد وجه قفاكا

وقال أبو العتاهية :
كفاك عن الدنيا الذميمة مخبرا ... غنى باخليها وافتقار كرامها
وأن رجال النفع تحت مداسها ... وأن رجال الضر فوق سنامها

وقال ابن لنكك :
يازمانا ألبس الأحـرار ذلا ومهانة
لست عندى بزمان ... إنما أنت زمانة

وقال ابن الرومى :
دهر علا قدر الوضيع به ... وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه ... سفلا ويطفو فوقه جيفه

وكرره فقال :
قالت علا الناس إلا أنت قلت لها ... كذاك يسفل فى الميزان ما رجحا

وقال آخر :
رب يوم بكيت فيه فلما ... صرت فى غيره بكيت عليه

وقال آخر :
لم أبك من زمن نكدا أساء به ... إلا بكيت عليه حين أفقده
ولا جزعت على ميت فجعت به ... إلا ظللت بسكنى القبر أحسده
ولا ذممت زمانا فى تقلبه ... إلا وفى زمنى قد صرت أحمده

وقال ابن أبى عيزارة :
عتبت على سلم فلما فقدته ... وجربت أقوال ما بكيت على سلم
رجعت إليه بعد تفويت غيره ... فكان كبرء بعد طول من السقم

وأنشد المبرد :
حياة أبى العباس زيدت بقربه ... أخائقة قاس الأمور وجربا
ونعتب أحيانا ولو قضى ... لكنا على الباقى من الناس أعتبا

قال عروة بن الزبير الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم أخذه أبو الطيب فقال :
وشبه الشىء منجذب إليه ... واشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل الاذومحل ... تعالى الجيش وانحط القتام
ودهر ناسه ناس صغار ... وان كانت لهم جثث عظام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

الطغام السفلة (قوله نما) أى أرتفع ووصل (اللآلى) الدرر (سامه) كلفه (ينضوى) ينضم (احشائه)

وَيَلِيَ دِيوانَ إِنْشَائِهِ ، فَأَحْسَبَهُ الحِباء ، وظَلَفَهُ عن الوِلاَيةِ الإِباء ، قال الرَّاوِي : وكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ قَبْلَ إِيناعِ ثَمَرَتِهِ ، وكِدْتُ أُنَبِّهُ على عُلُوِّ قَدْرِهِ ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَدْرِهِ ، فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِيماضِ جَفْنِهِ ، أَنْ لا أُجَرِّدَ عَضْبَهُ مِنْ جَفْنِهِ ، فلمَّا خَرَجَ بَطِينَ الخُرْجِ ، وفَصَلَ فائِزًا بالفَلْجِ ، شَيَّعْتُهُ قاضِياً حَقَّ الرِّعايَةِ ، ولاحِيًا لَهُ على رَفْضِ الوِلايَةِ ، فأَعْرَضَ مُتَبَسِّماً وأَنْشَدَ مُتَرَنِّمًا :

لَجَوْبُ البِلادِ مَعَ المَتْرَبَهْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ المَرْتَبَهْ
لأَنَّ الوُلاَةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ ومَعْتَبَةٌ يا لَهَا مَعْتَبَهْ

خاصته (يلى ديوان انشائه) يتولى دار كتابته أى يكون هو الذى ينشىء الكتب وينسخها الكتاب وتنفذ إلى البلاد (أحسبه) كفاه (الحباء) العطاء (ظلفه) منعه (الاباء) الامتناع وقد أبيت من كذا أى امتنعت منه ويكنى به عن نزاهة النفس (عود شجرته) يريد أنه كان عرفه قبل أن يتكلم وأن يعرف نفسه (إيناع الثمرة) ادراكها ونضج ثمرتها (ايماض جفنه) إشارة عينه (عضبه) سيفه (جفنه) غمده أى أشار على أن أستره (بطين) مملوء (الخرج) وعاء معلوم وهذا كقول الشاعر :

يبيتون بالدهنا خفافا عيابهم ويخرجن من دارين بجر الحقائب

وقد أخذ هذا اللفظ فى مقامة أخرى فقال : حتى آل ذاعيبة خضراء ، وحقيبة بجراء أى مملوءة وإلى هذا المعنى أشار نصيب فى قوله :

أقول لركب قافلين رأيتهم قفاذات أو شال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثناؤها عليه أن بدت للناس مملوءة من معروفه فأتى أبو العتاهية فزاد المعنى بيانا بقوله :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسبا ورمالا
فاذا أتين بنا أتين مخفة وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

(فصل) أى زال وتنحى (الفلج) الظفر بما أراد (الرعاية) حفظ الصحبة (لاحيا) لائما (رفض) ترك (مترنما) مطربا أى لما خرج ممتلىء الوعاء ظافراً بما أراد لمته على ترك خدمة الأمير التى كلفه فأنشد معتذراً (المتربة) أى الفقر (المرتبة) المنزلة الرفيعة وهذا البيت ينظر إلى حكاية الاصمعى وقد رؤى راكبا حماراً فقيل له : أبعد براذين الخلفاء تركب هذا فقال متمثلا :

ولما أبت إلا أطرافا بودها وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربنا بريق من هواها مكدر وليس بعاف الريق من كان صاديا

يقول هذا وأملك دينى ونفسى أحب إلى من ذلك مع ذهابهما ، أطرف الشىء وتطرفه استفاده وقيل استجاده (نبوة) ارتفاع وقلة ثبات (معتبة) سخط (يالها) تعجب كأنه قال ياعجبا لها ما أشدها (يرب) يصلح ويقوى

وما فِيهمُ مَنْ يَرُبُّ الصَّنيعُ   وَلَا مَنْ يُشَيِّدُ ما رَتبه
فلا يَخْدَعَنْكَ لُمُوعُ السَّراب   ولا تَأْتِ أمراً إذَا اشْتَبه
فَـكَمْ حَالِمٍ سَرَّهُ حُلْمُهُ   وأَدْرَكَهُ الرَّوْعُ لمَّا انْتَبه

(للصنيع) الفعل الجميل (يشيد) يرفع ويتم (رتبه) بناه وهيأه (السراب) مايظهر نصف النهار كأنه ماء (اشتبه) أشكل (الحالم) من يرى فى منامه رؤيا وقد حلم بحلم (الروع) الفزع يقول مثل المترفه بالخطة السلطانية كحالم رأى نفسه فى النوم أميراً فانتبه فى أيدى أعاديه أسيراً أو رأى نفسه بين غزلان ورياحين فانتبه لزئير أسود ولصفير ثعابين وكذلك الامراء إن رفعوا الخديم ببعض أنعامهم كدروه بتعجيل انتقامهم ، ومما يجرى فى هذا النمط قول الشاعر .

إلى الله أشكو كل يوم وليـــلة   إذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا كان لاشك واقعا   وإن كان خيرا كان أضغاث أحلام

أخذ المعنى هذا الشاعر من قول أشعب الطماع قال رأيت رؤية نصفها حق ونصفها باطل قيل وكيف ذلك قال : كنت أرانى أحمل بدرة فمن ثقلها كنت أسلح فى ثيابى فانتبهت فاذا السلح ولا بدرة قال الفنجديهى : ومن أحسن ماسمعت فى هذا المعنى أبيات لطيفة المعانى ظريفة المبانى شرفنى بانشادها واملائها على السيد الأجل أبو الظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين بقاهرة مصر لبعضهم :

وزارنى طيف من أهوى على وجل   من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا   وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيلنى   نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

ومن ملح هذا الباب أن ابن عبدل دخل على بشر بن مروان لما ولى الكوفة فقال أيها الأمير إنى رأيت رؤيا فأذن لى بقصها فقال قل فقال :

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد   فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتنى بوليدة   مغنوجة حسن على قيامها
وببدرة حملت إلىّ وبغلة   شهباء ناجية يصل لجامها

فقال له بشر : كل شىء رأيته فهو عندك إلا البغلة فانها دهماء قال امرأتى طالق ثلاثا إن كنت رأيتها الادهماء ولكنى غلطت . . قال البطين الشاعر قدمت على على بن يحيى الارمينى فكتبت إليه :

رأيت فى النوم أنى راكب فرسا   ولى غلام وفى كفى دنانير
فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا   وعند مثلك لى بالفعل تبشير

فوقع فى أسفل كتابى أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ثم أمر لى بكل مارأيته فى منامى

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارثُ بنُ همّام ، قال : أزمعتُ الشُّخوصَ من بَرْقَعيدَ وقدْ شِمْتُ بَرْقَ عِيدٍ ، فكرهْتُ الرِّحلةَ عنْ تلكَ المدينةِ ، أو أشهدَ بها يومَ الزِّينةِ . فلمّا أظلَّ بفَرْضهِ ونفْلهِ وأجلبَ بخَيْلهِ ورَجْلهِ ، اتّبعتُ السُّنّةَ في لُبْسِ الجديد ، وبرزْتُ معَ منْ برزَ للتّعْييد ، وحينَ التأمَ جَمْعُ المُصلَّى وانْتظَمَ ، وأخذَ الزِّحامُ بالكَظَمِ ، طلَعَ شَيْخٌ في شَمْلتين ،

شرح المقامة

(أزمعت الشخوص) أى عزمت على الخروج (برقعيد) بلد بينه وبين الموصل عشرون فرسخا (شمت) نظرت وبريد (ببرق عيد) مقدمات العيد التى ينظر الناس بها فى أسبابه سأل رجل الجنيد لماذا سمى يوم العيد فقال لأن آدم لما خرج من الجنة وأهبط إلى الأرض ثم تاب الله عليه فرده إلى الجنة كان فى ذلك اليوم فقيل له يوم عيد لأنه أعيد إلى الجنة فيه قال ابن الانبارى رحمه الله معنى يوم العيد الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الوقت الذى يعود فيه الفرح أو الحزن وأصله العود لأنه من عاد يعود فلما سكنت وكسر ماقبلها قلبت ياء فصارت من باب ميزان ومبقات وهما من الوزن والوقت وكذلك الياء إذا سكنت وانضم ماقبلها قلبت واوا مثل موسر وموقن وهما من أيسر وأيقن ويقولون فى الجمع مياسر (المدينة) البلد من أخذها من مدن بالمكان يمدن إذا أقام فيه فهى فعيلة والجمع مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائد ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية وهى مفعولة ويقال دنت الرجل ملكته ودنت له أطعب ويقال للأمة مدينة لأنها مملوكة قال الشاعر :

ثوت وثوى فى كرمها ابن مدينة   يظل على مسحاته يتوكل

يعنى عبدا (يوم الزينة) يوم العيد لتزين الناس فيه (أظل) أى قرب ودنا حتى دخلنا فى ظله (بفرضه) يعنى زكاة الفطر (ونفله) يعنى صلاة العيدين ، الفنجديهى فرض العيد صدقة الفطر ونفل العيدين مثل الصلاة والغسل ولبس الجديد من الثياب ، ابن عمر رضى الله عنهما :فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أوشعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين،ابن عباس رضى اللهعنهما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان لجبر الصيام من اللغو والرفث طعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعدها فهى صدقة من الصدقات (أجلب بخيله ورجله) أى جمع أصحاب الخيل والرجالة وجاء بهم ضرب به المثل لاقباله وتصميمه على المجىء (لبس) لباس وجاء فى لبس الجديد حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبى مهنته لجمعته ولعيده ، جابر : كان للنبى صلى الله عليه وسلم حلة يلبسها فى العيدين ويوم الجمعة (برزت) خرجت (التأم) التحم والتصق (المصلى) موضع صلاة العيد (الزحام) الضيق لكثرة الناس ، الكظم ، تضييق النفس من شدة الزحام ، شملتين ، عباءتين والشملة نوع من الاكسية وقيل لها شملة لأن صاحبها يشتمل

مَحْجُوبُ المُقْلَتَين وقد اعْتَضَدَ شِبْهَ المِخْلاة واستقادَ لِعَجوز كالسِّعْلاه ، فوقف وقفة مُتَهافت ، وحيا تحيَّةَ خافت ولمَّا فرغ مِنْ دُعائه . أجالَ خَمْسَهُ في وعائِه ، فأبرز منه رِقاعًا قد كُتِبْنَ بألوانِ الأصباغ في أوانِ الفراغ ، فناولهُنَّ عجوزَهُ الحَيْزَبون ، وأمرها بأن تتوسَّم ، فمن آنستْ نَدَى يَدَيه ، ألقتْ ورقةً منهُنَّ لديه ، فأتاح لي القدرُ المَعْتُوب ، رقعة فيها مكتوبُ :

لقد أصبحتُ موقوذًا ... بأوجاعٍ وأوجالِ
ومَمْنُوًّا بمُخْتالٍ ... ومُحْتالٍ ومُغتالِ
وخَوَّانٍ مِنَ الإخوا ... نِ قالٍ لي لإقلالي
وإعمالٍ مِنَ العُمَّا ... لِ في تضليعِ أعمالي
فكم أصْلَى بأذحالٍ ... وأمحالٍ وترحالِ

بها أى يديرها حواليه (محجوب) مستور (المقلتين) العينين أراد أنه أعمى (اعتضد) علقها فى عضده (استقاد) جعلها تقوده (السعلاة) أنثى الغول وذكرها يسمى الكعنكع وأنشدوا : عولا تراعي شرسا كعنكعا ، والغول جن مسكنها الصحارى تتراءى للانسان كأنها إنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل الطريق فيهلك (قوله متهافت) أى متساقط لضعفه وتهافت الشىء فى يدى تناثر (خافت) خفى الصوت وقد خفت الرجل إذا ظهر عليه الضعف من مرض أو جوع أو غير ذلك وأصل خفت مات هزالا (فرغ) أتم (أجال) مشى وصرف (خمسة) أصابعه (فى وعائه) يعنى المخلاة التى اعتضدها وهى تعليقة يعلقها السائل فى عنقه أو ذراعه ويجعل فيها ما يعطى من الصدقة (أبرز) أخرج (أوان) وقت (الفراغ) قلة الشغل (ناولهن) أعطاهن (الحيزبون) المسنة القوية الخلق (تتوسم) تنظر (الزبون) المنخدع عن ماله فعول بمعنى مفعول وهو من ألفاظ أهل المشرق وأراد به الكثير الصدقة (آنست) أبصرت (ندى) كرم (أتاح) ساق (القدر المعتوب) الملوم (موقوذا) أى مشرفا على الموت من شدة الأوجاع والأوجاع والموقوذة فى القرآن المقتولة بالخشب والوقذ شدة الضرب (أوجال) مخاوف (ممنوا) مبتلى (محتال) ماكر كثير الحيلة (مختال) متكبر (مغتال) مهلك (خوان) كثير الخيانة ، ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلما يوجد فى آخر الزمان درهم من حلال أو أخ يوثق به (إقلالى) فقرى (اعمال) جد وبحث تقول أعملت الشىء فى الشىء إذا جعلته يعمل فيه (العمال) عاملو كل شىء (تضليع) افساد (أعمال) جمع عمل يريدانه مطلوب يبحث على أعماله إذا أتى بها مجموعة فتنقض أعماله وتصير له اضلاعا بعد اجتماعها وذلك فساد لها ويحتمل أن يكون التضليع من ضلعك مع فلان أى ميلك معه فأعماله تميل عن طرقها فتفسد وقيل تضليع الأعمال تثقيلها قال الأزهرى رحمه الله ضلع الدين ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء لثقله وفى الحديث أعوذ بالله من ضلع الدين (أصلى) احترق (أذحال) أحقاد وعداوات (امحال) فقر (ترحال) سفر ونقلة من بلد إلى

وكم أخطِرُ فى بالٍ ولا أخْطرَ فى بَالِ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جا رَ أطْفَالِى أطْفَالِى
فَلَوْلَا أنَّ أشْبا لِىَ أغْلالِى وأغْلَالِى
لَمَّا جَهَّزْتُ آمالِى إلى آلٍ ولا والِى
ولا جَرَّرْتُ أذْيالِى عَلَى مَسْحَبِ اذْلَالِى
فمحرَابِىَ أحْرَى بِى وأسْمَالِىَ أسْمَى لِى
فَهَل حُرٌّ يَرَى تخْفِيـ ـفَ أثْقالِى بِمِثْقَالِ
ويُطْفِى حَرَّ بِلْبَالِى بِسِرْبالٍ وسِرْوَالِ

بلد (أخطر) أمشى متبخترا وقد خطر الرجل إذا أقبل بيديه وأدبر بهما وهى مشية الشبان (بال) خلق (أخطر فى بال) أمر على بال أحد ولا خاطره (جار) مال عن الحق ولم يعدل (أطفا) أمات (أطفالى) أولادى ومثله (أشبالى) الفنجديهى : يقول ليت الدهر لما ظلم أولادى وجار عليهم أماتنى لا تخلص فان مقاساة الولائد سبب الوقوع فى المصائد، قال ابن عيينة : قلت لصياد أى طائر أسرع إلى مصايدكم قال الذى يزق يعنى الذى يطعم ولده (أغلالى) قيودى (الاغلال) جمع غل وهو القراد الضخم وهو الذى يلصق بأفخاذ الدواب وهو كثير التشبث والالتصاق لا يقلع إلا بجهد فيريد بالأغلال أولاده لأنهم قيوده فلا يسرح بسببهم وبالاعلال أنهم قد تعلقوا به يطلبون ماعنده وقال الشاعر يصف ناقته :

ولو ظل فى أوصالها العل يرتقى . . ويقال للقراد الطلح والفينق والحجير والعل والبرام والقرشوم واللبود فى بعض اللغات (جهزت) أرسلت (آل) قريب وآل أهل أو يكون آل أمير أو سائسا قال عمر رضى الله عنه الناوايل علينا أى سسنا الناس وساسنا غيرنا فيكون على هذا مقلوبا من آئل كما قيل سار فى سائر (مسحب) طريق يقول لولا ذل الأولاد ماقصدت واليا ولا جررت ذيلى فى طريق ذل ويقال سحب ذيله سحبا إذا جره والمسحب موضع جره ثوبه (محرابى) مسجدى (أحرى) أحق بى (أسمالى) أثوابى الخلقة (أسمى لى) أعز لى وأرفع لقدرى (أثقالى) همومى أو ديونى أو كثرة عيالى واحدها ثقل وثقل الشىء ثقلا ضد خف وأثقل الرجل كثر عياله (بلبالى) حزنى والبلبال وسواس الهموم (سربال) قميص (السروال) معروف وفى الحديث أن امرأة سقطت من على حمار فأعرض النبى صلى الله عليه وسلم بوجهه عنها فقالوا إنها متسرولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمتسرولات من أمتى ثلاثا يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فانها من استر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم إذا خرجن . . ومن ملح الصاحب بن عباد ان بعض الشعراء كتب له :

ابا من عطاياه تعطى الغنى إلى من راحتى تأى اودنا

قال الحارث بن همام : فلما استعرضت حلة الأبيات ، تقت إلى معرفة ملحمها ، وراقم علمها ، فناجاني الفكر بأن الوصلة اليه العجوز ، وأفتاني بأن حلوان المعرف يجوز ، فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا ، وتستوكف الأكف كفا كفا ، وما إن ينجح لها عناء ولا يرشح على يدها إناء ، فلما أكدى استعطافها ، وكدها مطافها ، عاذت بالاسترجاع ، ومالت إلى إرجاع الرقاع ، وأنساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج إلى بقعتي ، وآبت

كسوت المقيمين والزائرين　　كسا لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون فى　　ثياب من الخز الا أنا

فقال الصاحب قرأت فى أخبار معين بن زائد أن رجلا قال له احملني أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ثم قال له لو علمت أن الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا لباسا غير هذا من الخز لأعطيناكه ثم أمر بإدخاله الخزنة وصب تلك الخلع عليه ، وأخبار الصاحب مستظرفة كثيرة الملح (قوله ملحمها) ناسجها ولما جعل الشعر حلة جعل لها ناسجا وراقما (ناجاني) حدثني (الوصلة) الموصلة (استعرضت) أي نظرت وعرضتها على نفسي (تقت) اشتقت (أفتاني) أعلمني (الحلوان) أجر الكهان وأراد أجرة العراف وهو الذي يعرف بالتلائف الملتقطة أربابها فيعطونها منه بما أنفقوا عليه فمذهب مالك أن من عرف لقطة وكان من شأنه أخذ الجعل على مثل ذلك فله أجرة مثله والشافعي لا يوجب له حقا سواء كان من شأنه أن يعرف باللقطة أو لم يكن تعب ذلك أو لم يتعب إلا أن يشترط قبل الطلب (رصدتها) ارتقبتها (تستقري) تتبع واقتريت الأرض واستقريتها تتبعتها متأملا (تستوكف) تستمطر (ينجح) ينفع ويؤثر يقال نجحت الحاجة إذا انقضت ونجح طالبها إذا لم يخب وأنجح أشهر يقول إن مشيها عليهم لم يقض حاجتها ولا نفعها (رشح الإناء) كرم الكف يقول لم يرشح لها كف بعطية .

(أكدى) خاب وصعب ويقال أكدى الحافر وهو أن يحفر البئر بطلب الماء فاذا بلغ إلى الصلابة ويئس من الماء ولم يقدر على الحفر قيل له أكدى فهو مكد والكدية هي الصلابة التي يتعذر حفرها (استعطافها تلينها) القلوب (كدها) أتعبها (مطافها) مشيها وطوافها على الناس ويحسن أن ينشد هنا فى حالها لأبي نواس :

إذا لم يعنك الله فيما تريده　　فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مسلك　　ضللت ولو أن السماك دليل

غيره

إذا لم يكن عون من الله للفتى　　فأكثر مايجني عليه اجتهاده

(عاذت) تعوذت ولاذت (الاسترجاع) قولهم إنا لله وإنا إليه راجعون وفى حديث أم سلمة رضي الله (عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم ما قال أحد عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني فى مصيبتي وخلف لي خيرا منها إلا أستجيب له (ارتجاع) رد (تعج) تمل وترجع (بقعتي) موضعي (آبت) رجعت

إلى الشَّيْخِ باكيةً للحِرْمان، شاكِيَةً تحامُلَ الزَّمان، فقالَ: إنا لله، وأُفَوِّضُ أمْرِى إلى اللهِ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قوَّةَ إلّا باللهِ، ثمّ أنشد:

لم يَبْقَ صَافٍ ولا مُصافٍ ولا مَعِينٌ ولا مُعِينُ
وفى المَساوِى بَدَا التَّساوِى فَلاَ أمِينٌ ولا ثَمِينُ

ثمَّ قالَ: لها مَنّى النَّفسَ وعِدِيها، واجْمَعِى الرِّقاعَ وعُدِّيها فقالَتْ: ولَقَدْ عَدَدْتُها فوجَدْتُ يَدَ الضَّياعِ غالَتْ إحْدَى الرِّقاعِ، فقالَ تَعْساً لكَ يالَكاعِ، أنحْرَمُ ونُحْكِ القَنَصَ والحِبالَةَ،

(الحرمان) الخيبة والمنع (تحامل) مشقات وتحاملت فى الأمر تكلفته على مشقة (أفوض) أراد (لاحول) أى لا حيلة يقال ما له حيلة ولا حول وما له احتيال ولا محال ولا محالة ولا حيلة كله بمعنى ويقال ماله محال بالفتح أى حول ومحال بالكسر أى مكر، ثعلب: هو من قولهم محل به إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك ومحل به القرآن شهد عليه بالتقصير، وقال الفراء المحالة على ثلاثة أقسام هى الحيلة التى تجعل على رأس البئر كالبكرة وواحدة محال الظهر وهى فقاره ويقال أخذت فى الحولقة والحولة إذا قلت لا حول ولا قوة إلا بالله وينتصب لا حول ولا قوة بالتبرئة وإن شئت رفعتهما بالابتداء وبالله خبر قوة وحذفت خبر لا حول لدلالة الثانى عليه وإن شئت رفعت حولا بالابتداء ونصبت قوة بالتبرئة وإن شئت نصبت حولا بالتبرئة ورفعت قوة بالعطف على موضع لا حول وإن شئت نصبت قوة بالتنوين عطفا على اللفظ (صاف) أى خالص الود (مصاف) صادق فى وده (معين) ماء كثير يريد صاحب كرم كثير (معين) يعين بماله (المساوى) ضد المحاسن واحدها سوء على غير قياس وقيل لا واحد لها (بدا) ظهر (الثمين) النفيس الغالى الثمن يقول إن الناس قد استووا فى الأفعل السيئة وأراد قوله صلى الله عليه وسلم لايزال الناس بخير ما تباينوا فاذا استووا هلكوا ومعناه أن الناس فى الغالب إنما يتساوون فى الشر ولا تجدهم كلهم فضلاء لأن الخير قليل قال أبو العباس التطيلى فيما يتعلق بهذا المعنى:

والناس كالناس إلا أن تجربهم وللبصيرة حكم ليس للبصر
كالايك مشتبهات فى منابتها وإنما يقع التفضيل بالثمر

وقال التهامى:

ومن الرجال معالم ومجاهل ومن النجوم غوامض ودرارى
ولربما اعتضد الحليم بجاهل لا خير فى يمنى بغير يسار
والناس مشتبهون فى إيرادهم وتفاضل الأقوام بالأصدار

(عديها) أى طمعيها (استعدتها) رددتها (غالت) أهلكت واستعار للتضييع يدا مجازا (تعسا) هلكا والتعس الدعاء أن لا تقال عثرته (بالكاع) يالئيمة يامنتنة واللكاع وسخ الفرج واللكع ولد الحمار (القنص) الصيد (الحبالة) الشبكة وصفة الحبالة أن يعمد لحبل من شعر مخلوط بيسير من صوف فذلك أقوى له فيعقد فى أحد طرفيه عين يجرى فيها

والقَبَسَ وَالذُّبالة ، إنّها لَضِغْثٌ على إبّالةَ ، فانْصَاعَتْ تَقْتَصُّ مَدْرَجَها ، وتَنْشُدُ مُدْرَجَها . فلمّا دَانَتْني قَرَنْتُ بالرُّقْعَة ، دِرْهَماً وقِطْعَة ، وقُلْتُ لها : إنْ رَغِبْتِ في المَشُوفِ المُعْلَم ، وأشَرْتُ إلى الدِّرْهَم ،

الحبل ويربط فى الطرف الثانى خشبة وربما حددوا طرفها ثم ياتون إلى الطريق الذى يدخل منه الصيد إلى الماء فيحفرون فيه حفره فيغطونها بورق الشجر وشبهها ويفتحون عليها عين الحبل ثم يغطونها بالتراب والزبل تصير فى طبع الأرض فاذا أقبل الصيد للماء فوضع يده أو رجله فى الحفرة سقطت به وانضم على يديه أو رجله الحبل فيثب فازعا ويفر فتتبعه تلك الخشبة فكلما انتفض أقبلت عليه فتضربه فى يده ورجليه وبطنه وظهره فتوهى أعضاءه وربما كسرت يديه أورجليه فلا يسير بها قدرميل حتى يقف موقوذا منها فيأتيه الصائد فيأخذه وأنواع الحبالة كثيرة (القبس) يريد به نور المصباح (الذبالة) الفتيلة (ضغث) حزمة من حشيش صغيرة وأصلها جماعة القضبان وشبهها من النبات يجمعها أصل واحد وكل ما جمعت عليه كفك من حشيش أو عيدان فانتزعته من أصله ضغث (ابالة) حزمة كبيرة والضغث على الابالة مثل حزمة الحطاب إذا حملها للبيع وجعل فوقها حزيمة صغيره لنفسه فالكبيرة ابالة والصغيرة ضغث فكأنه قال انها خسارة على خسارة ويقال لها ابالة وأبيل وأبيلة وبل وبيلة وضغث على ابالة مثل أخذه من قول الشاعر :

في كل يوم من ذؤاله ضغث يزيد على ابالة

وقال آخر وذكر ناقته :

ردت عوارى الفلا ونجت بمثل إبالة من خالص الشعر

وهذا مثل قول حبيب :

فكم جزع وادجب دورة غارب وبالأمس كانت أمسكته جوانبه

(انصاعت) أى ذهبت نافرة وانثنت مسرعة وكل ماثنيته ولويته بسرعة فقد صعته صوعا كذلك إذا جمعته وفرقته فذهب عنك بسرعة وصاع الشجاع القوم فى الحرب إذا جمعهم بهيبته ثم صدمهم ففروا سراعا متفرقين وكل نافر مسرع منصاع ، وقال ذو الرمه فى الحمر :

فرت من الرامى فانصاعت والوبل هجيراه والحرب

(تقتص) أى تتبع (مدرجها) طريقها التى مشت فيها لتفريق الرقاع ويقال درج الشيخ والصبى درجا ودرجانا إذا تقاربت حطاهما والمدرج الموضع الذى درجا فيه المدرجة قارعة الطريق (تنشد) تطلب من نشدت الضالة (مدرجها) رقعتها ويقال أدرجت الكتاب والثوب طويتهما (القطعة) عند أهل المشرق الواحدة من صرف يعرفونه الخندوس يعمدون إلى دراهمه فيقطعونها قطعا فهى صرفهم وبها يتصدقون فأراد أنه قرن قربة الشعر درهما وقطعة من الخندوس وقال لها أن خبرتنى بقائل الشعر فخذى الدرهم أجره وإن أبيت أن تعرفينى بهفخذى القطعة صدقة وانصرفى (المشوف) المصقول والمجلو والمشوف الجلاء (المعلم) المنقوش ونقشه علامته وقيل هو الذى عليه علامة الملك وأخذه من قول عنتره :

ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم

فبوحي بالسر المبهم ، وإن أبيت أن تشرحي ، فخذي القطعة واسرحي ، قالت : إلى استخلاص البدر التم ، والأبلج الهم ، وقالت : دع جدالك ، وسل عم بدالك ، فاستطعتها طلع الشيخ وبلدته . والشعر وناسج بردته ، فقالت : إن الشيخ من أهل سروج ، وهو الذي وشى الشعر المنسوج ، ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ، ومرقت مروق السهم الراشق ، فخالج قلبي أن أبا زيد هو المشار إليه ، وتأجج كربي لمصابه بناظريه ، وآثرت أن أفاجيه وأناجيه ، لأعجم عود فراستي فيه ، وما كنت لأصل إليه إلا بتخطي رقاب الجمع ، المنهي عنه في الشرع ، وعفت أن يتأذى بي قوم ، أو يسري إلى لوم ، فسدكت بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني إلى أن انقضت الخطبة ، وحقت الوثبة ، فخففت إليه ، وتوسمته على التحام جفنيه ، فإذا الألمعي ألمعية

(بوحي) تكلمي (المبهم) المغلق الملبس (أبيت) امتنعت (اسرحي) اذهبي (استخلاص) تخليص واستخلاص الشيء جعله خالصا (التم) الكامل (والابلج)النق الأبيض وفعله الاج كاحمار (الهم) الكبير الذي يهم به من رآه وشيخ هم مسن والهم الرقيق النحيف وهو من همته النار إذا أذابته وهممت الشحم أذبته (استطلعتها طلعه) استخبرتها خبره وسألتها أن تطلعني عليه وتقول استطعت طلع الشيء إذا حاولت الاطلاع عليه وأردت معرفة خبره الذي تطلع منه عليه وطلع بالكسر (بردته) ثوبه (وشى) زين ورقم (خطفت) أخذت بسرعة (الباشق) من جوارح الطير (مرقت) خرجت بسرعة (الراشق) الذي يرشق الصيد أي ينشبه ويكون الراشق بمعنى المرشوق كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق (قوله خالج) أي داخل وجاذب (تأجج) اشتعل (كربي) همي والتأجج التفعل من الأجيج وهو تصويت النار ولهبها إذا اشتعلت وعظمت (آثرت) اخترت وفضلت وآثرته بكذا فضلته به والإيثار المصدر (أفاجيه)آتية فجاة وهو لايشعر (أناجيه) أحدثه (أعجم) أجرب (فراستي) نظري وجعل لها عودا مجازا (تخطي رقاب الجمع) الجواز على أعناق الناس خرج الترمذي في النهي عن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم (عفت) كرهت (يتأذى) يصيبهم أذى (يسرى) يصل (اللوم) ضد الحمد وهو أن تأخذ الإنسان بلسانك ذما لما فعل (سدكت) التصقت ولزمت (قيد عياني) غرض نظري أي قيدت نظري فيه (انقضت) تمت (حقت الوثبة) أي وجبت القفزة إليه (خففت) أسرعت (توسمته) نظارته (التحام) التصاق وانغلاق (ألمعيتي) ذكائي وصدق ظني والألمعي هو الذي يظن بك الظن ولا يخطيء وهو اليلمعي من اللمعان كأنه يلمع لذكائه وجودة فطنته ، وقال أوس :

الألمعي الذي يظن بك الظـــن كأن قد رأى وقد سمعا

فلا يبين أحد الألمعي بأحسن مما بينه أوس فاذا سئلت ما الألمعي فأنشده بيته تأت بالجواب الشافي (الفراسة) أن تنظر الشيء فتستدل بظاهره على باطنه وبما حضر على ما غاب وقيل الألمعيه أن ترى الشيء على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة أن ترى الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر أو بما يريد أن يفعله فالألمعية

فى البعد والفراسة فى القرب وكيف اختلفت الألمعية والفراسة فالظن الصادق يجمع بينهما (ابن عباس) رضى الله عنه هو عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى يكنى أبا العباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف فى السنة التى مات فيها مابين ثمان وستين فى الأقل وأربع وسبعين فى الأكثر وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات ربانى هذه الأمة وضرب على قبره فسطاط روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن ، وفى حديث آخر اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين ، وفى حديث آخر اللهم زده علما وفقهه ، وفى حديث آخر اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل ، وكلها أحاديث صحاح . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع وفرة جلة الصحابة رضى الله عنهم ، وكان ابن عمر رضى الله عنه يقول ابن عباس فتى الكهول له لسان سئول وقلب عقول ، عبد الله بن عبدالله : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة ولا أجلد رأيا ولا أثبت نظراً من ابن عباس ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين ، عمرو بن دينار : ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر ، عطاء : كان ناس يأتون ابن عباس فى الشعر والأنساب وناس يأتون لأيام العرب ووقائعها وناس يأتون للعلم والفقه فما منهم صنف إلا يقبل عليهم بما يشاءون ، مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس فاذا تكلم قلت أفصح الناس فاذا تحدث قلت أعلم الناس ، أبو وائل : خطبنا ابن عباس رضى الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والترك والروم لأسلمت ، طاوس : أدركت نحو خمسمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقودهم حتى ينتهوا إلى قوله ، ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس ولو أدرك أسناننا ما عاشره منا رجل ، يزيد الأصم : خرج معاوية حاجا ومعه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم ، القاسم بن محمد : ما رأيت فى مجلس ابن عباس باطلا قط وما سمعت فتوى أشبه بالسنة من فتواه وكان أصحابه يسمونه الحبر والبحر ، وذكر أبو العباس فى الكامل أن عمر بن أبى ربيعة أنشده قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر   غـــداة غد أم رائح فمهجر

فحفظها من سمعها وهى ثمانون بيتا ، مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما : رأيت جبريل عليه السلام عند النبى صلى الله عليه وسلم مرتين ودعا لى بالحكمة رسول الله صـلى الله عليه وسلم مرتين ، وروى عنه أنه رأى رجلا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فسأل عنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرأيته قال نعم قال ذاك جبريل أما إنك ستفقد بصرك فعمى بعد ذلك فى آخر عمره ، وهو القائل فى ذلك ويروى لحسان رضى الله عنهما :

إن يأخذ الله من عينى نورهما   ففى لسانى وقلبى منهما نور

وفِراسَتِي فِرَاسَةُ إِيَاس ، فَعَرَفْتُهُ حِينئذٍ شَخصِي ، وآثَرْتُهُ بِأَحدِ قَمِيصِي ،

قلب ذكي وعقل غير ذي دخل   وفي فمي صارم كالسيف مأثور

نظر إليه الحطيئة فى مجلس عمر رضى الله عنهما فقال من هذا الذى برع الناس بعلمه ونزل عنهم بسنه فقيل له عبد الله بن عباس ، وقال فيه حسان بن ثابت رضى الله عنهما :

إذا ما ابن عباس بدالك وجهه   رأيت له فى كل أحواله فضلا
إذا قال لم يترك مقالا لقائل   بمنتطحات لاترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع   لذى إربة فى القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة   فنلت ذراها لا ذليلا ولا وغلا

ونظر اليه معاوية يوما يتكلم معه فأتبعه بصره فقال متمثلا

إذا قال لم يترك مقالا لقائل   مصيب ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى   وينظر فى أعطافه نظر الصقر

وروى أن طائرا أبيض خرج من قبره فتأولوه علمه خرج إلى الناس وقيل دخل قبره طائر أبيض فقيل هو بصره قال أبو الزبير مات بن عباس رضى الله عنهما بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل فى نعشه حين حمل فما رؤى خارجا منه وفضائله كثيرة مشهورة فلنقف منها على هذا القدر (إياس) هو أبو واثلة بن معاوية بن قرا بن اياس هلال بن رباب المزنى قاضى البصرة وسبب فضائله أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كتب إلى عدى بن أرطاة عامله على البصرة أن أجمع إياس بن معاوية المزنى والقاسم بن ربيعة الحارثى فول القضاء أنفذهما وأفقهما فجمع بينهما فقال كل واحد إن صاحبه أنفذ وأفقه فقال له إياس سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتيهما وإياس لا يأتيهما فعلم القاسم أنه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لا تسأل عنى ولا عنه فهو الله الذى لا إله إلا هو ان إياساً لأفقه منى وأعلم بالقضاء منى فان كنت كاذبا فما عليك أن لا تولينى وأنا كاذب وإن كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى فقال إياس إنك جئت برجل فوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال له عدى أما إنك إذا فهمتها فأنت لها فاستقضاه وقال إياس رحمه الله أرسل إلى ابن هبيرة فأتيته فسألنى فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدالك قال اتقرأ القرآن قلت نعم قال أتفرض الفرائض قلت نعم قال أتعرف من أيام العرب شيأ قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم شيأ قلت أنا بها أعرف قال إنى أريد أن أستعين بك على عملى قلت إن فى خصالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل قال ماهى قلت أنا دميم كما ترى وأنا عى وأنا حديد قال أما دمامتك فانى لا أريد أن أحاسن بك الناس وما العى فانى أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قم فولانى القضاء وأعطانى عشرة آلاف درهم فهو أول ما تمولته ودخل عليه عدى بن أرطاة فى مجلس القضاء وعدى أمير البصرة وكان أعرابى الطبع فقال يا هناه أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال إنى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط

قال فأنا أريد الخروج قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت ، قال : فيم تحكم قال بأن لا تخرجها قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك ، وأول ما ظهر من ذكائه أنه دخل دمشق وهو غلام فنحاكم مع شيخ عند قاضيها فصال إياس بحدته على الشيخ فقال له القاضى إنه شيخ كبير فخفض كلامك فقال له إياس الحق أكبر منه فقال له القاضى اسكت فقال ومن ينطق بحجتى فقال له القاضى ما أراك تقول حقا فقال له إياس لا إله إلا الله أحق هذا أم باطل فدخل القاضى من فوره إلى عبد الملك بن مروان فأعلمه بما رأى من ذكائه فقال له عبد الملك اخرج فاحكم بينهما وأخرجه الآن من دمشق إلى بلاده لئلا يفسد على أهل الشام ، ولما دخل عبد الملك البصرة رأى إياسا وهو صبي وخلفه أربعة من القراء أصحاب الطيالسة وإياس يقدمهم فقال عبد الملك أف لهذه العثانين أمافيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه وقال كم سنك فقال سنى أطال الله بقاء الأمير سن أسامة بن زيد بن حارثة حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبعة عشر سنة . وأما ذكاؤه وفراسته فقد ألف فى ذلك المد ائنى كتابا سماه كتاب زكن إياس والزكن التشبيه يقال زكن عليهم وزكم شبه وخيل وقيل الزكن الظن والتفرس ، ومن زكنه أنه أختصم اليه رجلان فى قطيفتين حمراء وخضراء فقال أحدهما دخلت الحوض لا غتسل ووضعت قطيفتى ثم جاء هذا ووضع قطيفته بجنب قطيفتى ثم دخل واغتسل فخرج قبلى وأخذ قطيفتى فتبعته فزعم أنها قطيفته فقال ألك بينة قال لا قال ائتونى بمشط فأتى به فسرح رأس هذا ثم هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر ومن رأس الآخر أخضر فقضى بالأخضر لصاحب الأخضر وبالأحمر لصاحب الأحمر وأتى المدينة فصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزكنه أهله حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه معلم وأخرى تزعم أنه قاض ثم وجهوا إليه رجلا فاخبره خبرهم فقال أصاب الذين ذكروا أنى قاض ورويدا أخبرك عن القوم أما الذى من صفته كذا فهو كذا وأما الذى يليه فهو كذا وأما ذاك الشيخ فانه نجار فقال الرجل فى كلهم والله أصبت إلا فى الشيخ فانه من قريش فقال إياس وإن كان من قريش فقام الرجل إلى اصحابه فقال قد جئتكم من عند أعجب الناس والله إن منكم من أحد إلا أخبرنى بصناعته إلا هذا فزعم أنه نجار فقال صدق والله إنى لأنجر عيدان جوارى يعنى عود المزمار ونظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فوجدت كذلك فسئل من أين علم ذلك فقال لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع لها فوضعت المرضع على ثديها والحامل على بطنها والبكر على فرجها وسمع نباح كلب لم يره فقال نباح كلب مربوط على شفير بئر فنظر فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال سمعت عند نباحه دويا ثم سمعت بعده صدى يجيبه فعلمت أنه بئر ، ومن فراسته أنه رأى أثر اعتلاف بعير فقال هذا بعير أعور فنظروا فكان كما قال فقيل له فى ذلك فقال لأنى وجدت اعتلافه من جهة واحدة، ولما صار ذكاؤه يضرب به المثل كما يضرب بجود حاتم وحلم الاحنف وشجاعة عمرو بن معديكرب نظمهم حبيب فى بيت جمع فضلهم المتفرق للعباس بن المأمون فقال :

أقدام عمرو فى سماحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

وأهَبْتُ به إلى قُرْصى، فَهَشَّ لِعَارِفَتِى وعِرْفَانى وَلَبَّى دَعْوَةَ رُغْفانى، وانْطَلَقَ ويَدِى زِمامُهُ وظِلِّى أمامُهُ، والعَجُوزُ ثالِثَةُ الأثافى، والرَّقِيبُ الذى لا يَخْفَى عليه خافٍ فلمَّا اسْتَحْلَسَ وكَنَّنى وأحْضَرْتُهُ عُجالَةَ مَكْنَتى قال لى ياحارِثُ: أمَعَنا ثالِثٌ، فَقُلْتُ: لَيْسَ إلا العَجُوزُ، قالَ ماذُونَها سِرٌّ مَحْجُوزٌ، ثمَّ فَتَحَ كَرِيمَتَيْهِ، ورَأْرَأَ بِتَوْأمَتَيْهِ، فإذا سِرَاجا وجْهِهِ يَقِدانِ، كأنَّهُما الفَرْقَدانِ، فابْتَهَجْتُ بِسَلامَةِ بَصَرِهِ، وعَجِبْتُ مِنْ غَرائِبِ سِيَرِهِ، ولمْ يُلْقِنى قَرَارٌ، ولا طاوَعَنى اصْطِبارٌ، حتَّى سألتُهُ مادَعاكَ

وتوفى سنة ثنتين وعشرين ومائة وأخباره كثيرة وفيما أوردناه كفاية (أهبت به) أى دعوته وأصل أهاب دعا لنفسه من بعد وقيل الاهابة دعا الإبل للشرب (والقرص) رغيف صغير سمى قرصا كأنه قرص من العجين أى قطع والتقريص التقطيع (هش) خف فرحا (العارفة) يريد النعمة وهى المعروف (لبى) أجاب وقال لبيك ومصدره تلبية وهى تفعلة من الألباب وهو اللزوم ولب بالمكان وألب به أقام وأصله لبب بثلاث باآت فأبدلوا الآخرة ياء استثقالا لاجتماع الأمثال كما قالوا تظنيت وتمطيت فالياء فيهما بدل من مثل الحرف الذى قبلها ثم اتبعوا الابدال فى المصدر وهى تلبية فياؤه ياء وقولهم لبيك معناه إجابة بعد إجابة ولزوما لطاعتك بعد لزوم (رغفان) جمع رغيف يريد أنه لما سمع بذكر الخبز فكأن الخبز دعاه فأجابه (زمامه) مقوده (إمامه) هاديه (الاثافى) حجارة القدر وهى ثلاث والعرب تقول رماه الله بثالثة الاثافى يعنون بها الجبل لأنهم يجعلون حجرين ويلصقونهما بالجبل فيقوم الجبل مقام الحجر الثالث واحدتها اثفية بالتشديد وقد تخفف وقد اثفيت القدر واثفتها وثفيتها وتسمى العرب أثافى الحديد المنصب (الرقيب) الحافظ يريد الله تعالى (استحلس وكنني) أى دخل بيتى وجلس على حلسه وهو ما يبسط تحت بسطه يقيها الأرض وفلان حلس بيته أى لازم القعود فيه وفى الحديث كن فى الفتنة حلس بيتك أى لاتدخل فيها والحلس كساء يلى ظهر البعير تحت البرذعة ويلزمه فشبه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالحلس ومنه قولهم لست من أحلاسها أى من أصحابها العارفين بها ومنه بنوفلان أحلاس الخيل الذين يضمرونها ويلزمون ظهورها واحلاس القوافى المجيدون فى نظم الشعر والوكنة الثقبة فى الحائط يسكنها الطائر وقيل هى الموضع من الشجرة وغيرها يقع عليه للمبيت وهى الوكن ووكن الطائر وكنا فهو واكن إذا حضن على فرخة فلزم وكنته (عجالة مكنتى) ما تعجل وأمكن من الطعام (محجوز) ممنوع وحجزت الشيء حزته ومنعته وحجزت بين الشيئين حجزا فانا حاجز إذا جعلت بينهما حائلا والمفعول محجوز ومنه الحجاز لأنها أرض حجزت بين نجد والسراة (كريمتيه) عينيه وفى الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من عبد أذهب الله كريمتيه إلا كان ثوابه عند الله الجنة قالوا وما كريمتاه قال عيناه (رأرأ) قلبهما وأدارهما إدارة كثيرة (توأمتاه) كريمتاه، وقوله (مسح كريمتيه) يريد أنه حكهما بكفه فانتفض عنهما ماكان الصقهما به حتى التحما وقيل رأرأ أدار العين وحدد نظرها وتوأمتاه عيناه وفى الغريب المصنف رأرأت المراة بعينها ولألات إذا برقت عينها وأنشد ابن الاعرابى:

عجبت من الحور الكريم نجارها ... ترأرىء بالعينين للرجل الحبل

الحبل الداهية (الفرقدان) نجمان منيران فى بنات نعش (ابتهجت) فرحت (سيره) عاداته (يلقنى قرار)

إلى التعامي ، مَعَ سَبْرِكَ فى المَعَامى وجَوْبِكَ المَوَامِي ، وإيغالِكَ فى المَرَامِي ، فَتظاهَرَ بالْلُّكْنَةِ ، وتشاغَلَ باللُّهْنَةِ ، حَتَّى إذَا قَضَى وطَرَه ، أتأرَ إلىَّ نَظَرَهُ ، وأنشد

ولَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وهُوَ أبُو الوَرَى عَنِ الرُّشْدِ فى أنحائِهِ ومَقاصِدِه

تَعامَيْتُ حتَّى قِيلَ إنِّى أخُو عَمًى ولاغَرْوَ أنْ يَحْذُوَ الفَتَى حَذْوَ والِدِه

يحبسنى سكون وطمأنينة (التعامى) استعمال العمى ، المعامى ، الطرق المجهولة وقيل القفار البعيدة التى تعمى فيها الآثار فلا يهتدى فيها ، الموامى ، القفار واحدها موماة ، ايغالك ، إبعادك ومبالغة دخولك ، المرامى ، المقاصد والبلاد التى ترميه إلى بلاد أخر يقول سألته ما الذى دعاك إلى استعمالك العمى مع دخولك لطلبك الرزق فى المشقات وجوب البلاد البعيدة فلم تجد لنفسك حيلة حتى تشبهت بالعميان (تظاهر) استعان (اللكنة) احتباس اللسان يريد لما امتلأ فمه بالطعام لم يتسرح لسانه بالكلام فوجد بذلك علة لقطع الجواب فكأن اللكنة أعانته على ذلك (اللهنة) الطعام المعجل للضيف قبل الغداء وكل ما تعجلته قبل إدراك الطعام لهنة ولهنت الضيف عللته بذلك (قضى وطره) أتم حاجته من الأكل والوطر المراد ولا فعل له (اتأر) تابع نظره وحدده (الورى) الخلق (انحائه) أغراضه (ومقاصده) والنحو كالقصد (لاغرو) لا عجب (يحذو حذوه) أى يفعل فعله وهذا الاعتذار عن التعامى حسن وقد تقدم إعتذار ابن عباس رضى الله عنهما عنه ومما يعزى للحصرى فى ذلك :

وقالوا وقد عميت فقلت كلا فانى اليوم أبصر من بصير

سواد العين زار سواد قلبى ليجتمعا على فهم الأمور

أخذه من قول بشار :

إذا ولد المولود أعمى وجدته وجدك أهدى من بصير وأحولا

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم معقلا

وغاض ضياء العين للقلب فاغتدى بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا

وشعر كنوز الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وقال بشار : قالوا العمى منظر قبيح قلت بفقدى لكم يهون

تالله ما فى البلاد شىء تأسى على فقده العيون

وعكس هذا المعنى أبو العيناء حين سأله المتوكل ما أشد ما عليك فى ذهاب بصرك قال ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك ، ومما يستملح من هذا الباب : نشأ أعمى بين أعورين فاذا مشيا أو قعدا لحاذى عور هذا عور هذا نشأ بينهما أعمى وقال المتنبى يمدح العور ويذمه فى بيت واحد :

أيا ابن كروس يانصف أعمى وإن تفخر فيا نصف البصير

فاذا انضم ابن كروس إلى مثله نشأ بينهما اعمى قال الشاعر :

وبيننا أبدا أعمى نؤلفه قد يخلق الله عميانا من العور

وقال آخر . ألم ترنى وعمراً حين نغدو إلى الحاجات ليس لنا نظير
أسنايره على يمنى يديه وفيما بيننا رجل ضرير

وقال آخر فى أعور وعوراء تعاشقا .

هى عوراء باليمين وهـذا أعور بالشمال وافق شنا
بين شخصيهما ضرير إذا ما قعدت عن شماله تتغنى

فأما قول جميل اليشكرى فى صفه الذئب .

وأعور من يمناه إن شاء مرة وإن شاء من يسراه ما كان راقدا
لقد فزت دون العور أرس رتبة وأعطيت نابا يفلق الصخر باردا

فانما وصفه بشدة الحذر وذكر العور على معنى الاستعارة كما قال حميد بن ثور .

ينام باحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وقال ابن المعدل . أشتهى فى المقلة القبلا لا كثيرا يشبه الحولا
واحمرار الخد من خجل إننى استحسن الخجلا

وقال آخر . وأحول ذى حركة يملأ بيتى بركة

يزيد أنه يرى من الشىء اثنين كما قال الآخر .

فقد جعلت أرى الشخصين أربعة والواحد اثنين مما بورك البصر

لأن هذا يصف الكبر وأعتذر القاضى أبو محمد عبد الوهاب عن الحول فأحسن حيث يقول .

حمدت إلهى إذا بليت بحبهـا وبى حول يغنى عن النظر الشزر
نظرت إليها والرقيب يظننى نظرت إليه فاسترحت من العذر

لحوله رفع عنه ثقل مؤونة التكلف الذى ذكره الآخر حين قال :

ولما التقينا والعيون نواظر وليس لنا رسل سوى الطرف للطرف
تنزهت فى خديك من نظر خفى وما زلت أخفى الود ضعفا على ضعف
فان غفل الواشون فزت بنظرة وإن نظروا نحوى نظرت إلى كفى

فلذلك حمد الله على الحول وقال الناشى فى هذا المعنى فأحسن :

يتنا فلان اللفظ من جفنيهما فكأنما يتناسخان كتابا
واذا سهت عين الرقيب تخالست كفاهما خلس السلام سلابا

وللقاضى أبى محمد أنشدنا بعض أشياخنا عبد الوهاب البيت الثانى والآخر من القطعة الثانية وكان كثيرا ما يحرضنا بها على الطلب ويسلينا عن الغربة .

ومحجوبة فى الخدر عن كل ناظر ولو برزت بالليل ما ضل من يسرى
أقول لها والدمع يغلب صبرها أعدى لفقدى ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفا على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الحرمان أن لياليا تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

ثمّ قالَ لِي : انْهَضْ إلى المَخْدَعِ فأتِني بِغَسُولٍ يَرُوقُ الطَّرْفَ ، وَيُنْقِي الكَفَّ ، وَيُنَعِّمُ البَشَرَةَ ، وَيُعَطِّرُ النَّكْهَةَ ، وِيَشُدُّ اللِّثَةَ ، ويُقَوِّي المَعِدَةَ ، وليَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ ، أَرِيجَ العَرْفِ ، فَتِيَّ الدَّقِّ ناعِمَ السَّحْقِ ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذَرُورًا ، ويَخالُهُ النَّاشِقُ كافُورًا ، واقْرُنْ بِهِ خِلالَةً نَقِيَّةَ الأَصْلِ مَحْبُوبَةَ الوَصْلِ أَنِيقَةَ الشَّكْلِ ، مَدْعاةً إلى الأَكْلِ ، لَها نَحافَةُ الصَّبِّ ، وَصَقالَةُ العَضْبِ وآلَةُ الحَرْبِ ، ولُدُونَةُ الغُصْنِ الرَّطْبِ

ولم ينشدنا البيت الأول ولا الأوسط وهما من القطعة وأما كلام الحريرى الذى فرغنا من شرحه فهو منقول من مقامة البديع بقول على لسان عيسى بن هشام : ثم فارقهم وتبعته وعرفت أنه لسرعة ما عرف الدينار فلما نظمتنا خلوة مددت يدى إلى يسرى عضديه فقلت والله لتريني سرك أو لاهتكن سترك ففتح عن توأمتيه وحدر لسانه عن وجهه فاذا والله أبو الفتح الاسكندرى فقلت له أنت أبو الفتح فقال:

أنا أبو قلمون ، فى كل لون أكون اختر من الكسب دونا فان دهرك دون

زج الزمان بحمق ، إن الزمان زبون ، لا تكذبن بعقل ، ما العقل إلا الجنون

وعتب الحريرى على العمى فائق فى النثر وشعره فى الاعتذار عنه رائق فى النظم وهو على انطباعه فى القصيد إذا أتى بالبيتين أتى بالعجب وهو فى ذلك كما قيل فى أبى منصور الفقيه إذا رمى بزجيه قتل (المخدع) هو بيت داخل بيت قال ابن الانبارى هو الخزانة فى جانب البيت وهو من خدع إذا توارى واستتر واخدعه إخداعا أخفاه فمن ضم ميم مخدع فهو من أخدع ومن فتح فهو من خدع وخدع الضب فى جحره خدعا دخله خوفا من صائده (الغسول) الاشنان وهو النقاوة ويقال أيضاً الغاسول وكل ما غسلت به ثوبك أو رأسك فهو غسل وغسول (يروق) يعجب (الطرف) العين (ينق) بنظف (البشرة) ظاهر الجلد .

(النكهة) رائحة الفم ونكهت الرجل أنكهه وأنكهه والفتح أقل واستنكهته كله شممت فاه قال الشاعر :

نكهت مجالدا فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد

(اللثة) اللحم على الأسنان (نظيف الظرف) نـقى الوعاء (أريج العرف) عطر الرائحه والأرج فوح الطيب وأرج المسك فاح (فتى الدق) طرى الكسر (ناعم) حسن قد بولغ فى سحقه يريد أنه فى الحال الذى يسحق يستعمل (الناشق) الشام (والذرور والكافور) من أنواع الطيب والذرور هو المعروف بالذريرة والذرور أيضاً غبار يذر فى العين وكله مأخوذ من الذر وهو التفرق لأن أجزاءه تفرقت عند سحقه وفعله ذر وأصله ذرر والكافور مأخوذ من الكفر وهو التغطية فلشدة فوحه وحده يستر رائحة غيره من الطيب (اللامس) الذى يمسه بيده (الخلالة) عويد رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان (أنيقة الشكل) معجبة الهيئة وشكل الشىء هيئته التى هو عليها (مدعاة) داعية والهاء للمبالغة (نحافة الصب) رقة العاشق (العضب) السيف القاطع (آلة) عدة وأداة يريد أنها محددة مصقولة مثل (آلة) الحرب ويروى ألة بالتشديد وهى الحربة (لدونه) لين (نحافة الصب) ليس هو تشبيها حقيقيا وإنما أراد أنها أخذت من العاشق نحافته ومن العضب صقالته ومن الغصن لدونته ولو شبه الخلالة فى الرقة بالعاشق ونحوله لكان

جائزا وكان من التشبيه المقلوب وكلاهما بديع فى بابه ، والخلالة التى ذكر أصلها نبات لشجير وتطلع فى الصيف له رؤس يكون فى الواحد منها عدة من قضبان رقاق فيمسك الرجل منها فى جيبه رأسا فمتى أكل طعاماً نزع منها قضيبا فتخلل به ويعرف هذا النبات عندنا بالبستينج فيحتمل أن يكون هـــذا بعينه هو الذى عندهم فى المشرق وإلا فصفته التى وصفت موجودة فى البستينج من الرقة والصفاء واللين والحدة وجاء فى الحديث النهى عن التخلل بعود الآس والرمان والقصب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقوا أفواهكم بالخلال فإنها مسكن الملكين الكاتبين الحافظين وأن قلمهما اللسان ومداهما الريق وليس عليها شىء أشد من فضول الطعام . أبو أيوب : قال صلى الله عليه وسلم حبذ المتخللون فى الوضوء والطعام ؛ أبو هريرة : قال صلى الله عليه وسلم من أكل فليتخلل فما تخلل فليلفظ ومالاك بلسانه فليبتلع ؛ والخلالة إذا بلغت من رقتها أن تقع بين الأسنان فالعاشق إذا بلغ الغاية فى النحول هو الذى يشبه بها كما قال فى التاسعة فى وصف الصبى الهزيل من الجوع : ولى منه سلالة كأنها خلالة ؛ وأخذه من قول ديك الجن :

أرحم اليوم ذلتى وخضوعى فلقد صرت ناحلا كالخلال

وقال أبو الطيب : روح تردد فى مثل الخلال إذا أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فذكر أن ثوبه على بدن لم يتبين للناظر والتشبيه المقلوب عندهم شىء مستظرف ومذهب مستحسن كما قال ذو الرمة :

ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس

فقلب التشبيه لأن العادة أن يشبه الأعجاز بكثبان الرمل كما قال الآخر : مثل قضيب تحته كثيب . وكما قال الآخر

كم أحرزت قضب الهندى مصلته تهتز من قضب تهتز من كثب

علق قوله من قضب تهتز بأحرزت بلح لك بديع صنعته بسرعة فانه أراد كم أحرزت قضب الهند وهى السيوف إذا أصلتت من أغمادها وهزت من قضب أى قدود نساء تهتز من كثب أى أكفال شبه أكداس رمال وما أعذب وأظرف قول البحترى :

أين الغزال المستعير من النقا كفلا ومن نور الأقاحى مبسما

فهذا هو الذى جرت به العادة فى التشبيه فقلب ذو الرمة العرف والعادة فشبه كثبان النقا بأكفال النساء وتبعه خالد الكاتب وغيره حدث جحظة قال حدثنى خالد الكاتب قال جاءنى يوما رسول إبراهيم بن المهدى فصرت اليه فرأيت رجلا أسود على فرش قد غاص فيها فاستجلسنى وقال أنشدنى من شعرك فأنشدته :

رأت منه عينى منظرين كما رأت من الشمس والبدر المنير على الأرض
عشية حيانى بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن إلى بعض
ونازعنى كأسا كأن حبابها دموعى لما صد عن مقلتى غمضى
وراح وفعل الراح فى حركاته كفعل نسيم الريح فى الغصن الغض

فزحف حتى صار فى ثلثى الفراش وقال يافتى شبهوا الخدود بالورد وأنت شبهت الورد بالخدود فزدنى فأنشدته :

عاتبت نفسى فى هوا ك فلم أجدها تقبل
واطعت داعيها إليـ ـك ولم أطع من يعذل
لا والذى جعل الوجو ه لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبر عنـ ـك من التصابى أجمل

فزحف حتى انحدر من الفراش ثم قال زدنى فأنشدته :

عش فحبيك سريعاً قاتلى والضنا إن لم تصلنى واصلى
فأنا بين اكتئاب وضنا تركانى كالقضيب الذابل
فبكى العاذل لى من رحمة فبكائى لبكاء العاذل

فاستخف طربا ثم قال يا بليق كم معك لنفقتنا قال ثمانمائة وخمسون دينار قال اقسمها بينى وبين خالد فدفع إلى نصفها ، وقد سبق إلى قوله كأنه خدود . قال المفضل دخلت على الرشيدى وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت إليه فقال يامفضل قل فى هذا الورد شيأ تشبهه به فأنشأت أقول :

كأنه خد معشوق يقبله فم الحبيب وقد أبقى به خجلا

وقالت الجارية : كأنه لون خدى حين تدفعنى كف الرشيد لأمر يوجب الغسلا

فقال يا مفضل قم فاخرج فان هذه الماجنة قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور ولقد أحسن ابن الرقاق فى قوله :

ورياض من الشقائق أضحت تتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يجلد منها زاهرات تروق لون الراح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح

وقال البحترى : فى طلعة الشمس شىء من ملاحتها وللقضيب نصيب من تثنيها

وقال ابن المعتز : سقتنى فى ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فأمسيت فى ليلين فى الشعر والدجى وشمسين من خمر وخد حبيب

وأستطرد إلى قلب التشبيه من مبالغة النحول الذى ذكرنا فأقول : إذا صار جسم العاشق من النحول يوصف بمثل قول الشاعر .

أنحلنى الحب فلو زج بى فى مقلة النائم لم ينتبه
قد كان لى فيما مضى خاتم والآن لو شئت تمنطقت به

وبمثل قول أبى بكر بن دريد :

إن الذى أبقيت من جسمه يا متلف الصب ولم يشعر
صبابة لو أنها قطرة تجول فى جفنك لم تقطر

صار جسم الخلالة على نحافته أكبر من جسم الصب بأضعاف فينقلب التشبيه وكذلك إذا بولغ فى وصف الاكفال بالعظم صغرت عندها الكثبان فينقلب التشبيه وقد ترجم ابن جنى فى خصائصه ترجمة فقال هذا

قالَ فَنَهَضْتُ فِيما أَمَرَ لأَدْرأَ عَنْهُ الغَمَرَ ، ولمْ أَهِمْ إلى أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ ، بإِدْخالي المُخْدَعَ ولاَ تَظَنَّيْتُ أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ ، في اسْتِدْعاءِ الحلالَةِ والفَسُولِ ، فلمَّا عُدْتُ بالمُلْتَمَسِ ، في أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفَسِ ، وَجَدْتُ الجَوَّ قَدْ خَلاَ ، والشَّيْخَ والشُّيَيْخَةَ قد أَجْفَلاَ ، فاسْتَشَطْتُ مِنْ مَكْرِهِ غَضَباً ، وأَوْغَلْتُ في إِثْرِهِ طَلَباً ، فكانَ كَمَنْ قُمِسَ في الماءِ أو عُرِجَ بِهِ إلى عَنَانِ السَّماءِ .

باب من غلبة الأصول الفروع ثم أنشد بعض ما أنشدنا وقرنها بمسائل من العربية تشبه الباب وللمتقدمين والمتأخرين فى النحول شعر كثير ويستحسن فى ذلك قول المجنون :

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ... مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب
ألا إنما غادرت يا أم مالك ... صدى أينما يذهب به الريح يذهب

أخذه المؤمل فقال :

قد صرت من ضعفى إلى حالة ... تجرى لها آماق حسادى
يكاد جسمى من نحول الضنا ... تحمله أنفاس عوادى

وزاد خالد الكاتب لجعله لا يدرك إلا بالوهم فقال :

يا من تجاهل عما كان يعمله ... عمداً وباح بسر كان يكتمه
غدا خليلك نضوا لا حراك به ... لم يبق من جسمه إلا توهمه

فزاد ابن المعتز وجعله يخفى على الموت فقال :

مسهد خانه التفريق فى أمله ... أضناه شيده ظلما بمرتحله
فدق حتى لو أن الدهر قاد له ... حتفا لما أبصرته مقلتا أجله

فأعدمه المتنبى واستريح منه فقال :

أراك حسنت السلك جسمى فعقته ... عليك بدر من لقاء الترائب
ولو قلم ألقيت فى شق بريه ... من السقم ما غيرت من خط كاتب

(أدرأ) أى أزيل (الغمر) الودك (أهم) أظن ويذهب وهمى (تظنيت) حسبت وأبدل إحدى نونى ظن ياء تخفيفا للتضعيف (سخر) هزأ (الملتمس) المطلوب (الجو) هنا داخل البيت (أجفلا) هربا وأسرعا استشطت اشتد غضبى (مكره) خداعه (أوغلت) بالغت وباعدت (قمس) غمس (عرج به) طلع به (عنان) بفتح العين سحاب والعنانة السحابه وأعنت السماء صار لها عنان . . . والله الموفق للصواب

المقامة الثامنة المعرية

أَخبَرَ الحارِثُ بنُ همّامٍ قال : رأَيتُ مِنْ أَعاجيبِ الزّمان ، أنْ تَقدَّمَ خَصْمان ، إلى قاضي مَعَرَّة النُّعمان . أحدُهُما قد ذَهَبَ منْهُ الأَطْيَبان ، والآخَرُ كأَنَّهُ قَضِيبُ البَان ، فقَال الشَّيْخُ : أَيَّدَ اللهُ القَاضِي كما أَيَّدَ بِهِ المُتقَاضِي ، إِنَّه كانَتْ لي مَمْلوكَةٌ رَشيقَةُ القَدِّ أَسيلَةُ الخد ، صَبُورٌ عَلَى الكَدِّ ،

شرح المقامة

(معرة النعمان) هي بلدة بالشأم والنعمان اسم جبل مطل عليها والمعرة اسم البلدة فأضيفت اليه ولها سبعة أبواب وعلى جبل منها دير سمعان فيه قبر عمر بن عبدالعزيز وقبر شيث بن آدم عند باب شيث منها وداخلها قبر يوشع بن نون وله يوم حفيل في كل عام ، وإلى المعرة ينسب الشاعر المعري قال شيخنا ابن جبير انه خرج من قنسرين يريد حمص قال فرأينا عن يمين طريقنا بمقدار فرسخين بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والتين والفستق وأنواع الفواكه ويتصل التفاف بساتينها وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من أخصب البلاد وأكثرها أرزاقا وراءها جبل لبنان وهو سامي الارتفاع ممتد الطول متصل من البحر إلى البحر وفي سفح الجبل حصون للملحدة الاسماعيلية فرقة مرقت من الاسلام وادعت الالوهية قيض لهم شيطان بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسحرهم بمحالها فاتخذوه إلها يعبدونه ويبذلون الأنفس دونه حصلوا من طاعته بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شاهق جبل فيتردى المأمور والله يضل من يشاء (الأطيبان) أي الأكل والنكاح أي هو شيخ مسن وقيل الأطيبان النوم والنكاح وقيل طيب النكاح وطيب النكهة ، أبو هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم الاطيبان التمر واللبن وسئل شيخ مسن من العرب عن حاله فقال ذهب مني الاطيبان السير والأيرو بقي الارطبان الضراط والسعال (البان) شجر تشبه بقضبانه القدود الناعمة (المتقاضي) أي المتحاكم إليه الذي يطلب من الحاكم قضاءه وعونه على خصمه وهذا الغرض الذي ذكره ضرب من الالغاز لأنه مشى كلامه في وصف جارية وغلام وقد ضمن الكلام وصف ابرة ومرود (مملوكة) يعني الابرة لانها مما يتمول (رشيقة القد) معتدلة القامة (أسيلة) ملساء حد الابرة شق فيه ثقبها وأصل الحدشق مستطيل في الأرض والاسالة ملاسة مع طول (صبور على الكد) أي صابرة على المشقة والتعب وفعول بمعنى فاعل يمتنع الحاق الهاء به إذا وقع صفة المؤنث قال عنترة .

إني امرؤ سهل الخليقة ماجد لا أتبع النفس اللجوج هواها

ومنه امرأة شكور وصبور ولجوج ولحن أبو محمد خواص العراق بقولهم شكورة ولجوجة وصبورة وقال إن هذه التاء إنما تدخل في فعول إذا كانت بمعنى مفعول نحو ناقة ركوبة وشاة حلوبة قال وذكر النحويون في امتناع الهاء من فعول بمعنى فاعل للمؤنث عللا أجودها أن الصفات الموضوعة للمبالغة نقلت عن بابها لتدل على المعنى الذي تخصصت به فأسقطت الهاء من صبور وفتاة معطار ونظائره كما ألحقت بصفة المذكر في رجل علامة ونسابة لتدل على تحقيق المبالغة وتؤذن بحدوث معنى زائد في الصفة وامتناع الهاء المذكورة أصل مطرد الاعدوة فانهم ألحقوه

تَخُبُّ أحيانًا كالنَّهْد ، وتَرْقُدُ أطْوَاراً في المَهْدِ ؛ وتَجِدُ في تَمُّوزَ مَسَّ البَرد ، ذَات عَقْلٍ وعِنَان ، وحَدّ وسِنَان ، وكَفٍّ ببِنَان ، وفَمٍ بلاَ أسْنَان ، تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْنَاض ،

بصديقة الشيء في أصول العربية يحمل على ضده ونقيضه كما يحمل على نظيره ورسيله (تخب) تنب في الثوب بسرعة (النهد) الفرس الضخم (أطوارا) أحيانا ومهدها مثبر الخائط الذي يمسك فيه ابرته (تموز) أحد الشهور وهو يوليه (البرد) أن يبردها الحداد بالمبرد ليقومها وبعدها فالبرد هنا فعل صانعها قال ابن ظفر ذهب بالبرد الى ماطبع عليه الحديد من البرد في القيظ (ذات عقل وعنان) أراد بالعنان الخيط لأنها ترسل في الخياطة والعقال شدها بالخيط حين تمسك في الثوب (سنان) طرفها المسنون أي المحدد (كف بينان) الكف والتضريب شيآن معروفان في الخياطة فيريد أن الخائط يقلب التضريب بأصابعه وهي البنان ويكفه بالابرة (فم) يريد ثقب الابرة (تلدغ) تضرب الأصبع (اللسان النضناض) للحية والنضنضة قيل هي صوت الحية وقيل حركة لسانها وإنما اختلف فيها لأن الحية إذا ضيق عليها فتحت فاها وصفرت وحركت لسانها فيقال نضنضت وشبه طرف الإبرة بلسان الحية لكثرة حركته في الثوب وما أحسن قول الشاعر في تشبيه لسان الأفعى بنور السراج :

وقنديل كأن النور منه محيا من أحب إذا تجلى
أشار على الدجى بلسان أفعى فشمر ذيله فرقا وولى

وقال ابن الصباغ الصقلي في شمعة :

يطعن صدر الدجى بعالية صنوبرى لسان كوكبها
كحية باللسان لاحسة ما أدركت من سواد غيهبها

وللبيتين الأولين حكاية مستظرفة حدثني بها غير واحد من الطلبة أردت ترك ذكرها لأمرين لشهرتها ولأني وجدت البيتين مثبتين في بعض النسخ من القلائد لأحد رجالها ثم عزم على بعض الأدباء أن أذكرها فذكرت على اختصار فائدتها ،وذلك أن الشاعر المعروف بالبكي الهجاء دخل عليه في ليلة ماطرة ذات رعد وبرق في بيت فندق دواب شخص في الظلام لا يعرفه وعلى البكي بقية من سلهامة خلقة لا يواريه غيرها وعلى الثاني بقية من قميص قد اسود من طول البلى وكثرة الأوساخ حتى لا يعرف رائيه من أي ثوب هو وقد بلل كل واحد منهما المطر وهما في بلاء من الفقر والجوع والبرد فرق لها الفندق خادم فدخل عليهما بقنديل فعند ما نظر كل واحد منهما صاحبه تأسى به ورأى أنه قد وجد لنفسه نظيرا في الشقاء فقال البكي لجليسه أي شيء أنت فقال شاعر وشؤم الأدب بلغ بي ماترى قال فأجز فقال :

وقنديل كان النور منه ـ فقال الآخر : محيا من أحب إذا تجلى :

* أشار على الدجى بلسان أفعى ـ فقال الآخر : فشمر ذيله فرقا وولى ـ فقال له البكي وقد أعجب به بمن تعرف فقال بعنق البرة قال له وأنا البكي فجعلا يتناظر ان بقية ليلتهما في أيهما أكثر حرمانا حتى أصبحا وكان يتلمسان فقال عنق البرة للبكي هلم لنقترع أينا يقيم هنا وأينا يرتحل فانا إن بقينا في موضع واحد أدرك الناس من شؤمنا ما يؤدي بهم إلى الهلاك فاقترعا فخرجت قرعة البكي بالرحيل فارتحل ونزل بفاس فحل بأهلها من بلائه

وتَرْفُلُ فى ذَيلٍ فَضْفَاضٍ ، وتُجْلَى فى سَوادٍ وبَياضٍ ، وتُسْقَى ولكِنْ مِنْ غَيْرِ حِياضٍ ، ناصِحَة خُدَعَة ، خُبأَة طُلَعَة ، مَطْبُوعَة عَلَى المَنفَعَة ، ومطَاوِعَة فى الضِّيقِ والسَّعَة ، إذَا قَطَعْتَ وَصَلَتْ ، ومَتَى فَصَلْتَهَا عَنْكَ انْفَصَلَت ، وطَالَمَا خَدَمَتْكَ فَجَمَّلَتْ ، ورُبَّمَا جَنَتْ عَلَيْكَ فَآلَمَتْ وملْمَلَتْ ، وإنَّ هَذَا الفَتَى اسْتَخْدَمَنِيهَا لِغَرَضٍ ، فَأَخْدَمْتُه إيَّاهَا بِلا عِوَضٍ ، على أنْ يَجْتَنِيَ نَفْعَهَا ولا يُكَلِّفَهَا إلَّا وُسْعَهَا ، فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَه ، وأطَالَ بِهَا اسْتِمْتَاعَهُ ، ثُمَّ أعادَهَا وقَدْ أفْضَاهَا ، وبَذَلَ عَنْهَا قِيمَةً لا أرْضَاهَا ، فقَالَ الحَدَثُ أمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ القَطَا ،

ما قد شهر ولمن كان البيتان فلقد أجاد وأحسن ما شاء (ترفل فى ذيل فضفاض) أى تمشى فى خيط طويل (تجلى فى سواد وبياض) أى تبرز فى خيط أسود لخياطة السواد وأبيض لخياطة البياض (تسق) أراد سق الحداد لها إذا أخرجها من النار ألقاها فى الماء لتصلب (ناصحة) خاطئة والنصاح الخيط ونصحت الثوب خطته (خدعة) تخدع الخائط كثيرا فتخيط وجه الثوب الأعلى وتترك الأسفل والهاء فى هذه الصفات للمبالغة (خبأة طلعه) يصف حالها فى الخياطة حين تختبىء فى الثوب ثم تطلع فى يد الخائط (مطبوعة) أى مصنوعة لينتفع بها (مطاوعة فى الضيق والسعة) يريد إذا دفعتها فى الثوب دخلت فيه سواء اتسع موضع دخولها أوضاق (إذا قطعت وصلت) يريد إذا قطعت الثوب وفصلته ألفته (فصلتها عنك) نحيتها وجعلتها فى مئبرها (خدمتك) أى صرفتها فيما تحتاج من خياطة ثيابك (جملت) ألفت قطع الثوب (جنت عليك فآلمت) أى ضربتك فأوجعتك وصيرتك ذا ألم (ململت) أى جعلتك متقلبا لشدة الوجع (استخدمنيها) أى طلب منى خدمتها (لغرض) حاجة وأصل الغرض ماقصدته سهام الرامى ثم سميت الحاجة غرضا لأنها قصدت بالرغبة فيها (وسعها) طاقتها وقدر ماتحمل مما تكلف (أولج فيها متاعه) أى أدخل فيها خيطه (أفضاها) خرق عينها وفى المرأة خلط مسلكيها من أفضيت إلى الشيء وصلت إلى متسعة ومنه القوم فوضى أى متسعون مختلطون (بذل) أعطى (القطا) طائر يصيح قطاقطا فسمى بصياحه وبما يفهم من صوته ولذلك تسميه العرب الصدوق ويقال أنسب من قطاة لأنها إذا صاحت عرفت وقال الشاعر :

تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت ... ياصدقها حين تدعوها فتنتسب
حمراء مقبلة سكاء مدبرة ... للماء فى البحر منها نوطة عجب

وقال الكميت :

لاتكذب القول إن قالت قطا صدقت ... إذ كل ذى نسبة لا بد ينتحل

وقال أبو وجزة : مازلن ينسبن وهنا كل صادقة ... باتت تباشر عرما غير أزواج

يريد أن الحمير وردت الماء ليلا فأثارت القطا عن أفاحيصه فصاحت قطاقطا فذلك انتسابه وجعلها صادقة لصياحها قطا والعرم بيضها لأن فيها سوادا وبياضا وبيض القطا أفراد ثلاثة أو خمسة ، قال مزاحم العقيلى فى القطا وفراخها :

فلما دعته بالقطاة أجابها ... بمثل الذى قالت له لم يبدل

وأمّا الإفضاء فَفرَطَ عنْ خطأ ، وقدْ رهَنْتُه ، عنْ أرْشِ ما أوْهَنْتُه مَمْلوكاً لي مُتناسِبَ الطّرَفين ، مُنْتَسِباً ، إلى القَيْن ، نَقيٌّ مِنَ الدَّرَن والشَّيْن ، يُقارِنُ محلُّه سَوادَ العَيْن ، يَفشي الإحْسان ، ويُنشي الاستِحْسان ، ويُغذي الإنْسان ، ويتحامى اللسان ، إنْ سُوِّدَ جادَ أوْ وَسَمَ أجاد ، وإذا زُوِّدَ وهَبَ الزّاد ، ومَتى استُزيدَ زاد ، لا يَستَقِرُّ بمغْنى ، وقلّما ينْكِحُ إلّا مَثْنى ، يَسخُو بمَوْجُودِه ، ويَسْمُو عِندَ جُودِه ، ويَنْقادُ مع قَرينَتِه ، وإنْ لم تَسكُنْ مِنْ طِينَتِه ، ويُستَمْتَعُ بزِينَتِه ، وإنْ لم يَطْمَعْ في لِينَتِه . . . فقالَ لَهُما القاضي : إمّا أنْ تُبينا ، وإلا فَبِينا ، فابتَدَرَ الغُلامُ وقال :

وقال المعرى : عرفت جدودك إذا نطقت وطالما لفظ القطا فأبان عن أنسابها

وقال الأصمعى . القطا لا تصيح إلا إذا رأت الماء فاذا عدم الماء وسمعت العرب صياح القطا فرحوا به وعرفوا قرب الماء من بعده وقيل سمي قطا لثقل مشيه يقال قطا الرجل يقطوا إذا ثقل مشيه (فرط) أى سبق (عن خطا) أى عن غير تعمد (رهنته) أعطيته رهنا وأرهنتك أعطيتك ما ترهنه (الارش) قيمة العيب أدى دية الجرح مأخوذ من أرش بين القوم لأن الأرش يختصم فى قدره (أوهنته) أفسدته ووهن الشيء يوهن ويهن ضعف وأوهنته أنا إذا أضعفته (مملوكا) يعنى المرود (متناسب الطرفين) أى هذا الطرف مثل هذا الطرف تكتحل بأيهما شئت (القين) الحداد الذى صنعه (الدرن) وسخ الحديد والشين العيب أى هو مصقول معتدل ليس فيه اعوجاج ولا عيب (يقارن محله سواد العين) أى عند التكحل به (يفشى) يحدث ويظهر . وإحسان الكحل فى العين لا يخفى (ينشى إستحسان) أى ينشى الناظر العين إستحسان الكحل فى العين (الإنسان) إنسان العين يغذيه بالكحل والإنسان السواد الذى فى وسط العين إذا رأيته رأيت فيه شخصا والشخص هو الإنسان فسمي السواد به (يتحامى) يبعد عنه يريد أنه يكحل العين ولا يقرب من الفم (سود) أى جعل فيه الكحل (جاد) أعطاه العين (وسم) العين بالكحل (أجاد) عمله فيها (قلما ينكح الامثنى) أى لا ينكح عينا واحدة فى الغالب وقد نظم هذا النثر فى الثانية والأربعين (جوده) أى يجود بكحله للعين (ويسمو) يطلع للعين وجعل له الكحل غذاء لأنه يأخذ ويرتفع به للعين (قرينته) مكحلته (من طينته) من جنسه (زينته) تزينه للعين (يطمع فى لينته) أى لا يطمع أن يكون الحديد لينا وكل لفظة فسربها المرود والابرة لها لفظ فى ظاهرها غير ما فسرت به (تبينا) توضحا وتفسرا حديثكما المبهم الملغز (فبينا) ابعدا وارتفعا (أرفو) أى أخيط ويروى لأرفأ يقال رفأت الثوب أرفؤه ورفوته أرفوه والرفو من أدق أنواع الخياطة وهو نسج الخرق فى الثوب حتى يعود كأنه لم يكن فيه خرق وقال ابن القابلة السبتى فى غلام رفاء .

يا رافيا قطع كل ثوب وبارشا حبه اعتمادى
عسى بخيط الوصال ترفو ما قطع الهجر من فؤادى

وقال الحلوانى فى خياط .

رب خياط فتنت به فتنة اوهت قوى جلدى

أعارَنِى إبرَةً لأرفُوَ أطـ ـمَاراً عَفَاهَا البِلَى وسَوَّدَها

لاعب بالخيط يفتله أزراه ظنه جسدى
ليت أنى كنته فأرى بسين ذاك الدر والبرد
فعل بالثوب إبرته فعل سهم الشوق فى خلدى
وجرى المقراض فى يده جرى عينيه على كبدى

ومن مجون أبى نواس أنه كان يؤاكل إسماعيل بن أبى سهل فعرضت له على مائدة رقاقة فى جانبها خرق قد ضم فرفعها باحدى يديه ونقرها باخرى فانفرجت وقال وهو يضحك أخبز كم مرفوء. فلما خرج قال

خبز إسماعيل كالوشـ ـى إذا ما انشق يرفا
عجبا من أثر الصنعـ ـة فيه كيف يخفى
إن رفاءك هذا ألطف الأمة كفا
فاذا قابل بالنصـ ـف من الخبزة نصفا
ألطف الصنعة حتى لا ترى مغرز أشفى
مثل ما جاء من التنـ ـور ما غادر حرفا

(الاطمار) الثياب الخلقة واحدها طمر (عفاها البلى) غيرها القدم ودرسها (وسودها) بالأوساخ حتى صارت فى طبع الثوب فمتى غسلت لم تزل... ومما قالت الشعراء فى الاطمار البالية مما يستحسن قول الحمدونى فى طيلسان وهبه له احمد بن حرب المهلبى :

يا ابن حرب أطلت همى برفوى طيلسانا قد كنت عنه غنيا
فهو فى الرفو آل فرعون فى العر ض على النار بكرة وعشيا

وقال أيضا فيه

طيلسان ابن حرب يتداعى لا مساسا
قد طوى قرنا فقرنا وأناساً فأناسا
ليس الأيام حتى لم تدع فيه لباسا
غاب تحت الحس حتى لا يرى إلا قياسا

وقال فيه أيضا

قل لا بن حرب مقالة العاتب ولست فيها أقول بالكاذب
أما رأيت الرفاء يحزننى برفوه طيلسانك الذاهب
أفناه جور البلى عليه كما أفنى الهوى عمر خالد الكاتب

وقال فيه أيضا

إن ابن حرب جادلى كاسيا بطيلسان هرم قشعم
انظر إلى كثرة تمزيقه كأنما مزق فى مأتم
رفوى له وهو رميم لمن يبنى فوق بناء مستهدم
يصدعه اللحظ بإيماضه صدع فؤاد العاشق المغرم

يذكرنى كثرة تمزيقه تفرق الناس عن الموسم

وقال فيه أيضاً يا ابن حرب كسوتنى طيلسانا من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى

وقال أيضا فيه: ياقاتل الله ابن حرب لقد أطال اتعابى على عمد
بطيلسان خلت أن البلى يطلبه بالوتر والحقد
أجد فى رفوى له والبلى يلهو به فى الهزل والجد
إلى أتهم الرافى فى رفوه مضى به التمزيق فى نجد
عنيته لما مضى راحلا تركتنى يا واحدى وحدى

والحمدونى هو اسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه نسب إلى جده وهو من أهل ميسان وكان حلو التصرف مليح الافتنان

وهو القائل: من كان فى الدنيا له شارة فنحن من نظارة الدنيا
نلحظها من كثب حسرة كاننا لفظ بلامعنى

وقال أبن الرومى فى طيلسانه:
ولى طيلسان ناحل غير أنه ثبوب لهبات الرياح الزعازع
... وما ذاك إلا أنه متهتك يخلى سبيل الريح غير منازع
أراه لضوء الشمس بالعين رؤية ويعدى من لمسه بالأصابع
شكا ثقل اسم الطيلسانى اضعفه فسميته ساجا فهل ذاك نافعى

وقال ابن سارة فى فروة:

أودت بذات يدى فريوة أرنب كفؤاد عروة فى الضنا والرقة
يتحشم الرفاء فى ترقيعها بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى ترقيعها يحصى لزاد على رمال الرقة
إن قلت باسم الله عند لباسها قرأت على إذا السماء انشقت

وله فيها أيضاً: لى فروة وصفى لجانحتى بها يأتيك بين مقرط ومشنق
عطلت كتب أبى عبيد بالذى ألفت فيها من غريب مصنف
يسطو على الغرم فى ترقيعها سطو الغرام على فؤادى المدنف
فأنا وفروى خوف تمزيق لها أحكى معاويه لجنب الأحنف

وله فى طيلسانه: وطيلسان هرم يحتمى عليه أكل الخل والبقل
كان كفى إذا انضمتا عليه خوف الريح فى غل

ولبعض أصحابه فيه: على منكب ابن على سمل تقطعه لحظات المقل
إذا غيم الجو أبصرته رهين الذيول بكف البلل
نسوا طيلسان ابن حرب به وصاروا به يضربون المثل

فانخرمت في يدي على خفإ ... مني لما جذبت مقودها
فلم يرَ الشيخ أن يسمحني ... بأرشها إذ رأى تأودها
بل قال هات آبرة تماثلها ... أو قيمة بعد أن تجودها
واعتاق ميلي رهناً لديه وآ ... هيك بها سبة تزودها
فالعين مرهى لرهنه ويدي ... تقصر عن أن تفك مرودها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي ... وارث لمن لم يكن تعودها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال : إيه ، بغير تمويه ؛ فقال :

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ... ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم يرني ... مرتهناً ميله لذي رهنا
ولا تصديت أبتغي بدلا ... من إبرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني ... بمصميات من هنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ... ضراً وبؤساً وغربة وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا ... نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يسطيع فك مروده ... لما غدا في يدي مرتهنا

وله في غفارته :

لاحمد بن على ... غفارة كالسراب
إن هب أدنى نسيم ... تمر مر السحاب

والشعر في هذا الباب كثير (انخرمت) أي انكسرت (مقودها) خيطها (تأودها) انكسارها وأصله الاعوجاج (اعتاق ميلي) حبس مرودي (ناهيك) كافيك ومعناه المبالغة كأنه بلغ النهاية في العيب الذي فعل (سبة) عيب يسب به (مرهى) خالية من الكحل وقد مره الرجل مرها إذا لم يتعهد الكحل والمرهى من النساء البيضاء البينة الزرق الذي يختص الكحل في زرقها (اسبر) قس (غور) غاية وقدر (ارث) ارحم وتوجع (آية) كلمة يستزاد بها الحديث (والتمويه) الكذب وهو في الحديث كالتعمية وقد موه عليه إذا خيل له أنه على شيء وهو على ضده وأصل التمويه الصقل كان على ألفاظه المموهة صقالة وهو من لفظ الماء (المشعر) المزدلفة وهو جمع سمى مشعرا لأنه من علامات الحج وكل علامات الحج مشاعر والمشعر والمنسك موضع ذبح الهدى بمكة المفضل سمى مشعر إلا أنه أشعر أنه حرام كالبيت (الناسكين) الحجاج الذين يشعرون الهدى وما ينحر نسك ونسك ينسك منسكه ونسكا ونسكا إذا ذبح النسك وأصلها ذبايح الجاهلية ثم سميت الاضاحي والهدى بمكة نسكا بها والناسك أيضا الزاهد (خيف) موضع بمنى (ساعفتني) ساعدتني (تصديت) تعرضت (غالها) أهلكها (الخطوب) الأمور الشداد (ترشقني) تصيبني (بمصميات) بسهام قاتله (بؤس) شدة حال (ضنا) ضعف ومرض (وهو أنا) اي هو مثلي في ضيق الحال

ولاَ مجالِي لِضيق ذَاتِ يدِي   فيهِ اتّساعٌ لِلعفوِ حينَ جَنَى
فَهـــذِهِ قِصّتِي وقِصّتُهُ   فانظرْ إلَيْنا وبَيْنَنا ولَنا

فلمّا وَعَى القاضي قَصَصَهما، وَتبيّنَ خَصاصَتَهما وتَخَصُّصَهما، أَبرزَ لهما دِيناراً مِنْ تحتِ مُصَلّاه، وقالَ لهما: اقْطَعاه الخِصامَ وافْصِلاه، فتلقّفه الشّيخُ دُونَ الحَدَث، واسْتَخْلَصَهُ على وجْهِ الجِدِّ لا العَبَث، وقالَ للحَدَث نِصْفُهُ لِي بِسَهْمِ مَبَرّتي، وسَهْمُكَ لِي عَنْ أَرْشِ إِبْرتي، ولَسْتُ عنِ الحَقِّ أَمِيل، فَقُمْ وخُذِ المِيلَ. فَعَرا الحَدَثَ لِمَا حَدَثَ اكْتِئَاب، واكْفَهَرَّ على سمائِهِ سَحاب، وَجَمَ لَهُ القاضي وهَيَّجَ أَسَفَهُ عَلَى الدِّينارِ المَاضي. إلاّ أنّه جَبَرَ بالَ الفتى وَبَلْبالَه، بِدُرَيْهِماتٍ رَضَخَ بِها لَه، وقالَ لَهما: اجْتَنِبا المُعامَلاتِ، وادْرَآ المُخاصَماتِ ولا تَحْضُرَا لِي في المُحاكَمات، فَمَا عِنْدِي كِيسُ الغَرامات، فَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِ. فَرِحَيْنِ بِرِفْدِه، مُفْصِحَيْنِ بِحَمْدِه، والقاضي ما يَخْبُو ضَجَرُه، مُذْ بَضَّ حَجَرُه، ولا يَنْصُلُ كَمَدُه، مُذْ رَشَحَ جَلْمَدُه. حَتّى إذا أفاقَ مِنْ

(مجالي) موضع تصرفي (ذات يدي) مالي وذات اليد ماعلك (العفو) الغفران (جنى) أذنب (قصتي) حديثي يقول فانظر الينا بعين الشفقة والرحمة وأصلح بيننا بما نتصرف به شاكرين لك وهب لنا ماأنثنى به عليك ، وجعل انظر عاملا في الجميع لأن من وجوه النظر الاصلاح بينهم والتكرم عليهم
(قصصها) أي حديثها وهو جمع قصة (خصاصهما) فقرهما (تخصصهما) رفعتها وانقباضهما وقد تخصص الرجل إذا انقبض عن النعامة وتشبه بالخاصة (أبرز) أخرج (مصلاه)بساطه الذي يصلي عليه (افصلاه) اقطعاه وأزيلاه (استخلصه)حازه لنفسه خالصا (الجد)التحقيق (العبث) الهزل(سهم) نصيب (مبرتي) إكرامي الذي وصلني به القاضي (اميل) أخرج وأعدل عنه (عرا) قصد ونزل به (حدث) ظهر (اكتئاب) حزن وهم (وجم)غضب والوجوم السكوت على غضب (هيج)حرك (أسفه) حزنه(باله) فكره (بلباله) حزنه ووسواسه (رضخ)كثرالعطاء (اجتنبا) باعدا (المعاملات) المعاوضات والعواري (ادرآ) ادفعا (كيس) وعاء الدراهم (رفده) عطاؤه (يخبو ضجره) يسكن غضبه (بعض حجره) رشحت كفه قال الأخطل :

كف اليدين من العطية ممسك   ما ان تبض صفاته ببلال

(ينصل كمده) يزل حزنه(الجلمد) الصخر الصلب كنى به عن كفه وأنه بخيل ويدالبخيل تشبه بالحجر وقال جرير :

كأنما خلقت كفاه من حجر   فليس بين يديه والندى عمل
يرى التيمم في بر وفي بحر   مخافة أن يرى في كفه بلل

وقال ابن عبدربه :

براعة غرني منها وميض سنا   حتى مددت اليه الكف مقتبسا
فصادفت حجر الوكنت تضربه   من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من لؤم ومن كذب   فكان ذاك له روحا وذا نفسا

غَشْيَته ، أقبل عَلَى غاشيته وقال : قد أشرب حِسِّى ، وَنَبَّأَنى حَدْسِى ، أنهما صاحبا دَهاء ، لا خَصْمِا ادِّعاء ، فكيف السَّبيلُ إلى سَبْرِهما ، واستنباطِ سِرِّهما ، فقال له نحْرِيرُ زُمْرَته ، وشرارةُ جمرته : إنَّهُ لن يَتِمَّ استخراجُ خَبْئهما ؛ إلَّا بهما فَقَفَاهُما عَوْناً يُرجعهما إليه . فلما مَثَلا بَيْنَ يَدَيه ، قال لهما : اصْدُقانى سِنَّ بَكْرِكُما ، ولكما

أين هذه الاكف من التى ذكر حجية بن المضرب حين قال :

أناس إذا ما الدهر أظلم وجهه	فأيديهم بيض وأوجههم غر
يصونون أحساباً ومجداً مؤثلا	ببذل أكف دونها المزن والبحر
فلو لامس الصخر الأصم أكفهم	أفاض ينابيع الندى ذلك الصخر

وقال أبو الشيص :

بحر يلوذ المعتفون بسيله	فعم الجداول مترع الاعراض
لأبى محمد المؤمــل راحتا	ملك إلى أعلى العلا نهاض
فيد تدفق بالغنى لصديقه	ويد على الاعداء سم قاض

وقال أبو تمام: تعود بسط الكف حتى لو انه	دعاها لقبض لم تجبه أنامله

وقال البحترى: قد قلت للغيث الركام ولج فى	ابراقه وألح فى ارعاده
لا تعرضن لجعفر متشبها	بندى يديه فلست من أنداده
الله شرفه وأعلى ذكره	ورآه غيث بلاده وعباده

وقال ابن الرومى. مقبل ظهر الكف وهاب بطنها	له راحة فيها الحطيم وزمزم
فظاهرها للناس ركن مقبل	وباطنها عين من الجود غيلم

(غشيته) أى ذهاب عقله بأن يعمى عليه (غاشيته) زواره ومن يغشى موضعه (أشرب) دوخل (حسى) إدراكى وفهمى (نبأنى) حدثنى وأخبرنى (حدسى) ظنى ، قال الفراء رحمه الله . حدست أحدس إذا قلت فى الشىء برأيك غيره . حدست ظننت ظنا بلغت منه غاية الشىء فى عدده أو وزنه وأصله من قول العرب بلغت الحداس أى الشىء الذى تطلب لحاقه (الدهاء) فى الرجل الحذق والتبصر فى الأشياء (لاخصما ادعاء) أى ليس بينهما ادعاءات على الحقيقة فيختصمان فيها (سبرهما) اختبارهما (استنباط) استخراج (نحرير) حاذق (زمرته) جماعته وجعله (شرارة) لنفوذ ذهنه وانتقاده ولذلك يسمى نحريراً اى ماهراً بالأشياء كلها كأنه لادراكه وفهمه بالأشياء ينحرها بظنه الصادق (خبئهما) خفى ما عندهما (قفاهما) أتبعهما (والعون) الشرطى لأنه يعين من يتصرف له (مثلا) وقفا يقال مثل الشىء فهو ماثل إذا قام وانتصب وإذا لطىء بالأرض أو ذهب وهو من الأضداد (سن بكركما) حقيقة خبركما والبكر الفتى من الابل وسنه مبلغ عمره لأن بالسن يعرف كم بلغ من العمر ولفظ المثل صدقنى سن بكره وروى البكرى عن ابن الاعرابى أن رجلا سام رجلا بكراً على أن يشتريه مسنا فقال البائع هذا جمل لبكر له وقال المشترى هذا بكر فقال البائع بل هو مسن فبينما هما يتنازعان إذ نفر البكر فقال

لمانُ مِنْ تَبِعَةِ مَكْرِ كَما . فَأَجْحَمَ الحَدَثُ واسْتَقالَ ، وأَقْدَمَ الشَّيْخُ وقالَ :

أَنا السَّرُوجِيُّ وهذا وَلَدِي   والشِّبْلُ فى المَخْبَرِ مِثْلُ الأَسَدِ
وما تَعَدَّتْ يَدُهُ ولا يَدِي   فى إِزْرَةٍ مَرَّةً ولا فى مِزْوَدِ
وإِنَّما الدَّهْرُ المُسِيءُ المُعْتَدِي   مالَ بِنا حَتَّى غَدَوْنا نَجْتَدِي
كُلَّ نَدِيِّ الرَّاحَةِ عَذْبِ المَوْرِدِ   وكُلَّ جَعْدِ الكَفِّ مَغْلُولِ اليَدِ
بِكُلِّ فَنٍّ وبِكُلِّ مَقْصَدِ   بالجِدِّ إِنْ أَجْدَى وإِلَّا بالدَّدِ
لِنَجْتَنِبَ التَّرَشُّحَ إِلى الحَظِّ الصَّدِي   ونُنْفِدَ العُمْرَ بِعَيْشٍ أَنْكَدِ

صاحبه ليسكن نفاره هدع هدع وهى كلمة من العرب يسكن بها صغار الابل عند نفارها ولا تقال للكبار فقال المشترى عند ذلك صدقنى سن بكره (تبعة) شرحت فى الصدر (أحجم) تأخر فزعا (اقدم) تقدم متشجعا (استقال) طلب الاقالة (الشبل) ولد الأسد (المخبر) التجربة والخبرة (تعدت) ظلمت والمتعدى الظالم المجاوز الحد فى الظلم (مال بنا) أى حطنا (نجتدى) نسأل الناس الجدا وهو العطاء (ندى الراحة) كريم الكف (جعد الكف) ضده وأراد يسأل كل كريم سهل العطاء وكل لئيم صعبه وأصل الجعودة انقباض الشعر ثم استعيرت لقبض الكف من اللؤم ومثله مغلول اليد أى كأن يده محبوسة بغل للؤمها والسائل كأنه يحاول بسطها بالجود فيجدها محبوسة بغل اللؤم وفى الكتاب العزيز ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك فهذا نهى عن البخل ولا تبسطها كل البسط فهذا نهى عن التبذير ، وقال حبيب فى قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الازدى يذكر الجعودة وهى :

يرى الوعد إحدى العار إذ هو لم تكن   مواهبه تأتى مقدمة الوعد
فلو كان ما يعطيه غيثا لأمطرت   سحائبه من برق ولا رعد
من القوم جعد أبيض الوجه والندى   وليس بنان يجتدى منه بالجعد

وقال البحترى : صنتنى عن معاشر لا أسمى   أوليهم الاغداة سبابى
من جعاد الأكف غير جعاد   وغضاب الوجوه غير غضاب
خطروا خطرة الجهام وساروا   فى نواحى الظنون سير السحاب

وقال أيضاً فى نحوه : وخلفنى الزمان على أناس   وجوههم وأيديهم حديد
لهم حلل حسن فهن بيض   وأخلاق قبحن فهن سود
أناس لو تأملهم لبيد   بكى الخلف الذى يشكى لبيد

(الدد) ضد الجد وهو اللهو واللعب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا الدد منى أى لست من باطل ولا الباطل منى (أجدى) أنفع (الحظ) البخت والنصيب (والصدى) العطشان وأراد أن حظه فى الدنيا قليل فهو سعى له ليجلب رزقا يكثر به حظه (ننفد) تتم (أنكد) مشؤوم وكل ما جلب شراً فهو أنكد ونكد

وَالْمَوْتَ من بَعْدُ لنَا بالمَرْصَدِ إن لم يُفاجِ اليَوْمَ فأتِي فى غَدِ

فقال له القاضى : للهِ دَرُّكَ فما أعْذَبَ نَفَثَاتِ فيك ، وواهاً لَكَ لولا خِداعُ فيك ، وإنّى لَكَ لمنَ المُنْذِرِينَ ؛ وَعَنيكَ مِنَ الحذِرِين ؛ فلا تُماكِرْ بَعْدَهَا الحاكِمِين ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ المُتحَكِّمين . فما كلُّ مُسَيْطِرٍ يُقِيل ؛ ولا كلُّ أوانٍ يُسْمَعُ القِيل ، فعاهَدَهُ الشَّيخُ عَلَى اتّباعِ مشُورَتِه ، والارتداعِ عن تَلْبِيس صُورَتِهِ ، وفَصَلَ عن جِهَتِه ؛ والخَتْرُ يَلْمعُ من جَبْهَتِه .

(المرصد) الموضع الذى ترتقب فيه من تريد أخذه وقد رصدته رصد ارتقبته (يفاج) يأت على غفلة وأصل فاجأ بالهمز فسهله (لله درك) أى ما أحسن كلامك والدر أصله اللبن وكأنه سمى بحكاية صوته عند الحلب والله أصله القسم ولا تدخل اللام فى القسم الاعلى اسم الله تعالى والتعجب معها لازم فاذا قال الذى يسمع صوت الحلب لصاحب الناقة لله درك فكأنه قال والله إن درك هذا لكثير ثم استعير للفصيح فى كلامه ولكل من أحسن فى شيء فكأنه قيل ما أحسن ماجئت وقيل معناه لله اللبن الذى شربته من أمك قال الفراء رحمه الله ربما قالوا در درك ولم يقولوا لله درك وأنشد :

در در الشباب والشعر الاسـ ـود والضامرات تحت الرجال

(نفثات) أى كلمات (واها) عجبا (المنذر) المعلم بما يخاف (تماكر) تخادع (سطوة) بطشة (المتحكم) الذى يتحكم بما يشاء فيمتثل حكمه (مسيطر) أمير مسلط (يقيل) يغفر الزلة (أوان) وقت (عاهدوه) حالفه (مشورته) أخذ رأيه (الارتداع) الكف (تلبيس) تخليط (صورته) قصته (فصل) زال (الختر) الخداع . (يلمع) يضىء يريد أنه انفصل منه وعلى وجهه علامة الغدر وأن يمينه التى حلف له كاذبة ، وأول من نظم هذا المعنى فى اليمين الشماخ حين قال :

أتتنى تميم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها
يقولون لى احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيما أنالها
ففرجت هم النفس عنى بحلفة كما شقت الشقراء عنى جلالها

ومن الملح فى اليمين الفاجرة قول ابن الرومى

وإنى لذو حلف كاذب إذا ما استمحت وفى المال ضيق
وهل من جناح على معسر يدافع بالله مالا يطيق

وقال فيه أيضاً :

إذا حلت على ضيق ديونى وباكرنى التجار وخوفونى
دفعتهم بمن لوشاء أدى حقوقهم إليهم منذ حين

ولدعبل :

سألونى اليمين فارتعت عنها كى يغروا بذلك الارتياع
ثم أرسلتها كمنحدر السيـل تدلى من المكان اليفاع

وأنشد أبو على :

لا شىء يدفع حق خصم شاغب الا كحلف عبيدة بن سميذع
يمضى اليمين على اليمين لجاجة عض الجموح على اللجام المقدع

قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ : فلم أرَ أعْجَبَ منها فى تَصارِيفِ الأسْفار ؛ ولا قَرَأْتُ مِثْلَها فى تَصانِيفِ الأسْفار

فاذا يذكر حلفة أصغى لها وإذا يذكر بالتقى لم يسمع

(تصاريف) أراد التصرف بالجولان فى البلدان (الاسفار) الأولى جمع سفر فى البلاد والثانى جمع سفر وهو الكتاب قال الفراء رحمه الله الأسفار الكتب العظام (التصانيف) التآليف المنوعة والمصنف الذى فيه انواع شتى :

المقامة التاسعة الاسكندرانية

قال الحَارِثُ بنُ هَمَّامٍ : طَحَا بِى مَرَحُ الشَّبَاب ، وهَوَى الاِكْتِسَاب ، إن أنْ جُبْتُ ما بَيْنَ فَرْغانَةَ وغانَة

شرح المقــــامة

(طحا) بك قلبك ووهمك طحوا وطحيا ذهبابك وطحا الله الأرض ودحاها بسطها . ابن الأنبارى : طحا قلبه فى الهوى واللهو إذا تطاول وتمادى قال علقمة : طحا بك قلب فى الحسان طروب . (مرح الشباب) نشاط الفتوة (جبت) قطعت ومشيت (فرغانة) مدينة فى أقصى خراسان وكان فيها بيت يسمى هيكل الشمس بناه فارس الملك وخربه المعتصم وبها قتل قتيبة بن مسلم الباهلى أمير خراسان سنة ثلاث وخمسين وبينها وبين سمر قند ثلاثة وخمسون فرسخا قال اليعقوبى من سمر قند إلى أسر وشنة خمس مراحل شرقا ومن أسر وشنة إلى فرغانة مرحلتان ومدينة فرغانة التى ينزلها الملك يقال لها كاسان وهى مدينة جليلة القدر عظيمة الأمر وكل هذه المدن مضافة إلى عمل سمر قند وكان أبو شروان بنى فرغانة ونقل إليها من كل بيت قوما وسماها از هر خانة أى من كل بيت (وغانة) بلد من بلاد السودان وإليها ينتهى التجار والمدخل إليها من سجلماسة إليها مسافة ثلاثة أشهر ومن غانة إلى سجلماسه شهر ونصف ودون ذلك وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز إليها من سجلماسه بالامتاع والأثقال فتباع فى غانة بالتبر فمن سافر إليها بثلاثين حملا رجع منها بثلاثة أحمال أو بحملين واحد لركوبه وثان للماء بسبب المفازة التى فى طريقها حدثنى غير واحد من تجارها أنهم يقطعون المفازة فى ستة عشر يوما لا يرون فيها ماء إلا على ظهور الابل فأثمان أحمال الثلاثين جملا يجتمع فيها من التبر ما يجعل فى مزود واحد فيطوون المراحل للخفة ، وغانة بلد مملكة السودان وانتشر الاسلام فى أهلها وبها مدارس للعلم وبها من تجار المغرب كثير يدخلون للتجارة فيصيبون الخصب والأمن وكثرة المتاجر فيشترون بها خدما للتسرى ويقيمون بها عند أميرها فى غاية الكرامة والخدم فيها قد جعل الله فيهن من الخصال الكريمة فى خلقهن وخلقهن فوق المراد من ملاسة الأبدان وتفتق السواد وحسن العينين واعتدال الانوف وبياض الاسنان وطيب الروائح وكان ابن الرومى وصف واحدة منهن بقوله :

يذكرك المسك والغوالى والنـ ... ـد ذوات النسيم والعبق
ليست من العيس الأكف ولا ... الفلج الشفاه الخبائث العرق
أكسبها الحب أنها صبغت ... صبغة حب القلوب والحدق
يفتر ذاك السواد عن يقق ... من ثغرها كاللآلىء النسق
كأنها والمزاج يضحكها ... ليل تفرى دجاه عن فلق
لها حر يستعير وقــدته ... من قلب صب وصدر ذى حنق
يزداد ضيقاً على المراس كما ... تزداد ضيقا أنشوطة الوهق
غصن من الآبنوس ركب فى ... مـؤزر معجب ومنتطق

وقال الشريف الرضى :

أحبك يا لون السواد فاننى رأيتك فى العينين والقلب تواما
وما كان سهم العين لولا سوادها ليبلغ حبات القلوب إذا رمى
إذا كنت تهوى الظبى ألمى فلا تلم جنونى على الظبى الذى كله لمى

وقال ابن سلمة :

يكون الخال فى خد قبيح فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام مشغوف على من يراها كلها فى العين خالا

وله أيضاً :

لام العواذل فى سوداء فاحمة كأنها فى سواد القلب تمثال
وهام بالخال أقوام وماعلموا أنى أهيم بشخص كله خال

ولابن رباح :

وسواد الأديم إذا تبدت يرى ماء النعيم جوى عليه
رآها ناظرى فصبا إليها وشبه الشيء منجذب إليه

ولابن رشيق :

دعا بك الحسن فاستجيبى يا مسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد فى أعين الناس والقلوب

قال ابن رشيق أخذته من قول الآخر أنشده الجاحظ :

مشبهات الشباب والمسك تفدية من نفسى من الردى والخطوب
كيف يهوى الفتى واللبيب وصال البيض والبيض مشبهات الشيب

وأخذ بيته الاخر من قول الاخر أنشده الجاحظ :

وإن سواد العين فى العين نورها وما لبياض العين نور فيعلم

فأخذه أيضاً أبو الطيب فقال فى كافور وأحسن :

فجاءت به إنسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها وأماقيا

ولابن الجهم :

وعائب للسمر من جهله مفضل للبيض ذى محك
قولوا له عنى أما تستحى من يجعل الكافور كالمسك ؟

والسابق لهذا المعنى أبو حفص الشطرنجى والناس تبع له حيث قال :

أشبهك المسك وأشبهته قائمة فى لونه قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة

وقال على بن العباس بن الأحنف معاصره :

أحب النساء السود من أجل بكتم ومن أجلها أحببت ما كان أسودا
فجئنى بمثل المسك أطيب نكهة وجئنى بمثل الليل أطيب مرقدا

أَخُوضُ الغِمارَ ، لِأَجْنِي الثِّمار ، وأَقْتَحِمَ الأَخْطار ، لِكَيْ أُدْرِكَ الأَوْطارَ

أخذ بيته الأول من قول ابن الاعرابى :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

وقال ابن الرومى فى تفضيل السواد على البياض :

وبعض مافضل سواد به والحق ذو سلم وذو نفق
أن لا تعيب السواد حلكته وقد يعاب البياض بالبهق

وهذه الأقوال كلها على استحسانها اعتذارات واقتدارات من الشعراء على تحسين القبيح والأمر المجمع عليه تفضيل البياض ؛ قال الجاحظ العرب تمدح بالبياض وتهجو بالسواد وربما مدحوا بالسواد ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمه وأنشد :

لهم ديباجة عرفت قديما بياض فى الوجوه وفى الجلود

وأحسن كشاجم فيما قصد إليه بقوله :

يامشبها فى فعله لونه لم تعد ما أوجبت القسمة
خلفك من خلقك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة

(جبت ما بين فرغانة وغانة) ماههنا بمعنى الذى كأنه قال جبت الذى بين فرغانة التى هى أقصى المشرق وغانة التى هى أقصى المغرب من البلاد والقفار والبحار لكسب المال فما هى التى أوجبت لما بين البلدتين مما ذكر أن يعم بالمشى ولو سقطت مالم يلزم العموم وكأنه يشير بهذا التبعيد إلى قول حبيب :

سلى هل عمرت القفروهو سباسب وغادرت ربعى من ركابى سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت تى قد نسيت المغاربا

(أخوض الغمار) أى دخل المياه الغزيرة فأجوزها (أقتحم الأخطار) أى أترامى فى المخاوف والخطر الغرور (الأوطار) الحاجات وقال أبو عمرو القصطلى فيما يتعلق بهذا :

تخوفنى طول السفار وأننى لتقبيل كف العامرى سفير
دعينى أرد ماء المفاوز آجنا إلى حيث ماء المكرمات غير
ألم تعلمى أن الثواء هو النوى وأن بيوت العاجزين قبور
وأن خطيرات المهالك ضمن لراكبها أن الجزاء خطير

وقال النابغة الجعدى :

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
فسر فى بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

وقال ابن سارة .

سافر فان الفتى من بات مفتتحا قفل النجاح بمفتاح من السفر

إن شئت خضرتها يا بن الرخاء فكن ... فى طى غمر الفيافى نائى الحضر
ولا يصدنك عن أمر تصعبه ... قد ينبع الكوثر السلسال من حجر
لا بد أن يقع المطلوب فى شرك ... ولو بنى وكره فى دارة القمر

ومما ينتظم فى باب الحض على السفر وترك العجز قولهم لا ينبغى للعاقل أن يكون إلا فى إحدى المنزلتين اما فى الغاية من طلب الدنيا وأما فى الغاية من تركها ولا ينبغى للعاقل أن يرى إلا فى أحد مكانين اما مع الملوك مكرما واما مع العباد متبتلا ولا بعد الغرم غرما إذا ساق غنما ولا الغنم غنما إذا ساق غرما ، ونظم هذا المعرى فقال :

ذر الدنيا إذا لم تحظ فيها ... وكن فيها كثيرا أو قليلا
وأصبح واحد الرجلين اما ... مليكا فى العشائر أو أبيلا

الابيل الراهب ، وفى كتاب الهند من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب وفى التوراة ابن آدام حلقت من الحركة إلى الحركة فتحرك وأنا معك وفى بعض الكتب امدد يدك إلى باب من العمل أفتح لك بابا من الرزق وقالوا من ضعف عن عمله اتكل على رزق غيره وقال على رضى الله عنه الحرص مقدمة السكون وقال النبى صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس ما المروءة فيكم قالوا العفة والحرفة وروى عكرمة وراء نهر بلخ فقيل له ما جاء بك ههنا فقال بناتى وقال رجل لمعروف الكرخى يا أبا محفوظ أتحرك لطلب الرزق أم أجلس قال لا بل تحرك فانه أصلح لك فقال أتقول هذا قال وما أنا قلته ولكن الله عز وجل أمر به قال لمريم عليها السلام (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) ولو شاء لأنزله عليها وأنشد الثعلبى :

ألم ترى أن الله أوحى لمريم ... وهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل شىء له سبب

وقال موسى بن عمران عليه السلام لا تلوموا السفر فانى أدركت فيه مالم يدركه أحد يريد أن الله كلمه ونظم هذا المعنى حبيب فقال :

فان موسى صلى على روحه ... الله صلاة كثيرة القدس
صار نبيا وعظم بغيته ... فى جذوة للصلاء والقبس

قال المأمون لا شىء ألذ من السفر فى كفاية لأنك تحل كل يوم فى محلة لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم ، الثعالبى : من فضائل السفر أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار وبدائع الأقطار ومحاسن الآثار ما يزيده علما بقدرة الله ويدعو إلى شكر نعمته ، وفى الأثر الصحيح : سافروا تصحوا وتغنموا ، آخر السفر يشد الأبدان وينشط الكسلان ويشهى الطعام ، آخر : ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك ، قال ابن رشيق كتبت إلى بعض إخوانى مثل الرجلين القاعد أعزك الله كمثل الماء الراكد إن ترك تغير وإن تحرك تكدر ومثل المسافر كالسحاب الماطر هؤلاء يدعونه نقمة فاذا اتصلت أيامه ثقل مقامه وكثر لوامه فاجمع لنفسك فرجة الغيبة وفرحة الأوبة والسلام ، وقال ابن رشيق :

غب عن بلادك وارج حسن مغبة ... إن كنت حقا تشتكى الإقلالا
فالبدر لم يجحف به ادباره ... أن لا يسافر يطلب الإقبالا

وقال أبو الطيب: وما بلد الإنسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الأصادق

قال البحتري وإذا ما تنكرت لى بلاد أو صديق فانى بالخيار

وقال أبو الطيب : إذا لم أجد فى بلدة ماأريده فعندى لاخرى غربة وركاب

وقال ابراهيم بن العباس الصولى :

لايمنعك خفض العيش فى دعة نزع نفس إلى أهل وأوطان
تلق بكل بلاد ان حللت بها أهلا بأهل وجيرانا بجيران

أى لايمنعك الشوق إلى الوطن فى الغربة من الاستماع بلذة العيش فالأرض واحدة والناس جنس واحد ، وفى غير الحماسة :

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة من أن تبدل أوطانا بأوطان

يرفع خفض أى لا يمنعك عيشك الهنىء فى بلدك أن تجول فى البلدان وترى الناس فتستفيد النزهة والتجربة فإن المسافر يسمع العجائب ويكشف التجارب ويجلب المكاسب أوحش أهلك اذا كان انسك فى إيحاشهم واهجر وطنك إذا نبت نفسك عنه ، قيل لأعشى بكر إلى كم ذا الاغتراب أما ترضى بالدعة قال لو دامت الشمس عليكم يومين لللتموها أخذه حبيب فقال :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقال الحكماء لاتنال الراحة إلا بالتعب ولاتدرك الدعة إلا بالنصب وقال حبيب :

على أننى لم أحو وفرا مجمعـــا ففزت به إلا بشمل مبدد
ولم تعطنى الأيام نوما مسكنا ألذ به إلا بنوم مشرد

وقال ابن عبد ربه : هل يجول فى عقل أو يمثل فى وهم أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو يثمر مال بغير طلب أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح وقد يكون الاكداء مع الكد والخيبة مع الغيبـــة وقال الشاعر :

ومازلت أقطع عرض البلاد من المشرقين إلى المغربين
وأدرع الخوف تحت الدجى واستصحب الجدى والفرقدين
وأطوى وانشر ثوب الهموم إلى أن رجعت بخفى حنين

وقال ابن رشيق :

يعطى الفتى فينال فى دعة مالم ينل بالكد والتعب
فاطلب لنفسك فضل راحتها إذا ليست الأشياء بالطلب
إن كان لارزق بلا سبب فرجاء ربك أعظم السبب

وقال محمد بن بشير :

قد يرزق الخافض المقيم وما شد لعيس رحلا ولا قتبا
ويحرم المال ذو المطية والرحـــل ومن لايزال مغتربا

وكُنت لَقِفتُ من أفواهِ العلماء ، وثقِفتُ من وصايا الحكماء ، أنّهُ يَلزَمُ الأديبَ الأريب ، إذا دَخَلَ البلدَ الغريب ، أنْ يستميلَ قاضيَه ، ويستخلِصَ مراضيَه ، ليشتدَّ ظهرُهُ عندَ الخصام ، ويأمنَ في الغربةِ جَوْرَ الحكّام ، فاتّخذتُ هذا الأدبَ إماما ، وجعلتُه لمصالحي زِماما . فما دخلتُ مدينة ، ولا ولجتُ عرينة ، إلّا وامتزجتُ بحاكمِها امتزاجَ الماءِ بالرّاح ، وتقوّيتُ بعنايتِه تقوِّي الأجسادِ بالأرواح ، فبينَما أنا عندَ حاكمِ الاسكندريّة ،

وقال آخر : قد يرزق المرء لم تتعب رواحله ... ويحرم المرزق بالاسفار والنعب
إنى وعمرك ما أحصى ذوى حمق ... الرزق أعدى بهم من لاصق الجرب

ولآخر : ألا رب باغى حاجة لا ينالها ... وآخر قد تقضى له وهو جالس

آخر : قد يرزق المرء لا من حسن حيلته ... ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى

آخر : مامسنى من غنى يوم ولا عدم ... ألا وقولى فيـــه الحمد لله
لو كان باللب يزداد اللبيب غنى ... لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم ... يقصى اللبيب ويعطى كل ماخور

ومثل هذا قليل فى كثير ، وإنما يحكم بالاغلب ، والنجح مع الطلب أكثر والحرمان للعاجز أصحب وشرح حبيب هذا المعنى فقال :

هم الفتى فى الأرض أغصان المنى ... غرست ولبست كل حين تورق

أوصى بعض الحكماء ابنه وأراد سفرا فقال إنك تدخل بلدا لاتعرفه ولايعرفك أهله فتمسك بوصيتى تنفق بها عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ونظافة البزة فانها تشهد بالنشء فى النعمة وطيب الرائحة فانها تظهر المروءة والأدب الجميل فانه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك والزم الحياء والانفة فانك إن استحييت من الفظاظة اجتنبت الخساسة وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك نظير فى مرتبة (لقفت) أخذ واللقف أخذ مايرمى اليك بيدك (ثقفت) قيدت ويمدح الرجل الحازم به فيقال فلان ثقف لقف (الاريب) العاقل وقد أرب أرابة وأربا صار أريبا والأريب من أربت العقدة أربا شددتها (يستميل) يستنزل ويدعوه أن يميل الية (يستخلص مراضيه) أى يحوزها لنفسه ومراضيه ما يرضى القاضى ويوافقه وهو جمع مرضاة ويقال صلة الرحم مرضاة للرب أى يرضيه برها يقول العاقل إذا دخل بلدة استعطف قاضيها لنفسه بحسن التخدم له حتى يخف عليه (ليشتد) ليتقوى (جور) ظلم (إماما) قدوة (زماما) حبلا أقودها به (ولجت) دخلت (عرينة) بلدة وأصلها بيت الأسد (الراح) اسم الخمر وأبهم على بن الرومى مم اشتق إسمها حين قال :

والله ما أدرى لأية عــلة ... يدعونها فى الراح باسم الراح
ألريحها أم روحها تحت الحشا ... أم لارتياح نديمها المرتاح

وانظر الامتزاج الذى ذكر فى الخامسة والأربعين (عنايته) اعتناؤه به واهتمامه (الاسكندرية) مدينة عظيمة

فى عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ ، وقَدْ أَحْضَرَ مالَ الصَّدقات ، لِيَفُضَّهُ عَلَى ذَوِى الفاقات ، إذ دَخَلَ شَيْخٌ عِفْرِيَه ، تَعْتِلُهُ

من بلاد مصر بناها الاسكندر ذو القرنين وهو الذى مشى مشارق الأرض ومغاربها ، قال السدى لما سأل أهل الكتاب النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين قال سأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم إن أول امره أنه غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عندها مدينة يقال لها الاسكندرية وقال الهمدانى ذو القرنين ينسب اليه التاريخ قبل السلام ومؤدبه ارسطاطاليس الحكيم وكان ملكه الذى بلغ فيه أقصى المشرق والمغرب خمسة عشر يوما والاسكندرية لما بناها رخمها بالرخام الأبيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام وإذا كانت ليلة مقمرة يدخل الخياط الخيط فى خرق الابرة من بياض رخامها وقيل إنها مكثت سبعين عاما لا يدخلها أحد إلا وعلى بصره خرقة سوداء من بياض جصها ورخامها ولم يحتج لها فى تلك المدة إلى سراج بالليل من ضيائها وقيل كانت ثلاث مدن يحيط بجميعها سور قال ابن جبير ماشهدنا بلدا أوسع مسالك ولا أعلى بناء ولا أعتق ولا أحفل من الاسكندرية وأسواقها فى نهاية الاحتفال ومن أعجب مافى وضعها أن بناءها تحت الأرض كبنائها فوق وأعتق لأن الماء إذا جاء من النيل يخترق جميع آبارها وأزقتها تحت الأرض فتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضا وعاينا فيها من سوارى الرخام وألواحه كبرا وعلوا واتساقا حسنا مالا يتخيل إلا بالوهم حتى إنك تلقى بعض سواريها يغص بها الجو صعودا لا يدرى معناها ولا لأى شىء وضعت إلا مايتحدث أنه كان عليها من قديم الزمان مبان للفلاسفة وأهل الرياسة ومن أعظم عجائبها المنار آية للمتوسمين وهداية للمسافرين إلا هو ما اهتدوا فى البحر إلى بر الاسكندرية يظهر على أزيد من سبعين ميلا ومبناه فى نهاية العتاقة والوثاقة طولا وعرضا يزاحم الجو سموا وارتفاعا ينحصر عنه الوصف وينحسر دونه الطرف الخبر عنه يضيق والمشاهدة له تتسع ذرعنا أحد جوانبه الأربع فألفينا فيه نيفا وخمسين باعا ويذكر أن فى طوله أزيد من مائة وخمسين قامة وأما دخله فرأى هائل اتساع معارج ودواخل وكثرة مساكن حتى إن الوالج فى مسالكه ربما ضل وفى أعلاه مسجد موصوف بالبركة فيتبرك الناس بالصلاة فيه طلعنا إليه وشهدنا من شأن مبناه عجبا لا يستوفيه وصف واصف والله تعالى لا يخليه من عزة الإسلام (عشية عرية) أى باردة (يفضه) يفرقه (ذوى الفاقات) أهل الفقر والحاجات (عفرية) يقال رجل عفرية وعفر وعفير إذا كان صحيحا شديدا موثق الخلق أخذ من عفر الأرض وهو التراب أى من علق به عفره بالأرض ومنه ليث عفرين أى ليث ليوث معفر لفريسه ، قال الخليل رجل عفار بين العفارة إذا وصف بالشيطنة والعفير أيضاً الظريف الكيس ويقال للشيطان عفريت وعفرية وعفارية وقرىء ، قال عفريت من الجن ، وفى الحديث إن الله ليبغض العفريت النفريت قيل هو الجموع المنوع وقال أبو عثمان النهدى دخل رجل عظيم الجسم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له متى عهدك بالحمى قال ما اعرفها قال فبالصداع قال ما أدرى ماهو قال افأصبت بملك قال لا قال افرزئت بولدك قال لا فقال صلى الله عليه وسلم إن الله يبغض العفريت النفريت وهو الذى لا يرزأ فى بدنه ولا يصاب فى ماله (تعتله) اى تسوقه

امْرَأَةٌ مصْبِيَة ؛ فقَالَت : أَيَّدَ اللهُ القَاضِى ، وَأَدَامَ بِهِ التَّرَاضِى . إِنِّى امْرَأَةٌ من أَكْرَمِ جُرْثُومَة وأطهرِ أُرُومَة ، وأَشْرَفِ خُؤُولَة وعُمُومَة . مِيسَمِى الصَّوْن ؛ وشِيمَتِى الهَوْن ؛ وخُلُقِى نِعْمَ العَوْن ؛ وبَيْنِى وبَيْنَ جاراتِى بَوْن ؛ وكان أبى إِذا خَطَبَنِى بُنَاةُ المَجْدِ ، وأَرْبَابُ الجَدِّ سَكَّتَهُمْ وبَكَّتَهُمْ ، وعافَ وُصْلَتَهُمْ وصِلَتَهُمْ ، واحْتَجَّ بأَنَّهُ عاهَدَ اللهَ تعالَى بِحَلْفَة ، لا يُصَاهِرَ غَيْرَ ذِى حِرْفَة ؛ فَقَيَّضَ القَدَرُ لِنَصَبِى ؛ ووَصَبِى . أَنْ حَضَرَ هذا الخُدَعَةُ

بعنف وكذلك تدعه (مصبية) لها صبى (جرثومة) أصل وكذلك أرومه(ميسمى) علامتى (الصرن) الصيانه والانقباض (شيمتى) طبيعتى (الهون) الرفق (بون) بعد (بناة) جمع بان (المجد) الشرف الضخم وأصله من الإبل المراجد وهى التى امتلأت بطونها من الرعى وعظمت وأمجدها راعيها إذا رعاها بحيث تمجد ومجدت هى تمجد رعت فامتلأت وحكى الأصمعى قال أتيت شعبه يوما وعنده حمادبن سلمه وهما يتكلمان فى حديث فقال شعبة يا أبا سلمة هذا الفتى الذى ذكرت لك فقال حماد يابنى كيف تنشد بيت الخطيئة أولئك قوم فابتدأت القصيدة من أولها :

الا طرقتنا بعد ما هجعت هند   وقد سرنا خمساو الأب بها الجد

إلى أن بلغت قوله :

أولئك قوم إن بنوا احسنوا البنا   وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

فقال لى حماد : يابنى إن العرب تقول بنى يبنى بناء فى العمران ويقولون فى الشرف نبايبنوا فانشد هذا البيت أحسنوا البنا فعرفت قدر حماد من ذلك فما كنت أنشد إلا كما لقنى (أرباب الجد) أى أصحاب السعد والمال والعرب تقول لفلان جد فى الدنيا أى حظ وبخت قال امرؤ القيس . وقاهم جدهم ببنى أبيهم - وقال آخر :

عش بجد ولا يصرك نوك   إنما عيش من ترى بالجدود

وجد الرجل صارله جد وأجده الله جعل له حدلو ما كنت ذاجد ولقد جددت تجدور جل جديد حظيظ من الجد والحظ . أبو عبيدة :قوله ولا ينفع ذا الجد منك والجدأى ولا ينفع ذا الغنى منك غناة إنما تنفعه طاعته ، يعقوب أى من كان له حظ فى الدنيا لم ينفعه ذلك فى الآخرة (بكتهم) قطع كلامهم وأهانهم (عاف) كره (وصلتهم): اتصالهم به والوصلة سبب التواصل وهى فى الآدميين ما يصل واحد بآخر من حب وغيره والوصلة لفتح ما جعلته بين عود وعود أو حبل وحبل فوصلتهما به (صلتهم)عطيتهم (حلفة) يمين (يصاهر)يخاتن (حرفه) صنعة ومكسب وهى فعلة من الحرف وهو الحرمان والمحروم كأن صاحبها منع الرزق فصار يعالج كسبه . أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح :سهل بن سعد رضى الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الأبرار من الرجال الخياطة ومن النساء الغزل (قيض) أى قدر وساق (نصبى) تعبى (ووصبى)مرضى ونصب الرجل نصباأعيامن التعب ووصب وصبا أتعبه المرض فهو نصب ووصب(الخدعه) الكثير الخداع لغيره وبسكوال الدال الذى يخدعه غيره كثيرا . التحريك للفاعل والاكن

نادِىَ أبى ، فأقسَمَ بَيْنَ رَهْطِهِ إنّهُ وَفْقُ شَرْطِهِ ، وادَّعَى أنَّهُ طالَمَا نَظَمَ دُرَّه ، فَبَاعَهُما بِبَدْرَة ، فاغترَّ أبى بِزَخْرَفَةِ مُحالِه ، وزَوَّجَنِيهِ قَبْلَ اخْتِبارِ حالِه . فلما استخرَجَنِى مِن كِناسِى ، ورَحَّلَنى عن أُناسِى ، ونقَلَنِى إلى كِسْرِهِ ، وحَصَّنَنِى تحتَ أَسْرِه ، وجَدْتُهُ قُعَدَةً جُثَمَةً ، وأَلْفَيْتُه ضُجَعَةً نُوَمَةً ؛ وكُنْتُ صَحِبْتُهُ بِرِياشٍ وزِىٍّ ؛ وأثاثٍ ورِىٍّ فما بَرِحَ يَبيعُهُ فى سُوقِ الهَضْمِ ؛ ويُتْلِفُ ثَمَنَهُ فى الخَضْمِ والقَضْمِ ، إلى أنْ مَزَّقَ مالِى بأَسْرِه ، وأنفَقَ مالِى فى عُسْرِه ، فلما أنسانِى طَعْمَ الرَّاحة ، وغادَرَ بَيْتِى أنقَى مِنَ الرَّاحَةِ قُلْتُ : ياهذا إنّهُ لامَخْبَأَ بَعْدَ بُوس ، ولاعِطرَ بَعْدَ عَرُوس ، فانْهَضْ لِلاكتِساب

للمفعول فيما يأتى على فعلة من الصفات (نادى) مجلس (رهطه) قومه وهو اسم جماعة من ثلاثة إلى عشرة ويجمع أرهط وأراهط (وفق شرطه) أى موافق ما اشترط (نظم درة) يريد أنه جوهرى ينظم سلوك اللؤلؤ (بدرة) عشرة آلاف درهم وأراد بالدرة هنا الكلمة ويعبر بها عن الحكمة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تدعوا الدرة فى أفواه الكلاب يعنى العلم (اغتر) انخدع وهو افتعل من الغرور (زخرفة محاله) تزيين باطله أصل زخرف زين الشيء بالزخرف وهو الذهب (كناسى) بيتى وأصله للظبى وهومن قوله تعالى الجوار الكنس تشبيها لها بالظباء على ماذكره ابن قتيبة ويقال له كناس ومكنس من الكنس كأن الظبية قد كنست مرقدها ووطأته (رحلنى) نقلنى وحملنى على الرحل (كسره) بيته وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء لأن جانب الخباء قد انكسر عن يمينه (أسره) حبسه (قعدة) كثيرة القعود (جثمة) كثير الجثوم وهو ملازمة الموضع (ضجعة) كثير الاضطجاع وهو الامتداد على الأرض للنوم (نومة) كثير النوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم المقت من الله فذكر الذى يكثر النوم بالنهار ولم يأخذ من الليل شيأ وفى حديث آخر خير أهل شر الزمان مؤمن نومة أبو عبيدة : هو الخامل الذكر الذى لا يعرف الشر وأهله فتريد أنه عاجز قد لازم بيتها فان تصرفت فيه اعترضها ممتداً فلا تجد معه راحة (رياش) ثياب فعال من الريش لأنها تكسو البدن كما يكسو الريش الطائر (زى) هيئة حسنة من اللباس (أثاث) متاع (رى) حالة حسنة وأصله الهمز فسهل وأدغم ليوافق زيا قال ابن الانبارى الاثاث المتاع والرؤى والرؤاء النظر وماله رؤاء أى ماله منظر ولا لسان والحرفان من رأيت أرى (مابرح) مازال (الهضم) النقصان (الخضم) الاكل بالفم كله (القضم) الاكل بأطراف الاسنان (مزق) قطع وأفسد (حالى) عناى ويروى مالى مكان حالى وما فيه بمعنى الذى كأنه قال فرق الذى لى ورواية ابن ظفر بالى بالباء وقال والبال الخاطر وما لهذا الشيء بال إذا احتقرته والبال كالخلد تقول خطر ببالى كما تقول خطر بخلدى ونفسى وكأن هذا هو الأصل والبال الحال أيضاً ومنه قوله : وخالف بال أهل الدار بالى . (عسره) أى فقره (الراحة) القرار والعيش الهنيء وأراد (بأنقى من الراحة) حلو الكف من الشعر (مخبأ) ستر (بوس) شدة وفقر (عطر) طيب (ولا عطر بعد عروس) مثل يضرب لتأخير الشيء عن وقت الحاجة إليه وأصله أن رجلا تزوج امرأة فوجدها تفلة فقال لها أين عطرك فقالت خبأته لغير هذا الوقت فقال لها لا مخبأ لعطر بعد عروس وبهذا اللفظ روى أبوزيد الانصارى المثل . البكرى : عروس رجل كانت عنده ابنة عم له فمات عنها

بصناعتك ، وأجْنِى ثَمرةَ براعتك ، فزعم أنَّ صناعتَه قد رُميت بالكساد ، لِما ظهرَ فى الأرض من الفساد ، ولى منه سُلالة ، كأنَّهُ خلالة ، وكلانا ما ينالُ معه شبْعة ، ولا ترْفأُ له من الطَّوى دمْعة ، وقد قُدتُه إليك ، وأحضرتُه لديك ، لتعجُمَ عودَ دعْواه وتحكُمَ بيننا بما أراكَ الله . فأقبلَ القاضى عليه وقال له : قد وعَيتُ قصص عِرسِك ، فبرهن الآن عن نفسِك ، وإلَّا كشفتُ عن لَبْسك ، وأمرتُ بحبسك . فأطرقَ إطراقَ الأُفعوان ، ثم شمَّرَ للحرب العوان ، وقال :

إسْمعْ حديثى فإنَّهُ عجبُ   يُضْحكُ من شرحِه ويُنتحَبُ
أنا امرؤٌ ليسَ فى خصائصه   عيْبٌ ولا فى فَخارِه ريَبُ
سَرُوجُ دارى التى وُلدتُ بها   والأصلُ غسَّانُ حينَ أنتسبُ
وشُغْلِىَ الدَّرسُ والتَّبحُّرُ فى الـ   ـعلمِ طِلابى وحبَّذا الطَّلَبُ

فتزوجها بعد ابن عم لها آخر وهى كارهة وانطلق بها إلى أهله وقد زودها طيبا فى سقط فمر بها بقبر عروس فأقبلت تبكيه وترفع صوتها وتقول يا عروس الأعراس وياشديد اليأس مع أشياء لا يعلمها الناس فانتهرها زوجها وقال ماتلك الأشياء فقالت كان عن المكارم غير نعاس يعمل السيف صبيحة البأس ، ثم قالت : ياعروس الأعراس الأزهر الكريم المحضر مع أشياء كانت تذكر فازداد وجها غضبا وقال ما تلك الأشياء فقالت كان غيوفا للخنى والمنكر طيب النكهة غير أبخر ثم أخذت السقط وكسرته على قبر عروس ثم قالت لا عطر بعد عروس فذهبت مثلا فقال زوجها ارجعى إلى أهلك أنت طالق فقالت إذا انصرفت مغتبطة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن عروسا هذا لرجل من هذيل وامرأته هذلية اسمها أسماء (براعتك) أى جودة تدبيرك (سلالة) ولد صغير كما سل من بطن أمه ولهذا سمى ولد الناقة عند النتاج قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى سليل ثم اتسعوا فى السلالة فقالوا فلان كريم السلالة (الخلالة) عود ينقى به الأضراس من الطعام شبهت ولدها به فى رقته (ترفأ) تقطع (الطوى) الجوع وقال النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت (تعجم) تختبر (دعواه) ما ادعاه من الصنعة وعجمت العود عضضته بأسنانك لتعلم قوته من ضعفه (وعيت حفظت (قصص عرسك) حديث زوجتك (برهن) اظهر حجتك والبرهان الحجة (لبسك) تخليطك والتباس أمرك (أطرق) أمال رأسه إلى الأرض ساكتا (الافعوان) ذكر الافاعى وهذا منقول من قول المتلمس ،

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى   مساغا لنابيه الشجاع لصمما

ووقع لنا فى رواية لنابا : وهى لغة (شمر) احتزم (العوان) التى قوتل فيها مرة بعد أخرى وهى أشد والمرأة العوان التى علت فى السن ولم تهرم والعوان الثيب كانت ذات زوج أولم تكن وعونت المرأة تعوينا والجمع عون (ينتخب) أى يبكى ونحب نحيبا أعلن البكاء (خصائصه) فضائله وما يختص به من الأفعال المحمودة (ريب) شكوك (التبحر) التوسع (طلابى) أى طلبى إنما هو العلم وذكر التبحر واللآلى والغوص وغير ذلك مجازا وقال

ورأس مالى سحرُ الكلام الذى ... منه يُصاغُ القريضُ والخطبُ
أغوصُ فى لُجَّة البيان فأخـ ... ـتارُ اللآلى منها وأنتخبُ
وأجتنى اليانعَ الجنىَّ من الـ ... ـقول وغيرى للعود يحتطبُ
وآخـــذُ اللفظَ فضةً فإذا ... ما صُغتُهُ قيـــلَ إنه ذهبُ
وكنتُ من قبلُ أمترى نشباً ... بالأدبِ المقتنى وأحتلبُ
ويمتطى أخمصى لحرمته ... مراتباً ليس فوقها رتبُ

النبى صلى الله عليه وسلم ما انتعل رجل قط ولا تخفف ولبس ثوباً بالغدو فى طلب علم يتعلمه غفر الله له حيث يخطر عتبة بيته روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انتعل ليتعلم خيراً غفر الله له قبل أن يخطر . ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم الغدو والرواح فى تعليم العلم خير عند الله من الجهاد فى سبيله . ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج يطلب باباً من العلم ليرد به ضلا لا إلى هدى أو باطلا إلى حق كان كعبادة متعبد أربعين سنة (يصاغ) أى يصنع (القريض) الشعر (أغوص) أغيب فى الماء إلى قعره (واللجة) معظم الماء جعله للبيان مجازا (اللالىء) جمع لؤلؤ (انتخب) اختار وقال المسيب بن على فى وصف الغائص وانتخابه الدرة وتشبيه المرأة بها .

كجمانة البحرى جاء بها ... غواصها من لجة البحر
نصف النهار الماء غامره ... وشريكه بالغيب ما يدرى
فأصاب منيته فجاء بها ... صدفية كمضيئة الجمر
يعطى بها ثمناً فيمنعها ... ويقول صاحبه ألا تشرى
وترى الصرارى يسجدون لها ... ويضمها بيديه للنحر

وقال عبد الرحمن بن حسان :

وهى بيضاء مثل جوهرة الغوا ... ص ميزت من جوهر مكنون

وقال النابغة : أودرة صدفية غواصها ... بهج متى يرها يهل ويسجد

(اليانع) أى الناعم (الجنى) الطرى (امترى نشبا) أى استخرج مالا ومريت ضرع الناقة مسحته وحككته ليدر اللبن. والنشب قيل هو العقار ومالا ينقل وكأن مالكه قد نشب اليه حيث لا ينتقل به كالذى ماله الماشية أو الذهب والفضة (المنتقى) المختار ويروى المغتنى وهو المكتسب ويقال احتلب وحلب حلبا والحليب اللبن وهو الحلاب والحلاب أيضاً الأناء يحلب فيه وأصله السيلان وتحلب الضرع سال وانحلبت عينه سال دمعها (يمطى) يركب (أخمصى) باطن قدمى وهو ما ضمر منها وارتفع عن الأرض (لحرمته) أى لرفعته وشرفه (مراتبا) منازلا والمرتبة منزلة الشرف من الرتب وهو ما أشرف من الأرض (والرتب) جمع رتبة وهى بمعنى المرتبة وأصل الرتب الدرج تقطع فى الحجر ليصعد بها إلى أعلى الجبل ومنه رتب كلامه إذا أتبع بعضه بعضا على نظام

وطالمَا زُفَّتِ الصِّلاتُ إلى ... رَبعى فلم أرضَ كلَّ مَنْ يَهَبُ
فاليَومَ مَنْ يَعْلَقُ الرَّجاءُ به ... أَكْسَدُ شىءٍ فى سُوقِهِ الأَدَبُ
لاعِرْضُ أبنائِه يُصانُ ولا ... يُرْقَبُ فيهم إلٌّ ولا نَسَبُ
كأنَّهُمْ فى عِرَاصِهِمْ جِيَفٌ ... يُبْعَدُ من نَتْنِها ويُجْتَنَبُ
فَحارَ لُبِّى لِمَا مُنِيتُ بِهِ ... مِنَ اللَّيالِى وَصَرْفُها عَجَبُ
وضَاقَ ذَرْعِى لِضَيقِ ذاتِ يَدِى ... وسَاوَرَتنى الهُمُومُ وَالكُرَبُ
وقادَنى دَهْرِىَ المُلِيمُ إلى ... سُلُوكِ ما يَسْتَشِينُهُ الحَسَبُ
فَبِعْتُ حتَّى لم يَبْقَ لِى سَبَدٌ ... ولا بَتاتٌ إليهِ أنقلبُ
وادَّنْتُ حتَّى أَثقَلْتُ سالِفَتِى ... بِحَمْلِ دَيْنٍ من دُونِهِ العَطَبُ
ثمَّ طَوَيْتُ الحَشا على سَغَبٍ ... خَمْسًا فلمَّا أَمَضَّنِى السَّغَبُ
لم أرَ إلَّا جِهازَها عَرَضًا ... أَجُولُ فى بَيْعِهِ وأَضْطَرِبُ

واعتدال (زفت) حملت من زففت العروس إلى زوجها إذا أهديتها له (الصلات) العطايا (ربعى) منزلى (لم أرض كل من يهب) أى لا أرضى أن اكون تحت منة كل أحد (من يعلق) معنى من استفهام (يرقب) يرعى (ال) قرابة وال بقاء عهد (سبب) معرفة وصحبة والسبب العلم ومنه وآتيناه من كل شىء سببا وأصله الحبل ثم يستعمل فى كل مايربط شيأ بشىء من كلام أوغيره (عراصهم) مواضعهم وأصل العرصة فناء الدار يقال لب الرجل يلب لبابة ورجل ملبوب موصوف باللبابة ولب كل شىء من الثمار ولبابه داخله ولب كل شىء خالصه (منيت) ابتليت وقدر لى (صرفها) تقلبها وتصرفها بما يكره (ذرعى) كناية عن صدرى وخلقى وأصل الذرع كيل الشىء بالذرع ثم صار مثل يقال ضاق ذرعى بكذا إذا لم تحتمله وضاق تصرفك فيه (ذات يدى) أى مالى (ساورتنى) واثبتنى (الكرب) الهموم وكررها لاختلاف اللفظ (المليم) الذى أتى بما يلام عليه (سلوك) دخول (يستشينه) يستعيبه والشين العيب (لبد) شىء لاقليل ولا كثير وأصله الصوف وأكثر مايستعمل مزدوجا مع سبد يقال ماعنده سبد ولا لبد أى لاشعر ولاصوف ويراد بها نى الإبل والغنم ثم صار نفيا لكل شىء من المال (بتات) زاد (أنقلب) أرجع (ادنت) أخذت بالدين وفى حديث عمر فادان معرضا (والسالفة) صفحة العنق يريد أن هذا الدين لثقله ومقاساة عمومه فوق العطب (العطب) الذى هو الهلاك دونه فى الشدة، عائشة رضى الله عنها: قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله أن يذل عبده ابتلاه بالدين وجعله فى عنقه وقال أنس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم إياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار وروى جابر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لاهم الاهم الدين ولاوجع إلا وجع العين (الحشى) اسقاط الجوف (سغب) جوع (أمضى) أحرقنى (جهازها) متاعها الذى جاءتنى به والجهاز متاع البيت يريد شوارها (عرضا) أراد عرضا

فَجُلْتُ فيه وَالنَّفسُ كَارِهَةٌ والعَيْنُ عَبْرَى والقَلْبُ مُكْتَئِبُ
وما تجاوزتُ إذ عَبِثْتُ به حَدَّ التَّرَاضِي فَيحْدُثَ الغَضَبُ
فإنْ يَكُنْ غاظَها تَوَهُّمُها أنَّ بنَاتِي بالنَّظمِ تَكْتَسِبُ
أو أنَّني إذ عَزَمْتُ خِطْبَتَها زَخْرَفْتُ قولِي لِيَنْجَحَ الأَرَبُ
فوالذي سَارَتِ الرِّفاقُ إلى كَعْبَتِهِ تَسْتَحِثُّها النُّجُبُ
ما المَكْرُ بالمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي ولا شِعَارِي التَّمْوِيهُ والكَذِبُ
ولا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيطَ بِهَا إلا مَوَاضِي اليَرَاعِ والكُتُبُ
بَلْ فِكْرَتِي تَنْظِمُ القَلائِدَ لا كَفِّي وشِعْرِي المَنْظُومُ لا السُّخُبُ
فَهَذِهِ الحِرْفَةُ المُشَارُ إلى ما كُنْتُ أَحْوِي بِهَا وأَجْتَلِبُ
فَأْذَنْ لِشَرْحِي كما أَذِنْتُ لها ولا تُرَاقِبْ واحْكُمْ بِمَا يَجِبُ

قال: فلما أَحْكَمَ ما شَادَهُ، وأَكْمَلَ إِنْشَادَهُ، عَطَفَ القاضِي إلى الفَتَاةِ، بَعْدَ أَنْ شَغَفَ بالأبيات، وقال: أَمَا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ الحُكَّامِ، ووُلاةِ الأَحْكَامِ، انْقِرَاضُ جِيلِ الكِرَامِ، ومَيْلُ الأَيَّامِ

لحركه ضرورة والعرض الأمتعة هنا أخبرني بهذا من يوثق به في اللغة والعرض خلاف النقد مشهور في اللغة، وفي العين: العرض بفتح الراء كثرة المال فيقول لما لم يبق لي مال لم أرمالا إلا جهازها فيكون على هذا أتم معنى ويخوج عن الضرورة التي ألزمته ذلك التحريك (أجول) أتصرف (أضطرب) أكثر الترداد والتصرف (عبرى) باكية (مكتئب) حزين (عبثت) لعبت وتحكمت فيه. يقول ما تصرفت في بيعه إلا برضا منها ومني (توهما) أي ظنها (خطبتها) مراسلتها في النكاح (لينجح الأرب) لتقضى الحاجة (تستحثها) تستعجلها

(النجب) الابل الكرام (المكر) الخداع (المحصنات) العفائف (شيمي) طبائعي (شعاري) علامتي (التموية) تقدم في الثامنة (نيط) علق وناط الشيء نوطا علقه (اليراع) الأقلام (المواضي) المسرعة في الكتابة يريد أنه فصيح لايتوتف قلمه (السخب) جمع سخاب وهي قلادة قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ قال ابن ظفر: السخب العقود من اللؤلؤ وغيره ومن الطيب أيضاً (أحوي) أحوز وأجمع (فأذن) أسمع

(لاتراقب) لاتراع منا أحدا ولا تؤثر على صاحبه (واحكم) بيننا (بما يجب) وأخذ معنى الأبيات المتقدمة من قول ابن هرمة:

إني امرؤ لا أصوغ الحلي تعمله كفاي لكن لساني صائغ الكلم

وقال آخر: وإني لنظام القلائد للعلا ولست بنظام القلائد للنحر

(احكم) أي أتقن (شاده) بناه وزينه وشاد البناء أطاله وعمله بالشيد وهو الجص ويقال فيه أشاد ويقال شاد عمله بالشيد وأشاده أطاله وهو الأولى وأشاد الحديث رفعه (عطف) ثنى عنقه وردها وكل ما تثنيه من عنق أو جارحة أو عود فقد عطفته (شغف) أعجب (انقراض) انقطاع وهلاك (جيل) صنف وجيلك أهل

إلى الإثم ؛ وإني لأخال بعلك صدوقاً في الكلام ، بريّاً من الملام ، وها هو قد اعترف لك بالقرض ، وصرّح عن المحض ، وبيّن مصداق النظم ؛ وتبيّن أنه معروق العظم ، وإعنات المعذر ملامة ، وحبس المعسر مأثمة ، وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة ؛ فارجعي إلى خدرك ، واعذري أبا عذرك ، ونهنهي عن غربك ، وسلمي لقضاء ربك ، ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة ، وناولهما من دراهمها قبضة ، وقال لهما : تعلّلا بهذه العلالة ؛ وتنديا بهذه البلالة ، واصبرا على كيد الزمان ، وكده ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده . فنهضنا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار وهزة الموسر بعد الإعسار

عصرك (بعلك) زوجك وبعل الرجل بعولة تزوج (القرض) السلف أراد به ما أعطته من ثمن جهازها سلما (صرح) بين (وصرح عن المحض) مثل يضرب لسر الأمر إذا انكشف وقالوا أمر صراح أي منكشف ظاهر والصريح من اللبن المحض الخالص الذي لا رغوة فيه قال الشاعر : وتحت الرغوة اللبن الصريح

ثم قالوا لكل شيء خالص صريح وقوله بين (مصداق النظم) يريد أن نظمه إنما هو الشعر لا للجوهر (معروق) لا لحم على عظمه أي هو فقير (اعنات) مشقة (المعذر) الذي يجهد نفسه في الشيء لا يستطيعه يقال قد أعذر أي قد بين عذره انه لا يقدر عليه وعذر فهو معذر إذا قصر في طلب الشيء وقال تعالى وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقال ابن دريد : حكم المعذر غير حكم المعذر (الملامة والمأثمة) اللوم والاثم

(المعسر) الفقير (الزهادة) قلة الرغبة قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جاع واحتاج فكتمه الناس وأنزله بالله كان حقا على الله أن يفتح عليه رزق سنة من حلال وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتظار الفرج بالصبر عبادة ؛ وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصبر أهل بيت على جهد ثلاثا إلا أتاهم الله عز وجل برزق (خدرك) بيتك وأصله الستر يكون خلفه الجارية المحجوبة (أبا عذرك) زوجك المفتض لك (نهنهي) كفي (غربك) حد لسانك وقيل معنى نهنهي من غربك أي غيضي من دموعك والغرب مفيض الدمع والأول أشبه (سلمي) انقادي (فرض) أي أوجب (حصة) نصيب (ناولهما) أعطاهما (قبضة) ما أخذت بطرف أصابعك (العلالة) الشيء القليل

(تعللا) خذا منه شيئا بعد شيء وكذلك (تنديا) وأصل العلالة بقية الماء في الإناء وبقية اللبن في الضرع بعد الحلب قال الراجز : يرضعها الدرة والعلالة (البلالة) الندى القليل يبل وجه الأرض (كيد) مكر (كده) جهده وأنشد أبو محجن الثقفي

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته امر
عسى ماترى أن لايدوم وأن ترى له فرجا مما ألح به الدهر
إذا اشتد عسر فارج يسرا فانه قضى الله أن العسر يتبعه يسر

(الإسار) الحبل يشد به الأسير (هزة) طرب (الموسر) الغنى (الاعسار) الفقر وسئل حكيم أي الأشياء

قال الراوى : وكُنتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أبو زَيْدٍ ساعَةَ بَزَغَتْ شَمْسُه ؛ ونَزَغَتْ عِرْسُه ، وكِدْتُ أُفْصِحُ عن افتِنانه ، وإثمَارِ أفنانِه ، ثم أَشْفَقْتُ من عثُورِ القَاضِى عَلَى بُهتَانِه ، وَتَزْوِيقِ لِسَانِه ، فلا يرَى عِنْدَ عِرْفانِه ، أنْ يُرَشِّحَهُ لإِحْسَانِه . فأَحْجَمْتُ عن القَوْلِ إحْجَامَ المُرْتَاب ، وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَىِّ السِّجِلِّ للكِتَاب ، إلَّا أَنِّى قُلْتُ بَعْدَ ما فَصَل ؛ ووصَلَ إلى ما وصَل ، لو أنَّ لنَا مَنْ يَنطَلِقُ فى أثَرِه ، لأتَانا بفَصِّ خَبَرِه ، وبمَا يُنْشرُ من حِبَرِه ؛ فأتْبَعَه ، القَاضِى أحَدَ أُمَنائِه ، وأمَرَهُ بالتَّجَسُّسِ عن أنبائِه ، فما لَبِثَ أنْ رَجَعَ مُتَدَهْدِهاً ؛ وَقَهْقَرَ مُقَهْقِهاً ، فقال له القَاضِى : مَهْيَم ؛ يا أبا مَرْيَم ؛ فقال : لَقَدْ عايَنْتُ عَجَباً ، وَسَمِعْتُ ما أَنْشأَ لِى طَرَباً ، فقال له : ماذا رَأَيْت ، وما الذى وَعَيْت ؟ قال : لم يَزَلِ الشَّيْخُ مُذْ خَرَجَ يُصَفِّقُ بيدَيْه ، ويُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْه ، ويُغَرِّدُ بِمِلْءِ شِدْقَيْه ، ويقول :

كِدْتُ أُصْلَى بِبَلِيَّهْ من وَقاحٍ شَمَّرِيَّهْ

أحلى : قال النصرة على العدو بعد الهزيمة والاستغناء بعد الحاجة والغلبة للمتكلم (بزغت) أى طلعت (نزعت) نشرت وقابلته بالشر والذكر القبيح وأراد أنه عرفه حين ساقته زوجته إلى القاضى (أفصح) أبين (افتنانه) تنوعه (اثمار) اخراج الثمر وهو حمل كل شجرة (أفنانه) أغصانه (أشفقت) خفت (عثور) ظهور عثر على الأمر اطلع عليه (بهتانه) باطله وكذبه (تزويق) وهو من الزاووق الذى يعرفه العامة بالزواق أى أنه تزيين فى الظاهر وليس له ثبات (عرفانه) تقدم معرفته (يرشحه) يهيئه وفلان يرشح لكذا أى يؤهل له من رشحت الأم ولدها باللبن إذا جعلته فى فيه شيأ بعد شىء حتى يقوى وقيل الترشيح التربية وقيل هو تحنن الأم على ولدها من الشدة (أحجمت) تأخرت (المرتاب) صاحب الريبة (طويت) سترت (السجل) الورق (الكتاب) المكتوب فيها وقوله تعالى كطى السجل للكتاب قيل السجل اسم كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل ملك فى السماء الثالثة ترفع اليه الحفظة أعمال العباد كل خميس واثنين (فصل) زال وانفصل (بفص خبره) بحقيقة أمره (ينشر) يظهر (حبره) حسن كلامه وأصله ثياب يمانية مزينة ونشرها حلها من طيها (التجسس) البحث (أنبائه) أخباره (مالبث) أى ماأقام والمعنى ما أبطأشيأ حتى رجع (متدهدها) متحركا والتدهده قذفك الحجر من أعلى إلى أسفل (قهقر) رجع إلى الخلف (مقهقها) مبالغا فى الضحك والقهقهة حكاية صوت الضاحك (مهيم) كلمة استفهام معناه ما الأمر (عاينت) رأيت (انشأ) أحدث وتقديره سمعت شيأ أحدث لى ذلك الشىء المسموع الطرب ولا يكون أنشأ فعلا ، لأبى زيد إنما هو فعل لما من قوله ما أنشأ (وعيت) حفظت (يصفق بيده) يضرب بكفيه (يخالف بين رجليه) يعبث بهما فى مشيه فيضع كل رجل موضع الأخرى وهى من أنواع الرقص أراد أنه يضرب بكفيه ويرقص (يغرد) يغنى (بملء شدقية) أى بصوت شديد يمتلىء به اشداقه وملء القدح قدر مايملؤه , أبو يعقوب : يقال أعطى ملء القدح ماء وأعطى ملأيه وأعطى ثلاثة أملائه (أصلى ببلية) أى قربت أن أحترق بها وأتصلى بها والبلية المصيبة يبتلى بها

وأَزُورُ السِّجْنَ لولا حاكِمُ الإِسْكَنْدَرِيَّه

فَضَحِكَ القاضي حتى هَوَتْ دَنِّيَّتُه . وذَوَتْ سَكِينَتُهُ ، فلما فاء إلى الوَقار ، وعَقَّبَ الاسْتِغراب بالاسْتِغفار ، قال : اللَّهمَّ بِحُرْمَةِ عبادِكَ المُقَرَّبين ، حَرِّمْ حَبْسِي عَلَى المُتَأَدِّبين . ثم قال لذلك الأمين : عَلَيَّ به ، فانْطَلَقَ مُجِدًّا في طَلَبِهِ . ثم عادَ بَعْدَ لأْيِهِ ، مُخْبِرًا بِنَأْيِه ، فقال له القاضي : أَمَا إِنَّه لو حَضَر ، لَكُفِيَ الحَذَرَ ، ثم

(وقاح) جمع وقاحة وهى صلابة الوجه واصلها من الحوافر الصلب ، وقال بعضهم فى صلابة الوجه :

لا يعمل المبرد فى وجهه بل وجهه يعمل فى المبرد

فجعل وجهه لصلاته يؤثر فى الحديد (شمرية) أى شديدة القحة قال الأصمعى سألت اعرابيا وقد خرج من الصلاة ماقرأ الإمام قال مادرى إلا انه وقع بين موسى وفرعون شمرية (هوت) سقطت (دنية) قلنسوته وهذه اللفظة إنما وقعت فى المقامات بفتح الدال وكسر النون ودنينته بنونين لتوافق سكينته والصحيح حذف نونها الثانية وكسر الاولى وهى قلنسوة محددة الطرف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب إنما هى من الالفاظ المستعملة فى العراق وقد استعملها شعراؤهم ، قال ابن لنكك :

نفسى تقيك ابا الهندام يا أملى إنى بكل الذى ترضاه لى راضى
ما كان ارى فقيها إذ ظفرت به فكيف البسته دنية القاضى

وقال الصابى وفوقه دنية تذهب طورا وتجى

(زوت) زالت وخفيت (سكينته) وقاره وأصل زوى فى الشيء الذى فيه بلل وندوة فيجف بلله فاستعاره (فاء) (وعقب) اتبع (الاستغراب) كثرة الضحك حتى تدمع العينان أراد أنه أتبع ضحكه (الاستغفار) ليكون كفارة له . . وهذا الذى حكى عن القاضى يحكى مثاله عن الحجاج يقال انه كان استغرب ضحكا فوالى من الاستغفار وقال عبد الله بن مسعود : فى كتاب الله آيتان ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له ، الأول قوله تعالى(والذين إذا فعلوا فاحشة الآية والثانية قوله تعالى(ومن يعمل سوءاأو يظلم نفسه)الآية قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه خمس مرات غفر له ولو فر من الزحف ، شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى وأنا عبدك أصبحت على عهدك ووعدك مااستطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء بنعمتك على وذنبى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . . وأصل غفروا واستغفر غطى قال قطرب اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى غطها من قول العرب غفرت المتاع فى الوعاء اغفره غفرا أى غطيته ، وثعلب : غفر الرجل فى مرضه يغفر غفرا أى نكس فكأن المرض غطى عليه وقال الأصمعى رحمه الله اللهم اغفر لنا ذنوبنا أى استرها علينا ومنه اصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أى أستر وهذه معان متقاربة

(على به) أى جئنى به (مجدا) مجتهدا فى طلبه (لأيه) ابطائه (نأيه) بعده (الحذر) الخوف

لأَوْلَيْتُهُ ما هُوَ به أَوْلَى ، ولأَرَيْتُهُ أن الآخرةَ خيرٌ له مِنَ الأُولى .

قال الحارثُ بنُ همّامٍ : فلمّا رأيتُ صَغْوَ القاضى إليْه ، وفَوْتَ ثَمرَةِ التَّنْبيهِ عَليه ، غَشِيَتْنِى نَدامةُ الفرَزْدَقِ حينَ أبانَ النَّوارَ ، والكُسَعِىِّ لمّا استَبانَ النَّهار .

(أولته) بمعنى وليته وأعطيته(أولى) أحق يريد أنه لورجع إليه كان صله فى المرة الثانية بما هو خير مما وصله به أول مرة (صغو) أى ميل (فوت) ذهاب (التنبيه) الاعلام (غشيتنى) غطتنى ولحقتنى (أبان)طلق (النوار) بنت عم الفرزدق وزوجه (استبان) تبين وقال الشاعر :

لو أن صدور الأمر يبرز للفتى كأعقابه لم تلفه يتندم

والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة دارمى من أشراف تميم والفرزدق لقب به لجهومة وجهه وغلظه والفرزدق قطع العجين وقيل الرغيف الضخم ، وخبره مع النوار بنت أعين المحاسى أنه خطبها رجل من قريش أو من دارم فبعثت إلى الفرزدق أن يكون وليها إذ كان ابن عمها فقال ان بالشام من هو أقرب إليك منى ولاء وأنا حذر من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك على فأشهدى أنك جعلت أمرك إلى فجعلت له أمرها أن يزوجها ممن يرى وأشهدت له بذلك فقال لها أرسلى إلى القوم أزوجك من خطبك فلما غص مسجد بنى مجاشع ببنى تميم جاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد علمتم أن النوار ولتنى أمرها وأشهدكم انى قد زوجتها من نفسى فنشزت عليه ونافرته من البصرة إلى عبد الله بن الزبير بمكة حين أعياها أمراء البصرة أن يطلقوها منه وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء من شره فلم يقدر أحد على حملها حتى تحمل قوم من بنى عدى يقال لهم بنو بشير إلى مكة فصحبتهم النوار فقال الفرزدق :

وقد سخطت منى النوار الذى ارتضى به قبلها الأزواج خاب رحيلها
أطاعت بنى أم البشير فأصبحت على شارف ورقاء صعب ذلولها
وان امرأ يسعى ليفسد زوجتى كساع الى أسد الشرى يستبيلها
ومن دون أحوال الأسود بسالة وبسطة أيد يمنع الضيم طولها
وان أمير المؤمنين لعالم بنا وبما وصى العباد رسولها

ثم ارتحل فى أثرها حتى وصلا مكة فنزلت النوار على بنت منظور بن زيان زوجة عبدالله بن الزبير رضى الله عنه ونزل الفرزدق على ابيه حمزة وقال :

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى ان المنوه باسمه الموثوق
بأبى عمارة خير من وطىء الحصا وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارى الأغر وهاشم ثم الخليفة بعد والصديق

فكان كل ماأصلح حمزة بن عبد الله من شأن الفرزدق نهارا أفسدته بنت منظور ليلا حتى غلبت النوار وقضى ابن الزبير عليه فقال :

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زيانا

ليس الشفيع الذى يأتيك متزرا　　مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

فلما سمع ابن الزبير شعره وقفت فى أمره فلقيه يوما بباب المسجد فضمه إلى الحائط حتى كانت تزهق نفس الفرزدق وكان ابن الزبير فى غاية من القوة ثم هزه وتركه خائفا ثم دخل على النوار فقال لها إما أن تتمى زواج ابن عمك وإلا قتلته وأرحت المسلمين من شر لسانه فقالت له ولا بد أن تقتله قال ولا بد فعطفها عليه رحم القرابة وقالت لا والله لا أدعه للقتل قد رضيته فتزوجها فحكم عليه ابن الزبير بمهر مثلها عشرة آلاف درهم فسأل هل بمكة أحد يعينه فدل على سلم ابن زياد وكان ابن الزبير قد حبسه فقال :

دعى مغلق الأبواب دون فعالهم　　ومرى بمسرى فى هبيب إل سلم
إلى من يرى المعروف سهلا سبيله　　ويفعل أفعال الكرام التى تنمى

ثم دخل على سلم وأنشده القصيدة فقال هى لك ومثلها لنفقتك فقبض عشرين الفا فدفع مهرها فدخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرجا بها وهما عديلان فى محمل وكان أبد اتخالفه ونسبه لانها كانت صالحة الدين وكان هو ردىء الدين زانيا قاذفا للمحصنات فكانت تكرهه . ومن ملح أخبارها أنه راود امرأة شريفة على نفسها فامتنعت عليه فتهددها بالهجاء فاستعانت بالنوار فقالت واعديه ليلة ثم أعلميني ففعلت وجاءت النوار فدخلت الحجلة مع المرأة فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية أطفأت السراج وبادر الحجلة والنوار فيها وهو لا يشك انها صاحبة الدار فواقعها فلما فرغ قالت له ياعدو الله يافاسق فعرفها وعلم انه قد خدع فقال لها وانت هى ياسبحان الله ما اطيبك حراما وأبردك حلالا فلم تزل تؤذيه بلسانها حتى أبغضها فحدث أبو معقل روايته قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا إلى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت إنى أخاف أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه قال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد قال بخير كيف أصبحت ياأبا فراس قال لتعلمن أن النوار طالق منى ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقا فقال الفرزدق ياهذا إن فى قلبى من النوار شيئاً فقلت قد حذرتك فقال :

ندمت ندامة الكسعى لما　　غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها　　كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى　　لأصبح لى على القدر اختيار
وكنت كفاقىء عينيه عمدا　　فأصبحت ما يضىء له نهارا

وتوفى سنة عشر ومائة وفيها مات جرير وابن سيرين والحسن فقالت امرأة بصرية كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه . . وأضافت جريرا إلى البصرة لكثر قدومه إليها ومسكنه باليمامة وأخباره تطول وإنما ذكرنا منها ما تعلق بالنوار معه . وأما الكسعى فرجل منسوب إلى كسع قبيلة باليمن واسمه محارب بن قيس وبندامته يضرب المثل يقال أندم من الكسعى وقيل إنه من بنى سعد بن ذبيان وقيل اسمه عامر بن الحرث ومن حديثه أنه كان يرعى إبلا بواد كثير العشب والخمط فبينما هو يرعاها بصر بنبعة على صخرة فقال ينبغى أن تكون هذه قوسا فجعل يتعهدها ويقومها حتى أدركت فقطعها فلما جفت اتخذ منها قوسا وانشأ يقول :

يارب وفقني لنحت قوسي   فإنها من لذتي لنفسي
وانفع بقوسي ولدي وعرسي   انحتها صفراء مثل الورس
صلداء ليست كالقسي النكس

ثم دهنها وخطمها بوتر واتخذ برايتها خمسة اسهم وجعل يقلبها في كفه وينشد :

هن وربي اسهم حسان   يلذ للرامي بها البنان
كأنما قومها ميزان   فابشروا بالخصب ياصبيان
إن لم يعقني الشؤم والحرمان

ثم أتى فترة على موارد حمر فكمن فيها فمر به قطيع فرمى عيرا منها بسهم فأمخطه أي نفذه وجازه واصاب الجبل فأروى ناراً فظن أنه أخطأه فأنشأ يقول :

أعوذ بالله العزيز الرحمن   من نكد الجد معا والحرمان
مالي رأيت السهم بين الصوان   يوري شراراً مثل لون العقيان
فأخلص اليوم رجاء الصبيان

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيراً فأمخطه السهم فصنع صنيعة الأول فأنشأ يقول :

لا بارك الرحمن في رمي القتر   أعوذ بالخالق من شر القدر
أأمخط السهم لارهاق الضرر   أم ذاك من سوء احتيال ونظر
أم ليس يغني حذر عند قدر

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيرا فأمخطه السهم فصنع صنيعة الأول فأنشأ يقول :

ما بال سهمي يوقد الحباحبا   قد كنت أرجو أن يكون صائبا
فأخطأ العير وولى جانبا   فصار رأيي فيه رأيا خائباً

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيراً بسهم فأمخطه السهم وصنع ما صنع أولا فأنشأ يقول :

يا أسفا للشؤم والجد النكد   في قوس صدق لم تزين بأود
أخلف ما أرجو لأهل وولد   فيها ولم يغن الحذار والجلد
نخاب ظن الأهل جمعاً والولد

ثم مر به قطيع آخر فرمى عيراً بسهم فأمخطه السهم وصنع كما صنع أولا فأنشأ يقول :

أبعد خمس قد حفظت عدها   أحمل قوسي وأريد ردها
أخزى الإله لينها وشدها   والله لا تسلم مني بعدها
ولا أرجي ماحييت رفدها

ثم أخذ القوس فكسرها على حجر وبات فلما أصبح أبصر الأعيار الخمسة مطروحة حوله فأسف وندم على كسر القوس وعض على إبهامه فقطعها تلهفا وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني إذا لقطعت خمسي   تبين لي سفاه الرأي * مني لعمر أبيك حين كسرت قوسي

المقـــامة العاشرة الرحبية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: هَتَفَ داعي الشَّوْقِ، بي إلى رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ، فَلَبَّيْتُهُ مُمْتَطِياً شِمِلَّةً. ومُنْتَضِياً عَزْمَةً مُشْمَعِلَّةً؛ فلمَّا أَلْقَيْتُ بِهَا المَرَاسِي، وشَدَدْتُ أَمْرَاسِي، وَبَرَزْتُ من الحَمَّامِ بَعْدَ سَبْتِ رَاسِي، رَأَيْتُ غُلاماً في قَالَبِ الجمالِ، وأُلْبِسَ من الحُسْنِ حُلَّةَ الكَمَالِ؛

شرح المقامة

(هتف بي) أي دعاني يقول هتف بي هتفا وهتافاً دعاه وهتفت الحمامة مدت صوتها (الشوق) تحرك الحب يريد أو شوقه إلى الرحبة يهيج عليه حتى سار إليها وجعل له داعيا مجازا (والرحبة) مدينة شهيرة من عمالة الفرات بناها مالك بن طوق وولِيها فنصبت اليه وإليها تنسب الثياب الرحبية وتعرف برحبة الشام وهي على يسار الطريق هي والرقة في استقبالك الفرات جائيا من حران وهي في آخر ديار ربيعة وأول بلاد الشام والفرات بين ديار ربيعة والشام فاذا عبرته صرت في حد الشام (مالك) كنيته أبو كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعيد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب وقال حبيب يمدحه ويذكر الرحبة:

يا مال قد علمت ربيعة أنه ... ما كان مثلك في الأرقام أرقم
طالت يدي لما رأيتك سالما ... وأنيخ عن خدي ذاك العظلم
وشممت ترب الرحبة العبق الثرى ... وشفى صداي البحر منها الخضرم
كم حل في أكنافها من معدم ... أمسى بها يأوي إليه المعدم

وقال فيه.

رأته في النوم عتاب فقال لها ... ذوو الفراسة هذا صفوة الكرم
فجاء والنسب الوضاح جاء به ... كأنه بهمة فيه من البهم
طعان عمرو بن كلثوم ونابله ... إن السيور التي قدت من الادم
لو كان يأمل عمرو مثله خلفا ... من صلبه لم يجد للموت من ألم

يقول هذا في اتصاله بنسب عمرو بن كلثوم وأين هذا من قول دعبل يهجوه:

الناس كلهم يعدو لحاجته ... ما بين ذي فرح منه ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته ... يروم منها بناء غير مهدوم
يبني بيوتاً خراباً لا أنيس بها ... ما بين طوق إلى عمرو بن كلثوم

وكان ملكا شجاعاً جواداً ممدوحا أميراً على الجزيرة مسكن قومه بني ثعلب (لبيته) أي أجبته (ممتطيا) راكبا (شملة) ناقة سريعة (منتضيا) مجردا (عزمة مشمعلة) أي عزمة سريعة لا توانى فيها (المراسي) هي محابس السفينة (أمراسي) حبالي يريد أنه استعد للاقامة وترك السفر وضرب لذلك المثل بإلقاء المراسي وشد الامراس (وبرزت) خرجت وظهرت (سبت) حلق ومتى دخل أهل المشرق الحمام حلقوا رؤسهم (أفرغ) وضع لينصبغ (القالب) الذي تطبع فيه الدراهم ودرهم مفرغ إذا أذيبت فضته وصبت في قالبه فيريد أن

هذا الغلام لافراط حسنه أفرغ فى قالب الجمال ، ونذكر فى هذه المقامة من أوصاف الحسن والجمال ما أمكن ونضيف إلى ذلك ما قيل فى الغلمان من الأشعار الحسان مما يليق بهذا المكان وندعها من كل مقامة يقع فيها ذكر الغلمان ، قال ابن عبد ربه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب كما تضرب فى بيضة الأدحى ، وقال أعرابى :

وما تطيبت من صفراء خالية كالعاج صفرها الأكنات والطيب

وقال آخر : كأن لون البيض فى الأدحى لونك لولا صفوة الجادى

يريد أنها تضمخ بالجادى وهو الزعفران وصفرة النعمة لاتبلغ صفرته وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء قال الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشية كالعرارة

العرار البهار ، وقال الحريرى فى الدرة فأما قولهم فى الحسن أحمر فمعناه أنه لايكتسب مافيه من الجمال إلا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة الحمراء للمجدبه وكنوا عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر وأما قوله :

هجان عليها حمرة فى بياضها تروق لها العينان والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن فى حمرة اللون مع البياض دون غيره من الألوان وقالوا فى الجارية جميلة من بعيد مليحة من قريب فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحه التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقيل الجميلة السمينة من الجمل وهو الشحم والمليحة البيضاء من الملحة وهى البياض والصبيحة كذلك من الصبح لبياضه وقالوا إن الوجه الرقيق البشرة الصافى الأديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته وقال عدى بن زيد فى تلون الوجه :

حمرة خلط صفرة فى بياض مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال ابن عبد ربه فى ذلك

يالؤلؤا يسبى العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درا يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه ألفيت وجهك فى سناه غريقا
يا من تقطع خصره من رقة ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وأعادمعنى : « درا يعود من الحياء عقيقا » فى بيت آخر فقال وأحسن :

كم سوسن لطف الحياء بلونه فأصـــاره وردآ على وجناته

قالت امرأة خالد بن صفوان لخالد لقد أصبحت جميلا قال وكيف ذاك وما فى رداء الحسن ولا عموده ولا برنسه قالت وما ذاك قال عموده الشطاط ورداؤه البياض وبرنسة سواد الشعر قالوا الحلاوة فى العينين والجمال فى الأنف والحسن فى الوجه والملاحة فى الفم وقال بعضهم الظرف فى القد والبراعة فى الجيد والرقة فى الأطراف والخصر والتأن كله فى الكلام والمدار على العقل ؛وقال على بن عبيد الريحانى ، الحسن تناسب الصورة وزينته اعتدال الحركة ثم ما لايحسن اللسان الترجمة عنه من خفة الروح والقبول ، وسئل عن اختياره من

الحسن فقال أما ما يمكن نعته فخلتان وثلاثة بينهما ليست من صفة اللسان نعجبني صورة أكثر نعتها الملاحة وبراعة بفصاحة والخلة الثالثة نسيمها مراح الروح وشكل النفس وملهبة الشوق وبمقدار تمكن الثالثة من القلب يستحكم سلطان الهوى على العقل فهذه زبدة هذا الباب وأحسن الحسن ما لم يجلب بتزين وتضييق وتحلية وتزويق وأطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة ومزاج معتدل وثغر نقي ، قال امرؤ القيس :

ألم تريانى كلما جئت طارقا　　وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

ويحكى أن سيبويه كان يقرأ على الخليل بن أحمد منتقبا لئلا يشغله بحسنه عن تعليمه ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح وكان يقال إنه أطيب الناس رائحة ومع تحفظ الخليل وورعه فكان إذا استأذن عليه سيبويه يقول مرحبا بزائر لا يمل وكان أبو حاتم السجستاني يختم القرآن فى كل أسبوع ويتصدق كل يوم بدينار ومع هذا الفضل كان يميل بحبه إلى أبي العباس المبرد وكان أبو العباس يلزم حلقته وهو غلام وسيم فقال فيه :

ماذا لقيت اليوم من　　متمجن خنث الكلام
وقف الجمـــال بوجهه　　فسمت له حدق الانام
حركاته　　وسكونه　　يجنى بها ثمر الانام
فاذا خلوات بمثله　　وعزمت فيه على اغترام
لم أعد أفعال العفا　　ف وذاك آكد للغرام
نفسى فداؤك يا أبا العبـــاس ياجل اعتصام
فارحم أخاك فانه　　نزر الكرى بادى السقام
وأنله مادون الحرا　　م فليس يرغب فى الحرام

والولوع فى الجمال شجية ركبها الله فى الأولياء وأكابر العلماء فمن دونهم من السوقة والغوغاء وعلى قدر ذكاء الأرض يطيب زرعها وعلى قدر طيب التربة يطيب نبعها فمنها العذب والاجاج ومابينهما وعلى قدر شرف النفس يكون حبها فمنه المستحسن ومنه المستقبح ، وكل إناء بالذى فيه ينضح ، وفى كتاب الوشاح : العشق إذا تزين بالعفاف فهو معنى شريف ويتلو قوله تعالى : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فمن اتقى الله فهو خليل وذهبت طائفة من المتكلمين البغداديين إلى أن الله تعالى إنما امتحن الناس بالهوى ليأخذوا أنفسهم بطاعة من يهوونه وليشق عليهم سخطه ويسرهم رضاه فيستدلوا بذلك على قدر طاعة الله تعالى لأنه لا مثل له ولا نظير وهو خالقهم غير محتاج إليهم ورازقهم مبتدىء المن عليهم فإذا أوجبوا على أنفسهم طاعة لسواه كان هو تعالى أولى أن يتبع رضاه قالوا ولا ينبغى للعاقل ولا للجاهل أن ينكر علاقة شخص بشخص وحنين شـــكل إلى شكل ومؤلفة الف إلى الف فالقلوب صافية قابلة والعيون إليها ناقلة وقالوا لا عاشق على الاغلب إلا موفور النعماء مكفى كد المعيشة لأنه من فراغ نفسه ورقة حاشيته ، وقد قيل إن جميلا وبثينة ولو قعدا ليلتين دون غداء وعشاء لبزق كل واحد منهما فى وجه صاحبه .. ومن شرط المعشوق أن يكون ممن يؤيس ويطمع ويستتر ويلمع ويبدوا ويحجب ويلين ويصعب ويرضى ويسخط ويقرب ويشحط كما قال أبو الطيب :

وأحلى الهوى ماشك فى الوصل ربه　　وفى الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى　　مجال لدمع المقلة المترقرق

والحسن أو سعادة المرء ورائد اليمن وسائق النجح لأن الله تعالى بلطف الحكمه وبشرف الابداع والصنعة لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من الآفات إلا عن فضل الاحتفاء ولم يطابقها من الاخلاق إلا بما يناسب جمالها من العقل والصفاء وقلما تجد الخلق إلا تبعا للخلقة تناسبا يطرد وأصلا لا ينعكس وإجماعا لا ينفرد وما خلق الله نبيا قط إلا وقد بهر أهل زمانه بحسنه وإحسانه فاذا نظرته لأول وهلة رأيته أحسنهم صورة وأتقنهم بنية فهو أولى مرتبة وأعلى منقبة وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق وورد عليه وفد عبد القيس وفيه غلام وضىء الوجه فأقعده وراء ظهره وقال إنما أتى أخى داود من النظر وقد أكثر الشعراء فى وصف الحسن فمن أحسن ذلك ما قال على بن بسام كأنه يصف الفتى الذى ذكره الحريرى :

يامن تسربل بالملاحة وارتدى　　فعليه تعتكف العيون إذا بدا
فيرى هلالا زاهرا ويرى قضيـــبا ناضرا ويرى كثيبا أملدا
فاذا نهضت ترجرجا وإذا سفر　　ت تبلجا وإذا مشيت تأودا
فترى الجبين كتاج ملك زانه　　در تراه مفرقا ومنضدا
ويجول ذاك الرشح فى أقطاره　　كالياسمين جرى به قطر الندى
الوجه فضى أحاط بوجنتى　　ذهب فأنبت عارضين زبرجدا
وفم عقيق تضمن لؤلؤا　　رطبا ونظم فوق ذاك زمردا

ولأبى اسحق الخفاجى :

وأغيد أهدى نرجسا من محاجر　　وثنى فأبدى سوسنا من سوالف
وقد ماج فى عطفيه ماء شبيبة　　يعب ولا أمواج غير الروادف
تطل مثل الرمح بسطة قامة　　وفتكة الحاظ ولين معاطف

ولابن وكيع:

يامن إذا لاحت محاسن وجهه　　غفرت بدائعها جميع ذنوبه
إن كان فى تعذيب قلبى راحة　　لك فاجتهد بالله فى تعذيبه

ولأبى اسحق الخفاجى :

ياروح وضاح الجبين كأنما　　رسم العذار بصفحتيه كتاب
تغرى بطلعته العيون ملاحة　　وتبيت تعشق عقله الالباب
جعلت عليه من الصباح غلالة　　تندى ومن شفق السحاب نقاب

ولأبى نواس :

أساء فزادته الاساءة حظوة　　حبيب على مكان فهو حبيب
يعد على الواشيان ذنوبه　　ومن أين للوجه الجميل ذنوب

ولأبى اسحق الخفاجى:

تعلقته نشوان من خمر ريقه　　له رشفها دونى ولى دونها السكر

وقد اَعْتَلَقَ شَيْخٌ بِرُدْنِه ، يَدَّعِى أنَّهُ فَتَكَ بابْنِه ، والغُلامُ يُنْكِرُ عِرْفَتَهُ ، ويُكْبِر قِرْفَتَه ، والخِصَامُ بَيْنَهُما مُتَطايِرُ الشِّرار ، والزِّحام عَلَيْهما يَجْمَعُ بَيْنَ الأخيار والأشرار ، إلى أنْ تَرَاضيا بَعْدَ اشْتِطاطِ اللَّدَد ، بالتَّنافُرِ إلى والِي البَلَد ، وكانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بالهنات ، ويُغَلِّبُ حُبَّ البَنِينَ عَلَى البنَات ، فأسْرَعا إلى

ترقرق ماء مقلتاى ووجهه ويذكى على قلبي ووجنته الجمر
أرق نسيبي فيه رقة حسنة فلم أدر أيا قبلها منهما السحر
وطبنا معا ثغرا وشعرا كأنما له منطق ثغر ولى ثغره شعر

(وقد اعتلق شيخ بردنه)أى تعلق بكمه وأطراف ثوبه (فتك) قتل والفتك أن تأتى رجلا آمنا منك وتقتله أو تكمن له فى موضع لا يعرف بك فاذا أتاك قتلته ثم سمى من هجم على الأمور العظام فاتكا فاذا أدخلت رجلا منزلك أو موضعا لامغيث له فيه فقتلته فذلك الغيلة فان كان رجلا يخادك فأمنته وآنسته حتى أمنك ثم قتلته فذلك الغدر (عرفته) معرفته (يكبر) يراه أمرا كبيرا (قرفته) تهمته وقد قرفته بذنب إذا حملته عليه واتهمته به وشبه مايلحق كل واحد منهما من أذى صاحبه بشرر النار (اشتطاط اللدد) اشتداد الخصام (التنافر) التحاكم (يزن بالهنات) يتهم بالقبائح والهنات الدواهى والهن والهنة من الكنايات العامة التى يكنى بها عن كل شيء ولا يقتصر بها على شيء دون شيء (ويغلب حب البنين على البنات) ، نذكر هنا من الولاة المتهمين بهذه الهنات مايليق بالموضع ، قال أهل الاخبار إن القاضى يحيى بن أكثم كان مشتهرا بحب الغلمان وان أهل البصرة رفعوا بأمره إلى المأمون قبل اتصاله به وقالوا فيه إنه قد أفسد أولادهم وظهرت منه الفواحش وانه القائل فى صفة الغلمان :

أربعة تعشق ألحاظهم فعين من يعشقهم ساهره
فواحد دنيا فى وجهه منافق ليست له آخره
وآخر دنياه منقوصة من خلفه آخرة وافره
وثالث فاز بكلتيهما قد جمع الدنيا مع الآخرة
ورابع قد ضاع مابينهم ليست له دنيا ولا آخرة

فاستعظمها المأمون وعزله عنهم ثم اتصل بعد ذلك يحيى بالمأمون ونادمه فخرج معه فى يوم عيد وقد ركب الجند أمامه ويحيى يحادثه ويضاحكه فنظر إلى غلام أمرد من أولاد الجند فى غاية الفراهة عليه ثوب حرير أخضر ودرع موشاة مزررة بالذهب فالتفت إلى يحيى وقال له ماتقول فى هذه البضاعة فقال يا أمير المؤمنين إن هذا لقبيح من إمام مثلك مع فقيه مثلى قال فمن الذين يقول :

قاض يرى الحد فى الزناة ولا يرى على من يلوط من باس

قال من عليه لعنة الله وغضبه ابن أبى نعيم الذى يقول :

أميرنا يرتشى وحاكمنا يلوط والشر بيننا راسى

قاض يرى الحد البيت وبعده :

لاأحسب الموت ينقضى وعلى الأمة وال لآل عبـــاس
قال وصحيح هذا ؟ قال نعم ، : يننى إلا السند وإنما مازحناك ، ثم قال المأمون فى الغلام :

أيها الراكب ثوبا ه حرير وحـــديد
جئت للعيد وفى وجه لك للاعين عيد
أنت جندى ولكن فيك للحسن جنود

وفى يحيي يقول ابن أبى نعيم :

ياليت يحيي لم تلده أكثمه ولم تطأ أرض العراق قدمه
ألوط قاض فى البلاد تعلمه أى دواة لم يلقها قلمه
وأى جحر لم يلجه أرقمه

وهذا كقول الآخر : يدخل الأفعى إلى حبس الأسد . ويحيى خراسانى من مرو ، وبلغ من تحكمه على المأمون أن فرض لاربعمائة غلام مردواختارهم حسان الوجوه يركبون لركوبه فقال راشد بن اسحق :

خليلى انظرا متعجبين لأظرف منظر تقلاه عينى
لفرض ليس يقبل فيه إلا أسيل الخد حلو المقلتين
يقودهم إلى الهيجاء قاض شديد الطعن بالرمح الردينى
إذا شهد الوغى منهم غلام تجدل للجبين ولليـــدين
وبات الشيخ منحنيا عليه وصدغاه تحاذى الركبتين

وقال فيه :

وكنا نرجى أن نرى العدل بيننا فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها إذا كان قاضى المسلمين يلوط

وكان القاضى أبو القاسم على بن محمد التنوخى مولعا بالغلمان وكان له غلام اسمه نسيم فى نهاية من الحسن وكان يؤثره على سائر غلمانه ويخصه بتقريبه واستخدامه فكتب إليه بعض من يأنس به :

هل على لامه مدغمة لاضطرار الشعر فى ميم نسيم

فوقع تحت البيت نعم ولم لا ، وسنذكر من شعره فى هذه المقامة ما يستملح .. وممن كان يميل إلى الغلمان من الامراء

أبو العشائر الهمذانى الذى يقول فيه المتنبى :

فيابحر البحور ولا ورى ويا ملك الملوك ولا أحاشى
كأنك ناظر فى كل قلب فما يخفى عليك محل غاش

قال بعض الرواية :دخلت على أبى العشائر أعوده من علة فقلت ما يجد الأمير فأشار إلى غلام قائم بين يديه كأن رضوان قد غفل عنه فأبق من الجنة ثم أنشأ يقول :

أسقم هذا الغلام جسمى بما بعينيه من سقام
فتور عينيه من دلال أهدى فتورا إلى عظامى
وامتزجت روحه بروحى تمازج الماء بالمدام

نَدْوَتِه كالسُّلَيْكِ

ولأبي العشائر : سطا علينا رشا حاز لجمال سطا ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذران قد خطا بوجنته فاستوقنا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فقال الكل من شغف ياليته في سواد الناظرين خطا

ومع هذا الميل كان نزيه النفس رفيع الهمة سليم الناحية وكان في الجود غاية وفي الشجاعة نهاية وفي الشعر آية .. وإذا كان المتنبي الذي هو أشعر الناس عند الأكثر يقول حين عوتب في آخر أيامه على فتور شعره قد تجوزت في شعري وأعفيت طبعي واغتنمت الراحة مذ فارقت آل حمدان ، ومنهم الذي يقول : يعني أبا العشائر :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفي والخيل من تحت الأسنة تنحط
لقرأت منها ماتخط يد الوغى والبيض تشكل والأسنة تنقط

فهكذا تستعار المعاني البديعة في الألفاظ الرفيعة . فما ظنك بمن يثني عليه المتنبي هذا الثناء .. وممن وصف غلاما فأحسن الأمير تميم بن المعز صاحب مصر حيث قال :

وبات ضجيعي منه أهيف ناعم وأدعج وسنان وألعس أشنب
كأن الدجى من لون صدغيه طالع وشمس الضحى في صحن خديه تغرب

وقال فيه أيضاً : ياليلة بات فيها البدر معتنق وكانت الشمس فيها بعض جلاسي
بت مستغنيا بالثغر عن قدح وبالخدود عن التفاح والآس

وقال أيضا :
ورد الخدود أرق من ورد الرياض وأنعم
هـذا تنشقه الأنو ف وذا يقبله الفم
فاذا عـدلت فأفضل الوردين ورد يلثم

(ندوته) أي مجلسه (السليك) هو ابن السلكة معروف بأمه وكانت أمه سوداء شديدة السواد وكان هو أسود وأبوه عمرو بن سنان بن عمير بني الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن مناة بن تميم السعدي التميمي وكان يسبق الخيل على رجليه وكان من العدائين ومن رجلي العرب وهم الذين يسعون على أقدامهم ويسبقون الخيل فيستغنون بأرجلهم عنها وكان من أشجع الناس وكان لايغير إلا وحده وكان يقال له الربال وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمر بن معد يكرب فقال أي العرب كان أبغض لك أن تلقاه فقال أما من معد فعدي بن فزار ومرة بن ذبيان وكلاب بن عامر وشيبان بن بكر وشق بن عبد القيس والأراقم من تغلب ثم لو جلت بفرسي على مياه سعد ماخفت هيج أحد مالم يلقني حراها أو عبداها فقال أما حراها فعامر بن الطفيل وعتيبه بن الحرث بن شهاب وأما عبداها فعنترة الفوارس وسليك المقانب ، وأما عدوته المذكورة فيقال أنه أحاط به عدوه فنزا نزوة عد فيها أربع وعشرون خطوة وعد أيضا في نزوة للشنفرى إحدى وعشرون خطوة ويقال في المثل أعد من الشنفرى وأعد من السليك فأما الشنفرى فانه أغار على بجيلة مع تأبط شرا وعمرو بن براق فرصدتهم بجيلة على الماء فقال تأبط شرا إن بالماء رصدا فقالا ليس عليه أحد ولابد من وروده فورد الشنفرى ثم

عمرو فقال تأبط شرا القوم إنما يريدونني فلذلك لم يعرضوا لكما وإذا وردت أنا الماء فسيشهدون علي ويأسرونني فاذهب ياشنفرى كأنك تهرب وكن في أصل ذلك القرن فاذا سمعتني أقول خذوا خذوا فتعال فأطلقني وقال لعمرو إني سآمرك أن تستأسر لهم فلا تبعد ولا تمكنهم من نفسك ثم ورد الماء فشدوا عليه وكتفوه وفعل ماأمرهما فقال تأبط شرا يامعشر بجيلة هل لكم في أن تيسروا فداءنا ونستأسر لكم ابن براق قالوا انعم فقال ياعمرو وهل لك أن تستأسر وياسرونا في الفداء فقال حتى أروض نفسي شوطا أو شوطين فجرى الأول كالريح والثاني كالخيل ثم أراد أن يجري ثالثا فجعل يقع ويقوم فشلا يطمعهم بذلك فقال لهم تأبط شرا خذوا خذوا فأسرعوا إليه بأجمعهم وهو الشنفرى كالريح فقطع وثاقه ثم أحضروا ثلاثتهم فنجوا فقال تأبط شرا من قصيدة :

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم ... بالعيكتين لدى عمرو بن براق

لا شيء أسرع مني غير ذي عذر ... أو ذي جناح بجنب البرد خفاق

فالثلاثة عداءون والمثل مقصور على الشنفرى . . وأما السليك فرأنه طلائع جيش لبكر بن وائل جاؤا مجردين ليغيروا على تميم فقالوا إن علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا إليه فارسين على جوادين فلما صاحاه خرج يمحص كأنه ظبي فطارداه يوما أجمع ثم قالا إذا كان الليل أعيا فنأخذه ووجدا أثر بوله قد خد في الأرض فقالا قاتله الله ما أشد متنه فتبعاه ليلتهما فلما أصبحا وجداه قد عثر بأصل شجرة فندر منها كمكان قدمه وسقطت قوسه في جرية فانحطمط فوجدا قطعة منها قد ارتزت بالأرض فقالا مابعدهذا شيء والله لاتبعناه بعدهذا ، ومر السليك إلى أهله فانذرهم فكذبوه لبعد الغاية فقال :

يكذبني العمران : عمرو بن جندب ... وعمرو بن سعد والمكذب أكذب

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها إلى الحي موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله ... فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه آخرون فورد عليهم الجيش فاكتسحهم ،ومن شعر السليك يرثي فرسه وكان يقال لها النحام - وأنشدها المبرد في باب التشبيه من الكامل - :

كأن قوائم النحام لما ... تحمل صحبتي أصلا محاروا

علا قرماء عاليه شواه ... كأن بياض غرته خمار

وما يدريك ما فقرى إليه ... إذا ما القوم ولوا أو أغاروا

ويحضر فوق جهد الحضر نصبا ... يصيدك نافلا والمخ رار

أي يصيد لك ونافلا ثانيا ورار ذائب من الهزال . . وحكاية السليك عن أبي عبيدة وحكاية الشنفرى عنه وعن الشيباني وكلتاهما على اختصار . . ونزل على جماعة من كنانة ضيفا فأكرموه وجمعوا له إبلا كثيرة وأعطوه إياها وكان قد كبر وشاخ وذهبت قوته وانتقص عدوه فقالوا له إن رأيت أن ترينا مابقي من عدوك قال نعم ابغوا لي أربعين شابا وأتوني بدرع ثقيلة عظيمة فأتوا بها واختاروا من شبانهم أربعين أقوياء عدائين فلبس سليك الدرع ثم قال للشبان الحقوني ثم عدا عدوا وسطا وعدا الشبان وراءه جهدهم فلم يلحقوه حتى غاب عنهم ثم كر راجعا حتى عاد إلى القوم وحده يخطر والدرع عليه وسبق الشبان . وخرج في ليلة مقمرة يطلب الاغارة

فى عدْوَتِهِ . فلمّا حَضَراه ؛ جدَّدَ الشَّيْخُ دعواه ؛ واسْتَدْعَى عَدْوَاه ، فاسْتَنْطَقَ الغُلامَ

فغلب عليه النوم آخر الليل فبينما هو نائم ملتف بكساء جثم عليه رجل مثله شديد البأس عظيم القوة وأمسك على يديه ومنعه التحرك وجعل يلمزه ويؤذيه ويقول له استأسر يا خبيث فاجتهد سليك حتى خاص إحدى يديه فضم الرجل إليه ضمة وعصره عصرة فضرط فقال له أضراطا وأنت الأعلى فأرسلها مثلا فلما تخلص منه قال له من أنت قال أنا رجل افتقرت فقلت لأخرجن ولا أرجع إلى أهلى حتى آتيهم وأنا غنى فقال له السليك انطلق معى فانطلقا فوجدا ثالثا قصته قصتهما فاصطحبوا حتى أتوا واديا لمراد فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم قد ملأ نواحيه من كثرته فقال لهما السليك كونا قريبا منى حتى آتى الرعاء فأعلم علم الحى أهو قريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت وإن كان بعيدا أو حيت إليكما بقولى فأغيرا فاتى الرعاء فاستخبرهم عن الحى فأخبروه ببعد الحى وأنهم ان طلبوا لم يدركوا فقال للرعاء ألا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته فغنى :

ياصاحبى ألا لا حى فى الوادى سوى عبيد وآم بين أذواد
أتنظران قريبا ريث غفلتهم أم تغدوان فان الربح للغادى

فلما سمعا ذلك أتياه وطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى فاتوا بالإبل . قال ابن الاعرابى : آم مقلوب آيم وهم العزاب جمع أمة .. وكان السليك من أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها وكان يستودع الماء بيض النعام فى الشتاء ويدفنه فى المفاوز العظيمة فاذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار على ربيعة وشرب من ذلك الماء وكان يقول اللهم إنى أعوذ بك من الخيبة وأما الهيبة فلا هيبة (عدوته) العدو بالكسر الحالة وبالفتح المرة الواحدة فيريد الحريرى أن إسراعهما إلى الوالى كان كعدوة السليك (واستدعى عدواه) أى طلب إغاثته وأعداء الحاكم أغاثه (استنطق) أمره أن ينطق ، وقد بين سر هذا الاستنطاق فى الرابعة والثلاثين عند شراء الغلام ، قال ثم استنطقه عن اسمه لا لرغبة فى عمله بل لأنظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته وكذلك لم يرد الوالى أن يستنطقه ليقول حجته بل ليعلم حلاوته من صورته التى فتنته ،وقد ذكرنا أن فائدة الحسن إنما تدور على اللسان وهذا الاستنطاق هو الذى ذهب بإبراهيم بن سيار النظام الذى هو إمام فى علم الكلام إلى علاقة غلام وذلك أنه لقى غلاما جميل الوجه مقبول الصورة فاستحسنه وتصور فيه الصورة الباطنة المناسبة لخلقته الظاهرة فقال له ياغلام إنه لولا ماسبق من قول الحكماء لما جعلوا السبيل لمثلى إلى مثلك بقولهم لاينبغى لأحد أن يصغر عن أن يقول ولا أن يكبر عن أن يقال له ولما أنست إلى مخاطبتك ولا انشرح صدرى إلى محادثتك لكنه سبب الإخاء وعقد المودة ومحلك من قلبى محل الروح من جسد الجبان فقال له الغلام وهو لا يعرفه لئن قلت ذلك أيها الرجل قد قال أستاذنا إبراهيم بن سيار النظام : الطباع تجاذب ما شاكلها بالمجانسة وتميل إلى مقارنها بالموافقة وكيانى مائيل إلى كيانك بكليتى ولو كان الذى أنطوى عليه لك عرضا لم اعتد بهودا ولكنه جوهر جسمى فبقاؤه ببقاء النفس وعدمه بعدمها وأقول كما قال الهذلى :

فتبينى أنى بكم كلف ثم اصنعى ما شئت عن علم

فقال له النظام إنما كلمتك بما سمعت وأنت عندى حسن الصورة غلام ولو لا أن محلك محل مقيم وأصحابه فى

وقَدْ فَتَنَهُ بمحاسنِ غُرَّتهِ ، وطَرَّ عَقْلَهُ بتَصْفيفِ طُرَّتهِ فقال : إنَّها أُفِيكَةُ أفَّاك ، على غَيْرِ سَفَّاك ، وعَضِيهَةُ مُحْتَال ، على مَنْ لَيْسَ بمُغْتَال ، فقال الوالي للشَّيْخ : إنْ شَهِدَ لكَ عَدْلانِ مِنَ المُسْلِمينْ ، وإلَّا فاسْتَوْفِ منهُ اليَمينْ ، فقال الشَّيْخُ : إنَّهُ جَدَّلَه خاسِيا ، وأفاحَ دَمَهُ خاليا ، فأنَّى لي شاهِد ، ولم يَكُنْ ثَمَّ مُشاهِد ، ولكِنْ وَلِّني تَلْقِينَهُ اليَمِينَ ، لِيَبِينَ لكَ أيَصْدُقُ أمْ يَمِين ، فقال له : أَنْتَ المالِكُ لِذَلِكَ ، مع وَجْدِكَ المُتَهالِكِ ، على ابْنِكَ الهالِك ، فقال الشَّيْخُ للغُلامِ قُلْ وَالذي زَيَّنَ الجِبَاهَ

الجدل ما تعرضت لك ثم اعتلقه النظام بعد وقال فيه جريا على علمه :

توهمه طرفى فآلم خده ... فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه كفى فآلم كفه ... فمن لمس كفى فى أنامله عقر
ومر بفكرى خاطرا فجرحته ... ولم أر خلقا قط تجرحه الفكر

وقال فيه أيضا :
وإذا تأمل فى الزجاجة ظله ... جرحته لحظة مقلة الظل

وقال فيه أيضا :
أفرغ من نور سماوى ... مصور فى جسم إنسى
وافتقر الحسن إلى حسنه ... فجل عن تحديد كيفى

وقال فيه :
يا مشرقا ملأ العيو ... ن فلحظها ما يستقل
أوفى على شمس الضحى ... حتى كأن الشمس ظل
أتريد قتلى عامدا ... وكقتل مثلى ما يحل

فصرف فى شعره من صناعته وأبدع فى تخيله ببراعته (غرته) أى وجهه (طر) أى قطع وأذهب (تصفيف طرته) شعره المعتدل على جبهته (أفيكة أفاك) كذبة كذاب (سفاك) قتال (عضيهة) بهتان وباطل (مغتال) قاتل الغيلة (استوف) استكمل (جدله) صرعه وألقاه على الجدالة وهى الأرض (خاسيا) متباعدا ممنوع الكلام كأنه قهره ومنعه أن يصيح عند قتله ولذلك لم يجد عليه شاهدا وأصله الهمزة فسهله ليوافق خاليا أن أخذته من خسأت الكلب وان أخذته من خسى البصر إذا كل فلا تسهيل فيه ومعناه قريب من الأول أى انه أضعفه بالضرب حتى لم يستطع الكلام ثم قتله (أفاح دمه) بحاء مهملة أراقه قال أبو زيد فى نوادره الحت دمه ففاح فيحا وفيحانا وأنشد :

نحن قتلنا الملك الجحجاحا * ولم ندع لسارح مراحا * ولا ديارا أو دما مفاحا

وقال أبو حاتم : أراد ودما مفاحا أى مهراقا (خاليا) بمعنى منفردا (أنى) بمعنى كيف (مشاهد) من شاهد حاله وحضر عليها (ولنى) مكنى (تلقينه) تفهيمه والقاءه عليه (يمين) يكذب (وجدك) حزنك (المتهالك) الكثير التفاوت وتهالكت المرأة عليه تراخت عليه وتكاسلت ، قال الأعشى :

تهالك حتى ينكر المرء عقله ... وتصبى الحكيم ذا الحجى بالتثقل

(والذى زين الجباه بالطرر) إلى آخر يمينه إنما ذكر صفات الحسن شيا بعد شيء ليرى هذا الوالى كمال الغلام

بالطَّرَر ، والعُيونَ بالحوَر ،

فيشتد حبه فيه فاذا ذكر صفة من صفاته نبه الوالى بذكرها على النظر اليها فوجوها كما يصف فهو الآن فى هذه اليمن يحلو محاسن الغلام عليه (الطرر) جمع طرة وهو اعتدال الشعر على الجبهة والطرة عندهم أن يقطع للجارية من مقدم ناصيتها حتى لا يبلغ الشعر حاجبيها فيبق ما بين شعر ناصيتها وحاجبيها من جبهتها نقيا والشعر عليها معتدل كطرة الثوب ثم تسمى الشعور الحسان طرار ، أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم. ثلاث فاتنات الشعر الحسن والوجه الحسن والصوت الحسن ، عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء يسبحون بذوائب النساء وبلحى الرجال فيقولون سبحان الذى زين الرجال باللحى والنساء وبالذوائب ، وقال صلى الله عليه وسلم إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن جمها وقالوا الشعر الحسن يزيد الوجه حسنا وجمالا . . وقال ابن صارمة وكأنه وصف طرة هذا الغلام يصف بها أبا الفضل بن الأعلم وكان من أجمل الناس وأذكرهم فى علم النحو والأدب ، وقرأ النحو قبل أن يلتحى

فقال فيه

أكرم بجعفر اللبيب فانه ... مازال يوضح مشكل الايضاح
ماء الجمال بخده مترقرق ... فالعين منه تجول فى ضحضاح
ما خده جرحتة عينى إنما ... صبغت غلالته دماء جراح
لله راء زبرجد فى عسجد ... فى جوهر فى كوثر فى راح
ذى طرة سبجية ذى غرة ... عاجية كالليل والاصباح
رشا له خد الثرىء ولحظه ... أبدا شريك الموت فى الأرواح

ونذكر بعد هذا الحور فى العينين وهو شدة بياض البياض وسواد الكحل وكل ذلك عندهم ممدوح وقد اكثر الشعراء من وصف ذلك حتى لو تركنا ذكره لشهرته لكان لنا فيه عذر على أنا نلم ببعض ما قيل فى ذلك وأما ما يزهد فيه من ذلك ويقل ذكره فى أشعارهم فالزرق على أنه قد جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الزرق فى العينين يمن وقال معاوية لصحار العبدى إنك أحمر قال والذهب أحمر وقال انك لأزرق قال والبازى أزرق ، ، ولبعض أصحابنا :

أحبك أن قالوا بعينيك زرقة ... كذاك عتاق الطير زرق عيونها

وقال الصنوبرى :

قالوا به زرقة فقلت لهم ... بذاك تمت خصاله البهجة
ما كحل العين مثل زرقتها ... كم بين ياقوته الى سبجة

وقال آخر :

ما مثل ذا الظبى فى الظباء ... الأزرق الأزرق القباء
يجول فى مقلتيه طرفى ... فى زرقة الماء والسماء
يا ابن الشقر ما عليهم ... من ذلك النور والبهاء
شقرة شعر على بياض ... شعاع شمس على هواء

والحَواجِبَ بالبَلَج ؛ والمَبَاسِمَ بالفَلَج ، والجُفُونَ بالسَّقَم ،

وكل هذا اعتذار جاء على وفق مدح سواد الألوان ولسواد الألوان فى التاسعة فصل مستظرف فقف عليه : اختلفوا فى الحور فقال أبو عبيدة الحوراء الشديدة بياض بياض العين فى شدة سواد سوادها وقال أبو عمرو الظبية الحوراء السوداء العين التى ليس فى عينها بياض ولا يكون هذا فى الانس إنما يكون فى الوحوش وقال يعقوب الحور سعة العين وكبر المقلة وكثرة البياض وقال قطرب الحوراء الحسنة المحاجر صغرت العين أم كبرت واشتقاق (حور) يدل على صحة قول يعقوب وأبى عبيدة لأنهم إنما يوقعونه فى الغالب على البياض مثل الدقيق الحوارى للدرمك الشديد البياض ونحوه وقلما يتفق شدة بياض العين إلا مع شدة سوادها ألاترى أن بياضها مع الزرق ليس هناك فى النقاء ، وقال القاضى التنوخى فى أحور :

حور بعينيه أطال تحيرى ترك الدموع بخدى المتعصفر
غصن تأودفوق غصن من نقا ليل تبلج عن نهار مسفر
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكة متبسم عن جوهر

(والبلج) أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر وهو من علامات السيادة عند العرب ويتمدح به ويتيمن بصاحبه ويتطير بمقرون الحاجبين ويقال أبلج وأبلد وهى البلجة والبلد قال كثير :

جميل المحيا أبلج الوجه واضح حليم إذا ما زلزلته الزلازل

(الفلج) أن يكون بين متابت الأسنان تباعد وقد فلج ثغره فلجا وهو مستحب فى الثغر ، قال وجيه الدولة وهو مما يليق بهذا الموضع لذكره أوصافا ذكرها الحريرى رحمه الله هنا .

إذا عدم الروض المنور ناظرى أرانيه ظبى فاتر الطرف أدعج
فصدغاه ريحانى وعيناه نرجسى ومن ثغره لى أقحوان مفلج
وواحربا من حسن ورد بخده يطيف به من عارضيه بنفسج

(الجفون) أغطية العيون ثم تسمى العين جفنا مجازا (السقم) فتور العين ومن حسن التشبيه فى ذلك قول أبى نواس .

فطب بحديث من نديم مساعد وساقية بين المراهق والحلم
ضعيفة كر الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالافاقة من سقم

وقال أيضاً : وشادن قال لى لما رأى سقمى وضعف جسمى والدمع الذى انسجما
أخذت دمعك من لفظى وجسمك من خصرى وسقمك من طرفى الذى سقما

وقال ابن الرومى .

قلبى من الطرف السقيم سقيم لو أن من أشكو اليه رحيم

وقال ابن الزقاق . ومقلة شادن أودت بجسمى كأن السقم لى ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفيا لقتلى ثم يغمده النعاس

والأُنوفَ بِالشَّمَم ، والخدُودَ باللَّهب ، والثُّغُورَ بالشَّنَب ،

ولأبى العلاء بن زهر فى مثل ذلك :

ياراشق بسهام مالها غرض إلا فؤادى وما منهاله عوض
وممرضى بجفون كلها سقم صحت وفى طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يؤنسنى فقد يسد مسد الجوهر العرض

(الشمم) ارتفاع فى لين الأنف وهو من علامات الجمال قال الفوزدق :

بكفه خيزران ريحه عبق من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

وقال آخر : فى باعه طول وفى وجهه نور وفى العرنين منه شمم

وقال النابغة ، شم العرانين ضرابون للهام (اللهب) اشتعال النار بغير دخان فشبه الحمرة فى الخدوضياءه بحمرة النار وكنى به أبو لهب لجماله وقال ابن وكيع لجمع السقم واللهب :

واحزنى من جفون ظبى أقام عذرى بها عذاره
أسقم جسمى بسقم طرف حيرنى فى الهوى احوراره
عجبت من جمر وجنتيه يحرقنى دونه استعاره
هو اختيارى فابصروه شاهد عقل الفتى اختياره

وله قريب منه :

كان صدغا له تراه وهو على خده مدار
بيت من الحسن لى إليه حج مدى الدهر واعتمار

ولابن الرقاق :

بأبى من لم يدع لى لحظه فى الهوى من رمق منذ رمق
جعلت نكهته فى ثغره عبقا فى نسق يسبى الحدق
وبدت خجلته فى خده شفقا فى فلق تحت غسق

قال الخفاجى :

يابانة تهتز فينانة وروضة تنفح معطارا
كم دمع عين فيك قد أجريت وقلب صب فيك قد طارا
كى فسمى قوسه حاجبا رمزا وسمى النبل أشفارا
فان رمى يجرحنى طرفه لحظنه أجرحه ثارا
فيصبغ الدر عقيقا به وأصبغ الألوان أزهارا
يلوح للأعين من وجهه كعبة حسن حيثما دارا
قد طبع الحسن به درهما تسبك منه العين دينارا
قلبى به عين مجوسية تعبد من وجنته نارا

غيره :

وأغيد تدمى وجنتاه من اللمح تخلق إلا من صدودى بالشح

والبَنَان بالتَّرَف ، والخُصُورَ بالهَيَف ، إنَّى ما قَتَلْتُ ابْنَكَ

غدا قاتلى إن ظلت أجرح خده متى صار بالقيل القصاص من الجرح

(الثغور) جمع ثغر وهو السن ، وتقدم الشنب فى الثانية وقال أبوا العباس بن الأحنف فى طيب الفم :

ذكرتك بالتفاح لما شممته وبالراح لما أقبلت أوجه الشرب

تذكرت بالتفاح منك سوالفا وبالراح طعما من مقبلك العذب

وقال ديك الجن واسمه عبد السلام :

بأبى فم شهد الضمير له قبل المذاق بأنه عـــذب

كشهادة الله خالصة قبل العيان بأنه الرب

وقال أحمد بن محمد الغسانى :

له مبسم برقه خاطف عقول الرجال إذا ما ابتسم

أقول له إذ بدا دره شهدنا لصانعه بالحكم

أرى الدر تثقبه الناظمون وما ثقبوا ذا فكيف انتظم

وقال أبو بكر البلوفى :

تقطف من ثغره ووجنته أنامل الطرف زهرة عجبا

شقيقها مذهبا يرى خجلا وأقحوانا مفضضا شنبا

وقال ابن بشر الكاتب :

ولم نزل الظلام حارسنا جسمين مستودعين فى جسم

ألثمه فى الدجى وبرق ثنا ياه يرينى مواقع اللثم

ثم افترقنا عند الصباح وقد أثر فيه كهيئة الختم

وقال الشريف الرضى :

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى يلفنا الشوق من فوق إلى قدم

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى مواقع اللثم فى داج من الظلم

وقال المتنبى :

حسان التثنى ينقش الوشى مثله إذا مسن فى أثوابهن النواعم

ويبسمن عن در تقلدن مثله كأن التراقى وشحت بالمباسم

فهذه معان مختلفة فى أوصاف الثغر كلها حسان (والبنان بالترف) أى الأصابع باللين والنعمة وأحسن ماقيل فى ذلك قول النابغة :

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

فهذا تشبيه بديع . . وقال امرؤ القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك إسحل

وقال غيره (وهو أبو نواس) : ياقرا أبصرت فى مأتم ... يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المأتم لى كارها ... من بين دايات وحجاب
تبكى فتلقى الدر من نرجس ... وتلطم الورد بعناب

وقال عكاشة:
سقيا لمنزلنا الذى كنا به ... يوم الخميس عشية أصحابا
إذ نحن نسقا هاشمو لاقرقفا ... تدع الصحيح بعقله مرتابا
من كف جارية كأن بنانها ... من فضة قد طرفت عنابا
وكأن يمناها إذا ضربت بها ... تلقى على يدها الشمال حسابا

وقال آخر :
وحوراء اللواحظ بين قلبى ... و بين جفونها حرب البسوس
ترى ماء النعيم يجول فيها ... كمثل الخمر فى صافى الكئوس
كأن بنانها أقلام عاج ... مرصعة الرؤس بآبنوس

ووصف الخصور بالهيف وهو الضمر والرقة وسنذكر معها مايستظرف وقد تقدم قول ابن عبدربه :

يامن تقطع خصره من رقة ... ما بال قلبك لا يكون رقيقا

وقال ابن الرومى :

وهبت له عينى الهجوعا ... فأنا بها منه الدموعا
ظبى كأن بخصره ... من ضمره ظمأ وجوعا

وقال عبد الله بن عبد الله :

سلمى وما سلمى تفوق المنى ... والحسن أوصافا وألوانا
وشاحها يحسد خلخالها ... كجائع يحسد شبعانا

وقال كشاجم فى مقلوبه :

مسلولة الكل غير بطن ... مثقل فهى عنكبوت
حجولها الدهر فى اضطراب ... ورشحها كاظم صموت

وقال حبيب :
مها الوحش إلا أن هاتا أوانس ... قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت ... لها وشحا جالت عليها الخلاخل

وأخذه القاضى بن ليال فقال :

جلوت لنا شيأ من الدر عاطلا ... بعيشك لم جنبته الجيد والنحرا
فقالت ولم تكذب خشيت سقوطه ... وأومت إلى فيها فنظمته ثغرا
كذلك إن عض السوار بمعصمى ... وحازت أن يدميه حملته الخصرا

وأكثر مايذكرون الخصر بالرقة مع ذكر الكفل بالعظم كما قال ديك الجن :

وتمايلت فضحكت من أردافها ... عجبا ولكنى بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها ... وردية ومدامة من ثغرها

سَهْوًا ولا عَمْدًا ، ولاَ جَعَلْتُ هامَتَهُ لِسَيْفِي غِمْدا . وإلاَّ فَرَمَى اللهُ جَفْنِي بالعَمَش ، وخَدِّي بالنَّمَش ، وطُرَّتِي بالجَلح، وطَلْعِي بالبَلَح، ووردَتِي بالبَهَار ، ومِسْكَتِي بالبَخار ، وبَدرِي بالمِحَاق ، وفِضَّتِي بالاحتِرَاق ، وشُعاعِي بالإظلام،

وقال القاضى أبو حفص بن عمر :

مشت كالغصن يثنيه النسيم ويعدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق من ضعيف وذاك الردف لى ولها ظلوم
يعذبنى إذا فكرت فيه ويتعبها إذا رامت تقوم
وما حبى لها إلا عذاب عليه من نضارتها نعيم

(سهوا) أى خطأ (الهامة) الرأس (وإلافرمى الله جفنى بالعمش) إنما ذكر العمش والنمش ومابعده لأنها أضداد لما تقدم وعند الأشارة لها يتبين من الغلام عند الوالى أضدادها فيزداد حسنا :

وبضدها تتبين الأشياء - والعمش انتشار شعر العينين (النمش) أخفى من البرش (الجلح) الصلع وهو انحسار الشعر من النزعتين وفعله جلح الرجل واحلج كاسود (الطلع) قد تقدم فى الثانية وإذا علته خضرة سمى بلحا (البهار) نرجس المغرب وهو أحمر فدعا له بعلة تذهب وجمال وجهه وتصفر حمرة خده .

(البخار) كنا لبخر النتن (المسكة) أطيب العطر فدعا له بتغيير الرائحة وتقدم أن أطيب الطيب أنفاس عبقة من كبد سليمة وتقدم فى الثانية معنى قوله ووردتى بالبهار منظوما وقال الصابى فى أبخر .

نطق ابن نصر فاستطارت جيفة فى العالمين لنتن فيه الفاسد
فكأن أهل الأرض كلهم فسوا متواطئين على اتفاق واحد

وقالت جنان فى أبى نواس :

فاذا ما أردت أن تحمد الله على ما أعطى وأولاك شكراً
فليكن ذاك بالضمير فمن سبح بالفسونال إثما ووزرا

وقال آخر : أهدى زريق قطه لقمة قد لاكها فى فمه الابخر
فبادر القط إلى دفنها يحسبها من بعض ما قد خرى

(بدرى بالمحلق) المحاق أن ينمحق ضوء القمر فلا يبقى منه شىء واحتراق الفضة اسودادها (وشعاعى بالظلام) أى صباحة وجهه وضاءته بسواد اللحية أى عاجلى الله بالتحاء ويريد بهذا كله أن يكسو بياض وجهه سواد الشعر فيكسد ولا يلتفت اليه ، وقال ابن المعتز فى مثل هذا الدعاء :

يارب أن لم يكن فى وصله طمع وليس لى فرح من طول هجرته
فاشف السقام الذى فى طرف مقلته واستر ملاحة خديه بلحيته

ونقل لفظ احتراق الفضة من قول أبى الحسن الثغرى وهو من شعراء اليتيمة :

لى حبيب يزهى بحسن عجيب   وبقد مثل القضيب الرطيب
أحدقت بالسواد فضة خديه   فقد أحرقت سواد القلوب

ونذكر هنا ما يليق بهذا الموضع مما قيل فى العذار وفى الالتحاء مما مدح به وذم قال ابن عبد ربه :

ومعـــذر نقش الجمال بمسكه   خدا له بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه   من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وقال ابن صارمة :

ومعذر رقت حواشي حسنه   فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وإنما   نفضت عليه سوادها الأحداق

وقال عبد المحسن الصورى :

ومعتذر العذار إلى فؤادى   لجرم سابق من مقلتيـه
وكم أعرضت عنه فأعرضت بى   عن الأعراض خضرة عارضيه
ولما قلت إن الشعر يسعى   لقلبي فى الخلاص سعى عليه

وقال أبو القاسم الزاهى :

لولا عذارك ما خلعت عذارى   ولكنت فى وزر من الأوزار
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى   تخطيط ليــل فى بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى   سقم القلوب ونزهة الأبصار

وللمعتمد بن عباد :

تم له الحسن بالعـذار   واختلط الليل بالنهار
اخضر فى أبيض تبدى   ذلك آسى وذا بهارى
لقد حوى مجلسى تماما   ان يك من ريقـه عقارى

وقال ابن حمدون :

ظل على خـده العذار   فافتضح الآس والبهار
وابيض هذا واسود هذا   واجتمع الليل والنهـار
أغض عينى عنه لأنى   عليـــه من مقلتى أغار

فهذا كله حسن فى مدح العذار وإن كان النذير بموت الجمال فاذا تقوى العذار واسود صاروا إلى نعيه كما قال أبو بكر البلوى :

انظر إلى ميت ولكنه   خلو من الأكفان والغاسل
قد كتب الدهر على خده   بالشعر هـذا آخر الباطل

وله فى ضده :

لما التحى من قد هويـ   ـت وقلت رسم قد دثر
عاينت من طـلابه   زمراً مواصلة زمر
وكذا أصحاب الحديـ   ـث نفاقهم عنـد الكبر

وكما قال أبو الحسن بن الحاج :

أبا جعفر مات فيك الجمال   فاظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض   فأصبح ينبت شوك القتاد
أبن لى متى كان بدر السما   ء يدرك بالكون أو بالفساد
وهل كنت فى الملك من عبد شمس   فاخنى عليك ظهور السواد

وقال سعيد بن حميد فى غلام التحى

هلا وأنت بماء وجهك يستقى   روض الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحيـــة   ذهبت بحسنك ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها   بعــد اللذاذة مثل خل الحامض

وقال على بن بسام فى أخيه جعفر .

يا من نعته إلى الإخوان لحيته   أدبرت والدهر إقبال وإدبار
قد كنت ممن يهش الناظرون له   تغض دونك أسماع وأبصار
أيام وجهك مصقول عوارضه   وللرياض على خديك أنوار
فيا لدهر مضى ما كان أحسنه   إذ أنت ممتنع والشرط دينار
حانت منيته فاسود عارضه   كما تسود بعـد الميت الدار

وفيه يقول أيضاً:

حانت وفاتك يا أبا العباس   فدع المكاس فلات حين مكاس
مابال وجهك بعد كثرة نوره   قد سودوه بحالك الأنقاس
أين الدنانير التى عودتها   هيهات جاء الشعر بالأفلاس
كانت بخــد ثيابه ديباجة   فاستبدلت حلسا من الأحلاس
وكذا البناء فغير مرتفع إذا   كانت بليته من الآســاس

وقال مصعب الماجن:

قد صالحت أقطار خدك لحية   تركته وهو مسود الأقطار
فكأن خط الشعر فى جنباته   ليل أقام على نجوم نهـار

وكان لمحمد بن بشر بابان يدخل من الأكبر أصحابه والأصغر أحبابه فجاء يوما غلام مليح وأراد الدخول من الأصغر على عادته فمنع فجعل يخاصم البواب لأدلاله فبلغ ذلك ابن بشر فكتب إليه :

قل لمن رام بجهل مدخـــل الظبى الغرير
بعد أن علق فى خـــديه مخــلاة الشعــير
ليته يدخل ان جا ء من البــاب الكبير

وقال ابن الأدبار : لست بصاب إلى معــذر   بل أنا فى حبه معــذر

لاعشق الظبي ذا الجمام لأنه في الظبا منكر
أحسن ما فيه أن تراه بين مهاة وبين جؤذر

ينظر قوله : « لأنه في الظباء منكر » إلى قول حبيب :

تعشقك الكبار يدل عندى على أن الرحى قلبت ثقالا

وقال آخر : لي في أبي يحي ومعشوقه شغل على ذى شغل شاغل
ياليت شعرى قول ذى حيرة من منهما المفعول والفاعل

وقال ابن حصين في محبوب صغير :

بأبي ظبي صغير السن حازت ثلث سنى
سرني ان ليس يدرى مذهبي فيـــه وفنى
فهو يدعوني عما وأنا أدعوه بابنى

وللخابزرزى : قالوا عشقت صغيرا اقلت أرتع في روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعاني لاتباع هوى لما تفتح فيه النور والزهر

وقال التنوخي في جسيم :

من أين استروجدي ودومنتهك ماللمتيم في نيل الهوى درك
قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهم الشمس أعظم جسم ضمه الفلك

وللفقيه ابن حزم :

وذى عذل فيمن سباني حسنه يطيل سلامى في الهوى ويقول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل
فقلت له أسرفت في اللوم ظاهرا وعندى رد لو أردت طويل
ألم تر أني ظاهرى وأننى على مابدا حتى يقوم دليل

وأحسن حبيب حين يقول :

قال الوشاة : بدا في الخد عارضه فقلت لاتنكروا ما ذاك عائبه
الحسن منه على ماكنت أعهده والشعر حرز له ممن يطالبه
أحلى وأعذب ماكنت شمائله إذ لاح عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى في مودته إن سيل عنى وعنه قال صاحبه

وقال الحلواني : قالوا التحى فامتحت بالشعر بهجته فقلت لولا الدجى لم يحسن القمر
خطت يد الحسن فوق وجنته هذى محاسن يا أهل الهوى أخر

وله أيضا : لى حبيب إذا شكوت اليه سامنى بالهوى عذابا شديدا
لست ادعو بالشعر غيظا عليه خفيه أن يكون حسنا جديدا
غير أني أدعو بقلب قريح أن أراه مثلي محبا عميدا

وَدَوَاتِي بِالاقلام ، فقال الغُلامُ :

وقال غير :
قد حل فى سوقك الكساد   مذ لاح فى خدك السواد
كأنما الشعر فيه زرع   والنتف منه له حصاد

(دواتى بالاقلام)أى ابتلاه الله أن يلاط به ، قال الفنجديهى : أنشدنى بعض الشعراء بمروروز لبعضهم :

دوادار الأمير له دواة   كمثل الياسمين بغير صوف
يرى قلم الأمير يغوص فيها   مغاف عصيدة فى حلق صوفى

ونقل لفظ الدواة والاقلام من قول ديك الجن وكان يهوى غلاما من حمص اسمه بكر فجلس معه ليلة يتحدث بها حتى غاب القمر فقام بكر ليمشى فقال :

دع البدر فايغرب فأنت لنا بدر   إذا ماتجلى عن محاسنك الشعر
إذا ماانقضى سحر الذين ببابل   فأنت لنا سحر وريقك لى الخمر
ولوقيل لى قم فادع أحسن من ترى   لصحت باعلى الصوت يا بكر يابكر

وكان هذا الغلام شديد التصاون والتمنع فاحتال عليه قوم من حمص فاخرجوه إلى منتزه فأسكروه وفسقوا به فبلغ ذلك ديك الجن فقال :

يابكر مافعلت بك الأرطام   يا دار مافعلت بك الأيام
فى الدار بعد بقية مستامة   أم ليس فيك بقية تستام
شغل الظلام كراك فى أبوابهم   فتفرعت لدواتك الأقلام

وله أيضا :
قولا لبكر بن مهدى إذا اعتكرت   عساكر الليل بين الطاس والجام
ألم أقل لك إن الكبر مهلكة   والبغى والعجب إفساد لاقوام
قدكنت تفرق من سهم تعاينه   فصرت ذير ذميم وقصة الرامى
قد كنت تفزع من لمس ومن قبل   وقد ذللت لإسراج وإلجام
إن تدم فخذاك من ركض فربتما   أمسى وقلبى منك الموجع الدامى

قال أبو على بن رشيق :كنت أوصى غلاماً وضيئا كان يختلف إلى وأحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه فأوقع به فأخبرت بذلك فقلت :

ياسوء ما جاءت به الحال   إن كان ماقالوا كما قالوا
ما أحذق الناس بصوغ الخنا   صيغ من الخاتم خلخال

وهذا من قول ابن المعتز :

مضى خالد والمال تسعون درهما   وآب ورأس المال ثلث الدراهم

وهذا المعنى الخبيث يتبين بعقد التسعين والثلاثين فى اليد وقال ابن رشيق :

سقطت ثنيته فأوجع قلبه   لسقوطها وجرى عليه عظيم

الاصطلاء بالبَلِيَّة ، ولاَ الإيلاَء بِهَذِهِ الأَلِيّة ، والانْقِيادَ للقَوَد ، ولاَ الحلف

فاذا مررت به فسل فؤاده　　عنها وقل صبرا كذاك الريم
عجبا للؤلؤة هوت من سلكها　　والسلك لاواهولا مفصوم
أتعديا ياحطب وهو مصون　　أبدا بخاتم ربه مختوم

ويستحب لمن وسم بوسمة الجمال أن يكون شديد التصاون قليل التبذل فذلك أدعى للسلامة وقد قال ابن وكيع فى ذلك :

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا　　فقلت هيهات عنكم عاب أطيبه
لو جادهان وقلت الجود عادته　　وإنما عز لما عز مطلبه

فاذا تبذل وأجاب كل من دعاه صار عرضة للظنون ونبت عن محاسنه العيون لأن النفس الحرة لاتنفك من غيرة وقد قال العباس بن الاحنف :

ياقوم لم أهجركم لملالة　　منى ولا لمقال واش حاسد
لكننى جربتكم فوجدتكم　　لاتصبرون على طعام واحد

وقال الوليد بن حزم :

لما استمالك معشر لم أرضهم　　والقول فيك كما علمت كثير
داويت دونك مهجتى فتماسكت　　من بعد ماكادت اليك تطير
فاذهب فغير جوانحى لك منزل　　واسمع فغير وفائك المشكور

وله أيضاً :

يقول وقد لمته فى الهوى　　فلان وعرضت شيأ قليلا
أتحسدنى قلت لا والذى　　أحلك فى الحب مرعى وبيلا
وكيف وقد حل ذاك الإزار　　وقد سلك الناس تلك السبيلا

وقال محمد بن السرى :

قايست بين جمال وفعاله　　فاذا الملاحة بالخيانة لاتنى
والله لا كلمتــــه ولوانه　　كالبدر أوكالشمس أوكالمكتفى

وقال آخر :

أيا حسنا أزرت قبائح فعله　　عليه كما أزرى الكسوف على البدر
لقد فقت كل الناس حسنا وزينة　　ولكنها قبحت ذلك بالغدر

وقال ابن عينة :

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ　　فى حفظه عجب وفى تضييعك
إن تقتليه وتذهبى بفؤاده　　فبحسن وجهك لابخسن صنيعك

(الاصطلاء) أى الاتصال والتلبس (البلية) أراد دعوة الباطل التى ادعى عليه الشيخ (الإيلاء) الحلف (الالية) اليمين (القود) قتل النفس بالنفس فيقول الصبر على الضرب أو القتل أهون من هذه اليمين التى

بِمَا لم يَحْلِفْ به أَحد، وأَبَى الشَّيْخُ إلاَّ تجْرِيعَهُ اليَمِينَ التى اخترعَها، وأَمقرَ له جُرَعَها. ولم يزَلِ التَّلاحِى بَيْنَهُمَا يَسْتَعِرُ، ومَحَجَّةُ التَّرَاضِى تَعِر، والغلام فى ضِمْن تَأَبِّيه، يَخْلِبُ قَلْبَ الوَالى بتَلَوِّيه، ويُطمِعُهُ فى أَنْ يُلَبِّيه، إلى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِه،

لم يحلف بها أحد (اخترعها) استنبطها (أمقر) أمر من المقر وهو الصبر وهذه اليمين المخترعة حكى الأصمعى شبهها فقال اختصم اعرابيان عند بعض الولاة فى دين فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق والعتاق فقال المدعى دعنى من هذه الأيمان واحلف بما أقول لك فقال وما قولك؟ قال قل لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولاظلفا يتبع ظلفا وحتك من أهلك وولدك كما تحات الورق من الشجر إن كان بقى لى هذا الحق قبلك فأعطاه حقه ولم يحلف له وحكى المسعودى أن الفضل بن الربيع قال سار إلى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنها فقال إن موسى بن عبد الله الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنها أرادنى على بيعته فأخبرت الرشيد بذلك فجمع بينهما فقال الزبيرى لموسى سعيتم علينا وأردتم نقض بيعتنا ودولتنا فقال له موسى ومن أنتم فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف لئلا يظهر منه الضحك ثم قال موسى يا أمير المؤمنين هذا المشنع على خرج مع أخى محمد على جدك المنصور وهو القائل:

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بنى الحسن

وليست سعايته حبالك ولا مراعاة لدولتك ولكن بغضا لنا جميعا أهل البيت وأنا أستحلفه بيمين فان حلف بها أنى قلت ذلك فدمى حلال لأمير المؤمنين فقال له الرشيد احلف له فامتنع فقال له الفضل لم تمتنع وقد زعمت انه قال ذلك قال فانى أحلف له قال موسى قل تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولى وقوتى إن لم يكن مافلته حقا فحلف فقال موسى الله أكبر حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العقوبة وها أنذا بين يدى امير المؤمنين فى قبضته فان مضت ثلاث ولم يحدث حادث فدمى حلال لأمير المؤمنين قال الفضل فوالله ماصليت العصر فى ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من داره فدخلت عليه فوالله ما كدت أعرفه لأنه صار كالزق العظيم ثم اسود حتى صار كالفحم فعرفت الرشيد فى الحين فما انقضى كلامنا حتى عرفنا أنه قد مات فبادرت بتعجيله وتوليت الصلاة عليه فلما وورى فى قبره انخسف به وخرجت رائحة مفرطه النتن ومرت أحمال شوك على الطريق فأمرت بها فطرحت فى قبره فانخسف ثانية فأمرت بألواح ساج فطرحت على قبره وألقى التراب عليها وانصرفت وأعلمت الرشيد فأكثر التعجب وأحضر موسى فأعطاه ألف دينار وقال من حلف بيمين كاذبة مجدالله فيهااستحياالله من تعجيل عقوبته ومن حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته عجل الله له العقوبة ثلاث (التلاحى) السباب والتشاتم، على رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم من لاحى الرجال سقطت مروأته وذهبت كرامته وما زال جبريل ينهانى عن ملاحاة الرجال كما ينهانى عن عبادة الأوثان، وفى المثل من لاحاك فقد عاداك فد (يستعر) يتقد (محجة التراضى) أى طريق الرضا (تعر) تصعب (ضمن تأبيه) أى فى أثناء كلامه وامتناعه (يخلب) يخدع ويأخذ قلبه (تلويه) انعطافه (يطمعه) يدعوه للطمع (يلبيه) يجيبه لمراده (ران) غلب وغطى،

وألَبَّ بِلُبِّه فَسَوَّلَ له الوَجْــــدُ الذي تَيَّمه ، والذي توهَّمه ، أنْ يُخلِّصَ الغلامَ ويَسْتَخلِصَهُ ، وأنْ يُنقِذَهُ مِنْ حِبَالةِ الشَّيْخِ ثُمَّ يَقْتَنِصَه ، فقال للشَّيخِ : هلْ لكَ فيما هُوَ أليَقُ بالأَقوى ، وأقْرَبُ لِلتَّقْوى ، فقال: إلامَ تشيرُ لأَقتفيه ، ولا أَقِفُ لكَ فيه ، فقال : أَرى أَنْ تُقْصِرَ

أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أذنب العبد نكت فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقلت وإن عاد زادت حتى تعظم فى قلبه فذلك الران قال لله تعالى كلا بل ران على قلوبهم (ألب) أقام (لبه) عقله (سول) زين (الوجد) حرقة القلب (تيمه) عبده وذلله والمتيم المستعبد لهواه (توهمه ظنه يستخلصه) يختصه لنفسه (حبالة) آلة الصيد (يقتنصه) يصيده يقول إن هذا الغلام فى أثناء كلامه بالتمنع وترك الانقياد للشيخ بطمع الوالى فى الانقياد له وأنه إذا دعاه لما يريده منه فأجابه وإنما فعل هذا حين رأى أدامة نظر الوالى فى وجهه واستحسانه كلامه ولو فسر الوالى حال الغلام بمنظوم لانشد :

يهدى لك الدر من لفظ ومبتسم ضربان منتثر منه ومنظوم
يجنى الذنوب وأحنو أن أؤاخذه من أجل ذلك قيل الحسن مرحوم

ولانشد إذا غلب عليه هواه :

مرآك مرآك شمس ولا قمر وورد خديك لا ورد ولا زهر
فى ذمة الله قلب أنت ساكنه إن بنت بان فلا عين ولا أثر
لولا محلك من قلبى لما أسفت نفسى عليك فرفقا أيها القمر

هذه الأبيات للوليد بن حزم وقد كرر معنى البيت الأخير فقال :

أذكيت من قلبى بنأيك لوعة حتى خشيت على محلك فيه

ومما يتعلق بهذا المعنى قول الآخر :

ولما رمانى بالسهام تعمدا وفيها نصال الهجر حتى امتلا صدرى
فقلت له لا ترم قلبى فانه مكانك والمرمى أنت ولا تدرى

وقال آخر :

حملتك فى قلبى فهل أنت عالم بأنك محمول وأنت مقيم
ألا إن شخصا فى فؤادى محله واشتاقه شخص على كريم

وقال التهامى :

قلبى فداؤك وهو قلب لم يزل تذكى شهاب الشوق فى أثنائه
جاورته شر الجوار وزرته لما حللت فناءه بفنائه
حرق سوى قلبى ودعه فاننى أخشى عليك وأنت فى سودائه

وقال آخر :

أودع فؤادى حرقا أودع نفسك تؤذى أنت فى أضلعى
أمسك سهام اللحظ او فارمها أنت بما ترمى مصاب معى
موقعها القلب وأنت الذى مسكنه فى ذلك الموضع

(أليق) أى أشكل وأصقل (بالأقوى) بصاحب القوة ، والذى هو أقرب للتقوى هو العفو لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى (أقتفيه) أتبعه (لا أقف لك فيه) أى لا أتوقف فيما تشير به (تقصر) تكف

عَنِ القيلِ والقَال ، وتقْتَصِرَ منه عَلَى مِائَةِ مِثْقَال ، لأَتحمَّلَ مِنهَا بَعضاً ، وأَجْتَبِيَ الباقِيَ لكَ عَرْضاً ، فقال الشَّيخُ : مامِنِي خِلاف ، فلا يَكُنْ لوَعْدِكَ إخْلاف . فَنَقَدَهُ الوَالي عِشْرين ، ووزَّعَ على وزَعَتِهِ تَكْمِلَةَ خَمْسِينَ ، ورَقَّ ثَوْبُ الأَصيلِ ، وانْقَطَعَ لأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيل ، فقال له : خُذْ ما رَاجَ ، ودَعْ عنكَ اللَّجاج ، وعليَّ في غدٍ أَنْ أَتَوَصَّل ، إلى أَنْ يَنِضَّ لكَ البَاقي ويَتَحَصَّل ، فقال الشَّيخُ : أَقْبَلُ مِنْكَ عَلَى أَنْ أُلَازِمَهُ لَيْلَتِي ، ويَرْعَاهُ إنسانُ مُقْلَتِي ؛ حتَّى إذَا أَغْنَى بَعْدَ إسْفارِ الصُّبْحِ ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مالِ الصُّلْحِ ، تَخَلَّصَتْ قَائِبَةٌ مِنْ قُوبٍ وبَرِئَ بَرَاءَةَ الذِّئْبِ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوب ، فقال له الوالي : ماأراكَ سُمْتَ شَطَطًا ولاَ رُمْتَ فَرْطًا

(عن القيل والقال) أى عن كل كلام (أجتبى) أجمع (عرضا) كل ما ليس فيه روح من الأمتعه غير العين وهو ما ليس بنقد من السلع التى يتجر فيها من متاع ورقيق وغير ذلك (أتحمل) أضمن وفلان جميل بكذا أى ضامن له (اخلاف) كذب وعد (نقده) أعطاه نقدا (وزع) فرق (وزعته) شرطته الذين يكفون عنه الناس واحدهم وازع مثل كافر وكفرة وقد وزعته وزعا كففته وأيضا دفعته وقال الحسن البصرى رحمه الله لا بد للسلطان من وزعة (الأصيل) العشى ، وثوبه ضوء الشمس وهو فى ذلك الوقت رقيق (صوب) وقع وصاب السهم صوبا وصيبا وقع بالرمية وصاب السحاب الموضع أمطره (التحصيل) أن يحصل بقية المال (راج) حضر وتيسر ويقال راج الشيء روجا فهو رائج إذا جاء سريعا (إنسان مقلتى) أى سواد عينى (يرعاه) يحفظه وينظره (أغنى) أتى بالبقية والعفاوة بقية المرق فى القدر (تخلصت) انفصلت (القائبة) البيضة (والقوب) الفرخ وهذا مثل يضرب للرجلين يفترقان بعد الصحبة وجاء مقلوبا لأن الذى ينفصل ويخرج إنما هو الفرخ من البيضة والقوب من تقوب الشيء إذا انتشر ومنه القوباء لداء الحزاز (ابن يعقوب) هو يوسف عليهما السلام وبراءة الذئب من دمه هو ما يحكى أن أخوته لما جاؤوا إلى أبيهم يبكون على يوسف علموا أنه لا يصدقهم فاصطادوا ذئبا فلطخوه بدم وأتوه يبكون وقالوا له هذا الذئب قد ضرى أكل أغنامنا وأكل يوسف أخانا قال لهم أطلقوه ودعا الله يعقوب أن ينطقه له فقال للذئب ادن منى فجعل يبصبص بذنبه ويدنو منه حتى وضع خده على فخذ يعقوب فقال له لم أكلت ابنى وفجعتنى فيه فقال لا والله يا نبى الله ما رأيته ولا أكلته وإنى لغريب فى أرضكم اليوم وصلت من مصر فى طلب أخ لى فقال لهم يعقوب عليه السلام الذئب مع أخيه أو فى منكم مع أخيكم (سمت) أى كلفت (شططا) شيأ بعيدا والشطط مجاوزة القدر (ورمت فرطا) طلبت شيأ متفاوتا وكيف لم يسمه شططا وقد حرمه لذة ليلة مع هذا الغلام أحسن من ليلة الخفاجى حيث يقول :

وليلة طلقة قضتنى من موعد للحبيب دينا
بتنا نجر الذيول فيها والخمر تمشى بنا الهوينا
أرسل فى روض وجنتيه لحظة عين تفيض عينا
كأنما اللحظ كيمياء تذهب من وجهه لجينا

قال الحارث بنُ همَّام : فلمَّا رأيتُ حُجَجَ الشَّيخِ كالحُجَجِ السُّرَيجيَّة ؛

وما توهمت ان طرفا　　　يقلب عين اللجين عينا

أوليلة الآخر حين يقول :

لما رأى من ظلت فيه متيما　　　جسمى ضئيلا والفؤاد مولها
جادت شمائله على بليلة　　　أهدت إلى الصب المعنى ما اشتهى
عانقت فيها البدر ليلة تمه　　　يا من رأى بدرا يعانقه السها

(الحجج السريجية) منسوبة إلى أحمد بن سريج وهو من كبار أصحاب الشافعى وكان حسن الاحتجاج مليح المناظره ، وقال الفنجديهى : السريجية منسوبة إلى الامام أبى العباس أحمد بن عمر بن سريج امام أصحاب الشافعى على الاطلاق ومن لا نفست ذات در بمثله فى الآفاق حججه فى أحكام الشرع أوضح الحجج وأقواها وأمتنها على مرور الأيام والحجج وكان يلقب بالبازى الأشهب وبالشافعى الثانى لتبحره فى استنباط المعانى من غوامض الاخبار والمثانى دلائله فى فنون العلم متينة وبراهينه مبينة وقال رأيت فى المنام كأنا أمطرنا كبريتا أحمر فملأت كمى وحجرى وجيبى منه فعبر لى أنى أرزق علما عزيزا كعزة الكبريت الأحمر وسمع يتمثل بهذه الأبيات :

فلا تحسد الكلب أكل العظام　　　فعند الخراءة ما نرحمه
تراه وشيكا استه　　　كاوما جناها عليه فمه
إذا ما أهان امرؤ نفسه　　　فلا أكرم الله من يكرهه

وكان يناظر محمد بن داود فقال له ابن داود يوما وقد أكثر عليه السؤال أبلعنى ريقى فقال له قد أبلعتك الدجلة والفرات وقال له مرة أمهلنى ساعة فقال قد أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم الساعة وقال ابن داود يوما أكلك من الرجل وتجيبنى من الرأس فقال له كذلك البقر إذا حفيت أظلافها دهنت قرونها واجتمع أبو العباس بن سريج وأبو بكر بن داود الاصبهانى فى مجلس عيسى بن الجراح الوزير فتناظرا فى الايلاء فقال ابن سريج أنت بقولك من كثرت لحظاته دامت حسراته أبصر منك بالكلام فى الايلاء فقال له ابن داود لئن قلت ذلك فانى أقول :

أنزه فى روض المحاسن مقلتى　　　وأمنع نفسى أن تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى مالو انه　　　يصب على الصخر الأصم تهدما
وينطق طرفى عن مترجم خاطرى　　　فلولا اختلاسى رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم　　　فلست أرى حبا صحيحا مسلما

وقال ابن سريج بم تفتخر ولو شئت قلت :

ومساهر بالغنج من لحظاته　　　قد بت أمنعه لذيذ سنانه
أصبو لحسن كلامه وحديثه　　　وأكرم اللحظات فى وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده　　　ولى بخاتم ربه وبراته

فقال له أبو بكر أصلح الله الوزير يحفظ عليه ما قال حتى يقيم عليه شاهدين عدلين أنه ولى بخاتم ربه وبراءته فقال له ابن سريج فيلزمنى فى هذا ما يلزمك فى قولك : وأمتنع نفسى أن تنال محرماً ، فضحك الوزير وقال لقد جمعتما ظرفا ولطفا وعلما وفهما . اشتملت هذه الحكاية على أن هذين الرجلين العالمين على اشتهارهما بالعلم والفضل والدين كانا يرتاحان إلى التعشق على سبيل التظرف والتزام التعفف على ما يليق ويشكل بمنصبهما وإذا كان التعشق بشرط العفاف فانما يزيد الرجل الفاضل رقة طبع وحلاوة شمائل وقال ابن سريج فى مرضه الذى مات فيه أريت فى المنام البارحة كان قائلا يقول هذا ربك يخاطبك فسمعته يقول ماذا أجبتم المرسلين فقلت بالإيمان والتصديق قال فقيل ماذا أجبتم المرسلين فوقع فى نفسى أنه يراد منى زيادة فى الجواب فقلت بالإيمان والتصديق غير أنا قد أصبنا من هذه الذنوب فقال أما أنى سأغفرها لك وتوفى لخمس مضين من جمادى الاول سنة ست وثلثمائة وبلغ سنه سبعا وخمسين سنة وستة أشهر ودفن فى حجرة بسويقة غالب ببغداد رحمة الله عليه ونذكر الآن من نفيس الشعر المضمن منظفر من محبوبه بمراده من الوصال ثم عف عما يخل بأهل الجلال قال ادريس بن اليمان :

لم تدر ماخلدت عيناك فى خلدى ... من الغرام ولا كابدت كبدى
أفديك من زائر رام الدنو فلم ... يسطعه من حرق فى الدمع متقد
خاف العيون فوافانى على عجل ... معطلا جيده إلا من الغيد
عاطيته الكاس فاستحيت مدامتها ... من ذلك الشنب المعسول والبرد
حتى إذا غازلت أجفانه سنة ... وصيرته يد الصهباء طوع يدى
أردت توسيده خدى وقل له ... فقال كفك عندى أفضل الوسد
فبات فى حرم لا غدو يزعجه ... وبت ظمآن أصدر ولم أرد
بدر ألم وبدر التم منمحق ... والافق محلولك الارجاء من حسد
تحير الليل فيه أين مطلعه ... أما أدرى الليل أن البدر فى عضدى

وقال الرمادى :

وليلة راقبت فيها الهوى ... على رقيب غير وسنان
والراح ماتنزل من راحتى ... وقتا ومن راحة ندمان
ورب يوم قيظه منضج ... كأنه أحشاء ظمآن
أبرز من خديه لى رشحة ... طلى على ورد وسوسان
وكان فى تحليل أزراره ... اقود لى من الف شيطان
فتحت الجنة من جيبه ... فبت فى جنة رضوان
مروءة فى الحب تنهى بأن ... يجاهر الله بعصيان

وقال سعيد بن حميد :

زائر زارنا على غير وعد ... أهيف الكشح مثقل الأرداف

علمتُ أنَّهُ عَلَمُ السَّرُوجيَّةِ . فَلَبِثْتُ إلى أنْ زَهَرَتْ نُجُومُ الظَّلام . وانتثرتْ عُقُودُ الزِّحام ، ثم قَصَدْتُ فِناء الوَالى ، فإذَا الشَّيْخُ للفَتَى كالِى . فَنَشَدْتُهُ الله أهُوَ أبُو زَيْد ، فقال : أىْ ومَحالِّ الصَّيْد : فقُلْتُ مَنْ هذا الغُلام الذى هَفَتْ لهُ الأحْلام ، قال : هُوَ فى النسَبِ فَرْخِى ، وفى المُكْتَسَبِ فَخِّى ، قُلْتُ : فَهلاَّ اكْتَفَيْتَ بِمَحاسِنِ فِطْرَتِه ، وكَفَيْتَ الوَالى الافْتِتانَ بِطُرَّتِه ، فقال : لوْ لم تَبْرُز جَبْهَتُهُ السِّين ،

غالب الخوف حين غالبه الشو ق فأخفى الهوى وليس بخافى
غض طرفى عنه تقى الله واختر ت على بذله بقاء التصافى
ثم ولى والخوف قد هز عطفيه ولم يخل من لباس العفاف

وقال بعض الطالبيين :

رمونى وإياها بشنعاء هم بها أحق أدال الله منهم وعجلا
بأمر تركناه ورب محمد جميعا فاما عفة أو تجملا

وسنزيد ما يستحسن فى العفاف وضده فى الثانية عشرة (علم السروجية) أى مشهورها والعلم الجبل (لبثت)أقمت (عقود) جمع عقد أراد ما يعقد من جموع الناس فى الزحام (انتثرت) افترقت (زهرت) أضاءت (الفناء) ما حول الدار (ناشدته) سألته (هفت) أى طارت (الأحلام) العقول (فطرته) خلقته(تبرز)تظهر (الطرة) قد تقدمت وشبه اعتدال الشعر على الجبهة بشكل السين على السطر وأخذه من قول التهامى :

يارب معنى بعيد الشأن تسلكه فى سلك لفظ قريب الفهم مختصر
لفظ يكون لعقد القول واسطة ما بين منزلة الاسهاب والحصر
إن الكتابة طارت تحت أنمله والجود فالنقيا منه على قدر
تردد أقلامه الأرماح صاغرة عكسا كعكس شعاع الشمس للقمر
وفى كتابك فاعذر من يهيم به من المحاسن ما فى أحسن الصور
الطرس كالخد والنونات دائرة مثل الحواجب والسينات كالطرر

ومن ملح الخابزرزى:

وبنفسى من إذا خمشته نثر الورد عليه ورقه
وإذا مست يدى طرته أفلتت منه فعادت حلقه

أخذها من حكاية لعمر بن أبى ربيعة حدث المغيرة بن عبد الرحمن قال حججت مع أبى وأنا غلام على جمة فجئت عمر فسلمت عليه فجلست عنده فجعل يمد الخصلة من شعرى ثم يرسلها فترجع على ماكانت عليه ويقول واشباباه حتى فعل ذلك مرارا ثم قال لى يا ابن أخى قد سمعتنى أقول فى شعرى قال وقلت وكل مملوك لى حر إن كنت كشفت عن فرج امرأة حرام قط فسألت عن رقيقه ، فقيل لى أما فى الحوك فسبعون سوى غيرهم، وساير عمر عروة بن الزبير يحدثه فقال وأين زين المواكب يعنى ابنه محمدا وكان يعرف بذلك لجماله فقال عروة هو أمامك فركض يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أو لسنا أكفاء كراما لمحادثك قال بلى بأبى أنت وأمى

لما قَنْفَشْتُ الحْسِينَ ، ثم قال : بِت اللَّيْلَةَ عِنْدِي لِتَطْفِئَ نارَ الجوَى ، ونُديلُ الهوَى من النَّوَى ، فَقَدْ أَجْمَعْتُ عَلَى أَنْ أَنْسَلَّ بِسُحْرَةٍ ، وأُصْلِي قَلْبَ الوَالِي نارَ حَسْرَةٍ ، قال : فَقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فى سَمَرٍ ، آنَقَ مِنْ حَدِيقَةِ زَهَرٍ ، وخَمِيلَةِ شَجَرٍ : حتَّى إذا لَألأ الأُفُقَ ذَنَبُ السِّرحان ، وآنَ انْبلاجُ الفَجْرِ وحانَ ، رَكِبَ مَتْنَ الطَّرِيق ، وأَذَاقَ الوالى عَذابَ الحَرِيق ، وسَلَّمَ إلىَّ ساعَةَ الفِرَاق ، رُقْعَةً مُحْكَمَةَ الإلصاق ، وقال : ادْفَعْهَا إلى الوَالى إذا سُلِبَ القَرَار ، وتَحَقَّقَ الفِرَارَ ،

ولكنى مغرى بهذا الجمال حيث كان ثم التفت اليه وقال :

إنى امرؤ مولع بالحسن أتبعه   لا حظ لى فيه إلا لذة النظر

أخذه العباس بن الأحنف فقال :

أتأذنون لصب فى زيارتكم   فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء إن طالت إقامته   عف الضمير ولكن فاسق النظر

ومما يتعلق بذكر الشعر حلاقه والشعر فيه كثير فلم منه باليسير وأول من قرع هذا الباب فيما يذكر القائل

حلقوا رأسه ليكسوه قبحا   خيفة منهم عليه وشحا
كان من قبل ذاك ليلا وصبا   فمحوا ليلة وأبقوه صبحا

وقال أبو العباس القريعى :

كان إلا قمرا تحت دجى   فانجلى الليل ولاح القمر
أو كزهر فى كام كامن   شققت عنه فتم الزهر

وقال أبو العباس بن حيون :

حلقوك فى تغيير حسنك رغبة   فازداد حسنك بهجة وضياء
كالخمر فض ختامه فتشعشعت   والشمع قط ذباله فأضاء

(قنفشت) أى أخذت بسرعة تقول قفشت الشىء قفشا إذا جمعت عليه كفك بسرعة وقد انقفشت العنكبوت إذا دخلت جحرها (الجوى) أى مرض القلب (نديل) نعوض والادالة أن يكون الشىء لك مرة ولغيرك أخرى وهى من الدولة (النوى) البعد ويريد هلم لنجدد المودة فى هذه الليلة ويكون ذلك عوضا من طول الفراق فقد عزمت على أن أنسل بالسحر وأفر والانسلال الخروج مستخفيا (أصلى قلب الوالى) أجعله متحرقا بالتحسر والتفجع (قضيت) أتممت (سمر) حديث بالليل يسمر عليه (آنق) أحسن (حديقة) بستان ولا تكون إلا تحت حائط أو زرب (زهر) نور (خميلة) روضة فيها شجر (لألأ) لمع وأضاء (الأفق) جهات السماء (ذنب السرحان) هو الفجر الكاذب وهو ضوء يظهر قبل الفجر دقيق متصعد إلى السماء السرحان الذئب شبه ضوءه بذنبه (آن) حان وقرب (انبلاج الفجر) ظهور ضوئه (متن) ظهر (الحريق) النار (سلم) ترك (محكمة الالصاق) متقنة الطى (القرار) السكينة يريد أن الوالى إذا أخبر بهربنا ذهب عقله فجعل يتململ

فَفَضَضْتُهَا فِعْلَ الْمُتَمَلِّسِ ؛ مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ :

ولا صقر (فضضتها) كسرت ختامها (المتلمس) شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح وسمى المتلمس بقوله :

فهذا أوان العرض طن ذبابه   زنابيره والأزرق المتلمس

وهو ماخوذ من تلمس الرجل الحاجة إذا طلبها سرا من غيره وأصل ذلك من اللمس باليد كالذى يلمس بيده فى الظلام مواضع خفية يطلب منها شيأ ضاع منه أو كلمس الأعمى شيأ بيده ومن كلام عامتنا فلان يتلمس بسكون التاء أى يدخل بين الناس باستخفاء ولا يشعر به والمتلمس أحد الثلاثة الذين اتفق العلماء على أنهم أشعر المقلين فى الجاهلية وهم المتلمس والمسيب بن علس وحصين بن الحمام (المتملس) بالميم قبل اللام وهو المتخلص الذى يطلب السلامة والخلاص بسهولة وقد أملس إذا خرج من بين القوم هاربا وهم لا يشعرون وقد أملس الشيء إذا سقط من يدك ولم تشعر به لملاسته (الصحيفة) الكتاب . وقصتها أن المتلمس وطرفة كانا يتنادمان مع عمرو بن هند ملك الحيرة وكان سيء الخلق شديده وهو الذى حرق من تميم مائة رجل فهجواه فقال فيه المتلمس وكان طرده لشيء بلغه عنه :

أطردتنى حذر الهجاء ولا   واللات والأنصاب لا تئل

أى لا تنجو وقال فيه أيضا :

إن الخيانة والمقالة والخنا   والغدر نتركه ببلدة مفسد

ملك يلاعب أمه وقطينها   رخو المفاصل أيره كالمبرد

فاذا حللت ودون بيتى غارة   فأبرق بأرضك ما بدالك وارعد

وقال طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو   رغوثا حول قبتنا تخور

لعمرك إن قابوس بن هند   ليخلط ملكه نوك كثير

فى بيات شهرتها تنبي وتغنى عن ذكرها فاستحيا أن يقتلهما بحضرته وبينهما إدلال المنادمة فكتب لهما بصحيفتين وختمهما لئلا يعلما ما فيهما وهو أول من ختم الكتاب وقال لهما اذهبا إلى عاملي بالحرين فقد أمرته أن يصلكما بجوائز فذهبا فمر بطريقهما بشيخ يحدث ويأكل من خبز بيده ويتناول القمل من ثيابه ويقصعه فقال المتلمس ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا فقال الشيخ ما رأيت من حمق أخرج الداء وآكل الدواء وأقتل الأعداء ويروى أقتل عدوا وأدخل طيبا وأخرج خبيثا أحمق والله منى من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من أهل الحيرة من كتاب العرب فقال له المتلمس : أتقرأ يا غلام؟ قال نعم ففك الصحيفة فاذا فيها فاذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا فقال طرفة كلا لم يكن ليجترىء على وكان غرا صغير السن فقذف المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال:

قذفت بها فى اليم من جنب كافر   كذلك أقفو كل قط مضلل

رضيت لها لما رأيت مدادها   يجول به النيار فى كل جدول

وأخذ نحو الشام وقال :

قلْ لِوالٍ غَادَرْتُهُ بَعْدَ بَيْنِي ... سادِماً نادِماً يَعَضُّ اليَدَيْنِ
سَلَبَ الشَّيْخَ مالَهُ وفَتاهُ ... لُبَّهُ فاصْطَلَى لَظَى حَسْرَتَيْنِ
جادَ بالعَيْنِ حينَ أعْمَى هَواهُ ... عَيْنَهُ فانْثَنَى بِـــلا عَيْنَيْنِ

ألق الصحيفة كى يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

أراد أنه يخفف للفرار فألقى مالا يثقل ومالا بد للسفر منه ، وقال حين نجا :

من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... خبرا فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذى علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حياته المتلمس
ألق الصحيفة لا أبالك إنما ... يخشى عليك من الحباء النقرس

أما طرفة فوصل إلى البحرين فلما قرأ العامل صحيفته وسأله عن المتلمس فأخبره بقراره عفا عنه لصدقه ورعايته لطابع الملك حيث لم يفكه وقيل إنه سجنه وبعث إلى عمرو بن هند وقال له ماكنت لأقتل طرفة وأعادي قبيلته فاذا أردت فابعث اليه من يقتله ففعل وخير فى قتله فاختار أن يسقى الخمر ويفصد أكحلاه ففعل به ذلك حتى مات نزفا ودفن بهجر وقيل فى قتله غير ذلك..وقال البحترى يصدق ما تقدم:

ولقد سكنت إلى الصدود من النوى ... والشرى أرى عند طعم الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة ... فى الرأس هان عليه فصد الأكحل

وقال يخاطب عمرو بن هند فى السجن :

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ... ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضى
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقتل وهو ابن عشرين سنة والعرب تقول أشعر الناس ابن العشرين وتعنيه إلا أن أبا العباس أنشد لأخيه يرثيه

عددنا له ستا وعشرين حجة ... فلما توفى واستوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه ... على خير حال لا وليد ولا قحما

وهلك المتلمس فى الجاهلية ببصرى (غادرته) أى تركته (يعض اليدين) تندما (سادما) متغيرا والسادم المتغير العقل من الغم من قولهم ماء سدم ومياه سدم وأسدام أى متغيرة وقيل السديم الحزين الذى لا يطبق ذهابا ولا مجيئا من قولهم بعير مسدم إذا منع من الضراب فكأن الحزين منع من الذهاب والمجىء فيقول تركته بعض يديه تندما وتلهفا (اللظى) لهب النار وقد لظت النار علا لهبها فيريد أن الشيخ أخذ ماله والفتى عقله فاحترق بنار فجعتين (جاد) سمح (العين) الذهب (هواه) تعشقه وميله (انثنى) رجع (بلاعينين) بغير مال

خَفِّض الحزنَ يامُعَنَّى فما يُجْـ ... ـدي طِلابُ الآثار من بَعْدِ عَيْن
ولئن جلَّ ما عَراكَ كما جَلَّ ... لدى المسلمين رُزْءُ الحُسَيْن

ولا بصر (خفض) سكن (معنى) معذب (يجدى) ينفع (العين) ههنا الشخص وقولهم طلب أثراً بعد عين كأن رجلا تمكن من عوده أو من صيد ليرميه فتراخى عنه حتى فاته ثم شد فى طلبه بعد الفوت وأول من قال ذلك مالك بن عمرو العامرى وكان بعض ملوك غسان أخذه وأخاه سماكا بسبب قتيل كان له فى عمالته فحبسهما زمانا ثم قال لهما إنى قاتل احدكما فجعل كل واحد منهما يقول اقتلنى مكان أخى فقتل سماكا وخلى مالكا فقال سماك حين ظن أنه مقتول :

وأقسم لو قتلوا مالكا ... لكنت لهم حبة راصده
برأس سبيل على مرقب ... ويوما على طرق وارده
أألم سماك فلا تجزعى ... فللموت ماتلد الوالده

وانصرف مالك إلى قومه فلبث فيهم زمانا ثم إن ركبا مروا بهم وأحدهم يغنى بهذا البيت : وأقسم لو قتلوا مالكا، فسمعت بذلك أم سماك فقالت يا مالك قبح الله الحياة بعد سماك اخرج فى طلب ثأر أخيك فخرج فلقى قاتل أخيه فى ناس من قومه فقال من أحس لى الجمل الاحمر فعرفوه فقالوا له لك مائة من الإبل وكف عنه فقال لا أطلب أثراً بعد عين فذهبت مثلا ثم حمل على قاتل أخيه فقتله (جل) أى عظم (عراك) قصدك (رزء الحسين) المصاب بقتله حين قتل بكر بلاء . وحديثه أن معاوية لما مات أرسل اليه أهل الكوفة أن قد حبسنا أنفسنا على بيعتك وطواب بالمدينة أن يبايع يزيد فخرج إلى مكة وأرسل ابن عمه مسلم ابن عقيل إلى الكوفة وقال له إن كان حقا ما كتبوا به فعرفنى ألحق بك فخرج من مكة للنصف من رمضان وقدم لخمس خلون من شوال وأميرها النعمان بن بشير فدخل مستترا فبايعه من أهلها ثمانية عشر الفا وكاتبه بذلك فلهم بالخروج لقيه ابن عباس رضى الله عنه فقال يا ابن عم اهل العراق اهل غدر وإنما يدعونك للحرب فقال له ياابن عم كتب إلى مسلم باجتماع أهل الكوفة على فقال له قد جربتهم وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم إذا بلغ ابن زياد خبرك استفزهم فكان الذين كتبوا اليك أشد عليك من عدوك فان أبيت إلا الخروج فلا تخرجن بنسائك وولدك معك فانى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون اليه فرد عليه لأن أقتل بموضع كذا أحب إلى من أن أستحل بمكة واتصل الخبر بيزيد فكتب إلى عبد الله بن زياد بتولية الكوفة فخرج مسرعا فدخلها فى حشمه وهو ملثم والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل عبيد الله بن زياد يسلم على الناس ويقولون وعليك السلام ياابن رسول الله قدمت خير مقدم حتى انتهى إلى القصر فحسر اللثام ففتح له النعمان الباب ونادى الناس ابن مرجانة فحصبوه بالحصباء ففاتهم ووضع الرصد فى طلب مسلم فصاح مسلم يامنصور وكان شعارهم فاجتمع لهم فى ساعه واحدة ثمانية عشر الفاً فاحاطوا بالقصر فقاتلوا ابن زياد فلم يمس المساء ومعه مائة رجل فلما رأى تفرقهم سار نحو أبواب كسندة فبلغ الباب ومعه ثلاثة فخرج وليس معه أحد فبقى حائراً لا يدرى اين يتوجه فنزل من علا فرسه ودخل ازقة الكوفة فانتهى إلى باب مولاة لمحمد بن

فَقَد اعْتَضْتَ منه فَهْماً وحَزْماً   والأَبيبُ الاريبُ يَبغى ذ ينِ
فاعْصِ من بَعْدِ هاالمطَامِعَ واعْلَمْ   أَنَّ صَيْدَ الظِّباءِ ليس بِهَيْن
لا ولا كُلُّ طائرٍ يَلِجُ الفخَّ   ولو كانَ مُحْدَقا باللُّجَيْن
ولـكمْ مَنْ سَعى لِيَصْطادَ فاصْطِيدَ

الأشعث فاستقاها فسقته وأعلمها حاله فرقت فآوته وأعلمت محمد بن الأشعث بمكانه فمشى إلى ابن زيادفأعلمه فوجه معه سبعين رجلا فاقتحموا عليه فقاتلهم مسلم فأمنه محمد بن الأشعث وحمله إلى زياد فضرب عنقه وبعث برأسه الى يزيد بن معاوية فصلب جثته وانهى الأمر إلى الحسين وقد بلغ القادسية فهم بالرجوع فقال له اخوة مسلم لا نرجع أو نقتل أو تأخذ بثارنا فقال الحسين لاخير فى العيش بعدكم فسار حتى لقى خيلا لابن زياد وعليها عمرو بن سعد بن أبى وقاص فعدل إلى كربلاء وهو فى نحو خمسمائة فارس فلما كثرت العساكر أيقن أنه لا محيص له فقال اللهم أحكم بيننا و بين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقاتلوننا ثم خطب قومه فقال يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على أحد وابقى عليها أحد لكانت الأنبياء أحق بها وبالبقاء غير أن الله خلقها للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والدار قلعة والمنزل تلعة فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم قاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وفيه ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وتولى قتله سنان بن أنس النخعى واحتز رأسه وانطلق به مسرعا إلى ابن زياد وهو يقول:

أوقر ركابى فضة وذهبا   إنى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا

وبعث معه الرأس إلى يزيد بن معاوية وعنده أبو برزة فجعل ينكت بالقضيب على فيه وهو يقول:

نفلق هاما من رجال أعزة   علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال له أبو برزة ارفع قضيبك فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه وقتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وقتل معه سبعة وثمانون منهم على ابنه الأكبر ومن ولد أخيه الحسن عبد الله والقاسم وابو بكر ومن اخوة العباس وعبد الله وجعفر ومحمد وعثمان بنو على ومن بنى عمه جعفر محمد وعون ابناء عبد الله بن جعفر ومن ولد عقيل عبد الله وعبد الرحمن وجعفر ودفنهم أهل القادسية بعد قتلهم بيوم وقتلواهم من أصحاب عمرو ابن سعد ثمانية وثمانين (اعتضت) افتعلت من العوض (يبغى ذين) يطلب هذين (الظباء)الغزلان (يلج) يدخل (محدقا باللجين) أى محلقا بالفضة والصائد يفرق حول الفخ حب القمح وشبهه فيلقطه الطائر حتى يتوصل إلى مانصب له فيقع فقال ماكل طائر يخدع ولو حلق له الفخ بحب اللجين بدلا من القمح وإنى من هذا الصنف (ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد) من قول الصابى:

يلقرا كالخشف فى نظرته   وكالقضيب اللدن فى نضرته
خلتك صيدا كان فى قبضتى   قصرت من صيدى فى قبضته

ولم يَلْقَ غيرَ خُفَّىْ حُنَيْن

وَتَبَصَّرْ ولا تَشِمْ كلَّ بَرْقٍ رُبَّ بَرْقٍ فيه صَواعِقُ حَيْنِ

اغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرامٍ تَكْتَسِى فيه ثَوْبَ ذُلٍّ وشَيْنِ

فَبَلاءُ الفَتَى اتِّباعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذْرُ الهَوَى طُمُوحُ العَيْنِ

والسابق له كعب بن زهير فى قوله :

طاف الرماة بصيد راعهم فاذا بعض الرماة بنيل الصيد مقتول

(خفا حنين) يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف فى حنين فقال يعقوب إنه كان رجلا مدعيا لجاء إلى عبد المطلب وعليه خفان فقال ياعم إنى من ولد هاشم فأمعن النظر فيه وقال لا وعظام هاشم ما أرى فيك شمائل هاشم فارجع فرجع خائبا خاسرا وقيل كان رجلا مغنيا فدعاه قوم من أهل الكوفة ليطربهم فى نزهة فخرجوا به إلى الصحراء فضربوه وسلبوا ثيابه وتركوا عليه خفية فلما رجع إلى زوجته وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضل من أطعمه النزهه ورأته على تلك الحاله قالت لكل من سألها رجع حنين بخفيه وقيل إنه كان صانعا فساومه أعرابى بخفين وماكسه حتى أخرجه فلما ارتحل الاعرابى أخذ حنين إحدى الخفين فوضعها على الطريق ثم مشى وألقى الأخرى فى موضع آخر على الطريق وكمن له فلما مر الاعرابى بالخف قال ماأشبه هذه بخف حنين ولو كان معها الأخرى لأخذتها فلما انتهى إلى الأخرى ندم على ترك الأولى فأناخ راحلته وأخذها . رجع إلى الأولى فلما غيب عمد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ومضى بها ورجع الاعرابى إلى قومه بالخفين فكان إذا سئل عن حاله قال رجعت بخفى حنين فصار مثلا ، وقيل كان حنين لصا حقيرا فأخذ وصلب لجاءته أمه وعليه خفان فانتزعتها ورجعت فقيل رجعت بخفى حنين أى رضيت منه بذلك .

(تبصر أى أحسن النظر (حين) هلاك (والصاعقه) نار ترسل مع الرعد والبرق وجمعها صواعق وصعق الرجل إذا أصابته وصعق إذا مات وقيس تقول صاعقه وبنو تميم صاقعة وقد صقع (غرام) عذاب الحب (شين) عيب (والبذر) زرع الحب فى الأرض (طموح) ارتفاع يريد أن أصل العشق مداومة النظر . ألم فيه بقول عيسى عليه السلام لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك ، وقد تقدم : من كثرت لحظاته دامت حسراته ، وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى

وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة وطول الهوى رين على القلب رائن

فكن دافنا للشر بالخير تسترح من الشر إن الخير للشر دافن

وقال آخر : إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى كل مافيه عليك مقال

وقال المتنبى :

عزيز أسى من داؤه الأعين النجل عناء به مات المحبوب من قبل

فمن شاء فلينظر إلى فمنظرى نذير إلى من ظن ان الهوى سهل

وما هى إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت فى قلبه رحل العقل

قال الراوى : فمزّقت رُقعته شذَرَ مذَر ؛ ولم أُبَلْ أعذَلَ أم عذر

وقال ابن زيدون :

من يسئل الناس عن حالى فشاهده　　محض العيان الذى يغنى عن الخبر
أما الضنى فجنته نظرة علق　　كأنها والردى جا آ على قدر
فهمت طرق الهوى من وحى طرفك لى　　إن الحوار لمفهوم من الحور

وقال العباس بن الأحنف :

الحب أول مايكون لحاجة　　تأتى به وتسوقه الأقدار
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى　　جاءت أمور لاتطلق كبار

بهذا كله يبين بيت الحريرى (مزقت) قطعت (شذر مذر) قطعا متفرقة فى كل جهة وأصل الشذر قطع الذهب ومذار تباع لها (لم أبل) أى لم أبال (عذر) قبل العذر.

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٤	١١	وصاحب	وصاحبه
٣٧	١٤	الانساب	الانسياب
١٧٧	٥	وفاح	وقاح
١٧٧	١٥	زوت	ذوت

المقامة الحادية عشرة الساوية

حَدَّثَ الحارثُ بنُ همامٍ قال: آنَسْتُ مِنْ قَلْبِي القَسَاوَة، حينَ حَلَلْتُ ساوَة، فأَخَذْتُ بالخَبَرِ المأْثُور،

شرح المقامة

الحادية عشرة تبنى على الفتح كبناء أحد عشر (آنست) أدركت وأحسست (القساوة) غلظ القلب وقلب قاس وقسي أى صلب وقلوب قاسية وقسية وهما عند الكسائى والفراء لغتان بمعنى واحد، أبو عبيدة القاسية مأخوذة من القسوة والقسية التى ليست بخالصة الايمان كالدرهم القسى وهو الذى خالطه غش من نحاس أو غيره وقد قسا القلب يقسو قساوة وقساء صلب (ساوة) بلد بينه و بين الرى اثنان وعشرون فرسخا وهى فى الطريق ما بين همذان والرى (الخبر المأثور) أى المحدث به وهو قوله صلى الله عليه وسلم عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة؛ وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدالى فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة وسأل رجل عائشة رضى الله عنها فقال يا أم المؤمنين إن لى داء فهل عندك دواؤك قالت وماداؤك قال القسوة قالت بئس الداء داؤك عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت، وقيل لعلى رضى الله عنه ماشأنك جاورت المقبرة قال إنى أجدهم خير جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الاخرة وكانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فاذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب فاذا جاء النهار خرجت إلى المقبرة فعوتبت فى اتيان القبور فقالت إن القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإنى لآتى القبور فكأنى أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة، وقال ميمون ابن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القوم بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم أما تراهم صرعى قد خلت من قبلهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهموم فى أبدانهم مقيلا ثم بكى وقال والله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله. استنشد المتوكل أبا الحسن على بن محمد موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقال إنى لقليل الرواية فى الشعر فقال لا بد فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم … غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معالقهم … وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
نادا هم صارخ من بعد مادفنوا … أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة … من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سيل بهم … تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا … فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

كان عمر لو أنشد شعرا فى أوصاف آبائه و بنى عمه ملوك بنى أمية وانحطاطهم من عز المملكة إلى ذل المقبرة لم يكن

فى مُدَاوَاتِها بِزِيارةِ القبور ؛ فلما صِرْتُ إلى مَحَلَّةِ الأَمْوَات ، وكِفاتِ الرُّفات، رأيْتَ جَمعاً عَلَى قَبْرٍ يُحْفَرُ ،

إلا هذا الشعر ؛ وأبو الحسن العلوى كان قد سعى به إلى المتوكل وقيل له إن فى بيته سلاحا وكتبا وغير ذلك فوجه اليه بعده من الأتراك فهجموا عليه على غفلة ممن فى داره فوجدوه فى بيت مغلق عليه وحده وعليه مسح شعر ولا بساط فى البيت إلا الرمل والحصى وعلى رأسه ملحفة صوف متوجه إلى ربه يترنم القرآن فمثل بين يدى المتوكل على حاله والمتوكل يشرب وفى يده كأس فلما رآه عظمه وأجلسه إلى جنبه وعلم أنه لم يوجد عنده شىء مما قيل فناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ماخامر لحمى ولادمى قط فاعفنى عنه فأعفاه ثم قال أنشدنى شعرا استحسنه فانشده الأبيات المتقدمة فأشفق من حضر عليه من المتوكل فو الله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا وبكى من حضر وقال يا أبا الحسن أعليك دين قال أربعة آلاف درهم فدفعت إليه ورد إلى منزله مكرما وقال له ما يقول ولد أبيك فى العباس بن عبد المطلب قال وما يقولون يا أمير المؤمنين فى رجل افترض الله طاعته بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه فأمر له بمائة ألف درهم ، وإنما أراد طاعة الله على بنيه فعرض . وقال سابق البربرى فى المعاريض : تعاون على الخيرات تظفر ولا تكن   على الاثم والعدوان ممن يعاون

وداهن إذا ماخفت يوما مسلطا   عليك ولا يحتال من لا يداهن
ولاتك ذا لونين يبدى بشاشة   وفى صدره ضب من الغل كامن

رجعت إلى عرض المقامة. عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا فقال مايبكيكم قلنا لبكائك قال هذا قبر أمى آمنة واستأذنت ربى زيارتها فاذن لى فاستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على فادركنى مايدرك الولد من الرقة ؛ وكان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد . . والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر والانتفاع بدعائه للمزور ولا ينبغى أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت . . وكان رجل يشهد الجنائز فاذا أمسى وقف على المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذا شيأ قال فامسيت ليلة ولم أدع فبينما أنا نائم إذ خلق كثير قد جاؤنى فقلت من أنتم قالوا نحن أهل المقابر قلت ماحاجتكم قالوا إنك كنت عودتنا هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وماهى قالوا الدعوات التى كنت تدعو قلت فانى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك (قوله محلة الأموات) هى المقابر التى يحلون بها (كفات) قبور أوعية وكفت الشىء ضمته وقبضته وكفات الشىء ماضمه وستره قوله تعالى ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا قيل كفات الأحياء بيوتهم وكفات الأموات قبورهم (الرفات) العظام البالية وقال ابن المعتز فى مقبرة :

وسكان دار لا تزاور بينهم   على قرب بعض فى التجاور من بعض
كأن خواتيما من الطين فوقهم   فليس لها حتى القيامة من فض

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ومَجْنُوز

انظر لنفسك يامسكين فى مهل ... ما دام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها ... لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يا مغرور موعظة ... وفيهم لك يامغتر معتبر

وقال مالك بن دينار : مررت بالمقابر فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتهـــا ... فاين المعظم والمحتقر
وأين المـــدل بسلطانه ... وأين المزكى إذا ما افتخر
فنوديت من بينهم لا أرى ... شخوصا لهم ولا من أثر
تفانوا جميعا فلا مخبر ... وماتوا جميعا ومات الخبر
فيا سائلى عن أناس مضوا ... أمالك فيما ترى معتبر
تروح وتغدو بنات الثرى ... وتمحى محاسن تلك الصور

ومما وجد على قبر مكتوبا :

تناجيك أجداث وهن سكوت ... وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

ومما وجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب مختلس ... لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها ... يا من يعد عليه اللفظ والنفس
لا يرحم الموت ذا جاه لعزته ... ولا الذى كان منه العلم يقتبس
قد كان قصرك معمورا له شرف ... فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ووجد على قبر مكتوبا :

وقف على الأحبة حين صفت ... قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى ... رات عيناى بينهمو مكانى

قال أعرابى : من خاف الموت بادر بالفوت ومن لم يقمع النفس عن الشهوات بادرت به إلى الهلكات والجنة والنار أمامك . مرض أعرابى فقيل له أنك تموت قال وإذا امت فالى أين أذهب قالوا إلى الله قال فما كراهتى أن إذهب إلى من لم أر الخير إلا منه . وقال أعرابى مابقاء عمر تقطعه الساعات وسلامة بدن معرض الآفات ولقد عجبت للمؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذى أحياله ليله وأظمأ له نهاره ، وقال آخر من كانت مطيتاه الليل والنهار سارابه وإن لم يسر وبلغابه وإن لم يبلغ : آخر تصرف الليل والنهار لا نبقى معه الاعمار ولا لاحد فيه الخيـــار (مجنوز) أى ميت وحكى ابن سيده قول بعضهم جنزت الميت إذا سترته بالكفن وقال الحسن لما أنذر بجنازة النوار امرأة الفرزدق للمنذر بها : إذا جنزتموها فاذنونى بالجنازة والجنازة من جنزت وهى

يقبر ، فانحزتْ إليهمْ مُتفكراً في المآل ، مُتذكراً مَنْ دَرجَ مِنَ الآل ، فلمّا ألحدُوا الميْت ، وفاتَ قوْلُ ليْت ، أشرفَ شيْخٌ مِنْ رُباوَة ، مُتخصّراً بِهرَاوَة ، وقدْ لفعَ وجْههُ بردائِه ، ونكّرَ شخْصَهُ لدَهائِه ، فقالَ : لمثْلِ هذَا فليعْملِ العامِلُونَ ، فادّكرُوا أيُّها الغافِلُون ، وشمّرُوا أيُّها المقصّرُونَ ، وأحْسنُوا النظَرَ أيُّها المُتبصّرُون ، ما لكُمْ لا يحْزُنكُمْ دَفْنُ الأتْراب ، ولا يهُولكُمْ هَيْلُ التُّراب ،

بالفتح الميت وبالكسر النعش وقيل معناهما واحد وهو الميت والمختار الكسر (يقبر) يدفن (انحزت) ملت (المآل) المرجع (مذكرا) متذكرا (درج) هلك (الآل) الاهل (ألحدوا) دفنوا وألقوه في اللحد وهو حفير في جانب القبر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المقبر يقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وكان علي رضي الله عنه إذا دخلها يقول السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمنازل المقفرة من المؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لنا ولهم واعف عنا وعنهم ، ثم يقول الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا خلقنا واليها معادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد وقنع بالكفاف ورضي عن الله وكان الحسن البصري رحمه الله إذا دخل قال اللهم رب الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا منك وسلاما منا (أشرف) أي طلع (الرباوة) الكدية (متخصر) أي جاعلها مما يلي خصره (هراوة) عصا (لفع) غطى (نكر) غير هيئته (لدهائه) لمكره ، ويقال قصر فهو مقصر إذا ترك الشيء وهو قادر عليه وشمر اجتهد (المتبصر) الناظر في الشيء على وجه التفهم فقد يصيب وقد يخطىء ولذلك قالوا أحسنوا النظر (الاتراب) الاصحاب المتقاربون في الموالد كأنهم قطعوا من تربة واحدة وأكثر ما يقع للنساء وإذا مات للانسان صاحب على سنه كان أوقع لحزنه فلذا نبه بالتراب ، قال الالبيري :

فان الردى غل أهل النقى ... فلم يبق إلا الغشوم العتيد
وأودى بكل خليل ودود ... فأين ولا أين خل ودود
وكم من أخي ثقة قد لحدت ... فلله ماغيبته اللحود
وأثكلني الانس ثكل اللدات ... فصرت كأني غريب وحيد
وكم من شقي يواري التراب ... وكم من سعيد يواري الصعيد

(يهولكم) أي يفزعكم (الهيل) الصب الكثير من أعلى إلى أسفل في مثل كدس الرمل وعند صب التراب على الميت تطير القلوب اشفاقا وتسيل العيون رحمة قال أبو العتاهة :

بكيتك يا أخي بدموع عيني ... فلم يغن البكاء عليك شيا
كفى حزنا بدفنك ثم اني ... نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أبو علي الرازي : مررت بصبيان في طريق الشام يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت مهلا قد غبر تم فقال صبي منهم ياشيخ أين تفر إذا هيل عليك التراب في القبر فغشي علي فافقت والصبي قاعد عند رأسي مع الصبيان يبكون فقلت له أعندك حيلة في الفرار من التراب قال أنا لا أعلم ولكن سل غيري فقلت ومن غيرك قال عقلك

و تَعْبَأُونَ بِنَوازِلِ الأَحْداثِ ، ولا تَسْتَعِدُونَ لِنُزولِ الأَجْداثِ ، ولاتَسْتَعْبِرُونَ لِعَيْنٍ تَدْمَعُ ، ولاَ تَعْتَبِرُونَ بِنَعْيٍ يُسْمَعُ ، ولا تَرْتاعُونَ لِإِلْفٍ يُفْقَدُ ، ولا تَلْتاعُونَ لِمَناحَةٍ تُعْقَدُ ، يُشَيِّعُ أَحَدُكُمْ نَعْشَ المَيْتِ ، وقَلْبُهُ تِلْقاءَ البَيْتِ ؛ ويَشْهَدُ مُوَارَاةَ سَبِيبِه ، وفِكْرُهُ فى اسْتِخْلاصِ نَصِيبِه ؛ ويُخَلِّى بَيْنَ وَدُودِهِ وَدُودِهِ ؛ ثم يَخْلُو

(تعبؤن) تبالون وتهتمون (النوازل) جمع نازلة وهى المصيبة (الاحداث) ما يحدث على الإنسان من الخير والشر (الاجداث) بالجيم القبور واحدها جدث وجدف (تستعبرون) تبكون (تعتبرون) تتعظون وترونه عبرة (والنعى) ذكر موت الإنسان وكانت العرب إذا مات منها سيد ركب رجل فرسه ومشى فى الاحياء فيقول نعاء فلانا والناعى المخبر بموت الرجل وقد نعاه نعيا (ترتاعون) تخافون (الف) صاحب وهو فى الأصل مصدر ألفت الشيء الفا فسمى به ويقال فى معناه أليف (تلتاعون) تحترقون من الحزن ، واللوعة حرقة من الهم (المناحة) اجتماع النساء للبكاء على الميت (تعتقد) تجمع وتؤلف (وقلبه تلقاء البيت) أى وقلبه مستقبل لبيت الميت بفكر فيما ترك ليرثه (مواراة) دفن وقد واراه إذا ستره (استخلاص) تحصيل (ودوده) الأول محبوبه الذى يوده (ودوده) الثانى جمع دودة والواو للعطف ، وقال سابق البربرى فى معنى ما تقدم :

نلهو ونأمل أياما تعد لنا   سريعة المر تطوينا ونطويها
كم من عزيز سيلقى بعد عزته   ذلا وضاحكة يوما ستبكيها
وللحتوف تربى كل مرضعة   وللحساب برى الأرواح باريها
لاتبرح النفس تنعى وهى سالمة   حتى يقوم ينادى القوم ناعيها
ولن تزال طوال الدهر ظاعنة   حتى تقيم بواد غير واديها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها   ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقال آخر :
اعمل وأنت من الدنيا على حذر   واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل   يحصى عليك وما خلفت موروث

وقال الحسن بن آدم : أنت أسير الدنيا رضيت من لذاتها بما ينقضى ومن نعيمها بما يمضى ومن ملكها بما ينفد تجمع لنفسك الأوزار ولأهلك الأموال فاذا مت حملت أوزارك إلى قبرك وتركت أموالك لأهلك ، أخذه أبو العتاهية فقال :

أبقيت مالك ميراثا لوارثه   ياليت شعرى ما أبقى لك المال
القوم بعدك فى حال تسرهم   فكيف بعدهم دارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد   واستحكم القيل فى الميراث والقال

وقال ابن عبد ربه :
يا من عنده أمل طويل   يؤديه إلى أجل قصير
أتفرح والمنية كل يوم   تريك مكان قبرك فى القبور
هى الدنيا فان سرتك يوما   فان الحزن عاقبة السرور
ستسلب كل ما جمعت فيها   كعارية ترد إلى المعير

بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبة ، وتناسيتم اخترام الأحبة ؛ واستكنتم لاعتراض العسرة وامتهنتم بانقراض الأسرة ؛ وضحكتم عند الدفن ، ولا ضحككم ساعة الزفن ، وتبخترتم خلف الجنائز ، ولا تبخترکم يوم قبض الجوائز ، وأعرضتم عن تعديد النوادب ، إلى إعداد المآدب ، وعن تحرق الثواكل ؛ إلى التأنق فى المآكل ، لا تبالون بمن هو بال ، ولا تخطرون ذكر الموت ببال . حتى كأنكم قد عتقتم من الحمام ؛ بذمام ، أو حصلتم من الزمان ، على أمان ، أو وثقتم بسلامة الذات ، أو تحققتم مسالمة هادم اللذات .

وقال جبلة بن حرب: يا قلب انك فى الأحياء مغرور فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير
تريد أمرا ولا تدرى أعاجله خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيراً وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الأحياء مغتبطا إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته فى الحى مسرور
حتى كأن لم يكن إلا تذكره والدهر آية ماحين دهارير
وذاك آخر عهد من أخيك إذا بالموت ضمنه اللحد الحياصير

(أسيتم) أى حزنتم (انثلام) انكسار ونقصان (اخترام) هلاك يقول إذا انتقص لكم من المال أدنى شىء حزنتم عليه ولا تحزنون على نقص أحبابكم ، أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على الله (استكنتم) ذللتم واستكان استفعل من لفظ الكين وهو لحم باطن الفرج (اعتراض العسرة) ظهور الفقر (انقراض الأسرة) موت القرابة (الزفن) الرقص (ضحكتم عند الدفن) جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى كره لكم العبث فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك فى الجنائز ورأى ابن مسعود رضى الله عنه رجلا يضحك فى جنازة فقال تضحك وأنت فى جنازة والله لا أكلمك أبدا ونظر عبد الله بن ثعلبة إلى رجل يضحك فى جنازة مستغربا فقال أتضحك ولعلك قد أخذت أكفانك من القصار وفى الحديث : كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بهاء المؤمن (تبخترتم) أى تعظمتم وأظهرتم الاعجاب فى مشيكم (الجوائز) الصلات وهم يظهرون فى أحسن الثياب عند الملوك ليكثر لهم العطاء (اعرضتم) تنحيتم وهو من العرض كأنك إذا لقيت من تكره استقبلته بعرضك أى بجانبك (النوادب) النوائح اللواتى يندبن الميت أى يبكينه فيقول أعرضتم عن الباكيات حين عددن خصال الميت المحمودة ولم تكفروا فى تلك الحال (اعداد) أى استعداد (المآدب) المطاعم للاعراس (تحرق) توجع (الثواكل) الفاقدات لأحبابهن (التأنق) التحسين وقد تأنق فى الشىء إذا احتفل فيه فأعجب به كل من رآه (بال) دارس متغير يريد الميت (ببال) بفكر وخاطر (الحمام) الموت وأصله القدر وهو من حم أى قدر وذات الشىء نفسه وحقيقته (مسالمة) متاركة ومصالحة ، أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثروا

كلاَّ ساءَ ما تتوهَّمون ، ثم كلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، ثم أنشد :

أيا مَنْ يَدَّعِي الفَهم إلى كم يا أخا الوَهْم
تُعبِّى الذَّنب والذَّمّ وتُخْطِي الخطأ الجم
أما بانَ لكَ العَيب أما أنْذَرَكَ الشَّيب

ذكر هاذم اللذات قالوا وما هاذم اللذات قال الموت ، وقال الألبيرى فى معنى ما تقدم :

كم آمن للمنوت لاه عن الردى بات مطمئنا
صبحه وافد المنايا فعاين الموت حين عنا
حتى إذا ما قضى بكاه حميمه معولا مرنا
وأروه فى لحده وسنوا عليه قيد التراب سنا
وانتهبوا ماله وشنوا الغــارات فيما حــواه شنا
لمثل هذا فــكن معدا ما قد أعد الهداة هنا
وارتقب الموت فهوحتم يخترم الطفل والمسنا

(كلا) زجر أى ليس الامر كما ظننتم (أيا من يدعى الفهم ، إلى كم يا أخا الوهم) يسمى هذا من أنواع الشعر المسمط أى المفصل مأخوذ من السمط وهو سلك الجوهر المفصل بالزمر والذهب وغير ذلك (الوهم) الغلط (الجم) الكثير . . وعلى قوله : وتخطى الخطأ الجم ، ذكر الحريرى فى الدرة أن قول الخواص أخطأ لمن يأتى بالدنب متعمداً تحريف للفظ والمعنى ولا يقال أخطأ إلا لمن لم يتعمد الفعل ولمن اجتهد ولم يوافق الصواب لقوله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإنما أوجب له الأجر على اجتهاده إصابة الحق الذى هو نوع من أنواع العبادة لأعلى الخطأ الذى يكفى صاحبه أن يعذر فيه ويرفع مأثمه عنه والفاعل من أخطأ مخطىء والاسم الخطا قال الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ وأما المتعمد فيقال فيه خطىء فهو خاطىء والمصدر الخطء قال الله تعالى إن قتلهم كان خطأ كبيرا والاسم منه الخطيئة ويقع على الصغيرة قال الله تعالى أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين إخباراً عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى الكبيرة كقوله تعالى وأحاطت به خطيئته الآية ، قال أبو محمد الحريرى : ولى فى تضمين هاتين اللفظتين وتخصيص معنيهما المتنافيين :

لا تخطون إلى خطء ولا خطأ من بعد ما الشيب فى فوديك قد خطأ
فأى عـذر لمن شـابت مفارقه إذا جرى فى ميادين الهوى وخطا

وهذه التفرقة منه مستحسنة وكذا يقع فى أكثر كلامهم وأما على القطع فلا لأنه قد حكى الزجاج وقطرب وابن دريد فى الجمهرة ان العرب تقول خطئت الشىء وأخطؤه خطأ وخطئى وأخطأته خطأ فى معنى واحد قال :

والناس يلحون الأمير إذا هموا خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

(أما) حرف استفتاح وأخبار (بان) ظهر (أما أنذرك الشيب) سيأتى مستوفيا ، وقال فى الشيب الفقيه الزاهد

وما في نصحه رَيْب ولا سَمْعُكَ قـد
أما نادَى بك المَوْت أما أسْمَعَكَ الصَّوْت
أما تَخْشَى من الفَوْت فَتَحْتَاطَ وتَهْتَمّ
فَكَمْ تَسْدَرُ في السَّهْو وتَخْتالُ مِن الزَّهو

أبو عمران رحمه الله :

ذهب الشباب بجهله وبعاره وأتى المشيب بحمله ووقاره
شتان بين مبعد من ربه بغروره ومبشر بجراره
مازلت أمرح بالشباب جهالة كالطرف يمرح معجبا بعذاره
وسحبت أثواب البطالة لاهيا وجررت من بطر فضول ازاره
حتى تقلص ظله فتكشفت عوراته وبدا قبيح عوراه
لم أحظ منه بطائل غير الأسى وتندم منى على أوزاره
والآن قد خط المشيب بمفرقى بمواعظ والحق فى تذكاره
والنفس تركب غيها لا ترعوى عنه ولا تصغى إلى إنذاره
لهفى على عمر يمر مضيعا محصى على بليله ونهاره

كان شاب في بني إسرائيل عبد الله عشرين سنة وعصاه عشرين سنة فنظر يوما في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت إليك أتقبلني ؟فسمع صوتا من زاوية البيت احببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك فان رجعت إلينا قبلناك . . قال ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح إبليس على وجهه وقال بأبي وجه لا يفلح أبدا . . . وأنشدوا :

وإذا مضى للمرء من أعوامه خمسون وهو إلى التقى لم يجنح
ركضت عليه الخزيات وقلن قد أرضيتنا فأقم لذا لا تبرح
وإذا رأى إبليس غرة وجهه حيا وقال فديت من لم يفلح

وقال آخر :

تلاحظنى المنية من قريب وتلحظنى ملاحظة الرقيب
وتنشر لى كتابا فيه طى بخط الدهر أسطره مشيبى
كتاب فى معانيه غموض تلوح لكل أواب منيب
أزال الله ياصاحى شبابى فعوضت البغيض من الحبيب
وبدلت التكاسل من نشاطى ومن حسن النضارة بالشحوب
كذاك الشمس يعلوها اصفرار إذا جنحت ومالت للغروب

وهذا القدر كاف هنا في ذكر الشيب (ريب) شك (أما أسمعك الصوت) الصوت هنا النياحة على الميت (والفوت) بعد الشيء، الاحتياط من الحوطة وهي الوقاية (تسدر) تتبختر (تختال) تتكبر (الزهو)

وتنصَبُّ إلى اللَّهْو كأَنَّ المَوْتَ ما عَمّ
وحَتَّامَ تجافِيك وإِبْطاء تلافِيك
طِباعًا جَمَعَتْ فِيك عُيُوبًا شَمْلُها انْضَمّ
إِذَا أَسْخَطْتَ مَوْلاكْ فَمَا تَقْلَقُ من ذاكْ
وإنْ أَخْفَقَ مَسْعاكْ تَلَظَّيْتَ مِنَ الهَمّ
وإن لاحَ لَكَ النَّقْش مِنَ الأَصْفَرِ تَهْتَشّ
وإن مر بك النعش تَغامَمْتَ ولا غَمّ

الكبر (عم) شمل . . . ولأبى العتاهية فى معناه :

حتى متى ذو التيه فى تيهه أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وإن تاهوا
من طلب العز ليبقى به فان عز المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه

ولمحمد بن حازم :

فياشاخا أقصر عنانك مقصرا فان مطايا الدهر تكبو وتعثر
ستقرع سنا أو تعض ندامة يديك إذا خان الزمان وتبصر
ويلقاك رشد بعد غيك واعظ ولكنه يلقاك والأمر مدبر

(تجافيك) أى تباعد من فعل الخير (ابطاء) تأخر (تلافيك) تداركك (طباعا) أخلاقا يريد أن أخلاقك قد جمعت فيك عيوبا انضم عليك شملها (أخفق) خاب (مسعاك) طلبك ومشيك فى اكتساب الرزق (تلظيت) احترقت واشتعلت وهو تفعلت من اللظى (الأصفر) الدينار ونقشه الكتاب الذى فيه (تهتش) تخف وتهتز طربا (تغاممت) أظهرت الغم (ولا غم) أى ليس عندك غم على الحقيقة ، كان أبو الدرداء رضى الله عنه إذا رأى جنازة قال اغدى فانا رائحون أو روحي فانا غادون ، أبو عمرو بن العلاء قال : جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه ودع أمامة حان منك رحيل ، ثم طلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى هذه الجنازة قلت فلم تساب الناس ؟ قال يبدؤنى ثم لا أعفو وأعتدى ولا ابتدىء ثم أنشأ يقول :

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة هجمة لمغار ذئب فلما غاب عادت رائعات

وقال آخر :

وتعد كثرة من يموت تعجبا عما قريب سوف تدخل فى العدد
وأراك تحملهم ولست تردهم وكأنى بك قد حملت ولا ترد

تعاصِي النَّاصِحَ البَرّ   وتَعْتاصُ وتَزْوَرّ
وتَنْقادُ لِمَنْ غَرّ   ومَنْ مانَ ومَنْ نَمّ
وتَسْعَى في هَوَى النَّفْس   وتَحْتالُ على الفَلْس
وتَنْسَى ظُلْمَةَ الرَّمْسِ   ولا تَذْكُرُ ما ثَمّ
ولو لاحَظَكَ الحظ   لما طاحَ بكَ اللَّحْظ
ولا كُنْتُ إذا الوَعْظ   جَلا الأحْزانَ تَغْتَمّ
سَتُذْرِي الدَّمَ لا الدَّمْع   إذا عايَنْتُ لاجَمْع
يَقِي في عَرْصَةِ الجَمْع   ولا خالَ ولا عَمّ
كأنِّي بِكَ تَنْحَطّ   إلى اللَّحْدِ وتَنْغَطّ
وقَدْ أسْلَمَكَ الرَّهْط   إلى أضْيَقَ مِنْ سَمّ
هُناكَ الجِسْمُ مَمْدُود   لِيَسْتَأْكِلَهُ الدُّود
إلى أنْ يَنْخَرَ العُود   ويُمْسِي العَظْمُ قَدْ رَمّ

(تعاصى الناصح البر) أى تعاصى من ينصحك ويبرك (تعتاص) تتصعب وهو تفتعل من العصيان على القلب (تزور) تنقبض (غر) خدع (مان) كذب (نم) مشى بالنميمة (الرمس) القبر (لاحظك الحظ) نظرك السعد (طاح بك) أذهبك وأهلكك واللحظ النظر بمؤخر العين وقد لحظه لحظا ولاحظه ملاحظة وكاه من اللحاظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ (جلا) كشف (تذرى) تصب وترسل متفرقا ، أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى وجوههم كأنها جداول حتى تنقع الدموع فتسيل الدماء فلو أن السفن أجريت فى دموعهم لجرت (لاجمع) أى لا قبيل ولا عشير يحميك ولا يمنعك يوم القيامة (يقى) يمنع (عرصة الجمع) موضع اجتماع الناس فى الحشر (تنحط) تنزل (اللحد) حفير فى جانب القبر (وتنغط) تنضم وتنقبض يقال غططته فى الماء إذا أغرقته فيه وغمسته (أسلمك الرهط) تركك قومك (سم) عين الإبرة يريد ضيق القبر على الميت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ، وعن أنس رضى الله عنه قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه قلنا يارسول الله رأينا منك شأنا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة بنتى وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله تعالى قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين (ينخر) أى يبلى (العود) تابوت الميت (رم) بلى ، قال الفنجديهى : إلى أن ينخر العود أى إلى أن يبلى الجسم الناعم الذى هو مثل القضيب . . وقال الألبيرى :

ومِنْ بَعْـــدُ فلا بُد | مِنَ العَرْضِ إذا اعْتُـد
صِراطٌ جِسْرُهُ مُد | عَلَى النَّارِ لِمَنْ أم
فَكَمْ من مُرْشِدٍ ضَل | ومَنْ ذِي عِزَّةٍ ذَل
وكَمْ من عالِمٍ زَل | وقال الخَطْبُ قَدْ طَم
فَبادِرْ أيها الغُمْر | لِمَا يَحْلو بِهِ المر
فَقَدْ كادَ يَهِي العُمْر | وما أقْلَعْتَ عَنْ ذَم
ولا تَرْكَنْ إلى الدَّهْر | وإنْ لانَ وإنْ سَر
فَتُلْفَى كَمَنِ اغْتَر | بأفْعَى تَنْفُثُ السَّم
وخَفِّضْ من تَراقِيك | فإنَّ المَوْتَ لاقِيك
وسارٍ في تَراقِيك | وما يَنْكُلُ إنْ هَم
وجانِبْ صَعَرَ الخد | إذا ساعَدَكَ الجد
وزُمَّ اللَّفْظَ إنْ نَد | فَما أسْعَدَ مَنْ زَم

كأنى بنفسى وهى فى السكرات | تعالج أن ترقى إلى اللهوات
وقد زم رحلى واستقلت ركائبى | وقد آذنتنى بالرحيل حداتى
إلى منزل فيه عذاب ورحمة | وكم فيه من زجر لنا وعظات
ومن أعين سالت على وجناتها | ومن أوجه فى التراب منعفرات
وكم وارد فيه على مايسره | وكم وارد فيه على الحسرات

(اعتد) أى استعد روى أبو بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش فى النار فينجى الله برحمته من يشاء ، التقادع التهافت كأن كل واحد منهم يقدع صاحبه كى يسبقه (والجسر) بناء على النار يجاز عليه من جهة إلى أخرى (أم) قصد (مرشد) هاد (ضل) تحير (الخطب) الأمر الشديد (طم) عظم (الغمر) الجاهل بالأمور (والذى يحلو به المر) هو التوبة والأعمال الصالحة التى يصلح بها ما فسد (يهى) يضعف (أقلعت عن ذم) أى رجعت عن أمر مذموم ، وقال ابن عبد ربه :

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا | والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه | لا بد لله من إنجاز ما وعــدا

(لا تركن) تقول ركنت إلى فلان إذا اتخذته ركنا تلجأ إليه (تلفى) توجد (اغتر) انخدع (تنفث) تبصق عند لدغها (خفض) سكن (تراقيك) ارتفاعه وتكبرك (سار) ماش (والتراقى) العظام المعوجان على الصدر (ينكل) يضعف وينقطع (إن هم) إن أرادك وهم بك وفى معنى هذا قول أبى نواس قال غانم الوراق دخلت

وَنَفِّسْ عن أخي البَثّ ... وصَدِّقْهُ إذا نثّ
ورُمَّ العَمَلَ الرَّثّ ... فَقَدْ أفْلَحَ مَنْ رَمّ
ورِشْ مَن رِيشُهُ انْحَصّ ... بِمَا عَمَّ ومَا خَصّ
ولاَ تَأْسَ على النَّقص ... ولا تَحْرِصْ على اللَّمّ
وعادِ الخُلُقَ الرَّذْل ... وعَوِّدْ كَفَّكَ البَذْل
ولا تَسْتَمِعِ العَذْل ... ونَزِّهْهَا عَنِ الضَّمّ

عليه قبل وفاته بيوم فقال لى أمعك ألواحك قلت نعم قال اكتب :

درب فى السقام سفلا وعلوا ... وأرانى أموت عضوا فعضوا
ليس تمضى من لحظة لى إلا ... نقصتنى بمرها بى جزوا
ذهبت جدتى بطاعة نفسى ... وتذكرت طاعة الله نضوا
لهف نفسى على ليال وأيا ... م تجاوزتهن لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الاساءة فاللهم ... صفحا عنا وغفرا وعفوا

(نفس) أى وسع نفسه كأنه خنق فضاق نفسه فأمر بحله (أخى البث) صاحب الحزن (نث) نطق وكشف لسره (رم) أصلح وقد رممت الشيء رما أصلحته (الرث) الخلق (رش) اجعل له ريشا (انحص) انتتف ريشه تقول رشت الرجل أى أعنته وأغنيته (بماعم وماخص) أى كثر من العطية وقل (تأس) تحزن (على النقص) أى على النقصان فى الصدقة والمعروف ولا تكن أيضاً حريصا على جمعه ومنه ممن احتاج إليه (اللهم) جمع المال ولممت الشيء لما (الر ذل) الرديء يريد عاد اخلاق البخل أو الخلق السوء . عائشة رضى الله عنها قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسيء إلا وله توبة الا صاحب سوء الخلق لانه لا يتوب من ذنب إلا عاد فى شر منه (البذل) العطاء وبذلت الشيء بذلا أى أبحته عن طيب نفس (العذل) اللوم أى من لامك على العطاء لاتسمعه وأعط . . وأحسن ماقيل فى رد العذل على كثرته قول زهير :

وأبيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ماتغب فواضله
بكرت إليه غدوة فرأيته ... قعودا إليه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه ... وأعيى فما يدرين أين مقاتله
فأقصرن فيه عن كريم مرزء ... صبور على الأمر الذى هو فاعله

(نزهها) أى باعدها (عن الضم) أى عن ضم الاصابع على مافى الكف يقول ابسط كفك بالعطية ولا تقبضها على ما فيها شحا , قال عبدربه :

ياقابض الكف لازالت مقبضة ... فما أناملها للناس أرزاق
وغب إذا شئت حتى لاترى أبدا ... فما لفقدك فى الاحشاء إحراق

وزَوِّدْ نفسكَ الخيرَ   ودَعْ ما يُعقِبُ الضَّيرَ
وَهيِّئْ مركَبَ السَّيرِ   وخَفْ من لُجّةِ اليَمِّ
بذا أُوصيتُ ياصاحِ   وقد بُحتُ كمَن باحَ
فَطوبى لِفتًى راحَ   بآدابي يأتَمّ

ثم حَسَرَ رُدْنَهُ عن ساعدٍ شديدِ الأَسْرِ قدْ شدَّ عليهِ جبائرَ المـكْرِ لا الـكَسرِ ، مُتعرِّضاً للاسْتِماحَة

كأنه قلب بيت ابن دريد فى رجل من أهل البصرة :

يامن يقبل كف كل ممخرق   هذا ابن يحيى ليس بالمخراق
قبل أنامله ولسن أناملا   لـكنهن مفاتح الارزاق

أخذه ابن دريدمن إبراهيم بن العباس الصولى يمدح الفضل بن سهل :

لفضل بن سهل يد   تقاصر عنها المثل
فبسطتها للغى   وسطوتها للأجل
وباطنها للندى   وظاهرها للقبل

وسرقه ابن الرومى فقال :

أصبحت بين خصاصة ومذلة   والحر بينهما يموت ذليلا
فامدد إلى يدا تعود بطنها   بذل النوال وظهرها التقبيلا

وقال ابن عبد ربه :

وما خلقت كفاه إلا لاربع   عقائلا لم يعقل لهن ثوانى
لتقبل أفواه وإعطاء نائل   وتقليب هندى وحبس عنان

(ودع مايعقب الضير) أى دع عنك شيا يجيئك فى أثر ضرر (المركب) السفينة هنا (اليم) البحر (واللجة) معظم الماء وجعل الميت كالمسافر وضرب له بالبحر مثلا لـكثرة مايرى من الأهوال فأمره بالاستعداد لذلك (ياصاح) ياصاحب (بحت) نطقت يريد أن كل ماقدم من الوصية إنما هو على وجه النصح كما هو بها قبل ذلك وأراد بقوله صاح كل من يسمع وصيته لاصاحبا معينا (طوبى) شجرة فى الجنة وهى عندهم فعلى من الطيب (يأتم) يقتدى بها فى الظاهر يريد أنه اقتدى بهذه الوصية طوبى له ، وهو يريد من حصل آداب المقامات كلها رأس (حسر) أى كشف (ردنه) كمه (الاسر) الخلقة ومنه قوله تعالى وشددنا أسرهم أى خلقهم وهو من الاسار ، وهو القد الذى يشد به الاسير فشرك الجلد هى الاسار ويراد بها فى الخلقة العصب التى يشتد بها الجسدوتلتئم بها الاعضاء وإليها حكم حركة البدن من القيام والقعود فسبحان الذى أنشأ الخلقية كيف شاء (الاستماحة) الطلب استفعالة من ماح الرجل يميحه إذا أعطاه وأصل ذلك من المائح وهو النازل فى قعر البئر

فى مِعْرَضِ الوَقاحَة ، فاحْتَلب بهِ أولئكَ المَلا ، حتى أتْرَعَ كُمَّهُ ومَلا ، ثم انْحَدَرَ من الرَّبْوَة . جَذِلاً بالحَبْوةِ

قال الراوى : فَجاذَبْته من ورائِهِ ، حاشِيَةَ ردائِه ، فالتفتَ إلىَّ مُسْتَسْلِما ، وواجهَنِى مُسَلِّما ، فإذا هُوَ شَيْخُنا أبو زَيْدٍ بعَيْنِه ومَيْنِه ، فقلتُ لهُ :

إلى كمْ يا أبا زَيْد أفانِينُكَ فى الكَيْد
لِيَنْحاشَ لكَ الصَّيد ولا تَعْبأ بِمَنْ ذَم

فأجابَ من غيرِ اسْتِحْياء ، ولا ارْتياءِ ، وقال :

تبَصَّرْ ودَعِ اللَّوْم وقُلْ لِى هَلْ تَرَى اليَوْم
فَتًى لا يَقْمُرُ القومْ مَتَى ما دَسْتُهُ تَم

فقلتُ له بُعداً لكَ يا شَيْخَ النَّار وزامِلَةَ العار ، فما مِثْلُكَ فى طُلاوةِ عَلانِيَتِك ، وخُبْثِ نِيَّتِك ، إلاَّ مِثْلُ رَوْثٍ

ليغرف ماءها ويفرقه على دلاء المستقين وقد ماح البئر ميحا (الوقاحة) ترك الحياء وصلابة الوجه ، من الحافر الوقاح وهو الصلب ، ومعرضها موضع عرضها ونشرها وإن كسرت الميم وفتحت الراء فهو ثوب الوقاحة لبسه لأن المعرض الثوب الذى تعرض فيه الجارية للبيع والوقاحة إظهار ذراعه صحيحا مشدودا عليه بخرق ليوهم من رآه أنه مكسور (احتلب) خدع واحتلب بالحاء حلب ماعندهم كما تحلب الشاة (الملأ) الجماعة (أترع) ملأ (انحدر) هبط والربوة لغة فى الرباوة التى تقدمت (جذلا) مسرورا (الحبوة) العطية (جاذبته) نازعته (مينه) كذبه (أفانينك) أنواع كذبك وحيلك (ينحاش) ينضم ويجتمع وحشت الصيد أحوشه إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة (تعبأ) أى لاتبالى من عبأت الحلم للجهل والخيل للحرب إذا استعددت وإذا لم يبال بالشىء لم يستعد (ارتياء) إبطاء وهو افتعال من رؤية القلب التى معناها التدبر والتفكر وأصل بابه الهمزة فنقلها لمكان همزة اللام يقول أجاب من غير فكرة (يقمر) يغلب وتقول قامرت الرجل قمارا فقمرته أقمره أى غلبته (دسته) أى حيلته والدست الذى يكون لك فيه الغلب فى الشطرنج تقول الدست لى والدست على ومن ألفاظ عامة المشرق أن يقول الرجل لصاحبه علم تأخذ دستا (تم) كمل (زاملة) أى حاملة والزاملة الدابة يحمل عليها (طلاوة علانيتك) أى حسن ظاهرك (خبث نيتك) فساد باطنك ، وفى معنى هذا قال لقمان لابنه : احذر واحدة وهى أهل للحذر: إياك أن ترى أنك تخشى الله وقلبك فاجر ، يحذره من الرياء .. وفى الحديث من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، وقيل لرجل مراء ما أحسن صلاتك قال ومع هذا فانى صائم قال الشاعر :

وإذا أظهرت شيأ حسنا فليكن أحسن منه مايسر
فمسر الخير موسوم به ومسر الشر موسوم بشر

وقال محمود الوراق لابن أخيه :

تصوف كى يقال له أمين وما معنى التصوف والأمانه
ولم يرد الإله به ولكن أراد به الطريق إلى الخيانه

مُفَضَّض ، أو كَنيف مُبَيَّض . ثم تَفرَّقنا فانطلقتُ ذاتَ اليمين وانطلَق ذاتَ الشِّمال ، وناوَحْتُ مَهَبَّ الجَنوب وناوحَ مَهَبَّ الشَّمال .

وقال فيه أيضا : شمر ثيابك واستعد لقائل واحكك جبينك للقضاة بثوم
وعليك بالغنوى فاجلس عنده حتى تصيب وديعة ليتيم

وقال الأبيض الالبيرى :

أهل الرياء لبستم ناموسكم كالذئب يصبح فى الظلام العاتم
فلكتم الدنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال بأشهب وبأصبغ صبغت لكم فى العالم

وقال آخر : لا شىء أخسر صفقة من عالم لعبت به الدنيا مع الجهال
فغدا يفرق دينه أيدى سبا ويذيله حرصا لجمع المال
لخذ الكفاف ولا تكن ذا فضلة فالفضل تسئل عنه أى سؤال

(مفضض) مطلى بالفضة (والكنيف) المستراح (ذات) جهة وناحية (ناوحت) قابلت (مهب) ناحية هبوبها (الجنوب) الريح القبلية (الشمال) مقابل الجنوبية .

تم الجزء الأول بحمد الله وعونه
ويليه الجزء الثانى
وأوله شرح المقامة الثانية عشرة

فهرست الجـــزء الأول

شرح مقامات الحريري البصري

للامام الأديب الشيخ العلامة

ابى العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى

المتوفى ٦٢٠ هـ — ١٢٢٢ م

أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه

محمد عبد المنعم خفاجى

الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف

الجـــزء الثانى

الطبـــعة الأولى

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨

المراسلات : مصر صندوق بوستة الغورية رقم ١٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على نبيه الذى اصطفى

المقامة الثانية عشرة الدمشقية

حكى الحارثُ بنُ هَمَّامٍ قال: شَخَصْتُ منَ العِراقِ إلى الغُوطَة ، وأنا ذُو جُرْدٍ مَرْبُوطَة ، وجِدَةٍ مَغْبُوطَة يُلْهِينِى خُلُوُّ الذَّرْعِ ويَزْدَهِينِى حُفُولُ الضَّرْعِ . فلما بَلَغْتُها بَعْدَ شِقِّ النَّفْس ، وإِنْضَاء

شرح المقامة الثانية عشرة

(شخصت) أى خرجت (الغوطة) موضع بالشأم خصيب بخارج دمشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم الشأم فعليكم بمدينة يقال لها دمشق هى خير مدائن الشأم ؛ وفسطاط المؤمنين بأرض منها يقال لها الغوطة . قال الأصمعى أحسن أنهار الدنيا ثلاثة أنهار الغوطة وسمر قند ونهر الابله وهو قريب من البصرة ؛ وحشوشها ثلاثة عمان وأردبيل وهيت؛ وسميت دمشق باسم صاحبها الذى بناها وهى ارم ذات العماد. وقال اليعقوبى مدينة دمشق جليلة المقدار قديمة وهى مدينة الشأم فى الجاهلية والأسلام وليس لها نظير فى جميع بلاد الشأم فى أنهارها وبساتينها ومبانيها وكثرة عمارتها وافتتحت فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة أربع عشرة . وقال شيخنا ابن جبير مدينة دمشق هى جنة المشرق ومطلع حسنه المونق وعروس المدن قد تحلت بأزاهير الرياحين وتجلت فى حلل سندسية من البساتين وحلت من موضع الحسن بمكان مكين وتجلت فى منصتها بأجمل تزيين وتشرفت بأن آوى الله المسيح وأمه منها الى ربوة ذات قرار ومعين ظل ظليل وماء سلسبيل ينساب انسياب الأراقم بكل سبيل ورياض تحيي النفوس بنسيمها العليل تبرز لناظريها بمجتلى صقيل وتناديهم ألا هلموا إلى معرس للحسن ومقيل وقد سئمت أرضها كثرة الميــاه حتى اشتاقت إلى الظمأ فتـكاد تناديك بها الصم الصلاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب قد أحدقت البساتين بها احداق الهالة القمر واكتنفتها اكتناف الأكمام للزهر وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر فكل موقع لحظته بجهاتها الأربع نضرته اليانعة قيد النظر ولقد صدق القائلون عنها إن كانت الجنة فى الأرض فدمشق لاشك منها وإن كانت فى السماء فهى بحيث تساميها وتحاذيها . .وقال فيها البحترى :

إذا أردت ملأت الطرف من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا
يمشى السحاب على أجبالها فرقا ويصبح النبت فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفا خضلا ويانعا خضرا أوطائرا غردا
كأنما القيظ ولى بعد وقدته أوالربيع دنا من بعد مابعدا

(جرد) أى خيل قصيرة شعر الجسد (جدة) غنى (مغبوطة) محسودة أراد مغبوط عليها مالكها فقلب (يلهينى)يدعونى الى اللهو(خلو الذرع) فراغ البال والصدرمن الهم (يزدهينى)يحملنى على الزهو(حفول الضرع) كثرة المال والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدى للمرأة وحفوله امتلاؤه باللبن (شق) مشقة (انضاء) هزال

العَنْس ، أُلْفِيتُها كما تَصِفُهَا الأَلسُن ، وفيها تَشْتَهى الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأعيُن ، فَشَكَرْتُ يَدَ النَّوى ، وجَرَيْتُ طَلَقًا مَعَ الهوَى وطَفِقْتُ أَفُضُّ فيهَا خُتومَ الشَّهوات ، وأجْتَنى قُطُوفَ اللَّذَّات ، إلى أنْ شَرَعَ سَفْرٌ فى الإعْرَاق ، وقَدِ اشْتَفَقْتُ مِنَ الإغْراق ، فعادَنى عِيدٌ من تَذْكارِ الوَطَن ، والحَنِينِ إلى العَطَن ، فَقَوَّضْتُ خِيامَ الغَيْبَة ، وأَسْرَجْتُ جَوادَ الأَوْبَة ، ولمَّا تَأَهَّبَتِ الرِّفاق ، واسْتَتَبَّ الاتِّفَاق ، أَلْحَنَا مِنَ المَسِير دُونَ اسْتِصْحابِ الخَفير ، فَرُدْنَاهُ مِنْ كلِّ قَبيلَةٍ ، وأَعْمَلْنا فى تَحْصِيلِهِ أَلفَ حِيلَة ، فأعْوَزَ وُجْدانُهُ فى الأَحْياء ، حتى خِلْنا أنَّهُ لَيسَ مِنَ الأَحْياء ، فَحَارَتْ لِعَوَزِهِ عُزُومُ السَّيَّارَة ، وانْتَدَوْا بِبابِ جَيْرُونَ

(العنس) الناقة القوية (ألفيتها) وجدتها (النوى) البعد والانتقال من بلد وأراد أنه شكر سفره (ويد النوى) النعمة التى أنعم بها عليه بن أوصله إلى الغوطة (الهوى) ما تهواه النفس وتشتهيه (طفقت) أخذت (أفض) أكسر (ختوم) ربوط يريدان شهوته التى قد كانت قد شدت وربطت أخذ يكسر ختومها ويسرحها فى المآكل والمشارب واللذات (اجتنى) أجمع جناه (قطوف) مايجنى من الثمار وجعله للذات اتساعا (شرع) أخذ وامتد أمز شرعت الدابة فى الماء إذا دخلته لتشرب (سفر) مسافرون (الاعراق) المشى الى العراق (أشفقت) خفت (الاغراق) الفقر من أجل الزاد والمأكل وكأنه غرق فى ذلك فهو يرجع الى الغرق والاغراق المبالغة فى الشىء يقال أغرق الرجل فى القول والرمى بالقوس إذا بالغ فيهما (عادنى) زارنى (عيد) شوق وكل ما تذكرنه واشتقت اليه عيد كأنه عاد الى قلبه بعد نسيانه ونقل لفظ الشاعر :

عاد قلبى من الطويلة عيد واعترانى من حبها تسهيد

ابن الانبارى : العيد هنا الوقت الذى يعود فيه الحزن والشوق . . وقال تأبط شرا :

يا عيد يالك من شوق وابراق ومر طيف على الأهوال طراق

العيد مايعتاد من الحزن والشوق ومعنى يالك من شوق ما أعظمك من شوق (الحنين) الشوق (العطن) مبارك الابل حول الماء وأراد به بلده (قوضت) هدمت (خيام) بيوت (الأوبة) الرجوع وأراد قطعت أسباب الإقامة (استتب) تهيأ وأقام (الحنا) خفنا (الخفير) المجير وهو الذى تمشى الرفاق فى ذمته وتسمية العامة الفقير (ردناه) طلباه (أعوز) عدم . . والاحياء الأول القبائل والثانى ضد الموتى (حارت) حالت (لعوزة) تغيرت لفقده (عزوم) جمع عزم وهو الجد (السيارة) الرفقة وهى فعالة من السير (انتدوا) اجتمعوا (باب جيرون) من أبواب جامع دمشق وجيرون هذ هو جيرون بن سعد بن عاد وهو الذى بنى دمشق ونقل اليها الرخام وسماها ارم وعلى هذا نقله الأخبار أن ارم ذات العماد هى دمشق يقال إنه كان فيها أربعمائة الف عمود وقد تقدم أيضا أن دمشق سميت باسم بانيها وهو دماشق بن نمروذ بن كنعان وقيل بانيها دمشق بن عابر بن لمك بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، قال اليعقوبى : جامع دمشق ليس فى الاسلام أحسن منه بناه الوليد بن عبد الملك فى خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين مفروش بالرخام الأبيض المختم بالأزرق وسقفه لاخشب فيه مذهب كله ومنائره ثلاث الواحدة فى مؤخر المسجد مذهب كلها من أعلاها الى أسفلها . وذكر شيخنا ابن جبير فى وصف هذا

الجامع ووصف دمشق غرائب لا يتسع لها هذا الكتاب، فلنلم هنا ببعض ما وصف فى هذا الجامع لنفى بشرطنا، قال: هذا الجامع من أشهر جوامع الاسلام حسنا واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين ومن عجيب شأنه أنه لا يلم به نسج العنكبوت ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف انتدب لبنائه الوليد ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثنى عشر الف صانع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد فى ذلك إن توقف فامتثل أمره مذعنا فشرع فى بنائه وبلغت الغاية فى التأنق فيه وأنزلت جدره كلها بفصوص الذهب المعروفة بالفسيفساء وخلطت بها أنواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت أشجارا وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ببديع الصنعة المعجزة وصف كل واصف فجاء يغشى العيون وميضا وبصيصا وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار، وكان أبو عبيدة الجراح رضى الله عنه صالح النصارى لما دخلها بأن أخذ نصف الكنيسة الشرقى فصيره مسجدا وبقى النصف الغربى للنصارى فأخذه الوليد وأدخله فى الجامع بعد أن رغب اليهم أن يعوضهم عنه فابوا فأخذه قهرا وكانوا يزعمون أن من يهدم كنيستهم يجن فبادر الوليد وقال أنا أول من يجن فى الله وبدأ الهدم بيده فبادر المسلمون فأكملوا هدمها ثم أرضاهم عمر بن عبد العزيز فى خلافته عن الكنيسة بمال عظيم، وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذرعه مائتا خطوة وهى ثلثمائة ذراع وذرعه فى السعة من القبلة إلى الشمال مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائة ذراع وتكسيره بالمرجع المغربى أربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم غير أن طوله من القبلة الى الشمال وبلاطاته المتصله بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة وقامة البلاطات على ثمانية وستين عمودا منها ثمانية أرجل تتخللها واثنتان مرخمة ملصقة بالجدار الذى يلى الصخرة وأربعة أرجل مرخمه أبدع ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نظمت خواتيم وصورت محاريب وأشكالا غريبة قائمة فى البلاط الوسط دور كل رجل منها اثنان وسبعون شبرا ويستدير بالصحن بلاط من ثلاث جهاته سعته عشر خطا عدد قوائمه سبعة وأربعون منها أربعة عشر رجلا والباقى سوار وسقف الجامع كله من خارج ألواح رصاص وأعظم مافيه قبة الرصاص المتصلة بالمحراب وهى سامية فى الهواء عظيمة الاستدار وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من المحراب الى الصحن والقبة قد أغصت الهواء فاذا استقبلتها رأيت مرأى هائلا ومن أى جهة استقبلت البلد ترى القبة فى الهواء كأنها معلقة فى الجو وعدد شماساتها الزجاجية المذهبه الملونة أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها بها انعكس الشعاع إلى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلى ويتصل بالأبصار منها أشعة ملونة هائلة لا يبلغ العبارة تصورها ومحرابه من أعجب المحارب الإسلامية حسنا وغرابة صنعة يتقد ذهبا كله قد قامت فى وسطه محاريب صغار متصلة بجداره تحفها سوريات مفتولات فتل الأسورة فانها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان لم ير شيء أجمل منها وفيها ثلاث مقاصير مقصورة معاوية وهى أول مقصورة وضعت فى الاسلام طولها أربعة وأربعون شبرا وعرضها نصف الطول ويليها بجهة الغرب المقصورة التى أحدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهى اكبر والثالثة بالجانب الغربى يجتمع الحنفية فيها للتدريس وله أربعة أبواب باب قبلى يعرف بباب الزيارة وباب شمالى يعرف بباب الناطفين وباب غربى يعرف بباب البريد وباب شرقى يعرف بباب جيرون وهو أعظمها وله وللغربى دهاليز متسعة يفضى كل دهليز منها إلى باب

لِلاسْتِشَارَة ، فمَا زالُوا بَيْنَ عَقدٍ وحَل ، وشَزْرٍ وسَحْل ، إلى أنْ نَفِدَ التّناجي ؛ وقَنَطَ ، وكانَ جِذّتَهم

عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها ثم ذكر فى الصحن عجائب من الآبنية والقباب والصوامع الثلاث والمياه المدبرة فيما يطول وصفه، واختصاره أنه قال : هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل البلد ومفترجهم ومتنزههم كل عشية تراهم فيه ذاهبين وراجعين من باب جيرون إلى باب البريد لا يزالون على هذه الحالة إلى انقضاء صلاة العشاء الأخيرة منهم من يتحدث مع صاحبه ومنهم من يقرأ فهذا دأبهم أبدا بالعشى والغداة والأحفل بالعشى وأهل البطالة يسمونهم الحرائين ، وللجامع أربع سقايات فى كل جهة سقاية وأعظمها سقاية باب جيرون وذكر أن حول باب جيرون من الآبنية الغريبة ما يطول وصفه ، وذكر باب جيرون فقال يخرج من دهليزه إلى بلاط طويل عريض له خمسة أبواب مقوسة لها ستة أعمدة فى جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه قبل أن ينقل إلى القاهرة بإزائه مسجد صغير لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقد انتظمت امام البلاط أدراج ينحدر عليها إلى الدهليز وهى كالخندق العظيم تتصل إلى باب عظيم الارتفاع يتحير الطرف دونه سموا قد حفته أعمدة كالجذوع طولا وكالأطواد ضخامة وبجانبي الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء مشرفة على الدهاليز وفوقها سطح يبيت فيه سكان الجحر والبيوت وفى وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تقلها أعمدة من الرخام وفى وسط الحوض أنبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع فى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار ترمى الماء علواً فتخرج منها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أبدع من أن يوصف وعن يمين الخارج من باب جيرون فى جدار البلاط الذى أمامه شبه غرفة بها هيئة طاق كبير مستدير فيه طبقان من صفر وقد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ودبرت تدبيرا هندسيا فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر من فمى بازيين من صفر قائمين على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان أعناقهما للصنجتين إلى الطاستين ويقذفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحرا فعند وقوعهما يسمع لها دوى فيعودان من الأثقاب إلى داخل الجدار إلى الغرفة وينغلق الباب تلك الساعة بلوح أصفر فلا يزال كذلك حتى تنقضى الساعات فتنغلق الأبواب كلها ثم تعود إلى حالاتها الأولى ولها بالليل تدبير آخر وذلك أن فى القوس المنعطف على الطبقان المذكور اثنتى عشرة دائرة من النحاس مخرمة فى كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وأفاض على الدائرة شعاعاً فلاحت دائرة محمرة ثم ينتقل إلى الأخرى حتى تنقضى ساعات الليل وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الأبواب ويسرح الصنج إلى موضعه وهى التى تسمى الميقاته ، ثم ذكر فى باب جيرون وفى الجامع وفى خارج البلد عجائب ليست من شرطنا ، وإنما ذكرنا منها مادعت إليه الحاجة من ذكر باب جيرون (الاستخارة) أى طلب الخيرة واستخرت الله سألته أن يهب لى الخيرة (شزر) عقد (سحل) حل وشزرت الحبل شزرا شددت فتله وسحلت النسج سحلا أفردت سداه ولم تفتله (نفد) تم وفرغ (التناجي) التحدث

شخصٌ مِيسَمُهُ مِيسَمُ الشُّبّان ، ولَبُوسُهُ لَبُوسُ الرُّهْبان ، وبِيَدِهِ سُبْحَةُ النِّسْوان ؛ وفي عَيْنِهِ تَرْجَمَةُ النَّشْوان ، وقد قَيَّدَ لَحْظَهُ بِالْجَمعِ ، وأرْهَفَ أُذُنَهُ لاسْتِرَاقِ السَّمْعِ ، فلمَّا آنَ انْكِفاؤُهُمْ ، وقد بَرِحَ لَهُ خَفاؤُهُمْ قال لَهُمْ يا قَوْمِ لِيُفْرِخْ كَرْبُكُم ولْيَأْمَنْ سِرْبُكُم ، فَسَأَخْفُرُكُم بِمَا يَسُرُّ رَوْعَكُمْ ، ويَبْدُو طَوْعَكُم

قال الراوى : فاسْتَطْلَعْنا منه طِلْعَ الخِفارَة ، وأسْنَيْنالهُ الجَعالَةَ عَنِ السِّفارَةِ ، فَزَعَمَ أنَّها كَلِماتٌ لُقِّنَها فى المنام ، لِيَحْتَرِسَ بِها من كَيْدِ الأنام ، فَجَعَلَ بَعْضُنا يُومِضُ إلى بَعْض ، ويُقَلِّبُ طَرْفَيْهِ بَيْنَ لَحْظٍ وغَض ؛

سرا (قنط) يئس (الراجى)الطامع (حذتهم) قريبا منهم تقول دارى حذوه وحذوته وحذته أى حذاءه(ميسمه) علامته وأصل الميسم الموشم لأنه من وسمت الشىء فقلبت الواوياء لسكونها وكسر ما قبلها (لبوسه) ثيابه (الرهبان) العباد والترهب ترك النساء (سبحة) خيط ينظم فيه خرز يعد به التسبيح وكانت لأبى هريرة رضى الله عنه سبحه من النوى المجزع وهو الذى حل حتى اختلف لونه وفرغ من سبحته أى من صلاته وما يتبعها من الذكر (ترجمة) علامة (النشوان) السكران (قيد لحظه) ربط نظره أى شخص فيهم (أرهف) أحد (آن) حان وقرب ويروى ناء مقلوب آن (انكفاؤهم) انقلابهم ورجوعهم (برح) انكشف (خفاؤهم) سرهم (ليفرج كربكم) ليزول ويسكن ومثل العرب أفرخ روعك ومعناه انجلى وانكشف كما ينكشف ما فى البيضة إذا انشق عن الفرخ وقيل معنى أفرخ ذهب وقال الفارسى فى التذكرة معنى أفرخ روعك صار له فرخ وإذا أفرخ الطائر طار لأنه فارق الحصن وهذا قول حسن وقال عروة بن مضرس أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بجمع قبل أن يصلى الصبح فقلت يارسول الله طويت الجبلين ولقيت شدة فقال أفرخ روعك من أدرك أفاضتنا هذه فقد أدرك الحج وقال الأخطل يصف الثور والكلاب :

حتى إذ ما الثور أفرخ روعه وأفاق أقبل نحوها يتذمر
أضما وهزلهن روقى رأسه أن قد أتيح لهن موت أحمر

فقوله أفاق بعد أفرخ روعه يدل على أنه أراد ذهب فزعه وزال ويتذمر يحض نفسه على الأقدام يقال ذمرته إذا حضضته وأضما اى غضبان والموت الأحمر مذكور فى المقامة بعد هذه (قوله كربكم) أى همكم (سربكم) أى جمعكم أى تأمنوا فى نفوسكم (سأخفركم) سأجيركم (يسر) يكشف ويزيل (روعكم) فزعكم (يبدو) يظهر (طوعكم) منقاداً لكم وأراد سأجيركم بشىء يزيل عنكم الفزع ويكون منقاداً لكم وذلك الشىء هو الكلمات التى يأتى بها (استطعنا منه طلع الخفارة) أى استخبرناه عن خبر الأجازة ، قال ابن الأنبارى : معنى السفارة فى كلامهم الاصلاح والسفير المصلح قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومى وما أمشى بغش إن مشيت

(وأسنينا له الجعالة عن السفارة) أى كثرنا له العطاء ليدلنا على المجير وأن يكون رسولا بيننا وبينه ويمكن أن تكون السفارة فعالة من لفظ السفير فيكون اسما للحرفة كالنجارة والخياطة (لقنها) حفظها (ليحترس) ليمتنع (يومض) يشير (الحظ) نظر بطرف عينيه (غض) كسر النظر أى جعلوا يتغامزون عليه استضعافا لخبره

وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّا اسْتَضْعَفْنَا الْخَبَرَ، وَاسْتَشْعَرْنَا الْخَوَرَ. فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ اتَّخَذْتُمْ جِدِّي عَبَثًا؛ وَجَعَلْتُمْ تِبْرِي خَبَثًا، وَلَطَالَمَا وَاللهِ جُبْتُ مَخَاوِفَ الْأَقْطَارِ، وَوَلَجْتُ مَقَاحِمَ الْأَخْطَارِ، فَغَنِيتُ بِهَا عَنْ مُصَاحَبَةِ خَفِيرٍ، وَاسْتِصْحَابِ جَفِيرٍ، ثُمَّ إِنِّي سَأَنْفِي مَا رَابَكُمْ، وَأَسْتَنْسِلُ الْحَذَرَ الَّذِي نَابَكُمْ، بِأَنْ أُوَافِقَكُمْ فِي الْبَدَاوَةِ؛ وَأُرَافِقَكُمْ فِي السَّمَاوَةِ. فَإِنْ صَدَقَكُمْ وَعْدِي، فَأَجِدُّوا سَعْدِي؛ وَأَسْعِدُوا جَدِّي. وَإِنْ كَذَبَكُمْ فَمِي؛ مَزِّقُوا أَدَمِي؛ وَأَرِيقُوا دَمِي

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأُلْهِمْنَا تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ، وَتَحْقِيقَ مَا رَوَاهُ فَنَزَعْنَا عَنْ مُجَادَلَتِهِ؛ وَاسْتَهَمْنَا عَلَى

(اشتشعرنا الخور) أى ظهر علينا الفزع والضعف من كلامه (العبث) اللعب (تبرى) ذهبى والتبر كل ما لم يصنع من الجواهر من نحاس وغيره (خبثا) فاسدا (جبت) قطعت (مخاوف) مواضع الخوف (الأقطار) نواحى الأرض (ولجت) دخلت (مقاحم) مهالك والقحمة الأمر العظيم لا يركبه أحد لهوله (الأخطار) جمع خطر وهو الغرر (جفير) جعبة السهام (رابكم) شككم (أستنسل) أزيل (الحذر) الخوف (نابكم) قصدكم (أوافقكم) أساعدكم وأمشى معكم مصاحبا لكم (أرافقكم) أسافر معكم والرفيق الصاحب فى السفر (السماوة) مفازة بين الشام والعراق وسماوة كل شىء شخصه وبذلك سميت السماوة لأنها منازل ثمود وفيها إلى الآن أشخاص منازلهم وآثارهم (أجدوه) ردوه ذا جد وهو السعد والحظ والمعنى أنه يقول إن كان سعدى قليلا فاجدوه أى كثروا حظه بعطيتكم حتى يعود صاحبه كثير السعد وكذلك يقدر (اسعدوا جدى) فيريد إن صدقتكم وعدى وسلمتم فهبوا لى من أموالكم ما يتقوى به سعدى الضعيف ويكثر حظى القليل ويقال أيضا أجد الشىء إذا صيره جديدا (مزقوا) قطعوا (ادمى) جلدى (اريقوا) صبوا (الهمنا) أى التى فى قلوبنا (نزعنا) اقلعنا (مجادلته) مخالفته (استهمنا) ضربنا السهام وتخاطرنا على من يركب معه رفيقا (معادلته) الركوب معه فى المحمل وهو أن يركب هذا فى الأيمن وهذا فى الأيسر مأخوذة من العد. ونذكر هنا حكاية مضحكة تزيد المعادلة بيانا، كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكاف وكان عجب الصورة والحديث فقال المعتصم لابن حماد اذهب إلى ابن الجنيد وقل له يتهيأ ليزاملنى فأتاه فقال له تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين فان مزاملة الخلفاء كبيرة فقال كيف اتهيأ لها أصيب رأسا غير رأسى اشترى لحية غير لحيتى قال ابن حماد شروطها الامتناع بالحديث والمذاكرة والمنادمة وأن لا تبصق ولا تسعل ولا تمخط ولا تتنحنح وأن تتقدم فى الركوب إشفاقا عليه من الميل وأن يتقدمك فى النزول فتى لم يفعل هذا المعادل كان ومثقله الرصاص التى يعد بها القبة واحدا فقال لابن حماد اذهب قل له ما يزاملك إلا من أمه زانية فرجع إلى والمعتصم لا أعلمه فضحك وقال على به فلما جاء قال يا على ابعث اليك أن تزاملنى فلا تفعل فقال له إن رسولك هذا الأرعن جاءنى بشروط حسان السامى وخالويه الحاكى فقال لا تبصق ولا تعطس وجعل يقرقع بصاداته وهذا لا أقدر عليه فان رضيت أن أزاملك فاذا جاءنى الفساء والضراط فسوت وضرطب وإلا فليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وقال نعم زاملنى على هذه الشروط فساروا ساعة فلما تسط البر قال يا أمير المؤمنين قد حضر ذلك المتسامح قال ذلك اليك قال يحضر ابن

مُعادَلَتِه ؛ وفَصَمْنا بِقَوْلِهِ عُرَى الرَّبائِث ، وأَلْغَيْنا اتقاء العابِث العائِث ، ولَمَّا عُكِمَتِ الرِّحال ؛ وأَزِفَ الترحال ، اسْتَنْزَلنا كَلِماتِهِ الرَّاقِيَة ، لِنَجْعَلَها الوَاقِيَةَ الباقِيَةَ ، فقال : لِيَقْرَأْ كُلٌّ مِنكُمْ أُمَّ القُرْآن ، كُلَّما أَظَلَّ المَلَوان . ثم لْيَقُلْ بِلِسانٍ خاضِع ، وصَوْتٍ خاشِع ، اللَّهُمَّ يامُحْيِي الرُّفات ؛ ويادافِعَ الآفات ، وَيَاوَاقِيَ المَخافات ، ويا كَرِيمَ المُكافاة ، ويامَوْئِلَ العُفَاة ؛ ويَاوَلِيَّ العَفْوِ والمُعافاة ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خاتَمِ أَنْبِيائِكَ ، ومُبَلِّغِ أَنْبائِكَ ، وعلى مَصابِيحِ أُسْرَتِهِ ، ومَفاتِيحِ نُصْرَتِهِ ، وأَعِذْنِي من نَزَغاتِ الشَّياطِين ، ونَزَواتِ السَّلاطِين وإِعْناتِ الباغِين ،

حماد فخضر فناوله كمه فقال أجد فى كمى دبيب شىء فانظر ما هو فدخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال ما أرى شيأ ولكنى أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفا والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب وابن الجنيد يفسو فساء متصلا ويقول لابن حماد قلت لى تسعل أو لاتمخط فخريت عليك ثم قال قد نضجت القدر وأريد أخرأ فأخرج المعتصم رأسه من العمارية حين كثر عليه الضحك وصاح ويلك ياغلام الأرض الساعة أموت (فصمنا) أى قطعنا وحللنا (العرا) عيون من شريط أو غيره شد بها فم الخرج أو العدل واحدها عروة (الربائث) العلق واحدها ربيثة وهو مايثبط الإنسان ويحبسه عن أمر يريده وقد ربثتك عن الأمر ربثا وتربثت أنا تربثا إذا تثبطت (ألغينا) اطرحنا (اتقاء) خوف (العابث) الذى يعبث بأموالهم من أهل الشر فيفسدها والعابث المفسد ويقال عبث بفتح الباء عبثا خلط ويكسرها عبثا لعب واستخف ، وعاث عيثا أفسد (عكمت الرحال أى شدت الأحمال بالعكام والعكام مايشد به فم العكم وهو العدل وقيل إن أصل العكام كمامة تربط على فم البعير ومثله اللجام يستعار لما يشد به المتاع ويقال عكمت المتاع ويقاو عكاشددته فى العكم أو شددته بالعكام وعكمت البعير شددت عليه العكم أو ربطت العكام على فمه واعتكمتك أعتك (أزف) دنا وقرب (استنزلنا) طلبنا منه إنزالها أى تلطفنا به ليذكرها (الرقية) الرافيعة من رقى فى الدرجة أو المعوذة لنا من رقيت المريض وهو أشبه لموافقتها لمعنى (الواقية) وهى الكافية لما يخاف من الشر (أظل) الأمر قرب ودنا كأنه ألقى عليك ظله (الملوان) الليل والنهار (الخاضع) الذليل وخضع خضوعا أقر بالذل (الخاشع) المتواضع وخشع خشوعا خفض صوته ورمى ببصره إلى الأرض والخضوع قريب منه إلا أن أكثر مايستعمل الخشوع فى الصوت والخضوع فى الأعناق (الرفات) العظام البالية (الآفات) المضرات المكافأة المجازاة (موئل) ملجأ (العفاة) جمع عاف وهو سائل العفو (ولى العفو) صاحب المغفرة (المعافاة) المباعدة من الضرر وقد عافاه مما يكره وأعياه (أنبائك) أخبارك والنبأ الخبر (أسرته) رهطه وأراد بالمصابيح المهاجرين وبالمفاتيح الأنصار (أعذنى) أجرنى (النزغات) الفساد نزغ الشيطان بين القوم أى أفسد ذات بينهم والشيطان البعيد من الخير من قولهم دار شطون أى بعيدة ونوى شطون ، قال النابغة : نأت بسعاد عنك نوى شطون ، وقال نابغة بنى شيبان : فأضحت بعد ما وصلت بدار شطون لاتعاد ولا تعود (نزوات) وثوب وقد نزا نزوا ونزوا إذا وثب ونزا على الشىء ارتفع (اعنات) مشقة الباغين (المتعدين) وقد بغى عليه بغيا تعدى عليه

ومُعاناةِ الطَّاغين ، ومُعاداةِ العادين ، وعَدْوَانِ المُعادين وغَلَبِ الغالِبين ، وسَلَبِ السَّالبين ، وحِيَلِ المحتالين ؛ وغِيَلِ المُغتالين ، وأجِرْني اللهمَّ من جَوْرِ المُجاورين ، ومُجاوَرَةِ الجائِرين ، وكُفَّ عَنِّي أكُفَّ الضائمين ، وأخرِجني من ظُلماتِ الظالمين ، وأدخِلني برَحمَتك في عِبادك الصالِحين ، اللَّهمَّ حُطْني في تُرْبَتي وغُرْبَتي وغَيْبَتي وأوْبَتي ونُجْعَتي ورَجْعَتي وتَصرُّفي ومُنْصَرَفي ، وتَقَلُّبي ومُنْقَلَبي ، واحْفَظْني في نَفْسي ، ونَفائسي ،وعِرْضي وعَرَضي ، وعَدَدي وعُدَدي ، وسَكَني ومَسْكَني ، وحَوْلي وحالي ، ومالي ومآلي ، ولا تُلْحِقْ بي تَغْييرًا ولا تُسَلِّطْ عليَّ مُغيرًا ، واجْعَلْ لي من لَدُنْكَ سُلْطانًا نَصيرًا ، اللَّهمَّ احْرُسْني بعَيْنِكَ وعَوْنِكَ واخْصُصْني بأمْنِكَ ومَنِّكَ ، وتَوَلَّني باختيارِكَ وخَيْرِكَ ، ولا تَكِلْني إلى كَلاءَةِ غَيْرِكَ ، وهَبْ لي عافِيَةً غيرَ عافية ، وارْزُقْني رَفاهِيَةً غيرَ واهِيَة ، واكْفِني مَخاشِيَ اللأْواء ؛ واكْنُفْني بغَواشِيَ الآلاء ، ولا تظفِرْ بي أظفارَ الأعْداء ، إنَّكَ سَميعُ الدُّعاء . . . ثم أطرَقَ لا يُديرُ لَحْظا ؛ ولا يُحيرُ لَفْظا ، حتى قُلْنا قد أبْلَسَتْهُ خَشْيَة ، أوْ أخرَسَتْهُ غَشْيَة ، ثم أقنَعَ رأسَه ، وصَعَّدَ أنْفاسَه ، وقال . أُقْسِمُ بالسَّماء ذاتِ الأبْراج ، والأرضِ ذاتِ الفِجاج ، والماء الثَّجَّاج ، والسِّراج الوَهَّاج ، والبَحْرِ العَجَّاج ، والهَواء والعَجَاج إنَّها لَمِنْ أيْمَنِ العُوَذ ، وأغْنَى عنكم

(معاناة) معالجة ومقاساة (الطاغين) المسرفين فى الظلم والمعاصى (العادين) المتجاوزين الحد فى الظلم (غيل) جمع غيلة وهى الهلاك (والمغتال) المهلك (أجرنى) أمنى (سطوة) بطش وتهديد (الضائمين) المذلين (اللهم حطنى فى تربتى) أى احفظنى فى بلدتى (أو بتى) رجعتى (نجعتى) سفرى فى طلب الرزق (نفائسى) كرائم مالى (عرضى) نفسى (عرضى) مالى (عددى) أهلى (عددى) آلاتى وما أستعده (سكنى) أهلى (حولى) قوتى (حالى) بالى (مآلى) مرجعى (منك) إحسانك (تولنى) كن لى وليا (تكلنى) تحوجنى (كلاءة) حفظ وحراسة (عافية) عيش سالم من الآفات ، أبو الدرداء رضى الله عنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء وما أعد لصاحبه من الثواب إذا صبر وذكر العافية وما أعد الله لصاحبها من الثواب إذا شكر فقلت يارسول الله أعافى فأشكر أحب إلى من أن أبتلى فاصبرفقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحب معك العافية (غير عافية) أى غير دراسة (رفاهية) غنى متسع (واهية) ناقصة ضعيفة (مخاشى) مايخشى ويخاف (اللأواء) الشدة (اكنفنى) استرنى (غواشى) أى ما يتغشى به أى يتغطى (الآلاء) النعم (أطرق) أى نظر إلى الأرض ساكتا وقد فسر قوله أطرق بقوله (لايدير لحظا ولا يحير لفظا) فيدير لحظا يجيل نظره فى الجهات الأربع ويحير لفظا يرد كلاما (الغشية) أن يغشى على عقله (أقنع) رفع (صعد) جعلها تصعد أى ترفع (الأبراج) أى منازل القمر (الفجاج) أى المسالك واحدها فج والفج الطريق الواسع فى الجبل وقيل هو المتسع بين مرتفعين وقيل هو الفتح بين الشيئين (الثجاج) السيال الكثير الصب (السراج) الشمس (الوهاج) الوقاد المتلألىء وهو من وهج النار وهو اتقادها وحرها (العجاج) المصوت لاضطراب أمواجه (الهواء) مابين السماء والأرض (والعجاج) الغبار (والعوذ) الرقى (أغنى اجزأ وأكفى والغنى الكفاية

من لا بسي الخُوذ ، مَنْ دَرَسَهَا عِنْدَ ابْتِسامِ الفَلَق ، لم يُشْفِقْ من خَطْبٍ إلى الشَّفَق ، ومَنْ نَاجَى بِها طَلِيعَةَ الغَسق ، أَمِنَ لَيْلَتَهُ مِنَ السَّرَق ، قال : فَتَلَقَّنَّاهَا حتى أتقنَّاها ، وتَدارَسناها ، لِكَيْ لا نَنْساها ، ثم سِرْنَا

وأغنى فلان مغنى أى كفاه الحضور وقام مقامه (والحوذ) بالحاء المهملة الدرع وبنقط الخاء بيض السلاح (ابتسام الفلق) ظهور الفجر (يشفق) يخاف (خطب) أمر شديد (الشفق) الحمرة بعد غروب الشمس (ناجى) تكلم بها سرا (طليعة الغسق) أول طلوع الظلام (تلقناها) أى فهمناها (أتقناها) أحكمناها (تدار سناها) الدرس فى كلامهم الرياضة والتذليل وطريق مدوس كثر مشي الناس فيه فذللوه وأثروا فيه فمعنى درس القرآن أو الدعاء ذلل لسانه وراضه ، ونصل هذا الدعاء الذى ذكر أنه مستجاب وصدق إذا صحب الدعاء به الإخلاص والتضرع بأدعية ينتفع بها إن شاء الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً قال اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الحضر اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن الحور بعد الكور ومن سوء المنظر فى الأهل والمال والولد ، وقالت أم سلمة رضى الله عنها من خرج فى طاعة الله تعالى فقال اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكنى خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك فأسألك بحقك على جميع خلقك أن ترزقنى من الخير أكثر مما أرجو وتصرف عنى من الشر أكثر مما أخاف ، استجيب له بإذن الله تعالى ؛ وقالوا : كلمات الفرج عند الكرب لا إله إلا الله الحليم وسبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ، وقال جعفر بن محمد لسفيان الثورى إذا كثرت همومك فاكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإذا درت عليك النعم فاكثر من الحمد لله رب العالمين وإذا أبطأ عليك الرزق فاكثر من الاستغفار ومن قال فى ليل أو نهار « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بنا صيتها إن ربى على صراط مستقيم » لم يضره شيء ، ومن قال « بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » ليلا أو نهارا أمن مما يخاف ، ومن قال سبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات بعد صلاة الصبح أمن من كل غم وجذام وبرص وفالج ومن قال باسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله من قالها إذا أصبح أمن من الحرق والغرق ومن دخل على سلطان يخاف من سطوته فقال الله أعز وأكبر مما أخاف واحذر اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من عبدك فلان وجوره واشياعه واتباعه تبارك اسمك وجل ثناؤك وعز جارك ولا إله غيرك ثلاث مرات أمن من شره ، وقال المنصور للربيع على بجعفر قتلنى الله إن لم اقتله فلما مثل بين يديه حرك شفتيه ثم قرب وسلم فقال لا سلم الله عليك ياعدو الله تعمل على الغوائل فى ملكى قتلنى الله إن لم اقتلك فقال يا امير المؤمنين إن سليمان اعطى فشكر وان ايوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر عليهم السلام وانت على اثر منهم وأحق من تأسى بهم فنكس المنصور رأسه مليا ثم رفع رأسه وقال إلى ابا عبد الله فأنت القريب القرابة وانت ذو الرحم الواشجة والسليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله واجلسه معه على فراشه

نُزْجِي الْحُمُولاتِ ، بِدعواتٍ لابالْحِدَاةِ ، ونَحْمى الْحُمُولاتِ ، بِالكلماتِ لابالْكُمَاةِ ، وصاحِبُنا يَتَعَهَّدُنابالعَشِيّ والغَداةِ ، ولايَسْتَنْجِزُ مِنَّا العِدَات ، حتى إذا عايَنَّا أَطْلالَ عانَة ، قال لنا : الإعانَةَ الإعانَةَ ، فأَحْضَرْناهُ المَعْلُومَ والمَكْتُوم ، وأَرَيناهُ المَعْكُومَ والمَخْتوم ، وقُلنالهُ : اقض ماأنتَ قاض ، فما تجدُ فِينا غَيْرَ راض ، فما استَخَفَّهُ سِوى الخِفّ

واقبل يسائله ويحادثه ثم قال عجلوا لأبى عبد الله إذنه وجائزته وكسوته فلما خرج امسكه الربيع وقال له رأيتك قد حركت شفتيك فانجلى الأمر وانا خادم السلطان ولاغنى لى عنه فعلمنى إياه فقال نعم قلت اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام واكنفنى بحفظك الذى لايرام لا اهلك وانت رجائى فكم من نعمة انعمتها على قل عندها شكرى فلم تحرمنى وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى اللهم بك أدرأ فى نحره واعوذ بك من شره ، ومن قال اذا سمع المؤذن رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا غفرت له ذنوبه ، ومن دعاء الأعراب : قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ما من قوم اشبه بالسلف من الأعراب لولا جفاء فيهم ، وقال غيلان اذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب ، وقال الأصمعى سمعت اعرابيا بفلاة من الأرض يقول اللهم أن استغفارى إياك مع كثرة ذنوبى للؤم وان تركى الاستغفار مع معرفتى سعة رحمتك لعجز إلهى كم تتحبب إلى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض إليك بذنوبى وأنا فقير إليك يامن إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ياأرحم الراحمين ، قال وسمعت آخر يقول فى دعائه اللهم إنى أسألك عمل الخائفين وخوف العاملين حتى أتنعم بترك النعيم طمعا فيما وعدت وخوفا مما أوعدت اللهم أعذنى من سطواتك وأجرنى من نقماتك ، قال وودعت أعرابية لابن لها خرج مسافرا فقالت كان الله صاحبك فى السفر وخليفتك فى أهلك وأنجح طلبتك امش مصاحبا مكلوءا لا أشمت الله بك عدوا ولا أرى فيك محبيك سوءا ، وهذا الباب كثير وإنما ذكرنا من الأدعية ماجرب واستحسن والله ينفع بها آمين ، وقال أعرابى يصف دعوة :

وسارية لم تسر فى الليل تبتغى — علا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تسر الركاب ولم تنخ — لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تحل وراء الليل والليل ساقط — بأوراقه فيه سمير وهاجع
تفتح أبواب السماء لوفدها — إذا قرع الأبواب منهن قارع
إذا وفدت لم يردد الله وفدها — على أهلها والله راء وسامع
وإنى لأرجو الله حتى كأننى — أرى بجميل الظن ماالله صانع

(نزجى) أى نسوق (الحمولات) بفتح الحاء الإبل وبضمها الأحمال (الحداة) خدمة الأبل بمنزلة المكارين للدواب (نحمى) نمنع (الكماة) الشجعان (يتعهدنا) يتفقدنا (يستنجز) يطلب إحضار ماوعد به (عانة) بعين غير منقوطة قرية بالجزيرة كثيرة الأعناب ، وقال امرؤ القيس : من خمر عانة أوكروم شآم (واطلالها) آثارها يريد انه لما أشرف على عانة قال لهم اعطونى ما أستعين به (المعلوم) الظاهر (والمكتوم) المستور (والمعكوم) المجعول فى عكم قال يعقوب العكم نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها أو يكون المعكوم المشدود بالعكام وقد تقدم آنفا (والمختوم) المطبوع عليه يريد أريناه أنواع أموالنا (استخف) استحقر (الخف) الخفيف

والزَّين ولا حلي بعَيْنِهِ غيرُ الحَلْيِ والعَين ، فاحْتَملَ مِنهُما وِقرَه ، وناء بِمَا يَسُدُّ فَقرَه ، ثم خالَسَنا مُخالَسَةَ الطَّرَّار ، وانْصَلَتَ منا انصلاتَ الفَرَّار ، فَأَوْحَشَنا فِراقه ، وأدهشَنا امتِراقُه ، ولم نَزَلْ نَنْشدُهُ بِكلِّ نادٍ ، ونَستَخبِرُ عَنهُ كلَّ مُغْوٍ وهادٍ ، إلى أن قِيلَ إنَّهُ مُذْ دَخَلَ عانَة ، ما زايَلَ الحانَة ، فأَغراني خُبْثُ هذا القَولِ بِسَبْكِهِ ، والانْسِلاكِ فيما لَسْتُ من سِلْكِهِ فأَدْلَجْتُ إلى الدَّسْكَرَة في هَيْئَةٍ مُتَنَكِّرَة ، فإذا الشَّيْخُ

(الهين) الهين (حلى) حسن (الحلى) ما يتحلى به النساء (والعين) الذهب والفضة يريد أنه استحقر الخفيف القدر الهين القيمة مثل الأمتاع وشبهها فتركها وأعجبه الحلى والذهب فحملها أو يكون معنى استخف وجده خفيفا والخف والهين يريد الخفيف عليه حمله الهين عليه نقله يريد الذهب والجوهر ويكون قوله حلى بعينه وما بعده مفسرا ومؤكدا لاستخف وما بعده وهذا أشبه من الأول (وقره) حمله (ناء) نهض بثقل (خالسنا) سارقنا وتسلل عنا (الطرار) الذى يشق الجيوب ويستخرج ما فيها والطر القطع وقد طر وطرا وطرة الشعر منه لأنها مقطوعة من جملته منفصولة عنه والمنتهز الذى يخطف من يدك الشيء بسرعة (انصلت) انسل ولم يشعر به (والانصلات) سقوط السيف من الغمد (الفرار) هو الزاووق ويسمى الزئبق سمى فرارا لأنه سريع السيلان لا تستقر فى موضع والفرار من كثر فراره (أوحشنا) أذهب انسنا (أدهشنا) حيرنا (امتراقه) خروجه مسرعا ومرق السهم خرج من القوس ومن الرمية (ننشده) نطلبه (مغو وهاد) مضل ومرشد (الحانة) بغير نقط بيت الخمار أو حانوته والحان والحانة هى الدسكرة التى ذكر ؛ وقال ابن شهيد فيه :

يارب حان قد أدرت بديره ... خمر الصبا مزجت بصفو خموره
فى فتية جعلو االزقاق تكاهم ... متصارعين تخشعا لكثيره
يهدى اليها الراح كل مصفق ... كالخشف خمره المنا بخفيره
وإلى على بطرفه وبكفه ... فأمال من رأسى لعب كبيره
وترنم الناقوس عند صلاتهم ... ففتحت من عينى لرجع هديره

(زايل) فارق (أغرانى) حثنى (سبكه) تجربية (الانسلاك) الدخول (سلكه) شكله وانسلكت حبة اللؤلؤ جرت فى السلك وهو خيط النظام (أدلجت) مشيت بالليل (الدسكره) بناء كالقصر حوله بيوت يسكنها الخزار والحشم ، قال الجعدى :

ودسكرة صوت أبوابها ... كصوت المراتج بالحوأب
سبقت صياح فراريجها ... وصوت نواقيس لم تضرب
برنة ذى عتب شارف ... وصهباء كالمسك لم تقطب

المراتج البكرات ، والحوأب اسم ماء ، الفراريج الديوك عتب أوتار ؛ وشارف اسم العود شبهه بالشارف من الإبل لأنها أغن صوتا وأطربه ، قال متمم :

إذا شارف منهن قامت فرجعت ... حنينا فأبكى شجوها البرك أجمعا

فى حُلَّةٍ مُمَصَّرَةٍ، بَيْنَ دِنانٍ ومِمْصَرَةٍ، وحَوْلَهُ سُقَاةٌ

(ممصرة) مصبوغة بالمصرة وهى العصفر قبل أن يوضع فيه الخل فلونها أصفر فاذا وضع فيها حمر ما يصبغ به وسمى معصفرا (والحلة) ثوبان إزار ورداء وسميت حلة لأنها تحل على لابسها كما يحل الرجل على الأرض (دنان) جمع دن وهو نوع من الخوابى طويل الأسفل ضيقه ويسمى الراقود وهذه الحالة التى وجد عليها الحريرى السروجى بعد ذلك الترهب الذى كان عليه فى أول المقامة لها نظائر لرجال مشاهير بالعلم والفضل ... حكى الثعالبى فى يتيمته، وقد ذكر القاضى التنوخى، فقال لهم أبو القاسم على بن محمد بن داود بن فهم من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد ذوى الكرم وحسن الشيم وكان كما قرأت فى فصل للصاحب إن أردت فانى سبحة ناسك أو أحببت فانى تفاحة فاتك أو اقترحت فانى مدرعة راهب أو اخترت فانى نخبة شارب وكان تقلد قضاء البصرة والاهواز بضع سنين وكان المهلبى وغيره من وزراء العراق يميلون اليه جداً ويعدونه ريحانة الندماء وتاريخ الظرفاء يعاشرون منه من تطيب عشرته وتلين قشرته وتكرم أخلاقه وتحسن أخباره وتسير أشعاره ناظم حاشيتى البر والبحر وناحيتى الشرق والغرب وكان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون اليه فى الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة منهم ابن فريعة وابن معروف والقاضى الاندرجى وغيرهم وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبى وإذا تكمل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب فيهم مأخذه وهبوا ثوب الوقار للعقار وتقلبوا فى أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع بين يدى كل واحد منهم طست من ذهب من ألف مثقال مملوء شرابا فيغمس فيه لحيته بل ينقعها حتى تشرب أكثره ويرش بعضهم بعضا ويرقصون بأجمعهم وعليهم مصبغات الثياب ومخانق البرم ويقولون بكرا أسرهم هوهر، وفيهم يقول السرى:

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا فى مخانق البرم

وإذا أصبحوا عادوا لعادتهم فى الترهب والتوقر والتحفظ وأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء، وقال فى ابن معروف كان قرأته فى فصل للصاحب شجرة فضل عودها أدب وأغصانها علم وثمرها عقل وعروقها شرف تسقيها سماء الحرية وتغذوها أرض المروءة وفيه يقول الصابى:

أقسمت بالله ما يرجى لمعروف فى الحادثات سوى القاضى ابن معروف

ومن شعر ابن معروف:

لو كنت تدرى ما الذى صنع الهوى والشوق فى الجسم النحيل البالى
لهجرت هجرى واجتنبت تجنبى ووصلت من بعد النعيم وصالى

وقال القاضى التنوخى فى غلام جسيم:

له فى كل عضو دعص رمل ثقيل الجسم ذو روح خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحول كأنى لست ذا الخلق الظريف
إذا لمسته كفى لم تلامس سوى جلد على عظم ضعيف

تَبْهر ؛ وشُمُوعٌ تَزْهَر ، وآسٌ وعَبْهر ، ومِزْمارٌ

شرب المأمون وعبدالله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضى فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى فغمزا به الساقى فأسكره وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان فأمر المأمون فشق له قبر فى الردم وصيرفيه وعمل بيتى شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وغنت بهما وهما :

ناديته وهو حى لا حراك به ... مكفن فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى ... فقلت خذ قال كفى لاتواتينى

فانتبه يحيى لرنة العود فقال :

ياسيدى وأمير الناس كلهم ... قد جار فى حكمه من كان يسقينى
إنى غفلت عن الساقى فصيرنى ... كما ترانى سليب العقل والدين
لاأستطيع نهوضا قد وهى قدمى ... ولا أجيب لداع حين يدعونى
فانظر لنفسك فى قاض يكون لكم ... إنى غدوت دفينا فى الرياحين

والحالة التى وصف بها أبو زيد خلعت الأمين عن الملك ونقلته إلى المأمون : قال الربيع : قعدالأمين يوما للناس وعليه طيلسان أزرق وتحته لبد أبيض فوقع على ثمانمائة قصة فلقد أصاب فما أخطأ وأسرع فما أبطأ ثم قال ياربيع أترانى لاأحسن التدبير والسياسة ولكنى وجدت شم الآس وشرب الكاس والاستلقاء من غير نعاس أشهى إلى . . وكذلك خلعت قبله الوليد بن يزيد وبعده المتوكل وغيرهم من الخلفاء والأمراء ممن آثر راحة النفس على تعب السياسة (تبهر) أى تسقيه بالبهار وهو شبه الأبريق وقيل تبهر تغلب القوم بحسنها يقال بهره إذا غلبه وبهر القمر السماء ملأها بنوره (تزهر) تضىء (شموع) مصابيح الشمع (آس) ريحان (عبهر) نرجس وقيل ياسمين قال على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شموا النرجس ولو فى اليوم مرة واحدة ولو فى الشهر مرة واحدة ولو فى الدهر مرة واحدة فان فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقلعها إلا شم النرجس وقال على رضى الله عنه حيانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالورد وقال أما انه سيد ريحان الجنة بعد الآس ، وقال أردشير بن بابك الورد در أبيض وياقوت أحمر على كرسى زبرجد أخضر توسطه شذور من ذهب أصفر له ورقة الخمر ونفحات العطر . وتذكر هنا طرقا من المنظوم فى الأزهار يليق بالموضع بحول الله تعالى قال محمد بن عبد الله بن طاهر ملما يقول أردشير :

كأنهن يواقيت يطيف بها ... زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستظرف حسن ... من خمرة مزجت كالخمر فى اللهب

وللمعتمد بن عباد : كأنما ياسميننا الغض ... كواكب فى السماء تبيض
والطرق الحمر فى جوانبه ... كنهد عذراء مسه عض

ولأبى الفضل الميكالى :

وماضم شمل الانس يوما كنرجس ... يقوم بعذر اللهو عن خالع العذر
فاحداقه أحداق تبر وساقه ... كقامة ساق فى غلائل الخضر

ومِزْهَر ، وهوَ تارَةَ يَسْتَبزِلُ الدّنّان ، وطَورًا يَسْتَنْطِقُ العِيدان ، ودَفْعَةً يَسْتَنْشِقُ الرَّيحان ، وأُخْرَى يغازل الغِزْلان ، فلما عَثَرْتُ على لَبْسِه ، وتَفاوُتِ يَوْمِهِ من أمْسِهِ ، قلتُ له . أَوْلَى لَكَ يامَلْعُون ، أَأُنْسِيتَ يَوْمَ جَيْرُون فضَحِكَ مُسْتَغْرِبًا ، ثم أنشد مُطربا :

ولعضد الدولة : يا طيب رائحة من نفحة الخير إذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماء ورد واعتبقت به دواخن ند عند تبخير
كأن أوراقه فى القد أجنحة حمر وصفر وبيض من زنابير
ولعلى بن بسام : أما ترى الورد يدعو للورود على حمراء صافية فى لونها صهب
مداهن من يواقيت مركبة على الزبرجد فى أفواها ذهب
وقال آخر : نرجسة عينها محبرة لم تكتحل قط آفة الغمض
باكرها الطل فهى باهتة تنظر فعل السماء فى الأرض
وللاسعد بن بليط : بنفسج بانت أكف الصبا تنثره فى زرقة لا تحسد
كأنما قط بمنشوره رؤوس أقلام من اللازورد
وقال آخر فى نور الباقلا :
نوارة الباقلا إذا راق منظرها تحكى الفراشة تنقيطا وتريشاً
كأنما هى ماحول الذبالة إذ مدت جناحا مكان الكف مرقوشا
والباب كثير (مزهر) عود الغناء (يستبزل) يستسق منها شرابا والمبزل الثقب فى جانب الخابية تجرى منه الخمر صافية ويبقى العكر فى قعرها قال الاخطل :
لما أتوها بمصباح ومبزلهم شارت إليهم شراء الأبجل الضارى
تدمى إذا صعنوا فيها بجائفة وفى الزجاج عقيق غير مسطار
أراد أن الخمر خرجت خروج الدم فى الابجل وهو عرق . . وقال ابن حصين .
فجبت عنها الدن فاستعبرت جريا كاقوس إحليل
كأنها فى الكأس منصبة خيط من الفضة مفتول
وقال آخر فى الشراب :
ولما رأى الناس فضل المدام وخافوا على جرمها أن يسيلا
توخوا إلى شربها بينهم سبيل حفاظ فكنت السبيلا
(يستنطق) يأمر بضربها ليسمع صوتها (يستنشق) يشم (يغازل) يلاعب (عثرت) أطلعت وأعثرت فى معناه (لبسه) تخليطه (تفاوت) تباعد (أولى لك) كلمة تهديد معناها قد وليك الشر فاحذر (الملعون) المطرود ولعنه الله طرده (الاستغراب) الضحك الكثير ومما يوافق شعره وحاله قول الببغاء :

لَزِمْتُ السِّفار ، وجُبْتُ القِفار ، وعِفْتُ النفار ،لأجنِى الفَرَح
وخُضْتُ السُّيول، ورُضْتُ الخُيُول لِجَرّ ذُيُول : الصِّبَى والمَرَح
ومِطْتُ الوَقار ، وبِعْتُ العَقار ، لَحسْو العُقار ، ورَشْفُ القَدَح
ولولا الطِّماح ، إلى شُرْبِ راح ، لَما كانَ باح ، فمِى بِالمُلَح

غانى يالصبوح قبل الصباح واجر فى حلبة الصبا والمراح
عاطنيها كالجلنار إذا ما كالت من حبابها بالاقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والحمـ ـره لافى كثافة التفاح
خادمتها الاجسام بالطبع لما شاهدت قربها من الأرواح
فتدارك بها حشاشة نفسى أو فحرك بها سكون ارتياحى
بين وردين من نبات وخد وشرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ما خالط العا قل فيها فساده بالصلاح

وله أيضا فى مثله : زمن الورد أشرف الأزمان وأوان الربيع خير أوان
أشرف الزهر زار فى أشرف الدهـ ـر فصل فيه أشرف الاخوان
وأدرها عذراء وانتهز الام كان من قبل عائق الامكان
فى كؤوس كأنها زهر الخشـ خاش ضمت شقائق النعمان
واجترعها عند النزال بألفا ظ المثانى ومطربات الأغانى

وقال وكيع فى الخشخاش :

وخشخاش كأنا منه نفرى قميص زبرجد عن جسم در
كأقداح من البلور صينت بأغشية من الديباج خضر

وقال آخر فى شقائق النعمان ؛

كأن الشقائق إذا برزت غلالة رد وثوبا حمم
قطاع من الجمر مشبوبة بأوساطها لمع من حمم

(السفار) مصدر سافرت (جبت) قطعت (عفت) كرهت (خضت) جزت ومشيت فيها (رضت) ذللت وركبت (المرح) النشاط والعجب (مطت) نحيت وأزلت ويقال ماط وأماط باعد وأيضا باعد غيره والأصمعى يقول ماط هو وأماط غيره (العقار) المال الثابت الذى لاينقل (حسو) شرب (العقار) الخمر (رشف) مص (الطماح) ارتفاع النظر (لاح) تكلم (الملح) الكلام الحلو يريد أنه فعل ماذكر ليرتاح ويشرب الخمر ذكر أبو محمد الحريرى فى هذا الموضع من المقامات أوصاف الخمر وفضلها ومنافعها وذهابها بالهموم والاسقام وذكر أنها من الأشياء وأن بيع أشرف الاعلاق فيها سداد وأن ترك

الاصغاء فيها إلى البذل رشاد وأن كال لذتها مع السقاة الحسان والتطريب بأنواع الغناء والالحان إلى غير ذلك مما اشار اليه ونبه عليه ، وأنا أسوق هنا فى وصف الخمر فصلا من كلام الحكماء والأدباء وسائر الأفاضل من الملوك ومهرة الشعراء جريا معه فى أغراضه حسبما فعلناه فى العاشرة فى أوصاف الغلمان وفى الحادية عشرة فى فضائل أهل الاديان وأكثر اعتمادى فى هذا الفصل على اختيارات انتقيتها من كتاب «قطب السرور» وضممت اليها مايلائمها من غيره وهو فصل بديع فى بابه ذكر مؤلفه فى منافع الخمر وفضائلها قول الله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وقال تعالى فى الجنة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى فلم يذكر الماء واللبن إلا بالسلامة من التغير والعسل إلا بأنه مصفى وجعل الخمر لذة للشاربين فكان هذا من التفضيل وقال تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون فنفى عنها عيوب خمر الدنيا وهى ذهاب العقل بالسكر والصداع بالخمار وذهاب المال كما قال تعالى فى فاكهتها لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى عنها عيوب فاكهة الدنيا التى تأتى فى وقت وتنقطع فى آخر وتمنع إلا بالثمن وقال تعالى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ، وأما ماذكره تعالى من أن فيها منافع للناس فان منافعها لا تحصى كثرة . فمن منافعها مايصيب الناس من أثمانها ولو لم تعصر الأعناب لبارت على أهلها ، ومنها صلاح الجسم لأنها تروق الدم وتفتق اللسان وتزيد فى الهمة وتهون الرزية وتمد فى الأمنية قال جالينوس الخمر تدر الدم وتصفى اللون وتقوى المنعة وتبعث النشاط قال أفلاطون إنما كان النبيذ يثمر السرور ويولد الضحك ويطيب النفس لشبهه بالدم وأنه يفعل فى الجسد إذا اعتدل فعله لأنه أحمر حار رطب والدم أحمر حار رطب فاذا صح جوهره وتمت أجزاؤه ولد فى النفس السرور والضحك والنشاط ، الحرث ابن كلدة طبيب العرب : الطلاء مصلحة للبدن ومطيبة للنفس تفتح له العروق أفواهها كما تفتح الفراخ أفواهها للطعام ، بعث قيصر إلى قس بن ساعدة فسأله أى الأشربة أفضل فقال ماصفا فى العين ولذ على الذوق وطاب فى الأنف من شراب الخمر قال ماتقول فى مطبوخه قال مرعى ولا كالسعدان قال فما تقول فى نبيذ الزبيب قال ميت أحيى وفيه بعض المنفعة وما يكاد يحيا من مات قال ماتقول فى نبيذ العسل قال نعم شراب الشيخ للابردة والمعدة الفاسدة قال فنبيذ التمر قال أوساخ تدعو إليها ضرورات تذم عاقبتها فى الأبدان قال فما الذى يذهب بالهموم عند الشراب قال جوهر فيه لا تبلغه عقول العباد قال فما أصلح أوقات الشراب قال أول النهار ألا ترى أن الدواء يبكر به والمسافر يدلج لحاجته لأن العقول أول النهار أذكى والفطن أصح قال فمن أى شىء يكون الخمار قال من ضعف قوة الجوارح عن جذب مايصعد إلى الدماغ من البخار حتى يفشيه الهواء قليلا قليلا قال فالصرف أفضل أم الممزوج قال الصرف سلطان جائر والمزوج سلطان عادل والعادل مصلح والجائر مفسد قال أفتشربه أنت قال نعم ولا أبلغ مايغير عقلى قال ولم أصونه لسؤال مثلك ، أمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة فلما قدم عليه قال يا ابن شراعة والله ما أرسلت إليك أسألك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه قال يا أمير المؤمنين لو سألتنى عنهما لوجدتنى حمارا قال أرسلت إليك أسألك عن القهوة قال دهقانها الحكيم وطبيبها الرفيق العليم فاسأل عما بدا لك قال فاخبرنى عن الماء قال لابد لى منه والكلب والحمار شركائى فيه فما تقول فى اللبن قال ما رأيته إلا استحييت من أمى لطول ما أرضعتنى إياه قال فالسويق قال شراب المحرور

والعجلان والمسافر قال فنبيذ التمر قال سريع الامتلاء سريع الانفشاش ضراط كله قال فما تقول فى نبيذ الزبيب قال حومة حاموها حول الحق فلم يصيبوه قال فما تقول فى الخمر قال تلك صديقة روحى جلت عن المثل تلك التى تزيد النفس إشراقا قال فأنت يا ابن شراعة صديق اجلس أى الطعام أحب إليك قال يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم غير أن أنفعه أدسمه وأشهاه أمرؤه قال فأى المجالس أحب إليك أن يكون شربنا فيه قال مالم تخف الشمس أن تحرقه أو السماء أن تغرقه ولا نشرب إلا على وجه السماء فوالله ياأمير المؤمنين ما نادى الناس أصبح من وجهها قال فابرز بنا فلم ير بعد ذلك يشرب إلا تحت السماء ، كان أبو السائب فقيها ورعا ظريفافسأله بعض المجان فقال ياأبا السائب مانقول فى نبيذ الجر قال اشربه حتى تجر قال فنبيذ الدن قال اشربه حتى تجن قال فالرازى قال أحلى من العسل الماذى قال فنبيذ الزبيب والعسل فرفع يديه وقال العظمة لله قال فما تقول فى الخمر قال لا أشربها قال ولم قال أخاف أن لا أؤدى شكرها فتنزع منى قيل لأبى نواس صف لنا الاشربة قال أما الماء فيعظم خطره بقدر تعززه وأما السويق فبلغة العجلان روى الظمآن وأما العسل فنبيل المنظر سخيف المخبر وأما الخمر فهى شقيقة الروح وصديقة النفس ما ارتضعت ممزوجة وصرفها غير مأمون على نهك البدن وغرس السقم المؤدى إلى العطب ، قالت الهند إن الشراب مبارك يزيد فى الدم بحرارته ويكسر البلغم بحدته ويشهى الطعام بلطافته وأما السكر فحرم فى كل ملة وسبيل من سبل الضلالة واسم من أسماء الوسوسة قبيح الافعال مذموم الاحوال ، وقالت الحكماء من فضائل الشراب أن كل مشروب وان راق وصفا وحلا وعذب فأوله طيب ثم يعود فى نقصان حتى يعود مكروها إلا الشراب فانك كلما ازددت منه ازددت فيه رغبة وحبا وكان أوسطه إليك أعجب وآخره أطرب حتى إذا سرى فى العروق برقته وعم البدن بلطافته ودب فى الاعضاء والمفاصل دبيب النمل فى نقى ارمل وخادع عقلك فامتلأت بهجة وسرورا وعدت ملكا محبورا تضرب فى الخلافة بأوفر سهم ثم أسلمك إلى النوم الذى هو حياتك وصحتك فاجتذبت النفس ما شاكلها من لطيفه وأخذ كل عضو قوته من كثيفه ثم لا يزال الهواء يخرج بالانفاس متصعدا ببخاره ويجذب ما تحت الدماغ من أستاره فحينئذ تهب بجذل ونشاط كأنما أنشطت من رباط وذلك تقدير العزيز العليم ، وقالوا الشراب مصباح الظلام وشفاء الاسقام وإذا تمشى فى عظامك جعلك خالى الذراع فسيح الباع رخى البال قليل الاشتغال رحب الهمة واسع النعمة فهو أخو الصبوة وقسيم الشهوة ولو لم يكن من منه عليك إلا أنه إذا مزجته بروحك وخلطته بدمك بغض إليك الحرص ونصبه والشره وتعبه وحبب إليك المروأة والسماح وحسن لك الفكاهة والمزاح لكفاك ، وقالوا الشراب يلذلك فى السفر كلذته فى الحضر ويطيب استعماله فى الصحو كما يطيب فى المطر فهو أصل اللذات الذى عليه تفرع وعنصرها الذى عنه تنبع وبه تتصل وإليه ترجع يرد الشيوخ فى طبع الشبان ويدعو الشبان إلى نشاط النشوان وقال أبو نواس فى ذلك :

ما العيش إلا فى جنون الصبا   فان تولى فجنون المدام
راح إذا ما الشيخ والى بها   خمسا ترى برداء الغلام

فلله در من استنبطه ودل عليه وسقيا لمن بحث عنه واهتدى إليه ماذا أثار وأى شىء اظهر ، قالوا ومدار قوامه

على اثنى عشر شيأ المواد الثلاث والقوى الاربع والحواس الخمس فالثلاث هى نسيم الهواء وعذوبة الماء ومألوف الاهواء والاربع هى القوة الجاذبة التى تطيب الطعام وتبرده، والماسكة التى تمسكه وتجذبه، والهاضمة التى تهديه وتنضجه والدافعة التى تدفع إلى كل عضو سهمه من جوهرة فتخرج عنه ثقله والحواس الخمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس وكل شىء من ذلك تدخله الزيادة والنقص فلا يستغنى عما يقويه فى حال ضعفه ويصفيه من أوساخه فلم يجد أهل التجارب الماضون لذلك سببا أبين أثرا ولا أخف محملا ولا ألطف دبيبا فى الابدان من ماء الكرم فاستعملوه لذلك استعمالا دائما فهو ريحانة النفس وترياقها فيشرب فى كل حين وينفع كل حاسة وتحيد عنه النوازل والاحزان وحق للنفس أن تألفه وللطبيعة أن تلائمه إذا كان حبيبها وشقيق روحها فتراه يحدث فى النفس الشجاعة والتكرم والاناة والتحلم ومن علامات الكريم إذا أخذ فيه الشراب الاستحياء والتودد واللهو والسرور والبذل لما فى يديه وكسوة جليسه من أنفس ثيابه وإذا بلغ المدى شربها توسد يساره ونام حميدا كريما، ومن علامات اللئيم المماراة والسفه وقتل الشارب والتلفت إلى العربدة وشدة الغضب وربما بكى وعوى عواء الذئاب ونبح نباح الكلاب فشرب الماء يحرم مع مثل هذا فكيف الشراب، ومن فضائله أنه يلائم الطبائع المعتادة فى كل زمان من فصول السنة يشربه المحرور ممزوجا فيبرده والمقرور صرفا فيسخنه واليابس معتدلا فيرطبه والمرطوب صرفا فيخففه فمن شربه فى الصيف فيستحب له أن يشربه على خضرة الجنان وتحت الظلال وعلى المياه وعلى الورد والياسمين والبنفسج والآس والسفرجل والتفاح وإن كان فى الشتاء فبخلاف ذلك من الجلوس فى الاكنان واستعمال الكوانين ولبس الاحمر والممثل وشم فتيت المسك والعنبر والمرزنجوش وأما الربيع والخريف فبين ذلك لاخذهما من رطوبة الشتاء وحرارة الصيف وإذا اجتمع مع الشراب نغم وألحان على صنوف الملاهى والعيدان تعاونا على إذهاب الهموم والاحزان فلله در من استنبطه ماذا أثار وعلى أى شىء دل ولو لم يكن الشراب أغلب شىء على العقول وأقربه للقلوب وألطف محلا فى النفوس وأشد ملاءمة للاجسام وأجمعه لمحمود الخلال حتى لا تقاربه لذه ولا تساويه شهوة ولا تعدله خصلة من خصال المسرات لما حملت الاشراف وذوو العقول أنفسهم على معاقرته لا يردهم ما ينالهم فيه عن معاودته من شنيع الاقوال ولوم العذال فيما اتفقوا عليه من الذخائر وبذلوا من الاموال، كان بالبصرة رجل ذو ضياع فأنفق ماله فى الشراب فباع ضيعته فلما تم البيع قال له المشترى تأتينى بالعشى أدفع لك المال وأشاهدك فقال لو كنت ممن يرى بالعشى ما بعت الضيعة، قال محمود بن الحسن الكاتب بعت دارى فأصابنى مثل هذا فقلت:

أتلفت مالى فى العقار وخرجت فيها عن عقارى
حتى إذا كتب الكتا ب وجاءنى رسل التجار
قالوا الشهادة بالعشى ونحن فى صدر النهار
فأجبتهم ردوا الكتا ب ولا تعنوا بانتظارى
لو كنت أظهر بالعشى لما سمحت ببيع دارى

وقال ابن الرومى:

أنا أهوى ذات الخمار على الجيـ ب وذات الوشاح والدملجين
وأرى فى النبيذ رأى صواب لشيوخ العراق والكوفتين
وإذا ما الغناء خاض ذووالا باب فيه اعتصمت بالحرمين
كلما جاءت الرخائص فيه كان أخذى له بكلتا اليدين

وقال العطوى :

جارة لى أجارها الحـ سن من كل غائب
فهى بين النساء كالـ بدر بين الكواكب
سألتنى هل النبيـ ذ حلال لشارب
قلت أى والذى يز ينك دون الرقائب
فاشربيه فان فيـ ه لاحدى العجائب
ينبت الورد فى ريا ض خدود الكواعب

ولبعض المتقدمين :

من ذا يحرم ماء المزن خالطه فى جوف خابية ماء العناقيد
إنى لأكره تشديد الرواة لنا فيها ويعجبنى قول ابن مسعود

وقال ابن الرومى : أحل العراقى النبيذ وشربه وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها حلا وللوازر الوزر

خرج الحسن بن هانىء ومعه مطيط صاحبه حتى أتيادير خمار فقال الحسن لمطيط ادخل بنانتماجن على هذا الخمار فدخلا فسلما فرد عليهما السلام فقال له الحسن أعندك خمر عتيق قال عندى منها أجناس فأى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر :

حجبت حقبة وصينت فجاءت كجلاء العروس بعد الصيان
وكأن الأكف تصبغ من ضو ء سناها بالورس والزعفران

فملأ له الخمار قدحا من خمرة صفراء كأنها ذهب محلول فشربه الحسن وقال أحسن من هذا أريد فقال له الخمار فمن أى جنس تريد قال التى يقول فيها الشاعر :

رققتها أيدى الهواجر حتى صيرت جسمها كجسم الهواء
فهى كالنور فى الأناء وكالنا ر إذا ماتصير فى الأحشاء

فملأ الخمار قدحا من خمرة كأنها العتيق فشربه وقال أرفع من هذا أريد قال أى نوع تريد قال التى يقول الشاعر :

فاذا حسا منها الوضيع ثلاثة سمع الوضيع كفعل ذى القدر
فى لون ماء المزن إلا أنها بين الضلوع كواقد الجمر

فملأ له الخمار قدحا من خمرة بيضاء كأنها ماء المزن فشرب الحسن وقال للخمار أتعرفنى قال أى والله ياسيدى أنا أعرف الناس بك قال فمن أنا قال أنت الذى سكر من غير وزن فضحك الحسن وقال لمطيط ادفع إليه مامعك من

النفقة فأعطاه مائة درهم وانصرف ، وقال أبو عثمان الناجم دخلت على أبي العباس عبد الله بن المعتز وهو مخمور طيب النفس فقال ياأباعثمان أنشدني ماشئت حتى أعارضك بأحسن منه وأمثله فأنشدته لأبي نواس :

وعاشق دنف نبهته سحرا ... فقام للراح والتذكار مصطبحا
إذا تعاطيتها لم تدر من لطف ... رحا بلا قدح أعطيت أم قدحا

ففكر ساعة وضحك وقال :

وقهوة كشعاع الشمس صافية ... مثل السراب ترى في قعره شبحا
إذا تعاطيتها لم تدر من لطف ... رحا بلاقدح أعطيت أم قدحا

وقالوا مادثار ابرع الخز والسمور بأدفأ من الشراب للمصرور والمقرور ، وقال بعضهم كنت في منزه لي وإذا شيخ منيخ على علوة معه صبي في يوم بارد فكنت أسمع الصبي يقول للشيخ أعطني فروتي فيناوله شيأ لاأتبينه فبعثت غلامي ينظر اليه فاذا عند الشيخ قنينة كلما طلب الصبي فروته سقاه قدحا ، قال وأنشدوا للهدهد الاصبهاني :

إناس حسن ديننا ... لبيعنا الآجل بالعاجل
إذا شربنا خمسة خمسة ... فقد لبسنا الفرو من داخل

وقال عمر العتابي :

أعددت لليل ذا الليل برد ... خابيتين من طلاء قد ركد
فتطرد الهم وتكفيك الصرد
إذا هبت الأرواح فاجعل دثارها ... إذا التحف الأقوام دكن المطارف
ثلاثة أرطال شرابا معتقا ... تكن آمنا منها ولست بخائف
فادن دثار المرء من تحت جلده ... أخف وأدفا من دثار الملاحف

قال الجاحظ : جلست عجوز من العرب إلى فتيان يشربون فسقوها قدحا فطابت نفسها ثم سقوها آخر فاحمر وجهها وضحكت ثم سقوها قدحا ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق أيشربن من هذا الشراب قالوا نعم قالت يزنين ورب الكعبة والله لايدري أحد من أبوه ، وسقى اعرابي قدحا من شراب ولم يكن يعرفه فحركته الاريحية فسألوه عنها فقال والله ما أدري ماهي غير أني أراكم تحببون إلي وأراني أسربكم وماوهب إلى أحد منكم شيأ ، ومر أعرابي بقوم يشربون فدعوه فنزل وعقل بعيره وشرب معهم فلما أخذ منه الشراب قام إلى بعيره فنحره وشوى لهم من كبده وسنامه ثم رفع عقيرته يتغنى :

عللاني إنما الدنيا علل ... واسقياني عللا بعد نهل
بادلا باللهو يوما صالحا ... ودعاني من عتاب وعذل
وانشلا ماغبر من قدريكما ... واسقياني أبعد الله الجمل

وقال اسحق الموصلي سقيت أعرابيا نبذا فقال هذا شيء ، يطيب النفس ويطرد الحزن ويمنى الخير ويعد الغنى ثم أنشأ يقول :

ألا خذهاكماء الزعفران رمتها بالنحول يد الزمان
تصوغ إذا علاها الماء طوقا من الياقوت فصل بالجمان
وتترك من أراد الشرب منها صحيح الجسم منكسر اللسان
كأن الشمس طالعة بكفي إذا أخذت زجاجتها بناني

ومر الفرزدق بالحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقاه ماء فقال هلا لبنا يا أبا فراس قال ذلك اليك فلا له عسا من خمر وأمر فحلبت عليه لقحة فصعدت الرغوة فوق الشراب وأتاه به فشربه حتى صك بالعس جبهته وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه فمسح سباله وقال جزاك الله خيرا فانك مازلت تخفي الصدقات ونعما هي . ودخل الأخطل على عبد الملك فقال ليت شعري ما يعجبك من ادمان الخمر وأولها التقطيب والكراهة وآخرها السكر والسفاهة فقال ولكن بينهما حالة ما يسرني بها ملكك ، . . هذا نظمه الشاعر فقال :

إن يكن أول المدام كريها ويكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هناة وصفها السرور لن يستطاعا

وأنشد ابن قتيبة لأبي محجن الثقفي :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

قال : فأخبرني من رأى قبره بأرمينية أنه بين شجرات الكروم والفتيان يشربون عندها وينشدون شعره وإذا جاء قدح صبوه على قبره ، ومنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل الشام شرب الخمر فقال شاعرهم :

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ولا يملك الانسان صرف المقادر
صبرت ولم أجزع وقدمات أخوتي وما أنا عن شرب المدام بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها فخلانها يبكون حول المعاصر

ورأى ذؤيب السلمي خمرا أهراقها السلطان فقال :

يالقومي لما أتى السلطان لا يكن اللذى أهانوا هوان
سكبوا في التراب من حلب الكر م عقارا كأنها الزعفران
سكبت في مكان نحس لقد صا دف سعد السعود ذاك المكان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه إنسان

ولما انهمك الوليد بن يزيد في الشراب والتبذل مع الندماء اجتمع وجوه بني أميه فلاموه وعنفوه فقال لهم اسمعوا ما عندي :

أشهد الله والملائكة الأبـ رار العابدين أهل الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الـ راح والعض في الخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم العفا ره يسمى على الأقـــداح
وظريف الحديث والكاعب والطـ فلة تريح في سموط الوشاح

انصرفوا فيئسوا منه فدبروا فى افساد دولته . ودخل على المأمون عمرو بن مسعدة ورجل من الفقهاء وبين يديه جام زجاج فيه رطل شراب فمد به يده المأمون إلى الرجل فقال يا أمير المؤمنين والله ما شربتها ناشئا فلا تسقنيها شيخا فرد يده إلى عمرو فأخذها منه وقال الله الله يا أمير المؤمنين إنى آليت فى الكعبة أن لا أشربها ففكر طويلا والكأس فى يد عمرو ثم قال :

ردا على الكأس انكما لا تعلمان الكأس ما تجدى
لو ذقتما ما ذقت ما مزجت ألا بدمعكما من الوجد
ما مثل نعماها إذا اشتعلت إلا اشتمال فم على خد
خوفتمانى الله ربكما وكخيفتيه رجاؤه عندى
أن كنتما لاتشربان معى خوف العقاب شربتها وحدى

وقال الحسن بن هانىء وهو الامام فى الخمريات :

ساغ بكاس إلى ناس على طرب كلاهما عجب فى منظر عجب
قامت تريني وامر الليل مجتمع صبحا تولد بين الماء والعنب
كأن صغرى وكبرى من فوقعها حبصاء در على أرض من الذهب

وله أيضا :

قال ابتغ المصباح قلت له اتئد حسبى وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزجها عطلا فألبسها المزاج وشاحا
شق البزال فؤادها فكأنها أهدت اليك بريحها تفاحا
فاتتك فى صور تداولها ليلى فأزالهن وأثبت الأرواحا

قال ابن المعتز :

ونار قد حثاها سرعا بسحرة متى ما يرق ماء عليها توقد
يجول حباب الماء فى جنباتها كما جال دمع فوق خد مورد

وقال ابن وكيع :

وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها كواعب در فى سماء عقيق

مطوق حاشية الكأس ... وقال ابن المعتز فى الحباب وتشبيهه له أحسن من تشبيهه بجميعه :

أسق مخدرة الدنا ن سلاف خمر قرقفا
راحا تخال حبابها درا يجول مجوفا

وقال الحسن :

بنت عشر لم تعاين غير نار الشمس نارا
ثم سحت فأدارت فوقها طوفا فدارا
كالقتران الدر بالد ر صغارا وكبارا
فاذا ما اعترضته العيو ن من حيث استدارا
خطته فى جنبات الكأ س واوات صغارا

ولا كانَ ساق ، دَهانِي الرِّفاق ، لأرْضِ العِراق ، بِحَمْلِ السُّبَح
فلا تَغْضَبَنْ ، ولا تَصْخَبَنْ ، ولا تَعْتِبَنْ ، فَعُذْرِي وَضَح
وَلا تَعْجَبَنْ ، لِشَيْخٍ أَبَنّ ، بِمَغْنًى أغَنّ ، وَدَنٍّ طَفَح
فإِنَّ المُدام ، تُقَوِّي العِظام ، وَتَشْفِي السّقام ، وتَنْفِي التَّرَح

وله أيضا فى مثل ذلك :

والكاس أهواها وإن رزئت … بلغ المعاش وقللت فضلى
ذخرت لآدم قبل خلقته … فتقدمته بخطوة القيل
فأتاك شىء لا تلامسه … إلا بحسن غريزة العقل
فاذا علاها الماء ألبسها … غشا كمثل خلاخل الحجل
حتى إذا سكنت جوانحها … كتبت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع … غفل من الأعجام والشكل

وقال ابن المعتز : كأن فى كاسها والماء يقرعها … أكارع النمل أو نقش الخواتيم

وقال حبيب : ضعفت وراض المزج سيء خلقها … فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء يلعب بالعقول حبابها … كتلاعب الأفعال بالأسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة … قتلت كذلك قدرة الضعفاء
وكأن بهجتها وبهجة كأسها … نار ونور قيدا بوعاء
أو درة بيضاء بكر أطبقت … حبــلا على ياقوتة حمراء

وقال ابن ليال : ومدامة لبست غلالة نرجس … وتنفست فى الكأس أى تنفس
باكرتها والورد يوقظه الندى … وتبل خديه عيون النرجس
والشمس تنظر من وراء غمامة … لبست من الكافور أحسن ملبس
نبهتها بيد المزاج فأصبحت … ترنو إلى بأعين لم تنعس
وتوردت حتى توقد كأسها … فحسبتها فى الكف جذوة مقبس

(دهانى) أى تشطينى ومكرى (السبح) جمع سبحة وقد تقدمت (تصخبن) ترفعن صوتك بالصياح . (تعتبن) تلومن (وضح) ظهر (ابن) أقام (مغنى) منزل (أغن) كثير الأشجار فاذا هبت الريح فيها سمعت لها غنية ومن هذا قولهم روضة غناء لأن صوت الريح يخرج من بين أشجار وعشبهما أغن ومن فسرها بأن الذباب يغنى فيها فهو صحيح فى المعنى فاسد فى التصريف لأن يغنى أصله غنى وأغن أصله نن فيريد بالمعنى الأغن منزلا كثير الأشجار وفسره بعضهم كثير الأهل والأول أولى (طفح) امتلأ خمرا (المدام) الخمر (يقوى العظام وتشفي السقام) قد تجاوزهنا قوم حتى جعلوها تشفي من العاهات ، قال الاقيشر ويروى لأبى نواس :

وَأَصْفَى السُّرُور ، إذا ما الوَقُور ، أماطَ سُتُور ، الحَفا واطَّرح
وَأَحلَى الغَرام ؛ إذا المُسْتَهام ، أزالَ اكْتتام ، الهَوَى وَافْتَضح

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصرا
كميت كأن العنبر الورد ريحها إذا شمها الحانى من الدن كبرا
توقدد فى أيدى السقاة كؤسها إذا ما رآها صائم القوم أفطرا

وقال آخر : أبا هاشم هل لى سبيل إلى التى أرى شربة منها قواماً لأحدب

(تنفى الترح) أى تزيل الحزن وقال الحسن بن هانىء فى أن الخمر تزيل الحزن والهم :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى منها هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء
قامت بابريقها والليل معتكر فظل من وجهها فى البيت لألاء
وأرسلت من فم الابريق صافية كأنما أخذها بالعقل إغفاء
رقت عن الماء حتى لايلائمها لطافة وخفى عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها حتى تولد أنوار وأضواء

وقال البحترى :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الشوق الذى قد ظل فى الاحشاء
يخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكاس قائمة بغير إناء

وقال حبيب : بمدامة يغدو الفتى لكؤوسها حولا على السراء والضراء
راح إذا ما الراح كن مطيها كان مطايا الشوق فى الاحشاء

عنبية ذهبية سبكت لها ذهب المعانى صاغة الشعراء

(أماط) أى أزال (اطرح) رمى بها وهذا منتزع من قول على بن الخليل :

لاتكمل اللذات إلا بالقيان وبالخمور
هتك الستور فانما الـ لذات فى هتك الستور
فدع العواذل لايقفـ ن عليك من دون الصدور
واعلم بأنك راجع حقا إلى رب غفور

(الغرام) شدة الحب (المستهام) الذى حمله الحب على أن يهيم أى يذهب ولا يدرى أين يتوجه (افتضح) اشتهر ، يقول أصفى مايكون السرور إذا أزال الوقود ثياب الحياء واطرحها عنه وأحلى مايكون العشق إذا أزال العاشق الكتم وشهر نفسه به ، ومن هذا قول أبى نواس :

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولاتسق سرا إذا أمكن الجهر

فَبُحْ بِهَواكَ ؛ وَبَرِّدْ حَشاكَ ؛ فزَنْدُ أساكَ ، بِهِ قَدْ قَدَحْ
وَداوِ الكُلُوم ، وَسَلِّ الهُمُوم ؛ بِبِنْتِ الكُرُوم ، التي تُقتَرَحْ
وَخُصَّ الغَبُوقَ ، بِساقٍ يسُوق ؛ بَلاءَ المَشُوق ؛ إذا ما طَمَحْ

وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(زند أساك) الزند الذى يقدح به النار الأسى الحزن يقول برد قلبك بذكر من تهوى فانك إن رمت كتمه قدح به زند حزنك ، ونحو هذا ما يحكى أن أبا الفضل الدارمى كان له هوى بغلام فاذا رآه أنكر حبه والغلام يعرف شدة وجده به فدمعت يوما عينا أبى الفضل فقال له الغلام دمعك شاهد عليك فقال :

وهبنى قد أنكرت حبك جملة وآ ليت أنى لا أروم محطها
فمن أين لى فى الحب جرح شهادة سقامى أملاها ودمعى خطها

وقال المتنبى : وكاتم الحب يوم البين منهتك وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

والشعر فى هذا كثير وكله تبع لقول العباس بن الأحنف :

لاجزى الله دمع عينى خيرا وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيأ ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان

أما الاشتهار الذى ذكر فانما يأخذ به أهل التماجن ومن لا بال له ، وأما أهل المروآت والتصاون فغايتهم إعلام المحبوب وبشأنهم وكتمه عن الناس وذلك شديد ولا يقوم به إلا من كمل عقله ، وأما أن يكتمه عن محبوبه لحكاية أبى الفضل فاشد أحوال هذا الباب يكون لمحبوبك أصحاب يألفهم ويألفونه فيعلمون بشأنك ، كما فعل أبو الأصبع ابن رشيد المرتكى أنشدنيه الفقيه أبو الحسن بن زرقون .

أبا قاسم إن قسمت الهوى كؤسا لحظى أوفى الكؤوس
وبين جفونك يا قاتلى وبين فؤادى حرب البسوس
وبين الجوانح نار الجوى كما قد سمعت بنازى المجبوس
أساوقك اللحظ فى خفية كما يتناول قيد الشموس
فهمـا بدوت ومهما رنوت فشغل العيون وشغل النفوس
مررت به بين أصحابه لحدوا اللحاظ وهز والرؤوس
وهذا على خطرة فذة فكيف لوانى نويت الجلوس

(دار الكلوم) يريد جراح قلبه من أنكاد الدهر ولذلك أتبعه : (سل الهموم) لأنه فى معنى داو الكلوم هذا كقول العطوى : أعجبتن أن أناخ بى الدهـ ر فخاصمته إلى الأقداح

لا تذاد الهموم أنشبن أظفا را حداد بشرب ماء قراح
أحمد الله صارت الكأس تأسو دون إخوانى الثقات جراحى

(تقترح) تتمنى (الغبوق) شرب العشى (المشوق) المحب (طمح) ارتفع بالنظر يقول خص شرابك بالعشى مع

غلام حسن يسقيك ويبيت معك على شرابك ويكون لأفراط حسنه يجلب عذاب العاشق إذا نظره ، ومما قيل فى السقاة ووصف الخمر من الشعر المستحسن قول أبى نواس :

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبلى داج من الليل كوكباً
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا
يدور بها ساق أغن ترى له على مستدار الخد صدغا معقربا
سقانى ومنانى بعينيه منية فكانت إلى نفسى ألذ وأعجبا

وقال ابن الرومى فأحسن :

ومهفهف كملت محاسنه حتى تجاوز منية النفس
تصبو الكئوس إلى مراشفه وتضج فى يده من الحبس
أبصرته والكأس بين فم منه وبين أنامل خمس
فكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس

وقال ابن المعتز: ظبى خلى من الأحزان أودعنى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكأن الكأس فى يده هلال أول شهر غاب فى شفق

وقال أيضا : ياحسن أحمد عاد بالأمس بمدامة صفراء كالورس
وكأن كفيه تقسم فى أقداحنا قطعا من الشمس

ولأبى طالب الرفاء فى معنى آخر :

لها فى كف شاربها شعاع تطوف منه مبيض البنان

ولأبى بكر الخالدى :

تومى اليك بأطراف مطرفة فيها خضابان للعناب والعنب

فهذا فى انتقال حمرتها لأصابع حابسها ، فاذا انتقلت لخد شاربها حدث للشعراء فى ذلك معنى بديع من صنع البديع يسمى المطابقة وهو الوصف بالغروب والطلوع وقال فى ذلك الطليق المروانى :

أصبحت شمسا وفوه مغربا ويد الساقى المحيى مشرقاً
فاذا ما غربت فى فمه أطلعت فى الخد منه شفقا

ولأبى مطروح بن فتوح :

صهباء تغرب إن بدت من كفه فى فيه ثم تلوح فى وجناته

وقال غيره: بدر بدا يشرب شمسا بدت وجدها فى الحسن من جده
تغرب فى فيه ولكنها من بعد ذا تطلع فى خده

وقال آخر : أقول والكاس على فيه وقد صوبها كالكوكب الصائب
ذا كوكب يغرب فى كوكب وبلى على الطالع والغارب

رجعنا إلى ذكر السقاة ؛ قال ابن المعتز :

وشادٍ يُشيد ؛ بِصَوْتٍ تَميد ؛ جبالُ الحديدِ ، لهُ إنْ صَدَح

تدور علينا الكاس من كف شادن ... له لحظ عين يشتكى السقم مدنف
كأن سلاف الخمر من ماء خده ... وعنقودها من شعره الجعد يقطف

وقال أبو بكر الخالدى :

أهلا بشمس مدام من يدى قمر ... تكامل الحسن فيه فهو تياه
كأن حمرتها إذا قام يمزجها ... من خده اعتصرت أو من ثناياه
فى وجهه كل ريحان تراح له ... منا قلوب وأبصار وتهواه
النرجس الغض عيناه وطرته ... بنفسج وجنى الورد خداه

ولابن الرقاق : وساق يحث الكاس وهى كأنما ... تلألأ منها مثل ضوء جبينه
سقانى بها صرف الحميا عشية ... وثنى بأخرى من رحيق جفونه
هضيم الحشا ذو وجنة عندمية ... تريك قطاف الورد فى غير حينه
فأشرب من يمناه ما فوق خده ... وألثم من خديه ما بيمينه

وقال الخوارزمى: وصفراء كالدينار بنت ثلاثة ... شمال وأنهار ودهر محرم
مسرة محزون وعذر معربد ... وكنز مجوسى وفتنة مسلم
يدور بها ظبى تدور عيوننا ... على عينه من شرط يحيى بن أكثم

وقال ابن المعتز : وندامای فى شباب وشيب ... أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث نضير ... وهو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراخ بالرا ... ح كما ناح فى الغصون الحمام
وكأن السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام

(شاد) أى مغن (يشيد) يتقن غناءه ويحكمه (تميد) تميل (صدح) رفع صوته بالغناء والصداح الصوت الشديد يقول وأسكوت الخمر مغنيا تميل الجبال لحسن غنائه وهذا مثل ماحكى المنجم قال حكى لى أن إبراهيم بن المهدى كان أحسن الناس غناء ببرهان وذلك أنى كنت أراه فى مجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغنى المغنون فاذا ابتدأ هو لم يبق أحد من الغلمان والمتصرفين وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار إلا وقد ترك ما فى يده وصار بأقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزل مصغيا إليه لاهيا عما كان فيه مادام يغنى فاذا أمسك وغنى غيره رجعوا إلى أشغالهم ولا برهان أقوى من شهادة الفطرة واتفاق الطبائع على الميل إليه مع اختلافها فى غير ذلك ، وقال منصور بن المهدى غنى أخى إبراهيم الأمين يوما فقال :

وكاس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس أنى امرؤ ... أتيت الفتوة من بابها

وكان الأمين مشرفا على حمر الوحش وهو مخمور وكان من عادته أن لا يشرب وهو مخمور فاستوى جالسا

وعاصِ النَّصيح ؛ الذى لا يُبيح ، وصِالَ المَليح ، إذا ما سَمَح

وطرب وقال أحسنت والله ياعم وأحييت لى طربا وغنى يومئذ على أشد طبقة ينتهى إليها وما سمعت مثل غنائه قط وقد رأيت منه شيئا عجيبا لو حدثت به ماصدقته كان إذا ابتدأ يغنى أصغت الوحش ومدت أعناقها ولم تزل تدنو منه حتى تضع رؤسها على الدكان الذى كنا عليه فاذا سكت نفرت عنا حتى تنتهى إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها وجعل الأمين يعجب من ذلك (يبيح) أى يجعله مباحا يقول عص من يعذ لك فى وصل المليح متى سمح بوصله وكان أعرابى قد طال تعشقه بجارية فقيل له ماكنت صانعا لو ظفرت بها ولا يراكما غير الله قال إذا والله لا أجعله أهون الناظرين لكنى كنت أفعل بها ماكنت أفعله بحضرة أهلها : شكوى وحديث عذب واعراض عما يسخط الرب ويقطع الحب فان تلق وصال المليح إذا سمح بمثل هذا . فعصيان النصيح واجب ، وأكثر الناس يرى أن الظفر بالمعشوق يسقط نصف عشقه وأن النكاح يفسد الحب ،وقال المأمون: ما الحب إلا قبلة وغمز كف وعضد

وكتب فيها رقى أنفذ من نفث والعقد
من لم يكن ذا حبه فانما يبغى الولد
ما الحب إلا هكذا إن نكح الحب فسد

وقال حبيب فى نقيضه وأجاد :

وقالت نكاح الحب يفسد شكله   وكم نكحوا حبا وليس بفاسد

وقالت أم الضحاك المحاربية :

شفاء الحب تقبيل وضم   وجر بالبطون على البطون
ورهز تهمل العينان منه   وأخذ بالمناكب والقرون

وقال الحسن : إذا هجع النيام نخل عنى   وعمن كان يصلح للدبيب
فانى عالم فطن أريب   ولم يخبرك مثل فتى أريب
ألذ الفعل تأخذه سرورا   بمنح الحب أو أمنع الرقيب

وبعد هذا مايقبح ذكره وشعر الحسن يكثر فى هذا الباب ، وقال ابن الابار رحمه الله وذكر أنه فعل بمحبوبه وبرقيبه :

فوثبنا على الغزال وثوبا   ودببنا على الرقيب دبيبا
فهل أبصرت أو سمعت بصب   ناك محبوبه وناك الرقيبا

وقال ابن بسام : لقد ظرف ابن الأبار واستهتر ماشاء وقدر وأظنه لو قدر على إبليس الذى تولى له هذا المذهب لدب عليه . وابن المعتز كنى ولم يصرح فقال :

فكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أين ماقدمناه لابن الابار من قول الاخر فى ضده

ومنعم غض القطاف عذب لماه للارتشاف
فوردت جنة نحره ونعيمها دون اقتطاف
وعصيت سلطان الهوى وأطعت سلطان العفاف

وقال ابن الابار أيضا:

ومعرض بالغصن فى حركاته تسل القلوب العفو من لحظاته
عاطيته كأسا كأن سلافها من ريقه المعسول أو وجناته
وأطعت سلطان العفاف تكرما والمرء مجبول على عاداته

وقال الشريف الرضى فأحسن:

بتناضجيعين فى ثوبى هوى وتقى يلفنا الشوق من فرق إلى قدم
وبات بارق ذاك الثغر يوضح لى مواقع اللثم فى داج من الظلم
وباتت الريح كالعفرى تجاذبنا على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض بردا ما تعلقه غير العفاف وراء العيب والكرم

وقال ابن فرج الجيانى

وطائعة الوصال صددت عنها وما الشيطان فيها بالمطاوع
بدت بالليل سافرة فباتت دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة إلا وفيها إلى فتن القلوب لنا دواعى
فملكت الهوى جمحات شوقى لأجرى فى العفاف على طباعى
كذاك الروض ما فيه لمثلى سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات فأتخذ الرياض أم من المراعى

وقال أيضاً فأحسن: بأيهما أنا فى الشكر بادى أشكر الطيف أم شكر الرقاد
سرى لى فازدهى أملى ولكن عففت فلم أنل منه مرادى
وما فى النوم من حرج ولكن جريت من العفاف على اعتيادى

كأنه لما عف فى اليقظة جرى على عادته فى النوم وهذا من قول أبى الطيب:

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

وهذا أملك شهوة من التهامى وإن كان قد أحسن حيث يقول:

إنى لا صرف طرفى عن محاسنها تكرما وأكفت الكف عن لمم
ولا أهم ولى نفس تنازعنى أستغفر الله الا ساعة الحلم

وقال ابن طباطبا: يقظانه ومنامه شرع كل بكل منه مشتبه
إن هم فى حلم بفاحشة زجرته عفته فينتبه

وجُلْ في المِحال ، ولو بالمُحال ، ودَعْ ما يُقال ، وخُذْ ما صَلَح
وفارِقْ أباك ، إذا ما أباك ، ومُدَّ الشِّباك ، وصِدْ مَنْ سَنَح
وصافِ الخليل ، وناف البخيل ، وأوْلِ الجميل ، ووالِ المِنح
وأْنْ بالمَتاب ، أمامَ الذَّهاب ، فمَنْ دَقَّ باب ، كَريم فَتح

أخذه السرى فكتب إلى صديق له وكان اتهمه بغلام بعثه اليه

أبا بكر أسأت الظن فيمن   سجيبه التمنع والخلاف
وخفت عليه فى الخلوات منى   ولم يك بيننا حال يخاف
جفوت من الصبا ما ليس يجنى   وعفت من الهوى مالا يعاف
فلو أنى هممت بقبح فعل   لدى الاغفاء أيقظنى العفاف

(جل) تصرف (المحال) المكر (لذ) تعلق وتستر (المحال) الباطل وما لا يمكن ثبوته (ودع ما يقال) أى لا تلتفت إلى من ينقصك باتباع لذاتك وخذ ما يوافقك ويصلح بك وهذا رأى من اشتهر بالمجون كالحسن فى قوله:

دع عنك ما جدوا به وتبطل   وإذا لقيت أخا الحقيقة فاهزل
لا تركبن من الذنوب خسيسها   واعمد إذا قاربتها للانبل
وخطيئة تغلو على مستامها   يأتيك آخرها بطعم الأول
حللت لا حرج على حرامها   ولربما حللت غير محلل

وقال ابن وكيع :

لا تقبلن من الرشيد كلامه   وإذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع الترهب والتجمل للورى   فالعيش ليس يطيب للمتجمل

وقال أيضاً :

فارقت بعدك عفتى ووقارى   وخلعت فى طرق المجون عذارى
لا تأمرنى بالتستر فى الهوى   فالعيش أجمع فى ركوب العار
لا تكثرن على إن أخا الحجا   برم بقرب الصاحب المكثار

(أباك) أى تمنع منك (سنح) تيسر يقال سنح الشيء سنوحا إذا تيسر (صاف الخليل) أى أخلص الود للصاحب (ناف) باعد (أول الجميل) ألصق المعروف بمن يستحقه وقد أولانى فلان المعروف ألصقه بى وجعله بينه وبينى وقيل معنى أولانى ملكنى من قولهم هذا ولى المرأة أى مالك أمرها وقيل معناه عضدنى به وقوانى من قولهم بنو فلان ولاة على بنى فلان أى يعينونهم ويعضدونهم وقيل أولانى أنعم على من الآلاء وهى النعم واحدها إلى وألى والأصل ولى وولى أبدل من الواو المكسورة همزة على حد اسادة وأبدل من الواو المفتوحة همزة على حد أحد وامرأة أناة (وال المنح) تابع العطايا (أمام الذهاب) قدام الموت رسول إذا شخت وأيقنت الموت فاضرب باب التوبة فانه يفتح لك إذ كل كريم بابه يفتح ، ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المصلى يقرع باب الملك وإنه من يداوم قرع الباب يوشك أن يفتح له والله تعالى

فقلتُ له : بَخٍ بَخٍ لِروايتك ؛ وأفٍّ وتُفٍّ لِغَوايتِكِ ، فَبِاللهِ من أيّ الأَعْيَاصِ عِيصُك ؛ فَقَدْ أَعْضَلَنِي عَوِيصُك ؛ فقال : ما أُحبُّ أنْ أُفصحَ عَنّي ؛ ولـكن سأُكَنّي

أَنَا أُطْرُوفَةُ الزَّما   ن وأُعْجُوبَةُ الأُمَمِ
وأنا الحُوَّلُ الذي أَحْتالُ في العُرْبِ والعَجَمِ
غَيْرَ أَنِّي ابنُ حاجَةٍ   هاضَهُ الدَّهْرُ فاهْتَضَمْ
وأبُو صِبْيَةٍ بَدَوْا   مِثْلَ لَحْمٍ على وَضَمْ
وأَخُو العَيْلَةِ المُعِيـلُ إذا احْتالَ لم يُلَمْ

قال الراوي : فَعَرَفْتُ حينئذٍ أنه أبو زَيْدٍ ذُو الرَّيْبِ وَالعَيْبِ ؛ ومُسَوِّدُ وَجْهِ الشَّيْبِ ؛ وسَاءَني عِظَمُ

أكرم الكرماء وبابه باب التوبة . . وقال الالبيري :

فلازم قرع باب التوب دأبا   فان لزومه سبب الدخول

(بخ بخ) أي عجب عجب وتثقل وتخفف وهي كلمة تقال عند الاعجاب بالشيء (أف وتف) الأصمعي : الاف وسخ الآذان والتف وسخ الأظفار ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضجر منه ، وقال غيره الأف القلة مأخوذ من الأفف وهو القلة ثم نسق التف عليه ومعناه كمعناه ويقال لمن يدعى عليه بالخيبة أف وتف لك ، وقال ابن الانباري إذا أفردت أف ففيها عشرة أوجه فتح الفاء وكسرها وضمها على قياس مد وثلاثتها بالتنوين على قياس ويل فنصبه على الدعاء ورفعه بالابتداء وخفضه على التشبيه بالاصوات كه وصه وأف كقد وأفي بضم الهمزة منصوب على الدعاء وأفي باضافته إلى نفسه وأف بضم الهمزة وسكون الفاء تشبيها بالادوات نحو هل وبل (غوايتك) ضلالتك (الاعياص) الاصول والعيص بيت الاسد يريد من أي القبائل والبلاد (اعضلني) صعب على (عويصك) صعب أمرك ومشكله (افصح) أبين (أكني) أوري أي أدل على نفسي بكلام خفي.

(أطروفة) غريبة (الحول) الكثير الحيلة (هاضه) كسره (اهتضم) ظلم ونقص (الوضم) خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم (العيلة) الفقر وعال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر قال الله تعالى وإن خفتم عيلة وقال الشاعر :

وما يدرى الفقير متى غناه   وما يدرى الغنى متى يعيل

والمعيل الكثير العيال وقد أعال يعيل (الريب) أي الريبة (مسعود وجه الشيب) نبه به على قوله في أول المقامة : « ميسمه ميسم الشبان » ، يريد أنه خضب شيبه وتشبه بالفتيان ، الخضاب مباح والتدليس مكروه وقال النبي صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا الشيب ، وكان ابو بكر رضي الله عنه يخضب بالحناء والكتم وجاء النهي عن الخضاب بالسواد وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان قوم الخضاب احد الشبابين . وقال مالك بن اسماء بن خارجة لجارية له : قومي اخضبي رأسي ولحيتي فقالت دعني فقد عييت مما أرقعك فقال :

عيرتنى خلقا أبليت جدته   وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

وقال آخر : أليس عندك شكر للتى جعلت   ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه   طول الزمان وصرف الدهر والقدم

وقال آخر : وقائلة تقول وقد رأتنى   ترقع عارضاى من القتير
عليك الخضب علك أن تدانى   إلى بيض ترى منهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمرى   ولست مسودا وجه النذير

وقال عبدان الأصبهانى :

فى مشيبى شماتة لعداتى   وهو ناع منغص لحياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه   لى أنس إلى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر منى   ما تطلبت خلة الغانيات
إنما رمت أن يغيب عنى   ما ترينيه كل يوم مراتى
وهو ناع إلى نفسى ومن ذا   سره أن يرى وجوه النعاة

وقال آخر : بكرت تحسن لى سواد خضابى   لو كان ذاك يعيدنى لشبابى
وإذا أديم الوجه أخلقه البلى   لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ما الذى يبدى عليك خضابه   وخلاف ما يرضيك فى الاثواب

وقال ابن عبد ربه :

إذا فصل الخضاب بكى عليه   ويفرح كلما وصل الخضابا
كأن حمامة بيضاء ظلت   تقاتل فى مفارقه غرابا

وقال ابن الرومى:

يا أيها الرجل المسود شعره   كيما يعد به من الشبان
أقصر فلو سودت كل حمامة   بيضاء ما عدت من الغربان

وأملح منه قول الآخر:

قالت خضبت الشيب ثم أتيتنا   تبغى لدينا بالخضاب ودادا
فأجبتها لم أختضب لك إنما   شيبى صبغت على الشباب حداد

وما أحسن ما قال ابن هانىء الاندلسى :

بنتم فلولا أن أغير لمتى   عبثا وألقاكم على غضابا
لخضبت شيبا فى مفارق لمتى   ومحوت محو النفس منه كتابا
وخضبت مبيض الحداد عليكم   لو أننى أجد البياض خضابا
وإذا أردت على المشيب وفادة   فاجعل مطيك دونه الا حقابا
فلتاخذن من الزمان حمامة   ولتدفعن إلى الزمان غرابا

تَمرُّدِهِ وقُبحُ، تَوَرُّدِهِ فقلتُ له بلسانِ الأَنَفة، وإدلالِ المَعْرِفة: ألم يَأْنِ لكَ يا شَيْخَنا، أنْ تُقلِعَ عن الخَنا فتضجَّر وزمجرْ، وتنكَّر وفكَّر، ثم قال: لَيْلةُ مِراحٍ لا تَلاح، ونُهْزَةُ شُرْبِ راحٍ لا كِفاح، فعَدِّ عمّا بَدا إلى أن نتلاقى غدا، ففارقتُهُ فَرَقاً من عَرْبَدَتِه، لا تعَفُّفاً بعد نَهِ، وبتُّ لَيْلتي لابِساً حِدادَ النَّدَم، وعلى تَقلِّي خُطا القَدَم، إلى ابنةِ الكَرْمِ لا الكَرَم، وعاهدتُ اللهَ سبحانه وتعالى أنْ لا أحضرَ بعدَها حانةَ نبّاذ، ولو أُعطيتُ مُلْكَ بَغْداد وأنْ لا أشهدَ مَعصَرةَ الشَّراب؛ ولو رُدَّ عليَّ عَطَرُ الشَّباب. ثم إنّنا وقتَ التَّغْليس رَحَّلْنا العِيس،

(تمرده) تشيطنه وتمرد اذا كثر شره والمريد الخبيث الذى لا يطاق مكره (توردُه) اتيانه بما لا يحل وأصل التورد قصد الماء (الانفة) الغضب (يأن) يحين ويقرب (الخنى) الفساد (تضجر) اشتد غضبه (زمجر) تكلم بما لا يفهم (تنكر) تغير على ونكر نفسه كأنه لا يعرفنى (مرح) طرب ونشاط (تلاح) مشاتمة (نهزة) فرصة وغنيمة (كفاح) قتال (فعد) واصرف واترك (فرقا) فزعا (عربدته) شره وشغبه (الحداد) ثياب الحزن (الخطا) جمع خطوة وهى ما بين القدمين (نباذ) خمار (عطر) زمان (رحلنا العيس) جعلنا على الإبل رحالها (التغليس) الخروج فى الغلس وهى الظلمة التى بين طلوع الفجر والشمس , . . وأظن أنه بنى هذه المقامة على حكاية لأبى دلامة، حكى الأصبهانى أن موسى بن داود الهاشمى عزم على الحج فقال لأبى دلامة احجج معى ولك عشرة آلاف درهم فقال هاتها فدفعها اليه فأخذها وهرب إلى السواد وجعل ينفقها هنالك فى شرب الخمر فطلبه موسى فلم يقدر عليه وخشى فوت الحج وخرج فلما شارف القادسية إذا هو بأبى دلامة خارج من قرية إلى أخرى وهو سكران فأمر بأخذه وتقييده وطرح فى محمل بين يديه فلما سار غير بعيد أقبل على موسى ونادى:

يا أيها الناس قولوا أجمعون معا صلى الإله على موسى بن داود
كأن ديباجتى خديه من ذهب إذا بدا لك فى أثوابه السود
إنى أعوذ بداود وأعظمه من أن أكاف حجا يا ابن داود
خبرت أن طريق الحج معطشة من الشراب وما شربى بتصريد
والله ما فى من أجر فتطلبه ولا الثناء على دينى بمحمود

فقال موسى: ألقوه عن المحمل لعنه الله فألقى وعاد إلى موضعه بالسواد حتى أنفق المال،

وقال آخر: ألم ترنى وبشارا حججنا وكان الحج من خير التجاره
خرجنا طالبى سفر بعيد فمال بنا الطريق إلى زراره
فآب الناس قد حجوا وبروا وأبنا موقرين من الخساره

وخَلِّنا بَيْنَ الشَّيْخَيْنِ . أَبِى زَيد وإِبليس

وقال أبو نواس فى الحج :

وقائل هل تريد الحج قلت له   نعم إذا فنيت لذات بغداد
وكيف بالحج لى مادمت منغمسا   فى بيت قوادة أو بيت نباذ

(وخلينا بين الشيخين أبى زيد وإبليس) من قول الحسن :

بت وإبليس إلى الصبح فى   كل الذى يؤثمنى خصمى

وأنظر هذا فى الثامنة والأربعين . . والله أعلم .

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

روى الحارِثُ بنُ هَمَّامٍ قال: نَدَوْتُ بضَوَاحِي الزَّوْراء ،

شرح المقـــامة

(ندوت) أى خرجت ويقال ندت الإبل تندو إذا خرجت من المشرب ترعى فيما قرب منه ، وهو الذى قصد لأنه أراد أنه خرج مع أصحابه خارج البلد يستريحون ثم يرجعون (الضواحى) المواضع البارزة للشمس (الزوراء) هى فى الجانب الشرقى من بغداد وسميت زوراء لازورار قبلتها أى لانحرافها وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مفظعة تسبى فيها النساء وتذبح فيها الرجال كما يذبح الغنم ، والزوراء هى بغداد ويقال لها الزوراء ومدينة السلام ومدينة المنصور وبغداد وبغداذ وبغدان وبغذان وبغدام وبغذام وبغداد عن الفراء ... وبعضهم يقول تفسيره بستان رجل فبغ بستان وداد رجل ، وقيل بغ صنم وداد عطية ، وإنما اختلفت العرب فى لفظها إذا لم تكن من كلامها ولا اشتقاق لها من لغاتها وأشهر لغاتها بغداد بدالين وبغدان بالنون وكان الأصمعى رحمه الله لا يقول بغداد وإنما يقول مدينة السلام لأن بغ عندهم اسم صنم وداد عطية بالفارسية فكأنها عطية الصنم وبناها المنصور وبعث رجالا يطلبون له موضعا يبنى فيه مدينة فطلبوا فلم يجدوا حتى جاء يثزل فنزل على الجسر الذى فى الصراة فقال هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة فوجه حينئذ الصناع من الشام والموصل والكوفة وواسط والبصرة فابتدئت سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال محمد بن أبى سهل لما أراد المنصور بناء بغداد أمرنى أن آخذ الطالع فأخذنا طالعها فكان المشترى فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول بنائها وكثرة عمارتها ثم قلت : وخلة أخرى يا أمير المؤمنين نجدها على ما تدل عليه النجوم لا يموت فيها خليفة فرأيته يتبسم وقال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .. وقيل لرجل كيف رأيت بغداد فقال الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها ... ابن جبير : بغداد هى المدينة العتيقة ولم تزل حضرة الخلافة العباسية وقد ذهب رسمها وسمها وهى بالإضافة إلى ما كانت عليه قبل إيجاد الحوادث عليها والتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدارس والأثر الطامس وتمثال الخيال الشاخص فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعى من المستوفز الغفلة والنظر إلا دجلتها التى بين الشرقية والغربية منها كالمرآة المجلوة بين صفحتين والعقد المنتظم بلبتين فهى تردها فلا تظمأ وتطلع فى مرآة صقيلة فلا تصدأ والهواء المنتظم يتولد بين هوائها ومائها فهى معروفة بفتن الهوى إلا أن يعصم الله منها . وكنا سمعنا أن هواء بغداد ينبت السرور فى النفس ويبعث دائما على الانبساط والأنس فلا تكاد تجد فيها إلا جذلان طربا وإن كان نازح الدار مغتربا حتى حللت بقرية وزيران وهى على مرحلة منها فلما نفحتنا نوافح هوائها ونقعنا الغلة ببرد مائها أحسسنا من أنفسنا على حال وحشة الانفراد دواعى من الاطراب واستشعرنا بواعث فرح كأنه فرحة الغياب بالإياب وهفت بنا محركات من الانس ذكرتنا معاهد الأحباب فى عصر الشباب ، هذا للغريب النازح الوطن فكيف الوافد فيها على

مَعَ مَشْيَخَةٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، لا يَعْلَقُ لَهُمْ

أهل وسكن : سقى الله باب الطاق صوب غمامة ورد إلى الأوطان كل غريب
وبغداد جانبان شرقى وغربى ودجلة بينهما فأما الجانب الغربى فقد عمه الخراب واستولى عليه وهو كان المعمور أولا ولكنه مع خرابه يحتوى على سبع عشرة محلة كل واحدة منها مدينة مستقلة لها الحمامان والثلاثة وصلاة الجمعة فى ثمان منها وأكبرها القرية وهى على شط دجلة وعلى مقربة من الجسر ثم الكرخ وهى مدينة مشهورة ثم محلة باب البصرة وهى مدينة بها جامع المنصور وهو كبير عتيق البنيان ثم الشارع وهى مدينة وهذه الأربع أكبر المحلات والوسيطة بين دجلة وبين نهر يتفرع من الفرات وينصب فى دجلة يجىء فيها جميع المدائن التى يسقيها الفرات وعلى بابها نهر آخر منه ينصب فى دجلة ومنها العتابية وهى مدينة يصنع فيها الثياب العتابية وهى حرير وقطن مختلفات الألوان وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها , وأما الشرقية فهى محدثة وهى حفيلة الأسوار عظيمة الترتيب تشتمل من الخلق على بشر كثير لا يحصيهم إلا الذى أحصى كل شىء عددا ، وبالشرقى محلة الرصافة وبها كان باب الطاق المشهور على الشط وبإزائها محلة كبيرة تعرف بقبر أبى حنيفة رحمه الله فيها قبة سامية فى الهواء بيضاء فيها قبر الإمام أبى حنيفة وبالقرب منها قبر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله...وحمامات بغداد لا تحصى أخبرنى بعض أشياخها أن فيها اليوم ألفى حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر فيها أنها رخام أسود صقيل ، وأكثرها حمامات هذه الجهة على هذه الصفة لكثرة القار عندهم وشأنه عجيب لأنه منبع عين بين البصرة والكوفة يصير القار فى جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالقه . . وببغداد من المدارس نحو الثلاثين مامنها مدرسة إلا كالقصر العظيم وأعظمها النظامية وبساتين بغداد وحدائقها بالغربية ومنها تجلب الفواكه للشرقية والعادة أبداً أن يكون بين الشرقية والغربية جسران لجواز الناس ومع ذلك فمن يعبر بينهما من الناس فى الزوارق لا يحصى وذلك لكثرة الناس وزوارقها لا تحصى والناس ليلا ونهاراً من معاينة العبور فيها فى نزهة متصلة رجالا ونساء . . وبالجملة فشأن هذه البلدة أعظم من أن يوصف وأين هى اليوم مما كانت عليه ؟ هى اليوم داخلة تحت قول حبيب : لا أنت أنت ولا الديار ديار - ثم ذكر ابن جبير أهلها فذمهم بكل عيب من الكبرياء وبيع الرياء استثنى فقهاءها ووعاظها (مع مشيخة من الشعراء) قال الخليل فى مدح الشعراء : هم أمراء الكلام يصرفونه أنى شاؤوا وجائز لهم مالا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته ، وسئل غيره عنهم فقال ماظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا منهم والكذب مذموم إلا بينهم , وقال آخر : إياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بأدنى كلمة ، وقال بعض الظرفاء يذمهم :

الكلب والشاعر فى رتبة ياليت أنى لم أكن شاعرا
هل هو إلا باسط كفه يستمطر الوارد والصادرا
والله لولا حرقات الهوى ما كنت إلا رجلا تاجرا

وقال ابن الرومى :

مُبارٍ بِغُبارٍ ، ولا يَجْرِى مَعَهُمْ مُمار فى مِضْمار . فأَفَضْنا فى حَدِيثٍ يَفْضَحُ الأَزْهار ، إلى أن

يقولون مالايفعلون مسبة — من الله مسبوب بها الشعراء

وقال أيضا :

للنـاس فيها يكلفون مغارم — عند الكرام لها قضاء زمام
ومغارم الشعراء فى أشعارهم — إنفاق أعمار وهجر منـام
وجفاء لذات وهجر مكاسب — لوخلفت حرست من الاعدام
وتشاغل عن ذكر رب لم يزل — حسن الصنائع سابغ الانعام

(مبار) أى معارض (مضمار) طلق (ممار) مجادل (أفضنا) أندفعنا (يفضح) يكشف عيوبها ، شبه الجماعات فى الآداب بالخيل الجياد فى الطلق لايلحق غبارها من يجاريها وجعل حديثهم بحسن تفننه يفضح الازهار متى قرن بها ، ونجعل تفسيراً لهذا المجلس الموصوف باجتماع الشعراء ماحدث به دعبل أنه اجتمع هو ومسلم ابن الوليد وأبو الشيص وأبو نواس وهؤلاء مشيخة شعراء عصرهم فقال لهم أبو نواس إن مجلسنا هذا قد اشتهر باجتماعنا فيه ولهذ اليوم مابعده فليأت كل امرىء منكم بأحسن ماقال فلينشده فأنشد أبو الشيص :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى — متأخر عنـــه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة — حبا لذكرك فيلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم — إذا كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا — مامن يهون عليك ممن أكرم

فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ماكاد ينقضى عجبه ، ثم أنشد مسلم أبياتا منها :

فأقسم أنسى الداعيات إلى الصبا — فقد فاجأتها العين والستر واقع
فغطت بأيديها ثمار نحورها — كأيدى الاسارى أثقلتها الجوامع

قال دعبل : فقال لى أبو نواس هات أبا على وكأنى بك قد جئت بأم القلادة : لاتعجبى ياسلم ، فأنشدته :

أين الشباب وأية سلكا — لا أين يطلب ضل أم هلكا
لاتعجبى ياسلم من رجل — ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعرى كيف صبركما — ياصاحبى إذا دمى سفكا
لاتطلبا بظلامتى أحـــدا — قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

ثم سألناه أن ينشدنا فانشد :

لاتبك ليلى ولا تركن إلى هند — واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا إذا انحدرت فى حلق شاربها — أجدته حمرتها فى العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة — من كف جارية ممشوقة القد
تسقيك من عينها سحرا ومن يدها — خمراً فمالك من سكرين من بد
لى سكرتان وللندمان واحدة — شىء خصصت به من بينهم وحدى

نَصَفْنا النَّهار ، فلمَّا غاضَ دَرُّ الأفكار ، وصَبَتِ النُّفوسُ إلى الأوْكار ؛ لَمَحْنا عَجُوزا تُقبِلُ مِنَ البُعْـــد ، وتُحْضِرُ إحْضارَ الجُرْد ، وقدِ اسْتَتْلَتْ صِبْيَةً أنْحَفَ مِنَ المَغازِل ، وأضْعَفَ مِنَ الجَوازِل ، فما كَذَّبَتْ إذ رَأَتنا، أنْ عَرَتنا ، حتَّى إذا ماحَضَرَتنا ، قالَتْ : حَيَّا اللهُ المَعارِفَ ، وإنْ لم يَكُنْ مَعارِفَ ؛ اعلَمُوا يا مآلَ الآمِل ، وثِمالَ الأَرامِل ؛ أنِّي

فلما بلغ هذا البيت قاموا فسجدوا له فقال أفعلتموها والله لا أكلمكم ثلاثا ولا ثلاثا ، ثم قال تسعة فى هجر الأخوان كثير وفى بعضها استصلاح للفاسد وعقوبة على الهفوة ، ثم التفت إلينا وقال : أعلمتم أن حكيما عتب على حكيم فكتب المعتوب عليه إلى العاتب : يا أخى إن أيام العمر أقل من تحمل الهجر .. نظم ذلك الشاعر فقال :

العمر أقصر مـــدة ... من أن يمحق بالعتاب
أو أن يكدر ماصفا ... منه بهجر واجتناب

وقال ابن طاهر :

إلى كم يكون الصدفى كل ساعة ... ولم لاتملين القطيعة والهجرا
رويدك إن الدهر فيه بقية ... لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا

وقال آخر :

ولقد علمت فلاتكن متجنبا ... إن الصدود هو الفراق الأول
حسب الأحبة أن يفرق بينهم ... ريب الزمان فما لنا نستعجل ؟

وقال القاضى عبد الوهاب :

لاتنعجل قطيعتى فكنى ... يومابذا الدهر بيننامقطع
عما قريب تجىء فرقتنا ... ثمت لاملتقى ولا مجمع

وأخذه الكل من قول جميل :

ولعل أيام الحياة قليلة ... فعلام يكثر عتبنا ويطول

(نصفنا) أى بلغنا نصفه (غاض) جف (در الأفكار) كلامها والدر اللبن استعاره لما يتولد من الذهن (صبت) مالت (الأوكار) البيوت هنا(لمحنا) أبصرنا (تحضر) تجرى (الجرد) الخيل القصيرة الشعر (استتلت)جعلتهم تلوها يتبعونها(أنحف) أقل لحما (الجوازل) فراخ الحمام واحدها جوزل (عرتنا) قصدتنا (المعارف) الأول الوجوه واحدها معروف قال الشاعر :

متلثمين على معارفنا ... نثنى لهن حواشى العصب

(وإن لم يكن معارف) أى وإن كنت لاأعرفهم (مآل) مرجع وقد آل يؤل أولا ومآلا إذا رجع (الآمل) الراجى (وثمال)غياث وملجأ (الأرامل) المساكين ، يعقوب : هن جماعة الرجال والنساء ويقال لهم أرامل وإن لم يكن فيهم نساء ويقال جاءت أرملة من رجال ونساء محتاجين ويقال للرجال الضعفاء المحتاجـــين أرملة وإن لم يكن فيهم نساء وأرمل القوم فنى زادهم وواحد الارامل أرمل وأرملة وإنما قيل للفاقدة زوجها

مِن سَرَوَاتِ القبائل، وسَرِيّات العقائل، لم يَزِلْ أهلي وبَعْلي يَحُلُّونَ الصَّدْر، ويَسِيرونَ القَلْب؛ ويُمْطُونَ الظَّهر، ويُولُونَ اليد: فلمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الأعْضاد، وفَجَع بالجوارِحِ الأكْباد. وانْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ نَبَا النَّاظِر؛ وجَفَا الحَاجب وذَهَبَتِ العَيْن وفُقِدَت الرَّاحَة، وَصَلَدَ الزَّنْد، ووَهَنَتِ اليَمِين وضَاعَ اليَسار وبانَتِ المَرَافِق، ولم يَبْقَ لنا ثَنِيَّةٌ ولا ناب: فمُذْ اغبرَّ العَيْشُ الأخْضَر، وازْوَرَّ المَحْبُوبُ الأصْفَر، اسْوَدَّ

أرملة لأن أمرها يؤول إلى الضيعة والحاجة (سروات) سادات واحدها سراة والسرى السيد الكبير ذو المروءة والسرو المرأة وقد سرى سروا وسرا وسرواة جمع السخاء والفضل. قال امرؤ القيس: ولها عليه سرواة الفضل. وأنشد يعقوب:

إن السرى هو السرى بنفسه وابن السرى إذا سرى سراهما

قال ثعلب: السرى فى كلامهم الرفيع مأخوذ من السراة وسراة كل شيء أعلاه (سريات) سيدات (العقائل) كرائم النساء تريد أن أباها وأمها من السادات (البعل) الزوج وبعل الرجل بعولة تزوج (الصدر) مقدم المجلس (القلب) العسكر والعسكر خمسة أقسام مقدمه وساقة وميمنة وميسرة وقلب وهو محل الملوك أرادت بيان قرابتها منهم (يمطون) يهبون (الظهر) الابل بأوقارها وأمطاه أعطاه دابة يركب مطاها أى ظهرها (يولون اليد) يهبون النعمة (أردى) أهلك (الأعضاد) جمع عضد وهو الغليظ الذراع الذى بين المرفق والمنكب (فجع) أحزن وجاء بفجيعة وهى الرزية يتفجع عليها (الجوارح) عوامل الجسد كاليد والرجل والعين تريد أن الدهر إذا أهلك أهلها فكأنه قطع جوارحها فتعطلت منفعتها (انقلب) تحول (ظهر البطن) كناية عن الخلاف أى بعد أن كان مستقيما انقلب (نبا) ارتفع ولم يستقر (الناظر) من ينظر عليها (الحاجب) من يحجبها ويسيرها (العين) الذهب (الراحة) الدعة والسكون (صلد) لم يور نارا وأرادت انقطاع الخير عنها (وهنت) استرخت (اليمين) القوة (بانت) ذهبت وبعدت المرافق من كان يرتفق بحياته ومنفعته والمرافق كل ما ارتفعت به من مال وغيره (ثنية) صغيرة من الابل (ناب) مسنة وهذا الكلام كله استعارة كما تقدم فى الابرة والمرود لكنه كنى هنا بالجوارح والأعضاء عمن كان يستعين به من القرابة على الدهر ومعانى الاعضاء بينة إلا الراحة فانها بطن الكف والزند طرف عظيم الساعد والثنية والناب صريحتان ونبا الناظر لم ينم وجفا الحاجب لم يرسل الجفن على العين فتنام كما قال بشار:

نبت عينى عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

وقال التهامى: قصرت جفونى أم تباعد بينها أم صورت عينى بلا اشفار

(أغبر) أى علته غبرة (الأخضر) الناعم (ازور) انقبض (الاصفر) هو الدينار (القود) ناحية الرأس بين الاذن والجبهة وهذا من قول أعرابى ذكر مصيبة فقال مصيبة والله تركت سود الرؤس بيضا وبيض الوجوه سودا وهونت المصائب بعدها وقال عبد الله بن الزبير الاسدى:

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

يَوْمِي الأَبْيَض ، وابْيَضَّ فَوْدِي الأَسْوَد ، حتى رَثَى لي العَدُوُّ الأَزْرَق ، فَحَبَّذَا المَوْتُ الأَحْمَر ، وتِلْوِي مَنْ تَرَوْنَ عَيْنُهُ فُرارُه ، وتَرْجُمانُه اصْفِرارُه ، قُصْوَى بُغْيَتِي أَحَدُهم بُرْدَة ، وقُصارَى أُمْنِيَّتِه بُرْدَة ؛ وكُنْتُ آلَيْتُ أَنْ لا أَبْذُلَ الحُرَّ إلاَّ لِلحُرّ ، ولوْ أَنِّي مُتُّ مِنَ الضُّرّ ؛ وقَدْ نَاجَتْنِي القَرُونَة ، بِأَنْ تُوجَدَ عِنْدَكُمُ المَعُونَة ، وآذَنَتْنِي فِرَاسَةُ الحَوْبَاء ، بِأَنَّكُم يَنابِيعُ الحِباء ، فَنَضَّرَ اللهُ أَمْرَأً أَبَرَّ قَسَمِي ، وصَدَّقَ تَوَسُّمِي ، ونَظَرَ إلَيَّ بِعَيْنٍ يُقْذِيها الجُمود ، ويُقَذِّيها الجُود

فرد شعور هن السود بيضا ورد وجوهن البيض سودا

وقال التهامى : تسود الشمس منا بيضا أوجهنا ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما فى الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

(رثى) بكى وأشفق (العدو الأزرق) أراد الروم وهم أعداء العرب (والموت الأحمر) الشديد ومنه الحسن أحمر أى من أحب الحسن احتمل المشعة ، وفى الحديث كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن أحد أقرب إلى العدو منه فمعناه اشتد وقيل معنى الموت الاحمر القتيل وقد قال الأخطل : أن قدأتيح لهن موت أحمر ، يريد قتل الثور الكلاب ، وتقدم فى المقامة قبل هذه ، فلما فيه من الدمهىأحمر وهو الأظهر من القصد الحريرى لأنه علق غيره من الصفات بالون مثل العدو الأزرق والروم زرق العيون فكذلك الموت الأحمر ، أبو عبيدة : الموت الأحمر أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيافى عينيه حمراء ورداء والموت الأغبر هو الموت جوعا لأنه يغبر فى عينيه كل شىء والموت الأسود هو الموت فى غمة الماء والموت الأبيض هو موت العافية ، قال الخطابى : الموت الأبيض أى فجاة لأنه يأخذ الانسان ببياض لونه (تلوى) أى خلفى وإلى جانبى (عينه) سخصة (فراره) معرفته أى سخصه يعرفكم بحاله والعرب تقول عينه فراره للشيء تعرفه إذا ابصرته . والفر فى البهائم كشف أسنانها حتى يعرف مالها من السن ، ووقع فى المقامات فراره بضم الفاء وكذا فى نوادر أبى علي ووقع فى النسخ العتاق من الأمثال لأبى عبيد : فراره بكسر الفاء وأنشد أبو علي ؛ هو الحبيب عينه فراره ، وفسره فقال نظرك اليه يغنيك عن فره أن تخبره وهما لغتان فراره وفراره (ترجمانه) المتكلم عنه يريد أن صفرة لونه تخبرك أنه جائع (قصوى) غاية (بغية) طلب (وقصارى أمنيته) أى منتهى مايتمناه وغايته (بردة) ثوب أى أقصى مايطلب ما يأكل وغاية ما يتمنى مايلبس (آليت) حلفت (أبذل الحر) أهين الخد (الحر) الكثير المروأة (ناجتنى) حدثتنى (القرونة) النفس (المعونة) مايستعان به (آذنتنى) أعلمتنى (فراسة الحوباء) فطنة النفس (الينابيع) جمع ينبوع وهو مايخرج من الماء وينبع (الحباء) العطاء (أبر) راعى وأكرم (توسمى) نظرى وظنى (يقذيها) يجعل فيها القذى (الجمود) الشح وقال بعضهم فى ذم التشكى إلى المخلوق لم

لاأشتكى ضرى إلى النـــاس وهم من أعلم
إن إلهـا مس بالضر جـواد منعم
أشكو الذى يرحمنى إلى الذى لايرحـــم؟

قال الحارثُ بنُ همامٍ : فَهِمنا لبَرَاعَةِ عِبارَتِها ، ومُلَحِ استعارتِها ، وقُلنا لها قد فَتَنَ كلامُكِ فكيفَ إلحامُكِ ، فقالتْ أُفَجِّرُ الصَّخْرَ ، ولا فَخْرَ ؛ فقُلْنا إنْ جَعَلْتِنا مِنْ رُواتِكِ ، لم نَبْخَلْ بمُواساتِكِ ، فقالت لأُرِيَنَّكُمْ أوَّلًا شِعاري ، ثم لأُرَوِّيَنَّكُم أشْعاري ، فأبْرَزَتْ رُدْنَ دِرْعٍ دَرِيسٍ ، وبَرَزَتْ بِرْزَةَ عَجُوزٍ دَرْدَبِيس ، وأنشأتْ تقولُ :

أشْكُو إلى اللهِ اشْتِكاءَ المَرِيض ⁂ رَيْبَ الزَّمانِ المُتَعَدِّي البَغِيضْ
يا قَوْمِ إنِّي مِنْ أُناسٍ غَنَوْا ⁂ دَهْراً وجَفْنُ الدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضْ
فَخَارُهم لَيْسَ لهُ دَافِعٌ ⁂ وصِيتُهُم بَيْنَ الوَرَى مُسْتَفِيضْ
كانُوا إذا ما نُجْعَةٌ أعْوَزَتْ ⁂ في السَّنَةِ الشَّهْباءِ رَوْضاً أرِيضْ

الكستجي قال : أملقت حتى لم يبق في منزلي إلا جارية فدخلت دار المتوكل فلم أزل متفكرا فحضرني بيتان فاخذت قصبة وكتبت على الحائط الذي كنت إلى جانبه :

الرزق مقسوم فأجمل في الطلب ⁂ يأتي بأسباب ومن غير سبب
فاسترزق الله ففي الله غنى ⁂ الله خير لك من أب حدب

فركب المتوكل في ذلك اليوم وجعل يطوف على الحجر ومعه الفتح بن خاقان حتى وقف على البيتين وقال من كتب هذا وقرأهما الفتح له فاستحسنهما وقال من كان في هذه الحجرة فقيل الكستجي فقال ؛ أغفلناه وأسانا اليه ،فأمر لي ببدرتين . وقال محمد بن مخلد الكاتب :لزمت أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات أغدو وأروح إلى بابه لا أحظى بطائل ولا أصل إلى تصريف ولا نائل حتى كرهت نفسي فرأيت هاتفا في المنام يقول لي :

يا أيها المكثر في المطالب ⁂ اهجر تصاريف المنى الكواذب
اذا أتى وقت القضاء الغالب ⁂ بادرت الحاجة كف الطالب

فتركت المسير اليه فلم يمض لي أسبوع حتى تقلد حامد بن العباس الوزارة فقلدني كتابته فثابت حالي

(همنا) أي تحيرنا (البراعة) الفصاحة (عبارتها) سياق كلامها (ملح استعارتها) يريد ما استعارته من تسمية الأشخاص بأسماء الأعضاء (الحامك) نسجك الشعر (يفجر الصخر) أي يخرج من الحجر الماء ومن البخيل العطاء (مواساتك) صلتك وأصلها أن تجعل صاحبك أسوة نفسك (شعاري) ثوبي اللاصق بجسمي سمي شعارا لأنه يلي شعر الجسد والظهار الثوب الذي يظهر للعيون والدثار الثوب الذي بينهما (ردن) كم (درع) قميص (دريس) خلق برزت ظهرت (دردبيس) داهية (ريب) جور (غنوا) أقاموا (غضيض) منكسر (صيتهم) ذكرهم الحسن وهو من الصوت فلما كسرت الصاد صير على وزن الذكر ومعناه وانقلبت واوه ياء (مستفيض) متحدث به مشهور (نجعة) مرعى (أعوزت) فقدت (الشهباء) التي أجدبت فلا مطر فيها ولا عشب (الروض) الموضع الكثير

تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ ... ويُطعِمُونَ الضَّيْفَ لَحْماً غَرِيضْ
ما باتَ جارٌ لَهُمْ ساغباً ... ولا لِرَوْعٍ قال: حالَ الجَرِيضْ
فَغَيَّضَتْ مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى ... بِحارَ جُودٍ لم نَخَلْها تَغِيضْ
وأوْدَعَتْ مِنْهُمْ بُطُونُ الثَّرى ... أُسْدَ التَّحامى وأُساةَ المَرِيضْ
فَمَحمِلى بَعْدَ المَطايا المَطا ... ومَوْطِنِى بَعْدَ اليَفاعِ الحَضِيضْ
وأفْرُخى ما تأتلى تَشْتَكى ... بُؤْساً لهُ فى كلِّ يَوْمٍ ومِيضْ
إذا دَعاالقانِتُ فى لَيْــلِهِ ... مَوْلاهُ نادَوْهُ بِدَمْعٍ يَفِيضْ
يارازقَ النَّعَّابِ فى عُشِّـهِ ... وجابِرَ العَظْمِ الكَسِيرِ المَهِيضْ
أَتِحْ لَنا اللّهُمَّ مَنْ عِرْضُهُ ... مِنْ دَنَسِ الذَّمِّ نَقِيٌّ رَحِيضْ

العشب (أريض) متسع (تشب) توقد (للسارين) للماشين بالليل (غريض) طرى (ساغبا) جائعا (الروع) الفزع (الجريض) الغص بالريق عند الموت (حال) منع أى لايقول جارهم حال المرت دون الأمن .. ووفد عبيد بن الأبرص على النعمان الأكبر وهو ابن الشقيقة وبانى الخور نق فامتدحه فوصله وأكرمه وكان له يوم نعيم ويوم بؤس فورد عليه فى يوم بؤسه فقال له ما أخرجك ثكلتك أمك فقال حضور أجلى وانقطاع أملى؛ وكان من لقيه يوم بؤسه لم يخلصه من الموت شىء ، فاستنشده : أقفر من أهله ملحوب ـ فقال له: حال الجريض دون القريض فعزم عليه أن ينشد فأنشد :

أقفر من أهيله عبيــد ... فاليوم لايبدى ولا يعيد

ثم قال له : اختر ، إن شئت أخرجت نفسك من الأكحل وإن شئت من الابجل وإن شئت من الوريد فقال عبيد

خيرتنى بين سحابات عاد ... فردت من بؤسك شر المراد

وكان قتل النعمان لعبيد سبب قطعه يوم بؤسك فلم يفعله بعد (غيضت) أى اذهبت والصروف الطوارىء تصرفك من حال الى حال (لم أخلها) احسبها (أودعت) ضمنت (الثرى) التراب (التحامى) الحماية والمنعة وتحاميته تباعدت منه وتمنعت عليه (أساة) أطباء (المطايا) الإبل (المطا) الظهر (محملى) ماأحمل عليه أثقالى تقول صرت أحمل على ظهرى بعد أن كان محملى ظهور الابل (اليفاع) الارتفاع من الأرض (الحضيض) أسفل الجبل ماتأتلى) تقصر (بؤسا) ضرا (وميض) لمعان (القانت) العابد والقنوت طول القيام (يفيض) يملأ العين حتى تفيض بالدمع (النعاب) فرخ الغراب اختصه من الطير لأنهم يزعمون أنه يخرج من بيضته أبيض الزغب قيرا الذكر فيستريب فيضرب أنثاه وينقرها حتى تفر طائرة فيطير خلفها ويتركانه فيقيض الله له ذبابا يطير حول عينيه فيفتح منقاره ليشردها فتدخل فى حلقه فيتعذى بها حتى يسود ريشه فحينئذ يرجع اليه أبواه فيكملا تربيته ، ويارازق النعاب من دعاء داود عليه السلام (المهيض) الذى تكسر بعد الجبر (أتح) قدر (رحيض

يُطفِئُ نارَ الجوعِ عنّا ولَوْ بمَذْقَةٍ مِنْ حازرٍ أو مَخِيضْ
فهلْ فَتًى يَكشِفُ ما نابَهُم ويَغنَمُ الشُّكرَ الطّويلَ العَريضْ
فوالذي تَعنُو النّواصي لهُ يَوْمَ وُجُوهُ الجمعِ سُودٌ وبيضْ
لولاهُم لم تَبـدُ لِي صَفْحَةٌ ولا تَصَدَّيْتُ لِنَظْمِ القَريضْ

قال الرّاوي: فوَاللهِ لقدْ صدَّعَتْ بأبياتِها أعشارَ القُلوب ، واستَخرَجَتْ خَبايا الجُيُوب ، حتّى ماحَها مَنْ دِينُه الامْتِياح ، وارتاحَ لِرِفدِها مَنْ لم نَخَلْهُ يَرتاح ،

مغسول (مذقة) جرعة (حازر) لبن حامض شديد الحموضة (المخيض) اللبن يمزج بالماء ويحرك والمخض التحريك ليخرج زبده وإذا طال مكث المخيض واشتدت حموضته سمى حازرا (نابهم) نزل بهم (العريض) الواسع العرض (تعنو) تذل (النواصى) شعر مقدم الرأس (صفحة) ناحية العنق (تصديت) تعرضت (القريض) الشعر (صدعت) شقت (أعشار) قطع (خبايا) ماخبىء فيها من الدراهم (ماحها) أعطاها (دينه) عادته (الامتياح) طلب المعروف يريد مشيخة الشعراء الذين قد مر ذكرهم وعيش الشعراء إنما هو من الاستجداء والطلب ومعلوم أنه من كانت عادته أن يأخذ لا يعطى فى الغالب شيأ ولذلك قال (من لم نخله يرتاح) أى من لم نحسب أنه يهتز للعطاء وقد ارتاح إذا اهتز للكرم والعطاء ، ولذلك قال حبيب :

لم يخلق الرحمن أحمق لحية من سائل يرجو الندى من سائل

وقال آخر :

لموت الفتى خير من الفقر للفتى وللموت خير من سؤال بخيل
لعمرك ماشيء لوجهك قيمة فلا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة فللموت خير من سؤال سئول

وحدث عيسى بن عمر النحوى قال : قدمت من سفر فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت عليه أن أعطيه شيأ فقال أنا وأنت نأخذ ولا ولا نعطى ، ومدح أبو الشمقمق مروان بن أبى حفصة فقال له ياأبا الشمقمق أنت شاعر وأنا شاعر وغايتنا جميعا السؤال وكان بشار يعطيه كل سنة مائتى درهم فأتاه مرة فقال : هلم الجزية يا أبا معاذ فقال ويحك أجزية هى قال هو ماتسمع فقال له بشار يمازحه أنت أفصح منى قال لا قال فأعلم قال لا قال فلم أعطيك؟ قال لئلا أهجوك ، قال إن هجوتك قال أبو الشمقمق أو كذا هو أسمع :

إنى إذا ماشاعر هجانيه أدخلت فى است امه علانيه

بشار يا بشار ، وأراد أن يقول يا ابن الزانية فأمسك بشار بفمه وقال أراد والله أن يشتمنى ثم دفع اليه مائتى درهم وقال لاتسمعن منك هذا الصبيان .. ولقيت بسجلماسة شاعرها وعينها الحاج أمد حثر وكان له شعر رائق فحدثت عنه أنه قصده يوما فتى شاعر يستجديه بشعر فوقع الحاج تحت شعره :

نحن بزاة الناس لانصاد من كان ذاقهم بنا يصطاد

فلمّا افعوعَمَ جَيْبُها تبرًا ، وأوْلاها كلٌّ مِنَّا بِرًّا ، تولّتْ يتلوها الأصاغر ، وفوها بالشُّكر فاغر ، فاشرأبَّتِ الجماعةُ بعدَ ممرّها ، إلى سَبْرِها لتبلوَ مواقِعَ برِّها ، فكفلتُ لهم باستنباطِ السِّرِّ المرموز ، ونهضتُ أقفو أثرَ العجوز ، حتّى انتهتْ إلى سوقٍ مغتصَّةٍ بالزِّحام فانغمسَتْ في الغمار ؛ وامَّلَسَتْ مِنَ الصِّبْيَةِ الأغمار ، ثم عاجَتْ بخُلوٍّ بال ، إلى مسجدٍ خال ، فأماطَتِ الجلباب ، ونضت النِّقاب وأنا ألمحُها مِنْ خَصاص الباب ، وأرقُبُ ما ستبدِي مِنَ العُجاب ، فلمّا انسرتْ أهْبَةُ الخفر ، رأيتُ مُحيّا أبي زيدٍ قد سفر فهممتُ بأنْ أهجُمَ عليهِ ، لأعنفَهُ على ما أجرى إليه ، فاستلقى استلقاءَ المتمرِّدينْ ، ثم رفعَ عقيرةَ المغرِّدين ، واندفعَ يُنشِدُ :

ثم كتب له قطعة من شعره وقال له اقصد بها فلانا فانه يضلك بما يرضيك فعلم المقصود بالشعر بينة الحال فوصله بما أرضاه وعد ... أبو نواس أباالطفيل الشاعر وعدا فألح عليه فقال :

وأخرس ولاج وغاد ورائح | رجاء نوال لو يعان بجواد
وإني وإياه كعريان يصلى | من الطل نارا غير ذات وقود
زويت له وجها قطوبا عن الندى | وألبسته من وعده بوعيد
فان كنت لاعن سوء فعلك مقلعا | فدونك فاستظهر بنعل حديد
فعندي مطل لايطير غرابه | مطير ولا يدعى له بوليد

(افعوعم) امتلأ وافعوعل بنيت للمبالغة (تبرا) ذهبا (أولاها) أعطاها (البر) الاكرام (فاغر) منفتح (اشرأبت) تطلعت وتقول اشرأب الرجل إذا مد عنقه لينظر (سبرها) اختبارها (تبلو) تختبر يدان الجماعة أرادت أن تعرف هل وقع اكرامها فيمن يستحقه أم لا (كفلت)ضمنت (استنباط)استخراج (المرموز) المخفي (نهضت) تقدمت للمشي (أقفو) أتبع (مغتصة) ممتلئة (انغمست) غابت ودخلت (الغمار) كثرة الخلق وجماعتهم التي تعمر الأرض أي تغطيها ، ورده ابن الانباري وجعله من خطأ العامة وقال إنما تقول العرب دخل في خمار الناس بالخاء وهو جمعهم إذا استتر بهم ومنه الخمار لتغطية الرأس ومنه الخمر وقال يعقوب هو كل مااستتر الانسان من شجر أو غيره فان كان من شجر خاصة فهو الضراء وحكى بعضهم غمارا جعله من غمر الماء الشيء إذا غطاه (املست) انفلتت بسهولة والاملاس أن يسقط الشيء من يدك ولا تشعر به (الأغمار) الجهال (عاجت) مالت (بخلو بال) أي خالية منفرده (أماطت) أزالت (الجلباب) ثوب أوسع من الخمار يتجلبب به أي يلتف فيه والجلباب كالملحفة للمرأة والرداء للرجل (نضت) نحت وجردت (النقاب) مايغطى به الوجه (ألمحها) أنظرها (خصاص) فرج يريد به من شقوق الباب (انسرت) زالت ويروى بفصل سرت عن ان ومعناه ان زالت بالهمزة والمنفصل فعل العجوز والمتصل فعل الأهبة وهي العدة يريد لما أن أزالت عنها هيئة لباسها التي استترت بها عنا كان الخفر وهو الحياء يمنعها أن تكف وجهها حتى نعرفها (محيا) وجه (سفر) انكشف (أهجم) آخذه على غفلة (أعنفه) أقبح فعله (اسلنقى) صار على ظهره ويروى استلق (المتمردين) الشياطين ومن لا يرجى صلاحه (عقيرة) صوت (المغردين) المطربين بالغناء والعقيرة بمعنى معقورة أي جارحة مقطوعة ، كان رجل قطعت

يالَيتَ شِعْرى أدْهرِى أحاطَ عِلْماً بِقَدْرِى
وهَلْ دَرَى كُنهَ غَوْرِى فى الخِدَعِ أمْ لَيسَ يَدْرِى
كمْ قَدْ قَمَرْتُ بَنِيهِ بحِيلَتِى وبِمَكْرِى
وكمْ بَرَزْتُ بِعُرْفٍ عَلَيْهِم وبِنُكْرِ
أصْطادُ قَوْماً بِوَعْظٍ وآخَرِينَ بِشِعرِ
وأسْتَفِزُّ بِخَلٍّ عَقْلاً وعَقْلاً بِخَمرِ
وتارَةً أنا صَخْرٌ وتارَةً أُخْتُ صَخرِ
ولو سَلَكْتُ سَبيلاً مَألُوفَةً طُولَ عُمْرِى
لَخابَ قِدْحِى وقَدْحِى

إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى ورفع صوته فقيل لكل من رفع صوته قد رفع عقيرته (ياليت شعرى) معناه ليت درايتى وفطنتى ومعنى الشاعر فى كلامهم الفطن العالم وسمى شاعرا لأنه يفطن لما لا يفطن لغيره ، وأجاز الفراء ليت شعرى أباك ماصنع على معنى ليتنى أعلم أباك ماصنع وأنشد :

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـرو وليت يقولها المحزون

ومعناه ليتنى أعلم مسافرا ، وقال آخر :

خمر الشيب لمتى تخميرا وحدا بى إلى القبور البعيرا
ليت شعرى إذا القيامة قامت ودعى بالحساب أين المصيرا

قال ثعلب : المصير منصوب بشعرى أى ليتنى أعلم أين هو والبعير منصوب بحدا أى وحدا الشيب البعير إلى القبور (كنه) حقيقة (غورى) آخر أمرى وأصل الغور قعر الجرعة والمنخفض من الأرض (قمرت) غلبت وخدعت (مكرى) خداعى(أستفز) أستخف وأخدع واستفزه من كذا أخراجه منه والخل كناية عن الشر والخمر كناية عن الخير هذا على مذهب العرب وكانت الخمر أجل ماعندهم ويقولون ماعنده خل ولا خمر أى ما عنده شر ولا خير وإذا فسدت الخمر عندهم صارت خلا ، وقد قال فى ألغازه :

وما شىء إذا فسدا تحول غيـه رشدا

يريد أن الخمر إذا فسدت صارت خلا فبعد أن كانت حراما رجعت حلالا وزال تأثيرها فى العقول (صخر) هو ابن الشريد (أخته) الخنساء فأراد أنه مرة رجل ومرة أخرى امرأة ، ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة لعنوا فى السماء رجل خلقه الله ذكراً فتأنث وامرأة خلقها الله أنثى فتذكرت تتشبه بالرجال والذى يضل الأعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام . وأما صخر فهو ابن عمرو بن الحرث بن الشريد بن رباح من بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان وكان فى جماله رجل فى العرب وسنذكر لمعة من أخبار صخر وأخته الخنساء فى المقامة الأربعين إن شاء الله تعالى (سلكت سبيلا) دخلت طريقا (مألوفة) مركوبة ملتزمة (قدحى) سهمى (قدحى)

وَدَامَ عُسْرِى وخُسْرِى

فَقُــــلْ لِمَنْ لامَ هذا عُذْرِى فَدُونَكَ عُذْرِى

قال الحارثُ بنُ همَّام : فلمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةِ أَمْرِهِ ، وبَدِيعَةِ إمْرِهِ ، وما زَخْرَفَ فى شِعْرِه مِنْ عُذْرِه ، عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطانَهُ المَرِيد ، لايَسْمَعُ التَّفْنِيد ، ولا يَفْعَلُ إلاَّ ما يُرِيد ، فَثَنَيْتُ إلى أصْحَابِى عِنانِى ، وأَبْثَثْتُهُمْ عِيانِى ، فَوَجَمُوا لِضَيْعَةِ الجَوائِزِ وتَعَاهَدُوا عَلَى مَحْرَمَةِ العَجائِزِ .

ضربى بالزند (عسرى) فقرى (خسرى)ضدربحى والخسر النقص يريدلوشيت على طريقة واحدة أبدا لخسرت وخبت (دونك) أى خذ (جلية) ظاهرة (بديعة) غريبة (أمره) دهائه وعجبه (زخرف) زين (المريد) العارى من الخير إنما هو شركاه (التفنيد) اللوم فندت فله إذا عبته (ثنيت) عطفت وتقول جاءنا ثانيا عنانه إذا بلغ مراده ولم يجهد نفسه (أبثثتهم) أخبرتهم (أبثته) حققه (عيانى) معاينتى (وجموا) غضبوا (الجوائز) العطايا (تعاهدوا) تحالفوا (محرمة) منع وحرمان .

المقامة الرابعة عشرة المكية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: نَهضتُ من مدينةِ السّلام ، لحجّةِ الإسلام ، فلمّا قضيتُ بعونِ اللهِ التفَث ، واستبحتُ الطيبَ والرّفث ، صادفَ موسمُ الخيف ، معمعانَ الصّيف ، فاستظهرتُ للضرورة ، بما يقي حرَّ الظّهيرة . فبينما أنا تحتَ طِراف ، معَ رُفقةٍ ظِراف ، وقدْ حمِيَ وطيسُ الحصباء ، وأعشى الهجيرُ عينَ الحرباء ، إذْ هجمَ علينا شيخٌ متسعسِع ، يتلوهُ فتًى مترعرِع ، فسلّمَ الشّيخُ تسليمَ أديبٍ أريب ، وحاورَ محاورةَ قريبٍ لا غريب ، فأعجبنا بما نثرَ منْ سِمطِه ، وعجبنا منَ انبساطِه قبلَ بسطِه ، وقلنا له : ما أنت ؛

شرح المقامة

(نهضت) أى تقدمت وسمى النهوض تقدما لسرعة الحركة . وسمى المنصور بغداد مدينة السلام لأن دجلة يقال لها وادى السلام ونهر السلام ، وأضاف الحجة إلى الاسلام لأنها أحد أركانه قال النبي صلى الله عليه وسلم بنى الإسلام على خمس والحج أحدها (التفث) ما يلزم الحاج من ترك الطيب وحلاق الشعر (والرفث) النكاح (استبحت) استحللت (الموسم) الموضع الذى يجتمع فيه الناس من عيد أو سوق (الخيف) موضع بمكة (معمعان) شدة الحر (استظهرت) استعددت تقول قد استظهر للشيء بكذا إذا استعد له وقد تقدم آنفا للحسن: فدونك فاستظهر بنعل حديد (يقى) يمنع (الظهيرة) حر نصف النهار فيقول بسبب ضرورة الحر جعلت على نفسي سترا يمنع حر الشمس (طراف) قبة من جلد (ظراف) جمع ظريف وهو النبيل المهذب (حمى وطيس الحصباء) اشتد حر الجنادل لمن وطئها وأصل الوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه (أعشى) أعمى (الهجير) حر نصف النهار (الحرباء) دويبة تستقبل الشمس وتدور معها، وانظرها فى المقامة السادسة والثلاثين ، وقال المعرى :

وهجيرة كالهجر موج سرابها كالبحر ليس لمائه من طحلب
أوفى بها الحرباء عودى منبر للظهر إلا أنه لم يخطب
فكأنه رام الكلام ومسه عى فاسعده لسان الجندب

وقال أيضا فى نحوه :

وساحرة الأقطار يجنى سرابها فيصلب حرباء بريا على جذع

(هجم) أى دخل على غفلة (متسعسع) هرم متقارب الخطو (مترعرع) شاب متزايد وترعوع الغلام أى أخذ فى الزيادة فى طوله وخلقته والرعرع الشباب (أريب) عاقل (حاور) راجع الكلام (نثر من سمطه) أبدى من كلامه وأصل السمط خيط الجوهر (انبساط) دالته وهذا الكلام أصله فى البساط تقول بسطته فانبسط فلا يكون الانبساط مطاوعا إلا بعد الشروع فى البسط يقول فهذا الشيخ انبسط علينا قبل أن نبسطه أى دل علينا قبل أن نجعل له السبيل فى ذلك . ومما يستحسن من المنظوم هنا قول ابن كناسة :

وكَيْفَ وَلَجْتَ وما اسْتَأْذَنتَ ، فقال : أمّا أنا فعافٍ ، وطالبُ إسْعَاف ، وسِرُّ ضُرِّى غَيْرُ خاف ، والنَّظَرُ إلىَّ شَفِيعٌ لى كاف ، وأمّا الإنْسِياب ، الذى عَلِقَ بهِ الارْتِياب ، فما هُوَ بِعُجاب ، إذْ ما على الكُرَماء مِنْ حِجاب ، فسَألْناهُ أنَّى اهْتَدَى إلينا ؛ وبِمَ اسْتَدَلَّ علينا ، فقال : إنَّ لِلْكِرامِ نَشْراً تَنِمُّ بِهِ نَفَحاتُهُ ؛ وتُرْشِدُ إلى رَوْضِهِ نَوْحاتُه ، فاسْتَدْلَلْتُ بِتَأَرُّجِ عَرْفِكُمْ على تَبَلُّجِ عُرْفِكُمْ ، وبَشَّرَنى تَضَوُّعُ رَنْدِكُمْ بِحُسْنِ المُنْقَلَبِ

فى انقباض وحشمة فاذا ‏ لاقيت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها ‏ فقلت ماقلت غير محتشم

قال اسحق الموصلى : أنشدنى ابن كناسة هذين البيتين فقلت له وددت أنى سبقتك اليهما وينقص من عمرى سنتان (ولجت) دخلت (عارف) طالب معروف (اسعاف) قضاء حاجتى (الشفيع) الطالب لغيره يقول لست أحتاج اليكم معظهور سرى لشفيع لأن نظركم إلى يغنى عن الشفيع (كاف) مغن عن غيره (الانسياب) الدخول بسهولة وقد تقدم أصله فى الأولى (الارتياب) الشك والانكار (عجاب) مبالغة فى عجب (أنى) كيف (نشرا تنم به نفحاته) طيبا تفوح روائحه وأنفاسه (ترشد) تدل وتهدى (فوحاته) رائحته المطرة (العرف) الرائحة الطيبة (تأرجها) تحركها وتأرج الطيب فاح (تبلج) ظهور (عرفكم) معروفكم ولاحظ الحريرى فى هذا قول العرجى :

يوم يقول الرسول قد أذنت ‏ فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى إلى رحالهم ‏ أهدى اليها بريحها الأرج

قالوا : ويستدل بالطيب على الملوكية فى المواطن التى يكون الناس فيها على غير معروفين فمن ذلك الحمام ومعرك الحرب ومثل هذا الموطن الذى ذكر الحريرى فى الحج إذا حل ، قالوا والطيب دليل لا يكذب ونمام لا يفسد والطيب غذاء الروح والنفحات الذكية نشاط النفس فهو طب ، وطيب ؛ وقال ابن البواب :

إذا أبصرتك العين من بعد غاية ‏ فأوقعت شكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يمموك لقادم ‏ نسيمك حتى يستدل بك الركب

وقال السرى الموصلى ،

حليه وثناياه وعنبره ‏ كل ينم عليه أو براقبه
فلست ادرى إذا ما سار فى أفق ‏ شمائل الافق أذكى أم جنائبه

وقال ابن سكرة : أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة ‏ تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجى عمدا فما استترت ‏ وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجى عنى لأظهرها ‏ برق اللثات وعطر النحر والنفس

وأخذه المعتمد بن عباد فقال :

ثلاثة منعتنا من زيارتها ‏ خوف الوشاة وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما ‏ تحوى معاطفها من عنبر عبق

مِنْ عِنْدَكُم ، فاسْتخبَرْناهُ حينئذٍ عَنْ لُبانَتِهِ ، لِنتَكَفَّلَ بإعانَتِه فقال : إنْ لِي مأربا ، ولقِتايَ مَطَالِبا ، فقُلنالَه: كلاَّ المَرَامينِ سيُقضى ، وكلاَ كُما سَوفَ يُرضَى ، ولكِنِ الكُبْرَ الكُبْرَ ، فقال : أجَلْ ومَنْ دَحا السَّبعَ الغُبر ثم وثَبَ لِلمَقال ، كالمُنشَطِ مِنَ العِقال ، وأنشد :

إنِّي امْرُؤٌ أُبْدِعَ بِي بَعْدَ الوَجَى والتَّعَبِ
وشُقَّتِي شاسِعَةٌ يَقْصُرُ عَنْهَا خَبَبِي
وما مَعي خَرْدَلَةٌ مَطْبُوعَةٌ مِنْ ذَهَبِ
فَحِيلَتِي مُنْسَدَّةٌ وحَيْرَتِي تَلْعَبُ بِي
إنِ ارْتَحَلْتُ راجِلا خِفْتُ دَوَاعِي العَطَبِ
وإنْ تَخَلَّفْتُ عَنِ الرُّ فْقَةِ ضَاقَ مَذْهَبِي
فَزَفْرَتِي في صُعُدٍ وعَبْرَتِي في صَبَبِ
وأنْتُمُ مُنْتَجَعُ الـ ـمُرَجِّي وَمَرْمَى الطَّلَبِ
لُهاكُمُ مُنْهَلَّةٌ ولا انْهِلالَ السُّحُبِ
وجارُكُمْ في حَرَمٍ ووَفْرُكُمْ في حَرَبِ
مالاذَ مُرْتاعٌ بِكُمْ فَخَافَ نابَ النُّوَبِ

هب الجبين بفضل الكم تستره والحلى تنزعه ماحيلة العرق

(مأربا) أى حاجة (المرامين) المطلبين (الكبر الكبر) أى قدموا الاكبر . ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : أمرنى جبريل عليه السلام أن أقدم الاكبر (أجل) نعم (دحا) بسط (السبع الغبر) الارضين (المنشط) المحول (عقال) قيد البعير وعقدته بأنشوطة أى عقدته عقدة تنحل بجذبة أو بجذبتين وقولهم بئر نشوط إذا كان دلوها يخرج بجذبة أوجذبتين وتسمى عامتنا عقدة الانشوطة اللخ (أبدع بى) أى عطبت ناقتى يقال أبدع بالرجل إذا كلت ابله أوعطبت وفى الحديث أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال احملنى فانى أبدع بى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماعندى ماأحملك عليه ولكن اذهب إلى فلان فقل له يحملك فأتاه فحمله فرجع اليه فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله أجر فاعله (الوجى) وجع الحافر من الحفا (شقتى شاسعه) سفرتى بعيدة (خببى) مشيتى وخب الفرس خببا وهو ضرب من العدو دون الاسراع (الخردل) حب معروف فى نهاية الصغر (مطبوعة) مصنوعة (منسدة) منغلقة (العطب) الهلاك (تخلفت) تأخرت (مذهبى) طريق (زفرتى فى صعد) نفسى فى ارتفاع (عبرتى فى صبب) دمعى فى انحدار (المنتجع) الموضع الخصيب الذى ينتجع للمرعى يقول موضعكم خصيب وأنتم كرام فمن طلب منكم رزقه وجده (لهاكم) عطاياكم (منهلة) منصبة (لاذ) تستر ولجأ (مرتاع) خائف (النوب) جمع نائبة على غير

ولا استدرّ آملٌ حباءَ كُمْ فما حُبِي
فانعطِفوا في قِصَّتي وأحْسِنُوا مُنْقَلبي
فلوْ بلوتُمْ عِيشتي في مَطْعمِي ومَشْرَبي
أساء كُمْ ضُرِّي الذي أسْلَمني لِلْكُرَبِ
ولوْ خَبَرْتُمْ حَسَبي ونَسَبي ومَذْهَبي
وما حَوَتْ مَعْرِفَتي مِنَ العُلومِ النُّخَبِ
لَمَا اعْتَرَتْكُمْ شُبْهَةٌ في أنَّ دَاني أدبي
فَلَيْتَ أنِّي لم أكُنْ أرْضِعْتُ ثَدْيَ الأدَبِ
فَقَدْ دَهاني شُؤْمُهُ وعَقَّني فِيهِ أبي

قياس وهو الداهية وجعل لها نابا مجازا وجنس به وأصل الناب للسبع (استدر) طلب الدر وهو اللبن (آمل) راج (حباكم) عطاءكم (انعطفوا) ميلوا (منقلبي) مرجعي يقول عساكم أن تشفقوا على وتميل قلوبكم بالرحمة إلى حتى يحسن منقلبي من عندكم (بلوتم) جربتم (أسلمني) تركني (الكرب) الهموم (خبرتم) اختبرتم (حسبي) شرفي والحسب آباء أشراف بحسب أو أفعال كريمة (مذهبي) طريقتي (حوت) جمعت (النخب) المختارة (اعترتكم) قصدتكم (شبهة) شك وحيرة (دهاني) أهلكني وضرني (شؤمه) نحسه (عقني) قطعني وأساء إلى بتعليمه فهو يتطير بأدبه والتطير بالأدب مذهب قديم متداول وقد أشار اليه ابن قتيبة في صدر أدبه، وقال عمر بن شيبة من أعجب العجب ثلاثة مقارنة لثلاثة الحرفة للادباء وتباعد المال عن الظرفاء واقبال الدنيا على النوكى، وقيل للحسن البصري رحمه الله: لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم، طلبتم المال وهو قليل في أهل العلم وهم قليل ولو نظرتم إلى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر. وقال الحمدوني:

ما ازددت من أدبي حرفا أسربه الا تزيدت حرفا تحته شوم
كذا المقدم في حذق بصنعته أنى توجه فيها فهو محروم

وقال أبو اسحاق الصابي:

إذا جمعت بين امرأين صناعة فاحببت أن تدرى الذي هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ماجرت به لهما الارزاق حين تفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق

أخذه عبد الملك بن وهبون فقال:

يعز على العلياء أني خامل وأن أبصرت مني خمود شهاب

فَقُلْنَا له : أما أَنْتَ فَقَدْ صَرَّحَتْ أَبْيَاتُكَ بِفَاقَتِك ، وَعَطَبِ نَاقَتِك ، وَسَنُعْطِيكَ ما يُوَصِّلُكَ إلى بَلَدِكَ ، فما مَأْرَبَةُ وَلَدِكَ ، فقال له : قُمْ يَا بُنَيَّ كما قَامَ أَبُوكَ ، وفُهْ بِمَا فى نَفْسِكَ لافُضَّ فُوكَ ، فَنَهَضَ نُهُوضَ البَطَلِ للبِرازِ ، وأَصْلَتَ لِسَانًا كالعَضْبِ الجُرَازِ ؛ وأنشأ يقول :

يا سادةً فى المَعَالى ... لهُمْ مَبَانٍ مَشِيدَه
ومَنْ إذا نَابَ خَطْبٌ ... قاموا بِدَفْعِ المَكِيدَه

وحيث ترى زند النجابة واريا ... فثم ترى زند السعادة كابى

وقال أبو اسحاق الصابى :

قد كنت أعجب من مالى وكثرته ... وكيف تغفل عنه حرفة الأدب
حتى انثنت وهى كالغضبى تلاحظنى ... شزرا فلم تبق لى شيأ من النشب
واستيقنت أنها كانت على غلط ... فاستدركته وأفضت بى إلى الحرب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما ... وليس يرجى اجتماع المال والأدب

وقال على بن بسام يرثى عبد الله بن المعتز على ما كان بينهما من العداوة :

لله درك من ميت بمضيعة ... ناهيك فى العلم والآداب والحسب
ما فيه لولا ولا ليت تنقصه ... وإنما أدركته حرفة الأدب

وكان ابن المعتز قام على المقتدر فلما ظفر به أمر به فرمى فى صهريج فيه ماء فى شدة البرد فمات ، ومن عجائب الدنيا أن أباه المعتز لما خلع عن الملك أدخل حماما وأغلق عليه فمات من حره : وكما نفوا أن يجتمع المال والفهم فى الغالب كذلك نفوا أن تجتمع النجابة فى الولد والوالد فى الغالب قال الشاعر :

إذا أطلع الدهر حرا لبيبا ... فكن فى ابنه سىء الاعتقاد
فليست ترى من نجيب نجيبا ... وهل تلد النار غير الرماد

ولما أرجع الفقر والحرمان القاضى عبد الوهاب لأجل أدبه على ما شرطوا فى الأدب تمنى الكفاف ولزوم العلم الى الممات فقال :

يالهف نفسى على شيئين لو جمعا ... عندى لكنت إذاً من أفضل البشر
كفاف عيش كفانى ذل مسئلة ... وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

فلما فتح عليه باب الرزق مات على ما يأتى ذكره فسبحان من أنفذ حكمه فى خلقه كيف شاء (صرحت) بينت (فاقتك) فقرك وتصريح أبياته بعطب ناقته هو قول أبدع بى المتقدم ، وفى معناه أن أعرابية خرجت إلى الحج فلما كانت ببعض الطريق عطبت ناقتها فرفعت يديها الى السماء وقالت يارب أخرجتنى من بيتى الى بيتك فلا بيتى ولا بيتك (نعطيك) نعطيك مطية (مأربة) حاجة (فه) تكلم (فض) كسر (نهض) تقدم (أصلت) جرد (العضب الجراز) السيف القاطع (مشيدة) مرتفعة (ناب خطب) أمر شديد

وَمَنْ يَهونُ عليهم بَذْلُ الكنوز العَتيدَه
أُريد منكم شِواءً وجَرْدَقاً وعَصيدَه
فإن غلا فرُقاقٌ به توارَى الشَّهيدَه
أوْ لم يكنْ ذا ولا ذا فشَبْعةٌ مِنْ ثَريدَه
فإنْ تَعَذَّرْنَ طرَّا فعَجْوَةٌ ونَهيدَه
فأحْضِروا ما تَسنَّى ولوْ شَظًى مِنْ قَديدَه
ورَوِّجُوه فنفْسِي لمَا يَرُوجُ مُريدَه
والزَّادُ لا بُدَّ منهُ لرِحْلَةٍ لي بَعيدَه
وأنتُم خيرُ رَهْطٍ تُدْعَونَ عندَ الشَّديدَه
أيْديكُم كلَّ يَوْمٍ لهَا أيَادٍ جَديدَه
وراحُكُم واصِلاتٌ شَمْلَ الصِّلاتِ المُفيدَه
وبُغْيَتِي في مَطاوِي ما تَرْفِدُونَ زَهيدَه
وفي أجْرٌ وعُقْبَى تَنْفيسُ رَبِّي حَميدَه

(المكيدة) هى الكيد وكل ما يكاد به فهو مكيدة (قاموا بدفعها) اقتدروا عليها يقول إذا قصدوا بامر عظيم وكيدا به اقتدروا على دفع الكيد واكتفوا بمن يريد ضرهم (العتيدة) الحاضرة المدخورة (رقاق) خبز رقيق (توارى) تغطى (الشهيدة) الشاة المشوية وقلما يؤكل لحمها إلا بالرقاق وربما سموا الهريسة شهيدة .

وأنشد فى ذلك : هلموا إلى من عذبت طول ليلها بأضيق سجن فى الجحيم تسعر
وقد جلدوها الخد وهى بريئة فسيروا إلى دفن الشهيده تؤجروا

وقيل الشهيدة الدجاجة المحشوة وقيل السمكة المحشوة (طرا) جميعا (عجوة) نوع من التمر طيب (النهيدة) الزبدة والتمر بالزبد شىء يلذ عندهم أكله (تسنى) حضر (شظى) قطعة (روجوه) عجلوه (ولا بد منه) أى قد وجب عليكم فالتزموه لى تقول لابد من كذا معناه قد ألزمته نفسى وجعلته واجبا على من قول العرب قد أبد الرجل القوم وأبد الرامى الوحش إذا ألزمهن الحتف قال أبو ذؤيب : فابدهن حتوفهن فهارب .

بدمائه أو بارك متجعجع (أياد) أى نعم (راحكم) أكفكم (واصلات شمل الصلات) أى تولف وتصل متفرق العطايا والفوائد (بغيتى) ارادتى (مطاوى ماترفدون) مطاوى الثوب معاطفه وما يطوى منه وترفدون تعطون وتقدير البيت بغيتى زهيدة أى قليلة فى مطاوى عطاياكم أى ما طلبته منكم قليل فى أثناء ماتهبون (وفى أجر) عن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه المؤمن طعاما وافق به شهوته أدخله الله الجنة وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من أطعم أخاه خبزا حتى يشبعه وسقاه ماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق (تنفيس) تفريج بقول عاقبة تفريج همى لمن فرجه محمودة للاجر الذى

وَلِى نَتَائِجُ فِكْرٍ يَفْضَحْنَ كُلَّ قَصِيدَه

قال الحارثُ بنُ هَمَّامٍ : فلمَّا رَأَيْنَا الشِّبْلَ يُشْبِهُ الأَسَدَ ، أَرْحَلْنَا الوَالِدَ وزَوَّدْنَا الوَلَدَ ، فَقَابَلا الصُّنْعَ بِشُكْرٍ نَشَرا أَرْدِيَتَه ؛ وأَدِّيا بِهِ دِيَتَه ؛ ولما عَزَما على الانطِلاقِ ؛ وعَقَدا للرِّحْلَةِ حُبُكَ النطاقِ ، قُلْتُ لِلشَّيْخِ : هَلْ ضَاهَتْ عِدَتُنَا عِدَةً

فيها والثناء بشعرى عليه وعلى هذا رتب (ولى نتائج فكر) وهى أشعاره الحسان (يفضحن) يشهرن عيوبها يقول إذا أنشدت شعرى افتضحت قصائد الشعراء وتنقصت (الشبل) ولد الأسد (أرحلناه) أعطيناه راحلة يركبها (الصنع) الفعل الجميل (نشرا أرديته) استعارة لنشر الشكر (أديا) أعطيا وديته حقه يقول جعلا شكرهما حقا لبرنا ومكافأة لصلتنا وكأن المال الموهوب قد استهلكه الآخذ له فان شكر عليه فالشكر للواهب هو دية ماله الهالك إنما أراد قول النبى صلى الله عليه وسلم من نشرمعروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره وحديث جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى شيئا فوجد فليجز ومن لم يجد فليثن به فان أثنى عليه فقد شكره وإن كتمه فقد كفره ، وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال من دعاكم فأجيبوه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فان لم يجد أحدكم فليدع له حتى يعلم أنه قد كافأه ؛ وقالوا إذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وما أحسن قول حبيب فى نشر الشكر وذم ستره :

النار نار الشوق فى كبد الفتى والبين شبههما هوى مسموم
خير له من أن يخامر قلبه وهواه معروف امرىء مكتوم
سرق الصنيعة فاستمر ملعنا يدعو عليه النائل المظلوم
أأقنع المعروف وهو كأنه قمر الدجى إنى إذا للئيم
مثر من المال الذى ملكتنى أعناقه ومن الوفاء عديم
فأروح فى بردين لم يسحبهما قبلى فتى وهما الغنى واللوم

ومن ملح الاعراب أن أعرابيا لما أخذه الحجاج فضربه سبعمائة سوط وهو يقول عند كل صوت شكرا يارب فقيل له والله ما يمنع الحجاج من تركك الا كثرة شكرك أما سمعت الله يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » فأنشأ الأعرابى يقول :

يارب لا شكر فلا تزدنى أسأت فى شكرك فاعف عنى باعد ثواب الشاكرين منى

ومر بشار برجل قد رمحته بغلة فسقط مكسورا وهو يقول الحمد لله والشكر لله فقال استزده يزدك من هذه النعم ، وسيأتى نوع آخر من الشعر فى الشكر بحول الله تعالى (قوله حبك النطاق) النطاق والمنطقة ما يشد على وسطك كالحزام والحبك خيوط أو شرك يشد بها النطاق وأراد أنهما تحزما للارتحال يقال حبكت الشيء حبكا شددته واحتبكت ازارى شددته والمحبوك المفتول وحبكته شددت فتله والحبك الطرائق فى السماء من أثر الغيم والحبك أيضا التكسير الذى يكون فى الرمل والشعر والماء (ضاهت) شابهت (عدتنا) ماأوعدناك به من الراحلة ولابنك

عُرْقُوب ، أَوْ هَلْ بَقِيَتْ حاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوب، فقال: حاشَ لله وكلاَّ ، بَلْ جَلَّ مَعْرُوفُكُم وجَلَّى فَقُلْتُ له فَدنَا كَمَا دَنَّاكَ ، وأَفْدِنَا كَما أَفْدَنَاك ، أَيْنَ الدُّوَيْرَة ، فقد مَلَكَتْنَا فِيكَ الحَيْرَة ، فَتَنَفَّسَ تنفس من ادَّكَرَ أَوْطَانَهُ وَأَنْشَدَ وَالشَّهِيقُ يُلَعْثِمُ لِسَانَهُ :

سَرُوجُ دارِي ولكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا
وقَدْ أَناخَ الأَعادِي بِهَا وأَخْنَوْا عَلَيْها
فَوَ الَّتِي سِرْتُ أَبْغِي حَطَّ الذُّنُوبِ لَدَيْهَا

من الزاد (عرقوب) رجل من العماليق يضرب به المثل فى إخلاف الوعد وقصته أنه أتاه أخ له يسأله شيئا فقال له إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه فقال له دعها حتى تصير بلحا فلما أبلحت أتاه فقال له دعها حتى تصير زهوا فلما أزهت قال له دعها حتى تصير رطبا فلما أرطبت قال له دعها حتى تصير تمرا فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذها ولم يعطه شيئا ، وقيل عرقوب هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ويقول بنو سعد هو منا وقيل هو من الأوس والخزرج قال علقمة :

وقد وعدتك موعدا فلو وفت به كموعد عرقوب أخاه بيثرب

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال عبد الله بن عمر :خلف الوعد ثلث النفاق (حاجة فى نفس يعقوب) خشية العين على بنيه حين أمرهم أن يتفرقوا على الأبواب ولا يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا فى غاية من الجمال وكمال الخلق وقال تعالى ما كان يغنى عنهم من الله من شيء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاها و أراد الحريرى هل بقيت لك حاجة لم تقضها (فقال حاش لله) أى معاذ الله ، ابن الانبارى : قولهم حاشى فلانا معناه أستثنيه وأخرجه من المذكورين ، الفراء : هو من حاشيت أحاشى ويقال قام القوم حاشى عبد الله بالنصب والخفض وحاشى لعبد الله وحاش وحشى وخفض ما بعدها بإضمار اللام لكثرة صحبتها حاشى كأنها ظاهرة أو تقول أضيفت حاشى إلى عبد الله لأنه أشبه الاسم لما لم يأت معه فاعل (كلا) معناها الزجر أى ليس الأمر كما تظن (جل) عظم وهو من الجلل والجليل هو العظيم ويكون فى غير هذا اليسير وهو من الأضداد (جلى) سبق معروفكم كل معروف والمجلى من الخيل السابق (دنا) جازنا (أين الدويرة) سأله أين يسكن من البلاد (ملكتنا) غلبتنا يقول قد التبس علينا أمرك وتحيرنا فيه (تنفس) ردد النفس إلى الجوف بصوت ورفعه إلى صدره والتنفس ضد الشهيق وهو رد النفس إلى الجوف بصوت (يلعثم) يلوى ويعقل ويقال سأله عن كذا فما تلعثم أى ما توقف ولا تلبث ولا أبطأ فاذا ذكرت للغريب بلده وهو على بعد منه تنفس وتلهف (أناخ) أقام ونزل (أخنوا) أفسدوا وأتوا على خرابها ، والتى يبغى (حط الذنوب إليها هى مكة (حط) القاء وإنزال (لديها) عندها أى إذا حج ودعا الله حط ذنوبه عنه وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت فلم يرفث ولم

مَا رَاقَ طَرْفِىَ شَىْءٌ مُذْ غِبْتُ عَنْ طَرَفَيْهَا

ثم اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ ، وَآذَنَتْ مَدَامِعُهُ بِالهُمُوعِ ؛ فَكَرِهَ أَنْ يَسْتَوْكِفَهَا ؛ ولم يَملك أنْ يُكَفْكِفَهَا؛ فَقَطَعَ إِنْشَادَهُ المُسْتَحْلَى ، وَأَوْجَزَ فِى الوَدَاعِ وَوَلَّى ...

يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (راق) أعجب (طرفيها) جهتيها (اغرورقت) امتلأت (آذنب) أعلمت (الهموع)السيلان(يستوكفها) يستدرها ويجريها(يكفكفها) يردها(المستحلى)المستعذب (أوجز) اختصر ..

ومما ينتظم بهذا الموضع من ذكره الأوطان والتشوق إليها قول رفاعة بن عاصم الفقعسي وأنشدها البكرى لامرأة من طيء :

ألم تعلمى يا دار ملحاء أننى إذا أخصبت أو كان جدبا جنابها
أحب بلاد الله مابين منعج إلى وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها نيطت على تمائمى وأول أرض مس جلدى ترابها

قال على بن عبد الكريم النصيبينى : أتانى ابن الرومى بقصيدته التى يمدح فيها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال لى: أنصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن :

ولى موطن آليت أن لا أبيعه وأن لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

أو قول الاعرابى (أحب بلاد الله ـ الأبيات ، فقلت بل قولك لأنه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت حب الوطن والعلة فى ذلك .. وقال ابن الرومى يتشوق إلى بغداد :

بلد صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيته وعليه أغصان الشباب تميد

أخذه من قول اعرابى يتشوق إلى بلده .

ذكرت بلادى فاستهلت مدامعى بشوق إلى عهد الصبا المتقادم
حنت إلى ربع به اخضر شاربى وقطع عنى فيه عقد التمائم

وقال ابن اسحق الموصلى :

أتبكى على بغداد وهى قريبة فكيف إذا ما ازددت عنها غدا بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى لو انا وجدنا من فراق لها بدا
كفى حزنا إن رحت لم أستطع لها وداعا ولم أحدث لساكنها عهدا

وأنشدنى شيخنا أبو بكر السلامى وكان يزعم انها لأخى الحريرى وقد احسن قائلها كائنا من كان :

طيب الهواء ببغداد يؤرقنى شوقا إليها وإن عاقت مقادير
فكيف اصبر عنها اليوم إذ جمعت طيب الهواء ين ممدود ومقصور

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

أخبر الحارثُ بنُ همّام قال : أَرِقْتُ ذاتَ لَيلَةٍ حالِكَةِ الجِلْبَابِ ، هامِيَةِ الرَّبابِ، ولا أرَقَ صَبٍّ طُرِدَ عن الباب، وَمُنِيَ بِصَدِّ الأحباب ، فلم تَزَل الأفكارُ يَهِجْنَ هَمِّي ، وَيُجِلْنَ فِي الوساوس وَهمي ، حتى تَمَنَّيْتُ لِمَضَضِ ماعايَنْتُ ، أنْ أرْزَقَ سَمِيرًا من الفُضَلاء ، لِيُقَصِّرَ طُولَ لَيلَتِي اللَّيلاء ، فَمَا انقَضَتْ مُنْيَتِي

شرح المقـــامة

(ارقت) سهرت ولم انم، وفى حديث زيدبن ثابت شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا اصابنى فقال قل اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وانت حى قيوم لاتأخذك سنة ولانوم ياحي ياقيوم اهدأ لى ليلى وانم عينى ، فقلتها فأذهب الله عنى ماكنت اجده (حالكة الجلباب) سوداء الثوب (هامية الرباب) سائلة السحاب يريد ان الليلة مظلمة ممطرة (صب) عاشق (طرد) نفى (منى) ابتلى (صد) هجر (الأفكار) احاديث النفس (يهجن) يحركن (يجلن) يصرفن (الوساوس) الفكر المقلقـــلة (وهمى) بالى وخاطرى ، وقال ابن شهيد فى نحو هذه الليلة :

ولرب ليل للهموم تسدلت ... استاره فمحا الضيا بستوره
كالبحر يضرب موجه فى موجه ... صعب على العبارة وجه عبوره
طاولته من عزمتى بتصبر ... أثبت همى فى قرارة كوره
فردا إذا انبعثت دياجى جنحه ... هولا على خبطت فى ديجوره
حتى بدا عبد العزيز لناظرى ... أملى فمزقت الدجا من نوره

وليلة الحريرى ضد ليلة بن رشيق فى قوله :

ومن حسنات الدهر عندى ليلة ... من العمر لم تترك لأيامنا ذنبا
خلونا بهاننفى القذى عن عيوننا ... بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الخدود ولثما ... كميل جياع الطير تلتقط الحبا

(تمنيت) ابن الانبارى فى معناه : قدرت وأحببت أن يصير إلى وهو المنى وهو القدر يقال منى الله لك ماتحبه يمينه منيا أى قدره لك (لمضض) أى لحرقة(عاينت) شاهدت ويروى عاينت أى قاسيت (سمرا) صاحبا يسمر معه (يقصر) يردها قصيرة بأنسه وحديثه (الليلاء) الشديدة الطويلة السواد ، ولابن الرقاق فى مثل هذا السمير :

رب ليل أتحفت فيه بأنس ... من سمير زف الحديث عروسا
فاجتنبنا مما يحدث زهرا ... واغتبقنا من خلقه خندريسا
وانثنى الليل يفضل الصبح حسنا ... والدرارى يفضلن فيه الشموسا
ولئن كان لم يحل عن دجاه ... فلقد عاد فحمه آبنوسا

ولا أَغْمَضْتُ مُقْلَتِي، حتى قَرَعَ البابَ قارِعٌ، لهُ صَوْتُ خاشِعٍ، فَقُلْتُ في نَفْسِي لَعَلَّ غَرْسَ التَّمَنِّي قَدْ أَثْمَرَ، وَلَيْلَ الحَظِّ قَدْ أَقْمَرَ، فَنَهَضْتُ إِلَيْهِ عَجْلَانَ، وقُلْتُ مَنِ الطَّارِقُ الآن؟ فقالَ غَرِيبٌ أَجَنَّهُ اللَّيْلُ، وغَشِيَهُ السَّيْلُ، ويَبْتَغِي الإِيواءَ لا غَيْرَ؛ وإِذَا أَسْحَرَ قَدَّمَ السَّيْرَ، قال، فلمَّا دَلَّ شُعَاعُهُ عَلَى شَمْسِهِ، ونَمَّ عُنْوَانُهُ بِسِرِّ طِرْسِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ مُسَامَرَتَهُ غُنْمٌ، ومُسَاهَرَتَهُ نُعْمٌ، فَفَتَحْتُ البابَ بِابْتِسَامٍ، وقُلْتُ ادْخُلُوها بِسَلامٍ، فَدَخَلَ شَخْصٌ قَدْ حَنَى الدَّهْرُ صَعْدَتَهُ، وبَلَّلَ القَطْرُ بُرْدَتَهُ، فَحَيَّا بِلِسَانٍ عَضْبٍ؛ وبيانٍ عَذْبٍ، ثُمَّ شَكَرَ عَلَى تَلْبِيَةِ صَوْتِهِ، واعْتَذَرَ مِنَ الطُّرُوقِ في غَيْرِ وَقْتِهِ، فَدَانَيْتُهُ بِالمِصْبَاحِ المُتَّقِدِ، وتَأَمَّلْتُهُ تَأَمُّلَ المُنْتَقِدِ، فَأَلْفَيْتُهُ شَيْخَنا أبا زَيْدٍ بلا رَيْبٍ، ولا رَجْمِ غَيْبٍ، فَأَحْلَلْتُهُ مَحَلَّ مَنْ أَظْفَرَنِي بِقُصْوَى الطَّلَبِ، ونَقَلَنِي مِنْ وَقْدِ الكَرْبِ إلى رَوْحِ الطَّرَبِ، ثُمَّ أَخَذَ يَشْكُو الأَيْنَ؛ وأَخَذْتُ في كَيْفَ وأَيْنَ، فقال أَبْلِغْنِي رِيقِي فَقَدْ أَتْعَبَنِي طَرِيقِي فَظَنَنْتُهُ مُسْتَنْبِطاً لِلسَّغَبِ مُتَّكِلاً سِلاً لِهذا السَّبَبِ فَأَحْضَرْتُهُ ما يُحْضَرُ لِلضَّيْفِ المُفاجِي، في اللَّيْلِ، فانْقَبَضَ انْقِباضَ المُحْتَشِمِ، وأَعْرَضَ إِعْراضَ البَشِمِ، فَسُؤْتُ ظَنًّا بِامْتِناعِه، وأَحْفَظَنِي حُؤُولُ طِباعِهِ، حتى رَكَدْتُ أُغْلِظُ لهُ في الكَلامِ، وأَلْسَعُهُ بِحُمَةِ المَلامِ، فَتَبَيَّنَ مِن لَمَحاتِ ناظِرِي، ما خامَرَ خاطِرِي، فقال: يا ضَعِيفَ الثِّقَةِ، بِأَهْلِ المِقَةِ عَدِّ

(أغمضت مقلتى) نامت عينى (قرع) ضرب (خاشع) لين (أثمر) طلع ثمره (الحظ) البخت (أقمر) صار فيه قمر يقول لعل بختى قد زال نحسه وأقبل سعده إذ وجدت ماتمنيت (نهضت) تقدمت (الطارق) الآتى بالليل (اجنه) ستره (غشيه) غطاه (الايواء) مصدر آويت الرجل إذ أنزلته على نفسك وضممته وتقول أويته وآويت بمعنى واحد (أسحر) دخل فى وقت السحر يريد أنه لا يطلب غير المبيت وينصرف فى السحر (الشعاع) مايبدو لك من الشمس إذا ظهرت كالخيال (نم) أفشى السر (الطرس) الكتاب (العنوان) مايكتب على ظهره يريد أن كلام الطارق دل على مراده (المسامرة) هى المساهرة (غنم) غنيمة (نعم) نعمة (بسلام) أى بسلامة وأمن (صعدته) الصعدة الرمح الطويل وكنى به عن القامة (بردته) ثوبه (غضب) قاطع (تلبية) قوله له لبيك (الطروق) المجىء بالليل (دانيته) قربت منه (تأملته) نظرته (المنتقد) المجرب للدراهم أى نظرته بعين المباحثة (ألفيته) وجدته (ريب) شك (رجم الغيب) رمى الظن (أظفرنى) ملكنى (قصوى) غاية وهى مؤنث الأقصى أى الأبعد (وقد الكرب) حرقة الهموم (روح الطرب) راحة السرور (الاين) التعب (كيف) سؤال عن حال (وأين) سؤال عن مكان أى سألته كيف حالك ومن أين جئت (أبلغنى ريقى) أى لا تكثر على السؤال فيجعلنى جوابك عن بلع ريقى (السغب) الجوع وقد سغب وسغب جاع (الداجى) المظلم (المحتشم) المستحى هنا (أعرض) نحى وجهه وتحقيقه ولى عرضه أى جانبه (البشم) الكثل من الشبع وقد بشم بشما مرض من كثرة الأكل (سؤت ظنا) ساء ظنى وظنا المنصوب على التمييز فاعل فى المعنى من باب تفقأ شحما (أحفظنى) أغضبنى (حول طباعه) تغير أخلاقه (حمة الملام) سم العتاب (ألسعه) أقرصه بلسانى ولسعته العقرب ضربته بابرتها (لمحات ناظرى) أى خطرات عينى (خامر خاطرى) خالط فكرى (المقة) الحب (عد) أى اصرفه عن

عَمَّا أخطَرَتهُ بالَك ، واستَمِعْ إليَّ لا أبالَك ، فقُلتُ هات ، يا أخا التُّرَهات ، فقال : اعْلَمْ أَنِّى بِتُّ البارحَةَ حَلِيفَ إفلاس ، ونَجِيَّ وسواس ، فلَمَّا قَضَى اللَّيْلُ نَحْبَه ، وغَوَّرَ الصُّبحُ شُهُبَه ، غَدَوْتُ وقتَ الاشراق ، إلى بَعْضِ الأَسْوَاق ؛ مُتَصَدِّيًا لصَيْدٍ يَسْنَحُ ، أو حُرٍّ يَسْمَح ، فَلَحَظْتُ بِهَا تَمْراً قَدْ حَسُنَ تَصفِيفُه ، وأُحْسِنَ إلَيْهِ مَصِيفُه ، فَجَمعَ على التَّحْقِيق ، صَفَاءَ الرَّحِيق ؛ وقُنُوءَ العَقِيق ، وقُبَالَتَهُ لِبَأً قَدْ بَرَزَ كالإبْرِيزِ الأصْفَر ؛ وانجَلَى فى اللَّوْنِ المُزَعْفَر ؛ فَهُوَ يُثْنِي على طَاهِيه ؛ بِلِسَانِ تَنَاهِيه ، ويُصَوِّبُ رَأْىَ مُشْتَرِيه ،

نفسك (الترهات) الغجائب وأيضا الأباطيل وأصلها الطرق الصغار المتشعبه عن الطريق الأعظم (حليف افلاس) ملازم فقر (نجى) محدث ولما كانت الوساوس تشغل بال الانسان وتجعله يتحدث وحده جعل نفسه محدثا لها (قضى نحبه) وانقضى وقضى الرجل نحبه والنحب النذر (وغور) غيب (شهبه) نجومه (الاشراق) ارتفاع الشمس وصفاؤها (الأسواق) جمع سوق وسميت سوقا لأن الأشياء تساق اليها وتساق منها أو لان سوق الناس تكثر فيها والسوق جمع ساق والسوق بالفتح مصدر سقت وبالضم الاسم (متصديا) متعرضا (يسنح) يعرض من جهة اليمين ويزاد بيانا عند ذكر السانح والبارح (يسمح) يجود (لحظت) نظرت ولحظى أضيق عينى أى أبصرت بضيق عينى (تصفيفه) أى جعله صفا واحدا وصففت الشىء جعلته صفا واحدا مضموما (المصيف) زمن الصيف (الرحيق) الخمر (قنوء) حمرة (العقيق) خرز أحمر... عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك (واللبأ) أول مايحلب من اللبن وهو لم ينضج (برز) ظهر (الابريز) الذهب الخالص (المزعفر) المصبوغ بالزعفران ويروى المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر (طاهيه) طابخه (تناهيه) غايته وكماله يقول هذا اللبأ بحسن صنعته وجودة طبخه كأنه يثنى للمشترين على طابخه وإن لم يكن له لسان فكأنه فى الحسن وجودته فى الصنعة قام له مقام اللسان وهذا يسمى الكلام بلسان الحال قال الشاعر :

ولسان نعمتك التى قلدتنى ... بالشكر أبلغ من لسان بيانى

وقال المتنبي :
تنشد أثوابنا مدائحه ... بألسن مالهن أفواه
إذا مررنا على الأصم بها ... أغنته عن مسمعيه عيناه

أخذه من قول نصيب :
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليه الحقائب

وقال أبو العتاهية :
أيا عجبا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه واحد
ولله فى كل تسكينة ... وتحريكة فى الورى شاهد

وقال الفضل بن عيسى الرقاشي : سل الأرض من غرس أشجارك وشق أنهارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا .. ومنه سؤال العرب للمنازل الخالية والديار الدراسة ، وقال شاعرهم :

ولو نَقَدَحَبَّةَ القَلْبِ فيه ، فأسَرَتني الشَّهْوَةُ بأشطانها ، وأسْلَمَتْني العَيْمَةُ إلى سُلطانِها ، فَبَقِيتُ أَحْيَرَ مِنْ ضَبّ ،

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآني
وأذريت دمع العين لما رأيته ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له أين الذين عهدتهم حواليك فى أمن وخصب زمان
فقال مضوا واستو دعونى ديارهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

التوباد جبل ببلاد بنى عامر ، وجوابه لهذا الشاعر بالمعنى فجعله لفظيا مجازا ، وهذه الحالة للدلالة التى سماها الجاحظ فى أقسام البيان النصبة ، قال الجاحظ : جميع أصناف الدلالة على المعانى من لفظ أو غيره خمسة لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقدة ثم الخط ثم النصبة ، والعقد أخذ العدد فى الأصابع (نقد) أى أعطى نقدا وهو المال الحاضر (حبة القلب) سواده (أسرتنى) ربطتنى كالأسير (أشطانها) حبالها (أسلمتنى) تركتنى (العيمة) شهوة اللبن (سلطانها) قدرتها وغلبتها يريدان الشهوة إلى اللبأ قهرته حتى تركته مستسلما لا يملك نفسه (الضب) يشبه الجرذون وهو جرذون الصحراء وإذا فارق جحره لم يهتد اليه فيتحير فيجعل حجرا عند جحره وافقا ليهتدى به فاذا أزاله الصائد تحير فجاء فأخذه وربما قتله بذلك الحجر قال الشاعر :

وإن الضب ذو دهى ومكر كما اليربوع والذئب اللعين
يرى مرادته من رأس ميل ويأمن سيل بارقة هتون
ويدخل عقربا تحت الذنابى رواغ الفهد من أسد كمين

وجعل الذئب لعينا لأن من رآه صاح عليه ومردته جحره والعقرب يعده الضب للصائد ان أدخل يده فى جحره وأخذه بذنبه لسعته العقرب وربما أكل العقارب وترك منها راحدا فى باب جحره للصائد قال الشاعر :

وأخدع من ضب إذا جاء حارس أعــدله عند الذنابة عقربا

والضب يوصف الضلال ، وقال المتنبى :

لقد لعب البين المشت بها وبى وزودنى فى السير مازود الضبا

أراد أنه زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفق للعود اليه والاجتماع مع الحبيب، وقال الواحدى: يقول ، جعل البين زادى زاد الضب والضب لا يتزود فى المفازة ومعناه فارقت الحبيب من وداع ولا التقاء يكون لى زادا على البعد ، ويقال أيضا أخدع من ضب وذلك أنه يطمع الصائد فى نفسه فاذا حنق عليه خدع فى جحره ومنه أخذ معنى الخداع ، ويقال فيه : إنه أعق من ضب وذلك أنه ياكل أولاده ويكنى أبا الحسل ويسمى ولده الحسل ، وأمثال العرب به كثيرة ويزعمون أنه كان حكما فى الدواب فى الزمان الذى كانت فيه الحيوانات تتكلم وعنه يروون : فى بيته يؤتى الحكم ، يعنى نفسه وفيه خواص ليست فى الحيوان تزعم العرب أنه لا يشرب الماء وإذا أخذه للعطش صعد ربوة واستقبل الريح وأنه طويل العمر ، ويقولون إنه أحيى من ضب يريدون أن حياته لا تكاد تنقضى وأنه لا يسقط له سن وأنه أطول الدواب دماً إذا ذبح يبقى زمانا وحينئذ يموت وأن له

وأذهَلَ مِنْ صَب ؛ لا وَجْدَ يُوصِلُنى إلى نَيْلِ المُراد ، ولَذَّةِ الازْدِراد ، ولا قَدَمَ يُطاوعُنى عَلَى الذَّهاب ، مَعَ حُرْقَةِ الالتهاب ، لَـكِنْ حَدَانى القَرَمُ وسَورَتُه ، والسَّغَبُ وفَورَته ، على أنْ أنْتَجِعَ كلَّ أرض ، وأقْتَنِعَ مِنَ الوِرْدِ بِبَرَض ، فلم أَزَلْ سَحابَةَ ذلكَ النَّهار ، أدْلِي دَلْوِى إلى الأنْهار ، وهْيَ لا تَرْجِعُ بِبِلَّةٍ ، ولا تَجْلُبُ نَقْعَ غُلَّة إلى أنْ صَغَتِ الشَّمْسُ للغُرُوب ، وضَعُفَتِ النَّفْسُ من اللُّغُوب ، فَرُحْتُ بكَبِدٍ حَرّى ، واثْنَنَيْتُ أُقَدِّمُ رِجْلًا وأُؤَخِّرُ أُخرى ، وبَيْنَمَا أنا أسْعَى وأقْعُدُ ، وأهُبُّ وأرْكُد ، إذْ قابَلَنى شَيْخٌ يَتَأوَّهُ أهَّةَ الثَّكْلان ؛ وعَيْناه تَهْمُلان ، فَمَا شَغَلَنى ما أنا فِيهِ مِنْ دَاءِ الذِّيب ، والخَوَى المُذِيب ؛ عَنْ تَعاطِى

ذكرين ولأثناه فرجين (اذهل من صب) أشغل قلبا من عاشق ،ووساوس العشق أفضت ببعض العشاق إلى الجنون (وجد) غنى وقد وجدت وجدا أى كثر مالى (الازدراد) كثره الأكل وزردت الطعام وازدرته إذا ابتلعته (الالتهاب) اشتعال نار الجوع (حدانى) ساقنى (القرم) شهوة اللحم واراد به شهوة الأكل (سورته) شدته (فوره السغب) غليان الجوع (أنتجع) أمشى فى طلب ماآكل (الورد) الحظ من الماء (البرض طلب قيل الماء (سحابة ذلك النهار) أى طول ذلك النهار كما تقول بياض يومى أى يومى كله أى لم يزل طول يومه يستجدى فلم يعط شيا (نقع غلة) ارواء عطش (صغت) مالت (اللغوب) الفشل (حرى) ملتهبة (اثنيت) رجعت أطال أبو محمد هده المقامة حتى كادت تثقل عل السامع . وللبديع فيما يتعلق بمعناها القالة بتراء فلو زيد فى البديعية وقصر فى الحريرية لاعتدلتا . وها أنا أذكر البديعية هنا بجملتها لرشاقتها وخفتها ، قال عيسى بن هشام كنت ببغداد عام المجاعة فدفعت إلى جماعة قد نظمهم سلك الثريا وكلهم يطلب شيا ، وفيهم ذولثغ فى لسانه وفلج فى أسنانه ، فقال ماخطبك فقلت: حالان لا يفلح صاحبهما فقير كده الجوع وغريب ليس يمكنه الرجوع فقال أى الثلمتين تريد سدها ؟ فقلت الجوع ياسيدى وقد بلغ منى مبلغه فقال ما تقول فى رغيف على خوان نظيف ونقل قطيف على لون لطيف وخردل حريف إلى شواء صفيف يقربه اليك من لا يمطلك بوعد ولا يعذبك بصد ، أذاك أحب اليك أم أو ساط محشوة وأكواب مملوءة وأنقال معددة وفروش منضده ومطرب مجيد له من الغزال عين وجيد ؟ فان لم ترد هذا ولا ذلك فما تقول فى لحم طرى وسمك بحرى وباذنجان مقلى وراح نقى وتفاح جنى ومضطجع وطى على حذاء نهر جار وبركة ذات ثرثار ، فقلت : أنا عبد الثلاثة ، فقال : وانا خادمها لوحضرت فقلت من أى الحجرات أنت فقال :

من ربعة الأسكندرية ... من نبعه فيهم زكيه
سخف الزمان وأهله ... فركبت من سخفى مطيه

(أسعى) أمشى مسرعا (أهب وأركد) اتحرك وأسكن اراد أجرى وأقف وأصل الهبوب ن الركود للريح (يتأوه) يتوجع ويقول آه وهو قول الحزين (أهة الثكلان) توجع الفاقد لأحبابه (تهملان) تسيلان (داء الذئب) هو الجوع والذئب أصبر السباع على الجوع وأعفها وإذا افترس شاة أكل منها شبعة وترك سائرها لم يرجع اليها وعافه (الخوى) خلو الجوف من الطعام (المذيب) المذهب اللحم والقوى (التعاطى) تناول

مُدَاخَلَتِهِ ، وَالطَّمَعُ فى مُخَاتَلَتِهِ ، فَقُلْتُ له : يا هذا إنَّ لِبُكَائِكَ سِرًّا ، ووراءَ تَحرقِكَ لَشَرًّا ، فأَطْلِعْنى على بُرَحَائِكَ ، واتَّخِذْنى من نُصَحَائِكَ ؛ فإنكَ ستَجِدُ مِنِّى طِبًّا آسِياً ، أَو عَوْناً مُوَاسِياً ، فقالَ وَاللهِ ما تَأَوُّهِى منْ عَيْشٍ فات ، وَلا منْ دَهرٍ افتات ، بَلْ لانْقِرَاضِ العلمِ ودُرُوسه ، وأُفُولِ أَقمارِهِ وَشُمُوسه ، فَقُلْتُ : وَأَىُّ حادثةٍ نَجَمَتْ ، وَقَضِيَّةٍ اسْتَعْجَمَتْ ، حتى هاجَتْ لكَ الأَسَفَ ، على فَقْدِ مَنْ سَلَفَ ؟ فأَبْرَزَ رُقْعَةً مِنْ كُمِّه ، وأَقْسَمَ بأَبيهِ وَأُمِّهِ : لَقدْ أَنْزَلَها بأَعْلامِ المَدَارِس ، فما امْتَازُوا عَنِ الأَعْلَامِ الدَّوارِس ، وَاسْتَنْطَقَ لَها أَحْبَارَ المَحابِرِ ، فخَرِسُوا وَلا خَرَسَ سُكَّانُ المَقابِرِ ، فَقُلْتُ أَرِنيها ، فَلَعَلِّى أُغنى فِيها ، فقالَ : ما أَبْعَدْتَ فى المَرَامِ ، فرُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيرِ رَامٍ ، ثم نَاوَلَنيها ، فإِذا المَكْتُوبُ فيها :

ما لا تحب (مداخلته)معرفةسره (مخاتلته) مخادعته (تحرقك) توجعك (البرحاء) الشدة والمشقة (طبا)حاذقا (آسيا) طبيبا (مواسيا) معينا والمواساة تكون بالنفس أوبالمال ويشاكل كلامه قول الشاعر :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة　　يواسيك أويسليك أو يتوجع

(افتات) ظلم وجاوز الحد (انقراض) انقطاع (دروسه) محوه (أفول) مغيب وكنى بالاقمار والشموس عن مشاهير العلماء وبأفوالهم عن هلاكهم . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: موت العالم مصيبةلاتجبر وثلمة لاتسدونجم طمس وموت قبيلة أيسر منموت عالم (حادثة) نازعة وأمر حدث (نجمت) ظهرت (قضية) قصة (استعجمت) أشكلت(هاجت) حركت (الاسف)الحزن(سلف) مات وذهب (أعلام) مشاهير وأصلها الجبال يستدل بها على مجاهيل الأرض (المدارس) جمع مدرسة وهى المحاضر التى يدرس فيها العلم (امتازوا) افترقوا (الاعلام الدوارس) الجبال المقفرة الخاليه من الأشجار والعمران (استنطق)استخبر وسألهم أن ينطقوا ويجيبوا عنها (أحبار) علماء (خرسوا) سكتوا (أغنى) أقرب وأنفع (المرام) الطلب (رب رمية من غير رام) أى يصيب الغرض من ليس له علم بالرمايةوهومثل قاله حكيم بن عبد يغوث المنقرى وكان حكيم من أرمى الناس فأقسم يوما ليعقرن ولا بد ، فخرج ومعه قوسه فرمى ولم يصنع شيأ فبات ليله بأسوء حال وفعل فى اليوم الثانى والثالث كذلك فلما أصبح قال لقومه ما أنتم صانعون فانى قاتل اليوم نفسى إن لم أعقر اليوم مهاة فقال له ابنه يا أبت احملنى معك أرفدك فقا وما أحمل من رعش رهش فشل ؟ فانطلقا فاذا هم بمهاة فرماها فاخطأها ثم مرت به أخرى فقال له ابنه مطعم يا أبت ناولنى القوس فغضب أبوه وهم أن يعلوه بها فقال له مطعم أحمد بحمدك فانسهمى سهمك فناوله القوس فرمىمطعم فلم يخطىء فقال عندذلك حكيم : رب رمية من غير رام ، وقال :

رماها مطعم من غير علم　　بمس القوس لم يخطىء صلاها
وكان أبوه قد آلى عليها　　فلم تبرر أليته مهاها

أيها العالِمُ الفقيهُ الذى فا ... قَ ذَكاءً فمَالَهُ مِنْ شَبِيهِ
افتنا فى قضيةٍ حادَ عنهـا ... كلُّ قاضٍ وحارَ كلُّ فقيهِ
رَجُلٌ ماتَ عنْ أخٍ مُسْلِمٍ حُـــرٍّ تقىٍّ مِنْ أمِّهِ وأبيهِ
ولهُ زَوْجَةٌ لها أيها الحَبْـــرُ أخٌ خالصٌ بلا تمويهِ
فحوتْ فَرْضَها وحازَ أخوها ... ما تبقَّى بالإرثِ دُونَ أخيهِ
فاشفنا بالجواب عمَّا سألنا ... فهو نصٌّ لاخُلْفَ يُوجَدُ فيهِ

فلما قرأتُ شِعْرَها ، وَلَمَحْتُ سِرَّها ، قلتُ لهُ : على الخبيرِ بها سقطْتَ ، وعندَ ابنِ بجدتها حطَطْتَ ، إلَّا أنى مُضْطَرِمُ الأحْشَاءِ ، مُضطرٌّ إلى العَشَاءِ ، فأكرِمْ مَثْوَاىَ ، ثم استمِعْ فتواىَ ، فقالَ لقدْ أنصفْتَ فى الاشتراطِ وتجافيْتَ عَنِ الاشتطاطِ ، فَصِرْ مَعى ، إلى مَرْبَعى لتظفَرَ بما تبتغى ، وتنقلِبَ كما ينبغى ، قال : فصاحَبْتُهُ إلى ذَرَاهُ ، كما حكمَ اللهُ ، فأدخلَنى بيتًا أحرَجَ من التَّابوتِ ، وأوهَنَ من بيتِ العنكبوتِ ، إلَّا أنَّهُ جبرَ ضِيقَ ربعِهِ ، بتوسعةِ ذَرْعِهِ ، فحكَّمَنى فى القِرى ، ومطايبِ ما يُشترى ، فقلْتُ : أريدُ أزهى راكبٍ على مَرْكوبٍ ، وأنفعَ صاحبٍ مع أضرِّ مصحوبٍ ، فافكَرَ ساعةً طويلةً ، ثم قال : لعلَّكَ تعنى بنتَ نخيلةٍ

(فاق) أى فضل (ذكاء) حدة ذهن (حاد) مال (رجل مات عن أخ) البيت فائدة ذكر الأخ اثبات النسب لأن الأجنبى لا يرث وفائدة ذكر المسلم أن أهل دينين لا يتوارثان وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر وأما التقى فما لقيت من أشياخنا من نبه عليه حتى حدثنى به الفقيه أبو العباس الليثى — وعرف بالحصار — فقال : فائدة لطيفة وهى التحرز من قاتل العمد لأنه لا يرث فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث أخاه (الحبر) العالم (تمويه) شك وكذب (حوت) حازت (الارث) لغة فى الورث وهو بالهزيل بدل من الواو (لمحت) أى نظرت واللمحة نظرة غير متمكنة (ابن بجدتها) عالم سرها ويقال بجد فى المكان إذا أقام به والمقيم بالموضوع عالم به وقيل أصله من قولهم فلان من أهل البجد أى من أهل البادية وهم العلماء باللسان على موضع (حططت) نزلت (الخبير) عالم الخبر وهذه أمثال للعلم بحقيقة الشىء (مضطرم) متقد (مثواى) منزلى وأكرمت مثوى الضيف إذا أحسنت نزوله ووطأت له (فتواى) ما أفتيك به (الاشتراط) والشرط بمعنى (تجافيت) تباعدت (الاشتطاط) مجاوزة الحد (تنقلب) ترجع (ذراه) منزله وكل ما كان من حائط وشبهه ذرى (أحرج) أضيق (أوهن) أضعف (جبر) أصلح (توسعة ذرعه) سعة خلقه واحتماله (القرى) طعام الضيف (مطايب) جمع طيب على غير قياس (أزهى) أعجب والزهو الكبر وكانوا يصففون التمر على اللبأ عند بيعه فيريد بالراكب التمر وبالمركوب اللبأ لأنهم يشقون التمرة ويغترفون بنصفها من القدح الذى فيه اللبأ ويريد (بأنفع صاحب) التمر وبـ (أضر مصحوب) اللبأ وهذا يوافق قول الاعرابى :

ألا ليت لى خيرا من التمر واللبا ... وخيلا من البرنى فرسانها الزبد
فاطلب فيها بينهن شهـــادة ... بموت كريم لا يعد له لحد

مع لبأ سُخَيلة، فَقُلتُ : إيّاهُما عَنَيت ،ولأجْلِهما تَمنَّيت ، فَنَهَض نَشِيطا ، ثم رَبَضَ مُستَشيطا ، وقال : اعْلم أصْلَحَكَ اللهُ أنّ الصِّدْقَ نَباهة ، والكَذِبَ عاهَة ، فَلا يَخْلِبَنَّكَ الجوعُ الذي هُو شِعارُ الانْبياء ؛

والبرنى من أفضل التمر ، وقال صحار الكلبي :

أكلت الضباب فما عفتها وإنى لأهوى قديد الغنم
وركبت زبدا على تمرة فنعم الطعام ونعم الادم

والعرب تقول على تمرة مثلها زبدا وقيل فى تفسيره بالعكس لأن الأطباء يقولون أن التمر مضر سريع العفن يولد السدد ، ويقولون أيضا إنه حار رطب ملين للبطن يولد المنى فيقابل ضرره نفعه ،وكفى لنا أنه قوت يكتفى معه بأدنى الطعام وفيه قوة زائدة . . وبالجملة فاللفظ مشكل وما وجدت من يحققه ... ويستملح من كلام الحريرى أنه أراد بالراكب وبأنفع صاحب التمر لأنه قدمه فى التفسير حين قال لعلك تعنى ابنة نخيلة مع لبا سخيلة وليس فى الأبيات المتقدمة شاهد على اللبا لأن حكم الزبد الزوجة وتعلقه بالتمرة غير حكم اللبأ فبالحرى يقرن اللبأ بالتمرة إذا شقت ، وجعله أضر مصحوب لأنه ابن لم ينضج والنار تقطع بعض ضرره .. وقال الفنجديهى أزهى راكب التمر أى أحسن منظرا وأكثر حمرة وأشهى مركوب اللبأ وجعل التمر راكبا واللبأ مركوبا لأن التمر يجتنى من رؤس النخل فهو كالراكب ولأن اللبأ يضع تمرات فوق اللبأ والرائب ليزيده رغبة المشترى فيه ، وجعل التمر أنفع صاحب لاكتفاء العرب به عن جميع المطعومات حتى يبقى أحدهم دهرا لا يأكل إلا التمر ولا يضره ذلك وجعل اللبأ أضر مصحوب لأنه يولد الصفراء .. وقالت عائشة رضى الله عنها : إنا كنا آل محمد صلى الله عليه وسلم نمكث شهرا لانستوقد نارا إن هو إلا الأسودان الماء والتمر .. وقال صلى الله عليه وسلم بيت لاتمر فيه جياع أهله . والعرب تستحسن أكل الزبدة مع التمر ، قال سفيان الثورى ما رأيت أحسن من زبد على ازادة ، وقال معاوية لعبد الرحمن ابن أبى بكر أى اللقمة أطيب قال تعضوضة عليها مثلها زبدا .. والازادنوع من التمر والتعضوض تمر اسود وقالوا ما أكلنا تمرا أحمد من التعضوض أى أشد حلاوة وتاؤه زائدة (سخيلة) السخيلة ولد الشاة ذكرا كان أو أنثى (تعنيت) تعبت ؛ وقال أعرابى : أنا أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات جناحين من اللحم لها جناحان من الفواق فأضرب فيها كما يضرب ولى السوء فى مال اليتيم ، وقال رجل لأعرابى ما يسرنى لو بت ضيفا لك قال لو بت ضيفالى أصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة . . قيل لاشعب ما تقول فى ثريدة مغمورة بالسمن مشققة باللحم قال وأضربكم قالوا تأكلها من غير ضرب قال هذا ما لا يكون ولكن لم أضرب أو تقدم على بصيرة . وقيل لمزيد وقد أكل طعاما فكمقه فقال مافيه خبز نقى ولحم جدى طرى امرأته طالق لو وجدت قيا لأكلته(نهض) تقدم للمشى (نشيطا)أى خفيفا وهى من الأنشوطة (ربض) نزل (مستشيطا) شديد الغضب (نباهة) رفعة (عاهة) آفة وعيب (شعار) علامة وشعار المؤمنين فى الحرب لا إله إلا الله أى علامتهم والأنبياء عليهم السلام منزهون عن شهوات المطاعم . أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة إليه حب المساكين والدنو منهم لاتشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلى فى جعة من الطعام بات حور العين حوله حتى يصبح ، أبو هريرة رضى

وحِلْيَةَ الأَوْلياء ؛ عَلَى أَنْ تَلحَقَ بِمَنْ مان ، وَتَتَخَلَّقَ بالخُلُقِ الذى يُجانِبِ الإِيمان ، فَقَدْ تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلا تَأكلُ بِثَدْيَيْها ، وتَأْبَى الدَّنيَّةَ وَلو اضطرَّتْ إِلَيْها ، ثم إِنِّى لَسْتُ لكَ بِزَبون ؛ ولا أُغْضِى عَلَى صَفْقَةِ مَغْبون ، وها أَنَا قَدْ أَنْذَرْتُكَ قَبْلَ أَنْ يَنْهَتِكَ السِّتْر ، ويَنْعَقِدَ فيما بَيْننا الوِتر ، فلا تُلْغِ تَدَبُّرَ الإِنْذار ، وحَذارِ مِنَ المُكاذَبَةِ حَذار ، فَقُلْتُ له :

الله تعالى عنه : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ما أحوجك إلى الجلوس قال الجوع فبكيت فقال لا تبك فان شدة القيامة لا تصيب الجائع إذا ما احتسب (حلية) صفة يتحلون بها (تتخلق) تتطبع (يجانب) يباعد وأشار لقوله صلى الله عليه وسلم قيل يكون المؤمن كذابا قال لا . عمر رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ صريح الايمان عبد حتى يدع المزاح والكذب والمراء وإن كان محقا ، وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اتقوا الكذب فان الكذب يجانب الايمان (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) أى لا ترضع لبنها بالأجرة ثم تأكلها وهو مثل يضرب للذى لا يمنعه من صيانته شدة فقره ، وهذا المثل للحارث بن سليل الأسدى وكان خطب إلى عقلمة بن خصفة الطائى وكان شيخا فقال علقمة لامرأنه اختبرى ما عند ابنتك فقالت : أى بنية أى الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح الواصل المياح ، الفتى الوضاح ، الذهول الطماح , قالت : بل الفتى ، قالت : إن الفتى يغيرك وأن الشيخ يعيرك ، قالت يا أماه : إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، يا أماه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ويبلى شبابى ، ويشمت بى أترابى ، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث ثم ارتحل بها إلى أهله وإنه لجالس ذات ذات يوم بفناء محلته وهى إلى جانبه إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصعداء ثم بكت فقال لها ما يبكيك قالت مالى وللشيوخ الناهضين كالفروخ من كل حوقل فنيخ فقال ثكلتك امك تجوع الحرة ولا تأكل بثديها ، ثم قال : وابيك لرب غارة شهدتها وسبية اردفتها وخمرة شربتها فألحق بأهلك فلا حاجة لى فيك .. قولها السيد السمح والمياح الكثير المعروف ويغيرك يتزوج عليك ويعيرك يميرك ويعتلجون يتصارعون والحوقل الجحجاح اللسن والفنيخ الضعيف الرخو -- وقول العامة لا تأكل ثديها اى لا تأكل لحم الثدى خطأ لاوجه له ويجوز على حذف مضاف تقديره اجر ثديها او ثمنها او يكون على المجاز كأنها إذا أكلت اجرهما فقد اكلتهما ونحوه قول الشاعر :

إذا صب ما فى القعب فاعلم بأنه دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ اودعا

يريد رجلا أخذ ابلا فى دية أبيه فيقول له إذا شربت لبنها فكأنك تشرب دم أبيك (وتأبى الدنية ولو اضطررت إليها) أى تمتنع من إتيان الفعل الدنىء ولو ألجئت إليه (الزبون) الذى يغلب فى المعاملات فعول بمعنى مفعول لأنه يزين أى يدفع عن استكمال حقه (أغضى) أسدل جفنى أى لا أسكت لك على الخداع (أنذرتك) نبهتك (ينهتك) ينقطع (الوتر) العداوة وقيل الفرد فيكون معنى ينعقد بيننا الوتر أى يرتبط وترى بوترك أى شخصى يشخصك فى هذه المعاملة أو عند المضاربة معك اوخدعتنى (تلغ) تترك (الانذار) التحذير (حذار) أى احذر

والذى حَرَّمَ أَكلَ الرِّبا ، وَأحلَّ أكل اللِّبَا ، ما فُهتُ بزُور ؛ ولا دَلَّيتكَ بغُرُور ، وَستَخبُرُ حقيقةَ الأمر ، وَتحمَدُ بَذلَ اللبإِ وَالتمر ؛ فَهَشَّ هَشَاشَةَ المَصدُوق ، وَانطلَق مُغذًّا إلى السُّوق ، فمَا كانَ بأَسرعَ مِنْ أَنْ أقبَلَ بِهِمَا يَدْلَح ؛ ووجْهُهُ مِنَ التَّعَبِ يَكْلَح ، فوَضعَهُمَا لَدَىَّ ، وضعَ المُمْتَنِّ علىَّ ، وقال : اضرِبِ الجيْش ، تحظَ بلذَّةِ العَيْش ، فحَسَرتُ عَنْ سَاعِدِ النَّهِم ، وحَمَلتُ حَملَةَ الفِيلِ المُلتَهِم ، وَهو يَلحَظُنى كَما يَلحَظُ الحَنِق ، وَيَوَدُّ مِنَ الغَيظِ لو أَختَنق ، حتى إذا هَلْقَمْتُ النَّوْعَين ، وَغادَرْتُهمَا أثرًا بَعدَ عَين ،

وحف (الربا) البيع الفاسد ، ابن عباس رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين ، ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به » (فهمت) نطقت (زور) باطل (دلينك بغرور) يريد أنه لم يغرر به بل صدقه (ستخبر) ستجرب (هش) اهتز (المصدوق) الذى أخبر بالصدق (مغذا) مسرعا وقد أغذ إغذاذا أسرع (يدلح) يتثاقل من الثقل ودلجت الدابة بالحمل دلوجا والسحاب بالماء نهضت به ثقيلا (يكلح) يعبس (الممتن) المتفضل (اضرب الجيش بالجيش) أى اخلطهما عند أكلك لهما (تحظ) تسعد (حسرت عن ساعد) أى شمرت عن ذراع (النهم) الكثير الشهوة والحرص على الأكل (الملتهم) المبتلع لما وجد (يلحظنى) ينظرنى بطرف عينه (الحنق) المغتاظ وحنق حنقا اشتد غيظه (هلقمت) ابتلعت بسرعة (غادتهما) تركتهما (أثرا بعدعين) أى بعد أن كان الطعام مرئيا ابتلعته فلم يبق غير أثره فى الاناء . ويليق بهذا الموضع أن نذكر فيه ماشهر من مغربات الزرد قال الشاعر فى أكول :

فتضرب خمس كفك فى ثريد	بلقم منك منكمش الذهاب
كأن دويه فى الحلق لما	تهمهم صوت ارعد أوسحاب

وقال آخر : إذا غرد العصفور طار فؤاده وليث حديد الناب عند الثرائد

وقال آخر :

لم ترعينى آكلا مثله	يضرب باليسر معا واليمين
تلعب بالقصعة أطرافه	لعب أخى الشطرنج بالشاهين

فمن مشاهير أهل الزرد : هلال بن أسعد المازنى وهو من شعراء الدولة الأموية ذكر الأصبهانى أنه كان عظيم الخلق شديدا قويا ، قال أبو عمرو بن العلاء لم أكن أراه حيا بل رأيته ميتا ؟! ارأيت على سرير أطول منه ، قال هلال : جعت مرة ومعه بعير لى فنحرته فأ كلته إلا ماجعلته منه على ظهرى ثم أردت جماع امرأتى فلم أقدر فقالت كيف تصل إلى وبيننا بعير ، وحدث شيخ من بنى مازن قال أتانى هلال فأكل جميع ما فى بيتنا فبعثنا إلى الجيران نستقرض الخبز منهم فلما رأى اختلافنا قال كأنكم أرسلتم إلى الجيران اعندكم سويق فأتيته بجراب طويل فيه سويق وبرنية فيها نبيذ فصب السويق كله وصب النبيذ وأزدرد الكل ، ومر على رجل من بنى مازن بالبصرة ومعه زوارق رطب قد ساقها من بستانه فجلس على زورق منها صغير مغطى ببارية فقال آكل من رطبك قال نعم قال ما يكفينى قال ما يكفيك فجلس على الزورق يأكل التمر إلى أن اكتفى فسلت البارية فاذا الزورق مملوء نوى وقال صدقة بن عبد الله المازنى أولم على أبى لما تزوجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور فأول من جاءنا هلال فقدمت اليه جفنة فأكلها ثم أخرى حتى أتى على عشر جفان ثم استسقى فأتى بقربة من نبيذ فوضع

أَوْرَدْتُ حَيْرَةً فى إظلال البَيَات ، وفِكْرَةً فى جَواب الأبْيَات ، فمَا لَبِثَ أنْ قام ، وأَحْضَرَ الدَّوَاةَ والأَقْلام ، وقال : قَدْ مَلَأْتَ الجِراب ، فأَمْلِ الجواب ، وإلَّا فَتَهَيَّأْ إنْ نَكَلْت ؛ لاغْتِرَامِ ما أَكَلْت ، فقلتُ له : ما عِنْدِي إلَّا التَّحْقِيق ، فاكْتُبِ الجوابَ وبالله التوفيق :

قُلْ لِمَنْ يُلْغِزُ المسَائِلَ إنِّى ‌ ‌ ‌ ‌ كاشِفٌ سِرَّهَا الذى تُخْفِيه

طرفها فى شدقه فأفرغها فى جوفه ثم خرج فاستأنفنا عمل الطعام ، ومن أعجب ما أكله ماتنا رغيف بمكوك بلح وكانت شبعته تكفية لخمسة أيام وكان لا يقاومه أحد فى النجدة ، ومنهم سليمان بن عبد الملك ذكر المسعودى أن شبعته كانت كل يوم مائة رطل بالراق وكان ربما أتاه الطباخون بسفافيد فيها الدجاج وعليه جبه الوشى فيحرضه على الطعام كان يدخل يده فى كمه ثم يقبض على الدجاجة وهى حارة فيفصلها . قال الأصمعى ذكرت ذلك للرشيد فقال قاتلك الله ما أعرفك بأخبارهم ، لقد كنت أرى الدسم فى أكمام جبابه ولا أدرى ماسببه حتى حدثتنى وكسانى منها جبة وخرج يوما من الحمام وقد اشتد جوعه فأمر أن يقدم ما لحق من الشواء ولم يكن فرغ من الطعام شىء فقدم اليه عشرون خروفا فأكل أجوافها مع أربعين رقاقة ثم قدم الطعام فأكل مع ندمائه كأنه لم يأكل شيئاً ، قال الشمردل وكيل عمرو بن العاص رضى الله عنه لما قدم سليمان الطائف دخل بستانى هو وعمر بن عبد العزيز وأيوب ابنه فجال فى البستان ساعة ثم قال ناهيك بما لكم هذا مالا ثم ألقى صدره على غصن شجرة وقال ويلك ياشمردل ماعندك شىء تطعمنى فقلت بلى عندى جدى كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى قال عجل به ويحك فأتيته به كأنه عكة سمن فأكله وما دعا ابنه ولا عمرحتى إذا بقى الفخذ قال هلم أبا حفص قال إنى صائم فأتى عليه ثم قال ويلك أعندك شىء فقلت سبع دجاجات هنديات كأنهن رئلان النعام قال عجل بهن فأتيته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقى عظامها بفيه فلما فرغ منهن قال ويلك أعندك شىء فقلت حريرة كأنها قراضةذهب فقال عجلها فأتيته بها فجعل يشربها شربا فلما فرغ تجشأ فكأنما صاح فى جب ثم قال ياغلام أفرغت من غدائى قال نعم فقدم اليه ثمانين قدرا فأكثر ما أكل من قدر ثلاث لقمات وأقل ما أكل لقمة ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس وصفت الموائد فأكل معهم فما أنكرت من أكله شيئا ،وسبب وفاته ان نصرانيا اتى بزنبيل مملوء بيضا وآخر مملوء تينا فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى أكل الزنبيلين ثم اتوه بقصعة مملوأة مخا بسكر فأكله فاتخم فمات : ومنهم عمرو بن معد مكرب دخل على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال من أين أقبلت يا أبا ثور فقال من عند سيد بنى مخزوم أعظمها هامة وأقلها ملامة وافضلها حلما واقدمها سلما قال من هو قال سيف الله وسيف رسوله خالد ابن الوليد قال فأى شىء صنعت عنده قال اتيته زائرا فدعا لى بعقب وفرس وثورفقال له عمر وابيك إن فى هذا لشبعا قال لى اولك قال لى ولك قال بلى قال فما تقول يا امير المؤمنين انى لآكل الجذع من الابل انتقيه عظما عظما واشرب الشن من اللبن رثيئة وصريفا (افردت) سكت وخضعت (مالبث) ما تمهل (الجراب) وعاء الزاد اوراد بطنه (امل) يقال امليت عليه اذا القيت عليه ما يكتب واملت لغة وقيل الأصل امللت فابدل من اللام ياء (نكلت) انقطعت

إنَّ ذَا المَيِّتَ الذى قَدَّمَ الشرْ ... عَ أخا عِرْسِهِ عَلَى ابنِ أبيهِ
رَجُلٌ زَوَّجَ ابنَهُ عَنْ رضاه ... بِحماةٍ له ولَا غَرْوَ فيه
ثم ماتَ ابنُهُ وقَدْ عَلِقَتْ منـــــهُ فجاءَتْ بابْنٍ يَسُرُّ ذَوِيه
فَهُوَ ابنُ ابنِهِ بغيرِ مِراء ... وأخو عِرْسِهِ بلا تَمويه
وابنُ الابنِ الصَّريحُ أدنَى إلى الجــــدِّ وأولى بإرْثِهِ مِنْ أخيه
فلذا حينَ ماتَ أُوجِبَ للزَّوْ ... جَةِ ثمنُ التُّراثِ تستوفيه
وحَوى ابنُ ابنِهِ الذى هو فى الأَصْــــلِ أخوها من أمِّها باقيه
وتَخَلَّى الأخُ الشَّقيقُ مِنَ الإر ... ثِ وقلنا يكفيكَ أنْ تَبكِيه
هاكَ منى الفُتْيا التى يَحتذِيها ... كلُّ قاضٍ يَقضى وكلُّ فقيه

(لاغرو) لاعجب (علقت) حملت (ذويه) قرابته وأضاف ذوى إلى المضمر وهى لغة قليلة ومنعها بعضهم وجوزها جماعة من أئمة اللغة وقال أبو على الفارسى اللهم صلى على محمد وذويه حملوا ذوى على الأصحاب . الأزهرى : سمعت غير واحد من العرب يقول كنا مع ذوى عمرو يعنى مع أصحاب عمرو وهو كثير فى كلام قيس ومن جاورهم وقال الحريرى فى الدرة ويقولون رايت الأمير وذويه فيهمون فيه لأن العرب لم تنطق بذى الذى بمعنى صاحب إلا مضافا إلى اسم جنس كقولك ذومال وذونوال فاما إضافته إلى الأعلام أو إلى أسماء الصفات المشتقة من الأفعال فلم تسمع بحال ولهذا لحن من قال صلى الله على محمد وذويه ، وكما لم يقولوا ذو أبى ولاذو أمى واقتصروا على إضافته إلى الجنس ، ولهذا لم يرفع السبى لأنه ليس بمشتق ، فلا يقال مررت برجل ذى مال أخوه ؛ وتصحيحه ذومال أخوه لأن النكرة تختص بأن توصف بالجملة (مراء) جدال (تمويه) كذب (الصريح) الخالص (أدنى) أقرب (التراث) المال الموروث (حوى) حاز (تخلى) خرج بلا شىء (هاك) خذ يحتذيها) يتبعها ويعمل بها وتقريب هذا اللغز أن تقول رجل وابنه وامرأة وابنتها تزوج الرجل البنت والابن الأم فمات الابن وقد حملت منه الأم فوضعت غلاما فكان للرجل ابن ابنه ولزوجته أخا لأم ثم مات الرجل وترك أخا فورثت زوجته الثمن وأخوها من أمها الباقى لأنه ابن ابن الميت وهو يحجب الأخ كما كان يحجبه الابن لو كان حيا .. ومثله قول الآخر :

وقائلة أوص الغـــداة فإننى ... أرى الموت قد حطت لديك ركائبه
فقلت وقد راع الفؤاد مقالها ... وضاقت به خوف الحمام مذاهبه
لك الثمن إن حانت وفاتى فريضة ... وسائر مايبقى فصنوك صاحبه

جوابه :

تعلم فان العلم أكبر ملبس ... لمن شرفت أخلاقه ومذاهبه
حليلة هذا أمها زوجة ابنه ... فذلك والالغاز جم عجائبه
فان ابنه صنو لزوجته من ... يقر بعرف العلم تعلو مراتبه

قال : أَنْبَثُّ الجوابَ ، واستنبثتُ منه الصوابَ ؛ قال لى أهلَكَ والليلَ ، فشمِّر الذيلَ ، وبادِرِ الليلَ ، فقلتُ : إنى بدارِ غُربةٍ ، وفى إيوانى أفضلُ قُربةٍ ، لاسيّما ولقد أغدفَ جُنحُ الظلامِ ، وسبَّحَ الرعدُ فى الغمامِ ، فقالَ اغرُبْ عافاكَ اللهُ إلى حيثُ شيث ، ولا تطمعْ فى أن تبيث ؛ فقلتُ ولم ذاكَ ؛ مع خُلوِّ ذَراكَ ؟ قال : لأنى أُمعنتُ النظرَ ، فى التقامكَ ما حضرَ ، حتى لم تُبقِ ولم تذرْ ، فرأيتكَ لا تنظرُ فى مصلحتكَ ، ولا تُراعى حِفظَ صحّتكَ ، ومن أمعنَ فيما أمعنتَ ، وتبطّنَ ما تبطّنتَ ، لم يكدْ يخلصُ من كِظّةٍ مُدنفةٍ ، أو هيضةٍ مُتلفةٍ ، فدَعنى باللهِ كفافا ، واخرُجْ عنى ما دُمتَ مُعافى ، فوالذى يُحيى ويُميتُ ؛ مالكَ عندى مَبيت ، فلما سمعتُ أَليّتَه ، وبلوتُ بليّتَه ؛ خرجتُ من بيتِهِ بالرَّغمِ ، وتزوّدُ الغمِّ ، تجودُنى السماءُ ،

فميراثها ثمن وللصنو ما بقى   كذلك يقضى من تعالت مناقبه

والمتقدم للسؤال فى هذه المسئلة عبد الملك بن مروان وذلك أنه وقف به رجل فقال ياأمير المؤمنين أنا تزوجت امرأة وزوجت ابنى من أمها فأمددنا بشىء نستعين به فقال له إن أخبرتنى كيف يدعى ابن كل واحد منكما لابن صاحبه فأنا أرفدك وإلا فلا أعطيك شيأ فقال له الرجل فسل عن ذلك كاتبك وصاحب شرطتك فان أجاباك فما تعطيه لى فادفعه اليهما وإلا فأنا أعذر فسألهما فلم يعرفا ذلك فابتدر رجل من آخر الصفوف وقال له أرأيت إن أخبرتك أتعطينى ما ذكرت للسائل فقال له نعم فقال ابن الأب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الأب فوصله ، فهذا أخف أمر فى الظاهر من التوارث الذى فرض الحريرى وأشكل فى المعنى (أنبث) صحح (استنبثت) أى وجده ثابتا (أهلك والليل) كلام العرب كأنه قال بادر أهلك قبل الليل وتحقيق المعنى فى ذلك أنه عطف الليل على الأهل وجعلهما مبادرين ومعنى المبادرة مسابقتك الشىء كقولك بادرت زيدا المنزل كأنى سابقته اليه وكأن الليل والرجل المخاطب يتسابقان إلى أهل الرجل فأمره الآمر أن يسابق الليل اليهم ليكون عندهم قبل الليل (شمر الذيل) أى ارفع ساقك واستعد للمشى (إيوانى) ضمى (قربة) يتقرب به من أعمال البر (أغدف) أسبل وأرسل ومنه قول عنترة :

إن تغدفى دونى القناع فاننى   طب بأخذ الفارس المتلئم

وإنما قيل للغراب غداف لسبوغ ريشه ، وقال رؤبة يخاطب أخاه :   نبت من جناحك الغداف

(جنح الظلام) ميله وجنح الليل جنوحا وأجنح مال وهو من الجناح وكان الطائر إذا عدل عن طريق طيرانه فيرجع يطير إلى جهة جناحه قيل له جنح ثم استعير فى الليل وغيره كما قيل نكب عن طريقه هى من المنكب كأنه قال مال بمشيه إلى جهة منكبه (سبح) صوت (الغمام) السحاب (أغرب) غب وابعد (ذراك) منزلك (أنعمت) بالغت (تراعى) تحفظ (أمعن) أكثر وتقول أمعن لى بحقى اعترف به وأظهره مأخوذ من الماء المعين وهو الجارى الظاهر . الفراء : المعين من الماعون أو مفعول من العيون (تبطن) ملأ بطنه (كظة) امتلاء البطن (مدنفة) ممرضة (هيضة) انطلاق البطن بالقىء والاسهال (كفافا) مسالمة أى كف عنى شرك وخيرك (معافى) سالما من الآفات (أليته) يمينه (بلوت) خبرت وشاهدت (الرغم) الذى (تجودنى) تمطرنى (السماء) المطر هنا . وتذكرت

وَتَخبطُ بِي الظَّلْمَاء وتَنْبَحنِي الـكلابُ ، وتتقاذَفُ بِي الأبْوابُ ، حتى سَاقَنِي إليكَ لُطفُ القضاء فشُكراً ليَدِهِ البَيْضَاء ،

بهذه الحالة خروج السلامى من دار الشرف الرضى فى عشية ماطرة فأعطاه كساء استتر به فلما وصل إلى منزله كتب إليه بقصيدة منها :

ودعت دارك السماء تجودنى   بيد الغمام فلم يكن بك مابى
ماكنت الاجنة فارقتها   كرها فصب على صوب عذاب
ورأيت غالية الطريق ومسكه   طينا معدا لى على الأبواب
وحمى كساؤك لاعدمت معيره   دراعتى وعمامتى وجبابى
فوليت يابحر السماحة كسوتى   وولى أخوك الغيث بل ثيابى
فوصلت أشكر ذا وأشكو ذا وبالعينين مابهما من التسكاب

وقال آخر فاحسن : وغمامة نثرت دموعا عندما   نثر النسيم جمانها تسبيكا
تهدى السقوف جمانها متفرقا   وتمده عند السقوط سلوكا

وقال ابن شهيد فاحسن :

ومرتجز ألقى بذى الاثل كلكلا   وحط بجرعاء الاباريق ماحطا
سعى فى قياد الريح يسمح للصبا   فألقت على غير التلاع به مرطا
ومازال يروى الترب حتى كسا الربا   درانك والغيطان من نشره بسطا
وعنت له ريح تساقت قطره   كما نثرت حسناء عن جيدها قرطا

(تخبط) أى تجعلنى أمشى فيها على غير هدى (تتقاذف) تترامى وتتطارح وجعل الأبواب يرميه بعضها على بعض لما كان يقرعها ولا تفتح له (لطف القضاء) أى رفق قدر الله وقضائه (يده البيضاء) نعمته الكريمة وتقول لفلان على يده بيضاء أى نعمة وجمعها أياد . قال ابن العباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهدى إلى قوم نعمة فلم يعدل بشكرها له استجيب له فيهم ، قال عبد الله بن المبارك أقبل نصر بن سيار ، فقال اللهم إنى أهديت إلى بسام نعمة فلم يعدلى بشكرها فاجعل موتهم قتلا بالسيف فبلغنى أنه قتل منهم سبعون رجلا ، وقال أبو نواس وأتى بمعنى بديع :

قد قلت للعباس معتذرا   من ضعف شكريه ومعترفا
أنت أمرؤ جللتنى نعما   أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم تقدمة   لاقتك بالتصريح مكتنفا
لاتحدثن إلى عارفة   حتى أقوم بشكر ماسلفا

اعترضه الناشىء فى معناه فقال .

إن أنت لم تحدث إلى يدا   حتى أقوم بشكر ماسلفا

لم أحظ منك بنائل أبدا ورجعت بالحرمان منصرفا

وقال طريح : طلبت ابتغاء الشكر فيما صنعت بى فقصرت مغلوبا وإنى لشاكر
وقد كنت تعطينى للجزيل بداية وإنى لما استكثرت منك لحاقر
فأرجع مغبوطا وترجع بالتى لها أول فى المكرمات وآخر

وقال آخر : رهنت يدى بالشكر فى شكر بره ومافوق شكرى للشكور مزيد
لو أن شيأ يستطاع استطعته ولكن مالا يستطاع شديد

وقال ابراهيم بن العباس الصولى :

فلو كان للشكر شخص يبين إذا ما تأمله ناظر
لمثلته لك حتى تراه فتعلم أنى امرؤ شاكر

وهذا الباب من الشكر وإن وفيناه حقه هنا يأتى متفرقا فى الكتاب : ولما ذكر البطنة وخطرها وأنها أوجبت عليه خروجه من بيت ضيفه على الحالة التى وصف أردنا أن نصلها بما يشاكلها ، ومما جاء فى ذم البطنة من حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى عليه وسلم كان إذا أراد أن يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان أكل كثيرا قال ردوه فان كثرة الأكل من الشؤم ، وقيل للتسترى الرجل يأكل فى اليوم مرة قال اكل الصديقين قيل فمرتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا ، ويقبح أن يكون الرجل وصافا لبطنه وفرجه وان من المروءة أن تترك الرجل الطعام وهو يشتهيه وقال عمرو بن العاص لمعاوية رضى الله عنهما يوم الحكمين : أكثروا الطعام فو الله مابطن قوم قط إلا فقدوا بعض عقولهم ومامضت عزيمة رجل بات بطينا ، وقال الحكماء لكل شىء صدأ وصدأ القلوب شبع البطون . عزم المعتصم يوما على الاصطباح وأمر ندماءه أن يطبخ كل واحد منهم قدرا فدخل عليه غلام ابن أبى داود فقال المعتصم الساعة يأتى ابن أبى داود فيقول فلان الهاشمى وفلان القرشى والانصارى فيقطعنا بجوائحه عما عزمنا عليه وأنا أشهدكم أنى لا أمضى له يومى هذا حاجة فلم يتم الكلام إلا والحاجب يستأذن به فقال لجلسائه كيف ترون فقالوا لا تأذن له فقال سوأة لكم لحمى سنة أهون على من ذلك ودخل فما هو إلا أن سلم وجلس وتكلم حتى ضحك المعتصم وسفر وجهه اليه ثم قال يا أبا عبد الله لقد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا وقد جعلناك حكما فى طبخها قال فليحضر كل واحد قدره آكل ثم أحكم فيها فوضعت بين يديه فأكل من أول قدر أكلا كثيرا فقال المعتصم هذا ظلم قال وكيف ذاك قال لأنى أراك أمنعت فى هذا اللون وستحكم لصاحبه فقال على ان آكل من القدور كلها مثله قال شأنك فأكل ثم قال أما هذه فقد أجاد طباخها إذ قلل خلها وكثر زيتها ثم أكل من كل قدر كذلك ووصف القدور كلها بصفات حسنة سربها أصحابها ثم قدم الطعام فاكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه وهو يحدثهم بأخبار الاكلة فى صدر الاسلام كمعاوية وعبد الله بن زياد والحجاج وسليمان بن عبد الملك وعن أكلة دهره مثل ميسرة التمار ودورق القصاب وحاتم الكيال واسحق الحمامى فلما رفعت الموائد قال له المعتصم وقد أطربه حديثه ألك حاجة ياعبد الله قال رجل من أهل بيتك وطئه الدهر وغير حاله وقال ومن هو قال سليمان ابن عبد الله قال قدر له مايصلحه قال خمسون ألفا قال قد أنفذت ذلك له قال ولى حاجة أخرى ثم ذكر ثلاث

فقلتُ له أحْبِبْ بلقائك المُتاح ، إلى قلبي المُرتاح ، ثم أخذ يفتنّ في حكاياته ، ويُشمِط مُضحكاته بمُبكياته ، إلى أن عطس أنف الصَّباح ؛ وهتف داعي الفَلاح ، فتأهَّب لإجابة الدعي ، ثم عطف إلى وداعي ؛ فعقته عن الانبعاث ، وقلتُ الضِّيافة ثلاثٌ ، فناشد وحرَّج ، وأنشد ، إذ عرَّج :

لا تزُرْ من تُحِبُّ في كلِّ شهرٍ　　غيرَ يومٍ ولا تزِدْه عليهِ

فاجتلاء الهلال في الشهرِ يومٌ　　ثم لا تنظرُ العيونُ إليهِ

عشرة حاجة لا برده عن شيء منها ثم قام خطيبا فقال عمرك يا أمير المؤمنين طويلا فبعمرك تخصب جنات رعيتك ويلين عيشهم وتنمو أموالهم ولا زالت ممتعا بالكرامة والسلامة مدفوعا عنك حوادث الأيام وغيرها ثم انصرف ، فقال المعتصم هذا والله يتزين الملك بمثله ويبتهج بقربه أما رأيتم كيف دخل وكيف تكلم وكيف أكل ثم انبسط في الكلام وكيف طاب به أكلنا ما يرد هذا عن حاجته إلا لئيم الاصل والله لو سألني في مجلسي هذا ماقيمته عشرة آلاف ألف ماردته عنها وأنا أعلم أنه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا ، وفيه يقول أبو تمام :

لقد أنست مساوىء كل دهر　　محاسن أحمد بن أبي داود

وهذه الحكاية تنتظم في حكايات أهل الزرد المتقدمين في المقامة وقد احتوت على رجال موصوفين بذلك ختمنا بها الباب (أحبب) تعجب معناه ما أحب لقاءك إلى قلبي (المتاح) المقدور (المرتاح) المهتز طربا (يفتن) ينوع (ويشمط) يخلط (أنفه) أوله وجعل للصباح أنفا عاطسا مجازا لما كان يدفع ظلمة الليل (هتف) صاح (داعي الفلاح) هو المؤذن والفلاح البقاء (تأهب) استعد (عقته) حبسته (الانبعاث) النهوض ؛ وذكر أن (الضيافة ثلاث) لأنه جاء في حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وجائزته يوم وليلة والضيافة ثلاث ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يخرجه فما أنفق عليه بعد ثلاث فهو صدقة أبو عبيدة : جائزته يوم وليلة أي يعطى الضيف بعد إكرامه ثلاثة أيام ما يجوز به يوما وليلة يقال أسف بجائزة وجيزة وجوزة أي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل ومن ملح باب الضيافه قال المبرد أضاف رجل رجلا فاطال المقام حتى كرهه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه فقالت له ألق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه ففعل فقالت المرأة للضيف بالذي يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذي يبارك في مقامي عندكم شهرا ما أعلم ، ونزل بصري على مدني وكان صديقا له فألح عليه في الجلوس فقال المدني لامرأته إذا كان غدا فاني أقول لضيفنا كم زراع يقفز فأقفز فاذا قفز فاغلق الباب خلفه فلما كان الغد قال له المدني كم تقفز يا أبا فلان قال جيد فعرض عليه أن معه فأجابه فوثب المدني من داره إلى خارج أذرعا وقال للضيف ثب أنت فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين فقال له وثبت أنا إلى خارج الدار أذرعا وأنت إلى داخلها ذراعين فقال الضيف ذراعان في الدار خير من أربع برا ، الأزهري برا مولدة (قوله ناشد) حلف (حرج) وكد يمينه أي لا يقيم والحرج الأثم ؛ ابن الانباري تحرج فلان عن كذا أي تدين وضيق على نفسه والحرج عندهم الضيق (أم) قصد (عرج) التوى عن الباب منصرفا (اجتلاء) نظر

قال الحارثُ بنُ همامٍ : فودَّعتُهُ بقلبٍ دامي القَرْحِ ؛ ووددتُ لو أنَّ ليلتي بطيئة الصُّبحِ

(القرح) الجرح وأنشد الثعالبي فى هذا المعنى فقال :

غليك باقلال الزيارة انها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فانى رأيت الغيث يسأم دائما ويسئل بالأيدى اذا هو أمسكا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرغبا تزدد حبا نظمه الشاعر فقال :

إذا شئت أن تقلى فزرمتواترا وإن شئت أن تزداد حبا فزرغبا

وقالوا قلة الزيارة أمان من الملالة وقالوا فى ضده ترك الزيارة سبب القطيعة وقال على رضى الله عنه الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسدة الصنيعة وترك التعاهد للصديق يكون داعيه القطيعة ، وقال عبد الصمد بن المعدل فى ضد هذا وأن يحافظ على الصداقة بظهر الغيب ويمدح إبراهيم بن الحسن :

يامن فدت نفسه نفسى وقدجعلت له وقاء لمن يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزاربه أنى وان كنت لا ألقاه ألقاه
وأن طرفى موصول برؤيته وان تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه
لاشىء مما ترى إلا له شبه وما لكم آل إبراهيم أشباه
عذرا فهل حسن لم ينجه حسن وهل فتى عدلت جدواه جدواه

وقال أبو العتاهية : أقلل زيارتك الصديق ولاتطل اتيانه فتلج فى هجرانه
إن الصديق يلج فى غشيانه لصديقه فيلج فى عصيانه
حتى تراه بعد طول سروره وكأنه متبرم بمكانه
وإذا تولى عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشأنه

وأفرط البر بالصاحب داع إلى كثرة الأخجال ومانع من العودة بعد الانفصال . وكتب ابن عمار إلى ابن زريق وقد عتب عليه ان اجتاز ببلده ولم يلقه هذه الأبيات :

لم يلو عنك عنانى سلوة خطرت ولا فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
لكن عدتنى عنكم خجلة عرضت كفانى العذر منها بيت معتذر
لو اختصر تم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للافراط فى الخصر

ضمن ابن عمار هذا البيت أحسن تضمين وهو للمعرى ، وماقيل فى العجز عن الشكر أحسن منه..والاقلال يمنع تلاقى الأحباب ويحط من همم ذوى الأحساب فانه إذا لم يكن عندك ماتقدم بين يدى ضيفك أو زائرك تمنيت إذا حل بك أن لا تراه وقال حبيب :

وسيان عندى صادفوالى مطعما أعاب به أوصادفوا لى مقتلا

وقال ابن المعتز : وإنى لصب بالتلاقى وإنما يصد فؤادى عن معاذيرك العسر
أذوب حياء من زيارة صاحب إذا لم يساعدنى على بره الوفر

وفى المقامة التى تلى هذه فن ثان من الزيارة تقف عليه أن شاء الله تعالى :

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: شَهِدْتُ صَلاةَ المَغْرِبِ، في بَعْضِ مَساجِدِ المَغْرِبِ؛ فلما أدَّيْتُها بفَضْلِها، وشَفَعْتُها بنَفلِها، أخَذَ طَرْفي رُفْقَةً قد انْتَبَذُوا ناحيةً، وامْتازُوا صَفْوَةً صافيةً، وهُمْ يتعاطَوْنَ كأسَ المُنافَثَةِ، ويَقْتَدِحُونَ زِنادَ المباحَثَةِ، فرَغِبْتُ في مُحادَثَتِهِمْ لِكَلِمَةٍ تُسْتَفادُ، أو أدَبٍ يُسْتَزادُ، فَسَعَيْتُ إليهم؛ سَعْيَ المُتَطَفِّلِ عليهم، وقُلْتُ لهم أتَقْبَلُونَ

شرح المقـــامة

(أديتها) تممتها (شفعتها) زوجتها يريد أنه صلى الفريضة ثم صلى النافلة (بفضلها) يريد أنه صلاها فى جماعة وهى أفضل من صلاة الفذ (انتبذوا) انفردوا وصاروا إلى جهة وزاوية من المسجد (وامتازوا) انفصلوا (صفوة) خيارا (يتعاطون) يعطى بعضهم بعضا (المنافثة) المحادثة (يقتدحون) أى يضربونها ويستخرجون نارها (المباحثة) المناظرة فى العلم (المتطفل) الآتى إلى الطعام من غير أن يدعى وهو الوارش عند العرب وتطفل تشبه بطفيل العرائس وهو طفيل بن دلال الدارمى ويسمى طفيل الأعراس وطفيل العرائس لكثرة دورانه على حضورها ومشاهدته لها والأكل منها من غير أن يدعى اليه واسمه مشتق من الطفل وهو إقبال الليل على النهار. أبو عمرو: الطفل الظلمة. ابن الأعرابى: ويقال للطفيلى اللعموظ والجمع اللعاميظ وطفيل من بنى عبد الله بن غطفان كان يأتى الأعراس ولم يدع ومسكنه بالكوفة وكان يقول وددت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على فيها دخان، فنسب اليه كل من يتطفل نسبة مذهب لا نسب، والتطفل من أخلاق اللئام وسجايا الأوغاد ومنهى عنه فى الشرع: ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوى دخل سارقا وخرج مغيراء عائشة رضى الله عنها: قال النبى صلى الله عليه وسلم من دخل على قوم لطعام لم يدع فأكل دخل فاسقاً وأكل حراما.. ونسوق هنا فصلا للطفيليين يكون فى هذه المقامة بمنزلة فصل الأكلة فى المقامة قبل هذا لأن حالتيهما متقاربة؛ فمن ذلك مايحكى عن بشار الطفيلى أنه قال رحلت يوماً إلى البصرة فلما دخلتها قيل لى إن هنا عريفا للطفيليين يبرهم ويكسوهم ويرشدهم إلى الأعمال ويقاسمهم فسرت اليه فبرنى وكسانى وأقمت عنده ثلاثة أيام وله جماعة يصيرون اليه بالزلات فيأخذ النصف ويعطيهم النصف فوجهنى معهم فى اليوم الرابع فحصلت فى وليمة فأكلت وأزللت معى شيأ كثيرا وجئته به فأخذ النصف وأعطانى النصف فبعت ماوقع لى بدراهم فلم أزل على هذه الحالة أياما ثم دخلت يوما على عرس جليل فأكلت وخرجت بزلة حسنة فلقينى إنسان فاشتراها بدينار فأخذته وكتمته وكتمت أمرها فدعا جماعة من الطفيليين فقال إن هذا البغدادى قد خان فظن أنى لاأعلم مافعل فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا فأجلسونى شئت أم أبيت وما زالوا يصفعونى واحد بعد واحد فيصفعنى الأول منهم ويشم يدى ويقول أكل مضيرة ويصفعنى الآخر ويشم يدى ويقول أكل كذاويصفعنى الآخر حتى ذكروا

كل شيء أكلته ماغلطوا بشيء منه ثم صفعني شيخ منهم صفعة عظيمة وقال باع الزلة بدينار وصفعني آخر وقال هات الدينار فدفعته اليه وجردني الثياب التي أعطانيها وقال اخرج ياخائن في غير حفظ الله فخرجت إلى بغداد وحلفت أن لا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب . ونريد هنا أن نذكر بعض مااشتهر من حكايات طفيلية البصرة إذهم أحذق خلق الله في باب التطفيل . بعث المأمون في عشرة من زنادقة البصرة فجمعوا فرآهم طفيلي فمضى معهم فأدخلوا في سفينة فدخل معهم وجيء بالقيود فقيد معهم فقال أحدهم ياطفيلي إلى هنا فأقبل عليهم فقال فديتكم أي شيء أنتم فقالوا له بل أنت من أنت وهل أنت من أصحابنا قال والله ماأعرفكم غير أني طفيلي خرجت من منزلي فرأيت منظرا جميلا ونعمة ظاهرة فقلت شيوخ وكهول وشبان مااجتمع هؤلاء إلا لصنيع فدخلت وسطكم كأني أحدكم إلى هذا الزورق فرأيته قد فرش ومهد ورأيت سفرا مملوءة فقلت نزهة إلى بعض البساتين والقصور إن هذا اليوم يوم مبارك فزدت ابتهاجا فجاء هذا الموكل بكل فقيدكم فطار عقلي فلما الخبر فضحكوا وفرحوا به وقالوا له لقد حصلت في الاحصاء ونحن مانية على مذهب ماني القائل بالنور والظلمة نسير إلى المأمون فيسألنا عن مذهبنا ويدعونا إلى التوبه ويظهر لنا صورة ماني ويأمرنا أن نتفل عليها ونبرأ منها فمن فعل نجا وإلا قتل فاذا دعيت فأخبره باعتقادك ، وللطفيلي مداخلات وأخبار فاقطع سفرنا بها فكان ذلك فلما دخلوا على المأمون دعاهم بأسمائهم وامتحنهم فأمر عليهم بالسيف وتأخر الطفيلي وقد استوعب العدة فسأل الموكلين بهم فقالوا وجدناه معهم فجئنا به فقال له ما خبرك فقال له ياأمير المؤمنين امرأته طالق إن كنت أعرف من أقوالهم شيئا إنما أنا رجل طفيلي ثم قص قصته معهم فضحك المأمون كثيرا ثم أظهر الصورة فلعنها وبريء منها ثم قال اعطوها لي حتى أسلح عليها ، والله ما أدري ما ماني أنصراني أم يهودي أم مسلم فقال المأمون يؤدب على فرط جهله وتطفيله ومخاطرته بنفسه فقال ياأمير المؤمنين بحياتك إن كنت ولا بد عازما فاجعل السياط كلها على بطني فهو الذي حملني على هذا الغرر ، فعاد إلى الضحك فاستوهبه منه ابراهيم بن المهدي بحديث في تطفيله يذكر في خبر اسحق الموصلي فوهبه له وأجاز الطفيلي بجائزة سنية ، كان ابراهيم بن المدبر عاملا على البصرة وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم وكل واحد منهم منفرد بعلم من العلوم وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدباء وأخفهم روحا وأشدهم في كل مليحة افتنانا فاحتال ودخل في جملة الندماء فخرج ابراهيم فرآه فقال لحاجبه قل لهذا الرجل ألك حاجة فسقط في يد الحاجب وعلم أن الحيلة تمت عليه وأنه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته إلا بقتله فريجر رجليه فقال له يقول لك الأستاذ ألك حاجب فقال قل له لافأدخله عليه فقال فأي شيء أدخلك أأنت طفيلي فقال نعم أصلحك الله فقال إن الطفيلي يحتمل عل دخوله على الناس بخصال منها أن يكون لاعبا للشطرنج وبالنرد أوضاربا لعود أو بالطنبور فقال أيدك الله أنا لما ذكرت في الطبقة العليا فقال لبعض الندماء لاعبه بالشطرنج فقال أعزك الله فان قمرت قال أخرجناك قال وإن قمرت قال أعطيناك ألف درهم فقال أحضرها فان في حضورها قوة للنفس فلعبا بالشطرنج فغلب الطفيلي ومديده لأخذ الدراهم فقال الحاجب أعزك الله ذكر أنه في الطبقة العليا وإن فلانا غلامك يغلبه فأحضر الغلام فغلبه فقالوا له انصرف فقال احضروا النرد فلوعب به فغلب فقال الحاجب لكن بوابنا فلانا يغلبه فاحضر البواب فغلبه فقيل له اخرج قال فالعود فاعطى عودا فضرب فأصاب وغنى فأطرب فقال

الحاجب ياسيدى إن فى جوارنا شيخا يعلم القيان هو أحسن منه فأحضر اليه فكان أطيب منه فقال له اخرج فقال فالطنبور فضرب ضربا لم نر أحسن منه فقال الحاجب إن فلانا المحتكر أطيب منه فأحضر فكان أحذق منه فقال ابن المدبر قد تقصينا لك بكل جهد فابت حرفتك الا طرحك فقال ياسيدى بقيت معى فائده حسنة فقال وماهى قال تأمر أن يحضر قوس بندق مع خمسين بندقة من رصاص ويقام هذا الحاجب فأرميه فى دبره فان أخطأته بواحدة فاضرب عنقى فضج الحاجب ووجد ابن المدبر شفاء نفسه فى عقوبته فامر بخشبتين وشد الحاجب فوقهما وأعطى القوس فرماه بخمسين بندقة فما أخطأ دبره بواحدة منها وحل الحاجب وهو يتأوه لما به فقال له الطفيلى ياصفعان هل على باب الأمير من يحسن مثل هذا فقال له الحاجب ياقرنان إذا كان البرجاس استى فلا يحسن أحد مثلك قال وذهب الضحاك بابن المدبر هو وأصحابه كل مذهب ثم أعطاه ألف درهم وانصرف ، صحب طفيلى رجلا فى سفر فلما نزلوا ببعض المنازل قال له الرجل خذ درهما وامض اشترلنا لحما فقال له الطفيلى قم أنت والله إنى لتعب فاشتر أنت فمضى الرجل فاشتراه ثم قال له الرجل قم فاطبخه فقال لاأحسن فقام الرجل فطبخه ثم قال الرجل للطفيلى قم فاثرد فقال والله إنى لكسلان فثرد الرجل ثم قال له قم فاغترف قال اخشى ان ينقلب على ثيابى فغرف الرجل حتى ارتوى الثريد فقال له قم الآن فكل قال نعم إلى متى هـــذا الخلاف قد والله استحييت من كثرة خلافك وتقدم فاكل ، وقال طفيل العرائس ليس فى الأرض أكرم من ثلاثة أعواد عصى موسى عليه السلام وخوان الطعام ومنبر الخليفة ، ومن وصيته لأصحابه إذ دخلتم عرسا فلا تلتفتوا إلى الملاهى وتخيروا المجالس وإن كان العرس كثير الزحام فليمض أحدكم ولا ينظر فى عيون الناس ليظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة وأهل المرأة من أهل الرجل وإن كان البواب فظا وقحا فليبدا به فليأمره ولينهه من غير عنف ولكن بين النصيحة والادلال ، وقال بنان الطفيلى التمكن على المائدة خير من ثلاثة الوان . وسئل بنان هل تحفظ من كتاب الله تعالى شيئا قال نعم آية قيل وماهى قال وإذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا قيل اتحفظ شيئا من الشعر قال بيتا واحدا قيل ماهو قال :

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم ... إن الكريم إذا مالم يزر زارا
يقرب الشوق دار وهى نازحة ... من عالج الشوق لم يستبعد الدار

وقال أبو الورد المحاكى طفيلى :

طفيلى بؤم الخبز أنى ... يراه ولو يراه على يفاع
ولا يروى من الأخبار إلا : ... أجيب ولو دعيت إلى كراع

وقال طفيلى أيضا :

نحن قوم إذا دعينا أجبنا ... ومتى ننس يدعنا التطفيل
ونقل علنا دعينا فغبنا ... وأتانا فلم يجدنا الرسول

... وأقبل طفيلى إلى طعام لم يدع اليه فقال صاحب الطعام : من دعاك فأنشده :

دعوت نفسى حين لم تدعنى ... فالحمد لى لا لك فى الدعوه
وكان ذا أحسن من موعد ... مخلفه يدعو إلى الجفوه

... ودخل طفيلي في صنيع رجل من القبط فقال له من أرسل اليك فأنشأ يقول :

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم ... إن المحب إذا لم يزر زارا

فقال زر زارا ليس ندرى من هو اخرج من بيتي ، وقال آخر في طفيلي كوفي :

زرعنا فلما أثمر الله زرعنا ... وأوفى عليه منجل لحصاد

بلينا بكوفي حليف مجاعة ... أضر بزرع من وبا وجراد

... وحدث آدم الطويل قال دخل حانوتي غريب يأكل شيأ من الطعام فتقدم سائل فقلت له ما أكثر ترددك إلى فقال الغريب الذي في الحانوت لعله كما قال الشاعر :

لو طبخت قدر بمطمورة ... أو في ذرى قصر بأعلى الثغور

وكنت بالصين لوافيتها ... يا عالم الغيب بما في القدور

... حكى المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أوصبرت ياهذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لأدبك وأعظم لقدرك وأجل لمروأتك فقال إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة ، وجاء في الآثار : صل من قطعك واعط من منعك وأحسن إلى من أساء اليك وأنشد :

كل يوم أدور في عرصة الدا ... ر أشم القتار شم الذباب

فاذا مارأيت آثار عرس ... أودخانا أو دعوة الاصحاب

لم أعرج دون التقحم أو أر ... هب شتما ولكزة البواب

مستهينا بمن دخلت عليه ... غير مستأذن ولا هياب

ذاك أهنى من التكلف والغر ... م وشتم البقال والقصاب

... كان بالبصرة طفيلي يكنى أبا سلمة وكان إذا بلغه خبر وليمة لبس لبس القضاة وأخذ ابنيه معه عليهما القلانس الطوال والطيالسة فيتقدم أحدهما فيدق الباب ويقول افتح ياغلام لأبي سلمة ثم لا يلبث حتى يلحقه الآخر فيقول افتح ويلك قد جاء أبو سلمة ويتلوهما فان لم يعرفهم البواب فتح لهم وإن عرفهم لم يلتفت اليهم ومع كل واحد منهما فهر مدور يسمونه كيسان فينتظرون من دعى فاذا جاء وفتح له طرحوا الفهر في العتبة حيث يدور الباب فلان يقدون على إغلاقه فيهجمون ويدخلون فأكل أبو سلمة يوما على بعض الموائد لقمة حارة من فالوذج وبلعها بشدة حرارتها فتجمعت أحشاؤه فمات على المائدة فقال عبد الصمد بن المعدل يرثيه :

أحزان نفسي عن غير منصرمه ... وأدمعي من جفون العين منسجمه

على صديق ومولى لي فجعت به ... ما إن له في جميع الصالحين لمه

كم جفنة مثل دور الحوض مترعة ... كوماء جاء بها طباخها ردمه

قد كللتها شحوم من قليتها ... ومن سنام جزور عبطة سنمه

غيبب عنها فلم تعلم لها خبرا ... لهفي عليك وعولى يا أبا سلمه

نَزِيلًا يَطْلُبُ جَنَى الأَسْمارِ ، لا جَنِيَّ الثِّمارِ ، ويَبْغِي مُلَحَ الحِوارِ ، لا مَلْحاءَ الحُوارِ ، فحَلُّوا لي الحُبا ، وقالوا : مرحَبًا مرحبًا ، فلم أجلس إلا لَمْحَةَ بارقٍ خاطف ، أو نُغْبَةَ طائرٍ خائف ، حتى غَشِيَنا جوّابٌ ، عَلَى عاتقِه جرابُ ، فحيَّانا بالكلمتَيْن ، وحَيَّا المَسجدَ بالتَّسْليمتَيْنِ ، ثم قال : يا أُولي الألبابِ ، والفَضْلِ اللُّبابِ ، أَما تعلمون أنَّ أنفَسَ القُرُباتِ ، تَنْفيسُ الكُرُباتِ ، وأَمْتَنَ أسبابِ النَّجاتِ مُواساةُ ذَوِي الحاجاتِ ، وإنِّي ومَنْ أحَلَّني ساحَتَكُم ، وأتاحَ لي استِماحَتَكُم ، لَشَريدُ مَحَلٍّ قاص ، وبَريدُ صِبْيَةٍ خِماص ، فهَلْ في الجَماعةِ مَنْ يَفْثَأُ عنا حُمَيَّا المَجاعَةِ ؟ فقالوا له : يا هذا إنَّكَ حَضَرْتَ بَعْدَ العشاءِ ، ولَمْ يَبْقَ إلّا فضلاتُ العَشاءِ فإن كُنتَ بها قَنُوعا ، فما تَجِدُ فينا مَنوعا ، فقال إنَّ أخا الشَّدائد ، لَيقْنَعُ بلُفاظاتِ المَوائد ، ونُفاضاتِ المَزاوِدِ ؛ فأَمَرَ كلٌّ منهم عبدَهُ ، أنْ يُزَوِّدَهُ ما عِندَهُ ، فأعجبَهُ الصُّنْعُ وشَكَرَ عَلَيه ، وجَلَسَ يَرْقُبُ ما يُحْمَلُ

ولو تكون لها حيا لما بعدت ... يوما عليك ولو في جاخم حطمه
قد كنت أعلم أن الأكل يقتله ... لكنني كنت أخشى ذاك من تخمه
إذا تعمم في شبليه ثم غدا ... فان حوزة من يأتيه مصطلمه

(نزيلا) أى ضيفا (الاسمار) المذاكرة بالليل (جناها) ما يجنى من فوائدها (يبغى) يطلب (ملح الحوار) مليح للكلام والحوار مراجعة القول (ملحاء الحوار) لحم سنام الفصيل (الحبا) جمع حبوة وكانت العرب ليس لها فى البوادى حيطان تستند اليهما فى مجتمعهم فكان الرجل يقيم ركبتيه فى جلوسه فيضع عليهما أو يديرهما ثوبا ويعقد عليهما يديه ويستريح اليها ويقوم ذلك مقام الاستناد فيقال لذلك العقد الحبوة فاراد أنهم حلوا له الحبا إكراما له (لمحة بارق) لمعة برق (خاطف) يخطف العين بسرعة فيمنعها النظر (نغبة) جرعة (غشينا) دخل علينا فجأة (جواب) قطاع للأرض بمشيه (العاتق) ما بين المنكب والعنق (جراب) وعاء للخبز (الكلمتين) سلام عليكم (التسليمتين) سلامه عند الدخول وسلامه من الركعتين ؛ وتحية المسجد أن يركع الداخل فيه ركعتين ، وقيل التسليمتين تسليمة من صلاة المغرب وتسليمة من الركعتين اللتين بعدها (الألباب) الاذهان (اللباب) الخالص (أنفس) أرفع (القربات) ما تقرب به إلى الله عز وجل واحدها قربة (الكربات) الهموم (تنفيسها) تفريجها وإزالتها (أمتن) أقوى واغلظ (النجاة) التخلص (مواساة) جعلك لهم أسوة نفسك (ساحتكم) موضعكم (أتاح) قدر (استماحتكم) اجتداءكم والطلب منكم (شريد) منفر والشريد الهارب (قاص) بعيد (بريد) رسول (خماص) جياع (يفثأ) يكسر (حميا المجاعة) حدة الجوع (فضلات) بقايا (لفاظات) ما يلفظ منها أى يطرح (نفاضات) ما ينفض من بقية الزاد . ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أكل ما يسقط من الخوان نفى عنه الفقر وعن ولده الحمق (المزاود) أوعية الزاد (الصنع) الجميل (وجلس يرقب) وقال قبل هذا فلم أجلس إلا لمحة بارق وقال فى الثامنة والعشرين وجلس حتى ختم نظم التاذين وأكثر ما صرف الجلوس فى مقاماته من قيام ، وقال فى الدرة : ويقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حكاه الخليل أن يقال لمن كان قائما

إليهِ وثُبْنا نحنُ إلى استْثارةِ مُلَحِ الأدبِ وعُيُونِهِ ، واستِنْباطِ مَعِينِه منْ عُيُونِه ، إلى أنْ جُلْنا فيما لا يَسْتَحِيلُ بالانْعكاسِ ، كقولك ساكِبُ كاسٍ ، فتَداعَيْنا إلى أنْ نَستَنْتِجَ له الأفكارَ ونَفْترعَ منه الأبكارَ ، عَلَى أنْ يَنظِمَ البادئُ ثلاثَ جُماناتٍ في عِقْدِهِ ثم تَتَدَرَّجَ الزِّياداتُ من بعدِهِ ، فَيُرَبِّعُ ذو مَيمنَتِه في نَظْمِهِ ؛ ويُسَبِّعَ صاحِبُ مَيْسَرَتِهِ عَلَى رَغْمِهِ .

قال الراوى : وكُنَّا قد انتَظَمْنا عِدَّةَ أصابِعِ الكَفِّ ، وتَأَلَّفْنا أُلْفَةَ أصحابِ الكَهْفِ ، فابْتَدَرَ

اقعد ولمن كان نائما أو ساجدا اجلس وعلل بعضهم هذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو إلى أسفل ولهذا قيل لن أصيب برجل متعد وأن الجلوس الانتقال من أسفل إلى علو ومنه قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ماأمرتك فاجلس

أى اقصد نجدا وكان عمر واليا على المدينة فقال للفرزدق إن كنت تلزم العفاف وإلا فاخرج إلى نجد ؛ وحكى أبو عبد الله بن خالويه قال دخلت على سيف الدولة بن حمدان يوما فلما مثلت بين يديه قال اقعد ولم يقل اجلس فتبينت بذلك اعتلاقه باهداب الأب واطلاعه على أسرار كلام العرب ؛ والذى نظر هو الوجه ولهذا جعله على الاختيار ولم يجعله من اللحن إلا أنه اقرب المعنيين يجوز أن يكون قد استعمل جلس فى المقامات من القيام (يرقب) ينظر ويحرس (ثبنا) رجعنا (استثارة) استخراج (ملح) ما يتملح به من الكلام (عيونه) مختاره (استنباط) استخراج (معينه) ماؤه الصافى (عيونه) جمع عين الماء وكنى بالمعين والعين عن الكلام والقلوب (جلنا) تصرفنا (يستحيل) يتغير (الانعكاس) قراءة اللفظة من آخرها (ساكب) صاب (تداعينا) دعا بعضنا بعضا (نستنتج) نستدعى منها النتاج وهو الولد (الافكار) جمع فكر وجعل مايبديه الفكر من الكلام نتاجاله (نفترع) نفتض (جمانات) جمع جمانة وهى حبة تعمل من فضة كالدرة (تتدرج) تتمشى (يربع) يصنع أربع جمانات (ذو) بمعنى صاحب (يسبع) يصنع سبعا (رغمه) إكراهه واذلاله (انتظمنا) اجتمعنا (تألفنا) تصاحبنا وانضم بعضنا إلى بعض ومنه ألفت الكتاب (الألفة) الصحبة والاجتماع (الكهف) الغار وأصحابه قصتهم معروفة . قال ابن عباس فى قوله عز وجل ما يعلمهم إلا قليل أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا ويمليخا وهو المبعوث بالورق إلى المدينه ومرطونس وسارينوس ويوانس وكفشطيوش وقطينوسيسوس وهو الراعى والكلب اسمه قطمير وهو انمردون الكروى وفوق القلطى وقال أبو شبل بلغنى أن من كتب هذه الأسماء فى شىء ووضعه فى الحريق سكن الحريق ، وذكر الطبرى أنهم كانوا فى أيام الطوائف على دين عيسى بن مريم وكانوا فى حكم ملك الروم يسمى دقيا نوس يعبد الأصنام فبلغه عن الفتية مخالفهم لدينه فطلبهم فهربوا منه فاجتازوا براعى غنم فاتبعهم بكلبه نعلموه دينهم وصاروا إلى ربهم فآواهم الليل إلى كهف فقالوا نبيت هنا الليلة ثم نصبح فنرى رأينا فضرب الله على آذانهم فناموا وتبعهم الملك فوجدهم فى الكهف فلم يطق أحد منهم دخوله فبنى عليهم باب الكهف ففتحه الرعاء بطول الزمان فاقاموا فيه ما ذكر الله تعالى ثم أحياهم الله تعالى بعد ثلثمائة وتسع فشكوا هل ناموا يوما واحدا أو بعضه ثم مسهم الجوع فبعثوا أحدهم بورق يشترى لهم طعاما ووصوه أن يحترز حتى لايشعر بهم أحد فيدل عليهم فيحملوا إلى الملك الذى فروا منه أمس فيما ظنوا فيرجمهم أو

لعظَم مِحْنَتِي ؛ صَاحِبُ مَيْمَنَتِي ، وقال : « لِمْ أَخامِلُ » وَقال مُيامِنُهُ « كَبِّرْ رَجاءَ أَجْرِ رَبِّكَ » وقالَ الذي يَليه «مَنْ يَرُبُّ إذا بَرَّ يَنِمُّ » وقال الآخر : « سَكَتَ كلُّ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكِسْ » ؛ وَأَفْضَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ وَقَدْ تَعَيَّنَ نَظْمُ السِّمْطِ السُّبَاعِيِّ عَلَيَّ ، فلم يَزَلْ فِكْرِي يَصُوغُ وَيَكْسِرُ ؛ وَيُثْرِي وَيُعْسِرُ ، وفى ضِمْنِ ذلك أَسْتَطْعِمُ فلا أَجِدُ مَنْ يُطْعِمُ إلى أَنْ رَكَدَ النَّسِيمُ ، وَحَصْحَصَ التَّسْلِيمُ فقلتُ لِأَصْحَابِي لو حَضَرَ السُّرُوجِيُّ هَذَا المَقامَ لَشَفَى الدَّاءَ العُقَامَ ، فقالوا لو نَزَلَتْ هذهِ بإياس ؛ لَأَمْسَكَ على ياسٍ

يرجعوا إلى دينه فلما أتى باب المدينة أنكر ان تكون هى التىخرج منها أمس فى ظنه لأنها تغيرت بمرور زمان بعد زمان عليها فأنكر أهلها ثم أخرج الدراهم ليشترى طعاما فقال له البائع من أين لك هذه الدراهم وأمسكه فقال خرجت أمس مع أصحاب فارين من هذا الملك ودينه فبتنا فى كهف وأصبحنا اليوم فارسلونى لأشترى لهم طعاما فاستر علينا فحمله الرجل إلى ملك المدينة يسمع منه وكان ملكا صالحا فقص عليه القصة فركب الملك فى جملة من الناس ليطلعوا على أمرهم فدخل على أصحابه فوجدهم قد عادوا إلى نومهم فضرب الله على أذنه معهم فدخل الناس فوجدوا أجساما لا ينكرون منها شيأ وكأنهم مستيقظون يكلمونهم غير أنها بغير أرواح فقال لهم الملك هذه آية الله اليكم فبنوا عليهم مسجدا يصلون فيه (لعظم محنتى) لعظم بليتى (لم) من اللوم (مل) من الملل (كبر) عظم الكبير وقدمه على نفسك (يرب) يصلح (بر) أكرم (ينم) يزيد خيره وترتفع منزلته ونمى الشيء ينمى وينمو نماء ونموا ونميا زاد قال الأصمعى نميت حديث فلان إلى فلان أنميه إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير . . . وفى الحديث فقال خيرا أو نمى خيرا أى أبلغ خيرا أو رفعه وكل شيء رفعته فقد نميته ورواية ابن ظفر من يرب إذا بر ينم أى إذا كان البر من الناس يمشى بالنميمة فمن يرب فعلا جميلا ويصلحه (تكس) تكن كيسا والكيس الناقد فى أموره وقيل العاقل (افضت) وصلت(النوبة) الدولة (السمط) الخيط يعقد فيه اللؤلؤ (يصوغ) يصنع (يثرى ويعسر) أى يستغنى ويفتقر أى يكثر له الكلام مرة ويقل أخرى (وفى ضمن ذلك) أى فى أثنائه وفى مدته (أستطعم) اطلب طعا ا هذا أصله وتقول أطعمت القارىء إذا وقف ففتحت عليه وأفتيته واستطعم هو إذا استدعى ذلك . على رضى الله عنه : إذا استطعم الإمام فأطعموه أى إذا ارتج عليه فافتحوا له (ركد النسيم) سكنت الريح يعنى كلامه (حصحص) تبين (التسليم) الانقياد أى انقدت للعجز عن الاتيان بها (المقام) الموقف (العقام) الشديد الذى لايؤثر فيه الدواء بمنزلة الرجم العقيم التى لاتؤثر فيها النطفة فلا تلد (إياس) تقدم ذكره (اليأس) ضد الطمع . ولما ذكر هنا إياسا ويأسا نذكر فصلا ذكره فى الدرة على اللفظتين قال : ويقولون أشرف فلان على الاياس من طلبه فيهمون كما وهم أبو سعيد السكرى وكان من جملة النحويين وأعلام العلماء المذكورين فقال إن إياسا سمى بالمدر من أيس وليس كذلك وإنما إياس عند المحققين مصدر آسيته أى أعطيته والمصدر منه الأوس ومنه المواساة فكأنهم سموا إياسا بمعنى تسميتهم عطاء ووجه الكلام أن يقال أشرف على اليأس لأن أصل الفعل منه يئس على فعل قال الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فأما أيس بتقديم الهمزة فمقلوب من يئس واستدل شيخنا أبو القاسم

وجعلنا نُفيض فى استيضاحها واستغلاق بابها ؛ وذلك الزَّوْرُ المُعْتَرِى ، يَلْحَظُنا لَحْظَ المُزْدَرِى ؛ ويُؤلِّفُ الدُّرَرَ ونحن لا نَدْرِى ، فلما عَثَرَ عَلَى افْتِضاحِنا ونضُوب ضَحْضَاحِنا ، قال يا قَوْمِ إنَّ مِنَ العَناءِ العَظِيمِ ، اسْتِيلادَ العَقِيمِ ، والاسْتِشْفاء بالسَّقِيمِ ، وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ؛ ثم أَقْبَلَ عَلَيَّ وقال ؛ سأَنُوبُ مَنابَكَ وأَكْفِيكَ مانابَكَ ؛ فإنْ شِئْتَ أنْ تَنْثُرَ ولا تَعْثُرَ ، فقلْ مُخاطِبا لِمَنْ ذَمَّ البُخْلَ وأَكْثَرَ العَذْلَ : « لُذْ بِكُلِّ مُؤَمَّلٍ إذا لَمَّ ومَلَكَ بَذَلَ » ؛ وإنْ أَحْبَبْتَ أنْ تَنْظِمَ ، فقُلْ للذى تُعْظِم :

أُسْ أَرْمَلا إذا عَرا وارْعَ إذا المَرْءُ أَسا

ابن المفضل النحوى على صحة ذلك بأن لفظة يئس تساوى لفظة اليأس الذى هو الأصل فى نظم الصيغة فتكون الياء مبدءاوبها والهمزة مثنى بها بخلاف تنزلهما فى أيس فلهذاحكم على أيس أنها مقلوبة من يئس والمقلوب لا يتصرف تصرف الأصل ولا يكون له مصدر (نفيض) نندفع بالكلام (المعترى) القاصد (يلحظنا) ينظرنا بطرف عينه أستحقارا منه لنا (المزدرى) المحتقر (يؤلف) يجمع (الدور) جواهر الكلام (عثر) أطلع (افتضاحنا) اشتهارنا بالعجز (تضوب ضحضاحنا) حفوف مائنا القليل (الاستيلاد) طلب الولد يقول إن من تعب النفس طلب فائدة من ذهن كايل وقريحة جامدة (نابك) نزل بك (تنثر) تقول نثرا (لذ) استتر به والجأ اليه (مؤمل) مرجو لفعل الخير (لم) جمع المال (بذل) تكرم على غيره وهذا اللفظ من المعكوس فى النثر بديع فما ظنك بهذا النظم الرفيع الذى أردفه عليه فانه من أشرف حسناته رحمه الله (أس) أعط الأوس العطية (أرملا) فقيرا أفنى زاده (عرا) قصد (ارع) احفظ الصحبة (أسا) أتى بسوء وأصله الهمزة أساء فسهل الهمزة يقول إن قصدك فقير فصله وإن أخطأ عليك صاحب فلا تقطعه وارع حق الصحبة ويقال المرء بالهمز والمر بلا همز وبترك الهمز يستقيم الانعكاس فى بيت الحريرى ويقال المرة قال دعبل :

واحفظ عشيرتك الادنين إن لهم حقا يفرق بين الزوج والمرة

وهذا البيت الذى فسرناه وما بعده من الأبيات تقرؤه إن شئت من أوله وإن شئت من آخره وجعل هذا النمط فى عكس الحروف توطئة لما يذكر فى المقامة بعد هذا فى الرسالة القهقرية من عكس ألفاظهامن أولها إلى آخرها إلا أن ذلك العكس بالألفاظ وهذا بالحروف وكلاهما غاية فى بابه وإنما يذكر الأباده هذا استملاحا فى كلامهم وامتحانا لخواطرهم ، ونريد أن نذكر هنا فضلا مما يوافقه أو يقاربه على ماشرطناه : فمن ذلك أن بعض الأدباء اتهم صاحبا له بسعاية فى جانبه فى المجالس : ساءك ثم فنظره الذى وشى به فكتب اليه صحفه وأقلب فهو والله ما نطق به على لسانك من بغيك وعدوانك وهو مقارب مصحف منك أتيت فتضاحكا وتصافيا ، وكتب بعضهم إلى خازن السلطان :

قد أقبل الشهر وأقباله يأتى بما أجرى ترتيبه
فوجه السبر ومقلوبه يجزيك عن برك مقلوبه

وكتب بعض الظرفاء إلى صاحب له وهو مقلوب مصحف ظبي سراب خشن فاذا قرأته على الولاء من آخره

أسْنِدْ أخا نَبَاهَةٍ أبِنْ إخاءَ دَنَسا

بعد القلب والتصحيف جاء منه حسن شراب طيب ... ومن أنواع المعميات التصحيف ومثاله أن ابراهيم بن المهدى كتب إلى اسحق الموصلي لا يرتج مثل الأسنة فكتب اليه اسحق لا يرث جميل إلا بثينة ، وقال أبو الجهم ابن الانبارى للحسن بن وهب ما تصحيف كاتي بيمينك فبعني بحبتين فقال كل شيء منك في عيني حسن ، وغاب صديق عن صديق له فلما لقيه قال له عن تعى فجاوبه زرعنا بر ذا ذحبا فالأول قال غبت عني والثانى قال زرغبا تزدد حبا ، وذكر فى بعض مجالس الأدب التصحيف فقال فتى شاب أنا ابن بجدته فقال بعضهم ماتصحيف نصحت فخشى فقال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه فأتهمه شاعر من بلنسية فقال ماتصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فقال له البلنسى صدق ظنى أنك تنتحل ماتقول ويحك والفتى يضحك فقال له أشعر فانك شاعر فقال وأى نسبة بين أربعة أشهر وبلنسية فقام وهو يقول هو ذاك ثم تنبه بعد انصراف الفتى بعض من حضر فنظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى إلى دار الفتى معتذرا ، كتب بعض وزراء ابن عباد اليه يتسخط الاخوان هذا البيت :

وإذا صفالك من زمانك واحد فهو المراد وأين ذاك الواحد

فوقع فى الكتاب وأين ذاك الواحد صحف تعرف فلما قرأه الوزير طار سرورا ومثل بالبساط فلثمه بين يديه وإنما صحف وأين فجاء منه وأنت فر عليه من كلامه أبلغ جواب ، ومن ملح ابن عباد فى التصحيف أنه خرج فى جملة وزرائه الأدباء فأجتازوا باشبيلية بالموضع الذى يباع فيه الجير والجبس فلق هناك جارية من أحسن الناس وأقلهم حياء فأقبل ابن عباد على ابن عمار وقال يا ابن عمار الجيارين فقال ابن عمار يامولاى والجباسين فعلم من حضر أنهما لم يريد أن يعرف كل واحد منهما صاحبه بما ذكر فبحثوا عن مرادهما فلم يعرفوه فسألوا ابن عمار فقال له ابن عباد لاتبعها منهم الا غالية ثم إن ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية وعابها عمار بقلة الحياء فصحف الجبارين فجاء منه الحيازين وصحفت أنا الجباسين فجاء منه الخناشين فاستغربوا حضور أذهانهما وحسن كنايتهما ، أين هذه الاذهان من رجل مغفل كان له ابن يسمى حسنا مسافرا فاستفتح المصحف يتفاءل له فى القدوم فخرج له وحسن مآب فترك التيامن بهذا اللفظ لمآب الفتى سالما وقال تصحيف حسن مآب حسن مات فاستدعى أم الفتى وخدمه ونعاه لهن فأقمن مناحة وجاء الجيران والقرابة يتطلعون حادثتهم فهو يخبرهم بما تصحف له والفتى داخل قد أقبل فى أغبط حال وأسرها فاستحمق وصار مثلا (أسند) أضفه اليك وقربه منك (نباهة) رفعة (ابن) باعد (دنس) عيب يقول : صاحب من يشرفك بذكره الجميل وباعد من يدنس عرضك وتعاب به ، وقد قيل : الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان ما يرقع به ثوبه قال ابن رشيق :

اصحب ذوى القدر واستعذ بهم وعد عن كل ساقط سفله
فصاحب المرء شاهد ثقة يقضى به غائبا عليه وله
ورقعة الثوب حين تلبسه شهرته أو تكون مشتكله

وفى الحديث . الأنفس أجناد مجندة وأنها لتشام فى الهوى كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ، ونظم هذا الحديث أبو نواس فقال :

أَسْلُ جَنَابَ غَاشِمٍ مُشَاغِبٍ إِنْ جَلَسَا
أَسْرُ إِذَا هَبَّ مِرَاً وارْمِ به إذا رَسَا

إن القلوب لأجناد مجندة لله فى الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منه فهو مختلف

وقال طرفة أو عدى بن زيد :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن مقتدى

وقال العتاهية :

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين فالمرء منسوب إلى القرين

وقال الخالدى : وإذا أردت ترى فضيلة صاحب فانظر بعين البحث من ندمائه
فالمرء مطوى عل علاته طى الكتاب وصحبه عنوانه

ومما يروى لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه :

فلا تصحب أخا السوء وإياك وإياه ...
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه
وفى الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفى العين غنى للعين أن تنطق أفواه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال ابن رشيق : اختر لنفسك من تعا دى كاختيارك من تصادق
إن العدو أخو الصديق وإن تخالفت الطرائق

(اسل جناب غاشم) يريد جانب منزل ظالم ولا تقربه وسلوت يتعدى بعن وبنفسه تقول سلوت عنه وسلوته وسليته
وقال الاسود بن يعفر :

فأقسمت لا أشريه حتى يملنى بشىء ولا أسليه حتى يفارقا

(مشاغب) مسارع للشر (هب) تحرك (مرا) جدال (اسر) اكشف وأزل يقول إذا تعلق بك وهب عليك جدال من صاحب فاكشفه عن نفسك بالمناصحة وباعد المراء وتقول سريت الثوب عنى وسريته إذا كشفته ، قال ابن هرمة : سرى ثوبه عنى السرى المتحامل ــ ومنه سرى عن الرجل أى كشف عنه ما كان يجده من الغم والغضب وقد يكون معنى اسر با عدو فارق من السرى وهو سير الليل فيقول فارق موضع الجدال وباعده (رسا) ثبت أى إذا سكن الخلاف بين القوم فارم أنت به واتركه ويروى اسر بالضم أى كن سريا أى سيدا ذامروأة إذا هاج الجدال بين القوم فباعده وقال سابق البربرى :

أَسْكُنْ تَقَوَّ فَعَسَى يُسْعِفُ وَقْتٌ نَكَسا

قال فلمّا سَحَرَنا بآياتِه ، وحَسَرَنا بِبُعْدِ غاياتِه ، مَدَحْناه حتى استَعْفَى ، وَمَنَحْناهُ إلى أنِ اسْتَكْفَى ، ثم شَمَّرَ ثيابَه ، وازْدَفَرَ جِرَابَه ، ونهض يُنْشِد :

لله دَرُّ عِصابَةٍ صُدُقِ المَقالِ مَقاوِلَا

لا تنفعن لجوجا حين تزجره إن اللجوج له فى الماء إغراء
واغض فى حسن عفو عن نوادره فالحر فيه عن الآفات اغضاء

والمراء مدافعة الحق وترك الانقياد لما ظهر منه وقد يستعمل بمعنى الجدال فمن جادل ليظهر باطلا لجداله محظور وفى الحديث من ترك الجدال محقا بنى الله له بيتا فى الجنة وقال ميمون بن مهران : لا تمار من هو أعلم منك إنه يختزن عنك علمه ولم تضره شيأ ، وقال لقمان لابنه من لا يملك لسانه يندم ومن يكثر المراء يشتم ومن يدخل مدخل السوء يتهم يا بنى لا تمار العلماء فيمقتون وقال مالك بن أنس رضى الله عنه المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن وقال بلال بن مسعدة إذا رأيت الرجل لجوجا ممار يا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته ، ولمسعر ابن كدام يخاطب ابنه :

إنى منحتك ياكدام نصيحتى فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما خلقان لا أرضاهما الصديق
إنى بلوتهما فلم أخترهما لمجاور جارا ولا لرفيق

(اسكن) الزم السكون والوقار (تقو) أراد تتقوى (يسعف) يساعد ويوافق (نكس) قصر بك يقول : لا تبادر إلى الجدال والزم السكون حتى يتقوى نظرك ويظهر لك صوابك فعسى يوافقك على الإصابة بحسن التدبير وقت كان يصرفك عن الصواب لو التزمت الجدال .. ومن أعاجيب ابن الرومى قوله فى ذم الجدال :

لأولى الجدال إذا غذوا لجدالهم حجج تضل عن الهدى وتجور
وهن كآنية الزجاج تصادمت فهوت وكل كاسر مكسور
فالقاتل المقتول ثم لوهنه ولضعفه والآسر المأسور

وقال من شعر يمازح صديقا له :

لكن فى الشيخ غريزة يخاصم الله بها فى القدر
ماكان لم كان وما لم يكن لم لم يكن فهو كيل البشر

(سحرنا) تركنا مسحورين (بآياته) بعجائبه يقال إن فلانا آية من الآيات أى عجب من العجائب (حسرنا) قطعنا وأكلنا (الغاية) الطلق يريد أنا كالنا فى الغايات التى جرى فيها لبعدها ويريد اتساعه فى الكلام (استعفى) قال عافونى منه (منحناه) أعطيناه (استكفى) قال يكفينى (ازدفر) حمله على ظهره والزفر الحمل على الظهر (جرابه) وعاء خبزه (عصابة) جماعة (صدق المقال) أى صادقين فى قولهم وصدق جمع صدوق وعدل عن

فاقُوا الأنامَ فضائِلا فأثورةً وفواضِلاَ
حاورتُهم فوجدتُ سَحْـــبانَ لديهم باقِلاَ

صدوق على جهة المبالغة فى صدقه (مقاولا) ملوكا (فاقوا) فضلوا وزادوا عليهم (فضائلا) جمع فضيلة وهى ما تفضل به غيرك من الأفعال المحمودة (مأثورة) متحدث بها (فواضلا) عطايا وأيادى الواحدة فضيلة وفواضل المال ما يأتيك من مرافقتك وعكسه ومن كلام العرب إذا عزب المال قلت فواضله أى قل انتفاع رب الابل بلبنها إذا بعدت، قال الشاعر :

سأبغيك مالا بالمدينة إننى أرى عازب الأموال قلت فواضله

(حاورتهم) خاطبتهم (سحبان) فصيح العرب وهو سحبان بن زفر بن إياس بن عبد شمس الوائلى من وائل باهلة وكان من فصحاء العرب وبلغائها وبه يضرب المثل فى البيان والفصاحة فيقال أفصح من سحبان ودخل عند معاوية وعنده خطباء القبائل فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه فقال :

لقد علم الحى اليمانون إننى إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

فقال له معاوية اخطب فقال انظروا لى عصا قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين قال وما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه فأخذها فى يده فتكلم من الظهر إلى أن كادت صلاة العصر تفوت ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه وقد بقيت عليه فيه بقية ولا مال عن الجنس الذى يخطب فيه فقال معاوية الصلاة فقال الصلاة أمامك السنا فى تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه ووعد ووعيد فقال له معاوية أنت أخطب العرب فقال العرب وحدها بل أخطب الإنس والجن فقال له معاوية كذلك أنت، وهو أول من قال أما بعد وأول من آمن بالبعث من الجاهلية وأول من توكأ على عصا وعمره مائة وثمانين سنة وهو القائل يمدح طلحة بن عبيد الله وهو طلحة الطلحات الخزاعى فقال فيه :

ياطلح أكرم من مشى حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطايا فاعطنى وعلى مدحك فى المشاهد

فقال له طلحة احتكم فقال برذونك الورد وقصرك بدريج وغلامك الخبار وعشرة آلاف درهم فقال له أف أف لك لم تسألنى على قدرى إنما سألتنى على قدرك وقدر باهلة والله لو سألتنى كل قصر لى وعبد ودابة لأعطيتك (باقلا) هو من إياد وقيل من بنى مازن وقال حميد الارقط فى وصف ضيف أكثر من الطعام :

أتانا وما داناه سحبان وائل بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العى لما أن تكلم باقل

والعرب تقول إنه لأعيى من باقل ومن عيه انه اشترى ظبيا فحمله على عنقه فسئل عن ثمنه فخلعنه يديه وفتح أصابعه فأشار بها وأخرج لسانه يريد انه باحد عشر درهما ولم يلهم أن يخبر عن سومه بلسانه ولما عير باقل بفعله قال :

يلومون فى عيه باقلا كأن الحماقة لم تخلق
فلا تكثروا العتب فى عيه فللعى أجمل بالأموق

وحللتُ فيهمْ سائلا	فلقيتُ جُوداً سائلا
أقسمتُ لوكان الكرا	مُ حَيًا لكانوا وَابلاَ

ثم خَطا قِيدَ رُمْحَين ، وعادَ مُستَعيذاً من الحَين ، وقال : يا عِزَّ مَنْ عَدِمَ الآل، وكَنْزَ مَنْ سُلِبَ المال ، إنَّ الغاسِقَ قد وَقَب ، ووجهُ المَحجَّةِ قد انتَقَب ، وبيْني وبيْنَ كِنِّي لَيلٌ دامِس وطَريقٌ طامِس ، فَهلْ مِنْ مِصْباحٍ يُؤْمِنُنِي العِثار ، ويُبيِّنُ لي الآثار ،

خروج اللسان وفتح البنان أخف علينا من المنطق الأموق الأحمق (حللت) نزلت (سائلا) طالبا معروفهم (جودا) كراما (سائلا) جاريا (حيا) مطرا كثيرا (الوابل) أشد المطر يريد أنهم كانوا يزيدون عليهم فى الفضل (خطا) مشى ونقل خطاه (قيد) قدر (مستعيذا) مستجيرا (الحين) الموت (عدم الآل) فقد الأهل ، يقول : أنتم عز لمن فقد أهله وكنز لمن أخذ ماله (الغاسق) القمر . عائشة رضى الله عنها قالت : نظر النبى صلى الله عليه وسلم إلى القمر فقال ياعائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هو الغاسق إذا وقب ، يعنى من شره إذا كسف ، ووقب القمر يقب وقوبا : دخل فى الظلام الذى يكسفه ، وكل ماغاب فقد وقب (المحجة) الطريق (انتقب) استتر وجعل من الظلام نقابا (كنى) منزلى (دامس) مظلم (طامس) دارس ، لأن الظلام لما غطاه كأنه محاه (الآثار) الطريق التى أثر فيها المشى قال الصابى فى شمعة وذكر هذا المعنى .

وليلة من محاق الشهر مدجنة	لا النجم يهدى السرفيها ولا القمر
كامت نفسى بها الإدلاج ممتطيا	عزماً هو الصارم الصمصامة الذكر
إلى حبيب له فى النفس منزلة	ما حلها قبلهم سمع ولا بصر
ولا دليل سوى هيفاء مخطفة	تهدى الركاب وجنح الليل معتكر
غصن من الذهب الإبريز أثمر فى	أعلاه ياقوتة صفراء تستعر
تأتيك ليلا كما يأتى المريب فان	لاح الصباح طوتها دونها الجدر

وقال آخر فى مثله.

لنا شمعة نيطت ذواها بشعلة	كحقة تبر علقت بلسانها
إذا عثر السارى بذيل من الدجى	نحرنا له قلب الدجى بسنانها
تفك قيود الليل عن كل زائر	فتجرى بها الرجلان ملء عنانها
إذا ما أحست بالصباح تمارضت	كنرجسة قد أذبلت بمكانها
تمرت إذا ما قبلت خد حائط	فتثبت خالا فوقه من دخانها
كأن الجراد امتص جوهر روحها	ولم يمنع منها سويدا جنانها

وقال النمرى :

ولما دجى الليل مزقته	بروج ينحف جسمانها
بشمع أعير قدود الرماج	يحاكى ذراها وألوانها
غصون من التبر قد ركبت	لهيبا يزبر أفنانها

قال : فلمّا جِيءَ بالملتَمَسِ ، وجَلَى الوُجُوهَ ضَوْءُ القَبَسِ ، رأيتُ صاحبَ صَيْدِنا ، هُوَ أبُو زَيْدِنا فقلتُ لأصحابى : هـذا الذى أشَرْتُ إلى أنّهُ إذا نَطَقَ أصاب ؛ وإنِ استُمْطِرَ صاب ، فأتْلَعُوا نحوَهُ الأعناق ، وأحْدَقوا به الأحداق ، وسألوهُ أنْ يُسامِرَهُمْ لَيلَتَه ، عَلَى أنْ يَجْبُرُوا عَيْلَتَه ، فقال حُبًّا لما أحْبَبْتُمْ ، وَرُحْبًا بكُمْ إذْ رَحَّبْتُم ، غيرَ أنّى قصدتُكم وأطفالى يتضوَّرُون مِنَ الجوع ، ويدْعُون لى بوَشْكِ الرُّجوع . وإن استراثونى خامَرَهُم الطَّيْش ، ولم يَصْفُ لهم العَيْش ، فدَعُونى لأذهَبَ فأسُدَّ مَخْمَصَتَهم ، وأسيغَ غُصّتَهم ثم أنقلِبَ إليكم عَلَى الأثَر ، متأهِّبًا للسَّمَرِ إلى السَّحَرِ ، فقُلْنا لأحَدِ الغِلمةِ اتّبِعْهُ إلى فِئَتِه ، لِتَكُونَ أسْرَعَ لِفَيْئَتِه ، فانطَلَقَ مَعَهُ مُضْطَبِنا جِرابَه ، ومُحَثْحِثًا إيابَه ، فأبطَأ بُطْأً جاوَزَ حدَّه ، ثم عادَ الغلامُ وحدَه ، فقُلْنا له : ما عِنْدَكَ مِنَ الحديث ، عن الخبيث ، فقال : أخَذَ بى فى طُرُقٍ متعبة ، وسُبُلٍ مُتَشَعِّبة حتى أفْضَيْنا إلى دُوَيْرَةٍ خَرِبة ، فقال : هٰهنا مُناخى ، ووَكْرُ أفراخى ؛ ثم استَفْتَحَ بابَه ، واختَلَجَ مِنّى جِرابَه ، وقال : لَعَمْرى لقدْ خَفَّفْتَ عَنّى ، واستَوْجَبْتَ الحُسْنَى مِنّى ، فهاكَ نَصيحةً هِيَ مِنْ نفائسِ النّصائحِ ؛ ومَغارسِ المَصالِحِ ، وأنشد :

فياحسن أرواحها فى الدجى وقد أكلت فيه أبدانها

(الملتمس) أى المطلوب وهو المصباح والقبس ضوءه (جلا) كشف (صاحب صيدنا) أى الذى اصطاد أموالنا (استمطر) سئل المطر (صاب) وقع وقعا شديدا كنى بالمطر الصوب عن العلم الكثير (أتلعوا) مدوا وأتلع الرجل نصب عنقه ومدها وتطاول لينظر شيأ (أحدقوا) حلقوا وأحاطوا (الأحداق) سواد العين الأعظم (عيلته)فقره (يتضورون) يصيحون . ابن الأنبارى : وقولهم تركته يتضور معناه يظهر الضر الذى وقع به بالتقلقل والاضطراب والصياح فيتضور يتفعل من الضور والضور بمعنى الضير ويقال ضرنى يضرنى ضرا وضارنى يضيرنى ويضورنى ضيرا وضورا بمعنى (وشك) سرعة (استراثونى) استبطأونى

(خامرهم) خالطهم (الطيش) الخفة وذهاب العقل من الجوع (أسد مخمصتهم) أزيل جوعهم (الغصة) مايختنق به (إساغتها) تسهيلها حتى تبتلع (انقلب على الأثر) أى فى الحين وفى الطريق الذى أمضى فيه أرجع أمشى على أثرى فيه مسرعاً قبل أن يمشى غيرى فيغيره فهذا معنى انقلب على الأثر (متأهبا) مستعدا (فيئته) رجوعه (مضطبنا) حاملا على طبنه وهو خصره (محثحثا) معجلا (إيابه) رجوعه (الخبيث) قال أبو الهيثم : الخبيث الذكر من الشياطين وجمعه خبث . أبو عبيدة الخبيث ذو الخبث فى تفسيره (متشعبة) متفرقة وتشعب الطريق خرجت منه شعب إلى كل جهة أى طرق أخر فأراد أنه خلط عليه بحيث لا يهتدى إلى منزله فكان يخرجه من طريق إلى طريق (أفضينا) وصلنا وهو من الفضاء (مناخى) منزلى وأصله موضع إناخة البعير (وكر أفراخى) عش أولادى (استفتح) ضرب وقال افتحوا الباب (اختلج) أخذ بسرعة (جرابه) وعاء زاده (الحسنى) الفعل الحسن (هاك) خذ (النفائس) الذخائر الرفاع (مغارس) مواضع يغرس فيها (المصالح) جمع

إذا ما حَوَيْتَ جَنَى نَخْلَةٍ فلا تَقْرَبَنْها إلى قابلِ
وإما سَقَطْتَ على بَيْدَرٍ فحَوْصِلْ مِنَ السُّنْبُلِ الحاصلِ
ولا تَلْبَثَنَّ إذا ما لَقَطْتَ فَتَنْشَبَ في كِفَّةِ الحابلِ
ولا تُوغِلَنَّ إذا ما سَبَحْتَ فإنَّ السَّلامَةَ في السَّاحِلِ
وخاطِبْ بِهاتِ وجاوِبْ بِسَوْفَ وبِعْ آجِلاً مِنْكَ بالعاجِلِ
ولا تُكْثِرَنَّ على صاحِبٍ فما مُلَّ قَطُّ سِوَى الواصِلِ

مصلحة مفعلة من الصلاح (حويت) جمعت وحزت (جنى نخلة) هو الثمر (بيدر) أندر الزرع يسمى بالشام أندر وبالعراق بيدر (حوصل) اجعل فى حوصلتك وهى للطائر فى الأصل (كفة) شبكة (الحابل) الصائد (توغلن) تكثرن الدخول (سلحت عمت (الساحل) ماولى الماء من الأرض وهو فاعل بمعنى مفعول لأن الماء سحله أى قشره وأخذ عشبة كما تسحل الحديدة بالمبرد أى تبرد بالمبرد والسحالة ما سقط من المسحول. (وخاطب بهات) عكس قول الصاحب وقد أهدى إليه العميدى قاضى قزوين هدية وكتب معها:

العميدى عبد كافى الكفاة وإن اعتد فى وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لوقتنا الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعى قول خذ ليس مذهبى قول هات

(آجلا) ضد عاجل (ولا تكثرن على صاحب) أى لاتكثر من الزيارة وأقللها خشية الملل وروى قدامة بن جعفر أن رجلا كتب إلى آخر ان رأيت أن تحدد لى موعدا لزيارتك أتوقته إلى وقت رؤيتك فيؤنسنى إلى حين فافعل فأجابه الآخر أخاف أن أعدك وعدا يعرض دون الوفاء به مالا أملك دفعه فتكون الحسرة أعظم من الفرقة فأجابه المبتدى: إنما أسر بموعدك وأكون جذلا بانتظارك فان عاق عائق عن إنجاز وعدك كنت قد ربحت السرور لما أحبه وأصبت أجرى على الحسرة بما حرمته، ولبعضهم:

أتى زائر من غير وعد وقال لى أجلك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومما جاء فى قصر الزيارة قول أبى الشيص:

يا حبذا الزور الذى زارا كأنه مقتبس نارا
نفسى فداء لك من زائر يا حل حتى قيل قدسارا
مر بباب الدار فاجتازها ياليته لو دخل الدارا

وأنشد الحاتمى والوليعى لجحظة:

بأبى من زارنى مكتتما خائفا من كل حس جزعا
حذراً دل عليه نوره كيف يخفى الليل بدرا طلعا

رصد الخلوة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
كابد الأهوال فى زورته ثم ماسلم حتى ودعا

وقال العباس بن الأحنف :

سألونا عن حالنا كيف أنتم فقرنا وداعهم بالسؤال
ما أناخوا حتى ارتحلنا فما نفـــرق بين النزول والترحال

وقال محمد بن أمية الكاتب :

يافراقا أتى بعقب فراق واتفاقا جرى بغير اتفاق
حين حصلت ركابهم لتلاق زمت العيس منهم لانطلاق
إن نفسى بالشام إذاأنت فيها ليس نفسى نفسى التى بالعراق
اشتهى أن ترى فؤادى فتدرى كيـــف وجدى بهم وكيف احتراقى

ومن الزوار طيف الخيال ، وهو فى الشعر الجاهلى والمولد كثير وسنذكر منه شيأ يستحسن إن شاء الله تعالى

قال قيس بن الخطيم : خيالك كان أعرب بالغرام وأرأف بالمحب المستهام
فلو يسطيع حين حصرت تومى لكل يزور فى غير المنام

وقال الرضى : وزور زارنى والليل داج فعللنى بباطل ذاك حينا
يرينى أنه يأنى وسادى مضاجعة وز ور مايرينا
نعمت بباطل ويود قلبى ودادا لو يكون لنا يقينا

وقال أيضاً : وزور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر
أتى فى هدو وعين الرقيـ ـب مطروفة بالكرى الغامر
وأحبب به يسعف الهاجعين وتحرمه مقلة الساهر
وعهدى بتمويه عين المحب تنم على قلبه الظاهر
فلما التقينا برغم الرقا دموه قلبى على طائر

وقال الرضى قلت هذه الأبيات سنة سبع وثمانين وثلثمائة وتداول أهل الأدب أنشادها واستغربوا هذا المعنى وشهدوا أنه مخترع لم يسمع فلما تصفحت ديوان شعر أبى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وجدت بخطه فى الجزء الثانى من شعره :

ان طيف الخيال زار طروقا مستحبا بين العناق وشعب
زارنى واصلا على غير وعد وانثنى هاجرا على غير ذنب
كان قلبى اليه زائد عينى فعلى العين منه للقلب
كان عندى أن الغرور بطرفى فاذا ذلك الغرور بقلبى

فلا أدرى هل قصد نظمها حتى لايخلى شعره من هذا المعنى أو أنسى سماعه متى وقذف به خاطره ... وكثيرا ما يلحق الشعراء ذلك فيتواردون فى بعض المعانى المشبوق اليها وقد كانوا سمعوها فأنسوها والخواطر مشتركة

ثم قال: اخزُنْها في تامورِك، واقْتَدْ بها في أمورِك، وبادِرْ إلى صحْبك في كلاءة ربّك، فاذا بلّغتهمُ فأَبلِغهُمْ تحيّتى، وَاتلُ عليهمْ وصيّتى، وَقُلْ لهُمْ عنّى إنَّ السَّهَرَ في الخُرافات، لمنْ أعظمِ الآفات، وَاستُ أُلغِى احتِراسِي ولا أجْلِبُ الهَوَسَ إلى رأسِي

قال الراوى: فلمّا وَقفْنا عَلَى فَحْوَى شِعْرِه، وَاطَّلَعْنا على نُكْرِه وَمَكْرِه، تلاوَمْنا عَلَى تَرْكِه، وَالاغتِرار بإفْكه، ثم تفرّقْنا بوجوهٍ باسِرة وصفْقةٍ خاسِرة

والمعانى معترضة لكل خاطر وكيفما جرى الأمر فالعنصر واحد (اخزنها فى تامورك) أى اجعلها فى قلبك والتامور حجاب القلب وقيل دم القلب (كلاءة) حفظ وكلأه يكلؤه حفظه (الخرافات) أحاديث اللهو والاباطيل قال الخيل الخرافة الحديث المستملح فى الكذب، أبو عبيدة: كان خرافة رجلا صالحا لحاسيته الجن فرأى منهم عجائب فحدث بها فيقال فى كل حديث يستغرب كأنه حديث خرافه (الغى) أترك (احتراسى) تحفظى (الهوس) يبس الرأس يتولد من كثرة السهر (فحوى) معنى (نكره) منكره ودهائه (تلاومنا) الام بعضنا بعضا (الاغترار) الانخداع (افكه) كذبه (باسرة) عابسة وبسر وجهه بسورا عبسه (وصفقة خاسرة) أى تجارة ومبايعة ناقصة.

المقامة السابعة عشر القهقرية

حَدَّثَ الحَارِثُ بنُ هَمَّامٍ قال: لَحَظْتُ فى بعضِ مَطَارِحِ البَيْنِ، وَمَطَامِحِ العَيْنِ، فِتْيَةً عَلَيْهِمْ سِيمَا الحِجَا، وَطِلَاوَةُ نُجُومِ الدُّجَى، وَهُمْ فى مُمَارَاةٍ مُشْتَدَّةِ الهُبُوبِ، وَمُبَارَاةٍ مُشْتَطَّةِ الأُلْهُوبِ، فَهَزَّنِى لِقَصْدِهِمْ هَوَى المُحَاضَرَةِ، واسْتِحْلَاءُ جَنَى المُنَاظَرَةِ، فلمَّا التَحَقْتُ بِرَهْطِهِمْ، وَانْتَظَمْتُ فى سِمْطِهِمْ، قالوا: أَأَنْتَ مِمَّنْ يُبْلِى فى الهَيْجَاءِ، وَيُلْقِى دَلْوَهُ فى الدِّلَاءِ. فَقُلْتُ: بَلْ أنَا مِنْ نَظَّارَةِ الحَرْبِ لَا مِنْ أَبْنَاءِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، فَأَضْرِبُوا عَنْ حِجَاجِى، وَأَفَاضُوا فى التَّحَاجِى، وكَانَ فى بُحْبُوحَةِ حَلْقَتِهِمْ، وَإِكْلِيلِ رُفْقَتِهِمْ، شَيْخٌ قد بَرَتْهُ الهُمُومُ وَلَوَّحَتْهُ السُّمُومُ، حَتى عَادَ أَنْحَلَ مِن قَلَمٍ وَأَقْحَلَ مِنْ جَلَمٍ، إِلَّا أنَّهُ كانَ يُبْدِى العُجَابَ، إِذا أَجَابَ

شرح المقامة

(لحظت) نظرت (مطارح) جمع مطرح وهو الموضع تطرح فيه نفسك أى ترميها فيه (البين) الفراق فيريد بمطارح البين البلاد التى طرحه فيها البين ورماه اليها (مطامح العين) المواضع الحسان التى تطمح فيها العين بالنظر أى ترفع اليها (سيما الحجا) علامة العقل والسيما من وسمت الشىء وسما إذا علمته وأصله وسمى فحولت الواو من موضع الفاء إلى العين فصار سومى فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها (طلاوة) حسن (الدجا) الظلمه (المماراة) الخصام (مشتدة) كبيرة الحركة (الشد) الجرى (الهبوب) مجىء الريح (مباراة) معارضة (مشتطة) ممتدة متجاوزة الحد (الالهوب) الجرى الشديد فأراد أن حركة الكلام بينهم فى المناظرة شديدة (والمحاضرة) مجالسة العلماء (مناظرة) سؤال العالم لتعلم حسن نظره وقدر معرفته (جناها) فوائدها (رهطهم) جماعتهم (انتظمت فى سمطهم) أى جلست بينهم (يبلى فى الهجاء) يقاتل فى الحروب (النظارة) القوم يقعدون فى موضع مرتفع من الأرض ينظرون منه القتال ولا يشهدونه فأراد أنى ممن يحضر معكم للاستماع لا للمناظرة (الحجاج) مصدر حاجه تقول حاججت فلانا إذا أوردت عليه الحجة وأوردها عليك فان غلبته قلت حججته (أفاضوا فى الاحاجى) اندفعوا فى الالغاز (بحبوحة) وسط (إكليل) دائرة وأصلها عصابة مكللة بالدر والياقوت تعقد على رؤوس الملوك (رفقتهم) جماعتهم (برته) أذهبت لحمه (لوحته) غيرته وأضمرت جسمه (السموم) الريح الحارة (أقحل) أيبس (جلم) مقص وأكثر ما يستعمل مثنى فيقال جلمان والعجب من أبى محمد يقول فى الدرة ويقولون قرضت بالمقراض وقصصت بالمقص فيهمون كما وهم بعض المحدثين حين قال فى صفة مزنون بالقيادة وان كان قد أبدع فى الاجادة:

اذا حبيب صد عن إلفه تيها وأعياكل رواض
ألف فيما بين شخصيهما كأنه مسمار مقراض

قال والصواب أن يقال مقراضان ومقصان وجلمان لأنهما اثنان فما منعه غيره أباحه هنا لنفسه فقال أقحل من جلم ولا نقول كما قال انه وهم بل نقول إنها لغة قليلة، قال يعقوب والجلم الذى يجز به وقال رجل من الازد فى مفرد مقراض:

ويُنسي سَحْبانَ ، كلَّما أبانَ ؛ فأعْجِبْتُ بما أُوتِيَ مِنَ الإصابَةِ ؛ والتَّبْريزِ عَلَى تلك العِصابَةِ ، وما زَالَ يَفْضَحُ كلَّ مُعمًّى ويُصْمِي فى كلِّ مَرْمًى ، إلى أنْ خَلَتِ الجِعابُ ؛ ونَفِدَ السؤالُ والجوابُ ؛ فلما رأى إنفاضَ القومِ ، واضطرارَهُمْ إلى الصَّومِ ، عَرَّضَ بالمُطارَحَةِ ، واستأْذَنَ فى المفاتَحةِ ، فقالوا له حَبَّذا ، ومَنْ لنا بذا ، فقال : أتَعرِفون رِسالةً أرضُها سماؤُها ، وصُبْحُها مَساؤُها ، نُسِجت عَلَى مِنوالَيْنِ وتَجَلَّتْ فى لَوْنَيْنِ ، وصَلَّت إلى جِهَتَيْنِ ؛ وبَدَتْ ذاتَ وَجْهَيْنِ ، إنْ بَزَغَتْ مِنْ مَشْرِقِها فناهيكَ برَوْنَقِها ؛ وإنْ طَلَعَتْ من مغربِها فيالَعَجَبِها ، قال : فكأنَّ القومَ رُمُوا بالصُّماتِ ، أو حَقَّتْ عليهم كلمةُ الإنْصاتِ ، فما نَبَسَ منهم إنسانٌ ، ولا فاهَ لأحَدِهِمْ لِسانٌ ، فحين رآهُمْ بُكْماً كالأنعامِ ؛ وصُمُوتاً كالأصنامِ ، قال لهُمْ : قد أجَّلْتُكم أجَلَ العِدَّةِ ، وأرْخَيْتُ لكم طِوَلَ المُدَّةِ ؛ ثم هَهُنا مَجْمَعُ الشَّمْلِ ، ومَوْقِفُ الفَصْلِ ، فإنْ سَمَحَتْ

فعليك ما اسطعت الظهور بلمتى وعلى أن ألقاك بالمقراض

وقال الراجز فى مفرد الجلم : وجلم كريشة الوقواق — والوقواق الخطاف والجسم النحيل يشبه بالقلم والجلم وقلب الشاعر التشبيه وألغز بالقلم فقال :

صئيل الرواء كثير الغناء من البحر فى المنصب الأخضر
كمثل أخى العشيق فى شخصه وفى لونه من بنى الأصفر

وقال ابن أبى لبابة فى جلم :

ومعتنقين ما اتهما بعشق وان وصفا بضم واعتناق
لعمر أبيك ما اجتمعا لمعنى سوى معنى القطيعة والفراق

وتقدم فى الثانية من أبيات المعنى فيه :

أرعت مراتع مدراها على وهن صنوين ان أفراد لم يرعيا أبدا

(أبان) بين (التبريز) الظهور والخروج قبلهم (العصابة) الجماعة (يفضح) يشهر عيبة (معمى) مستور (يصمى) يصيب المقتل (خلت الجعاب) أى أفرغ الكلام والجعبة وعاء السهام فكنى بها عن القلوب وبالسهام عن الكلام الذى يصدر عنها (الانفاض) فناء الزاد وقد أنفض القوم وأراد نفاد ما عندهم من العلم (الصوم) السكوت والإمساك عن الكلام (المطارحة) أصلها فى الغناء وهو ما يأخذ المتعلم عن المعلم

(عرض بها) أى ذكرها (المفاتحة) استفتاح الكلام (أرضها سماؤها) يريد أعلاها أسفلها (صبحها مساؤها) أولها آخرها (المنوال) خشبة الحائك أراد أنها نسجت من الطرفين لأنك تبتدئها بالقراءة إن شئت من أولها وإن شئت من آخرها (بزغت) طلعت (ناهيك) كافيك (رونقها) حسنها والرونق صفاء الوجه وحسنه ونعمته (الصمات) السكوت (الانصات) مثله (نبس) تكلم (الأنعام) المواشى (اجلتكم) أخرتكم (العدة) هنا عدة الموت لأنها أطول العدد ألا ترى أنه أرخى لهم طول المدة (الطول) الحبل (الشمل) الاجتماع (الفصل) القضاء يقول قد طولت لكم الأمد لتستخبروا هذه الرسالة وفى هذا الموضع يكون اجتماعنا ويفصل

خَواطِرُكُمْ مَدَحْنا ، وإن صَلَدَتْ زِنادُكُمْ قَدَحْنا ، فقالوا له : والله مالنا في لُجَّةِ هذا البَحْرِ مَسْبَحٌ ، ولا في ساحِلِهِ مَسْرَحٌ ، فأَرِحْ أَفكارَنا مِنَ الكَدِّ ، وهَنِّىء العَطِيَّةَ بالنقدِ ، واتَّخِذْنا إِخواناً يَثِبُونَ إذا وَثَبْتَ ، ويُثِيبُونَ مَتَى استَثَبْتَ ، فأطرَقَ ساعة ، ثم قال : سَمْعاً لكم وَطاعَةً ، فاستَمْلُوا مِنِّي ، وانْقُلُوا عَنِّي : الإنسانُ صَنِيعَةُ الإحْسانِ ؛ ورَبُّ الجَمِيلِ فِعْلُ النَّدْبِ ، وشِيمَةُ الحُرِّ ذَخِيرَةُ الحَمْدِ ؛ وكَسْبُ الشُّكرِ استِثْمارُ السَّعادَةِ وعُنوانُ الكَرَمِ تَباشِيرُ البِشْرِ ، واستِعْمالُ المُداراةِ يُوجِبُ المُصافاةَ ، وعَقْدُ المَحَبَّةِ يَقْتَضِي النُّصْحَ ، وَصِدْقُ الحديثِ حِلْيَةُ اللِّسانِ ؛ وفَصاحَةُ المَنْطِقِ سِحْرُ الأَلبابِ ، وشَرَكُ الهَوَى آفَةُ النُّفُوسِ ، وَمَالُ الخَلائِقِ شَيْنُ الخلائِقِ ، وَسُوءُ الطَّمَعِ يُبايِنُ الوَرَعَ ،

فيه بين العارف وضده (خواطركم) أذهانكم (صلدت) شحت (قدحنا) ضربنا زند النار ، يقول إن عرفتموها مدحناكم وإن جهلتموها عرفناها لكم وجعل صلود الزند كناية عن جمود القرائح (لجة) معظم الماء (مسبح) عوضع يسبح فيه أى يعام (مسرح) موضع يسرح فيه أى يمشى ويتصرف (الكد) الجهد والتعب (هنىء) طيب (النقد) حضور المال (يثبون) يقومون لقيامك (يثيبون) يهبون الثواب (استثبت) طلبت الثواب (استملوا) اكتبوا (صنيعة) ما يصطنعه الإنسان لغيره من الخير يريد أن الإنسان أهل الإحسان وإن عكست قلت الإحسان صنيعة الإنسان أى إصلاح الإحسان وتتميمه من صنع من يوصف بالانسانية وقد تقدم : وما فيهم من يرب الصنيع - وقال أعرابى لعبد الملك بن مروان :

يرب الذى يأتى من الخير إنه ... إذا فعل المعروف زاد وتمما
وليس كبان حين تم بناؤه ... تتبعه بالنقض حتى تهدما

فمعنى يرب هو قوله زاد وتمما (الندب) السيد الخفيف (شيمة) طبيعة (الذخيرة) الشىء الرفيع من مال أو غيره والادخار كالاقتناء (استثمار) تناول الثمر (عنوان) دليل (تباشير) أوائل وتباشير الصبح طرائق ضوئه فى الليل ويقال للطرائق التى تراها على وجه الأرض من آثار الرياح التباشير (البشر) طلاقة الوجه (المداراة) خداع القلوب بلطف الكلام ومداراة الناس معاملاتهم بما يحبون (المصافاة) إخلاص الصحبة (عقدها) ربطها (يقتضى) يتضمن (حلية) زينة (الألباب) العقول (الهوى) ما يهواه الانسان ويميل إليه (آفة) داء (الخلائق) الناس (شين) عيب (الخلائق) الطبائع ، يقول الملل فى الناس يعيب أخلاقهم (سوء الطمع) كثرة الحرص (يباين) يباعد (الورع) الكف عما فيه إثم وقد ورع الرجل يرع ورعا ورعه إذا كف عما لا يحل والورع بفتح الراء الجبان وقد ورع وورع وقال عروة بن أذينة فى ذم الطمع :

لقد علمت وخير القول أصدقه ... بأن رزقى وإن لم آت يأتينى
أسعى له فيعنينى تطلبه ... وإن قعدت أتانى لا يعنينى
لا خير فى طمع يدنى إلى طبع ... وعفة من قوام العيش تكفينى

وأنشد الحريرى البيت الأول فى الدرة .

والْتِزامُ الحَزَامَة زِمامُ السَّلامَةِ ، وتطَلُّبُ المَثالِبِ شَرُّ المعَايِبِ ، وَتَتَبُّعُ العَثَرات يُدْحِضُ المَوَدَّات ،

لقد علمت وما الاسراف من خلق　　أن الذى هو رزقى سوف يأتينى

قال فيروى أكثرهم الاسراف بالسين المهملة وروى بعضم بالشين المعجمة ليكون معناه التطلع إلى الشيء والاستشراف إليه ، قال : ولهذا البيت حكاية تحث على استشعار اليقين وإعلاق الامل بالخلق دون المخلوقين لخليته بها تحلية لعاطله ومنبهة على صدق قائله وهو ما رويته من عدة طرق : أن عروة هذا وفد على هشام ابن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فلما دخل عليه عروة قال له ألست القائل ؛ لقد علمت وخير القول أصدقه . . الابيات ، وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق ؛ فقال له : لقد وعظت يا أمير المؤمنين فبالغت فى الوعظ وأذكرت ما أنسانيه الدهر وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ثم نصها نحو الحجاز فمكث هشام يومه غافلا عنه فلما كان من الليل تعار فراشه فذكره فقال : رجل من قريش قال حكمة وفد إلى اليوم لجبهته ورددته عن حاجته وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول فلما أصبح سأل عنه فأخبره بانصرافه قال لا جرم ليعلم أن الرزق سيأتيه ثم دعا بمولى فاعطاه ألنى دينار وقال الحق بهذا أين أدركته فاعطه إياها فلم يدركه إلا وقد دخل بيته فقال أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى

(الحزامة) جودة الرأى والحازم الجامع لرأيه المحكم لأموره واصل الحزم الجمع والشد ومنه الحزمة ، وحزمت المتاع جمعته وشددته ومنه الحزام لأنه يشد به وقد حزم الرجل وحزم صار حرم (الزمام) مقود البعير (المثالب) المساوى وثلبه ذكره بسوء (التطلب) البحث يريد ان البحث عن عيوب الناس من اكبر العيوب قال رجل للمستورد الخارجى أريد غلاماً عياباً قال التمسه بفضل معايب فيه كان يقول اول مايدل على عائب مناس معرفته بالعيوب ، معاوية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنك إن اتبعت عورات الناس فسدتهم اوكدت تفسدهم . أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها ، مر المسيح صلوات الله عليه فقالوا له شرا فقال خير فقيل له فى ذلك فقال كل ينفق مما عنده . وكتب الشافعى رضى الله عنه لصديق له

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة　　لقد سرنى أنى خطرت ببالكا

وأتى الشافعى رضى الله عنه مسجدا فصادف قوما يغتابونه فسد الباب وقال

هنيئا مريئا غير داء مخامر　　لعرة من اعراضنا ما استحلت

وقال الشاعر : ثالبنى　　عمرو وثالبته　　فأثم المثلوب　　والثالب

قلت له خيرا وقال الخنا　　كل على صاحبه كاذب

(الثرات) السقطات (يدحض) يبطل يريد ان البحث عن عيوب الصاحب يبطل مودته ؛ ابو بردة الأسلمى رضى الله عنه : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال: يامعشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان إلى قلبه لاتذموا الناس ولاتعيروهم تتبعوا عوراتهم فانه من يلتمس عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى بطن بيته وقال سابق البربرى:

وَخُلُوصُ النِّيَّةِ خُلَاصَةُ الْعَطِيَّةِ ، وَتَهْنِئَةُ النَّوَالِ ثَمَنُ السُّؤَالِ ، وَتَكَلُّفُ الْكُلَفِ يُسَهِّلُ الْخَلَفَ ، وَتَيَقُّنُ الْمُونَةِ يُسَنِّي الْمُؤُونَةَ ، وَفَضْلُ الصَّدْرِ سَعَةُ الصَّدْرِ ، وَزِينَةُ الرُّعَاةِ مَقْتُ السُّعَاةِ ، وَجَزَاءُ الْمَدَائِحِ بَثُّ الْمَنَائِحِ ، وَمَهْرُ الْوَسَائِلِ تَشْفِيعُ الْمَسَائِلِ ، وَمَجْلَبَةُ الْغَوَايَةِ اسْتِغْرَاقُ الْغَايَةِ وَتَجَاوُزُ الْحَدِّ

إذا ما كنت طالب كل ذنب ولم تحلل أخاك عن العتاب
تباعد من تباعد بعد قرب وصار بك الزمان إلى اجتناب

وقال عبد الله بن جعفر ، عليك بصحبة من إن صحبته زانك ، وإن غبت عنه صانك ؛ وإن احتجب إليه مانك ، وإن رأى منك خلة سدها ، أو حسنة عدها ، وقال الحسن بن وهب : من حقوق المودة أخذ عفو الاخوان والاغضاء عن تقصير إن كان : خير الاخوان من إذا نسيت ذنبك لم يقرعك به ومعروفه عندك لم يمن عليك به : وقال مشاعر :

إذا ما شئت أن تدعي كريما مهذبا سنيا سريا ما جدا فطنا حرا
إذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالا لزلته عذرا

(خلوص النية) صفاؤها أى من أخلص لك النية فكأنه قد أعطاك خالص ماله والخلاصة ماخلص من الشيء وصفا (النوال) العطاء (الكلف) المشقات (يسنى) يسهل (المؤونة) خدمة الضيف وما ينفق عليه يقول من تيقن أن الله يعينه على البر أو ما ينويه من الحقوق سهل عليه تكلف المؤن وهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وقال صلى الله عليه وسلم : من عظمت نعمة الله عليه عظمت مؤونه الناس عليه فان لم يقم بتلك النعمة عرض النعمة للزوال ، وأما معكوس ما قبله وهو تيقن الخلف يسهل الكلف فمن قوله صلى الله عليه وسلم : من أيقن بالخلف جاد بالعطية ،قال محمود الوراق

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقالوا : للمعروف ثلاث خصال . تعجيله ، وتيسيره ، وستره . فمن أخل بواحد منها فقد بخس المعروف حقه وسقط منه الشكر (الفضل) هو الزيادة على قدر الحاجة (الصدر)هو المتقدم فى الأمور مثل وال وسيد القوم ، يقول من يتصدر لأمور الناس ففضله وشرفه سعة خلقه (الوعاة) الولاة (مقت السعاة) بعض العمال الذين يجمعون الزكاة والسعاة أيضا المشاؤن بالنميمة للملوك فيقول : زين الملوك بغض العمال الذين جرت العاده فى قديم الزمان وحديثه بظلمهم الناس فاذا بغضوهم بحثوا على أعمالهم الفاسده فخافوهم فعدلوا ،وأما بغض المشائين بالنميمة للملوك فواجب لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلب قيل ومن المثلب يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه إلى سلطان فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه(بث) أى نشر(النائح المنا)العطايا يقول : جزاء المدح بذل المـــال وأصل المنائح بذل فوائد الأموال لا الأموال(مهر) حق (الوسائل) القرب والوسيلة ما تجعله سببا بينك وبين ما تريد الوصول اليه مثل الشفيع والهداية فى قضاء حاجتك (المسائل) جمع مسئلة وهى هنا سؤال المحتاج (المجلبة) مفعلة من الجلب ، والمعنى حق الوسيلة قضاء الحاجة (الغواية) الضلالة (استغراق) تجاوز الحد (الحد) الأول الفصل بين الشيئين وأصله المنع والحد الآخر حد السيف وشبهه

يُكِلُّ الحدَّ، وتعدِّي الأدبِ يُحبِطُ القُرَبَ، وتَناسي الحُقوقِ يُنشِئُ العُقوقَ، وتحاشي الرِّيَبِ يرْفَعُ الرُّتَبَ، وارتفاعُ الأخطارِ باقتحامِ الأخطارِ، وتنوُّهُ الأقدارِ بمُواتاةِ الأقدارِ، وشرَفُ الأعمالِ في تقصيرِ الآمالِ، وإطالةُ الفِكْرةِ تنقيحُ الحِكْمةِ، ورأسُ الرِّياسةِ تهذُّبُ السِّياسةِ، ومعَ اللَّجاجةِ تُلغَى الحاجةُ، وعندَ الأوجالِ تتفاضلُ

(يكل) يضعف (تعدى) تجاوز (يحبط) يفسد (ينشىء العقوق) يظهر المقاطعة (تحاشى) ترك واعتزل (الريب) التهم (الرتب) المنازل الرفيعة . قال بعض الحكماء ثلاثة لاغربة معهن : مجانبة الريب وحسن الأدب وكف الأذى ، ونظمها الشاعر فقال :

يزين الغريب إذا ما اغترب ثلاث فمنهن حسن الأدب
وثانية حسن أخلاقه وثالثهن اجتناب الريب

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه لدهقان بعض ملوك العجم : بم ينبل الرجل عندكم قال بترك الكذب فانه لايشرف إلا من وثق بقوله وبقيامه بأهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله إلى غيره وبمجانبة الريب فانه لايعز من لايأمن أن يصادف على سوأة وبالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته (ارتفاع الأخطار) أى شرف الأقدار والقيم (اقتحام) دخول شديد يقال فلان يقتحم فى الأمور أى يدخل فيها بغير تثبيت ولا روية وتقحمت الناقة إذا ندت فلم يمسكها راكبها ومنه قحمت العرب سميت قحمة لأنهم إذا أجدبوا تركوا البادية ودخلوا الريف (الاخطار) جمع خطر وهو الغرر (تنوه) ترفع (مواتاة) موافقة (الأقدار) الأول جمع قدر الانسان أى منزلته والاقدار الثانى جمع قدر الله تعالى وقال الشاعر :

الجد أنهض بالفتى من عقله فانهض بجد فى الحوادث أوذر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها قدر وأبعدها إذا لم تقدر

(تقصير الآمال) تقليل الرجاء وكفه ومن قلل الطمع شرف عمله (الفكرة) التدبير (تنقيح) تخليص وأصله أن تشذب العقد من العود أو القصب حتى يستوى موضعها مع القصب قال الشاعر :

وطارت بصلب قوضت عنه بيتها له أبن ما قوضت وكعوب

صلب عمود البيت جذبته المرأة لتضربه به فتهدم بيتها (تهذب) تخلص والمهذب المخلص من العيوب (السياسة) حسن المداراة (اللجاجة) ركوب الرأس فى الباطل (تلغى) توجد ويروى تلغى وتلق ومعناهما تترك وتطرح (الحاجة) مايحتاج اليه فان عكست رجعت الحاجة الفقر يريد إذا لججت فى شىء أدركت حاجتك وعلى تلغى إذا وقعت لجة فى حاجتك تركت وعلى العكس من افتقر لج فى السؤال حتى يعطى (الاوجال) جمع وجل وهو الفزع والمعنى إن تفاضل الرجال فى الصبر عند النوازل . سلمان رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شىء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان وقال الشاعر :

ولو أرأمثال الرجال تسارعوا إلى الخير حتى عد ألف بواحد

وفى عكسه يقول: الأمور المخوفة تصغر على العظيم وتعظم على الصغير فعلى قدر ما يفضل الرجل صاحبه فى عزمه واقدامه تتزايد الأوجال وتنقص وقد قال المتنبى :

الرِّجال، وبتفاضُل الهِمَم تتفاوتُ القِيَمُ، وَبِتزيُّد السَّفير يهِنُ التَّدبيرُ، وبخَلَل الأَحْوال تتَبيَّنُ الاهوالُ وبمُوجِب الصَّبْر ثمرةُ النَّصر، وَاسْتِحْقاق الإِحْماد بحَسَب الاجْتِهاد، وَوُجُوبِ المَلاحَظة كِفاءُ المُحافَظة، وصَفاءُ الموالى بتعَهُّدِ الموالِي وتحلِّي المُروآت بحِفْظِ الأَمانات. وَاخْتِبارُ الإِخوان بتَخْفيف الأَحْزان، وَدَفْعُ الأَعداءِ بكَفِّ الأَوِدّاءِ

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

(الهمم) جمع همة (تتفاوت) تتباعد ما بينها (القيم) المنازل (السفير) الرسول (يهن) يضعف والمعنى أن السفير إذا تعدى فزاد فى الحديث ضعف التدبير ولو عكست لقلت إن تدبير المرسل إذا اختل ضعف السفير وإن كان حازما، وعلى هذا أنشدوا:

إذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
وإن ناصح منك يوما دنا فلا تنأ عنه ولا تقصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه
وذو الحق لا تنتقص حقه فان القطيعة فى نقصه
ولا تحرصن فرب امرىء حريص مضاع على حرصه

(خلل) فساد (الاحماد) إن تجد الرجل محمودا (الاجتهاد) بلوغ الجهد وهو أقصى الطاقة والمعنى أن الرجل يستحق أن يكون محمودا بحسب مابذل من اجتهاده وطاقته ولو عكست لقلت الاجتهاد واجب عليك فيما كلفته بحسب احمادك من كلفك (الملاحظة) النظر بمؤخر العين (المحافظة) التحرز والمعنى أنك إذا أوجبت ملاحظة حال المحافظ لك ففعلك ذلك كفاء محافظته وإن عكست قلت إن المحافظ لك إذا صفت محافظته فهى كفاء ملاحظتك له (الموالى) الذى يوالى الخير والكرم أى يفعل المرة بعد المرة (تعهد) تفقد (الموالى) بنو العم وقيل الموالى من والاك بعتق أو بحلف أو بصحبة فكل واحد منهما مولى للآخر والموالى بالضم الفاعل والمعنى إذا تعاهدت من والاك بما أوجبه ولاؤه من رعايته صفت مودته لك وإن عكست قلت إن الموالى يتعهدون من والاهم والصحيح فى هذا الموضع ان الموالى الذى يوليك وده والموالى العبيد والاتباع وسألنى الأستاذ المقرى الحاج ابن السقاط فى هذا الموضع فأجبت بما تقدم فقال لى معنى هذا الموضع غائب عمن لايعرف سيرة أهل المشرق وذلك أن الرجل الشريف حين يصبح عندهم بأمر مواليه أن يقصدوا نظراءه من الأشراف والأعيان فيأتون باب الشريف فيستأذنون عليه ويدخلون اليه ويقولون له ينعم مولانا صاحبك ثم يسألونه عن حاله وعما حدث عنده ثم يفعلون كذلك بجميع أصحاب مولاه وكذلك يفعل موالى ذلك المقصود فى قصد نظراء مولاهم فتنضبط بذلك عندهم الرعايات بين الأصدقاء والأقارب وتتزايد المودات بين الأولياء والأجانب فعلى هذا المعنى يقول فى تعهد الموالى وهو حسن إن شاء الله تعالى (تحلى) أى تزين (المروآت) تقدمت (وتخفيف الأحزان) تهوين الطوارىء والنوازل (الاوداء) الاحباب يريد أنهم يكفون الأعداء ورواية ابن ظفر دفع العداء وأنكر

وامْتِحَانُ العُقَلاءِ بِمُقارَنَةِ الجُهّالِ ، وَتَبَصُّرُ العَواقِبِ يُؤْمِنُ المَعاطِبَ ، واتِّقاءُ الشُّنْعَةِ يَنْشُرُ السُّمْعَةَ ؛ وَقُبْحُ الْجَفَاءِ يُنافِي الوَفَاءَ ، وَجَوْهَرُ الأَحْرارِ عِنْدَ الأَشْرارِ

ثم قال : هذه مائتا لَفْظَة ، تحتوى على أدَبٍ وَعِظَةٍ ، فَمَنْ سَاقَهَا هذا المَساقَ ، فلا مِراءَ ولا شِقاقَ ، وَمَن رَامَ عَكْسَ قالَبِهَا ، وَأَنْ يَرُدَّهَا عَلَى عَقِبِهَا ، فَلْيَقُلْ ، الأَشْرارُ عِنْدَ الأَحْرارِ ، وَجَوْهَرُ الوَفَاءِ يُنافِي الجَفاءَ وَقُبْحُ السُّمْعَةِ يَنْشُرُ الشُّنْعَةَ ، ثم على هذا المَسْحَبِ فَلْيَسْحَبْهَا ؛ وَلا يَرْهَبْهَا ، حتى تَكونَ خاتِمَةُ فِقَرِهَا وَآخِرَةُ : دُرَرِهَا وَرَبُّ الإِحْسَانِ صَنِيعَةُ الإِنْسَانِ

الاعداء وقال العداء بالفتح والمداظلم (امتحان) اختبار يقول إنما يتبين لك العاقل بمقارنته وبمصاحبته للجاهل لأنه لا يوافقه وإن عكست قلت الجاهل إذا صحب العاقل تبصر واتقى جهله وقالوا إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا وقال الشاعر :

عدوى البليد إلى الجليد سريعة والجمر يوضع فى الرماد فيخمد

وقال صلى الله عليه وسلم ويل لعالم أمر من جاهله ، وجاء كيسان إلى الخليل يسأله ففكر ليجيبه فلما استفتح الكلام قال له لا أدرى ماتقول فقال الخليل :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

(تبصر العواقب) امعان النظر فى عاقبة الأمور (المعاطب) المهالك يريد من نظر فى عاقبة أمره أمن ما يحذر (الشنعة) الفعل القبيح ينشر ذكره (السمعة) الذكر الجميل يسمع عنك أو القبيح فينشر فى الناس (الجفاء) سوء الأدب وثقل الكلام (ينافى) يباعد (الوفاء) ضد الغدر (تحتوى) تشتمل (عظة) موعظة (المراء والشقاق) معناهما الخلاف والعكس رد أول الكلام على آخره وهو الرد على العقب كما ذكره وفى معنى القهقرة الذى سمى به المقامة ولذلك لم ينسبها إلى بلد والقهقرة رجوع الرجل عنك كما جاء عليك وذلك أن يرجع إلى خلف وهو يستقبلك بوجه وهو الرد على العقب وذلك أن الرجل إذا توجه مقبلا اليك فانما يقدم فى مشيه اليك صدور قدميه فاذا تقهقر قدم فى مشيه عقبه وأصل القهر الحجر المدحرج فاذا ضربته تدحرج فى جريه حتى يستقر فاذا أردت أن يرجع إلى الموضع الذى جاء منه ضربته فتدحرج راجعا إلى جهة موضعه فشبه رجوع الرجل على ماوصفنا وكذلك هذه الرسالة رجوع آخرها إلى اولها مشبه بذلك ولذلك شبه الاعرابى فرسه فى اجتماعه بالحجر فقال محبوبك مهملج كما تقهقر الادعج (والمسحب) الطريق الذى تجر فيه الشىء (يسحبها) يمشيها (يرهبها) يخفها أى لا يخرج الالفاظ عن طريقها فتختل وذلك أن هذه الرسالة مركبة كلها من مبتدأ وخبر فان وقفت على مبتدأ فى أولها أو آخرها أو وسطها فاقرأه مع ما بعده مستقيما واقرأه مع ما قبله تجده كذلك فان وقفت على خبر مبتدأ فلا يستقيم مع ما بعده وهو مع ما قبله أبعد فأراد بقوله لا يرهبها لا يبتدىء لفظة بغير مبتدأ فتتداعى مبانيها وتبطل معانيها فتفهمه والفقر فى غير الموزون مثل القوافى فى الموزون والفقر مشتقة من فقار الظهر

قال الراوى : فلما صَدَعَ بِرِسَالَتِهِ الفَرِيدَةِ ، وَأُمْلُوحَتِهِ المُفِيدة ، عَلِمْنا كَيْفَ يَتَفَاضَلُ الإِنْشَاءُ ، وأَنَّ الفَضْلَ بيد الله يؤتيه مَنْ يَشَاءُ ، ثم اعْتَلَقَ كلٌّ مِنَّا بِذَيْلِهِ ، وَفَلَذَ لَهُ فِلْذَةً مِنْ نَيْلِهِ ، فَأَبَى قَبُولَ فِلْذَتِي ، وقال لَسْتُ أَرْزَأُ تَلَامِذَتِي ؛ فقلتُ له : كُنْ أَبا زَيد عَلَى شُحُوبِ سَحْنَتِكَ ، وَنُضُوبِ مَاءِ وَجْنَتِكَ فقال : أَنا هُوَ عَلَى نُحولى وقُحولى ، وَقَشَفِ مُحولى ، فَأَخَذْتُ فى تَثْرِيبِهِ ، عَلَى تَشْرِيقِهِ وتَغْرِيبِه ، فَحَوْلَقَ وَاسْتَرْجَعَ ، ثم أَنْشَدَ من قلبٍ مُوجَعٍ

سَلَّ الزَّمانُ عَلَى عَضْـــبَهْ ... لِيَرُوعَنِى وَأَحَــــدَّ غَرْبَهْ
وَاسْتَلَّ من جَفْنِى كَرَا ... هُ مُرَاغِماً وأَسالَ غَرْبَهْ

لأنها تنقطع على قافيتين أو ثلاثة وهذا هو الفرق بين الفقر واسجاع إذ الاسجاع كلها ترجع إلى قافية واحدة من سجع الحمام وهو لايختلف ولهـذا قال المعرى فى الغراب :

أنى وهو طيار الجناح وان شدا ... أشاع بما أعياسطيحا من السجع

وسطيح كاهن وكلامه أسجاع (صدع) كشف وشق (الفريدة) التى لا مثل لهـا (أملوحته) يريد بهـا الرسالة والاملوحـة الكلام المليح يعجب له السامع (الانشاء) الـكتابة (فلذ) قطع (فلذة) نطعة وأصلها قطعة من كبد البعير قال الشاعر : يكفيه حزة فـــلذان ألم بها ... من الشواء ويروى شربه الغمر

(نيله) عطائه(أرزأ) أنقص (والتلميذ) هنا متعلم العلم ولذلك أبى أن يأخذمنه شيأ ... وهوفى كل مقامة إذا تعرض للـكدية يفرده بالأخذ منه أو يبتدىء التقدير منه وذلك أن الجماعة فى هذه المقامة اشترطوا مناظرته وابن همام شرط أنه من نظارة الحرب أى إنما جلس لينظر ويتعلم فلهذ أخذ منهم وتركه وزاده فائدة التنبيه على أنه أبو زيد ولذلك قال له (كن أبا زيد) وكن أتى به لفظ الأمر ومعناه الدعاء وفى الحديث كن أباذر وكن أبا خيثمة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شخصا من بعيد فرجا أن يكون أبا ذر الغفارى فقال كن أباذر أى جعلك الله أباذر فكأن مارجاه النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كان اللفظ هنا ،كأن ابن همام لما أعجب بفصاحة صاحب الرسالة تمنى أن يكون أبا زيد لما عهد من فصاحته فقال كن أبا زيد أى جعلك الله أبازيد الذى عهدت منه الفصاحة متى رأيته فصدق منه أمنيته فقال أنا هو الذى تمنيت والدعاء بلفظ الأمر كثير فى كلامهم كقوله :

ألا انعم صباحا أيها الطل البالى ... وقول الآخر : ألا أنعم صباحا أيها الربع واسلم ... أى سلمك الله من ربع وجعل صباحك ناعما . الفنجديهى : كن أبا زيد أى أنت أبو زيد ومنه كـنتم خير أمة أخرجت للناس أى أنتم خير أمة (شحوب) تغير (سحنتك) جلدةوجهك وهيئتك (نضوب) جفوف (الوجنة) العظم الشاخص تحت العين (قحولى) يبسى (قشف) تغير هيئته بترك النظافة (محولى) جفوف جسمى (تثريبه) لومه وتعييب فعله والتثريب بالذنب المؤاخذة به وأصله الاختلاط والافساد ، وإنما يقول لاتثريب عليك من قدر فعفا (حولق) قال لاحول ولاقوة إلا بالله (استرجع) قال انا لله وانا اليـه راجعون (عضبه) أى سيفه القاطع (ليروعنى) ليفزعنى (غربه) حده (استل) أزال (كراه) نومه (مراغما) مذللا (غربه) مجرى دمعه والغرب

وأجالني في الافق أطـــوى شَرْقَهُ وَأجُوبُ غَرْبَهْ
فبكلِّ جَوٍّ طَلْعَةٌ في كلِّ يومٍ لي وغَرْبَهْ
وكَذا المُغَرِّبُ شَخْصُه مُتَغَرِّبٌ وَنَواهُ غَرْبَهْ

ثمَّ ولى يَجُرُّ عِطْفَيْه ، ويَخْطِرُ بِيَدَيْه ، وَنَحْنُ بين مُتَلَفِّتٍ إليه ، وَمُتَهافِتٍ عليه ، ثم لم تَلْبَثْ أن حَمَلنا الحبُ ، وتَفَرَّقنا أيادي سَبَا

فيض الدمع (أجالني) صرفني ومشاني (الأفق) نواحي الأرض (أطوى) أقطع (أجوب) أخترق (جو) ناحية (غربة) فعلة من الغروب مثل طلعة من الطلوع (المغرب) المبعد (المتغرب) الملازم للغربة (نواه) سفرته (غربه) بعيده .. ومن أحسن ما قيل في تبعيده السفر قول حبيب :

سلي هل عمرت القفر وهو سباسب وغادرت ربعي من ركابي سباسبا
وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغاربا
خطوبا إذا لاقيتهن رددنني حريحا كأني قد لقد لقيت الكتائبا
وله أيضاً : ما اليوم أول توديعي ولا الثاني البين أكبر من شوقي وأحزاني
دع الفراق فان الدهر ساعده فصار أملك من روحي لجثماني
خليفة الخضر من ربع على وطن في بلدة فظهور العيس أوطاني
في الشأم أهل وبغداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغني أقصى خراسان
وقال الحلواني: يانفس ويحك في التغرب ذلة فتجرعي كأسي هوى وهوان
وإذا نزلت بدار قوم دارهم فلهم عليك تعزز الأوطان
وقال ابن شرف: إن ترمك الغربة في معشر قد جبل الناس على بغضهم
فدارهم مادمت في دارهم أرضهم مادمت في أرضهم
وقال البستي : لا يعدم المرء كنا يستكن به وشيعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهمو قلت مهابته كالليث يرمى لما غاب عن غابه

والسابق لهذا المعنى زهير في قوله :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
وفي قوله : فقري في بلادك إن قوما متى يدعوا بلاد همو يهونوا

جاء (يجر عطفيه) إذا جاء رخي البال متبخترا وإنما ينظر عطفيه إذا كان معجبا بنفسه وثاني عطفيه بمعنى متكبر والعطفان جانبا الثوب والعطاف الرداء والجمع عطف ويقال جاء يجر رجليه إذا جاء مثقلا لا يقدر أن يحمل رجليه (يخطر بيديه) يحركهما عند المشي (متهافت) متساقط من الندم على فراقه (أيادي سبا) يريد في كل

طريق وجهة وسبأ هو أبو قبائل اليمن المتفرقة من سد مارب الذين مزقهم الله كل ممزق وسمى سبأ لأنه أول من سبى السبي وقيل سبأ إسم أمهم ومأرب بلدهم وكانت سبأ من أحسن بلاد الله تعالى وأخصبها وأكثرها شجرا وماء وقد ذكر الله تعالى أنها كانت جنتين عن يمين وشمال وكانت مسيرة شهر فى شهر للمجد الراكب يسير فى جنان من أولها إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظل مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء فمكثوا ما شاء الله لا يعاندهم ملك الاقصموه وكانت فى بدء الزمان تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته فشاورهم فى دفع السيل فأجمعوا على حفر مارب له حتى تؤديه إلى البحر فحشد أهل مملكته حتى صرف الماء واتخذ سدا فى موضع جريان الماء من الجبال ورصفه بالحجارة والحديد وجعل فيه مجارى للماء فى استدارة الذراع يخترقون منها مقدارا معلوما من الماء وشربا مقسوما للأرض فاذا جاء السيل تصرف فى المجارى إلى جنانهم ومزروعاتهم بتقدير يعمهم نفعه وقيل صنعه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وذكر الأعشى فى شعره أن حميرا ابتنته فقال :

رخام بنته لهم حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم
وأروى الزروع وأعنابهم على سعة ماؤهم قد قسم
فعاشوا بذلك فى غبطة فحاق بهم جارف منهدم

فلما كفروا بأنعم الله ورأوا املاكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس بعث الله على سدهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل وأباد الله خضراءهم ولما انتهى الملك فى ولد سبا إلى عمرو بن عامر مزيقاء وسمى بذلك لانه كان يمزق فى كل ليلة حلة كبرا أن من تعاد عليه أو يلبسها غيره وقيل سمى بذلك لأنه مزق الأزد فى البلاد وكان أخوه عمران كاهنا فأتته كاهنة تدعى طريفة فأخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل وأنذرته فقال لها وما آية ذلك فقالت إذا رأيت جرذا يكثر بيديه الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم أنه قد اقترب الأمر فقال وما الأمر فقالت وعد من الله ينزل فليغيرك ياعمرو فلتكثر الشكر فرأى عمرو يوما فى السد جرذا يقلب صخرة مايقلبها خمسون رجلا فرجع وهو يقول :

أبصرت أمرا هاج لى برح السقم من جرذ كفحل خنزير أجم له مخاليب وأنيـــاب قضم

أى معوجة فأجمع على الخروج منها وأعمل الحيلة فى بيع ماله وأن لا ينكر الناس عليه فقال لابنه إنى صانع طعاما وداع اليه أهل مأرب فاردد على ما أقول لك من الحديث ففعل ابنه ذلك ورد عليه بأقبح رد فصاح عمرو واذلاه يجيبنى صبى فحلف أن لايقيم ببلد ضيم فيه فجعل يبيع أمواله وبعضهم يقول لبعض اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه قبل أن يرضى فلما اجتمعت له أمواله أخبرهم بشأن السيل فاجمعوا على الجلاء فقال لهم عمران أخوه إنى أصف لكم بلدانا فاختاروا أيها شئتم فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل غير شرود فليلحق بالشعب من كرود فلحق به همدان ثم قال ومن كان منكم ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مر فلحقت به خزاعة ثم قال ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فنزلها الأوس والخزرج ثم قال ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والأمر والتأمير فليلحق ببصرى وسدير وهى من أرض الشأم فنزلها غسان ثم قال ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق والذهب والاوراق فليلحق بالعراق فلحق بها مالك بن فهم بن الازد وتخلف مالك بن اليمان فى قومه حتى أخرجهم

السيل فنزلوا نجران وانتسبوا إلى مذحج ودخلت جماعة منهم إلى معد فأخرجتهم معد بعد حروب فنزلوا بجبال السراة على تخوم الشأم فلما تفرقت فى البلاد هذا التفرق ضربت العرب بهم المثل فقالوا ذهبوا أيدى سبأ وأيادى سبأ اى متفرقين فى كل ناحية وقيل فيهم إنهم كانوا مجتمعين يدا واحدة فلما مزقهم الله وفرقهم صارت يدهم أيادى متفرقة وأخذ كل طائفة منهم طريقا على حدة أو يريد به النعمة فالمعنى تفرقنا كما تفرقت نعم أهل سبا . الزجاج : سبا مدينة تعرف بمأرب على ثلاث ليالى من صنعاء . الجوهرى : سبأ اسم رجل سميت به البلدة وذكر فى الدرة أن لفظة التفرق تستعمل فى الأشخاص والأجسام نحو تفرق القوم وأن الافتراق يقال فى الأهواء والآراء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم تفترق أمتى على كذا وكذا فرقة فاذا قيل إن لزيد ثلاثة أخوة متفرقين فالمعنى أن كل واحد منهم ببقعة وإن قيل مفترقين فالمعنى أن أحدهم لأبيه وأمه والآخر لأبيه والثالث لامه وكذلك يقال فرق بالتشديد فيما كان من قبل الجمع وفرق بالتخفيف فيما يراد به التمييز كقوله فرق بين الحق والباطل والحالى والعاطل .

المقامة الثامنة عشرة السنجارية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال : قَفَلْتُ ذاتَ مرةٍ من الشّام ، أنْحُو مَدِينَةَ السَّلام ، فى رَكْبٍ من

شرح المقـــامة

(فقلت) رجعت من السفر إلى(الشأم) ويقال له شأم وشام ويذكر ويؤنث وينسب اليه شامى وشآم على فعال ويحكى عن سيبويه شآمى وإثبات الألف فى النسب يدل على إثباتها فى أصل البناء وقيل ألف يمان وشـــآم عوض من ياء النسب ، قال طرفة : شآمية تروى الوجوه بليل وقال فى الدرة المنسوب اليه على ثلاثة أوجه شآمى وهو القياس وشآم بياء مخففة كالمنقوص وشا آمى وهو شاذ لأنه يصير بمنزلة المنسوب إلى المنسوب وكذلك جوزت الثلاثة فى المنسوب إلى اليمين وعلى الشاذ منها قول عمر بن أبى ربيعة :

إنى أتيحت لى يمانية ء إحدى بنى الحرث من مذحج — ولم يجز الحريرى تأنيث الشام وقال لفظه مذكر ، قال ابن الانبارى : وذكر الشام والحجاز وغيرهما فمن أنث من ذلك شيأ فانما يذهب به إلى معنى المدينة وقالوا بشأم صفوة بلاد الله ، وقال رسول صلى الله عليه وسلم لحذيفة ومعاذ عليكم بالشام فان الله قد تكفل بالشام أهله وسميت شاما لأنها عن شامة الكعبة . ابن الانبارى : يجوز أن يكون مأخوذا من اليد الشومى وهى اليسرى ، وقال قوم أصله فى الكعبة لأن بابهـا يستقبل المطلع فمن قابل طلوع الشمس كانت الكعبة عن يمينـه فى شق الجنوب والشأم عن يده الشومى فى شق الشمال . ابو القاسم الزجاجى : قال جماعة من أهل اللغة يجوز أن لا يهمز فيقال شام جمـــع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتدانى بعضها من بعض شبهت بالشامات وقال الشرفى : سميت بسام بن نوح لأنه أول من بناها فغير اللفظ العجمى فجعل السين شينا وقسمت الشام خمسة أقسام الشام الأولى وأول حدها من طريق مصر أمج ثم غزة ثم الرملة ومدينته العظمى فلسطين وعسقلان وفلسطين هى أول الشام الأولى وبها بيت المقدس الشام الثانية الأردن ومدينته العظمى طبرية وهى بشاطىء البحر واليرموك بين فلسطين والأردن والشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها طرابلس الشام الرابعة أرض حمص الشام الخامسة قنسرين ومدينته العظمى حلب وهى من قنسرين على أربعة فراسخ وساحلها انطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر داخلها المزارع والبساتين والأنهار (أنحو) أى أقصد (الركب) اسم لمن يركب الأبل كذا قال الخليل وقال يعقوب الركب جمع راكب وهم أصحاب الابل خاصة ولا يكون الركب إلا أصحاب الابل وراكب الفرس فارس وراكب البغل بغال وراكب الحمار حمار وراكب الفيل فيال والجمع خيالة وبغالة وحمارة وفيالة ، وتبعه ابن قتيبة فى هذا وخطأهما جميعا ابن السيد وغيره واحتجوا بقول امرىء القيس :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحركت الأرض واليوم قر

فقوله ركبوا الخيل يدل على أنه يقال لمن ركب الفرس راكب وما ذكره يعقوب هو الصحيح لأن العرب إذا أفردت لفظ راكب أو ركب لم يقع فى كلامها إلا على أصحاب الابل مطلقا فاذا ارادت أن توقعه على

بنى نُمَيْر ، ورُفْقَةٍ أولى خَيْرٍ ومَيْرٍ ؛ ومَعَنا أبو زَيْدٍ السَّروجىّ عُقْلَةُ العَجْلان ، وسَلْوَةُ الثَّـكْلان ، وأُعْجوبَةُ الزَّمان؛ والمُشارُ إليهِ بالبَنان ، فى البَيان ، فصادَفَ نُزُولُنا سِنْجار ، أنْ أَوْلَمَ بها أَحَدُ التُّجَّار ، فَدَعا إلى مأْدُبَتِهِ الجَفَلَى ؛ مِنْ أَهْلِ الحضارَةِ والفَلا ؛ حتى سَرَتْ دَعْوَتُهُ إلى القافِلَة ، وجَمَعَ فيها بينَ الفَرِيضَةِ والنَّافِلَة ، فلما أجبْنا

أصحاب الخيل قيدته بذكر الخيل فقالوا ركبت الفرس وعلى هذا أتى : إذا ركبوا الخيل واستلأموا - فخفيت هذه التفرقة على ابن السيد على حفظه الوافر من اللغة ، وقال الحريرى فى الدرة راكب هو البعير خاصة وجمعه ركبان فأما الركب والاركبون فقد جوز الخليل أن يطلق اسمهما على راكي كل دابة إلا أن الأركبون أكثر من الركب عدة وأكثر جماعة (بنو نمير) قبيلة من صعصعة إحدى جمرات العرب وأشرف بيوت قيس عيلان وجمرات العرب ثلاثة سموا بذلك لأنهم متوافرون فى أنفسهم لم يدخلوا معهم غيرهم والتجمير فى كلامهم التجميع وهم بنو نمير وبنو الحرث بن كعب وبنوضبة بن أد فطفئت جمرتان وهم بنوضبة لمحالفتها الرباب وبنو الحرث لمحالفتها مذحج وبقيت نمير لم تحالف فهى على كثرتها ومنعتها . قال شاعرهم :

نمير جمرة العرب التى لم تزل فى الحرب تلتهب التهابا

وكان الرجل منهم إذا قيل له ممن أنت قال عامرى ومرت امرأة بهم فأحدوا النظر اليها فقال أحدهم والله إنها لرسحاء فقالت يابنى نمير والله ما امتثلتم فى واحدة من اثنين لا قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولا قول جرير : فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(أولى خير) أى ذوى غنى (مير) صلة وصدقة (عقلة العجلان) حابس المستعجل (سلوة الثكلان) مذهب حزن يقول إذا رآه من هو فى شغل معجل حبسه أو حزين أزال حزنه (البنان) الاصابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء فتنة أن يشار اليه بالأصابع فى دين أو دنيا الامن عصمه الله (سنجار) بلد بينه وبين قرقيسيا نيف وثلاثون فرسخا وقرقيسيا على الفرات وهى كورة من كور ديار ربيعة وفى سنجار فوهة نهر الخابور فيمر حتى يصب فى الفرات وهى على أميال من نصيبين وعن يمين طريق الموصل (أولم) أى صنع وليمة طعام العرس (المأدبة) طعام يدعى اليه الناس (الجفلى) الناس أجمع (الحضارة) ضد البداوة ويفتح أولها ويكسر (الفلا) القفر وأراد : دعاء أهل الحاضرة والبادية (سرت) وصلت (القافلة) الرفقة الراجعة من سفرها قال الازهرى سميت قافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذى ابتدأت وظن ابن قتيبة أن عوام الناس يغلطون فى تسميتهم الناهضين فى ابتداء الاسفار قافلة الا منصرفة إلى وطنها هذا غلط وما زالت العرب تسمى الناهضين فى ابتداء الاسفار قافلة تفاؤلا بان ييسر الله لها القفول وهو شائع عند فصحائهم إلى اليوم ...وأراد (بالفريضة) أعيان التجار الذين حضروهم كالغرض وب(النافلة) المكارين والاتباع أو بريد بالفريضة من لابد له أن يدعوه للحضور مثل القرابة والوجوه والاصحاب والنافلة لفيف

مُنَادِيَه . وحَلَلْنَا نَادِيَه . أَخْصَرَ مِنْ أَطْعِمَةِ اليَدِ واليَدَيْن . ما حَلا فى الفَمِ وَحلِىَ بالعَيْن . ثم قَدَّم

الناس وأراد أنه حمل لعروسه من يحب ومن لايحب والهاء من فيها ضمير الدعوة ويروى فيهما باليم . وأما ذكر الحاضرة والبادية فقد أتينا فى ذلك بفصل أدبى مستحسن ولسنا نحتاج إلى إقامة دليل من شاهد على فضل الحاضرة لانها محل الجمعات والجماعات واليها تجلب الخيرات وبها تستمد البركات ومنهم العلماء والملوك إلى ما يطول تعداده ومن أراد الله به خيرا نقله من البادية إلى الحاضرة وقد أخبر الله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام فى قوله وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو وهذا فيه فضل للحاضرة لايدفع إذ قرن الخروج من السجن بالمجيء من البدو وعده من احسان الله سبحانه وتعالى . وقف أعرابى على دعبل وهو ينشد

إذا القوس أوترها أبدا رمى فأصاب الكلا والذرى

فقال له ما عنيت فقال دعبل القوس قوس قزح أمطر أمطر الأرض بها فأعشبت فرعاها المال فسمنت كلاه وأسمنه فقال الأعرابى لله دركم ياحاضرة إنكم لنسيرون معنا فتساوون ولتنكبون عنا فتفوتون . وفى ضد هذا المعنى قال شبيب بن شبة كثر قطع الطريق بين مكة والبصرة فبعثنى المنصور أقوم فى المناهل وأتكلم بذم البادية وأوبخهم بما يردعهم فلم أرد ماء إلا تكلمت عليه بما يحضرنى فلا أجد من ينطق حتى قمت على ماء لبنى تميم فلما انقضى كلامى قام رجل منهم فقال الحمد لله أفضل ماحمدته وحمده الحامدون قبلك أو بعدك وصلى الله على سيدنا محمد أفضل صلاة وأتمها وأخصها وأعمها ، ثم إنى قد سمعت ماقلت فى مدح الحاضرة وأهلها ؛ وذم البادية وأهلها ؛ ومهما كان فينا أهل البادية من سوء فليس فينا نقيب الدور ولا شهادة الزور ولا نبش القبور ولا نيك الذكور قال فأخمنى والله حتى تمنيت أنى لم اخرج لذلك وقال القطامى

فمن تكن الحاضرة أعجبته فأى رجال بادية ترانا

قال ابن رشيق ومن أملح ما سمعه الناس فى تفضيل البادية على الحاضرة من حلاوة وطلاوة وصحة معنى وقرب مأخذ قول ابى الطيب :

من الجآزر فى زى الاعاريب حمر الطلا والمطايا والجلاليب

ثم قال

ما اوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحاضرة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة أوراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مخضبة تركت لون مشيبى غير مخضوب

فلو لم تفضل البادية إلا بهذا لكان فيه مقنع (نادية) أى مجلسه (وطعام اليـــد) الثريد ونحوه (طعام اليدين) الدجاج الصحاح والشواء ونحو ذلك وكانت وليمة فى الانصار فحضرها حسان بن ثابت وقد كف بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فلما وضع الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يابنى اطعام ايدم طعام يدين قال بل طعام يد فأكل ثم جيء بالشواء فقال مثل ذلك فقال بل طعام يدين فأمسك (حلا) طاب (حلى) حسن وحلا

جاما كأنما جُمِّدَ مِنَ الهَواء ، أو جُمِعَ مِنَ الهَباء ، أو صِيغَ مِنْ نُورِ الفَضاء ، أو قُشِرَ مِنَ الدُّرَّةِ البَيْضاء ، وقد أُودِعَ لَفائِفَ النَّعِيم ، وضُمِّخَ بِطِيبِ العَمِيم ، وسِيقَ إليهِ شُرْبٌ مِنْ تَسْنِيم ، وسَفَرَ عَنْ مَرْأَى وَسِيم ، وأَرَجٍ نَسِيم ، فلمّا اضْطَرَمَتْ بِحَضْرَتِهِ الشَّهَوات ، وقَرِمَتْ إلى مَخْبَرِهِ اللَّهَوات ، وشارَفَ أَنْ تُشَنَّ على سِرْبِهِ الغارات ، ويُنادَى عِنْدَ نَهْبِهِ يالَلثّارات ، نَشَزَ أبو زَيْدٍ كالمَجْنون ؛ وتَباعَدَ عنهُ تَباعُدَ الضَّبِّ مِنَ

فى الفم من الحلاوة وحلى فى العين من الحلى المتزين به وفى الدرة العرب تقول حلا فى فمى وحلى فى عينى وليس الثانى من نوع الأول وهو من الحلى الملبوس فكأن المعنى حسن فى عينى كحسن الحلى الملبوس وهو من ذوات الياء والأول من ذات الواو إلا أن المصدر فيهما جميعا الحلاوة والاسم حلو لا حالى لأن الحالى ضد العاطل وهو الذى عليه الحلى (والجام) إناء من زجاج (جمد) عقد وصنع جامدا (الهباء) غبار الشمس وهو ماتراه يدخل عليك مع الشمس من شق باب أو كوة حائط (صيغ) صنع (نور الفضاء) يعنى الشمس والفضاء الأرض الواسعة وفى الفضاء يتسع ضوء الشمس فيبيض نورها (أودع) ضمن وجعل فيه (لفائف النعيم) مالف من الحلوى وطوى بعضه على بعض . الفنجديهى : لفائف النعيم اللوزينج والقطائف (ضمخ) لطخ (العميم) الكثير (شرب) ماء (وتسنيم) أرفع شرابات أهل الجنة (سفر) كشف (مرأى وسيم) منظر حسن (أرج نسيم) طيب الرائحة والنسيم اللينة الهبوب ويريد لما أحضر الجام ساقوا معه ماء عذبا لغسل اليد ثم كشف لهم عن الجام فرأوا منظرا من الحلواء الملونة ورائحة عطرة من الأفاويه وقال فى مثل ذلك عبد السلام بن الحسين المأمون :

خبيصة فى الجام قد قدمت   مدفونة فى اللوز والسكر
يأكل من يأكلها خمسة   بكفه فيها ولم يشعر

(اضطرمت) أى اشتعلت (قرمت) أى اشتهت (اللهوات) جمع لهاة وهى أقصى الفم (شارف) قارب وأشرف عليه (تشن) تفرق (سربه) جماعته ويريد به مافيه من الحلواء والسرب بالكسر جماعة النساء وبالفتح الابل فى المرعى (الغارات) يريد الأيدى التى تغير على الطعام (نهبه) انتهابه الأيدى وأكل مافيه (يالثارات) كلمة ينادى بها العرب إذا ظفروا بأعدائهم الذين لهم عندهم دم والثار الطلب بالدم وثأر بالقتيل قتل قاتله ، وقال حسان بن ثابت :

لتسمعن وشيكا فى دياركم   الله أكبر يا ثارات عثمان

فالثارات هنا جمع ثار وهو المطلوب بالدم ، قال :

وكيف تجلد الأقوام عنه   ولم يقتل به الثار المنيم

قال أبو على : الثار : المقتول ، سمى بالمصدر كرجل عدل ولذلك جمع بالتاء ، وتفسير أبى على عكس ما تقدم ، وإذا كان منقولا من المصدر احتمل وصف الفاعل به والمفعول ، وثارات عثمان محتملة التفسيرين فتقديره على قول أبى على يا مطلوبات عثمان ، وعلى القول الآخر : يا طالبات عثمان هذا أوانكم بالجد ، وتفسير يالثارات فى المقامة يستقيم على المعنيين ، فعلى الأول معناه يا مطلوبات الجياع قد تمكنا منك ، وعلى الثانى معناه يا طالبين الأكل قد تمكنتم من المأكول (نشز) أى وثب ، وتقدم فى الضب أنه لا يرد الماء

النون ، فَراودْنَاهُ على أن يَعود وَأنْ لا يكونَ كـقُدَار فى ثَمُود . فقالَ وَالذى يُنشِرُ الأَمْواتَ مِنَ الرِّجامِ لاعُدْتُ دونَ رَفْعِ الجام ، فلم نَجِدْ بُدًّا من تَأَلُّفِهِ

وأن مسكنه الصحراء (النون) الحوت وهو لايفارق الماء ، وهما لايجتمعان .. وقد تقدم للصابى الضب والنون لايرجى التقاؤهما — وقال آخر :

فلو أنهم جاؤا بشىء مقارب لقلت هو الشكل الموافق للشكل
ولكنهم جاؤا بحيتان لجة تقامص والمدعو فيها أبو الحسل

فضرب بتباعدهما المثل (راودناه) أردناه على الفعل تقول راودته على كذا إذا أردته على فعله (يعود) يرجع (ثمود) أمة صالح عليه الصلاة والسلام (قدار) هو عاقر الناقة يضرب به المثل فى الشؤم فيقال أشام من قدار ومن أحيمر عاد وتقريب قصته أن ثمود كانت تبنى فى طول أعمارها فاتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين بيوتهم إلى وقتنا هذا باقية منحوتة فى الجبال ومساكنهم على قدر أجسامهم ورممهم وآثارهم فيها بادية فلما بعث فيهم صالح قال له زعيمهم إن كنت صادقا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرف فأتى الصخرة فتمخضت كالحامل وانشقت عن الناقة ثم تلاها سقبها فآمن كثير منهم وكان شربها يوما وشربهم يوما فاذا كان يوم شربها حلبوها فملؤا من لبنها كل إناء ووعاء فلما امتنعت إبلهم من الماء يوم شربها استثقلوها وكان فيهم امرأتان عنيزة وصدقة فبذلتا أنفسهما لقدار على أن يعقر الناقة وهو قدار بن قديرة وهى أمه وسالف أبوه وكان قدار أزرق أشقر قصيرا وكان له صديق اسمه مصدع بن مهرج معاون له على ما كان به من الفساد فى الأرض وكانا فى تسعة من أهل الفساد فضرب قدار عرقوبها بسيفه وضرب مصدع العرقوب الآخر واستهموا لحمها فخرجت ثمود تعتذر إلى صالح وتزعم أنها لاذنب لها فقال انظروا هل تدركون فصيلها فعسى أن يرفع عنكم العذاب فالتمسوه فصعد إلى جبل يقال له القارة وطال الجبل به فى السماء حتى ماتناله الطير وبكى ثم استقبلهم ورغا ثلاثا فقال صالح دعوة أجلها يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية ذلك أن تصبح وجوهكم فى الأول مصفرة وفى الثانى محمرة وفى الثالث مسودة فلما رأوا صدقة أول يوم أرادوا قتله فمنع منهم فلما رأوا صدقه فى اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا وبكوا وضجوا وجعلوا ينظرون من أين يأتيهم العذاب فصبحتهم فى اليوم الرابع صيحة من السماء قطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين فعقروها يوم الأربعاء وأصيبوا يوم الأحد وإنما أصيبوا والمذنب بعضهم لأنهم رضوا فعله والنية أبلغ من العمل ، وبلادهم بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشى ، ومر النبى صلى الله عليه وسلم بقريتهم ونهى الناس عن دخولها وأراهم مرتقى الفصيل ولما رأى صالح أنها دار سخط ارتحل بمن معه إلى مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فقبورهم فى غربى البيت بين دار الندوة والحجر وقال حباب بن عمرو :

كانت ثمود ذوى عز ومكرمة ما إن يضام لها فى الناس من جار
فأهلكوا ناقة كانت لربهم . قد أنذروها فكانوا غير أبرار

(ينشر) أى يحيى ويقيمهم فينشرون فى الأرض (الرجام) القبور واحدها رجم (ألفه) ضمه وترك خلافه

وإبْرار حَلِفه ، فأشْلَناهُ والعقولُ معهُ شائلَة ، والدمُوعُ عليه سائلة ، فلمّا فاء إلى مَجْثِمه ، وَخلَص من مَأثمِه ، سألناهُ لِمَ قام؛ ولأيِّ معْنًى استرْفَعَ الجام ، فقال إنّ الزُّجاجَ نمّام ، وإنِّي آليْتُ مُذْ أعْوام . أنْ لا يَصْحَبَنِي وَنمُومًا مَقام ، فقُلنا له : وَما سَبَبُ يَمينِكَ الصِّرِّي ، وَأليَّتِكَ الحَرِّي، فقال إنه كانَ لى جارٌ لِسانُهُ يَتقرَّب ، وقَلْبهُ عَقرَب ، ولَفظُهُ شَهْدٌ يَنقَع ، وخَبْؤهُ سَمٌّ مُنْقَع ، فمِلْتُ لِمجاوَرَته ،

(ابرار حلفه) مراعاة قسمه (أشلناه) رفعناه (شائلة) مرتفعة (فاء) رجع (مجثمه) موضعه وأصله للطائر (الصرى) العزيمة ويقال أصررت على الشيء عزمت عليه وهو منى صرى وصرى وأصرى أى عزيمة وجد ، وضلت ناقة ابى السمال فقال والله لئن لم يردها الله على لا أصلى أبدا فذهب فى ابتغائها فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة فقال علم الله أنها كانت منى صرى فردها على ، وقال حبيب :

لمـــا رآهم حائلا دون المنى ... هجر الغواية بعد طول وصال
تخـــذ الفرار أخا وأيقن أنه ... صرى عزم من أبى السمال

يقول لما رأى كثرة من يحاربه أيقن أن ما تمناه فيهم لا يدركه فهجر الضلالة وانهزم إذ أيقن أن طالبه مصر على طلبه (الحرى) الوكيدة الشديدة والكبد الحرى اليابسة العاطشة . . وناظر الحريرى بهذه المقامة مقامة المطيرة فى البديعية ومن هنا إلى اولها مبنى على تلك ، قال البديع حدثنا عيسى بن هشام قال كنت بالبصرة ومعى أبو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة بأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدم مضيرة ، تثنى على الحضارة ، وترجرج فى الغضارة ، وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالإمامة ، فى قصعة يكل عنها الطرف ، ويمرح فيها الطرف ، فلما أخذت من الخوان مكانها ، ومن القلوب أوطانها ، قام أبو الفتح يلعنها وصاحبها ويمقتها وآكلها ، ويثلبها وطابخها ، ظنناه يمزح فاذا الأمر بالضد وإذ المزاح عين الجد ، وتجلبت لها الأفوه ، وانقادت لها الأكباد ، لكننا سألناه عن أمرها وساعدناه على هجرها ، ثم أخذ يذكر لهم المانع من أكلها كما يذكر الآن السروجي ، والقامة المضيرة طويلة مضحكة (جار لسانه يتقرب) معناه يتودد إليه بلسانه ويكتم العداوة فى قلبه وهذا معنى مايذكر بعد . أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة سوء الجوار نعوذوا بالله من ثلاث هن العواقر : إمام السوء إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر ، ومن جار السوء إن رأى حسنا ستره وإن رأى قبيحا أذاعه ، ومن امرأة السوء التى إن غبت عنها خانتك وإن دخلت عليها لسنتك . قال بعض الفضلاء : الجار السوء يفشى السر ، ويهتك الستر . وقيل لأهل البحرين إن كنتم تحبون أن يحبكم الله ورسوله فحافظوا على ثلاث خصال : صدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الجوار ، فان أذى الجار يمحو الحسنات كما تمحو الشمس الجليد عن الصفاة (ينقع) أى يروى العطش (منقع) أى أديم حبسه وأنقع سم الحية ثبت ودام (خبؤه) باطنه وما خبأه من الشر

إلى مُحاوَرَتِه ، واغتَرَرْتُ بمُكاشَرَتِه ، في مُعاشَرَتِه ، واستَهْوَتْني خُضْرَةُ دِمْنَتِه ، لِمُنادَمَتِه ؛ وأغرَتْني خُدْعَةُ سَمْتِه ، بمُناسَمَتِه ، فمازَجْتُهُ وعندي أنَّهُ جارٌ مُكاسِر ؛ فَبانَ أنه عُقابٌ كاسِر ؛ وآنَسْتُهُ على أنَّهُ حِبٌّ مُؤْنِس ، فظَهَرَ أنَّهُ حُبابٌ مُوالِس ، ومالَحْتُهُ ولا أعلَمُ أنَّهُ عند نَقْدِه ، مِمَّنْ يُفرَحُ بفَقْدِه ؛ وعاقَدْتُهُ ولم أدْرِ أنَّهُ بعدَ فَرِّه ، مِمَّنْ يُطْرَبُ لِفَرِّه ؛ وكانَتْ عِنْدي جارية ؛ لا يوجَدُ لها في الجمالِ مُجارِيَة ، إنْ سَفَرَتْ خَجِلَ النَّيِّران ، وصَلِيَتْ القُلوبُ بالنِّيران ،

(محاورته) محادثته (مكاشرته) مضاحكته (معاشرته) مصاحبته (استهوتني) ذهبت بي (خضرة دمنته) حسن ظاهره وتقدمت خضراء الدمن (أغرتني) حرضتني وألصقتني به (سمته) علامته (مناسمته) مصاحبته وقرب نسمتي من نسمته أي شخصي من شخصه (مازجته) خالطته (مكاسر) قريب الدار وكسر البيت جانبه (العقاب الكاسر) التي تضم جناحيها وتهوى على فريستها فضم الجناح هو كسره (آنسته) أبصرته (حب) حبيب وكان زيد بن حارثة يسمى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حبيبه (وضح) تبين (حباب) حية (موالس) مخادع خائن في صحبته (مالحته) واكلته أي أكلت معه الملح وأصل المالحة الرضاع كأنه حين نادمه راضعه الكأس وملحت المرأة الصبي أرضعته (نقده) تجربته (عاقدته) عاهدته وعقدت يدي على يده (فره) اختباره وكشف سره يريد أن هذا الصاحب كان يظهر مودته ويسر عداوته وقال الشاعر وهو المغيرة بن شعبة

أخوك الذي لا ينقض النأي عهده ... ولا عند صرف الدهر يزور جانبه
وليس الذي يلقاك بالبشر والرضا ... وإن غبت عنه لسعتك عقاربه

قال وأنشد آخر : علي لإخواني رقيب من الصفا ... تبيد الليالي وهو ليس يبيد
وإني لأستحي أخي أن أبره ... قريبا وأن أجفوه وهو بعيد

وقال ابن المعتز: لم يبق مما فاتني كسبه ... إلا فتى يسلم لي قلبه
ينأى فلا يذهبه نأيه ... عني ولا يفسده قربه
يكون حسبي من جميع الورى ... في كل حال وأنا حسبه

وقال بشار وزاد معنى :

تود عدوي وتزعم أنني ... صديقك إن الرأي منك لعازب
وليس اخي من ودني رأي عينه ... ولكن أخي من ودني وهو غائب

(مجارية) مباراة معارضة وفلان يباري الريح جودا كأنه يعرضها بفعله فاذا هبت في زمن الشتاء والجهد فضرب المحتاجين تتبع آثار فسادها بماله وهباته فأصلحها (سفرت) كشفت وجهها (خجل) استحيا (النيران) الشمس والقمر (صليت) أحرقت يقول إذا كشفت وجهها افتضحت الشمس والقمر لبديع حسنها واحترقت القلوب بنيران حبها . ونسوق هنا جملة من الشعر المستحسن في أوصاف النساء قال الشاعر :

لما تبدت من الأستار قلت لها ... سبحان سبحان ربي خالق الصور
ما كنت احسب شمسا غير واحدة ... حتى رأيت لها أختا من البشر

كأنها هى إلا أن يفضلها ... حسن الدلال وطرف فاتر النظر

وقال أعرابى :

إذا حجبت لم يكفك البدر فقدها ... وتكفيك فقد البدر إن فقد البدر
وحسبك من خمر تفوتك ريقها ... ووالله مامن ريقها حسبك الخمر
وما الصبر عنها إن صبرت وجدته ... جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
ولو أن جلد الدر مس جلدها ... لكان للمس الدر فى جلدها أثر

وقال العباس بن الأحنف :

تاهت علينا بأن تمت محاسنها ... خود تكمل فى أعطافها الفتن
همت بإتياننا حتى إذا نظرت ... إلى المرآة نهاها وجهها الحسن
ما كان هذا جزائى من محاسنها ... أغرت بى الشوق حتى شفنى الشجن

وقال بشار :

درة حيثما أديرت أضاءت ... ومسم من حيثما شم فاحا
وجنات قال الإله لها كو ... نى فكانت روحا وروحا وراحا

وله أيضا :

كأنها يوم راحت فى محاسنها ... فارتج أسفلها واهتز أعلاها
حوراء جاءت من الفردوس مقبلة ... فالشمس طلعتها والمسك رياها
راحت ولم تعطه برأ لعلته ... منها ولو سألته النفس أعطاها
من اللواتى اكتست بردا فشق لها ... من حسنها الحسن سربالا فرداها

وقال السلامى :

وفيهن سكرى اللحظ سكرى من الصبا ... فعاتب حلو اللفظ حلو الشمائل
أدارت علينا من سلاف خدودها ... كؤوساً وغنتنا بصوت الخلاخل

وقال أيضاً :

لبيك لبيك داعى اللهو من كثب ... إلى معاطف كالأغصان من كثب
إن السوالف كالسوسان فى صعد ... إن الغدائر كالخلخال فى صبب
إلى خدود بنات الروم قد برزت ... من حجبها وأدارت أعين العرب
من كل سافرة عن مشرق خجلا ... فيه طرازان من ماء ومن لهب
واستضحكت عن لآل أو حصى برد ... يكاد يعطر من مائية الشنب
تحدوبها فتية صيغت وجوههم ... من الرضا وعواليهم من الغضب

وللأمير تميم بن المعز :

ناولتها شبه خديها معتقة ... صرفا كأن سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكة ... فكيف تهدى خدود الناس للناس
قلت اشربى فهى من دمعى وحمرتها ... دمى وطابخها فى الكأس أنفاسى
قالت فان كنت من حبى بكيت دما ... فأسقنيها على العينين والرأس
ياليلة بات فيها البدر معتنق ... وباتت الشمس فيها بعض جلاسى
وبت مستغنيا بالثغر عن قدح ... وبالخدود عن التفاح والآس

وإنْ بَسَمَت أزْوَرَتْ بالجُمانِ، وَ بِيْعَ المَرْجانُ بالمَجان ، وإنْ رَنَتْ هَيَّجَتْ البَلابِل

وقال أيضا :

قالت وقد نالها للبين أوجعه — والبين صعب على الأحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت — قواه عن حمل ما تحويه أضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى — من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنى يوم ولت حسرة وأسى — غريق بحر يرى الشاطىء ويمنعه

وقال التهامى :

أهدى لنا طبعها نجدا وساكنه — حتى اقتنصنا ظباء البدو فى الحضر
فبات يجلو لنا من وجهها قمرا — من البراقع لولا كلفة القمر
وراعها حر أنفاسى فقلت لها — هواء نار وأنفاسى من الشرر
وزاد در الثنايا در أدمعها — فالتف منتظم منه بمنتثر
ولو قدرت وثوب الليل منخرق — بالصبح رقعته منهن بالشعر
بيضاء تسحب ليلا حسنه أبدا — فى الطول منه وحسن الليل فى القصر
لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها — ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

ولبعض أصحابنا :

شدهت فلا أدرى بأى صفاتها — تقيد ألباب الورى وتقودها
وأى لآليها أشد نفاسة — أمنطقها أم ثغرها أم عقودها
فللشمس مرآها وللغصن قدها — وللمسك رياها وللريم جيدها

وذات خد مورد — ورهبة المتجرد
تأمل العين العين منها — محاسنا ليس تنفد
فبعضها فى انتهاء — وبعضها يتولد
فالحسن فى كل جزء — منها معا مردد
وكلما عدت فيها — تكون فى العود أحمد

(أزرت بالجمان) أى قصرت بحب الفضة (المرجان) اللؤلؤ الصغار (المجان) شىء لا ثمن له وخذ هذا مجانا أى باطلا أراد أنها إذا ضحكت فبدت أسنانها كانت أحسن مما وصف وأخذه من قول أبى تمام :

وقهوة كوكبها يزهر — يسطع منها المسك والعنبر
ووردية يجنبها شادن — كأنها من خده تعصر
مهفهف لم يبتسم ضاحكا — مذ كان إلا كسر الجوهر

وقال آخر وذكر المجان :

عثمان يعلم أن المدح ذو ثمن — لكنه يشتهى مدحا بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا — حتى يروا عنده آثار إحسان

(رنت) نظرت (البلابل) وساوس الهموم والسحر ينسب إلى بابل وقال السلامى فى هذا المعنى :

وحَققتَ سِحْرَ بابل ،

أكحيلة الأجفان بالسحر الذى لولاه ما درت البلابل بابل
قد كان قلبى غافلا عما به أودى وقلب أخى السلامة غافل
حتى دهانى منك صدر رامح ذرب سناناه وطرف قاتل
ما عقدك المهنا بجيدك درة لكن فرند فى حسام جائل

وللأمير تميم بن المعز :

وليلة بتها على طرب آخرها مشبه لأولادها
أقبل البرق من ثنيتها وألثم الشمس من محياها
سقتنى الراح وهى خدها بأكؤس السحر وهى عيناها
إذا أرادت مزاجها جعلت بآخر اللحظ من فمى فاها
فيالها قهوة معتقة وليس الا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين تمزج لى ونقلها اللثم حين أسقاها

(بابل) مدينة كان ينزلها ملوك العجم وهى دار نمروذ بن كنعان وكانت بابل من استعظامها واستبشاع أمرها لا تكاد تحصل ، وأسسها نمروذ وكانت مدينة ضاحكة المنظر زاهية البناء واسعة الفناء جمعت إلى حسن المنظر رصافة البنيان وبهاء المنصب فكانت سهلة بطحاء مربعة فى كل تربيع حصنان عظيمان وسورها لا يكاد سامع خبره يصدقه كان عرضه خمسين ذراعا فى ارتفاع مائتى ذراع فى دور أربعة وستين ميلا وحوله خندق يجرى فيه الفرات وفيها مائة باب نحاس وهى أقدم بناء بنى بعد الطوفان ونسب السحر لها الآن بها هاروت وماروت معلمى السحر فكان يعجبان من بنى آدم حيث يعصون الله تعالى على إنعامه عليهم فابتلاهما الله تعالى فسلط عليهما الشهوة الآدمية وحرم عليهما القتل والزنا والخمر وأنزلهما إلى الأرض للحكم بين أهلها فجاءتهما الزهرة فى خصام فوقعت فى قلوبهما فشكا كل واحد منهما لصاحبه ما يجده من حبها فأرسلا اليها فراوداها فأبت حتى يعلماها الاسم الذى يرجعان به إلى السماء فأبيا عليها ، قالت لهما فاشربا الخمر فشرباها فسكروا وعلماها الاسم وواقعاها ثم خرجا فوجدا رجلا فظننا أنه ظهر على أمرهما فقتلاه وتكلمت الزهرة بالاسم الذى يرجعان به إلى السماء فرفعت ومسخت دريا وخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختار عذاب الدنيا فهما يعذبان ببابل ويعلمان السحر وجاءت امرأة إلى عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت يا أم المؤمنين قالت لى امرأة هل لك أن أعلمك شيأ يصرف وجه زوجك اليك فأتت بتيسين فركبت واحدا وركبت الآخر وسرنا ماشاء الله فقالت أتدرين أنك ببابل ودخلت على رجلين فقالا لى بولى على ذلك الرماد فذهبت ولم أبل ورجعت فقالا لى ما رأيت فقلت ما رأيت شيأ قالا أنت على رأس أمرك فرجعت فتشددت وبلت فخرج مثل الفارس المقنع فصعد فى السماء فقال لى ما رأيت فأخبرتهما فقال لى ذلك إيمانك فارقك فخرجت إلى المرأة فقلت لها والله ما علمانى شيأ ولا قال لى كيف أصنع فقالت فما رأيت قلت كذا وكذا فقالت أنت أسحر العرب أعمليه فقطعت جداول فاذا زرع يهتز

وإنْ نَطَقَتْ عَقَلَتْ لُبَّ العاقِل ؛ واسْتَنزَلَتِ العُصْمَ مِنَ المَعاقِل ، وإنْ قَرَأَتْ شَفَتِ المَفْؤود ، وأَحْيَتِ المَوْؤُود وخِلْتَها أُوتِيَتْ من مَزامير آل داوُد ؛ وإنْ غَنَّتْ ظَلَّ مَعْبَد ؛

فقلت افرك فاذا هو قد يبس فأخذته وفركته وقالت خذيه واجعليه سريقا واسقيه زوجك فلم أفعل شيأ من ذلك وانتهى الأمر إلى هـذا فهل لى من توبة ورأت رجلا من خزاعة فقالت يا أم المؤمنين هذا أشبه الناس بهاروت وماروت روى هذا الحديث باسناده له ابن قتيبة (عقلت لب العاقل) اللب العقل وعقلته شددته بعقال وهو قيد البعير (العصم) الوعول والاعصم التيس الجبلى الذى فى يديه بياض والمعصم موضع الخلخال ، الخليل : الاعصم الوعل وعصمته بياض فى رجليه (المعاقل) قرون الجبال وأراد أن كلامهـا لعذوبته يغلب أهل العقول حتى تعداهم إلى الوحش أو يريد بالعصم من له عزمه وهمة من الرجال فاذا سمعها تذلل لها وأخذ هذا من قول أبى بكر بن دالبد .

لو ناجت الاعصم لا تحط لهـا — طوع القياد من شماريخ الذرا
أو صابت القانت فى مخلو لق — مستصعب المسلك وعر المرتقى
ألهـاه عن تسبيحه ودينـه — تأنيثها حتى تراه قـد صبـا

والسابق إلى هذا المعنى النابغة بقوله :

لو أنها عرضت لا شمط راهب — عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حـديثها — ولخاله رشدا وإن لم يرشـد

(المفؤد) الذى يشتكى فؤاده (المووّد) المدفون حيـا ، وانظره فى الخامسة والثلاثين ، وأرادأن حسن صوتها بالقرآن يشفى من مرض الفؤاد ويحيى الموتى والعرب تزعم فى شعرها أن افراط الحسن يحيى الموتى قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحوها — قام ولم يحمل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا — يا عجبا للميت الناشر

وقال توبة بن الحمير ولوان ليلى الأخيلية سلمت — على وفوقى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا — اليها صدى من جانب القبر صائح

(مزامير) المزمار الصوت نفسه والجمع مزامير وقيل صوابه زمار ولا يقال زامر ويقال للانثى زامرة ولا يقال زمارة والآلة التى يزمر بها الزمارة ، وكان داود عليه الصلاة والسلام أحسن خلق الله صوتا وإذا قرأ الزبور رقت لصوته الوحوش وحنت حتى تؤخذ بأعناقها وهى مصغية له وماصنعت الشياطين المزامير والبرابط إلا على صوته (معبد) أطبع المغنين المتقدمين واسحق الموصلى أطبع المتأخرين وفى معبد يقول حبيب :

محاسن أو صاف المغنين جمة — وما قصبات السبق إلا لمعبد

وهو معبد بن وهب وقيل ابن قطن وأبوه أسود وكان هو خلاسيا مديد القامة أحول غنى فى أول الدول الأموية وتوفى أيام الوليد بن يزيد وكان علم جارية اسمها ظبية فاشتراها رجل من الاهواز وذهبت به إلى كل مذهب فماتت وأخذت جواريه اكثر غنائها فكان من اجلها يفضل معبدا على نظرائه ويظهر التعصب له فسمع به

معبد فخرج اليه حتى أتى البصرة فصادف الرجل خارجا إلى الأهواز فى سفينة فسأله الدخول معه فأمر الملاح أن يجلسه فى مؤخر السفينة وانحدر حتى بلغ إلى فم نهر الابلة فتغدوا وشربوا وأمر جواريه فغنين فغنت إحداهن للنابغة : بانت سعاد وأمسى حبها انجذما ومعبد ساكت فى ثياب السفر حتى سكتت فصاح باجارية غناؤك ليس بمستقيم فغضب مولاها وقال وما أنت والغناء ثم غنت الثانية بشعر عبد الرحمن بن أبى بكر.

بابنه الازدى قلبى كئيب مستهام عندها ما ينيب
ولقد قالوا فقلت دعونى إن من تنهون عنه حبيب
إنما أفنى عظامى جسمى حبها والحب شىء عجيب

فصاح معبد ياجارية قد أخللت بهذا الصوت إخلالا شديد فازداد غضبا مولاها وقال ويلك أما تكف عن هذا الفضول ثم غنت أخرى لكثير فقالت ,

خليلى عوجا سلما ساعة معى على الربع نقضى حاجة ونودع
وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى وللعين أذرى من دموعك أودعى
فلا عيش الامثل عيش مضى لنا مصيفا أقمنا فيه من بعد مربع

فقال معبد ما قومتن صوتا واحدا فقال له الرجل والله ماأراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة وأقسمت بالله لئن عاودته لأخرجتك من السفينة فاندفع معبد يغنى الصوت الأول فصاح الجوارى أحسنت والله يارجل فأعده قال لا ولا كرامة ثم غنى الثانى فقلن لسيدهن هذا والله أحسن الناس غناء فاسأله أن يعيد لعلنا أن نأخذه ثم غنى الثالث فزلزل عليهم السفينة فوثب الرجل وقبل رأسه وقال أخطأنا عليك فاسألك أن تنزل إلى فابى فلم يزل به حتى نزل وقال له من أين أخذ جواريك هذا الغناء قال من جارية أخذت عن أبى عباد معبد ثم استأثر الله بها وكانت منى محل الروح من الجسد فلذلك أفضل معبدا على جميع المغنين فقال له معبد وإنك لأنت هو أفتعرفنى قال لا فصك معبد بيده صلعته وقال فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ولقصدك بالاهواز دخلت السفينة والله لا قصرت فى جواريك حتى أجعلهن خلفا من الماضية وأكب الرجل والجوارى على يديه ورجليه بالتقبيل ويقولون كتمتنا نفسك حتى أسانا عشرتك وأنت ممن نتمنى من الله أن نلقاه ثم وهب له ثلثمائة دينار وطيبا وهدايا بمثلها فاقام عنده سنة حتى أخذ غنه جورايه ثم انصرف إلى الحجاز,, قال ابن الكلبى قدم ابن سريج والغريض المدينة وكانا فى صنعة الغناء من الحذاق يتعرضان لمعروف أهلها فلما شار فاها نقدما ثقلهما ليرتادا منزلا حتى أداهما بمغسلة تغسل فيها الثياب قرب المدينة إذا هما بغلام ملتحف بازار وطرفه على رأسه وبيده حبالة يصيد بها الطير وهو يتغنى .

القصر فالنخل والأبواب بينهما أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

فاذا الغلام معبد فلما سمعاه مالا اليه واستعاداه فاعاد الصوت فسمعا شيأ لم يسمعا مثله قط فقال أحدهما لصاحبه هل سمعت كاليوم قط قال لا والله فما رأيك قال ابن سريج هذا غناء غلام يصيد الطير فكيف بمن فى المدينة أما أنا فثكلت ولدى أن لم أرجع فرجع ولم يدخلها . . وروى اسحق أن معبدا سافر إلى مكة فسمع ببطن مروغناء فقصد الموضع وإذا رجل جالس على حرف بركة فارق شعره حسن الوجه عليه دراعة مصبوغة بزعفران وهو يغنى شعره.

حن قلبي من بعد ماقد أنابا ودعا الهم شجوه فأجابا
ذاك من منزل لسلمى خلاء لا بس من خلائه جلبابا
عجت فيه وقلت للركب عوجوا طمعا أن يرد ربع جوابا
فاشتتار المغشى من لوعه الحب وأبدى الهموم والاصابا

فقرع معبد بعصاه وغنى :

منع الحياة من الوجال ونفعها حدق يقلبها النساء مراض
وكان أفئدة الرجال إذا رأوا حدق. النساء لنبلها أغراض

فقال الرجل له أنت معبد قال نعم وقال له معبد بالله أنت ابن سريج قال نعم ووالله لو عرفتك ماغنيت بين يديك قال معبد فلما قدمت مكة قيل لى أن ابن صفران قد جعل بين المغنين جائزة فاتيت بابه فطلبت الدخول فقال لى آذنه قد أمرنى أن لا آذن لاحد عليه قلت فدعنى أدنو من الباب فأغنى صوتا فقال أما هذا فنعم فدنوت من الباب فغنيت فقالوا معبد ففتحوا لى وأخذت الجائزة . وأما اسحق فذكره صاحب الأغانى وقال كان محل اسحق من العلم والأدب والرواية وتقدمه فى الشعر وسائر المحاسن أشهر من أن يوصف وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ماوسم به وإن كان الغالب عليه وهو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقها وميزها تميزا لم يقدر أحد عليه قبله ولا بعده من تدقيق المجارى وتمييز الأصناف التى جعلوها صنفا واحدا وهى فى نفسها كذلك ولكنها تفترق عند متيقظ مثله وأبن مثله ، وروى عنه أنه قال بقيت دهر أغلس إلى هشام أسمع الحديث وإلى الكسائى أقرأ عليه جزأ من القرآن وإلى الفراء وابن غزالة أسمع اللغة ثم اتى منصور زلزل فيطار حتى طريقتين أو ثلاثا ثم اتى عاتكة بنت شهدة فاحذ منها صوتا أو صوتين ثم اتى الأصمعى وأباعبيدة فأستفيد منها وأنا شاهدهما ثم أصير الى أبى فأعلمه بما صنعت وأتغدى معه فاذا كان العشى رحت إلى الرشيد وروى الحديث ولقى أهله مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وغيرهما وسأل المأمون أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب لامع المنغين فاذا أراده للغناء غناه فاجابه إلى ذلك وقال المامون لولا ما سبق لاسحق على ألسنة الناس من الشهرة بالغناء لوليته القضاء بحضرتى فانه أولى به وأصدق وأعف واكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة وكان أجود الناس بالمال وأبخلهم بالغناء وأعطى المنصور زلزل لما علمه الضرب بالعود أكثر من مائة ألف درهم وأهدى له ابن الأعرابى نسخة من النوادر بخطه فمر يوما على المدائنى فقال إلى أين ياأبا عبد الله قال أمر على رجل كما قال الشاعر .

نحمل أشباحنا إلى ملك نأخذ من ماله ومن أدبه

فقال ومن هو قال أبو محمد اسحق بن ابراهيم ومات وهو أشعر أهل زمانه ، وقال رأيت جريرا فى منامى ينشد شعرا فلما أخذ كبة شعر فالقاها فى فمى فابتلعتها فأولت ذلك أنه ورثنى الشعر ، ومر به شيخ وهو فى الحديث فقال لجلسائه هذا أشبه الناس بجرير الذى رأيت فسئل الشيخ فاذا هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ومن شعره يفتخر:

إذا كانت الأحرار أصلى ومنصبى وقام بنصرى حازم وابن حازم

عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعـــدا غير قائم

وسمعهما الأصمعى فاستحسنهما وأعجب بهمـا وفضلهما ودخل على مروان بن أبى حفصة وهو يتحـــدث مع أبيه فأنشده :

إذا مضر الحمراء كانت أرومتى وقام بنصرى حازم وابن حازم

عطست بأنف البيت فجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساءعنه فقال مالك لا تجيبنى فقال إنك ما تدرى ماأفرغ ابنك فى أذنى ، ووجه اليه أحمد بن هشام بزعفران رطب وكتب اليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكئا وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
لحرمة الكأس بين الناس واجبة كحرمة الود والارحام والأدب

فأجابه اسحق الموصلى :

اذكر أبا جعفر حقا امت به انى وإياك مشغوفان بالأدب
وانا قد رضعنا الكأس درتها والكأس حرمتها أولى من النسب

وجلس عند ابراهيم بن مصعب للشرب فسقى الغلمان من حضر وجاء غلام قبيح الوجه بقدح إلى اسحق فلم يأخذ منه فقال له ابراهيم لم لا تشرب فقال :

أصبح نديمك أقداحا تسلسلها من الشمول وأتبعها بأقداح
من كف ريم مليح الوجه ريقته بعد الهجوع كمسك أو كتفاح
لا أشرب الراح إلا من يدى رشأ تقبيل راحته تغنى عن الراح

فدعا بوصيفة تامة الحسن فى زى غلام عليها أقبية ومنطقة فسقته حتى سكر ثم أمر بتوجيهها اليه بكل مامعهـا فى داره ، ومن طرف اسحق أن كلثوما العتابى كان من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ والترسل والنظم على مالم يكن عليه أحد فحضر مجلس المأمون فوضع بين يديه ألف دينار وغمز اسحق بالعبث به فاقبل اسحق يعارضه فى كل باب ويزيد عليه وهو لا يعرف اسحق فقال أيأذن أمير المؤمنين فى نسبة هذا الرجل والسؤال عن اسمه فقال افعل فقال له العتابى ما اسمك وما أنت فقال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال له العتابى أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فنكور فقال له اسحق ما أقل انصافك وأما كلثوم من الأسماء فالبصل أطيب من الثوم فقال له العتابى قاتلك الله ما أملحك ما رأيت كالرجل حلاوة أيأذن أمير المؤمنين فى صلته بما وصلنى فقد والله غلبنى فقال له المأمون بل ذلك موفور عليك وأمر له بمثله فانصرف اسحق إلى منزله ونادمه العتابى بقية يومه ... وكانت هشيمة الخمارة تجيد الشراب فلما ماتت قال يرثيها :

أضحت هشيمة فى القبور مقيمة وخلت منازلهـا من الفتيان
كانت إذا هجر الحبيب محبـه دبت له فى السر والاعـلان
حتى يلـين لمـا يريد قياده ويصير سيئة إلى الإحسان

وهو اسحق بن ابراهيم بن ماهان أصله فارسى وترك ماهان ابراهيم صغيرا فنشأ فى بنى تميم . . وهذا الذى ذكرنا نبذة من أدبه وأما محاسنه فى الغناء فلا يأتى عليها الحصر : قال الواثق ما غنانى اسحق قط إلا ظننت أن قـد زيد

فى ملكى وإن اسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحفظ أحد بمثلهاولو أن العمر والنشاط مما يشترى لاشتريتهما له بشطر ملكى ، وحدث حماد ابنه قال حدثنى أبى قال غدوت يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخليفة فركبت بكرة عازما أن أطوف فى الصحراء وأتفرج وقلت لغلمانى أن جاء رسول الخليفة فعرفوه أنى ركبت فى مهم ومضيت وطفت مابدا لى وغدوت وعدت وقد حمى النهار فوقفت فى ظل جناح شارع لاستريح فلم ألبث إذ جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية تحتها منديل ديبق وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية وراءه فرأيت لها شمائل ظريفة وطرفا فاترا فحدثت أنها مغنية فدخلت الدار التى كنت عليها واقفا فعلقتها قلبى علوقا شديدا لم أستطع معه براحا وأقبل رجلان شابان لهما هيبة تدل على قدرهما وهما راكبان فأذن لهما فحملنى حب الجارية وحسن حالهما أن توسلت بهما فدخلت معهما فظنا ان صاحب الدار دعانى وظن هو أنى معهما فجلسنا وأتى بالطعام فأكلنا وجيء بالشراب فخرجت الجارية وفى يدها عود فرأيت جارية حسناء فغنت غناء صالحا فتمكن ما فى قلبى منها وشربنا ثم قمت للبول فسألهما صاحب المنزل عنى فأنكرانى فقال هذا طفيلى ولكنه ظريف فأجملوا عشرته فجئت وجلست فغنت فى لحن لى :

ذكرتك ان مرت بناأم شادن أمام المطايا تستريح وتسنح
من المؤلفات الرمل ادماء حرة شعاع الضحى فى وجهها يتوضح

فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتى :

الطول الدرارس فارقتها الاوانس أوحشت بعد أنسها فهى قفر بسابس

فكان أمرها فيه أصلح من الأول ثم غنت من صنعتى فى شعرى :

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا قد بلغت الذى أردت وإن كنت لاعبا
واعترفنا بما ادعيــــت وإن كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه فأقبل على أحد الرجلين فقال ما رأيت طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا تصديق المثل طفيلى ومقترح فلم أجبه وكفه صاحبه عنى فلم ينكف ثم قاموا للصلاة فأخذت عود الجارية وأصلحته إصلاحا محكما وعدت إلى موضعى فصليت ثم عادوا فعاد ذلك الرجل فى عربدته على وأنا صامت فأخذت الجارية عودها وجسته فقالت من جس عودى فقالوا ماجسه أحد فقالت والله لقد جسه حاذق متقدم وشد طبقته فقلت لها أنا أصلحته فقالت بالله عليك خذه واضرب به فأخذته منها وضربت مبدأ طريق عجيب صعب فيه نقرات محكمة فما بقى منهم أحد إلا وثب وجلس بين يدى وقالوا بالله ياسيدى أتغنى قلت نعم وأعرفكم بنفسى أنا اسحق الموصلى ووالله إنى لأتيه على الخليفة وأنتم تشتمونى منذ اليوم لأنى تملحت معكم بسبب هذه الجارية والله لانطقت بحرف ولا جلت معكم أو تخرجوا هذا المعربد الغث ونهضت لأخرج فتعلقوا بى وتعلقت الجارية فقلت والله لاأجلس إلا أن يخرج فقال له صاحبه من شبه هذا حذرت عليك فأخرجوه فغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى فطرب صاحب البيت طربا شديدا وقال لى هل لك فى أمر أعرضه عليك فقلت ماهو فقال تقيم عندى شهرا والجارية مع ماعليها لك فقلت أفعل فاقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبنى فجئت بذلك منزلى بعد شهر وركبت إلى المأمون فقال لى

يا اسحق ويحك أين تكون فعرفته الخبر فقال على بالرجل الساعة فعرفتهم موضعه فاحضره وقال أنت رجل ذو مروأة وسبيلك أن تعاون عليها فامر له بمائة ألف درهم ونهاه أن لا يعاشر ذلك المعربد النذل وأمر لى بخمسين ألفا وقال أحضر لى الجارية فاحضرتها فغنته فقال قد جعلت لها نوبة فى كل يوم ثلاثاء تغنى مع الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله تلك الركبة وأربحت ، وتشبه هذه الحكاية حكاية ابراهيم بن المهدى إذ شفع للمأمون فى طفيلى قد قدمنا ذكره فقال ابراهيم يا أمير المؤمنــين هب لى ذنبه وأحدثك حديثا عجيبا فى التطفيل عن نفسى قال قل فقلت خرجت يوما فمررت فى سكك بغداد فشممت رائحة ابزار من جناح دار وقدور قد فاح قتارها فسألت خياطا عن رب الدار فقال رجل من التجار اسمه فلان فخرجت من شباك فى الجناح كف ومعصم ما رأيت مثلهما قط فذهب عقلى وبهت وإذا رجلان نبيلان فقال الخياط هذان نديماه وهما فلان وفلان فحركت دابتى ودخلت بينهما وقلت قد استبطأ كما أبو فلان فأتيا الباب فدخلنا فلم يشك صاحب الدار أنى معهما فرحب بى وأجلسنى فى أجل موضع فأتينا بالألوان فكان طعمها أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى أكلت الألوان بقى الكف ثم سرنا إلى مجالس المنامة فاذا أنبل مجلس وصاحب الدار مقبل باللطف والحديث على لما ظن أنى منهما فخرجت جارية تتثنى كأنها خوط بان فسلمت وجلست وأخذت بالعود وجسته فتبينت الحذق فى جسته وغنت هذا الصوت :

أشرت اليها هل علمت مودتى ... فردت بطرف العين إنى على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها ... وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فصحت السلاح وجاءنى مالم أملك معه نفسى ثم غنت :

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى ... وإياك نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكى الهوى بجفونها ... وترجيع أحشاء على النار تضرم
إشارة أفواه وغمز حواجب ... وتكسير أجفان وقلب متيم

فحسدتها على حذقها فقلت ياجارية بقى عليك شيء فغضبت ورمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون مجالسكم البغضاء ؟ فندمت ورأيت تغير القوم فدعوت بالعود وغنيت :

ما للمنازل لا يجبن حزينا ... أصممن أم بعد المدى فبلينا
راحوا العشية روحة مذكورة ... إن متن متنا أو بقين بقينا

فأقبلت على رجلى تقبلهما وتقول المعذرة والله ياسيدى من تغيير مثلك وقام مولاها وصاحباه وصنعوا مثلها وشربوا بالطاسات طربا ثم غنيت :

أبى الله هل أمسى ولا تذكرينى ... وقد سجمت عيناى من ذكرك الدما
إلى الله أشكو بخلها وسماحتى ... لها عسل منى وتبذل علقما

فجاء والله من طرب القوم ماحسبت له أن يخرجوا من عقولهم فأمسكت حتى إذا هدأ القوم اندفعت أغنى :

هذا محبك مطويا على كمده ... صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته ... مما به ويد أخرى على كبده

وقِيلَ سُحْقاً لإِسْحاقٍ وبُعْدا ، وإنْ زَمَرَتْ أضْحَى زُنامٌ عِنْدَهَا

يا من رأى كافا مستهدفا أسفا   كانت منيته فى طرفه ويده

فصاحت الجارية السلاح هذا والله الغناء يامولاى وشكروا وأمر صاحب الدار غلمانه بحفظهم لى منازلهم وبقيت أشرب معه وكان جيد الشراب فقال لى ياسيدى ذهب والله ماخلا من أيامى باطلا إذ كنت لا أعرفك فمن أنت فأخبرته فقبل رأسى وقال أعجب من هذا الأدب وأنا منذ اليوم مع الخلافة وسألنى عن قصتى فأخبرته خبر الطعام والمعصم فأحضر جواريه فلم أره فقال مابقى غير امى وأختى ولأنزلهما اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت ابدأ بالأخت ففعل فلما رأيت معصمها قلت هى هى فأرسل إلى عشرة مشايخ وأحضر بدرتين وقال أشهدكم أنى قد زوجت أختى فلانه من أبراهيم بن المهدى وأمهرتها عنه عشرة آلاف فدفعت إليه البدرة الواحـــدة وفرقت الأخرى على المشايخ وانصرفوا وقال ياسيدى أمهد لك بعض البيوت فأحشمنى فقلت بل أحملها إلى منزلى فى عمارته فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل إلى من الجهاز ماضاق عنه بعض دورى فتعجب المأمون من كرمه فأمر باحضاره فصار من خواصه (سحقا) أى بعدا (وزنام) الزامر هو الذى احدث الناى وهو المزمار الذى تدعوه عامتنا بالمغرب الزلامى فصحفوه بابدال نونه لاما وإنما هو زنامى وقال فيه الشاعر :

إن فى ناى زنام شغلا   يشغل العاقل عن ناى زنام

قال القاسم بن زرزور الزامر قال لما اعتل المعتصم علته التى مات منها قال هيئوا لى الزلالة حتى أركبه فهيء له فركب وأتى فيمن معه فمر بدجلة بازاء مناوله فقال له يازنام قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال ازمر :

يامنزلا لم تبل اطلاله   حاشا لا طلالك أن تبلى
العيش أولى مابكاه الفتى   لابد للمحزون أن يسلى
لم أبك اطلالك لكننى   بكيت عيشى فيك اذ ولى

قال فزمرت ومازلت أردده وهو ينتحب ويبكى إلى أن خرج ثم توفى بعد خمسة أيام وزنا صار المثل يضرب بزمره واتقان صنعته وكان الواثق مولعا بزمره بعد أبيه المعتصم . حدث حسين بن الضحاك قال دخلت على الواثق فقال قل الساعة أبياتا ملاحا حتى أهب لك شيأ مليحا فقلت فى أى معنى قال فيما شئت بماترى بين يديك فالتفت فاذا بساط قد تفتحت أنواره وأشرق فى نور الصبح فخجلت وارتج على فقال الواثق ألست ترى نور صباح ونوار اقاح ففتح لى فقلت :

ألست ترى الصبح قد أسفرا   ومنسكب الغيث قد أمطرا
وأسفرت الأرض عن حلة   تضاحك بالأصفر الاحمرا
وتعمل كأسين فى فتية   تطارد بالأصغر الأكبرا
يحث كؤسهمو مخطف   تجاذب أردافه المئزرا
فكل ينافس فى بره   ليفعل فى ذاته المنكرا

زَنِيما ؛ بَعْدَ أنْ كانَ لجيلِهِ زَعِيما ، وبالإطراب زَعِيما ، وإنْ رَقَصَتْ أمالتِ العمائمَ عَنِ الرُّؤُس ، وأنْسَتْكَ رَقصَ الحَبَب ؛ في الكُؤوس ، فكُنْتُ أزدرِي مَعَهَا حُمْرَ النَّعَم ، وأُحلِي بتَمَلِّيها جِيدَ النِّعَم ، وأحْجُبُ مَرْآها عَنِ الشَّمْسِ والقَمَر ، وأذُودُ ذِكْرَاها عن شَرَائعِ السَّمَر ، وأنا مع ذلك أُلِيح ؛ من أنْ تَسْرِيَ بِرَيَّاها رِيح ، أو يَكْهُنَ بها سَطِيح ،

فضحك وقال نستعمل ماقلت ياحسين إلا لفسق فلا ولا كرامة ثم قال قوموا بنا إلى حانة الشط فقام اليها وشرب وشرب وطرب وماترك أحدا من المغنين والجلساء إلا امر له بصلة وكان من الأيام التي سارت أخبارها في الآفاق فلما كان من الغد غدوت عليه فقال أنشدني ماقلت في يومنا الماضي فأنشدته :

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا ... عودي بيوم سرور كالذي كانا
لاتفقدينا دعابات الأمير ولا ... طيب البطالة اسرارا وإعلانا
وهاج زمر زنام بين ذاك لنا ... شجوا فأهدى لنا روحا وريحانا
وسلسل الرطل عمر وثم عم به الســقيا ... أخرانا بأولانا

ذكرنا هذه الحكاية لظرفها ولما وقع لزنام من الذكر في شعر حسن (زنيما) أي دعيا في الزمر قال ابن الاعرابي الزنيم ابن الزانية . . أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم لايدخل الجنة ولد الزنا ولا شيء من نسله إلى سبعة باء ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت العباد فيما مضى إذا عبد الله أحد آهم أربعين سنة يسعى نوره بين يديه فعبد الله عابد أربعين سنة وأربعين ولم يسمع له نور فابتهل إلى الله تعالى فقال عبدتك أربعين وأربعين ولم يسع لي نور فأرى في منامه أنه لغير رشدة فقال يارب إن كان أبواي أكلا حماضا أضرس أنا ؟ فسعى نوره بين يديه (جيله) أي أهل عصره . . الزعيم الأول السيد والثاني الضامن أراد أنه يضمن لمن سمعه أن يطرب به ، وقال أبو الفضل الدرامي في زمر أسود .

وحالك اللون كالليل البهيم له ... فضائل مشرقات الحسن كالفلق
تخال مجلسنا وجها به حسنا ... إذ صار فيه كخال معجب لبق
تراه يحفظ مايوحي اليه به ... وسره أبدا يهوى بمنخرق
يحدو بأنفاسه الأوتار مجتهدا ... فتستقيم به الألحان في الطرق
أهدى الشباب اليه حسن بهجته ... فناسب المسك في لون وفي عبق

(الحبب) الفقاقيع تعلو الماء والخمر (ازدرى) احتقر (النعم) الإبل واكرامها الحمر (احلى) أزين (بتمليها) بطول حياتها ومدتها والملاوة والمدة ومنه قوله تعالى وأملي لهم (مرآها) رؤيتها (اذود) أدفع (شرائع) طرق (السمر) الحديث بالليل (أليح) أشفق (تسرى) تسير ليلا (رياها) رائحتها الطيبة (يكهن) يشعر ويحسن وتكهن الرجل تحدث عن الغيب (وسطيح) الغساني اكهن الناس وانذر بسيل العرم فكان يدرج جسده كما يدرج الثوب خلا جمجمة رأسه وإذا مست باليد أثرت فيه للين عظمها ، ومن كهانته أنه لما كان ليلة مولد رسول الله صلى الله

أو يَنُمَّ عليها بَرْقٌ مُلِيح، فاتَّفقَ لِوَشْكِ الحَظِّ المَبْخُوس، ونَكَدِ الطَّالِعِ المَنْحُوس، أن أنطَقَتْنى بِوَصْفِها حُمَيَّا المُدَام، عند الجارِ النَّمَّام، ثم ثابَ الفَهْم، بَعْدَ أن صَرِدَ السَّهْم، فأَحْسَسْتُ الخَبال والوَبال ؛

عليه وسلم ارتج إيوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة فأعظم ذلك أهل المملكة وكتب إلى كسرى صاحب الشام أن وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب اليمن أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت عليه الكتب أظهر سريره وبرز إلى أهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان أيها الملك إنى رأيت تلك الليلة رؤيا هالينى رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال فما عندك فى تأويلها قال ماعندى شىء ولكن ارسل إلى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فبعث اليه فوجه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فاخبره كسرى بالخبر فقال أيها الملك ما عندى فيها شىء ولكن جهزنى إلى الشأم إلى خالى سطيح فجهزه فلما قدم عليه وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه فقال :

أصم أم يسمع غطريف اليمن ... رسول قيل العجم يهرى للوثن
ياقاصل الخطة أعيت من ومن ... أتاك شيخ الحى من آل سنن
أبيض فضفاض الرداء والرسن

فرفع اليه سطيح رأسه وقال : عبد المسيح على جمل مشيح أقبل إلى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت الواد وانتشرت فى البلاد عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة وغاض وادى السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح بشام يملك منهم ملوك وملكات بعدد ماسقط من الشرفات وكل ماهوآت ثم قال :

إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم ... فان ذا الدهر اطوار دهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته ... والهرمزان وسابور وسابور
فربما أصبحوا منهم بمنزلة ... يهاب صولهم الأسد المهاصير
حثوا المطى وجدوا فى رحيلهم ... فما يقوم لهم سرج ولاكور
والناس ابناء علات فمن علموا ... أن قد أقل فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن ... والخير متبع والشر محذور

فأتى كسرى فأخبره فغمه ذلك فقال إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فملكوا كلهم فى أربعين سنة

(ينم) من النميمة (مليح) كثير الظهور (الحظ) البخت والنصيب (وشك) سرعة زواله (المبخوس) المنقوص (نكد) مشقة (الطالع) نجم الانسان والطالع يقابله الساقط (حميا) حدة (ثاب) رجع (صرد) خرج من قوسه وأراد بالسهم اللفظ الذى سمع منه جاره (الخبال) الفساد (الوبال) الثقل وهو وبال عليه أى ثقيل فى العاقبة وطعام

وضَيْعَةَ ما أُوْدِعَ ذلكَ الغِرْبالَ ، بَيْدَ أَنِّي عاَدْتُه ؛ عَلَى عَنَكُم ما أَفظْتُه ، وأَنْ يَحفظَ السِّرَّ ولو أحْفَظْتُه ، فَزَعَمَ أَنَّهُ يَخزُنُ الأَسْرارَ ، كما يَخزُنُ اللَّئِيمُ الدِينارَ ، وأنه لا يَهْتِكُ الأَسْتارَ ، ولو عُرِّضَ لأَنْ يَلِجَ النارَ ، فما إنْ غَبَرَ عَلَى ذلك الزمانِ ، إلا يَوْمٌ أو يَومانِ ، حتى بَدَا إلى أميرِ تلك المَدَرَةِ ، وواليها ذِي المَقْدِرَةِ ، أن يَقْصِدَ بابَ قَيْلِهِ ، مُجَدِّدًا عَرْضَ خَيْلِهِ ، ومُسْتَمْطِرًا عارضَ نَيْلِهِ ، وارْتادَ أَنْ تَصْحَبَهُ تُحْفَةٌ تُلائِمُ هَواه ، لِيُقَدِّمَها بين يَدَيْ نَجْواه ، وجَعَلَ يَبْذُلُ الجَعائِلَ لِرُوَّادِهِ ، ويُسَنِّي المَراغِبَ لمن يُظفِرُهُ بمُرادِه ، فأَسَفَّ ذلك

وبيل ثقيل متخم ومنه استوبلت المدينة إذ لم توافق جسمك وإن أحببتها (أودع) جعل فيه (الغربال) معلوم يشبه به النمام حيث لا يمسك ما جعل فيه قال الحطيئة يهجو أمه :

تنحي فاجلسي منى بعيدا ... أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرا ... وكانوا على المتحدثينا

كانوا أبرد أيام الشتاء ويريد أنها باردة الحديث قال كعب بن زهير رضى الله عنه :

ولا تمسك بالعهد الذى زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل

وقال فى الحماسة : ولا أكتم الأسرار لكن أنمها ... ولا أدع الأسرار تغلى على قلبى
وإن قليل العقل من بات ليلة ... تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب

وقال آخر : أعزز على بأخلاق وسمعت بها ... عند البرية يا فالوذج السوق
تضيق بالسر ذرعا إن خصصت به ... حتى يرى ذائعا كالنفخ فى البوق

وقال فى ضده ومستخبر عن سر ريا رددته ... بعمياء من ريا بغير يقين
وقال انتصحنى أننى لك ناصح ... وما أنا إن خبرته بأمين

وقال قيس بن الخطيم : إذا جاوز الاثنين سر فانه ... يبث وتكثير الحديث قمين
يكون له عندى إذا ما ضمنته ... مكان بسوداء الفؤاد مكين

وقال العباس بن الاحنف :

تعنيت تطلب ما استحق ... به الهجر منك ولا تقدر
وماذا يضرك من شهرتى ... إذا كان سرك لا يشهر
أمنى تخاف انتشار الحديث ... وحظى فى صونه أوفر
ولو لم أصنعه لبقيا عليك ... نظرت لنفسى كما تنظر

(بيد) بمعنى غير (عكم) ربط (أحفظته) أغضبته (يهتك) يخرق (غبر) مضى (المدرة) البلدة (قيله) ملكه الأعظم (مجددا عرض خيله) أى ليعرض ماعنده من الاجناد (النيل) أى العطاء (ارتاد) طلب (تحفة) هديه (تلائم) توافق (هواه) ارادته (نجواه) حديثه مع الملك ، والجعل حق من ذلك على حاجة والجعالة بمعناه والجعائل جمعها (يسنى) ييسر : وأصل (الرواد) طلاب المرعى: واحدهم رائد وأصل (الوسائل) أسباب الود (أسف)

الجبارُ المختارُ إلى بُدُولِهِ ؛ وعَصَى فى ادِّرَاعِ العارِ عَذْلَ عَذُولِهِ ، فأتى الوالِيَ ناشِرًا أُذُنَيه ، وأَبثَّه ، ما كُنْتُ أَسْرَرْتُهُ إليه ، فما رَاعنِي إلَّا انسِيابُ صاغِيَتِهِ إلَيَّ ، وانْثِيالُ حَفَدَتِه علَيَّ ، يَسُومُنى إيثارَهُ بالدُّرَّةِ اليَتِيمَةِ ، عَلَى أنْ أَتحكَّمَ عليه فى القِيمَةِ ، فغَشِيَنِى من الهمِّ ماغَشِيَ فِرْعَوْنَ وجُنُودَهُ من اليَمِّ ؛ ولم أَزَلْ أُدَافِعُ عَنْها

انحط ودنا وأسف الطائر تدلى نحو الأرض لشيء يأخذه وأسف الرجل طلب مذاق الأمور (والجار المختار) الخداع (بذوله) عطائه (ادراعه) لبسه الدرع (ناشرا اذنيه) اى طامعا وهو مثل (ابثه) قال له سره (ارعنى) أى افزعنى (انسياب) دخول (صاغيته) حاشيته ومن يميل اليه (انثيال) انصباب (حفدته) اتباعه (يسومنى) يعرض على (إيثاره) تفضيله على نفسى (الدرة اليتيمة) الجوهرة النفيسة وبهذا سمى الثعالبى كتابه الدرة اليتيمة أى الدرة المنفردة التى لا مثل لها واليتيمة درة مشهورة فى البيت الحرام أكبر من بيضة الحمامة استخرجها من البحر كاب جاء ليبلغ فتعلقت محارتها بفمه فنفضها فى البر فهى من عجائب الدنيا ومن عجائبها الحافر وهو حجر ياقوت شبه حافر الفرس ألصقه أمير المؤمنين بمصحف عثمان والغريبة الثالثة فرس ذهب لم يصنعه صانع إنما وجد فى معدن الذهب وهو عند ملك الحبشة بغانة (الذى غشى فرعون وجنوده من اليم) هو الغرق واليم البحر الذى ذهبت نفوسهم فيه ، ولا بد أن نلم بنبذة من خبر نكمل بها القصة حسبما شرطناه، وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما خرج فارا من فرعون حسبما قدمناه فى الخامسة توجه إلى مدين فبلغها كالاجائعا فقيرا فوجد الناس يسقون كما نص الله تعالى ووجد من دونهم أمرأتين تذودان أى تحبسان غنمهما فأخبرتاه بانهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء وأن لهما أبا شيخا كبيرا فرحمهما واقتلع الصخرة عن البئر وكان لا يرفعها إلا انفر فملأ وسقى لهما ثم تولى إلى ظل شجرة مثمرة فقال يارب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس رضى الله عنهما قال هذا موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل أراد خضرة البقل الذى أكل فى طريقه فرجعت الجاريتان بسرعة إلى أبيها فانكر مجيئها قبل الوقت الذى جرت العادة بمجيئهما فيه فأخبرتاه خبر موسى فأرسل إحداهما فأتته وهى تستحيى منه فقالت إن ابى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فمشى معها وهى بين يديه فضرب الريح ثوبها فنظر الى عجيزتها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق فلما أتى الشيخ سأله عن شانه فقص عليه قصته فقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت التى دعته يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين فقال لها الشيخ أما القوة فقد خبرته بقلع الصخرة فما يدريك امانته قالت له انى مشيت امامه فلم يحب ان يخوننى وردنى خلفه فقال له إنى أريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين الى آخر القصة فلما قضى أجله وسار باهله وكان فى شتاء رفعت له نار فيما رأى فكانت من نور الله تعالى فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا الآية ومعنى تصطلون أى من البرد فكان عند إتيانه لها ما أخبر الله تعالى من أنه نودى أن بورك من فى النار ومن حولها فلما فزع قال الحمد لله رب العالمين فنودى إنى أنا الله رب العالمين وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى أى اضرب بها ورق الشجر للغنم ومآرب اخرى من حمل الزاد عليها والسقاء وغير ذلك فقال ألقها ياموسى فالقاها فاذا هى حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب اى لم ينظر فنودى لا تخف إنك من الآمنين

الآيات فسأل الله أن يرسل معه أخاه هرون ردأ أى عونا لكونه كان أفصح منه لسانا للجمرة التى كانت أحرقت لسانه فى صغره فثقل لسانه فقال سنشد عضدك باخيك فأقبل موسى إلى أهله فصار بهم إلى مصر فدخلها ليلا فنزل ضيفا بأمه وأخيه وهم لا يعرفونه وهرون غائب فنزل بجانب الدار وجاء هرون فسأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدعاه وأكل معه ثم سأله من هو فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما لصاحبه واعتنقه فقال له موسى يا هرون إن الله قد أرسلنى وإياك إلى فرعون فانطلق معى فقال سمعا وطاعة فصاحت أمهما وقالت نشد تكما الله تعالى أن لا تذهبا اليه فيقتلكما فسكتناها ثم انطلقا اليه ليلا فى قول السدى وضربا الباب فكلمهما البواب فقالا له أنا رسولا رب العالمين ففزع البواب فأتى فرعون فأخبره أن مجنونين بالباب يزعمان كذا فقال أدخلهما ، وأما ابن اسحق فحدث أنهما وقفا على باب فرعون يلتمسان الاذن يغدوان ويروحان سنتين وفرعون لا يعرف بهما حتى دخل ملهله فقال له أيها الملك أن على الباب رجلا يزعم أن له الها غيرك فقال أدخلوه فدخلا وبيد موسى عصاه فلما وقفا عرفه فرعون فقالا إنا رسولا رب العالمين فجاوبه بقوله ألم نربك فينا وليدا الآيات . ثم ذكره أياديه قبله فقال له موسى وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل أى اتخذتهم عبيدا تقتل من شئت وتسرق من شئت فقال له ومارب العالمين فأراه الآية الكبرى فى العصا أن ألقاها فاذاهى ثعبان مبين ملات ما بين السماطين فاتحة فاها قد صارت محجنها على ظهرها فأرفض الناس ومال فرعون عن سريره فناشد موسى بربه فادخل يده فى جيبه فأخرجها بيضاء كالثلج ثم ردها فعادت هيئتها ثم وضع يده على الحية فصارت عصا كما كانت أول مرة وأخذ فرعون بطنه وكان فيما يزعم يمكث الخمس والست ولا يلتمس الخلاء وكان ذلك مما زين له أنه ليس له شبيه فى الناس فقال لملئه إن هذا لسحر عظيم فجمع السحرة ووعدهم ليوم العيد وأن يحشر الناس ضحى يحضرون أمرهم مع موسى فاجتمعوا لذلك اليوم فصف خمسة عشر ألف ساحر كل ساحر له نوع من السحر فخرج موسى يتوكأ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون فى مجلسه مشرف على وجوه أهل مملكته فقال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب الآية . فقال بعضهم لبعض أهكذا يقول ساحر فخيروه فى أن يلقى أو يلقوا فقال بل ألقوا فخيلوا بحبالهم وعصيهم أشياء حيروا بها العقول من حيات قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ونيران تحرق فى ظاهر ما مرت به وظلم متكاثفة كما وصف الله تعالى واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ففزع موسى وأخوه لهول ما رأيا وذلك قوله فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى الآيات فالقى موسى عصاه فجعلت تلقف كل ماخيلوا به وكانوا جلبوا آلاتهم فى السفن فى النيل فابتلعت السفن وأقبلت فاتحة فاها على قبة فرعون بمن فيها ففروا وتعلقوا بموسى يستنقذون به فأخذها موسى فاذا هى عصا فى يده كما كانت فوقع السحرة سجدا قائلين آمنا برب هرون وموسى لما تبينوا أن أمر العصا إلهى ليس من تخاييلهم فقال لهم فرعون آمنتم له قبل أن آذن لكم الآية إلى قوله تعالى والله خير وأبقى أى لا سلطان لك إلا فى الدنيا ولا سلطان لك بعدها قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين فقتلهم فكانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء ثم أمر الله تعالى نبيه موسى أن يخرج بنى إسرائيل فقال أسر بعبادى ليلا فامرهم أن يستعير الحلى من القبط فخرجوا ليلا وألقى الله على القبط النوم حتى طلعت الشمس وكان موسى على ساقه بنى اسرائيل وهارون على المقدمه وعدد بنى اسرائيل ستمائة

ولا يُغنِى الدِّفاع ؛ وأَسْتَشْفِعُ إليه ولا يُجدِى الاسْتِشْفاع ، وكلما رَأى مِنِّى ازْدِيادَ الاعْتِياص ، وارْتِيادَ المَناص تَجَرَّمَ وتَضَرَّم ، وحَرَّقَ عليَّ الأُرَّم ، ونَفْسى مع ذلك لاتَسْمَحُ بِمفارَقَةِ بَدْرِى ، ولابأَنْ تَنزِعَ قَلْبى من صَدْرِى حتى آلَ الوَعِيدُ إيقاعا ، والتَّقْرِيعُ قِراعا ، فقادَنى الإشْفاقُ مِنَ الحَيْن ؛ إلى أنْ قضْتُهُ سوادَ العَين بصُفْرَةِ العَين ، ولم يحظَ الوَاشى بغير الإثم والشَّين ، فعاهَدْتُ اللهَ تعالى مُذْ ذلك العَهْد ، أنْ لا أُحاضرَ نَمّاماً

ألف وعشرون ألف مقاتل لايعدون ابن العشرة لصغره ولاابن الستين لكبره وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان وهم فى ألف ألف وسبعمائة ألف فذلك قوله تعالى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين فلما تراءى الجمعان قالوا ياموسى أوذينا من قبل أن تأتينا بالذبح ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا فقال كلا إن معى ربى سيهدين فاتى موسى البحر وكناه أبا خالد فضربه بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل فصار فى البحر اثنا عشر طريقا فدخل كل سبط طريقه وكل سبط يقول قتل أصحابنا ففتح الله بينهم قناطر فنظر آخرهم إلى أولهم وجاء فرعون ومن معه فابت خيله أن تقتحم فاقتحمها جبريل على فرس أنثى فاقتحمت الخيل فى أثره فلما توسط البحر أمر البحر أن يأخذهم فانضم عليهم فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وجعل جبريل يدس الطين فى فمه لئلايتم الكلمة فيرحمه الله وميكائيل يقول آلآن وقد عصيت قبل وأخرج الله بدن فرعون ميتا حتى عرفه بنو اسرائيل فهذا هو الذى غشى فرعون وجنوده من اليم (الاعتياص) أى التصعب واعتاص الشىء اعتياصا تصعب وتلوى (المناص) الملجأ والمفر (وتجرم) أتى الجرم (وتضرم) اشتد غضبه (والارم) الاسنان (وحرق) عض بعضها على بعض حتى صوت وذلك لشدة الغيظ وهومثل (آل) رجع (الوعيد) التهديد (قراعا) ضربا والقراع الخبط والضرب والتقريع الأخذ باللسان يريد هددونى فلما أبيت ضربونى (الحين) الموت (قضته) عاوضته وبادلته (سواد العين) جاريته التى هى نور عينه (صفرة العين) لون الدنانير (لم يحظ) لم يأخذ حظوة وهى النصيب (الواشى النمام) سمى واشيا لاستخراجه الاخبار وتوصله إلى معرفتها من قولهم فلان يوشى الخبر إذا استخرجه وقيل سمى واشيا لتحسينه ما ينقل من الاخبار وثوب موشى محسن بما فيه من النقوش وقيل هو من الشية وهى العلامة كأنه جعل لنفسه علامة من الوصف القبيح (والشين) العيب ... وعلى وصف الجارية المذكورة بالأدب والجمال نريد أن نسوق فصلا فى الجوارى ذوات الأدب ممن أهديت إلى مالك كحال هذه أولها معه سبب.

حدث الأصمعى قال بعث لى هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فأنزلنى الفضل بن الربيع ثم أدخلنى عليه وقت المغرب فاستدنانى وقال لى ياعبد الملك وجهت فيك بسبب جاريتين أهديتا إلى لهما أدب أحببت أن تبرز ماعندهما وتشير على بالصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فأحضرتا فرأيت جاريتين ما رأيت مثلهما قط فقلت لأحداهما ما عندك من العلم فقالت ماأمر الله فى كتابه ثم ماينظر الناس فيه من الأخبار والاشعار فسألتها عن حروف من القرآن فأجابتنى كأنها تقرأ القرآن فى كتاب ثم سألتها عن الاخبار والأشعار والنحو والعروض فما قصرت فى جوابى فى كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيئا فانشدت :

ياغياث العباد فى كل محل ما يريد العباد إلا رضاكا
لا ومن شرف الامام وأعلى ما أطاع الاله عبد عصاكا

فقلت ياأمير المؤمنين ما رأيت امرأة فى مسك رجل مثلها ،وخبرت الأخرى فوجدتها دونها فامر أن تصنع تلك الجارية لتحمل اليه فى تلك الليلة ،ثم قال ياعبد الملك أنا ضجر وأحب أن تسمعنى حديثا ماشهدت من أعاجيب الزمان أتفرح به فقلت ياأمير المؤمنين كان لى صاحب فى بدو بنى فلان وكنت أغشاه وأتحدث اليه وقد أتت عليه ستة وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهنا وأقواهم بدنا فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته ما سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فألفيت عندهم جارية قد طت بالورس بدنها وفى عنقها طبل تنشد عليه :

محاسنها سهام للمنايا مريشة بأنواع الخطوب
ترى ريب المنون لهن سهما يصيب بنصله مهج القلوب

فقلت :
فنى شفتى فى موضوع الطبل ترتعى كما قد ابحت الطبل فى جيدك الحسن
هبينى عودا يابسا تحت شقة يمتع فيما بين نحرك والذقن

فلما سمعت الشعر رمت الطبل فى وجهى ودخلت الخيمه فوقفت حتى حميت الشمس على مفرق رأسى فلم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغيير من عشق لها فضحك الرشيد حتى استلق ثم قال ويلك ياعبد الملك ابن ست وتسعين يعشق؟ فقلت له قد كان هذا فقال ياعباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده إلى مدينة السلام فانصرف ثم أتانى الخادم فقال أنا رسول بنتك يعنى الجارية تقول لك ان أمير المؤمنين أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع لى الف دينار فلم تزل تواصلنى بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها عنى وامر لى الفضل بعشرة آلاف درهم. حدث على بن الجهم قال لما أفضت الخلافه إلى المتوكل أهدى اليه الناس على اقدارهم فأهدى اليه ابن طاهر جارية أديبة تسمى محبوبة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة فخرج وهو يضحك فقال ياعلى دخلت فرأيت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك جعفرا فما رأيت احسن منه فقل فيه شيئا فسبقتنى محبوبه فقالت وأخذت عودها وغنت :

وكاتبة فى الخد بالمسك جعفرا بنفسى محط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرا من المسك خدها لقد أودعت قلبى من الوجد أسطرا
فيامن مناها فى السريرة جعفر سقى الله من سقيا من ثناياك جعفرا
ويامن لمملوك يظل مليكه مطيعا له فيما أسر وأجهرا
ويامن لعينى من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المسكرات لجعفرا

قال فتقلبت خواطرى حتى كانى ما أحسن حرفا من الشعر فقلت للمتوكل اقلنى فقد والله عزب ذهنى عنى فلم يزل يعيرنى به ثم دخلت عليه بعد ذلك للمنادمة فقال ياعلى أعلمت انى غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ومنعت أهل القصر من كلامها فقلت ياسيدى إن غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك

ياعلى رأيت البارحة فى النوم كأنى صالحت محبوبة فقالت جاريته شاطر : ياسيدى لقد سمعت الآن فى مقصورتها هينمة فقال قم حتى ننظر ماهى فقام حافيا حتى قربنا من مقصورتها فاذا هى تغنى وتقول :

أدور فى القصر لا أرى أحدا   أشكو اليه ولا يكلمنى
كأنى قد أتيت معصية   ليست لها توبة تخلصنى
فمن شفيع لنا إلى ملك   قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى إذا ما الصباح عادلنا   عاد إلى هجره فصار منى

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها فى التراب حتى أخذ بيدها راضيا عنها .حدث أبو على بن الاسكرى المصرى واسكرى القرية التى ولد بها موسى عليه السلام قال كنت من جلاس تميم بن أبى تميم وممن يخف عليه فاتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا جلاسه ومدت الستارة فأمرها فغنت :

وبداله من بعدها اندمل الهوى   برق تالق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنع أركانه
وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق   نظرا اليه وصده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سمحت به أجفانه

قال فأحسنت ما شاءت وطرب تميم ومن حضر ثم غنت :

ستسليك عما فات دولة مفضل   أوائله محمودة وأواخره
ثنى الله عطفيه وألف شخصه   على البر مذ شدت عليه مازره

فطرب تميم ومن حضر طربا شديدا ثم غنت :

استودع الله لى فى بغداد قمرا   بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

وأفرط تميم فى الطرب جدا ثم قال لها تمنى ماشئت فلك مناك فقالت أتمنى عافية الأمير وسعادته فقال لابد والله فقالت على الوفاء أتمنى أيها الأمير فقال نعم فقالت أتمنى ان أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقنى بعض خدمه فردنى فلما وقفت بين يديه قال ويحك أرأيت مالمتحنا به ولا بد من الوفاء ومأثق فى هذا بغيرك فتاهب لتحملها إلى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة فأصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر لى بناقة وبجمل عليه هودج فادخلت فيه وسرنا مع القافلة إلى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية أتتنى السوداء فقالت لى تقول لك سيدتى أين نحن فقلت نحن نزول بالقادسية فأخبرتها فسمعت صوتها قد ارتفع بالغناء :

لما نزلنا القادسية حيث مجتمع الرفاق   وسممت من أرض الحجاز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لى ولمن أحب بجمع شمل واتفاق   وضحكت من فرح اللقاء كما بكيت من الفراق

فصاح الناس من اقطار القافلة أعيدى أعيدى بالله فما سمع لها كلمة فلما نزلنا الياسرية على خمسة أميال من بغداد فى بساتين متصلة يبيت الناس بها ثم يبكرون لبغداد بتنا هناك فلما قرب للصباح إذا بالسوداء قد أتتنى مذعورة فقالت إن سيدتى ليست بحاضرة ووالله لا أدرى أين هى فطلبتها فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد

مِنْ بَعْدَ، وَالزُّجاجُ مَخْصُوصٌ بِهذِهِ الطِّباعِ الذَّمِيمَة ،

خيرا فقضيت حوائجى ببغداد وانصرفت إلى تميم فأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها ، وأخبار القيان كثيرة فلنقتصر على هذا القدر ... ومما جاء فى الواشى ماحكى أن رجلا وشى برجل إلى بلال بن أبى بردة فقال للساعى انصرف حتى أكشف عما ذكرت فلما كشف عن الساعى إذا هو لغير رشدة قال أنبانا أبو عمرو وما كذبت ولا كذبت حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : الساعى لغير رشدة ... وذكر السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن من غيهم إلا أنهم أصدق مايكونون أبغض ما يكونون عند الله لكفاك ...وقال ذو الرياستين قبول النميمة شر من النميمة لأن النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه وقد جعل الله السامع شريك القائل فقال سماعون للكذب وقال الشاعر :

لعمرك ماسب الأمير عدوه ... ولكنما سب الأمير المبلغ

ووشى واش بعبد الله بن همام السلولى إلى زياد فقال له إنه هجاك فقال أجمع بينكما قال نعم فبعث إلى ابن همام وأدخل الرجل بيتا فقال زياد بن همام بلغنى انك هجوتنى فقال كلا أصلحك الله مافعلت ولا أنت لذلك بأهل فاخرج الرجل وقال إن هذا أخبرنى فاطرق ابن همام هنيهة ثم أقبل على الرجل :

وأنت امرؤ إما ائتمنك خاليا ... فخنت وإما قلت قولا بلا علم
فانت من الأمر الذى كان بيننا ... بمنزلة بين الخيانة والاثم

فاعجب زياد بجوابه وأقصى الواشى ولم يقبل منه قال وأنشد الشاعر

لاتقبلن نميمة من قائل ... وتحفظن من الذى أنباكها
إن الذى أنباك عنه نميمة ... سيدب عنك نميمة قدحاكها

على بن أبى طالب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن موسى قال يارب إنى حيث ذهبت لا أنصر ولا أخذل فأوحى الله اليه أن فى عسكرك غمازا قال يارب دلنى عليه قال ياموسى أبغض الغماز فكيف أغمز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبغضكم إلى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون بين البرآء العيب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى فذكر رجلا يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة (والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة) قال السرى فيما يتعلق بالزجاج من النم :

رأيتك تبدى للصديق نوافذا ... عدوك من أمثالها الدهر آمن
وتكشف أسرار الاخلاء مازحا ... ويارب مزاح راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بينى وبينك صائنا ... عهودك أن المرء للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهنا ... قلى منك خل ماعلمت مدان
انم بما استودعته من زجاجة ... يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

وقال ابن المعتز :

لحا الله أمرأ أعطاك سرا ... فضيعه وقض الله فاه
فانك كلما استودعت سرا ... أنم من الزجاج بما وعاه

وبه يُضرَبُ المَثَلُ فى النَّميمة ، فقد جَرَى عليه سَيْلُ يَمينى ولذلكمُ الحُبُّ لم تمتَدَّ إليه يَمينى :

وقال السرى : أستودع الله خلا منك أوسعه ودا ويوسعنى غشا وتمويها
كأن سرى فى أحشائه لهب فما يطيق له ضما حواشيها
قدكان صدرك للأسرار جندلة ضنينة بالذى تخفى نواحيها
فعاد من بث ماأستودعت جوهرة رقيقة تستشف العين مافيها

وله أيضاً: ثنائى عنك ماأستشعرت شرا خلال فيك لست لها براضى
وانك كلما استودعت سرا أنم من النسيم على الرياض

(وبه جرى المثل فى النميمة) يقال أنم من الزجاجة على مافيها لأنه جوهر لا يكتم مافيه ، قال الأصبهانى مازال البلغاء يتعاطون وصف هذا الجوهر فعبروا عن مدحه وذمه : فاما ذمه فان إبراهيم بن سيار النظام أخرجه فى كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سريع الكسر بطىء الجبر ، وقال فى الذهب الذهب لئيم لأن الشكل يصير إلى شكله وهو عند اللئام أكثر منه عند الكرام . . وأما سهل بن هرون فكان يوما بمجلس أحد الملوك وشداد الحربى بعدد خصال الذهب فقال هو أبقى الجواهر على الدفن وأصبرها على الماء وأقلها نقصا فى النار وهو أوزن من كل ذى وزن إذ كان فى مقدار شخصه ولو وضعت على ظهر الزئبق فى إنائه قيراطا من ذهب لرسب حتى يضرب قعر الاناء وسائر الجواهر تطفو فوقه ولو كان الجوهر ذا وزن ثقيل ورجح عظيم ولا تشد الاسنان المنفلقة بغيره ولا يوضع فى مكان الانوف المصطلمة سواه وميله أجود الأميال والهند تمره فى العين بلا كحل لصلاح طبعه وعليه مدار التبايع مذ كان التبايع وهو ثمن لكل شىء وهو الزرياب والصفائح التى تكون فى سقف الملوك والطبخ فى قدوره أغذى وأمرأ وسئل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن الكبريت الأحمر فقال هو الذهب ، فأدرك سهل بن هرون من الغيرة والحسد مادعاه إلى معارضته فقال بذم الذهب ويفضل الزجاج : الذهب مخلوق والزجاج مصنوع وإن فضله الذهب بالصلابة فضله الزجاج بالصفاء والزجاج أبقى على الدفن والزجاج نور علوى والذهب مياع سيال ولم تتخذ الناس آنية الشراب أجمع لما يريدون من الشراب منه والشراب فيها أحسن منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه التنديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع فى السوم وكان سليمان إذا شرب فى إناء كاحت فى وجه مردة الجن فعلمه الله تعالى صنعة القوارير فحسم عن نفسه تلك الجراءة ومن كرع فيه فكأنما كرع فى إناء من ماء وهواء ونور وقد تقدح النار من كسر قنينة الزجاج إذا كان فيها ماء لأن طبع الزجاج والماء والهواء والشمس واحد وليس فيما يدور الفلك عليه أقبل لكل صبغ منه وأحدر أن لا يفارقه حتى كأن ذلك الصبغ جوهرية فيه ومتى سقط عليه ضياء أنفذه إلى الجانب الآخر وأعاره لونه فان كان الجام ذا لونين أراك الوشى أحسن من وشى صنعاء ومن ديباج تستر وإذا وقع شعاع المصباح على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحاً واحداً ورد الضياء كل واحد منهما على صاحبه واعتبروا ذلك بالشعاع الذى يسقط على المرآة على وجه الماء أو على الزجاج ثم انظروا كيف يتضاعف نوره وإن كان سقوطه على عين إنسان أعشاه وربما أعماه قال الله تعالى الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح

فَلا تَعذِلونى بعدَ ما قد شَرَحْتُهُ على أنْ حُرِمْتُم بى اقْتطافَ القطائفِ
فقد بانَ عُذرى فى صَنيعى وإنَّنى سَأَرْتقُ فَتْقى من تَليدى وطارفى
على أنَّ ما زَوَّدْتُكُم من فُكاهَةٍ ألذُّ مِنَ الحَلْوَى لَدَى كلِّ عارِفِ

قال الحارثُ بنُ همامٍ : فَقَبِلْنا اعتِذارَه ، وقَبَّلْنا عذارَه ، وقُلْنا له : قِدْماً وَقَذَتِ النَّميمةُ خَيرَ البَشَر ، حتى انتَشَرَ عن حَمالةِ الحطبِ ما انتَشَرَ ؛ ثم سألناهُ عَمّا أحدَثَ جارُهُ القَتّات .

المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى ، والزيت فى الزجاجة نور على نور وقال الله تعالى إنه صرح ممرد من قوارير وقال تعالى وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة منها فاشتق اسما للفضة منها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحادى بابله يا أنيس ارفق بالقوارير فاشتق للنساء اسما منه وقدوره أطيب طعاما من قدور الحجارة وهى لا تصدأ وإن اتسخت فالماء وحده لها جلاء ومتى غسلت عادت جددا واسم الذهب يتطير منه وإن سقط عليك قتلك ومن لؤمه سرعته إلى بيوت اللئام وابطاؤه عن بيوت الكرام وهو من مصايد الشيطان ولذلك قالوا أهلك الرجال الأحمران وهو فتان قتال لمن أصابه . فلم يبق فى المجلس احد إلا تحير من ذلك وتعجب من بلاغته وحسن بديهته واحتجاجه فى معارضته من غير رويته وأيقن أنه ليس دون اللسان حاجز وأنه مخراق يذهب فى كل فن فاذا صح العقل صح تقويم اللسان (القطائف) هى ما يجنى من الثمار يريد بها الحلوى التى حرمهم أكلها (الرتق) السد والأغلاق وهو ضد الفتق ويقال هو الفائق الراتق أى هو مالك الأمر فهو يفتح ويغلق ويضيق ويوسع ورتق ضم وجمع وامرأه رتقاء لا يصل إليها الرجال وقوله تعالى أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما أى كانتا سماء واحدة وأرضا واحدة فجعلت كل واحدة منها سبعا وقيل كانتا معا ففتقناهما بالهواء الذى بينهما وقيل فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فقال سأسد ما خرقته (التليد) المال القديم (الطريف) المكتسب (فكاهة) ملح (عذاره) شعر خده شبه بالشوكة التى تقع على خد الفرس وقد عذرت الفرس عذرا واعذرته بالعذار بمعنى الجمة واعذرت اللجام جعلت له عذارا . . وأنشد ابن رشيق فى معذر :

واسمر اللون عسجدى يكاد يستمطر الجهاما ضاق بحمل العذار ذرعا
كالمهر لا يعرف اللجاما ونكس الرأس إذ رآنى كآبة واكتسى احتشاما
وظن أن العذار مما يزيح عن قلبى الغراما وما درى انه نبات
أنبت فى قلبى الساقا وهل ترى عارضاه إلا حمائلا قلدت حساما

(قدما وقذت) اى قديما امرضت وأوجعت (حمالة الحطب) هى ام جميل بنت حرب عمة معاوية وامرأة أبى لهب وكانت تمشى بالنميمة بين للنبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وقيل بين زوجها وبين النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك للماشى بالنميمة لأن الحطب يهيج النار والنميمة تهيج الشر وقيل سميت حمالة الحطب لأنها كانت تطرح الشوك للنبى صلى الله عليه وسلم فى طريقه وكانت عوراء وأبو لهب أحول (القتات) النمام

ودُخْلُلُهُ الْمُقْتَات، بعد أنْ رَاشَ له نَيْلَ السِّعاية ، وجَذَمَ حَبْلَ الرِّعاية ، فقال أخَذَ فى الاسْتِخْذاء والاسْتِكانة ، والاستِشفاعَ إليَّ بذَوى المَكَانَة ؛ وَكُنْتُ حَرَّجْتُ عَلَى نَفْسِى ، أنْ لا يَسْتَرْجِعَهُ أُنسى ، أوْ يَرْجِعَ إلَى أمْسِى ، فلم يَكُنْ له مِنِّى سِوَى الرَّدِّ ؛ وَالإضْرَارِ عَلَى الصَّدِّ ، وَهو لا يَكْتَئِبُ مِنَ النَّجْه ، ولا يَتَّئِبُ من وَقاحةِ الوجه ، بلْ يُلِظُّ بالوسائل ، ويُلحُّ فى المسائل ، فما أنقَذَنى منْ إبْرَامِهِ ، وَلا أَبْعَدَ عليه نَيْلَ مَرَامِه ، إلَّا أبْيَاتٌ نَفَثَ بِها الصَّدْرُ المَوْتُورُ ، وَالخَاطِرُ المَبْتُور ، فإنَّها كَانَتْ مَدْحَرَةَ شَيْطَانِه ، ومَسْجَنَةً له فى أوطانه ، وعِنْدَ انْتِشَارِهَا بَتَّ طَلَاقَ الْحُبُور ، وَدَعا بالوَيْلِ وَالثُّبُور ، ويَئِسَ مِنْ نَشْرِ وَصْلِي المَقْبُور ، كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أصْحَابِ القُبُور فنَاشَدْناهُ أنْ يُنْشِدَنَا إيَّاهَا ، وَيُنْشِقَنا رَيَّاهَا ، فقالَ : أجَلْ ، خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَل ، ثم أنْشَد لا يَزْوِيه خَجَل ، ولا يَثْنِيه وَجَل :

وندِيمٍ مَحَضْتُهُ صِدْقَ وُدِّى ... إذْ تَوَهَّمْتُهُ صَدِيقاً حَمِيما

والكذب والنميمة قت وقت يقت قتا مشى بالنميمة ونم ينم نما ضيع الأحاديث ولم يحفظها وقيل النميمة من قولهم جلود لم نمت إذا تمسك الماء والقتات أيضا المتسمع على من ليس يشعر به وهو القتات والنمام والعساس والهمام والهماز والغماز والمهينم والمورش والمورش والممنس وقد مأس يمأس (دخلله) خاصته العالم بداخل أمره) المقتات دخله المستبد برأيه المستور على مالا ينبغى له (راش) جعل لها ريشا (السعاية) المشى بالنميمة (جذم) قطع (الرعاية) حفظ الصداقة (الاستخذاء) الخضوع (والاستكانة) الذل (ذو والمكانة) أهل الجاه (حرجت) أثمت وضيقت عليها بيمين أكيده (الاصرار) العزيمه (والصد) الأعراض عنه (يكتئب) يهتم (النجه) الجفاء وتغليظ الكلام (يتئب) يرجع (يلط) يكثر اللزوم بها ويقال الظ بالشيء إذا لزمه (إبرامه) ثقله (نفث) نطق وتكلم (الموتور) المظلوم (المبتور) المقطوع بالهم (مدحرة) مدفعة ومبعدة ودحرت الشيء دحورا ودحرا أبعدته ودحر هو بعد (بت)قطع وأمضى وجمله بتاتا وهو مالا رجعة له فيه (الحبور) السرور وحبرته حبرة سررته (الثبور) الهلاك وثبر الله العدو ثبورا أهلكه (يئس) قطع رجاءه (نشر) أحيا (المقبور) المدفون (ناشدناه) وجعلناه (ينشقنا رياها) يشممنا رائحتها (أجل) حرف جواب بمعنى نعم (خلق الانسان من عجل) قال أبو على هو على القلب معناه خلق العجل من الانسان قال الزجاج ويدل على ذلك قوله تعالى وخلق الانسان عجولا ومثله وقد بلغنى الكبر أى بلغت الكبر ومثله فاختلط به نبات الأرض قال الشماخ كما غضت العليا بالعود أى العود بالعلياء . .... وقال القطامى

كما طينت بالفدان السياعا أى طينت الفدن بالسياع وهو الطين بالتين والفدن القصر وقال ابن مقبل وابتدلت: وقع المحاجن بالمهرية الزفن ...أى ابتدل المهرية بوقع المحاجن ،ومن جعل العجل الطين فلا قلب فيه وأراد لم يصبروا عن الابيات لعجلتهم فى طلبها (يزويه) أى يقبضه (خجل حياء وقد خجل) إذا استحيا (يثنيه) يرده (وجل) خوف (محضته) أى أخلصته (توهمته) حسبته (الحميم) الخاص من الاخوان (الحميم) الثانى

ثم أوليْتَهُ قَطيعَةَ قَالٍ   حينَ ألفيتَهُ صَديدًا حَميمَا
خِلتَهُ قبلَ أنْ يُجرِّبَ إلفاً   ذا ذِمامٍ فَبانَ جِلْفًا ذَميمَا
وتَخيرْتَهُ كَليمًا وأمسَى   مِنْهُ قَلبِي بما جَناهُ كَليمَا

الماء الحار الساخن (الصيد) الدم المختلط بالقيح (أوليته) ألصقت به (القطيعة) البعد(قال) مبغض (الفا) صاحب (ذمام) عهد (بان) تبين (جلفا) جافيا (ذميا) مذموما (كليا) الأول مكلما والثاني مجروحا ... وقد أكثر الناس من التشكي بغدر الإخوان وقلة الوفاء منهم على قديم الزمان وحديثه . . ونسوق منه مايليق بهذا الموضع قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى لصديق له هل بلغك شيء تكرهه ممن لاتعرف قال لاقال فأقلل ممن تعرف . . الجاحظ : قرىء على باب شيخ من أهل الرى جزى الله من لا يعرفنا ولا نعرفه خيرا ، كأنه اتقى من ثقاته . . وقال أمرؤ القيس بن حجر :

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته   وقرت به العينان بدلت آخر
كذلك جدى ما أصاب صاحبا   من الناس إلا خانني وتغيرا

وقال النابغة :   ولست بمستبق أخا لاتلمه   على شعث أى الرجال المهذب

ولما انحرف ابن الزيات عن ابراهيم بن العباس الصولى تحاماه الناس أن يلقوه وكان الحرث بن سنجر صديقا له فهجره من ذلك فكتب إليه :

تغير لى فيمن تغير حارث   وكم من خليل غيرته الحوادث
أحارث إن أشركت فيك فطالما   نعمنا ومابيني وبينك ثالث

وكتب لابن الزيات :

أخي بيني وبين الدهر   صاحب أينا غلبا
صديق ما استقام فان   نبا دهر على نبا
وثبت على الزمان به   فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا   لعاد أخا به حدبا

وكتب إليه أيضا :   وكنت أخي باخاء الزمان   فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت إليك ألوم الزمان   فأصبحت فيك ألوم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات   فأصبحت أطلب منك الأمانا

قال أبو فراس :   اقلب طرفى لا أرى غير صاحب   يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أن المتارك محسن   وأن خليلا لايضر جليل
تصرف أحوال الرجال فلم يكن   إلى غير شاك فى الزمان وصول
أكل خليل هكذا غير منصف   وكل زمان بالكرام بخيل

وله أيضا :   إذا الخل لم يهجرك إلا ملالة   فليس له إلا الفراق عتاب

وتظنيته معينا رحيما ... فتبينته لعينا رجيما
وتراءيته مريدا فجلى ... عنه سبكى له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما ... فأبى أن يهب إلا سموما

إذا لم أجد من خلة ما أريده ... فعندى لأخرى عزمة وركاب
بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ... ومن أين للحرم الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئابا على أجسادهن ثياب

وقال الخباز البلوى : ألا إن إخوانى الذين عهدتهم ... أفاعى رمال لاتقصر فى اللسع
ظننت بهم خيرا فلما بلوتهم ... نزلت بواد منهم غير ذى زرع

ولابن هزون القرطبى: ذهب الوفاء فلا وفاء يرتجى ... تلقى الصديق من الوفا عريانا
يعطيك ودا صادقا بلسانه ... ويجن تحت ضلوعه الوانا

وقال المعرى : فظن بسائر الإخوان شرا ... ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى ... لما طلعت مخافة أن تكادا
تجنبت الانام فلا أؤاخى ... وغبت عن الأنام فلا أعادى
فأى الناس أجعله صديقا ... وأى الأرض أسكنها ارتيادا

وله أيضا : والخل كالماء يبدى لى ضمائره ... مع الصفاء ويخفيها الكدر

وكتب المعتصم صاحب المرية إلى ابن عمار :

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ... وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الأيام خلا تسرنى ... مباديه إلا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة ... من الدهر إلا كان احدى المصائب

وقال البحترى : أما العداة فقد أروك نفوسهم ... فاقصد بسوء ظنونك الإخوانا

وقال أيضا :

أما العدو فيبدى ماعنده ويكاشف ... لكن توق وحاذر من الصديق الملاطف

وقال منصور بن إسمعيل التميمى الفقيه قال ابن رشيق :

لو قيل لى خذ أمانا من حادث الزمان ... لما أخذت أمانا إلا من الاخوان

وهذا الباب لايحصى كثرة (تظنيته) أى حسبته وأبدل من احدى نونيه ياء (لعينا رجيما) شيطانا مبعدا مرجوما بالنجوم وقيل الرجيم المرجوم أى المشتوم المسبوب من قوله سبحانه وتعالى لئن لم تنته لأرجمنك أى لأسبنك وقيل الرجيم الملعون وهو مذهب أهل التفسير فمعنى اللعين والرجيم واحد (تراءيته) ظننته من تراءى لى الشيء ظهر بعض الظهور (مريدا) محبا (جلى) كشف (سبكى) تجربى (مريدا) كثير الشر خبيثا (لئيما) وضيع القدر خسيس الهمة (توسمت) ظننت وتوسمت فيه الخير أى رأيت فيه سمته أى علامته (والنسيم) الريح اللينة (والسموم)

بتُّ مِن لَسْعِهِ أعجزَ الرَّا ... قِ سَليماً وباتَ منّى سَليما
وبدا نَهجُهُ غداةَ افترقنا ... مُسْتَقيماً والجِسْمُ منّى سَقِيما
لم يكُنْ رائعاً خصيباً ولكنْ ... كانَ بالشَّرِّ رائعاً لى خصيما
قُلْتُ لمّا بَلَوْتُهُ ليْتَه كا ... نَ عَديماً ولم يكُنْ لى نَديما
بَغِضَ الصُّبحُ حينَ نَمَّ إلى قَلْـ ... ـبى لأنَّ الصَّباحَ يُلفَى نَموما
ودعانى إلى هَوَى اللَّيلِ إذ كا ... نَ سَوادُ الدُّجى رَقيباً كَتُوما
وكَفَى مَن يَشِي ولَوْ فاه بالصِّدْ ... قِ أثاماً فيما أتاهُ ولُوما

الحارة (لسعه) ضره (سليم) الأول ملدوغ والثانى سالم (ورائع) الأول حسن المنظر والثانى مفزع (بلوته) جربته (عديما) غير موجود (يلفى) يوجد (هوى) حب (رقيبا) حافظا (يشى) ينم (فاه) نطق (بغض الصبح) هو من المثل الليل أخفى للويل وقالوا أنم من الصبح لأنه يهتك حجاب الظلام وقال بعض الحكماء لابنه اجعل نظرك فى العلم ليلا لأن القلب فى النهار كالطائر وهو فى الليل ساكن فما ألقيت فيه من شىء وعاه. فأما أكثر الشعراء فهم إلى الليل أفزع ومن النهار أنزع؛ لأن الليل أجمع لشتات الهموم والفكر وأجلب لشوارد الأحزان والذكر. قال امرؤ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... على بأنواع الهموم ليبتلى

وقال النابغة: وصدر أراح الليل عازب همه ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وقال قيس بن ذريح: نهارى نهار الناس حتى إذا بدا ... لى الليل أدتنى إليك المضاجع

وقال الطرماح بن حكيم: ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح ... بهم وما الاصباح فيك بأروح

بلى ان للعينين فى الصبح راحة ... لطرحهما طرفيهما كل مطروح

وقال ابن المعتز: لا تلق إلا بليل من تواصله ... فالشمس نمامة والليل قواد

كم عاشق وظلام الليل يستره ... لاقى الأحبة والواشون رقاد

وقال المتنبى وأجاد: كم زورة لك فى الأعراب خافيه ... أدهى وقد رقدوا من زورة الذئب

أزورهم وسواد الليل يشفع لى ... وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

وهذا البيت أمير شعره على كثرة الجيد فيه؛ والبديع فيه أنه قابل الشطر الأول بالثانى حرفا بحرف فقابل أزورهم بقوله أنثنى وسواد الليل ببياض الصبح ويشفع لى بيغرى بى؛ وحكى ابن جنى قال حدثنى المتنبى وقت القراءة عليه قال قال لى ابن خنزابة وزير كافور أعلمت أنى أحضرت كتبى كلها وجماعة من أهل الأدب يطلبون من أين أخذت هذا المعنى فلم يظفروا به وكان أكثر من رأيت كتبا قال ابن جنى ثم عثرت على الموضع الذى أخذ منه وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ صغير جرى فيه معنى بيت المتنبى كله على جزالة لفظه وحسن تقسيمه وهو فالشمس نمامة والليل قواد، قال الثعالبى إما أن يكون ألم به فحسنه وزينه فصار أولى به أو عثر على الموضع

قال : فلمّا سَمِعَ رَبُّ البَيْتِ قَرِيضَهُ وسَجْعَه ، واسْتَمْلَحَ تَقْرِيظَهُ وسَبْعَهُ ، بَوَّأَهُ مِهادَ كَرامَتِه ، وصَدَّرَهُ على تَكْرِمَتِه ، ثم اسْتَحْضَرَ عَشْرَ صِحافٍ مِنَ الغَرَب ؛ فيها حَلْواءُ القَنْدِ والضَّرَب ، وقال له : لا يَسْتَوِى أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنة ؛ وَلا يَسَعُ أَنْ يُجْعَلَ البَرِىءُ كَذِى الظِّنَّة ، وَهذِهِ الآنِيَةُ تَتَنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الأَبْرار ، فى صَوْنِ الأَشْرار ؛ فلا تُولِها الإِبْعاد ، ولا تُلْحِقْ هُودًا بِعاد ،

الذى عثر عليه ابن المعتز فأربى عليه فى جودة أخذه أو يكون قد افترع المعنى وابتدعه فلله دره وناهيك بشرف لفظه وبراعة نسجه ، قال ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ولا يستقبل إلا بانشاد بيتين قبله وهو

عذيرى من الأيام مدت صروفها ... إلى وجه من أهوى يد المسخ والمحو
وأبدب برأسى طالعات أرى بها ... سهام أبى يحيى مسددة نحوى
فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى ... وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

وقال ابن رشيق :

أيها الليل طر بغير جناح ... ليس للعين راحة فى الصباح
كيف لا أبغض الصباح وفيه ... بان عنى أولو الوجوه الصباح

وقال المتنبى :

وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب
وقاك أذى الأعداء تسرى اليهم ... وزارك فيه ذو الدلال المحجب

المانوية الثنوية وهم الذين يقولون إن الخير كله من النور والشر كله من الظلام فكذبهم بأن وجد الخير فى الظلام حيث ستره فى أعطافه ووقاه شرهم وكان عونا على زيارة حبه ووجد الضد فى النور وهذا كله يجرى فى نمط بيت الحريرى (قريضه) اى شعره وتقدم السجع (تقريظه وسبعه) المدح والذم يقال سبعه يسبعه إذا رماه بقبيح من قولهم سبعت الذئب إذا رميته وقيل معنى سبعت قلت له قولا غمه وذعر منه ويقال سبعت الوحش ذعرتها والأسد أفزعته (بوأه) انزله (مهاد) فراش (صدره) قدمه واجلسه فى صدر وسادته (التكرمة) الوسادة وما يجلس الضيف المكرم عليه ... ودخل عمر على سلمان رضى الله عنهما فألقى له وسادة فقال ما هذا يا أبا عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن امرىء مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيلقى إليه وسادة إكراما له وإعظاما إلا غفر الله تعالى له (استحضر) أمر باحضارها (الغرب) نوع من الخشب كريم (القند) عصارة قصب السكر (والضرب) العسل الأبيض (الظنة) التهمة وأراد بالبرىء آنية الغرب وبالمتهم جام الزجاج (الأبرار) الأخيار (صون) حفظ (تولها) تلسق بها (عاد) قوم هود وأراد لاتساو بين هود وهو مؤمن وبين قومه وهم كفار فهم أضداد كالبرىء والمتهم فقد خرج من نوعهم وإن كانت جنسية الآدمية والقرابة تجمعهم وكذلك الزجاج والغرب يجتمعان فى الآنية والوعاء ويختلفان فى الاحتواء على مافيهما بالاخفاء والاظهار، وهود هو ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وعاد هو ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها من دون الله وكانوا ثلاث عشرة قبيلة باليمن فدعاهم هود إلى عبادة الله تعالى فكذبوه

وعصوره وكانوا جبابرة أقوياء طول الرجل منهم مائة ذراع وطول أقصرهم ستون ذراعا قال الله تعالى وزادكم فى الخلق بسطه أى عظما وطولا وقوة وشدة ، وعظهم هود عليه الصلاة والسلام وقال لهم أتبنون بكل ريع آية تعبثون الآية فكان جوابهم ان قالوا من أشد منا قوة وقالوا سواء علينا أو عظت أم لم تكن من الواعظين وقالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركى آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين ، الآيات ، واستكبروا ولم يؤمنوا فحبس عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفد يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكنيته أبو سعد وجلهمة بن الخبيرى ولقمان بن عاد ومع كل رجل منهم رهط من قومه فلما قوبوا من مكة نزلوا على معاوية بن بكر العقيلى وكانوا أخوالا له وصهراء فأنزلهم وأكرمهم شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له يقال لهما الجرادتان فلما رأى معاوية طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم للبلاء الذى نزل بهم شق عليه ذلك وقال هلك أصهارى وأخوالى والله ما أدرى ما أصنع بهم وانى أستحي أن آمرهم بالخروج من عندى فيظنون أنه ضاق بى مقامهم عندى فقال شعرا وأعطاه للجرادتين فغنتاهم به وهو :

ألا ياقيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى ارض عاد إن عادا ... قد امسوا لا يبينو الكلاما
وإن الوحش تأتيهم جهارا ... فلا تخشى لعاديهم سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم ... نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ... ولا لقوا التحية والسلاما

فقال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم لما نزل بهم فادخلوا الحرم فاستسقوا فقال مرثد بن سعد والله لا تسقون حتى تطيعوا نبيكم فقال له جلهمة .

أبا سعد وإنك من قبيل ... ذوى كرم وإنك من ثمود
أتأمرنا لنترك دين وفد ... وزمل آل صد والوفود
ونترك دين آباء كرام ... ذوى رأى ونتبع دين هود
فانا لانطيعك مابقينا ... ولسنا فاعلين لما تريد

ثم قال لمعاوية : أمسك مرثدا عنا لا يدخلن مكة معنا وهو على دين هود فدخلوا مكة وخرج مرثد فأدركهم قبل أن يدعوا فقال اللهم لا تدخلنى فى شىء مما يدعوك به وفد عاد وقيل : قال اللهم إن كان هود صادقا فاسقنا فقد هلكنا فأنشا الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونودى من السحائب ياقيل اختر لنفسك ولقومك قال لقد اخترت السوداء لأنها أكثر السحائب ماء فنودى اخترت رمادا ومدادا لا يبقى من عاد أحدا فساق الله سبحانه وتعالى السحابة السوداء إلى عاد فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فسخرت عليهم سبع ليال ريح صرصر فلم تدع منهم أحدا إلا هلك ولما خرجت الريح عليهم قال سبعة منهم تعالوا نقف على شفير الوادى فنردها فجعلت الريح تأخذ الواحد منهم فترميه حتى يدق عنقه فتركتهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ، ما يصيبهم منها إلا نسيم يلين البشرة وتلذه الأنفس وإنما

ثم أمرَ خادِمَهُ بنقلها إلى مَثواه، لِيَحكُمَ فيها بما يَهواه، فأقبلَ علينا أبو زيدٍ وقالَ: اقرأوا سورةَ الفتح، وأبشروا باندمالِ القرح، فقد جبرَ اللهُ ثُكلَكم، وسنَّى أكلَكم، وجمعَ في ظلِّ الحلواءِ شملَكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ولمَّا همَّ بالانصراف، مالَ إلى استهداءِ الصِّحاف، فقال للآدبِ إنَّ من دلائلِ الظَّرف، سماحةَ المُهدي بالظَّرف، فقال كلاهما لكَ والغلام، فاحذفِ الكلامَ وانهضْ بسلام، فوثبَ في الجواب، وشكرَهُ شكرَ الرَّوضِ للسَّحاب، ثم اقتادنا أبو زيدٍ إلى حوائه، وحكَّمنا في حلوائه وجعلَ يقلِّبُ الأواني بيده، ويفضُّ عددَها على عددِه، ثم قالَ لستُ أدري أأشكو ذلك النَّمَّام أم أشكر، وأتناسى فعلتَهُ التي فعلها أم أذكر، فإنَّه وإن كانَ أسلفَ الجريمة، ونمنمَ النَّميمة، فمن غيمِه انهلَّت هذه الدِّيمة، وبسيفِه احتازتْ لي هذه الغنيمة، وقد خطرَ ببالي أن أن أرجعَ إلى أشبالي وأقنعَ بما تسنَّى لي وأنْ لا أتعبَ نفسي ولا أجمالي

لمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض، ورجع وفد عاد فنزلوا على معاوية فأتاهم راكب على ناقة في الليلة الثالثة من مصابهم فأخبرهم الخبر فقالوا وأين فارقت هودا فقال بساحل البحر وخيروا حين دعوا بمكة لأنفسهم فقال لقمان يارب اعطني عمرا فعمره الله عمر سبعة أنسر يأخذ الفرخ إذا خرج من بيضته فيغذيه حتى يموت ثم يأخذ آخر حتى بقي السابع فقال له ابن أخيه ما بقي من عمرك قال عمر هذا النسر وهو لبد، ولبد بلسانهم الدهر، فلما لم يستطع لبد النهوض مع النسور أيقن لقمان بالموت فماتا جميعا واختار قيل أن يصيبه ما أصاب قومه فاقتلعته الريح فقتلته وقال مرثد يارب أعطني برا وصدقا، وعمر هود فعمر مائة وخمسين سنة (مثواه) أي منزله (وقال اقرؤا سورة الفتح) أي لأن الله سبحانه وتعالى قد فتح عليكم (اندمال القرح) الجرح (جبر) أصلح (ثكلكم) حزنكم على فقدكم الحلواء بسببي (والحلواء) كل طعام عولج بحلاوة وتمد وتقصر (شملكم) عددكم المفترق وفي معنى الآية قال بعضهم:

لا تكره المكروه عند نزوله إن المكاره لم تزل متباينة
كم من يدلا تستقل بشكرها لله في طي المكاره كامنة

(الآدب) صاحب العرس (الظرف) جودة الرأي ... الأصمعي وابن الأعرابي: الظريف البليغ الجيد الكلام وقال الظرف في اللسان واحتجا بقول عمر رضي الله عنه إنه إذا كان الرجل ظريفا لم يقطع أي إذا كان بليغا احتج عن نفسه بما يسقط عنه الحد، قال الكسائي رحمه الله تعالى وفي الوجه يقال لسان ظريف ووجه ظريف.. غيره: الظريف الحسن الوجه والهيئة (المهدي) مرسل الهدية (الظرف) الوعاء (أحذف) أقطع بعضه (أنهض) تقدم (وثب) بالغ وعجل جوابه (الروض) موضع العشب والأنوار (حواؤه) موضعه والحواء أخبية قريب بعضها من بعض (ويفض) يفرق (أسلف الجريمة) قدم الذنب (نمنم) زين والنمنمة النقش (غيمه) سحابة (انهلت) سالت (الديمة) العطية هنا وانظر معنى الشك الطارىء عليه في السابعة

وأنا أُوَدِّعُكُم وداعَ مُحافِظ ؛ وأستَوْدِعُكُمْ خَيْرَ حافِظ ، ثم استَوَى على راحلَتِه ، راجعا فى حافِرَتِه ، ولَاوِياً إلى زَافِرَتِه ، فغادَرَنا بَعْدَ أنْ وَخَدَتْ عنسهُ ، وزَايَلَنَا أُنْسُه ؛ كدَسْتٍ غابَ صَدْرُهُ ، أو لَيْلٍ أفَلَ بَدْرُهُ .

والعشرين فى قوله يا أخى الحاسل ضيمى (محافظ) راع للمودة (أستودعكم) أتركـكم وديعة فى يده (خير حافظ) هو الله سبحانه وتعالى بشير لقوله تعالى فالله خير حافظا (استوى عليها) أى ركبها وقال فى الدرة الراحلة تقع على الجمل والناقة والهاء فيها للمبالغة كالتى فى داهية وراوية وسميت راحلة لأنها ترحل أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كما جاء فى التنزيل عيشة راضية بمعنى مرضية ولا عاصم اليوم من أمر الله أى لا معصوم ومن ماء دافق أى مدفوق وحرما آمنا أى مأمونا كما جاء مفعول بمعنى فاعل فى قوله تعالى حجابا مستورا أى ساتر وكان وعده مأتيا اى آتيا (فى حافرته) فى الطريق الذى جاء منه (لاويا) عاطفا (زافرته) قوابه (وخدت) أسرعت (عنسه) ناقته الصلبة ومنه عنست المرأة إذا طال مكثها لا تتزوج (زايلنا) فارقنا (دست) مجلس (صدره) أعيانه (أفل) غاب .

المقامة التاسعة عشرة النصيبية

روى الحارثُ بنُ همّامٍ قال : أَمحَلَ العِراقُ ذاتَ العُوَيمِ ، لإخلافِ أنواءِ الغَيمِ ؛ وتحدَّثَ الرُّكبانُ بريفِ نَصيبين ؛ وبُلَهْنِيَةِ أهلِها المُخصِبين

شرح المقـــامة

(أمحل) أجدب أى لم ينزل فيه مطر (اخلاف الأنواء) يريد النجوم التى من عادتها أن تطلع بالمطر وأخلفت لم تجىء بمطر (الركبان) أهل الاسفار (ريف) خصب (نصيبين) مدينة ديار ربيعة العظمى وهى مطلة على جبل الجودى الذى استوى سفينة سيدنا نوح عليه الصـــلاة والسلام عليه وهو جبل عال مستطيل ، أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لى الأرض فرأيت مدينة أعجبتنى فقلت ياجبريل أى مدينة هذه قال نصيبين فقلت اللهم عجل فتحها ، قال اليعقوبى : هى مدينة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات والبساتين ولهـا نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة قديمة رومية وأهلها قوم من ربيعة من بنى تغلب افتتحها غنم بن هياض الغنمى فى خلافة عمر رضى الله عنهما سنة ثمـان عشرة قال شيخنا ابن جبير مدينة نصيبين شهيرة العتاقة والقدم ظاهرها شباب وباطنها هرم جميلة المنظر متوسطة بين الكبر والصغر أمامها وخلفها بسيط أخضر مد البصر قد أجرى الله فيه مذانب من المـاء تسقيه وتطرد فى نواحيه وتحف بها عن يمين وشمال بساتين ملتفة الأشجار يانعة الثمار وينساب بين يديها نهر قد انعطف عليها انعطاف السوار والحدائق تنتظم حافتيه وتفيء ظلالهـا الوارقة عليه فرحم الله أبا نواس حيث يقول :

طابت لى نصيبين لى يوما وطبت لها   ياليت حظى من الدنيا نصيبين

فخارجها رياضى الشمائل أندلسى الخمائل برق نضارة وغضارة ويأتلق عليـــه رونق الحضارة رداخلها شعث البادية بادية عليه فلا مطمح البصر اليه لاتجد العين فيه فسحة مجال ولا مسحة جمـال وهذا النهر ينساب اليها من عين معينة منبعها بجبل قريب منها تنقسم منها مذانب تخترق بسائطها وعمـائرها ويتخلل منه البلد جزء يفترق على شوارعه ويلج فى بعض دياره ويخترق جامعها منه ميزاب ينصب فى صهريجين أحدهما وسط الصحن والآخر عند الباب الشرقى يقضى إلى ساقيتين حول الجامع وعلى النهر جسر معقود من صم الحجارة متصل بباب المدينة القبلى وفيها مدرستان ومارستان واحد (وبلهنية أهلها المخصبين) البلهنية رخاء العيش ، ونريد أن نصل ماذكره من خصب نصيبين بأشعار مستحسنة فى أوصاف الرياض تقع كالصفة لهـا قال إبراهيم بن العباس الكـاتب :

نأمل سماء أظلت عليـــك فيها مصابيحها تزهر
وأرضا تقابلها بالغرو   س والمرج بينهما جعفر
ومسحب نور غداة الربيـــع بينهما المسك والعنبر
خلال شقائقه أصفر   وأضعاف أصفره أحمر

وللماء مطرد بينها يضيق بوارده المصدر
يشارفه البر من جانب ومن جانب بحره الأخضر
مجال وحوش ومرسى سفين فيا عـذب لهو ويا منظر
ويا حسن دنيا ويا عزها يسوسهم الملك الاكبر

وأنشد السيرافي: مجلس فتيان إلى جنب حافة بقطر بل بين الرياض الحدائق
تقاضى ميادينا له أحدقت به مواخرها موصولة بالجواسق
وحف بريحان وكرم معرش ونهر وأشجار ونخل بواسق
وورد ونسرين وآس وسوسن أتاطيره محفوفة بالشقائق
تزخرف بالنوار حتى كأنما به جنة محفوفة بالنمارق

وقال كشاجم: ورضة صنف النوار جوهره فيها لما شئت من حسن ومن طيب
كأن ما تجتنيه من زخارفها اخلاق مستحسن الاخلاق محبوب
ما انفك للعين فيها أعين ذرف تبكي بدمع من الانواء مسكوب
حتى كان أفانين النبات بها على الميادين ألوان اليعاسيب
كأن غدرانها بالروض محدقة تحبير ثوب من الموشى منصوب

ولتميم بن المعز: وقاذفه بالماء في وسط جنة قد التحفت لحفا من الظل سجسجا
إذا انبعثت بالماء ردته منصلا وعاد عليها ذلك النصل هودجا
تحاول إدراك النجوم بقذفها كأن لها قلبا على الجو محرجا
لدى روضة جاد السحاب ربوعها فزخرفها بين الرياض ودبجا
على نرجس غض يلاحظ سوسنا وآس ربيعي يناعي بنفسجا
كأن غصون الاقحوان زمرد تعمم بالكافور ثم تتوجا
ونوار نسرين كأن نسيمه من المسك في جو السماء تأرجا

قال البحتري تعرضت لأبي قحمة وكان مجنونا ببغداد له بديهة حسنة فقلت له كيف أنت يا أبا قحمه فأنشأ يقول:

أصبحت منك على شفا جرف متعرضا لموارد التلف
وأراك نحوي غير ملتفت متحرفا عن غير منحرف
يامن أطال بهجره تلفا أسفي عليك أشد من تلفي

فأخرجت قبضة نرجس من كمي فاخذها وشمها مليا وأنشأ يقول :

لما تزوجت الجنوب بها طل جون هتون زبرج دلاح
أضحا يلقحها بوسمى الصبا فأستثقلت حملا بغير نكاح
حتى إذا حان المخاض تفجرت فاتت بولدان بلا أرواح
حاك الربيع لها ثيابا وشيت بيد الندى وأنامل الارواح

من أصفر فى أزهر قد زانه تبر على ورق من الأوضاح
ركبن فى عقد الزبرجد فاغتدى نحو الغزالة ناظرا بملاح

ويتصل بهذه الحكاية فصل فى ذكر مايستحسن من أشعار المجانين فان أبا محمد قد ذكر فى هذه المقامة المصابين المجانين فى غيرها لئلا نخل بماشرطنا قال بعض الأدباء كان رجل من أهل الأدب قدذهب عقله بالمحبة فقلت له يا أبافلان ماحالك وأين النعمة قال تغير قلبي بالحب فتغيرت النعمة ثم بكى وأنشأ يقول :

أرى التجمل شيأ لست أحسنه وكيف أخفى الهوى والدمع يعلنه
أم كيف صبر محب قلبه دنف الشوق ينحله والهجر يحزنه
وانه حين لاوصل يساعفه يهوى السلو ولكن ليس يمكنه
وكيف ينسى الهوى من أنت فتنته وفترة اللحظ من عينيك تفتنه

فقلت أحسنت والله فقال قف قليلا فوالله لأطرحن فى أذنيك أدبا أثقل من الرصاص وأخف على الفؤاد من ريش النعام فوقفت وأنشد :

للحب نار على قلبي مضرمة لم تبلغ النار منها عشر معاشر
الماء ينبع منها فى محاجرنا يا للرجال لماء فاض من نار
وأحسب نفسى على ما أرى ستلق من الهجر غما طويلا
وأحسب قلبي على مابدا سيذهب منى قليلا قليلا

قال الحسن بن هانىء رأيت مانيا الموسوس فأنشدنى :

شعر حى أتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى كاد عن أعين الحوادث يخفى
لو تأملتنى لتبصر شخصى لم تبين من المحاسن حرفا

ثم أتيت جعيفران بن الموسوس وهو شيخ كبير من بنى هاشم عليه قطيفة وفى عنقه غل من ذهب فقال من أين جئت ياحسن فقلت من بيت مانوية فقال فى حر أم مانوية وقال لى اكتب :

ماغرد الديك ليلا فى تنبهه إلا حثثت اليك السير مجهود
ولا هدت كل عين لذ راقدها بنومة فى لذيذ العيش ممهودا
إلا امتطيت الدجى شوقا اليك ولو أضبحت فى حلق الاقياد مصفودا
أسعى مخاطرة بالنفس يا أملى والليل مد أثوابه السودا
فلم ترقى ولم ترثى لذى دنف زوده حرقات القلب تزويدا
هيهات لاغدر فى جن ولابشر من الخلائق إلا فيك موجودا

ثم قال لى خرق رقعة مانوية فخرقتها ، ثم مضيت فلقيت غرددا المصاب وحوله الصبيان وهو يلطم وجهه ويقول يا أيها الناس الفراق مر المذاق ، فقلت أبا حمد من أين أقبلت فقال شيعت الحاج إذ كان لى فيهم سكن وقلت فى ذلك

فاقتَعَدْتُ مَهْرِيًّا واعْتَقَلْتُ سَمْهَرِيا ، وسِرْتُ تَلفِظُنِى أرضٌ إلَى أرْض ، وَيَجْذِبُنِى رَفْعٌ مِنْ خَفْض ، حَتَّى بَلَغتُها نِقْضًا عَلَى نِقْض

همو رحلوا يوم الخميس غدية ... وودعتهم لما استقلوا وودعوا
فلما تولوا ولت النفس فيهمو ... فقلت ارجعى قالت إلى اين أرجع
إلى جسد ما فيه لحم ولا دم ... وما هو إلا أعظم تتقعقع
وعينان قد أعماهما الحزن والبكا ... وأذن عصت عذالها ليس تسمع

وجعيفراو من مجانين الكوفة أعطاه رجل درهما وقال له قل شعرا على قافية الجيم فقال بديها :

عادنى الهم فاعتلج كل هم إلى فرج ... سل عنك الهموم بالكأس والراح تنفرج

ماجعفر لأبيه ولا له بشبيه ... أضحى لقوم كثير وكلهم يدعيه

وهو القائل : هذا يقول ابنى وذا مخاصم فيه ... والأم تضحك منهم لعلمها بأبيه

وقال مانى : من الظباء ظباء همها السخب ... وحليها الدر والياقوت والذهب
ياحسن ماسرقت عينى وما انتهبت ... والعين تسرق أحيانا وتنتهب
إذا يد سرقت فالحد يقطعها ... والحد فى سرقة بالعين لا يجب

وله أيضاً : له وجنات فى بياض وحمرة ... لخافاتها بيض وأوساطها حمر
رقاق يجول الماء فيها كأنها ... زجاج أجيلت فى جوانبها الخمر

وأشعار المجانين فى هذا الباب أكثر من أن تحصى (اقتعدت مهريا) أى ركبت بعيرا منسوبا إلى مهرة قبيلة من قضاعة ابلهم أنجب الابل زعموا أنه كان يلحقها الوحش وهى إبل متوحشة صغار بيض تكون بين عمان والشحر وتزعم العرب أنها إبل الجن لسرعتها فبقيت أنسالها فى بنى مهرة وقال أبو عبيدة المهرية من الأبل تسير أربعمائة ميل كل يوم ثم نسبت العرب إلى مهرة كل بعير نجيب (اعتقلت) حبست والاعتقال أن تحبس الرمح بين ركابك وساقك (تلفظنى) ترمينى (رفع) مرتفع (خفض) منخفض (يجذبنى) يسوقنى لنفسه (نقضا على نقض) هزيلا على هزيل وأخذ هذا اللفظ من قول أبى الشيص يصف شدة السير :

أكل الوجيف لحومهم ولحومها ... فأتوك أنقاضا على انقاض
ولقد أتتك على الزمان سواخطا ... فرجعن عنك وهن رواضى

وقال حبيب فى معناه

وركب يساقون الركاب زجاجة ... من العين لم يقصر لها كف قاطب
وقد أكلوا منها الغوارب بالسرى ... وصارت لها أشباحهم كالغوارب

ولحبيب أيضاً : وركب كأمثال الأسنة عرسوا ... على مثلها والليل تسطو كواكبه
على كل رواد الملاط تهدمت ... عريكته العلياء وانضم جانبه
رعته الفيافى بعد ما كان حقبة ... رعاها وماء المزن ينهل ساكبه
فكم جزع وادجب ذروة غارب ... وبالأمس كانت أمكنته مداثبه

فلمّا أنخْتُ بمَغناها الخصيب ، وضَرَبْتُ فى مَرْعاها بنَصيب ، نَوَيْتُ أنْ ألقِيَ بها جِرانى ، وأتّخِذَ أهْلَها جيرانى ؛ إلى أنْ تحْيا السَّنَةُ الجَماد ، وتتعهّدَ أرضَ قومى العِهاد ، فوَاللهِ ما تمضْمَضَتْ مُقْلتى بنَوْمِها ، ولا تمخّضَتْ ليْلَتى عَنْ يَوْمِها ، دُون أنْ ألفَيْتُ أبا زَيْدٍ السَّرُوجيَّ يَجُولُ فى أرْجاء نَصِيبين ، ويَخْبِطُ بها خَبْطَ المُصابينَ والمُصيبين ، وهُوَ يُنشِدُ

(انخت) بركت (مغناها) موضع سكناها (نويت) قصدت (جرانى) صدرى والجران باطن عنق البعير يقول لما أخذ نصيبا فى مرعاها أضمر أن يقيم بها ريثما يأتى أرضه المطر (الجماد) التى لامطر فيها (تعهد) تتفقد وتزور (العهاد) كثرة المطر ، وتمضمضت العين بالنوم إذا خالطها ودب فيها . وتمخضت المرأة أضربها وجع الولادة وتقول تمخضت المرأة عن زوجها إذا حملت بالولد عنه وتمخضت بولدها إذا تحركت به ودنت ولادتها وإذا استعير هذا المعنى لليلة صار تمخضها عن اليوم السابق لها كأن اليوم ألقى فى الليلة ما كان فيه من الحيوان فتحركت به فيريد أنه لم ينقض يومى الذى وردت فيه نصيبين حتى وجدت فيه أبا زيد قبل أن أدخل فى ليلتى ، ولأجل هذا قال قبل هذا تمضمضت مقلتى بنومها أراد أنه لقيه قبل الليلة التى ينام فيها ولو قال تمخضت بيومها للزم أن يكون اليوم الذى يأتى بعدها كأنها كانت تحمله فتلده إذا طلع صبحه من حيث أنه متصل بها ولو جعلت عن بمعنى الباء لانقلب إلى هذا المعنى وإنما دل الكلام على صحة المعنى الأول وأصل المخض التحريك ومنه مخضت اللبن مخضا حركته لإخراج زبده ومخضت المرأة وتمخضت تحرك ولدها ليخرج ثم يستعار ذلك للأيام وغيرها فأما استعارة حمل الولد فكقول عمرو بن حسان النعمان :

أجدك هل رأيت أباقبيس　　أطال بقاءه النعم الركام

تمخضت المنون له بيوم　　أنى ولكل حامله تمام

النعم الركام الابل الكثيرة وصغر قابوس تصغير الترخيم وجعل المنية حامـــلا باليوم الذى هلك فيه وجعل اليوم ولدها على جهة الاستعارة وقال حبيب فى معناه :

حتى إذا مخض الله السنين لهـا　　مخض الحليبة كانت زبدة الحقب

فهذه استعارة من مخض اللبن أراد ان السنين تحركت لهذه البلدة أى كانت تمر عليها فلا تنالها بمكروه حتى وجدها المسلمون كالزبدة فى حسنها ولذتها فأكلوها باستباحة من فيهـا (ألفيت) أى وجدت (يجول) يتصرف (أرجاء) نواحى (يخبط) يسفل الناس وأصل الخبط نفض ورق الشجر ينفض للابل فيخزن ثم يدق لها فى زمن الشتاء ويبل بالماء فتعلفه ثم يستعار الخبط للمعروف وقال زهير بن أبى سلمى :

وليس مانع ذى قربى وذى نسب　　يوما ولا معدما من خابط ورقا

يقال خبطت الرجل أى سألته وخبط الرجل بالأمر لم يهتد لصوابه والبعير ضرب بيده الأرض والشيء ضربته والدابة الأرض شدت وطأها والشيطان الانسان صرعه (قوله المصابين) أى المجانين (والمصيبين) الواجدين لما يطلبون والمصيب أيضا ضد المخطىء والمفعول مصاب فيريد أنه يجول فى نواحيها مسرعا كالمجنون أو كالمتيقن

مِن فِيهِ الدُّرَر ويَختَلِبُ بِكَفَّيهِ الدِّرَر ، فوَجَدْتُ بِها جِهادى قد حازَ مَغنَما ، وقِدْحى الفَذُّ صارَ توْأمًا ، ولم أزَلْ أتْبَعُ ظِلَّهُ أينما انْبَعَث ، وألْتَقِطُ لَفْظَهُ كلَّما نفَثَ ؛ إلى أنْ عَراهُ مَرَضٌ امْتَدَّ مَدَاه ، وعَرَقَتْهُ مُداه ، حتى كادَ يَسْلُبُهُ ثوبَ المَحْيا ، ويُسَلِّمُهُ إلى أبي يَحْيَى ، فوَجَدْتُ لِفَوْتِ لُقْياه ، وانْقِطاعُ سُقْياه ، ما يَجِدُهُ المُبْعَدُ عن مَرامِه ، والمُرْضَعُ عندَ فِطامِه ، ثم أُرْجِفَ بأنَّ رَهنَهُ قد غَلِق ؛ ومِخْلَبَ الحِمامِ به قد عَلِق ، فقَلِقَ صَحْبُهُ لأرْجافِ المُرْجِفين ، وانثالوا إلى عَقْوَتِهِ مُوجِفين :

حَيارَى يَميدُ بِهِمْ شَجْوُهُمْ كأنَّهُمُ ارْتَضَعُوا الخَنْدَرِيسا
أسالُوا الغُرُوبَ وعَطُّوا الجُيُوبَ وصَكُّوا الخُدُودَ وشَجُّوا الرُّؤسا
يَوَدُّونَ لوْ سالَمَتْهُ المَنُونَ وغالَتْ نَفائِسَهُمْ والنُّفُوسا

بوجود حاجته (الدرر) الجواهر (الدرر) اللبان أراد أنه يتكلم بكلام حسن فيأخذ به العطايا (قدحى الفذ) أى سهمى المنفرد (توأما) زوجاً وأراد أنه كان منفردا فصار بأبى زيد زوجا (انبعث) نهض وتوجه (نفث) نطق (عراه) قصده (امتد مداه) أى طالت مدته (عرقته) أخذت لحمه (مداه) سكاكينه (يسلمه) يتركه (أبو يحيى) كنية الموت وقد تقدم فى المقامة قبل سهام أبى يحيى مسددة نحوى . أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مريضامات شهيدا ووقى من فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة وقال : مرض يوم يكفر ذنوب ثلاثين سنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصداع والحمى يصيب الانسان وإن ذنوبه مثل أحد فما يفارقه حتى لايدع من ذنوبه وزن خردلة . أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المريض إذا برىء وصح من مرضه كان كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها (سقياه) أى فوائده التى كان يسقيه بها (مرامه) حاجته (فطامه) قطعه عن الرضاع (أرجف) تحدث والأرجاف خوف الناس فى الفتنة وحديثها (غلق) كف وكان من فعل الجاهلية أن يقول الراهن لمن يمسك رهنه أن لم آتك إلى كذا فالرهن لك فان أتاه بالدين بعد الأمد قال له قد غلق الرهن ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغلق الرهن له غنمه وعليه غرمه (المخلب) ظفر الطائر الصائد (الحمام) المنون (انثالوا) انصبوا واندفعوا (عقوته) موضعه وأصلها فناء الدار (موجفين) مسرعين (حيارى) جمع حيران والحيرة التردد فى الأمر وعدم التهدى له قال الواثق

لا بك السقم ولكن كان بى وبنفسى وبأمى وأبى
قيل لى أنك صدعت فما خالطت عيناى حتى دير بى

وقال آخر : أنا مذخبرت بالعلة واللہ عايل — ليت حماك بجسمى ولك العمر الطويل

(يميد) يميل (شجوهم) حزنهم (الخندريس) الخمر (أسالوا الغروب)أجروا الدموع والغربة الفيضة من الدمع والجمع غروب (عطوا) شقوا (صكوا) لطموا (شجوا) جرحوا (يودون) يتمنون (سالمته) تركته وصالحته وأصله الصلح (المنون) المنية (غالت) أهلكت (نفائسهم) كرائم أموالهم . ونذكرهنا من الشعر ما يوافق هذا الموضع

قَالَ الراوى: وكُنْتُ فيمن الْتفّ بأصحابه ، وأغْدّ إلى بابه ، فلمّا انْتهَيْنا إلى فِنائه ، وتَصَدَّيْنا لاسْتِنْشاءِ أنْبائه ، بَرَزَ إلَيْنا فَتاه ، مُفْتَرَّةً شَفَتاه ، فاسْتَطْلَعْناه طِلْعَ الشَّيْخِ فى شَكاتِه ، وكُنْهَ قُوَى حَرَكاتِه ، فقال قد كانَ فى قَبضةِ المَرضَة ، وعَرْكَةِ الوَعْكَة ، إلى أنْ شَفَّهُ الدَّنَف ، واسْتَشَفَّهُ التَّلَف ؛ ثم مَنَّ اللهُ تعالى بتَقْوِيَةِ ذَمائه ، فأفاقَ مِنْ إغْمائه ، فارْجِعُوا أدْراجَكُم ،

دخل أبو دهمان القيسى يوماً على بعض الأمراء يعوده فأنشده :

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد نقيك الذى تخفى من السقم أو تبدى
بنا معشر العواد ما بك من أذى فان أشفقوا مما أقول فبى وحدى

ودخل محمد بن عبد الله بن طاهر على المتوكل يعوده فقال :

الله يدفع عن نفس الامام لنا وكانا للمنايا دونه غرض
فليت أن الذى يعروه من مرض بالعائدين جميعا لا به المرض
فى الأمام لنا من غيره عوض وليس فى غيره منه لنا عوض

وكتب المعتصم الى عبد الله بن طاهر :

أعزز على بأن أراك عليلا أو أن يكون لك السقام نزيلا
لوددت أنى مالك لسلامتى فاعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكون تبقى سالما لسلامتى وأكون مما قد عراك بديلا
هذا أخ يشتكى ما تشتكى وكذا الخليل إذا أحب خليلا

هذا الشعر على فتوره شرف بمنصب قائله وكان المعتصم أميا لأن أباه هرون الرشيد ندبه فى صغره للتعلم فسمعه يوما يقول وقد مرت به جنازة ليتنى مكانك ولا أرى هذا البلاء فقال له أندبك إلى شىء تتمنى الموت من اجله فلهذا لم يكن له علم بالأدب كأخويه الأمين والمأمون ولأبى العباس المبرد :

يا عليل أفديك من ألم العلة هل لى إلى اللقاء سبيل
إن يحل دونك الحجاب فما يحجب عنى منك الضنى والنحول

ولأبى تمام فى مالك بن طوق :

ألبسك الله منه عافية فى نومك المعترى وفى أرقك
يخرج من جسمك السقام كما أخرج دم الفعال من خلقك

ولابن عبد ربه: يامن عليه حجاب من جلالته وإن بدالك يوما غير محجوب
ما أنت وحدك مكسوا ثياب ضنى بل كانا لك من مضنى ومشجوب

(أغذ) أى أسرع (تصدينا) تعرضنا (الاستنشاء) الاستطلاع (أنبائه) أخباره (برز) خرج (مفترة) ضاحكة (استطلعناه) سألناه أن يطلعنا (طلع الشيخ فى شكاته) خبر مرضه (كنه) حقيقة (عركة الوعكة)شدة المرضة وعركت الشىء دلكته بيديك وحككته ووعكته الحمى كسرته (شفه الدنف) أضعفه المرض ونقص جسمه (اشتشفه) استقصى بقية قوته (ذمائه) قوى نفسه (اغمائه) ذهاب عقله من الضعف (ارجعوا أدراجكم)

وانضُوا انزِعاجَكُم ، فكأنْ قدْ غدا وَراح ، وساقكُم الرَّاح ، فأعْظَمْنا بُشْرَاه ، واقْتَرَحْنا أنْ نَراه ، فدَخلَ مُؤذِناً بنا ، ثم خَرَجَ آذِناً لنا ، فلقِينا مِنهُ لَقَى ؛ ولِساناً طَلِقاً ؛ وجَلَسْنا مُحْدِقينَ بسَرِيرِه ، مُحدِّقينَ إلى أسارِيرِه ؛ فقلَّبَ طَرْفَهُ فى الجماعة ؛ ثم قال اجتلُوها بِنْتَ السّاعة ؛ وأنشد :

عافانى اللهُ وشُكراً لهُ مِنْ عِلّةٍ كادَتْ تُعَنِّينى

أى فى الطريق الذى جئتم فيه (انضوا انزعاجكم) أى أزيلوا زعجكم وطيشكم والانزعاج ضد القرار (اعظمنا بشراه) أى وجدنا مابشرنا به عظيما والبشارة بكسر الباء مابشرت به والبشارة بضمها مايعطى على البشارة والبشارة بفتحها الجمال وفلان بشير الوجه أى حسنه وعند أكثرهم أن لفظ بشرته لا يستعمل إلا فى الأخبار فى الخير وليس كذلك بل يستعمل فى الخير والشر قال تعالى فبشرهم بعذاب أليم والعلة فى ذلك أن البشارة إنما سميت بذلك لاستبانة تأثير خبرها فى بشرة من بشربها وقد تتغير البشرة للمساءة بالمكروه كما تتغير عند المسرة بالمحبوب إلا أنه إذا أطلق لفظها وقع على الخير كما أن النذارة يطلق لفظها فى الشر ، وهذا ذكره الحريرى فى الدرة قال ابن عزيز : البشرى والبشارة أخبار بما يسر وقال تعالى لهم البشرى (اقترحنا) طلبنا واقترحت الشىء فعلته قبلى أن يفعل (مؤذنا) معلما (لقى) طريحا (طلقا) فصيحا (محدقين) محلقين واحدق القوم بالشىء إذا أحاطوا به واحتفوا حوله وحدقوا أى نظروا إليه نظرا شديدا فهم محدقون إليه أى ناظرون والحدقة سواد العين الأعظم (الأسارير) تكاسير جلد الوجه .. أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا لجلس عنده قدر ساعة أعطاه الله تعالى أجر عمل سنة لا يعصيه فيها طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عيادة المريض إذا دخلت عليه أن تضع يدك على رأسه وتقول كيف أصبحت أوكيف أمسيت وإذا دخلت عليه تغمدتك الرحمة وإذا خرجت من عنده خضتها مقبلا ومدبرا وأومابيده إلى حقويه ... أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد المريض خاض الرحمة فاذا جلس عنده انغمس فيها . أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل على مريض لم يحضر أجله فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلتم على مريض فنفسوا عليه فى أجله فان ذلك لا يضره شيأ وهو يطيب نفس المريض نفسوا وسعوا عليه بطول عمره .. ودخل كثير على عبد العزيز ابن مروان يعوده فقال له لولا أن سرورك مايتم بأن تسلم وأسقم أنا لدعوت ربى أن يصرف مابك إلى ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ولى فى كنفك النعمة فضحك وأمر له بما لخرج وهو يقول :

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكى كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطفى من طارفى وتلادى

وكتب آخر إلى عليل : نبئت أنك معتل فقلت لهم نفسى الفداء له من كل محذور
ياليت علته لى غير أن له أجر العليل وأنى غير مأجور

(قلب طرفه) أى حول عينيه ينظرهم (اجتلوا) انظروا ونسب الشعر للساعة لما قيل فيها (عافانى) أى

ومَنْ بالْبرء عَلى أنَّهُ لا بُدَّ من حَتْف سيَبْرينى
ما يَتَناسانى ولَـكِنَّهُ إلى تَقَضِّى الأُكْلِ يُنْسِينى
إنْ حُمَّ لم يُغْنِ حَمِيمٍ ولا حِمَى كُلَيْبٍ منهُ يَحْمِينِى
ومَا أبَالِى أدَنَا يَوْمُهُ أمْ أخَّرَ الحَيْنُ إلى حين
فأىُّ فَخْرٍ فِى حَيَاةٍ أرَى فيهَا البَلايَا ثم تُبْلِينِى

سلمنى (تعفينى) تهلكنى (من) أنعم (حتف) هلاك (تقضى الأكل) تمامه وآخره (ينسينى) يؤخرنى والأصل الهمزة فسهله للشعر (حم) قدر (حميم) صاحب (حمى كليب) هو ابن ربيعة أخو مهلهل الشاعر وخال امرىء القيس وكان أعز الناس فى العرب وبلغ من عزه فيهم أنه اتخذ جرو كلب فاذا نزل بمنزل فيه كلأ قذف ذلك الجرو فيه فعوى فحفت مابلغ عواؤه لا يرعى أحد عشب ذلك الموضع إلا باذنه وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالا له ولا يختبى أحد فى مجلسه غيره ولا توقد نار غير ناره ولا يجير تغلبى ولا بكرى رجلا ولا يحمى حمى ولا يغير إلا باذنه وكان يحمى الصيد فيقول صيد كذا فى جوارى فلا يصيب أحد منه شيأ وكان قد حمى حمى لا يطؤه إنسان ولا بهيمة فدخل فيه يوما فطارت قنبرة بين يديه من بيضها فقال لها :

يالك من قنبرة بمعمرى خلالك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى

وكانت امرأته جليلة بنت مرة بن شيبان ، وكان لمرة وهو من بنى بكر عشرة من الولد منهم الحرث وجساس ونضلة وهمام فجاءت جساسا خالة له اسمها البسوس التى يقال فيها أشأم من البسوس فنزلت عليه ولها ابن وناقة تسمى سراب بفصيل لها فدخل الحمى يوما فوجد بيض القنبرة قد وطئته سراب فكسرته فسأل عنها فأخبر أنها لخالة جساس فقال أو قد بلغ من قدره أن يجير دون أذنى ياغلام ارم ضرعها فخرقه بسهم وقتل فصيلها ثم طرد إبل جساس ونفاها عن المياه : عن شبيث والأحص غديرين حتى بلغ غدير الذنائب فجاء جساس فقال نفيت عن المياه مالى حتى كدت تهلكه فقال انا للمياه شاغلون فقال هذا كفعلك بناقة خالتى وفصيلها فقال أوقد ذكرتها أمانى لو وجدتها فى غير ابل مرة استحللت تلك الإبل لها فعطف عليه جساس فرسه فطعنه فلما أحس الموت قال ياجساس اسقنى ماء فقال تجاوزت شبيثا والأحص واحتز رأسه وأمال يديه وجاء فقالت أخته لأبيها إن جساسا جاء خارجة ركبتاه قال أبوها والله ماخرجتا إلا لأمر فلما وصله قال ماوراءك يابنى قال طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصا قال قتلت كليبا قال نعم قال وددت أنك وإخوتك متم قبل هذا مابنا إلا أن تتشاءم بنا وائل ثم لقى أخاه نضلة فقال :

وانى قد جنيت عليك حربا تغص الشيخ بالماء القراح

فأجابه أخوه نضلة : فان تك قد جنيت على حربا فلا وان ولا رث السلاح

وكان أخوه همام قد آخى مهلهلا أخا كليب وعاهده أن لا يكتمه شيأ فجاءته أمة له وعنده مهلهل فأسرت إليه الخبر فقال له مهلهل ماقالت لك أمتك فقال زعمت أن أخى جساسا قتل كليبا فقال است أخيك أضيق عن ذلك

قال فَدَعَوْنا له بامتِدادِ الأَجَل ،

وتحمل القوم وغدا مهلهل فى تأثر أخيه بالخيل واجتمعت أشراف تغلب وأتوا مرة فتكلموا معه فى القصاص من جساس واخوته فذهب مرة إلى الدية فغضبت تغلب ووقعت فى الحرب فدامت بينهم أربعين عاما وكان فيما بينهم خمس وقائع أولها يوم عنيزة وآخرها قتل جساس وذلك أنه لما اجتمع نساء تغلب للمأتم قالوا لأخته رحلى جليلة عن مأتمك فان قيامها شماتة بنا وعار علينا فقالت لها أخرجي ياهذه عن مأتمنا فانك شقيقة قاتلنا فلما رحلت قالت أخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فلما بلغ ذلك جليلة قالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختي أفلا قالت نفرة الحياء وخوف الاعتداء وجاءت وهي حامل فولدت غلاما وسمته بالهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره فزوجه ابنته فوقع بينه وبين بكرى كلام فقال له البكرى ما أنت بمنته حتى ألحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل إلى أمه فسألها فأخبرته فلما آوى إلى فراشه وضع أنفه بين ثديي زوجته وتنفس تنفيسة نفط مابين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة فدخلت إلى أبيها فأعلمته فقال ثائر ورب الكعبة فلما أصبح أرسل وراء الهجرس فأتاه فقال له إنما أنت ولدى ومعي وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا الآن فانطلق معي حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا قال نعم ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بسلاحه فأتيا جمعا من قومهما فقص عليهم جساس ماكانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه فلما قدموا للعقد أخذ يوسط رمحه وقال : وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه ودرعي وزريه لايترك الرجل قاتل أبيه وهو ناظر إليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فيهم .. وقد قيل فى صورة قتل كليب غير ماذكرنا وحكايات الجاهلية كثيرة الاضطراب .. وقد نسب شعر القنبرة لطرفة .. وقال النابغة الجعدى وذكر قتل كليب وحذر به عقالا العقيلي :

كليب لعمرى كان أكثر ناصر ... وأبصر حزما منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة ... كحاشية البرد اليمانى المسهم
فقال لجساس أغثنى بشربة ... تدارك بها منا على وأنعم
فقال تجاوزت الأحص وماءه ... وبطن شبيث وهو ذو ترسم

الترسم اتباع الماء فى قعر البئر يقول أى افتخار فى حياة تعرض على فيها الامتحانات ثم بعد هذه المشقات تردنى إلى الكبر والشيخوخة فلم أبال أدنا الموت أم تأخر إذا المآل إلى الهرم القائد إلى الموت وأشار بهذا إلى قول النمر بن تولب :

يود الفتى طول السلامة جاهدا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

وإلى قول حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وجاء كنى بالسلامة داء ، وجاء فى أجر البلايا قوله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ماله خطيئة .. أبو هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمى والبلاء والشهوة

ثم تَحَشْحَشْنا للارْتِحَال ، إلَى مُلْقَى الرِّحال ؛ فَالْتفتَ أبو زَيْدٍ إلَى شِبْلِهِ ، وَكَانَ على شَاكِلَتِه وشَكْلِهِ ؛ وقال إنى لإخَالُ أَبَا عَمْرَة ، قَدْ أضْرَمَ فى أحْشَائِهم الجَمْرَة . فَاسْتَدْعِ أَبَا جَامِعٍ ، فَإنَّهُ بُشْرَى كُلِّ جَائِع ، وَأرْدِفْهُ بأبِى نُعَيْمٍ الصَّابِرِ على كُلِّ ضَيْمٍ ، ثم عَزِّزْ بأبِى حَبِيبٍ المُحَبَّبِ إلَى كُلِّ لَبِيبٍ ، المُقَلَّبِ بَيْنَ إحْرَاقٍ وتَعْذِيب وأهِبْ بأبِى ثَقِيف ، فَحَبَّذَا هُوَ مِنْ أَلِيف ، وَهَلُمَّ بأبِى عَوْن ، فَمَا مِثْلُهُ مِنْ عَوْن ، وَلَوِ اسْتَحْضَرْتَ أبَا جَمِيل لَجَمَّلَ أى تَجْمِيل ، وحَىَّ هَلْ أُمَّ القِرَى ، المُذَكِّرَة بِكِسْرَى وَلَا تَتَنَاسَ أُمَّ جَابِرٍ ؛ فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكِرٍ ، وَنَادِ أُمَّ الفَرَج ، ثُمَّ افْتِكْ بِهَا وَلَا حَرَج ، وَاخْتِمْ بأبِى رَزِين ، فَهُوَ مَسْلَاةُ كُلِّ حَزِين ، وَإنْ تَقْرِنْ بِهِ أبَا العَلَاء ، تَمْحُ اسْمَكَ مِنَ البُخَلَاء

حره (تحشحشنا) أن تحركنا (ملق الرحال) موضعها (شبله) ولده (شاكلته) طريقته (شكله) مثله وتكون الشاكلة والشكل واحدا وجمع الشكل أشكال وشكول (إخال) أحسب ، وكنى الجوع أبا عمرة لأنه يعمر كل جوف ، قيل لمدنى أتعرف أبا عمرة قال كيف لا أعرفه وقد تربع فى كبدى وقال الراجز :

حل أبو عمرة وسط حجرتى وحل نسج العنكبوت برمتى

(أضرم) أوقد . وكنى عن الخوان وهو المائدة أبا جامع للاجتماع حوله للأكل (وأردفه) جىء به خلفه وكنى الحوارى وهو الدرمك أبا نعيم لأن خبزه أنعم الأخباز وأصفاها (الضيم) الذل وجعله صابرا على كل ذل لأنه لا يصل من صورة البر إلى الخبز إلا بعد علاج شديد وتغيير له من حال إلى حال ، وفسر معنى أبى حبيب بقوله المحبب إلى كل لبيب ، وقوله المقلب بين إحراق وتعذيب يريد أن ماولى من الجدى النار وقت شيه احترق وما لم يلها أدركه حرها فأنضجه وأسال ودكه فذلك تعذيبه (أهب) ادع به وصح به ، وكنى عن الخل أبا ثقيف لأنه يثقف الطعام أى يحذقه فطيب للأكل (أليف) صاحب وإنما قال حبذا هو من صاحب لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الإدام الخل ، وكنى الملح أبا عون لأنه يستعان به على أكل الطعام وطعام بلا ملح لا يؤكل وقد أشار إلى هذا بقوله (فما مثله من عون) وكنى البقل أبا جميل لأنه يحسن بحضرته الإدام ويزينه أو لأنه يذهب بالجميل وهو ودك اللحم فيخفف الأكل (لجمل أى تجميل) أليق بالتفسير الأول ولا يمتنع من الثانى وحدث واثلة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحضروا موائدكم البقل فانه مطردة للشياطين مع تسمية الله تعالى . أبو الفضل بن مالك : يعجبنى البقل على المائدة فاذا رأيت السكباج نسيت البقل والسكباج لحم بخل والسك بالفارسية الخل والباج اللحم . وسمى السكباج بأم القرى لأنه من أجل أطعمتهم وأم الشىء معظمه وجليله ومنه أم القرآن الحمد لله وأم القرى لمكة المشرفة وأم الشىء أجله والقرى طعام الضعيف فكأنه قال عجل بطعام فاضل يقدم للضيف (كسرى) ملك الفرس وجعلها تذكر به لأنه أول من صنعت له فاستعملها وأمر بإجادة الصنعة فى طبخها وقيل إن غيره طبخها واستعملها فى زمن كسرى فنسبت اليه ، وكنى الجوذابة بأم الفرج وهى خبزة توضع فى التنور ويعلق عليها طير أو لحم فيسيل ودكه فيها ما دامت تطبخ فتفرج عنك هم الإدام فلا تحتاج اليه فهى خبز بادامه (افتك بها ولا حرج) أى كلها ولا إثم

وإيّاكَ واسْتِدْناءَ المُرْجِفِين ،

عليك وإن كان اللفظ يعطيك معنى آخر فالمراد به هذا ، وكنى الخبيص أبا رزين لفضله فى الطعام وشرفه ورجحان ثمنه وجعله آخر ما يؤكل ، والرزين من الرجال الكثير الوقار وقرن به الفالوذج لأنه نوع منه ، قال بعض الطفيلية الحلواء مثل الملك يدخل بيتا فيه قوم جلوس ليس فيه متسع لأحد فاذا نظروا إلى الملك تضايقوا وأوسعوا له ، وكان عبد الله بن جدعان سيدا شريفا فى قريش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقيل له هو الفالوذج قال وما هو ؟ قيل لباب البر مع العسل النحل فقال ابغوا لى غلاماً يصنعه فأتوا به فابتاعه ، وقدم مكة فصنع له بها الفالوذج ووضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى ألا من أراد الفالوذج فليحضر أمية بن أبى الصلت وكان يمتدحه كثيرا فقال فيه :

لكل قبيلة رأس وهاد وأنت الرأس تقدم كل هادى
له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارة ينادى
إلى رد من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد

ولباب البر خالص القمح ويسمى النشا يلبك يخلط والشهاد العسل ، والفالوذج الذى رأيت بسجلماسة هو العسل والسمن يوضعان على النار ثم يعقدان بالنشاط ثم يلون الكل بالزعفران فيجىء متعقق الحمرة فيقطع قطعا على قدر أكبر التمر فى شكله ويؤتى بها فى الأعراس بعد الشواء ويؤتى بالخبيص آخرا : وخبيصهم فى غاية البياض ليس كخبيص الأندلس ويقرص قرصا على قدر صغار الجبن فمن رآها على بعد لم يشك أنها جبن ويعد رجال المائدة ويؤتى طبق كبير فيوضع بين أيديهم وأمام كل رجل قرصته فلا يكاد يكملها بالأكل لإفراط حلاوتها وأكثر أطعمة أهل القبلة مستملاة من أطعمة أهل المشرق وكذا أكثر أحوالهم من مبانيهم وأشكال ديارهم وسطوحها واستعمال الإبل فى السواقى والطواحين ودق النوى لعلفها ، نعم وعلى أن البربرية غالبة على ألسنة أهل القبيلة فهم يستعملون كثيرا من ألفاظ اهل العراق يقولون لفرق الناس الشماسك وكذا تسمية أهل سجلماسة ويسمون البرادة التى لشرب الماء بوقالا وكذا تسميه أهل سجلماسه وجمع البوقال بواقيل قال الحسن بن هانىء :

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية إذ قيل لى إنما التمساح فى النيل
فمن رأى النيل رأى العين من كثب فلا رأى النيل إلا فى البواقيل

وكان رأى التمساح أخذ رجلا فهجا النيل ، والبرادة عندهم آنية من صفر فيها مخاطيف تعلق فيها البواقيل وترفع للهواء فيبرد الماء (المرجفين) الطست والابريق لأن لهما عند أخذهما صوتا ينقر أحدهما فى الآخر فكان ذلك الصوت يرجف أى يخبر بتمام الطعام والحث على القيام . أبو بكر الصفار : حضر مجنون بالكوفة طعام قوم فجلس يأكل فجعل الغلام يحرك الطشت والابريق فقال من هذا الذى يرجف بنا قيل انقضاء عملنا . بينما طفيلى يأكل سمع صوت دق الأشنان فامتنع من الأكل فقيل له إلا تأكل قال حتى يسكن هذا الارجاف الذى أسمع . وقيل لطفيلى مم اصفر وجهك ؟ قال من فترة بين قصعتين مخافة أن تكون قد

قَبلَ اسْتِقْلالِ حُمولِ البَيْن ، وإذا نَزَعَ القَوْمُ عَنِ المِرَاس ؛ وصافَحُوا أبا إيَاس ، فأَطِفْ عَلَيْهِمْ أبا السَّرْوِ فإنَّهُ عُنوانُ السَّرْوِ ، قال فَفَقِهَ ابْنُهُ لَطائِفَ رُموزِه ، بِلَطافَةِ تَمْييزِه ، فَطافَ عَلَينا بالطَّيِّبَاتِ والطِّيب ، إلى أنْ آذَنَتِ الشَّمْسُ بالمَغيب ، فلمَّا أجْمَعْنا عَلَى التَّوْديع ، قُلْنا له ألم تَرَ إلى هذا اليَوْمِ البَديع ، كَيْفَ بَدا صُبْحُهُ قَمْطَرِيرا ، وَمُمْسِيه مُسْتَنِيرا ، فَسَجَدَ حتى أطَال ، ثم رَفَعَ رأْسَهُ وقال :

لا تَيأَسَنْ عِنْدَ النُّوَب ... مِنْ فَرْجَةٍ تَجْلُو الكُرَب
فَلَكم سُمُومٍ هَبَّ ثمَّ ... جَرَى نَسِيماً وانْقَلَب
وسَحَابِ مَكْروهٍ تَنَشَّ ... فاضْمَحَلَّ وما سَكَب
ودخانِ خَطْبٍ خِيفَ مِنْــــهُ فما اشْتَبَانَ له لَهَب
لَطالَما طَلَعَ الأَسَى ... وعَلَى تَغيبتِــــه غَرَبْ
فاصْبِرْ إذا ما نَابَ رَوْ ... عٌ فالزَّمانُ أبُو العَجَبْ

فنيت (استقلال) ارتفاع (حمول البين) أى إبل الفراق ويريد بها الموائد لأنها إذا ارتفعت تفرق أهل المجلس فيقول إياك أن تقربهما قبل أن ترفع الموائد فيتهيأ الناس للغسل والانصراف فان غسلت الأيدى والموائد باقية توهم أن ثم طعاما يستأنف أكله (نزع) زال وتنحى (المراس) غسل الأيدى ودلك بعضها ببعض

(صافحوا) باشروا والغسول قد تقدم فى السابعة (أطف) اجعله يطوف ، وقد بين لم كناه أبا السرو وأنه من فعل السرى من الرجال (عنوان السرو) دليل المروءة (فقه) أى فهم (لطائف) دقائق (رموزه) إشاراته الخفيفة والرمز الاشارة بالشفتين أو العين (آذنت) أعلمت (أجمعنا) عزمنا (البديع) العجيب (قمطريرا) مظلما ورجل قمطرير شديد العبوس واقمطر القوم اشتدوا (الصبح) والمسى اسمان لوقت زوال الظلام والضياء (مستنيرا) كثيرا الضوء (النوب) النوازل (فرجة) راحة (تجلو الكرب) تزيل الهموم وأنشدوا فى هذا المعنى :

لاتضيقن فى الأمور فقد تكـ ... شف غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمـ ... ر له فرجة كحل العقال

كذا أنشدوه فرجة بالفتح والفرجة بالضم فى الحائط وشبهه وبالفتح فى الأمر وانظر هذا البيت فى الأربعين فى أخبار أبي عمرو بن العلاء (سموم) ريح حارة (نسيما) ريحا لينة (تنشى) ابتدأ وظهر (اضمحل) زال (سكب) أمطر (خطب) أمر شديد (لهب النار) اشتعالها بغير دخان ، وفى هذا المعنى قال أبو نواس :

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا ... مما يكون وعله وعساه
فالدهر أقصر مدة مما ترى ... وعساك أن تكفى الذى تخشاه

وقال أيضا : حسن الظن بمن قد عودك ... كل إحســـان وقوى أودك

وَتَرَجَّ مِنْ رَوْحِ الإلـــهِ لَطائفاً لا تُحْتَسَبْ

إن ربما كان يكفيك الذى كان بالأمس سيكفيه غــدك
(الأسى) الحزن (تفيئته) أى حينه وقال الزبيدى فى الأبنية جاء على تفيئة ذلك وتفئته حينه ووقته (الروح) الرزق والروح السرور والفرح والروح برد نسيم الراحة (اللطائف) جمع لطيفة وهى رفق الله تعالى بعباده وإحسانه اليهم واللطيف الرفيق والمحسن وأراد فى البيت ارج فى شدائدك الله فله ألطاف كثيرة لاتحصى بالعدة يبعد العسر يسر وأنشد أبو حاتم فى معنى أبيات المقامة :

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
ووطنت المكاره واطمأنت وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منه غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فمقرون بها الفرج القريب

قال أبو بكر بن الأنبارى أنشد اسمعيل القاضى :

لاتعتبن على النوائب فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثانه إن الأمور لها عواقب
ولكل صافيــة قذى ولكل خالصة شوائب
كم فرجــة مطوية لك بين أثناء النوائب
ومسرة قــد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

قال القاضى رحمه الله : ما عرض لى فادح فذكرت تلك الأبيات إلا رجوت من الله الفرج ثم تؤول عاقبة ما أحذره إلى فاتحة ما أوثره قال على الكاتب أصبحت يوما مغموما غما لا أعرف سببه فجاءنى رجل بظهر حوار وإذا فيه :

روح فؤادك بالضحى ترجع إلى روح وطيب
.. لاتيأسن — وإن الح الدهر — من فرج قريب

قال فزال عنى الهم ووجدت طعم الفرج وحكى الأصمعى رحمه الله تعالى قال بت ليلة بالبادية وحيدا مغموما فلما انتهى الليل سمعت قائلا يقول ولم أر شخصه :

فرج القضاء بكف من بقضائه نزل البلاء
واصبر فكل شديدة لابد يتبعها رخاء

وقال آخر :

سوف تبلى كل جدة وستنقضى كل مــدة
إنما الدهر عناء وعوار مستردة
شدة بعض رخاء ورخاء بعــد شدة

وقال آخر

خف إذا أصبحت ترجو وارج إن أصبحت خائف

قال : فاسْتَمْلَيْنا منه أبيَاتَهُ الغرّ ، ووالَيْنا لله تعالى الشُّكر ، وودّعناه مَسْرورِينَ بِبُرئهِ مَغْمورِينَ بِبِرِّه

رب مكروه مخوف فيـه لله لطائف

(استملينا) كتبنا (الغر) الحسان (والينا) تابعا (مغمورين) مغطين (برئه) إفاقته (بره) إحسانه وإكرامه (حيهل) قال ابن الأنبارى فيها ست لغات قال عبد الله بن مسعود إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ومعناه أقبلوا على ذكر عمر رضى ، فتنون هلا وتنصبه على المصدر كأنه قال مرحبا به الثانى تفتح حى وهل وتبنيهما كخمسة عشر الثالث تسكن هاء هلا هذه المشبهة لكثرة الحركات الرابع حيهل بتسكينهما جميعا كبخ بخ الخامس حيهاإلى عمر أى هلموا إلى ذكره السادس حيهل على عمر أى أقبلوا ذكره .

المقامة العشرون الفارقية

حكى الحارثُ بنُ همَّام قال : يمَّمتُ ميَّافارقين ، مع رُفقةٍ موافقين ، لا يُمارُون فى المناجاة ، ولا يدرُون ما طعمُ المُداجاة ، فكنتُ بهم كمَن لم يرِمْ عن وَجاره ، ولا ظعن عن أليفهِ وجاره ؛ فلمَّا أنخنا بها مطايا التَّسيار ، وانتقلنا عن الأكوار ، إلى الأوكار ، تواصينا بتذكار الصُّحبة ، وتناهينا عن التَّقاطع فى الغربة واتخذنا نادياً نعتمره طرَفى النَّهار ، ونتهادى فيه طُرَفَ الأخبار ، فبينما نحنُ به فى بعض الأيَّام ، وقد انتظمنا فى سِلك الالتئام ، وقف علينا ذو مِقول جرىّ وجرْسٍ جهورىّ ، فحيَّا تحيَّة نفَّاثٍ فى العُقد ، قنَّاص للأسد والنَّقد ، ثم قال :

عِندى ياقومِ حديثٌ عجيب ... فيه اعتبارٌ للَّبيبِ الأريب
رأيتُ فى ريعانِ عُمرى أخا ... بأسٍ له حدُّ الحسامِ القضيب
يُقدِمُ فى المعرَكِ إقدامَ مَنْ ... يُوقِنُ بالفتكِ ولا يسترِيب

شرح المقامة

(يممت) أى قصدت (ميا فارقين) بلدة منها إلى نصيبين ثلاثون فرسخا وميا فارقين ديار بكر وهى من كور الجزيرة وكان تملكها سيف الدولة وذكرها المتنبى فقال :

نجانف عن ذات اليمين كأنما ... نحن لميا فارقين ونرحم

الفنجديهى : سمعت بعض الأدباء يقول سميت ميافارقين لأن ذا الرمة أو غيره من العشاق لو وصل إليها بالاتفاق وشاهد وجوه أهلها الملاح والعيون السقيمة الصحاح وعاين رشاقة القدود ولباقة الخدود وسواد الطرر وبياض الغرر وسمرة الشفاه اللعس وحمرة الوجنات والجباه الملس لقال لصاحبته ميا فارقيني ولا ترافقيني فلا يجوز التيمم مع وجود الماء ولا حاجة إلى الدواء بعد البرد والشفاء (يمارون) أى يجادلون ويخالفون (المناجاة) المحادثة (المداجاة) المساترة بالعداوة (لم يرم) لم يزل يقال ما رامنى ولا يرمينى أى لم يبرح عنى ولا زال ولا يقال إلا منفيا (وجاره) بلده وأصله الجحر (ظعن) رحل (اليفه) صاحبه (الأكوار) ارحال (الأوكار) البيوت يريد أنهم أتموا سفرهم وبلغوا الوطن فتركوا النقلة وأقاموا فى البيوت (تناهينا) نهى بعضنا بعضا (ناديا) مجلسا (نعتمره طرفى النهار) أى نجلس فيه بالغدو والعشى (طرف) غرائب (السلك) خيط النظام (انتظمنا) اجتمعنا فيه (الالتئام) الاتفاق ... يقال لسان جرى : مقدم على الكلام (جرس) صوت (جهورى) عال (نفاث) ساحر (العقد) مايعقدها السحرة وينفثون عليها بالبصاق (قناص) صائد (النقد) غنم صغار (واللبيب والارب) كلاهما بمعنى العاقل (ريعان) أول (أخا باس) صاحب شدة (الحسام القضيب) السيف القاطع (المعرك) موضع القتال وأراد به فروج الأبكار (الفتك) سفك الدم وهو أيضا ركوب الرجل ماهم به (كرات)

فَيُفرِجُ الضيقَ بكَرَّاتِهِ ... حتى يُرَى ما كانَ ضنكاً رحيب
ما بارزَ الأقرانَ إلَّا انثنى ... عَنْ موقفِ الطَّعْنِ بِرُمْحٍ خَضيب
ولا سما يفتحُ مُستَصعباً ... مُستَغلقَ البابِ مَنيعاً مَهيب
إلا وَنُودِي حِينَ يَسْمُوا له ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيب
هـــذا وكم من لَيْلَةٍ باتَها ... يَميسُ فى بُرْدِ الشَّبابِ القَشيب
يَرْتَشِفُ الغيدَ ويَرْشُفْنَهُ ... وهُوَ لَدَى الكلِّ المُفدَّى الحبيب
فلم يَزَلْ يَبْتَزُّهُ دَهْرُهُ ... ما فيه من بَطْشٍ وعُودٍ صَليب
حتى أصارَتْهُ الليالِي لَقًى ... يَعافُهُ مَنْ كانَ منهُ قَريب
قَدْ أعجزَ الرَّاقِيَ تَحْليلُ ما ... بِهِ مِنَ الدَّاءِ وأعْيا الطَّبيب
وَصارَمَ البيضَ وصارَ منهُ ... من بَعْدِ ما كانَ المُجابَ المُجيب
وآضَ كالمَنْكُوسِ فى خَلْقِهِ ... ومَنْ يعِشْ يَلْقَ دَواهِي المَشيب

دفعات ورجعات (ضنكا) ضيقا (رحيب) واسع (بارز) قاتل (الأقران) الأمثال فى الشدة وغيرها (انثنى) رجع (خضيب) مخضوب يريد أيضا افتضاض الأبكار (سما) ارتفع وقام (منيع) أى صعب ممنوع (مهيب) مخوف (يميس) يتبختر (يرتشف) يقبل ويمص ريقهن والترشف المص الكثير (الغيد) جمع غيداء وهى اللينة المفاصل من النعمة وقيل المائلة العنق فى نعمة (يبتزه) يجرده (البطش) القوة والتناول الشديد (صليب) قوى شديد (لقى) طريحا (يعافه) يستثقله ويكرهه (تحليل) أذهاب وإزالة وتحلل الداء ذهب شيأ فشيأ (أعيا) غلب (صارم) قاطع (البيض) النساء الحسان (المجاب) الذى تجيبه النساء لحاجته منهن (المجيب) الذى يجيبهن لحاجته منه (آض) رجع (المنكوس) المردود إلى حالته الأولى من الضعف وأشار إلى قوله تعالى الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة فرده إلى الحالة الأولى وهذا هو النكس فى الخلق والنكس فى المرض أن يمرض ثم يبرأ ثم يمرض والنكس فى السهام أن ينكسر السهم فيجعل فى الجعبة محولا الكسر إلى فوق فاذا أدخل الرامى يده فى الجعبة ليأخذ سهما فوجده محولا تركه وأخذ غيره (دواهى المشيب) حوائج الشيخ من الضعف والعلل وغير ذلك ... ونذكر هنا من الأدب مايليق بالموضع..
دخل المستوغر بن ربيعة على معاوية وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر فقال أجدنى قد لان منى ماكنت أحب أن يشتد واشتد منى ماكنت أحب أن يلين وابيض منى ماكنت أحب أن يسود وأسود منى ماكنت أحب أن يبيض ثم أنشأ يقول:

سلنى أنبئك بآيات الكبر ... نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر ... وتركك الحسناء من قبل الظهر
والناس يبلون كما تبلى الشجر

وَها هُوَ اليَوْمَ مُسَجّى فَمَنْ يَرْغَبُ فى تَكْفِينِ مَيْتٍ غَرِيب

ثم قال ألا أخبركم بجيد العنب هو ما روى عموده اخضر عوده وتمرق عنقوده ألا أخبركم بجيد الرطب هو ماكبر لحاه وصغر نواه ورق سحاه : وفى الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة وقال ابن أبى معن

من عاش اخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر

(مسجى) أى مغطى ووصف فى أول الشعر ذكره بالشدة وفى آخره باللين .. وأذكر من الصفتين ما يكون من شرط ماذكر .. حكى أبو زيادة الكلبى قال كان عندنا أبو الغريب شيخا فتزوج ولم يولم فاجتمعنا على باب خبائه فصحنا أو لم ولو بيربوع أو بقرد بجذوع قتلتنا من الجوع فاولم فلما عرس عدونا عليه فقلنا

ياليت شعرى عن أبى الغريب إذ بات فى مجاسد وطيب

معانقا للرشا الربيب أأحمد الحفار فى القليب

أم كان رخوا يابس القضيب

فصاح : يابس القضيب والله ثم أنشأ يقول

سقيا لعهد خليل كان يأدم لى زادى ويذهب عن زوجاتى الغضب

كان الخليل فأضحى قد تخونه مر الزمان وتطعانى به الثقب

ياصاح أبلغ ذوى الزوجات كلهم أو ليلاوصل إذا انحلت عرى الذنب

والقوافى وقعت فى لفظ يعقوب موقوعه وعرى الذنب عروق الذكر ...وكان أبو البيداء الأعرابى عنينا وكان يتجلد ويقول لقومه زوجونى امرأتين فيقولون أمافى واحدة كفاية فيقول أمالى فلا، فزوجوه أعرابية وقالوا له إن كفتك وإلا زوجناك الأخرى فدخل بها وأقام عليها أسبوعا فزاره إخوانه فى اليوم السابع فقالوا له يا أبا البيداء ماكان أمرك فى اليوم الأول فقال عظيم جدا فقالوا فى اليوم الثانى فقال أعظم واجل قالوا ففى اليوم الثالث قال لاتسألوا فقالت امرأته من وراء الستر:

كأن أبو البيداء ينزو فى الوهق حتى إذا ما حل فى بيت أفق

فيه غزال حسن الدل خرق مارسه حتى إذا ارفض العرق

تكسر المفتاح وانسد الغلق

الوهق حبل يفتح فيه عين واسعة تؤخذ بها الدابة والأفق الجيد وينزو يمتد ويقصر . تزوج الفرزدق بامرأة من مجاشع فعجز عنها فقال

يالهف نفسى على نعظ فجعت به حين التقى الركب المحلوق والركب

ما أبعد ما بين حالته هذه وبينها وقد لقيته جارية فنظرها نظرا شديدا فقالت له مالك تنظر فوالله لو كان لى ألف حر ما طمعت فى واحد قال ولم ياخناء قالت لقبح منظرك وسوء مخبرك فيما أرى فقال لها أما والله لو خبرتى لغفر مخبرى على منظرى ثم كشفت لها وأراها مثل ذراع البكر فكشفت له عن مثل سنام البعير فتسنمها وقال

أدخلت فيها كذراع البكر مدملج الرأس شديد الاسر

زاد على شبر ونصف شبر كأنما أولجته فى جمر

وسمع بشار كلام امرأة فأحبها وأرسل لها إن تواصله وألح عليها فقالت لرسوله أى له معنى فى أولى فيه وهو أعمى لا يرانى فيعرف جمالى وهو قبيح الوجه لا حظ لى فيه فليت شعرى لأى شيء يطلب وصال مثلى ؟ فأدى اليه الرسول كلامها فقال عد اليها فقل لها :

ايرى له فضل على آيارهم ... وإذا أشط سجدن غير أواب
تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما ... نظر المؤذن شك يوم سحاب
وكأن هامة رأسه بطيخة ... حملت إلى ملك بدجلة جاب

وعشق امرأة وتردد رسوله اليها حتى أبرمها فشكته إلى زوجها فقال أجيبيه وعديه إلى هنا ففعلت ووجهت له فجاء ولم يعرف بزوجها فقال لها ما اسمك بأبى أنت وأمى فقالت امامه فقال :

أمامه قد وصفت لنا بحسن ... وإنا لا نراك فالمسينا

فوضعت يده على اير زوجها وقد أنعظ لحسن حديثها معه ففزع ووثب قائما وقال :

على ألية ما عشت حيا ... أمسك طائعا إلا بعود
ولا أهدى لأرض أنت فيها ... سلام الله إلا من بعيد
طلبت غنيمة فوضعت كفى ... على أير أشد من الحديد
فخير منك من لا خير فيه ... وخير من زيارتكم قعودى

فقبض زوجها عليه وقال هممت أن أفضحك فقال : كفانى فديتك ما فعلت بى والله لا أعود لمثلها أبدا . . سمع الحكم بن عبدل امرأة تتمثل بقوله

واعسر أحيانا فتشتد عسرتى ... فادرك ميسور الغنى ومعى عرضى

فقال لها يا أخية أتعرفين قائل هذا الكلام قالت هو ابن عبدل قال أفتعرفينه عينا فقالت لا والله فقال أنا هو والذى أقول :

وانعظ أحيانا فينقد جلده ... وأعذله جهدى فلا ينفع العذل
وأزداد نعظا حين أسمع جارتى ... فاوثقه كى ما يثوب له عقل
وربتما لم أدر ما حيلتى به ... إذا هو آذانى وغربه الجهل
فاوثيه فى بطن لجارى وجارتى ... مكابرة قرما وإن رغم الفحل

فقالت المرأة بئس الجارة والله للمغيبة أنت قال إى والله والتى معها زوجها وابنها وأخوها ، أين قول هذا على إسلامه من قول عنترة على جاهليته :

وأغض طرفى ما بدت لى جارتى ... حتى يوارى جارتى مأواها
إنى امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا أتبع النفس اللجوج هواها

وقال أبو الرقعمق :

كل يوم أنا من ... معلى فى أمر عجاب ... ليس يخلينى من ... هم وحزن واكتئاب
عينه فى كل من ... دب على وجه التراب ... لم يدع لى ذهبا ... إلا رماه بالذهاب

ثم إنَّهُ أعْلَنَ بالنَّحِيب ، وَبَكَى بُكَاءَ المُحبِّ على الحَبِيب ،

وابتدى المشؤوم أن بعـ ـمل فى بيع الثياب لعنة الله عليه وبراغيث الكلاب
وللمفجع البصرى فى ضد ما تقدم ، والمفجع صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة فى الإملاء :

لى أير أراحنى الله منه صار همى به عريضا طويلا
نام إذ زارنى الحبيب عنادا ولعهدى به ينيك الرسولا
حسبت زورة على لحينى وانصرفنا وما شفينا غليلا

ولراشد بن اسحق :

طالما قمت كالمنارة تهتز اهتزازا تسمو اليه العيون
رب يوم رفعت فيه ثيابى فكأنى فى منديتى مختون
لحت قوسك الخطوب وأفتنك فتون تفنى عليها الفنون
لم يدع منك حادث الدهر إلا جلدة كالرشا فيها غضون
تنثنى كأنها صولجان أو كما عرفت من الخط نون

وله أيضا فيه :

كأنه حين أطويه وأنشره سير يلف على دوامة الزيبق
وإن يقم قلت قناة معنفقة أو عروة ركبت فى رأس إبريق

وله أيضا فيه :

أير ضعيف المتن رث القوى لو شئت أن أعقده لا نعقد
إن يمس كالبقلة فى لينها فطالما أصبح مثل الوتد

وله أيضا فيه :

ينام على كف الفتاة تارة له حركات مايحس بها الكف
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعف

الفنجديهى : سمعت الحافظ أبا جعفر المروزى يقول : مازحت شيخنا نجيب بن ميمون الواسطى يوما وكان شيخنا دمثا ظريفا فقلت له أخبرنى هل بقى من سلطان الهوى شىء وهل تقوم للخدمة العكارة الميمونية فقال آه آه ثم أنشد :

تعنف فوق الخصيتين كأنه رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذى يومين يرفع رأسه إلى أبويه ثم يدركه الضعف

وأنشد أيضاً :

يقوم فى الليل عند البول منحنيا كأنه قوس انداف بلا وتر
ولا يقوم إذا نبهته سحرا كما تقوم أيور الناس فى السحر

ثم بكى بكاء شديدا وذكرنا وعظا .. وهذه الأبيات المنسوبة لراشد بن اسحق كلها من قصائد له مطولة فى هذا الفن وأكثر شعره فيه وله فيه شعر كثير ومنه انتزع الحريرى قصيدته فى هذه المقامة (أعلن) أى رفع صوته (النحيب) البكاء ... وفى بكاء المحب على الحبيب بقول الشاعر وزاد معنى :

أتتنى تؤنبنى فى البكاء فأهلا بها وبتأنيبها

ولمّا رَقأتْ دَمْعَتُه ، وانْفَثَأتْ لوعَتُه ، قال يانُجْعَة الرُّوّاد ، وقُدْوَةَ الأجْواد ، واللهِ ما نَطَقْتُ بِبُهتان ،ولا أخبرتُكم إلّا عَنْ عِيان ، وَلوْ كانَ في عَصايَ سَيْر ،

تقول وفي قولهـا حكمة أتبكي بعين تراني بهـا
فقلت إذا استحسنت غيركم أمرت البكاء بتأديبها

(رقأت) أي انقطعت (انفثأت) انكسرت وسكنت (لوعته) حرقته (النجعة) المرعى (الرواد) الطالبون لها (بهتان) باطل (عيان) معاينة (في عصاي سير) مثل يضرب لمن ليس عنده منفعة ولا له قوة والسير الشراك يدخل في ثقب في رأس العصا ويعقد منه حلقه يدخل فيها يده التي تمسك العصا فتكون أشد لاعتماده عليها وضربه بها فجعل عصاه عاجلة من سيرها وهو يريد أن لامنفعة عنده وأنشدوا :

يالك من همة وخير لو كان لي في عصاي سير
صبرا على النائبات صبرا ما يصنع الله فهو خير
فمن قليل بدا كثير كم مطر بدؤه مطير

وذكر الجاحظ فوائد العصا فمنها : سئل يونس عن قول الله عزوجل ولي فيها مآرب أخرى فقال لست أحيط بجميع مآرب موسى لكنني أذكر جملة تدخل في باب الحاجة اليها من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ويتوكأ عليها الكبير والسقيم والأقطع والأعرج والخطيب فتنوب للاعرج عن ساق أخرى وللاعمى عن قائد وهي للقصار والدباغ وهي معاد للملة ومحراك للتنور ولدق الجص والسمسم ولخبط الشجر وللشرطي والمكاري وللراعي غنمه وللراكب مركبه ووتد في الحائط وتركزها فتجعلها قبلة وإن شئت مظلة وتدخلها في عروة المزود وطرفها في يدك والثاني في يد صاحبك وإن كان فيها زج كانت عنزة فان زدت شيأ كانت عكازا فان زدت شيأ كانت مطردا وإن زادت شيئا كانت رمحا وكانت آيات موسى صلوات الله وسلامه عليه في عصاه وكانت لاتفارق سليمان عليه الصلاة والسلام في مقاماته حتى سلط الله عليها الأرضة وهو ميت فسقط فكان للجن آية ... وكان الحكم بن عبدل أعرج أحدب هجاء خبيث الهجاء وكان الشعراء يقفون بأبواب الملوك فلا يؤذن لهم وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها فلا يؤخر له حاجة فقال يحيى بن نوفل :

عصاكم في الباب أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر أمرها ويرغب في المرضاة منها ويرهب

فضحك الناس منها وشاعت بالكوفة وصارت ضحكة فاجتنب أن يكتب عليها .. وكان لابن عبدل صديق أعمى يقال له يحيى بن علبة وكان ابن عبدل قد أقعد فخرجا ليلة إلى منزل بعض اخوانهما وابن عبدل يحمل والأعمى يقاد فلقيهما صاحب العسس فأخذهما وحبسهما فنظر ابن عبدل إلى عصا ابن علبة في الحبس إلى جانب عصاه فضحك وقال :

حبسى وحبسك يابن علـ بة من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعـد لا الرجل منه ولا اليدان
يامن رأى ضب الفلاة قعيد موت فى مكان
من يفتخر بجواده فجوادنا عكازتان

أقول أيضا :
أقول ليحيى ليلة السجن سادرا ونومى به نوم الاسير المقيد
أعنى على حفظ النجوم ورعيها أعنك على تحبير شعر مقصد
ففى حالتينا عبرة وتفكر وأعجب من ذاحبس أعمى ومقعد
كلانا إذا العكاز فارق كفه ينيخ شريعا أو على الكف يسجد
فعكازة تهدى إلى السبل أهلها وأخرى مع الرجلين قامت مع اليد

وولى امرة الكوفة اعرج وولى شرطها أعرج فقصد الأمير ابن عبدل وهو أعرج ووجد سائلا أعرج فقال :

ألق العصا ودع التخامع والتمس عملا فهذى دولة العرجان
لاميرنا وأمير شرطتنا معا ياقومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فان الرابع الشيطان

فبعث اليه الأمير بمائتى درهم فضة وسأله أن يكف ... وكثيرا ماتصرف الشعراء فى ذكر عصا موسى عليه السلام على أغراضهم فنهما مايحسن ومنها ما يقبح وقال ابن سارة :

ولى عصا من طريق الدم أحمدها بها قدم فى تأخيرها قدمى
كأنها وهى فى كفى أهش بها على ثمانين عاما لا على غنمى
كأننى قوس رام وهى لى وتر أرمى عليها سهام الشيب والهرم

وقال أبو بكر البلوى :

كأن يمينى حين حاولت بسطها لتوديع إلفى والهوى يصرف الدمعا
يمين ابن عمران وقد حاول العصا وقد جعلت تلك العصا حية تسعى

قال ابن رشيق كنت أميل إلى قينة اسمها ليلى فعشقها بعض خدام الحصون وكان يحسب خدمتها وكنسها منزلة لا يثلم جاه متوليها فنهيته عنها فلم ينته فقلت فيه :

ظن أن الحصون ملك سليما ن وليلى بجهله بلقيسا
وله فى العصا مآرب أخرى حاش لله أن تكون لموسى

وقال الصابى :
يبدى اللواط مغالطا وعجانه أبد الأعراض الورى يستهدف
فكأنه ثعبان موسى إذا غدا لحبالهم وعصيهم يتلقف

وقال الصاحب :
هذا ابن متوية له آية يبتلع الاير وأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعا سوى موسى بن عمران لأجل العصا

وَلِغَيْمِي مُطِير ، لاستأثرتُ بما دعوتُكم إليه ، ولما وقفتُ موقفَ الدالِّ عليه ، ولكن كيف الطيرانُ بلا جناح ، وهل على من لا يجدُ من جناح.

قال الراوي : فطفقَ القومُ يأتمرون ، فيما يأمرون ، ويتخافتون ، فيما يأتون ، فتوهَّم أنهم يتمالؤون على صرفه بحرمان ، أو مطالبته ببرهان ، ففرط منه أن قال يا يلامعَ القاع ، ويرامعَ البقاع ، ما هذا الارتياء ، الذي يأباه الحياء ، حتى كأنكم كلفتم مشقّةً لا شقّة ، أو استوهبتم بلدةً لا بردة ، أو هززتم لكسوة البيت ، لا لتكفين الميت ، أفٍّ لمن لا تندى صفاته ، ولا ترشح حصاته ، فلما بهرت الجماعةَ بذلاقته ، ومرارة مذاقته ، رفأه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف سيله.

قال الحارث بن همام: وكان هذا السائل واقفاً خلفي ، ومحتجباً بظهري عن طرفي ، فلما أرضاه القوم

وقال أبو الفرج الاصبهاني في القاضي الاندبجي والتمس منه عكازة فلم يعطيها إياه :

اسمع حديثي تسمع آية عجبا ... لاشيء أعجب منه يبهر الفصحا
طلبت عكازة للرجل تحملني ... ورمتها عند من يخفي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوى عصا عصب ... ولم أكن خلته صبا بكل عصا

ولما قدم قتيبة بن مسلم واليا على خراسان سقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال يا أهل خرسان ليس كما ظننتم ولكن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقربها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

وأما قول الشاعر : ويكفيك أن لا يرحل الضيف لائما ... عصا العبد والبئر التي لاتهينها

فقال يعقوب البئر هنا حفرة تجعل فيها الملة وتجعل عليها الخبزة والعصا تقلب بها الخبزة على الملة وينفض بها الرماد .. وقال آخر :

إذا جاء ثقاف يجر قناته ... طويل العصا نكبة عن شياهنا

فالثقاف الرسول بين المريب والمريبة يأتي كالسائل فاذا وقف ثقف الأرض بعصاه فاذا سمعت المرأة ذلك خرجت اليه فأبلغها الرسالة فتقفه علامة بينهما وأراد بالشياه النساء (غيمي) أي سحابي (مطير) تصغير مطر أي لو كان لي قوة ومالالأثرت بذلك نفسي(استأثرت) اختصصت (جناح) اثم (يأتمرون) يتشاورون (يتخافتون) يتكلمون سرا (فيما يأتون) أي فيما يفعلون معه (توهم) ظن (صرفه) رده (حرمان) خيبة (برهان) حجة (فرط) سبق (بلامع) جمع يلمع وهو السراب (القاع) منخفض الأرض (برامع) جمع يرمع وهي الحصى البيض وقيل الحجارة الرخوة (البقاع) جمع بقعة وأراد أن لهم ظاهر وليس لهم خبرة كالسراب يخيل أنه ماء ولا حقيقة له واليرمع تظنه فضة وهو حجر (الارتياء) تدبير الرأي وأصله الهمز لانه من الرأي (استوهبتم) طلبت منكم هبة (بردة) ثوب يلبس (هززتم) حركتم (البيت) الكعبة (أف) خيبة وقد تقدم أن الصخرة والحصاة يكنى بها عن يد البخيل (ذلاقته) حدة لسانه (رفاه) وصله (والطل السيل)

بِسَيْبِهِم ، وَحَقٌّ عَلَىَّ التَّأَسِّى بِهِم ، خَلَجْتُ خاتَمِى مِنْ خِنْصَرِى ، وَأَفَتُّ إِلَيه بَصَرِى ، فإذا هُوَ شَيْخُنا السَّرُوجِيُّ بِلا فِرْيَةٍ ؛ وَلا مِرْيَةٍ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّها أُكْذُوبَةٌ تَـكَذَّبَها ، وَأُحْبُولَةٌ نَصَبَها إِلَّا أَنِّى طَوَيْتُهُ عَلَى غَرِّهِ ، وَصُنْتُ شَغاهُ عَن فَرِّهِ ، فَحَصَبْتُهُ بِالخاتَمِ ، وَقُلْتُ أَرْصِدْهُ لِنَفَقَةِ المأتَمِ ، فقال واهاً لكَ فما أَضْرَمَ شُعْلَتَكَ ؛ وأكرَمَ فَعْلَتَكَ ،

هنا القليل والكثير (سيبهم) عطاؤهم (حق) وجب (التأسى) الاقتداء (خلجت) جذبت وأخرجت (الخنصر) الأصغر من الأصابع ويليها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة وتسمى المسبحـة والمشيرة ثم الابهام وقال أبو العلا المعرى :

شغلت عن المرء من خمسة اثـ نتين خصهما المفخر
يشار اليـك بسبابة وتثنى على فضلك الخنصر
فمن أجل ذا رفعت هـذه إلى خالق الخلق تستغفر
ومن أجل ذا كسيت خاتما يزين وعريت البنصر

وقال صريع الغوانى يلغز بخاتم :

وابيض أما رأسه فمدور نقى وأما جسمه فغار
ولم يتخذ إلا لتسكن وسطه خضيبة رأس ماعليه خمار
لها أخوات أربع هن مثلها ولـكنها الصغرى وهن كبار

(لفت) رددت (فرية) كذب (مرية) وتقول بين القوم أكذوبة يتكاذبون بها أى أحاديث كذب (تكذبها) استعملها (أحبولة) آلة يصطاد بها (طويته على غره) أى سترت عليه طريقته الملتزمة من الحيل والغر بالنقط كسور الثوب يقال اطو الثوب على غره أى على كسور طيه الأول .. جابر قال النبى صلى الله عليه وسلم طى الثوب راحتـه (صنت) حفظت وكتمت (شغاه) عيبه (فره) كشفه والشغا بروز سن على أخواتها وخروج الحنك الأعلى على الأسفل (حصبته) رميتـه والحصباء الحصى الصغار وحصبته رميته بالحصباء فاستعاره للخاتم (أرصده) أعده (واها) عجبا (ما أضرم شعلتك) أى ما أكبر توقد ذهنك والشعلة لسان النار وإنما تعجب منه لأنه قد عرفه وأعلمه أنه قد عرفه مكره حين قال له أصده ثم ستر عليه وأهل الشرق يتختمون ويتصدقون بخواتمهم .. وفى البديعة بعد نشك تقدم من أبى الفتح قال ابن هشام فوالله ما آنسنى من وحدتى إلا خاتم ختمت به ضجره فلما تناول أنشأ يقول :

ومنطق من نفسه بقلادة الجوزاء حسنا
متألف من غير غير أسر ته على الأيام خدنا
كتيم لقى الحبيـ ـب فضمه شغفا وحزنا
علق سنى قدره لـكن من أهداه أسنى
أقسمت لوكان الورى فى المجد لفظا كنت معنى

ثم انطلق يسعى قدما، ويهرول هرولة قدما. فنزعت إلى عرفان ميته، وامتحان دعوى حميته، فقرعت ظنبوبي، وألهبت ألهوبي، حتى أدركته على غلوة، واجتليته في خلوة، فأخذت بجمع أردانه، وعقته عن سنن ميدانه، وقلت له: والله مالك مني ملجأ ولا منجى، أو تريني ميتك المسجى، فكشف عن سراويله، وأشار إلى غرموله، فقلت له قاتلك الله فما أعبك بالنهى، وأحيلك على اللهى، ثم عدت إلى أصحابي عود الرائد الذي لا يكذب أهله؛ ولا يبرقش قوله، فأخبرتهم بالذي رأيت، وما وريت ولا راءيت، فقهقهوا من كيت وكيت، ولعنوا ذلك الميت

قال فتبعته حتى سارت الخلوة وجهها فاذا والله أبو الفتح والطلاز علوله فقلت أبا الفتح شبت وشب الغلام فأين الكلام وأين السلام فقال:

غريبا إذا جمعتنا الطريق   ألوفا إذا نظمتنا الخيام

(يسعى) أى يسرع المشى (قدما) أى قدامه وقبالته (يهرول) يسرع والهرولة جرى بين المشى والعدو (قدماً) أى قديما وأولا ومعناه كفعلي في أول مرة حين سعى قدماً (نزعت) اشتقت (امتحان) تجربة (قرعت) ضربت (ظنبوب) مقدم عظم الساق ويقال قرع لهذا الأمر ظنبوبه إذا أسرع وجد فيه ويبينه قول سلامة بن جندل:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع   كان الصراخ له قرع الظنابيب

أى كانت إغاثتنا له إسراعنا فى نصرته (ألهبت) أشعلت (الهوبى) شدة جريى (الغلوة) مقدار رمية السهم (اجتليته) نظرته (بجمع أردانه) أى بجمع أطراف ثوبه (عقته) صرفته عن وجهه (سنن) طريق (ميدانه) موضع جريه وطلقه (ملجأ) موضع يلجأ اليه (منجا) موضع تنجو فيه (غرموله) ذكره (قاتلك الله) أى قتلك الله وأكثر مايقع فاعلت عن الاثنين وقد يكون عند الواحد نحو ناولت وسافرت وقيل معنى قاتله لعنه وقيل عاداه (النهى) العقول واحدها نهيته عن كذا فانتهى (اللها) العطايا واحدها لهوة وأصلها قبضة من الطعام تجعل فى فم الرحا (يكذب) يحدث بالكذب (يبرقش) يزين والبرقشة التزيين بألوان شتى.

(وريت) يقال وريت الخبر أوريه تورية سترته وأظهرت غيره وفى الحديث الشريف أنه صلى الله عليه سلم كان إذا أراد سفرا ورى بغيره وهو مأخوذ من الوراء كأنه جعل الخبر وراءه ولم يظهره (راءيت) استعملت الرياء يريد أنه صرح لهم بذكر العورة ولم يكن عنها (فقهقهوا) أكثروا الضحك. أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب والقهقهة من الشيطان والتبسم من الله (من كيت وكيت) أى من هذه القصة التى وكينت وأصلهم كيت كناية عن الحديث المدمج المتداخل ... والله أعلم.

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حدَّث الحارثُ بنُ همّامٍ قال : عُنيتُ مُذْ أحكَمْتُ تَدْبيري ، وعرَفْتُ قبيلي من دَبيري ، بأنْ أُصْغيَ إلى العِظاتِ ، وأُلغيَ الكَلِمَ المُحفِظاتِ ، لأتحَلّى بمحاسِنِ الأخلاقِ ، وأتخَلّى ممّا يَسِمُ بالإخلاقِ ، وما زِلْتُ آخُذُ نفسي بهذا الأدبِ ، وأُخمِدُ بهِ جمرةَ الغضَبِ ؛ حتى صارَ التّطَبُّعُ فيه طِباعاً ، والتّكلُّفُ له هوًى مُطاعاً ،

شرح المقـــامة

(عنيت) أى شغلت (أحكمت) أتقنت (قبيلي من دبيري) أى ما أقبل عليه من أمرى وما أدبر عنه . ابن الأنبارى : ما يعرف قايلا من دبير أى ما يعرف الإقبال من الادبار رأى ما يعرف ما أقبل به من القبل إلى الصدر مما أدبر عنه وقيل معناه ما يعرف الشاة المقابلة من المدابرة والمقابلة التى شق أذنها إلى قدام والمدابرة التى شق أذنها من مؤخرها وترك ما قطع معلقا إلى خلف لا يبين (أصغى) أميل (العظات) هى المواعظ (ألغى) أترك (الكلم) جمع كلمة (المحفظات) المغضبات (أتحلى) أتزين وأتصف (وأتخلى) أزول وأتفرغ وتخليت من كذا تركته (يسم) يجعل سمة (الاخلاق) العيوب وتمزيق العروض وأصله فى الثوب (أخمد) أسكن (التطبع) له فى الطبيعة أثر وإن لم تذهب الطبيعة بالجلة لأنه اتفقت العرب والعجم على قولهم الطبع أملك وكان ملك من ملوك الفرس له وزير مجرب حازم فكان يعرف اليمن فى مشورته فهلك وقام ابنه بعده فلم يرفع به رأسا فذكر له مكانته من أبيه فقال كان أبى يغلط فيه وسأريكم ذلك فأحضره وقال له أيهما أغلب على الرجل الأدب أو الطبيعة فقال الطبيعة لأنها أصل والادب فرع وكل فرع يرجع إلى أصله فدعا الملك بسفرة فوضعت وأقبلت سنانير بأيديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال له اعتبر خطاك وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا فقال له أمهلنى فى الجواب إلى الليلة المقبلة فقال لك ذلك فخرج الوزير وأمر غلامه أن يسوق له فأرة حية فربطها بخيط وعقدها فى سبنية فلما راح إلى الملك وضعها فى كمه ودخل فأحضر السفرة والسنانير فألقى لها الوزير الفأرة فاستبقت السنانير إليها وتطاير الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال للملك كيف رأيت غلبة الطبع للأدب قال صدقت ورجع له ما كان عليه أبوه وقال ذو الاصبع :

كل امرىء راجع يوما لشيمته ... وإن تخلق أخلاقا إلى حين

وقال المتنبي : أبى خلق الدنيا حبيبا تديمه ... فما طلبى منها حبيبا ترده

وأيسر مفعول فعلت تغيرا ... تكلف شىء فى طباعك ضده

وقال العرجى : يا أيها المتحلى غير شيمته ... ومن شمائله التبديل والملق

ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

وقال المتنبي أيضاً : يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

وقال الشريف : هيهات لا يتكلفن إلى الهوى ... فضح التطبع شيمة المطبوع

وقال ابن طاهر الأندلسى :

فلمَّا حَلَلْتُ بالرَّيِّ ؛ وقد حَلَلْتُ حِبى الغَيِّ ، وَعرَفْتُ الحَيَّ مِنَ اللَّيِّ ، رَأَيْتُ بها ذاتَ بُكْرَةٍ ، زُمْرَةً في إِثْرِ زُمْرَةٍ وهُمْ مُنْتَشِرُونَ انتشارَ الجَراد ، ومُسْتَنونَ استِنانَ الجِياد ، ومُتَواصِفُونَ واعِظاً يَقْصِدُونه وَيُحاثُّونَ ابنَ سَمْعُونَ دُونه ،

نقل الطباع من الانسان ممتنع — صعب إذا رامه من ليس من أربه
يريد شيئا وتأباه طبائعه — والطبع أملك للانسان من أدبه

فيريد أنه راض عن اتباع الخير والبعد عن الشر حتى انقادت له إلى ما يريد والتطبع استعمال غير ما في طبعك والتكلف استعمال ما لا تقدر عليه إلا بمشقة (فلما حللت بالري) الري أرض على جادة خراسان واسم مدينة الري المهدية سميت بهذا الاسم لأن المهدى تولاها فى خلافة المنصور لما توجه لى خرسان لمحاربة عبد الجارين عبد الرحمن الازدى وبها ولد الرشيد والمهدى أقام بها عدة سنين فشيد بناءها وأتقنه وأوضع نساء الوجوه من أهلها الرشيد ، وأهل الري أخلاط من العرب والعجم قليل فيها وافتتحها قرط بن كعب الأنصاري فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشرب أهلها من عيون كثيرة وأودية عظيمة وبها واد عظيم يأتى من بلاد الديلم يقال له نهر عيسى ولكثرة مياه البلد كثرت ثماره وجناته وأشجاره وله رساتيق وأقاليم ونسب اليها الرازى وهو من شاذ النسب وكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم مايقيمك بأرض الفراعنة والجبابرة سر إلى خراسان أرض الفضة والعقيان والجوارى الحسان . . وتقدم الحبا (الغي) الضلال . والعرب تقول مايعف الحي من اللي والحو من اللو تقوله لمن تستجهله وتنى عند الفطنة وتصريفها أن الحي مصدر حويت الشيء حرنه وجمعته ولويت الرجل مطلته ومنعته حقه لواوليا وليانا فالحي مدح واللي ذم فكأنه إذا قال عرفت الحي من اللي إنما قال عرفت الخير من الشر ومايضر مما ينفع ، وعرفت الحي من اللي وقبيلى من دبيرى إنما يستعملان فى النفي وتجوز أبو محمد فى استعمالها فى الإيجاب حيث كان أصلا للنفي (الزمرة) الجماعة وتقول فلان أثر فلان أى خلفه وقريبا منه كأنه يتبع أثره إذا رفع هذا قدمه وضع الآخر قدمه فى الموضع (منتشرون) متفرقون (مستنون) جارون (متواصفون) يصفه بعضهم لبعض (ابن سمعون) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن اسمعيل بن عيسى بن اسمعيل المعروف بابن سمعون الواعظ وكان وحيد عصره وفريد دهره فى الأخبار عماهجس فى الأفكار وليامن الاولياء الأخيار كلامه فى الوعظ نافع ونصحه فى القلوب ناجع ومجاله فى تصاريف الكلام على الخواطر رحب واسع وكان يقال له الشيخ المنطق بالحكمة .. وحدث أبو طاهر محمد بن على العلاف قال حضرت ابن سمعون يوما وهو فى مجلس الوعظ على كرسيه وكان أبو الفتح القواس جالسا إلى جنب الكرسى فغشيه النعاس فنام فأمسك أبو الحسن عن الكلام ساعة حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه فقال له رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى نومك فقال نعم أبو الحسن لذلك أمسكت عن الكلام خوفا أن تنزعج وتنقطع عن الكلام الذى كنت فيه ، وذكر أبو على الهاشمى قال حكى لى مولى الطائع لله تعالى قال أمرنى الطائع أن أوجه إلى ابن سمعون فاحضره دار الخلافة ورأيت الطائع على صفة من الغضب ، وكان يتقى فى تلك الحال لأنه كان واحدة

فلم يتكاءدني لاستماع الواعظ، واختيار الواعظ، أن أقاسي اللاغط، وأحتمل الضاغط، فأصبحتُ إصحابَ المطواعة، وانخرطتُ في سِلك الجماعة حتى أفضينا إلى نادٍ جمع الأمير والمأمور، وحشد النبيه والمغمور؛ وفي وسط هالته؛ ووسْط أهلته، شيخ قد تقوَّس واقعنسس، وتقلنس وتطلَّس، وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور، ويلين الصخور فسمعته يقول، وقد افتتنت به العقول: ابن آدم ما أغراك ما غرّاك بما يغرك: وأضراك بما يضرك

فبعثت إلى ابن سمعون وأنا مشغول القلب لأجله فلما حضر أعلمت الطائع حضوره فجلس مجلسه واذن له في الدخول فسلم عليه بالخلافه ثم اخذ في وعظه فأول ما ابتدأ به قال روى عن امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه وذكر خبر ولم يزل يجرى في ميدان الوعظ حتى بكى الطائع وسمع شهيقه وابل منديله بين يديه بدموعه فأمسك ابن سمعون حينئذ ودفع إلى درجا فيه طيب وغيره فدفعته اليه وانصرف وعدت إلى الطائع وقلت يامولاى رأيتك على صفة من الغضب على ابن سمعون ثم انتقلت عنها عند حضوره فما السبب فقال رفع إلى أنه ينتقص عليا رضى الله عنه واحببت أن اتيقن ذالك فان صح منه قتلته فلما حضر بين يدى افتتح كلامه بذكره والصلاة عليه وأعاد ذلك وأبدى وقد كان له مندوحه في الرواية عن غيره وترك الابتداء به فعلمت أنه وفق لما تزول به عنه المظنة وتبر أساحته عندى ولعله كوشف بذلك وله كتاب المجالس وهو كله أحاديث مصلة الأسانير ومن كلامه إن القلب بمنزلة المرآة فاذا أصابتها لطخه عولجت بالزيت فاذا زادت زبد فيها من حتات الآجد فاذا زادت جليت بالجديد فاذا زادت على ذالك حتى ركبها الصدأ لم يكن لها بد من عرضها على النار حتى يتم جلاؤها. وتوفى ابن سمعون في ذى القعده سنة سبع وثمانين وثلثمائة ودفن بداره بشارع العباسى فلم يزل هناك حتى نقل يوم الخميس الحادى عشر من رجب سنة ست وعشرين واربعمائة ودفن بباب حرب ببغداد وقيل إن اكفانه لم تكن بليت بعد (يتكاءدنى) أى يشق على (اقاسى) أباعد (اللاغط) الصائح بكلام لا يفهم (الضاغط الذى إذا زاحمك ضغطك لحائط أو غيره حتى ينقطع نفسك يريد أنه لم يمنعه ما أصاب من السب والصياح به والضغط واللكز من مزاحمة الناس حتى قرب من الوعظ. ويبين هذا قوله في الخمسين ولم أزل أتنقل في المراكز وأغضى للاكز والوكز (أصبحت) انقدت (المطواعة) المقادين المطاوعين (والانخراط) دخول الانسان في الأمر بغير علم وتقدم السلك (افضينا) وصلنا وأراد ان هذا المجلس جمع العامة والأمير ومن له ذكر رفيع وشهرة ومن هو مجهول لخمول واراد بالهالة حلقة الناس وبالأهلة اشراف الناس والعلماء وحرك السين من وسط مع الهالة لأنها دارة وساحة والعرب تقول فلان جلس وسط الدار واحتجم وسط الرأس بالتحريك وسكن مع الأهلة لأنه اراد معنى بين والعرب تقول جلس وسط القوم لحملوه على بين لماحل محلها وكان في معناها ولا يجوز جلس بين الدار فلهذا لا يقال جلس وسطها بالتسكين (تقوس) انحنى (اقعنس) تقبض واحدودب والعقس دخول الظهر وخروج الصدر والحدب ضده وبينه الراجز بقولة:

أقعس يمشى مشية النقاعس (تقلنس) لبس القلنسوة (تطلس) لبس الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص (يصدع يشق (ما أغراك) ما أكثر لصوقك (يغرك) يدلك على الغرر (أضراك (أشد)

وَأَلْهَجَكَ بِمَا يُطْغِيكَ وَأَبْهَجَكَ بِمَنْ تُطْرِيكَ ، تُعْنَى بِمَا يُعَنِّيكَ ، وَتُهْمِلُ مَا يَعْنِيكَ ؛ وَتَنْزِعُ فِي قَوْسِ تَعَدِّيكَ ، وَتَرْتَدِي الْحِرْصَ الَّذِي يُرْدِيكَ ؛ لا بِالْكَفَافِ تَقْتَنِــع ، ولا مِنَ الْحَرَامِ تَمْتَنِــع ؛ وَلَا لِلْعِظَاتِ تَسْتَمِع

ملازمتك (ألهجك) أشد حبك (يطغيك) يردك طاغيا متجاوزا قدرك (أبهجك) أشد سرورك (يطريك) يمدحك فى وجهك والنفس ميالة كثيرة الانخداع بمن يعظم شأنها ويثنى عليها فرارة ممن يحقرها ويذمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم أحثوا التراب فى وجوه المداحين تذليلا لهم بذلك حيث أكسبوا غيرهم عزة النفس والكبر قال الشاعر :

وخدعته بخديعة لما أبى ‏ ‏ ‏ ‏ والحر يخدع بالكلام الطيب

(تعنى) تشتغل (يعنيك) يتعبك (تنزع) ترمى (تعديك) ظلمك (الحرص) أسوأ الطمع (يرديك) يهلكك . كعب ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسدلها من حرص المرء على المال والشرف لدينه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتربت الساعة ولا تزداد الناس إلا حرصا على الدنيا ولا تزداد منهم إلا بعدا وقال محمود الوراق :

كم إلى كم أنت للحر ‏ ‏ ‏ ‏ ص وللامال عبد
ليس يجدى الحرص والسعـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـى إذا لم يك جد
ما لما قدره الله ‏ ‏ ‏ ‏ من الأمر مرد

وفى كتاب للهند لا ينبغى للملتمس من عيشة الا الكفاف الذى يدفع به إلى الحاجة عن نفسه وما سوى ذلك هو زيادة فى غمه وقالت الحكماء أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى وقال ابو ذؤيب .

والنفس راغبة إذا رغبتها ‏ ‏ ‏ ‏ وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقال سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه لا بنه يا بنى إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد وإياك والطمع فانما هو فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شىء قط إلا أغناك الله عنه ، وقال الغنى من استغنى بالله والفقر من افتقر إلى الناس ، قال ابن أبى حازم رحمه الله تعالى

استغن بالله لا تضرع إلى الناس ‏ ‏ ‏ ‏ واقنع بيأس فان العز فى اليأس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ‏ ‏ ‏ ‏ إن الغنى من استغنى عن الناس

ومن دعاء عمر رضى الله عنه اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى ولا تقلل لى منها فأنسى فانه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ،وقالوا ثمر القناعة الراحة وثمرة الحرص التعب وقالوا لا غنى إلا غنى النفس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع يا ابن آدم إذا أصبحت آمنا فى سربك معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفا ؛ وقيل لأبى حازم ما ملك فقال مالان الغنى بما فى يدى واليأس مما فى أيدى الناس وقيل لآخر ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن ؛ ومما قيل من الشعر فى معنى ما تقدم قال محمود الوراق :

وَلَا بالوَعِيدِ تَرْتَدِع ، دَأْبُكَ أَنْ تَتقلَّبُ معَ الأَهْوَاء ، وتَخبطَ خَبْطَ العَشْواء ، وَهَمُّكَ أَنْ تَدْأَبَ فى الِاحْتِرَاثِ وَتَجْمَعَ التُّرَاثَ لِلْوُرّاثِ

يا عائب الفقر ألا تزدجر	عيب الغنى أكبر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله	على الغنى لو صح منك النظر
أنك تعصى الله تبغى الغنى	وليس تعصى الله كى تفتقر

وقال عبيد الله بن عبدالله بن طاهر :

ومن سره ألا يرى ما يسوءه	فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا
فان صلاح المرء يرجع كله	فسادإذاالانسان جازبه الحدا

وقال البحترى :

إذاما كان عندى قوت يوم	طرحت الهم عنى يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالى	لأن غدا له رزق جديد

وقال ابن طباطبا :

إن فى نيل المنى وشك الردى	وقياس القصد ضد السرف
كسراج ذهنه غمر له	فاذا غرقته فيه طفى

وقال آخر :

وإذا نبابى منزل جاوزته	واعتضت منه غيره لى منزلا
وإذا غلا شىء على تركته	فيكون ارخص ما يكون إذا علا

(ولا بالوعيد ترتدع) أى لا تكف عن غيك ولا ضلالك بما تخوف من أهوال الآخرة (دأبك) أى عادته (اهواء) جمع هوى وهو ماتحبه النفس وتميل اليه (تخبط) تمشى على عماية (العشواء) الناقةالتى لا تبصر (تدأب) تداوم (الإحتراث) الكسب (التراث) المال الموروث ، وفى معناه أنه وجد على حائط مكتوبا ابن آدم اقتص الفرصة عند امكانها وكل الأمور إلى وليها ولا تحل فى قلبك هم يوم لم يأت إن يكن من أجلك بأنك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك فى طلب المال أسوة المغرورين فرب جامع لبعل حليلته واعلم أن تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره فالسعيد من انعظ بهذه الكلمات قال بديع الزمان :

أيا جامع المال من حله	يبيت ويصبح فى ظله
سيؤخذ منك غدا كله	وتسئل من بعد عن كله

وله أيضا ،

يا حريصا على الغنى	قاعدا بالمراصد
لست فى سعيك الذى	خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه	لست فيها بخالد
بعد هذا فانما	أنت ساع لقاعد

وقال سابق البربرى :

فحتى متى تهلو بمنزل باطل	كأنك فيه ثابت الأصل قاطن
وتجمع ما لا تأكل الدهر دائبا	كأنك فى الدنيا لغيرك خازن

يُعْجِبُكَ التَّكَاثُرُ بِمَا لَدَيْكَ ؛ وَلَا تَذْكُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَتَسْعَى لِغَارَيْك ؛ ولا تُبَالِى أَلَكَ أَمْ عَلَيْكَ ؛ أَتَظُنُّ أَنْ سَتُتْرَكُ سُدًى ، وَأَنْ لا تُحَاسَبَ غَدًا ، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْمَوْتَ يَقْبَلُ الرُّشَا ، أَوْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الأَسَدِ وَالرَّشَا ، كَلَّا وَاللهِ لَنْ يَدْفَعَ الْمَنُون ، مَالٌ وَلا بَنُون ، وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْقُبُور ، سِوَى الْعَمَلِ الْمَبْرُور ، فَطُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى ، وَحَقَّقَ مَا ادَّعَى ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، وَعَلِمَ أَنَّ الْفَائِزَ مَنِ ارْعَوَى وَإِنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ أَنْشَدَ إِنْشَادَ وَجِلٍ ، بِصَوْتٍ زَجِلٍ :

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِى الْمَغَانِى وَلَا الْغِنَى إِذَا سَكَنَ الْمُثْرِى الثَّرَى وَثَوَى بِهِ

وقال رجال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إن فلانا جمع مالا قال فهل جمع له أياما ؛ أخذه الشاعر فقال :

ارفه بعيش فتى يغدو على ثقة إن الذى قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه والوجه منه جديد ليس يخلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا حين تنفقه

(التكاثر) أى كثرة المال تقول تكاثر المال تكاثرا جاوز الحد فى الكثرة، أبو سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم من أمسى وأصبح وهمه الدينار والدرهم تكاثرا حشر مع اليهود والنصارى والذين قالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر (تسعى لغاريك) تجهد فى كسبك لتدرك شهوة بطنك وفرجك وهما الغاران وقيل هما الفرج والفم وقيل الحنكان الأعلى والأسفل وأخذ اللفظ من قول الشاعر :

ألم تر أن الدهر يوم وليلة وأن الفتى يسعى لغاريه دائبا

(سدى) أى مهمل مسيب (الرشا) بالضم جمع رشوة وهى العطية تدفع بها مضرة من يقدر عليك (الرشا) بالفتح الغزال (كلا) زجر (المنون) هى المنية (المبرور) المتقبل (وعى) حفظ الوصية (ما ادعى) أى ما ادعاه من أنه قبل الوصية (وحققه) داوم عليه بعمله (ارعوى) رجع وتاب (ما سعى) أى ما عمل وتعب فيه (الفائز) الظافر بحاجته (وجل) خائف (زجل) شديد وزجل الصوت زجلا ارتفع وأيضا طرب وقال أبو العتاهية فيما تقدم من ذكر الموت :

بين عينى كل حى علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والمو ت يغدو ويروح

وقال البديع :

إنما الدنيا غرور ولمن أصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ ظ لواعية فصيح
نحن لا هون وآجا ل المنايا لا تريح

(لعمرك) العمر للبقاء فاقسم به كأنه قال وحق بقائك الكريم على المحب إلى (المغانى) المنازل الشريفة (المثرى) الكثير المال (مثرى) التراب الندى وأثرى صار له كثير من المال كالثرى فى كثرته ثوى أقام

فجُدْ فى مَراضى الله بالمال راضياً ... بما تقتنى من أجره وثوابه
وبادرْ به صَرفَ الزمان فإنه ... بمخلبه الأشغى يغولُ وثابه
ولا تأمنِ الدهرَ الخؤونَ ومكرَه ... فكم خاملٍ أخنى عليه ونابه
وعاصِ هوى النفسِ الذى ما أطاعه ... أخو ضلةٍ إلا هَوى من عقابه
وحافظْ على تقوى الإله وخوفه ... لتنجوَ مما يُتقى من عقابه
ولا تَلْهَ عن تذكارِ ذنبكَ وابكه ... بدمعٍ يضاهى المُزنَ حالَ مَصابه
ومثّلْ لعينيكَ الحِمامَ ووقعه ... وروعةَ مَلقاهُ ومطعمَ صابه
وإنّ قُصارى منزلِ الحيّ حفرةٌ ... سينزلها مستنزلاً عن قبابه
فواهاً لعبدٍ ساءهُ سوءُ فعلهِ ... وأبدى التلافى قبلَ إغلاقِ بابه

(جد) تكرم بمالك (تقتنى) تكتسب أى لا تنفع المنازل الرفيعة البناء ولا المال الكثير إذا آل إلى الموت (بادر) سابق (صرف) تقلب (الاشغى) المعوج (يغول) يهلك (نابه) ضرسه (الخؤون) الكثير الخيانة (النابه) والنبيه من التباهة وهى الجلالة والرفعه (الخامل) ضده (أخنى) أهلك وأخنى على أخذ مالى (ضلة) أى ضلالة (هوى) سقط (عقابه) الأول جباله والثانى عقابه (تله) تشتغل (يضاهى) يشابه (الوبل) أكثر المطر (حال مصابه) أى حال وقوعه والمصاب مصدر صاب يصوب صوبا ومصابا (الحمام) الموت (روعة) نزع صاحبه حين يلقاه (صابه) مره والصلب شجر مر (وقصارى) آخر ونهاية كأنه قصر عندها أى جلس فلم يجاوزها (واها) عجبا (التلافى) التدارك لما فات (اغلاق بابه) أى موته ، وفى روعة ملقاه يحكى أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت هل تستطيع أن ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر قال لا تستطيع ذلك قال بلى قال فأعرض عنى ثم التفت فاذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومن منخريه لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد إلى صورته فقال إبراهيم لو لم يكن للفاجر عند موته إلا صورتك لكان حسبه ، وفى مطعم صابه يحكى أن إبراهيم عليه السلام قال له الله تعالى كيف وجدت الموت يا خليلى قال كسفود جعل فى صوف رطب قال أما أنا هونا عليك وقال لموسى عليه السلام كيف وجدت الموت قال كعصفور يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا يطير فينجو وفى رواية كشاة تسلخ من جلدها وهى حية ، وقال كعب الأحبار لعمر رضى الله عنهما وقد سأله أن يحدثه عن الموت قال الموت يا أمير المؤمنين كغصن كثير الشوك أدخل جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ الغصن ما أخذ وأبقى ما أبقى وكان النبى صلى الله عليه وسلم عند موته يقول إن للموت لسكرات اللهم هون على سكرات الموت وقالت عائشة رضى الله عنها لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيته من موته صلى الله عليه وسلم .. فهذه حال أحبابه فكيف بمن غمر فى بحار المعاصى اللهم عفوك .. وشعر المقامة مزدوج القوافى وعارضه الزاهد بن عمران فقال :

قال فَتَالٌ القَوْمُ بَيْنَ عَبْرَةٍ يَذْرُونَها ، وَتَوبَةٍ يظْهِرُونَها ، حتى كَادَت الشَّمْسُ تَزُول ، والفَرِيضَةُ تَعُول ، فلما خَشَعَتِ الأصْوات، والتأمَ الإنصات ، واستَكَنَت العَبَرات والعِبارات ، استَصْرَخَ مُسْتَصْرِخٌ بالأميرِ الحاضِر ، وجَعَلَ يَجْأَرُ إليه مِنْ عامله الجائر ، والأميرُ صاغٍ إلى خَصْمِه ، لاهٍ عن كَشْف ظُلمِه ،

مالى وللدنيا وعلمى بها غرارة خداعة مالى
تغرنى حتى إذا مكنت تعبث فى نفسي وفى مالى
همت بها حبا فقد أفسدت ماكان من صالح أعمالى
أعمى الهوى قلبي وحبي لها رأس خطاياى وأعمالى
تبكى على الفائت من حظها عينى بتسكاب واهمال
يارب زهدنى فى حبها ولا تؤاخذنى باهمالى

وله فى مثله :
ارغب عن الدنيا وأوصافها مشوبة جاءتك او صافيه
قتل أولى الالباب من فعلها فاصغ إلى فصحى وأوصافيه
ما بالغنى يغتر ذو فطنة كلا ولا يغتر بالعافيه
كم من غنى قدعاد فقرا وكم عافية قد أصبحت عافيه

وله أيضا :
ما الزهد ياقوم فلا تجهلوا بلبس أسمال وأخلاق
لكنة ليس ثياب التق فى حسن آذاب وأخلاق

وله أيضا :
خليلى لايغروك منى ظاهرى ومهماسألتالله فاسأله لى صفحا
فلوكنتذاعلم كعلمى بباطنى لأضر بتعن ذكرى أيادىالنهى صفحا
ولكن أرى الله الجيل بفضله فلم يفش لى سرا ولم يبدلى صفحا

وقال بعض الزهاد لصاحبه إنى أحبك فى الله فقال له لوعلمت منى ماأعلم من نفسى لأبغضتنى فى الله ، وله أيضاً :

تحفظ بذنبك لاتبتذله ولا تلف عرضك عرضا كليا
وعد عن الذنب لاتأته وبادر باصلاح مامنك ليا
فأنت ابن عمران موسى المسمى ولست ابن عمران موسى الكليا

وقال غيره :
لا تأمن الدهر الخؤ ن وخف بوادر بغتته
فالموت سهم مرسل والعمر قدر مسافته

(عبرة يذرونها) أى دمعة يصبونها (وتعول)يريد وتضيق يريد يضيق وقتها ويدخل عليها وقت غيرها فترجع صلاتين (خشعت) ذلت (التأم الانصات) اتصل السكوت (استكنت العبرات والعبارات) أى سكن البكاء والكلام (استصرخ مستصرخ) أى استغاث مستغيث (يجأر) يصيح يريد أن رجلا يشكى للأمير من عامل ولاه عليهم لجار فمال الأمير مع الوالى وترك المشتكى (صاغ) أى مائل (لاه) أى تارك ومشتغل

فلما يَئِسَ من رَوْحِه ، اسْتَنْهَضَ الواعظَ لِنُصْحِه ، فَنَهَضَ نَهْضَةَ الشِّمِّير ، وأنشد مُعَرِّضًا بالأمير :

عَجَبًا لِراجٍ أنْ يَنالَ ولايَةً ... حتى إذا ما نَالَ بُغيَتَهُ بَغى
يُسْدِي ويُلْحِمُ في المَظالِمِ والِغًا ... في وِرْدِها طَوْرًا وطَوْرًا مُولِغا
ما إنْ يُبالِي حينَ يَتْبَعُ الهَوَى ... فيهـــا أَصْلَحَ دِينَهُ أَمْ أَوْتَغا
يا وَيْحَهُ لو كانَ يُوقِنُ أنَّه ... ما حالة إلّا تَحُولُ لمَا طَغَى
أو لَوْ تَبَيَّنَ ما نَدامَةُ مَنْ صَغا ... سَمْعًا إلى إفْكِ الوُشاةِ لمَا صَغا
فانْقَدْ لِمَنْ أَضْحَى الزِّمامَ بِكَفِّهِ ... وتَغاضَ إنْ أَلْغَى الرِّعايَةَ أو لَغا
وارْعَ المُرارَ إذا دَعاكَ لِرَعْيِهِ ... ورِدِ الاجاجَ إذا حَماكَ السَّيْغا
واحْمِلْ أذاهُ ولوْ أَمَضَّكَ مَسُّه ... وأَسالَ غَرْبَ الدَّمْعِ منكَ وأفْرَغا
فَلَيُضْحِكَنْكَ الدَّهْرُ منه إذا نَبا ... عنه وشَبَّ لِكَيْدِهِ نارَ الوَغَى
ولَيَنْزِلَنَّ بهِ الشَّماتُ إذا بَدا ... مُتَخَلِّيًا من شُغْلِه مُتَفَرِّغا
ولَتأوِيَنَّ له إذا ما خَـــدُّهُ ... أضْحَى عَلَى تُرْبِ الْهَوانِ مُمَرَّغا
هذا لهُ ولَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا ... فيه يُرَى رَبُّ الفَصاحَةِ أَلْثَغا

(يئس) قطع رجاءه (روحه) نصرته وعدله الذى يريح المشتكي والروح الفرح والسرور (استنهض) سأله النهوض لينصح الأمير ، عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا وصلة لأخيه المسلم إلى السلطان فى مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام (الشمير) الماضى فى أموره (معرضا) من التعريض وهو أن تخاطب غيره وأنت تريده (نال بغيته) أى أدرك ماطلب (بغى) جار وظلم (يسدي ويلحم) أى يتصرف فى المظالم طولا وعرضا ومقبلا ومدبرا والسدى خيوط الثوب طولا واللحمة خيوطه عرضا (والغا) شاربا (وردها) ماؤها (مولغا) مسقيا غيره يريد أنه يباشر الظلم بنفسه تارة ويوليه غيره أخرى (أوتغ) أفسد وأهلك (ياويحه) قال الأزهرى رحمه الله تعالى ويح كلمة رحمة وويل كلمة عذاب والفرق بين ويح وويل ان ويح تقال لمن وقع فى بلية يرحم ويدعى له بالتخلص منها وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك لجزعت فقال لى ياحميراء ان ويح كلمة رحمة فلا تجزعى منها ولكن اجزعى من الويل (يوقن) يحقق (تحول) تغير (طغى) ارتفع وجاوز الحد فى الجور (صغى) مال (إفك) كذب (الوشاة) جمع واش وقد تقدم (انقد) أطع يقول من أصبح حاكمك فاتبعه وأطع له (تغاض) تغافل (ألغى) فرك (الرعاية) المحافظة للحقوق (لغا) أخطأ وقال قبيحا ثم قال إن حملك على الذل فاحتمله وكنى برعى المرار عنه (رد الاجاج) الماء المر والملح (حماك السيغا) منعك العذب السهل للشرب (أمضك) أحرقك وصيرك مهموما والمض التوجع من قول أو جرح (مسه) وقعه بجسمك (والغرب) فيض الدمع والغرب الدلو (هذاله) إشارة إلى ذل العزل (الالثغ) الأخرس المحبوس اللسان وهو أيضا الذى يبدل

وليُحْشَرَنَّ أذلَّ من فَقْعِ القَلا ويُحاسَبَنَّ النَّقِيصةِ والشَّغا
ويُؤاخذَنَّ بما اجْتَبَى ومَنِ اجْتَبى ويُطالَبَنَّ بما احْتَسَى وبما ارْتَغى
ويُنَاقَشَنَّ عَلَى الدَّقائقِ مِثْلَ ما قد كانَ يَصنعُ بالورَى بَلْ أَبْلَغا
حتى يَعَضَّ عَلَى الوِلايَةِ كَفَّه ويَوَدُّ لو لم يَبْغِ منها ما بَغَى

الياء والراء غينا (وربما) صاحبها (والفقع) ضرب من الكمأة من وطئه كسره لضعفه وهو الفقاع وبه يضرب المثل فيقال أذل من فقع بقرقرة (الشغا) الزيادة (اجتبى) جمع أموال الناس وضبطها لنفسه (اجتبى) اختار يريد أنه يطالب بما أخذ من الدنيا ويحاسب على الوالى الذى اختاره وولاه (احتسى) شرب الحسوة من اللبن بعد الحسوة (ارتغى) شرب الرغوة أى يؤاخذ بالقليل والكثير والظاهر والباطن (يناقش) يبحث عليه ويخرج ماعنده (أبلغ) أزيد (يبغ) يدرك ويطلب ... ونذكر هنا فصلا من الآداب يحتوى على الولاية والعزل والتشكى من الولاة حسبما تضمن هذا الموضع فى المقامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستحرصون على الأمارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة . أراد عمر رضى الله عنه أن يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب العمل فقال قد كنا أردناك لذلك ولكن من طلب هذا العمل لم يعن عليه ، ولقى عمر رضى الله عنه أبا هريرة رضى الله عنه فقال ألا تعمل فقال ما أريد العمل قال قد طلبه من هو خير منك يوسف الصديق عليه السلام قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ، قال المغيرة بن شعبة أحب الأمرة لثلاث لرفع الأولياء ووضع الأعداء واسترخاص الأشياء وأكرهها لثلاث لروعة البريد وذل العزل وشماتة الأعداء ، وقال أمير لأعرابى قل الحق وإلا أو جعتك ضربا قال وأنت فاعل به فو الله لما وعدك الله على تركه أعظم مما توعدتنى به ، وذكر أهل السلطان عند اعرابى فقال أما والله إن اعتزوا فى الدنيا بالجور لقد أذلوا فى الآخرة بالعدل ولقد رضوا بقليل فان عوضا من كثير باق وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم .. تظلم رجل للمأمون من عامل له فقال له يا أمير المؤمنين وماترك لنا فضة إلا فضها ولاذهبا إلا ذهب به ولا ماشية إلا امتشى بها ولا غلة إلا غلها ولاضيعة إلا أضاعها ولا علقا إلا علقه ولاعرضا إلا عرض له ولا جليلا إلا أجله ولادقيقا إلا أدقه فعجب المأمون من فصاحته وقضى حاجته . قحطبة بن حميد : إنى لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من دخل عليه وتقدم اليه امرأة وقد هم بالقيام عليها ابهة السفر وثياب رثة فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم فقال يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمى فى حاجتك فقالت :

ياخير منتصف يرجى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو اليك عميد الملك أرملة عدا عليها فلم يترك لها لبد
وابتزمنى ضياعى بعد منعتها ظلما وفرق منى الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع راسه فقال :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد عنى وأقرح منى القلب والكبد
هذا أوان صلاة العصر فانصرفى وأحضرى الخصم فى الوقت الذى أعد
والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الأحد

فجلس يوم الأحد فكانت أول من تقدم اليه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام اين الخصم فقالت واقف على رأسك وأشارت إلى ابنه العباس فقال يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فاجلسه معها للخصومة ففعل فجلس فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد يا أمة الله أنت بين يدى أمير المؤمنين وتكلمين الأمير فاخفضى من صوتك فقال له المأمون دعها يا أحمد فالحق أنطقها والباطل أخرسه ثم قضى لها برد ضياعها وظلم العباس وأمر لها بنفقة وبكتاب إلى عامل بلدها أن يحسن معاونتها . قال أبو العيناء كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى وزارته فلما صرف رهبنى فلما لقينى سلم على فدنوت منه وقلت له والله لقد كنت أقنع بإيمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك والحمد لله على ما آلت اليه حالتك فلئن أخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة وإن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك فلقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك والله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله أسأت حمل النعم وما شكرت حق المنعم ، فقيل له يا أبا عبد الله لقد أبلغت فى السب فما كان الذنب فقال سألته حاجة أقل من قيمته فردنى عنها بأقبح من صورته ، وقال ابن الرومى فى أبى الصقر وكان قد مدحه فلم يرفع به رأسا :

فلئن نكبت لطالما نكبت بك همة لجأت إلى سندك
لو تسجد الأيام ما سجدت إلا ليوم فت فى عضدك
يا نعمة ولت غضارتها ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت بردا على كبدى لما غضدت حرى على كبدك

وقال فيه :

خفض أبا الصقر فكم طائر خر صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفأها فصانها الله بتطليق
لاقدست نعمى تسربلتها كم حجة فيها لزنديق

وقال فيه قبل النكبة .

غدا يعلو الجياد وكان يعلو إذا ما استفره السبت الطراقا
أعنتها الشسوع فان عراها حفاء الكد أنعلها طراقا
فزوج بعد فقر منه نعمى أرانى الله صبحتها اطلاقا

ومن غرائب التكاتب فى العزل ما كتب به أحمد بن مهران إلى معزول بلغنى أعزك الله انصرافك عن عملك فسررت بذلك ولم استفظعه لعلمى بأن قدرك أجل وأعلى من أن يرفعك عمل تتولاه أو يضعك عزل عنه والله لولم تختر الانصراف وترد الانعزال لكان فى لطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأتيك ما تزيل به السبب الداعى إلى عزلك والباعث على صرفك ونحن إلى أن نهنيك بهذا الحال أولى بنا من أن نعزيك إذ أردت الصرف فأوتيته وأحببت الاعتزال فاعطيته فبارك الله منقلبك وهناك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب المزيد

ثم قال : أيُّهَا المُتوشِّحُ بالولاية ، المُتَرَشِّحُ للرِّعاية ، دَعِ الإدْلالَ بِدَوْلَتِك ، والاغْتِرَارَ بِصَوْلَتِك ، فإن

لك فيها . . . كان أبو شراعة لا يسأل ابن المدبر حاجة الا قضاها ولا يشفع لأحد إلا شفعه فلما عزل ابراهيم بن المدبر عن البصرة شيعه الناس فردهم حتى لم يبق إلا أبو شراعة فقال يا أبا شراعة غاية كل مودع الفراق فانصرف راشدا مكلوءا من غير قلى والله ولا ملل وأمر له بعشرة آلاف درهم فعانقه أبو شراعة وبكى وأطال ثم قال وهو أحسن ما قيل فى التهنئة بالعزل:

يا ابا اسحق سرفى دعة وامض مكلوءا فما منك خلف
ليت شعرى أى ارض أجدبت فأريحت بك من جهد العجف
نزل اللطف من الله بهم وحرمناك بذنب قد سلف
إنما أنت ربيع باكر حيثما صرفه الله انصرف

ومن ملح هذا الباب أن بعض الوزراء قلد ابن حجاج عملا فخرج اليه يوم الخميس وتبعه كتاب عزله يوم الأحد فقال فيه

يا من إذا نظر الهلا ل إلى محاسنه سجد
وإذا رأته الشمس كا دت أن تموت من الحسد
يوم الخميس بعثتنى وصرفتنى يوم الأحد
والناس قد غنوا على لما خرجت من البلد
ما قام عمرو فى الولا ية قائما حتى قعد

وذكر اللثغ وللشعراء فى اللثغ ما يستحسن قال ابن شهيد :

مرض الجفون ولثغة فى المنطق شيئان جرا عشق من لم يعشق
يلبى فينبو فى الكلام لسانه فكأنه من خمر عينيه شق
لا ينعش الألفاظ من عثراتها ولو أنها كتبت له فى مهرق

وأحسن ما فى وصفه قول الرمادى :

لا الراء تطمع فى الوصال ولا أنا الهجر يجمعنا فنحن سواء
فاذا خلوت كتبتها فى راحتى فبكيت منتحبا أنا والراء

أخذه أبو القاسم بن العريف :

أيها الالثغ الذى شف قلبى جد بحرف ولو نطقت بسبى
هجرك الراء مثل هجرى سواء فكلانا معذب دون ذنب
فإذا شئت أن أرى لى مثالا فى غرامى خططت راء بجنبى

(المتوشح) أى المحترم (المترشح) المتهيء (للرعاية) أى لحفظ الناس (الاغترار) الانخداع (صولتك) عزك وقهرك يقال صال الرجال على قرنه والفحل على إبله أى قهر وعلا والفحل أيضاعض وربما همز فعل الفحل

لدَّوْلة ريحٌ قُلّب ، والإمْرَةَ بَرْقٌ خُلّب ، وإنَّ أسْعَدَ الرُّعاة مَنْ سَعِدَتْ به رَعِيَّتُه ، وأشْقاهُمْ في الدّارَيْنِ مَنْ ساءَتْ رِعايَتُه ؛ فلا تكُ مِمَّنْ يَذَرُ الآخِرَةَ ويُلْغيها ، ويُحِبُّ العاجِلَةَ ويَبْتَغيها ، ويَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ويُؤْذيها ، وإذا تَوَلَّى سَعَى في الأرْضِ لِيُفْسِدَ فيها ، فواللهِ ما يَغفلُ الدَّيّانُ ، ولا تُهْمَلُ يا إنسان ، ولا تُلْغَى الإساءةُ ولا الإحْسان ، بلْ سَيُوضَعُ لكَ الميزان ، وكما تَدِينُ تُدان ، قال فوَجَمَ الوالي لمّا سَمع ؛ وامْتُقِعَ لَوْنُهُ وانْتُقِع وجَعَلَ يَتأفَّفُ مِنَ الإمْرَةِ ، ويُرْدِفُ الزَّفْرَةَ بالزَّفْرَةِ ، ثمّ عَمَدَ إلى الشّاكي فأشْكاه ، وإلى المَشْكُوِّ منهُ فأشْجاه ، وألْطَفَ الواعِظَ وحَباه ؛ واسْتَدْعَى منه أنْ يَغْشاه فانْقلَبَ عنهُ المَظْلُومُ مَنْصُورا ؛ والظّالِمُ مَحْصُورا ، وبَرَزَ الواعِظُ يَتَهادَى بيْنَ رُفْقَتِهِ ؛ ويَتَباهَى بِفَوْزِ صَفْقَتِه ، واعْتَقَبْتُهُ أخْطُو مُتَقاصِرا ، وأُرِيه لَمْحًا باصِرا ،

(قلب) أى متقلب (خلب) خادع لاماء فيه يريد أن الولاية تنقل من إنسان إلى آخر (تلغى) تهمل (العاجلة) الدنيا لأن خيرها معجل (تولى) صار وليا (سعى) مشى مسرعا ... ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه من ولى من أمر أمتى شيأ فحسنت سريرته رزق الهيبة فى قلوبهم وإذا بسطت يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم وإذا انصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه وإذا عدل مد فى عمره ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة الدين ولاة السوء وأيما وال ولى شيأ من أمور المسلمين فلم ينصح لهم ولم يجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا للآخرة الدنيا ولكن من أخذ من هذه وهذه (الديان) المجازى وهو الله سبحانه وتعالى لأنه يجزى العباد على أعمالهم...وقال الألبيرى :

كل امرىء فكما يدين يدان سبحان من لم يخل منه مكان
يا عامر الدنيا ليسكنها وما هى بالتى يبقى لها سكان
تفنى وتبقى الأرض بعدك مثل ما يبقى المناخ وترحل الركبان
أأسر فى الدنيا بكل زيادة وزيادتى فيها هى النقصان

(تهمل) تترك مهملا (وجم) سكت غاضبا (امتقع وانتقع) تغير وذهب الدم من وجهه ويقال فى معناهما انتفع واهتفع (يتأفف) يقول أف أف وذلك فعل النادم المهموم (الزفرة) النفخة من الهم (أشكاه) أنصفه ورفع عنه شكواه وفى الحديث شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكونا أى لم يزل شكوانا أى شكوا إليه مايصيب أقدامهم من شدة الحر فى صلاة الظهر وسألوه تأخيرها إلى الابراد فلم يجبهم إلى ذلك.. وأنشد يعقوب : ونشتكى لو أنها تشتكينا — والمشكو إليه الوالى الذى اشتكى إليه (أشجاه) آذاه وأبكاه (ألطف) بره وأكرمه (حباه) أعطاه الحباء (يغشاه) يزوره (محصورا) محبوسا (يتهادى) يمشى متثاقلا مشى الوقار (يتباهى) يتعاظم (بفوز صفقته) بظفر قصته مع الوالى وفاز فوزا ظفر بخير دنياه وأخراه وأصل الصفقة فى البيع هو أن تضرب بيدك على يد مبايعك (اعتقبته) مشيت خلفه كأنك تطأ بصدور قدميك مواطىء عقبيه (أخطو متقاصرا)

فلما استَشَفَّ ما أخفيه ، وفَطِنَ لتقلب طَرْفى فيه ، قال خَيْرُ دَلِيلَيْكَ مَنْ أرْشَد ؛ ثم اقْتَرَبَ مِنّى وأنشد :

أنا الذى تَعْرِفُهُ يا حارثُ ... حِدْثُ مُلوكٍ فَكِهٌ مُنافِثُ
أُطْرِبُ مالا تُطْرِبُ المَثالِثُ ... طَوْرًا أُخُوجِدٌّ وَطَوْرًا عابِثُ
ماغَيَّرَتْنى بعدَكَ الحوادِثُ ... ولاالتَحَى عُودِىَ خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدّى نابٌ فارِثُ ... بَلْ مِخْلَبِى بِكلِّ صَيْدٍ ضَابِثُ
وكلُّ سَرحٍ فيه ذِئْبِى عائِثُ ... حتى كأنى لِلأَنامِ وارِثُ
سامُهُمُ وحامُهُمْ ويافِثُ

أى أمشى مستخيفا متشبها بالقصار (لمحاباصرا) أى نظرا شديدا (استشف) استقصى (فطن) تنبه وشعر (أرشد) دل يقول إذا كان لك دليلان نخيرهما من هداك الطريق فلما رآه ينظر وتشكك فيه قال خير دليلك من ذلك على (اقترب) قرب (حدث ملوك) أى يحدثهم بما يطربون (فكه) طيب الحديث والفكه المزاح الحسن الخلق وفكه فكها وفكاهة طابت نفسه وكثر ضحكه قال الشاعر :

فكه إلى جنب الخوان إذا غدت ... فكها تقطع ثابت الاطناب

أبو عبيدة : رجل فكه يأكل الفاكهة وفاكه عنده فاكهة ، وقال الشاعر أيضا :

فكه العشى إذا تأوب رجله ... صيف الشتاء مساح بالميسر

اى يأكل الفاكهة وقرى فاكهين ، قال الفراء رحمه الله تعالى معناهما واحدأى معجبين بما آتاهم ربهم كطمع وطامع وفكه وتفكه إذ تعجب ومنه فظلتم تفكهون وقيل معناه تندمون (منافث) أى محادث (المثالث) من أوتار العود (طورا) حينا (عابث) لاعب (الحوادث) مايحدثه الدهر من خير أو شر (التحى) قشر (خطب كارث) أمر ثقيل صعب (فرى) قطع (نابى) ضرسى (فارس) مفتت الكبد قال الشاعر :

هوى من صخرة صلد ... ففرث تحتها كبده

وفرثت الكرش أخرجت مافيها من الزبل (ضابث) قابض عليه (السرح) المواشى تغدو رعاية فى المسرح وتروح منه (عائث) مفسد آكل لها (سام وحام ويافث) أولاد نوح عليه الصلاة والسلام وفيهم نزلت وجعلنا ذريته هم الباقين وبذلك جاءت الأخبار وهم لأم واحدة ، وأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح عليه السلام أن يغير الله نطفته فجاءت بالسود ، وذكر أهل التوارة أن نوحا عليه السلام شربوا تنشى وتعرى فابصر حام عورته فاطلع عليه أخواه فأخذا رداءه فألقياه على عواتقهما ومشيا على أعقابهما فوارياه فعام نوح عليه السلام بذلك فقال ملعون كنعان بن حام عبيد يكونون لأخويه ومبارك سام ويكثر الله يافث ، وفى تفسير النقاش أن نوحا لما أهبط من السفينة نام فبدت عورته فنظر إليها حام فضحك ولم يغير عليه يافث فنظر ذلك سام فزجره وغطى عورة أبيه فلما استيقظ أخبره فدعا نوح ابنه حاما فقال يابنى غير الله ماء صلبك فلا تلد إلا السودان وقال ليافث جعل الله ذريتك عبيدا لأولاد سام وقال لسام جعل الله منك الأنبياء والصالحين والملوك فكان سام القيم بعد أبيه فى الأرض ونزل وسطها، نزل الحرم إلى اليمن إلى الشام ، ومن ولده الأنبياء كلهم عربيها وعجميها ،

قال الحارثُ بنُ همامٍ : فقلتُ له تاللهِ إنَّكَ لأبُو زَيْدٍ ، ولَقَدْ قُمْتَ للهِ ولا عَمْرَو بنَ عُبَيْد ،

ومن ولده عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق ويعرب وجرهم وهم العرب العاربة لأن العربية لسانهم التى جبلوا عليها ويقولون لبنى اسمعيل العرب المتعربة لأنهم إنما تكلموا بها حين سكنوا بين أظهرهم ومن العماليق الجبابرة بالشام والفراعنة بمصر ... سعيد ابن المسيب : سام ولده العرب وفارس والروم وفى كل خير ، وأما يافث فمن ولده الصقالبة وبرجان والأشبان والترك والخزر ويأجوج ومأجوج ، ابن المسيب : وليس فى واحد من هؤلاء خير ، وأما حام فمن ولده السند والهند وأجناس السودان كلها مثل كوش والزنج والزغاوة والحبشة والزط والقبط بن كنعان بن حام والخلاف كثير (ولا عمرو بن عبيد) هو الزاهد الذى كان يسكن بالبصرة ويجالس الحسن البصرى حفظ عنه شيأ كثيرا من علومه واشتهر فضله بصحبته وكان له سمت وإظهار زهد ورآه الحسن يوما فقال هذا سيد شباب أهل البصرة إن لم يحدث ثم أزاله ونهى عنه فقال بالعزل ودعا إليه وترك مذهب أهل السنة واعتزل الحسن البصرة ونسبت إليه المعتزلة ، فأما قيامه الذى ذكره فهو دخر له على المنصور فى جماعة من أهل العلم فاستشارهم فى أمر فكلهم أشار عليه بمراده إلا عمرا فانه لم يصحبهم ونصحه فقال ياأمير المؤمنين إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لو كان باقيا لأحد قبلك لما وصلك ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد قال فبكى المنصور حتى بل ثوبه فقال الربيع ياعمرو غممت أمير المؤمنين فقال عمرو إن هذا — يعنى الربيع — صحبك عشرين سنة ما نصحك يوما واحدا وما عمل وزراؤك بشىء من كتاب الله تعالى فقال له المنصور فماذا أصنع هذا خاتمى فى يدك نخذه أنت وأصحابك فاكفونى فقال عمرو ادعنا بعدلك تسمح أنفسنا بعونك ببابك ألف مظلمة أردد منها واحدة حتى نعلم أنك صادق : ويروى أنه قال له المنصور أعنى بأصحابك فقال ارفع علم الحق يتبعك أهله ، ثم قال له المنصور ماحاجتك يا أبا عثمان فقال له تأمر برفع هذا الطيلسان عنى فرفع وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لاتدع اتياننا قال نعم لا يضمنى وإياك بلد إلا أتيتك وإن بدت لى حاجة إليك سألتك ولكن لا تعطى حتى أسالك ولا تدعنى حتى آتيك قال إذا لاتأتينا أبدا ، ولو للخروج أتبعهم المنصور بصره ثم قال :

كلكم يمشى رويد كلكم حابل صيد غير عمرو بن عبيد

وكان جده باب من سبى فارس وكان أبوه عبيد بن باب نساجا ثم تحول فصار للحجاج شرطيا بالبصرة وكان فظا غليظا خسيسا ، وبلغه أن الناس إذا رأوا ابنه قالوا هذا خير الناس ابن شر الناس فقال صدقوا أنا كآزر وابنى كابراهيم عليه السلام ، وقال إسحق بن الفضل : بينما أنا واقف إلى جنب عمارة بن حمزة بباب المنصور إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل ونحى البساط برجله وجلس دونه فقال لى عمارة لاتزال بصرتكم ترمينا بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أين ابو عثمان عمرو بن عبيد ؟ فو الله مادل على نفسه حتى أرشد إليه فاتكاه يده ثم قال أجب أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك فمر متوكئا عليه فقلت لعمارة الذى استحمقه قد دعى وتركنا فقال : كثيرا مايكون مثل هذا فأطال اللبث ثم خرج الربيع وعمرو متوكىء عليه وهو

فَهَشٌ هَشاشَةَ الكَرِيمِ إذا أُمَّ ، وقال اسْمَعْ يا ابن أُمّ ، ثم أنشأ يقول :

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ ولو أَنَّه   أحْرَقَكَ الصِّدْقُ بنارِ الوَعِيد
وابْغِ رِضا اللهِ فَأَغْبى الوَرَى   مَنْ أَسْخَطَ المَوْلى وأَرْضَى العَبِيد

يقول ياغلام حمار أبى عثمان فما برح حتى أقره على سرجه وضم إليه ثوبه واستودعه الله عز وجل فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلا لو فعلتموه بولى عهدكم لكنتم قدقضيتم حقه ، قال فماغاب والله عنك مما فعله أمير المؤمنين أكثر وأعجب ، قال فان اتسع لك الحديث فحدثنا ، فقال ماهو إلا أن سمع أمير المؤمنين بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودا ثم انتقل هو والمهدى اليه وعلى المهدى سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه ومازال يدنيه حتى أتكأه فخذه وتحفى ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عظنى فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليالى عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر إلى قوله تعالى إن ربك لبالمرصاد ، ياأباجعفر ، فبكى المنصور رحمةالله تعالى بكاء شديدا وكأنه لم يسمع تلك الآية الشريفة إلا تلك الساعة ، فقال زدنى قال إن الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وإن هذا الأمر الذى صار اليك إنما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك وإنى أحذرك ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة ، قال فبكى والله أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه ، فقال له سليمان ابن مالك رفقا بأمير المؤمنين لقد أتعبته فى هذا اليوم فقال له عمرو بمثلك ضاع الأمر وانتشر لا أبالك وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله تعالى قال فانت والله الصادق البر قد امرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك فقال لا حاجة لى بها قال والله لتاخذنها قال والله لا آخذها فقال له المهدى يحلف امير المؤمنين وتحلف فأقبل على المنصور فقال من هذا الفتى فقال هذا ابنى محمد وهو ولى عهد المؤمنين فقال والله لقد سميته اسما مااستحقه عمله وألبسته لبوساماهو من لبوس الأبرار ولقدملكته أمرا أمتع مايكون به أشغل ما يكون عنه ثم التفت إلى المهدى وقال ياابن أخى إذا حلف ابوك حلف عمك إلا ان اباك اقدر على الكفارة من عمك ثم قال يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هى قال لا تبعث إلى حتى آتيك قال إذا لانلتق قال عن حاجتى سألتنى ، ثم استحفظه الله عز وجل وودعه وانصرف فلما ولى اتبعه المنصور بصره وهو يقول ... كلكم يمشى رويد ... الأبيات ... وقال إسمعيل بن مسلمة اخو القعنبى : رأيت الحسين بن ابى جعفر يعباذان فى المنام فقال لى يعقوب ويونس بن ابى عبيد فى الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال فى النار ثم رايته فى الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له فى اللة الثالثة فعمرو بن عبيد فقال فى النار كم اقول لك (هش) اى فرح (ام) قصد (الوعيد) التهديد (اغبى الورى) اجهل الناس به ، قال المنصور والله ما عز ذو باطل ولو طلع فى جبنه القمر ولا ذل ذو حق ولو اصفق العالم عليه ، وفى معنى قوله وابغ ارضا الله تعالى البيت ان ابن هبيرة شاور الحسن البصرى فقال يا ابا سعيد ما تقول فى كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان انفذتها خفت سخط الله وإن لم انفذها خفت على دمى فقال يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد ولا تخف

ثم إنهُ ودَّعَ أخدانَه ، وانطَلَقَ يَسْحَبُ أرْدانَه ؛ فَطَلَبْناهُ من بَعْدُ بالرَّى ، واسْتَنْشَرْنا خَبَرَهُ من مَدارِجِ الطَّى ؛ فما فِينا مَنْ عَرَفَ قَرارَه ، ولا دَرَى أىُّ الجرادِ عارَه .

يزيد فى الله فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من الله ، يا ابن هبيرة لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فاعرض كتاب يزيد على كتاب الله سبحانه وتعالى فما وافقه فنفذه وما خالفه فلا تنفذه فقال صدقتنى ورب الكعبة .. وشاور معاوية الأحنف فى استخلاف يزيد فسكت فقال مالك لا تقول فقال : إن صدقناك أسخطناك وإن كذبناك أسخطنا الله عز وجل فسخطك أهون علينا من سخط الله تعالى قال صدقت .. وكتب أبو الدرداء إلى معاويه : أما بعد فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن يلتمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس وكتبت إليه عائشة رضى الله تعالى عنها أما بعد فانه من يعمل بسخط الله تعالى يصير حامده من الناس ذامًا له والسلام (أخدانه) أصحابه (يسحب أردانه) يجر أذياله (استنشرنا) طلبنا أن ينشر لنا (المدرجة) الورقة تكتب فيها الرسالة ويدرج فيها الكتاب وأضافها إلى الخطى لأنها تطوى على مافيها من الكتاب فكأنه قال مما أدرج فى الورق من الكتاب وطوى عليه يريد أنه أرسل فيه الرسائل إلى البلد فلم يعرف له موضع قر فيه وثبت (عاره) ذهب به وأتلفه ، ويكنون بالجراد عن الناس فكأنه قال ما يدرى أى الناس ذهب ، ويقال عارت عينة صارت عوراء وعرتها أنا فقأتها فكأنه ذهب كما تذهب العين ، وهذا بضعف . . والله أعلم بالصواب .

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارثُ بن همامٍ قال: أوَيتُ في بَعْضِ الفتَرات ، إلى سَقيِ الفُرات فَلقيتُ بِها

شرح المقامة

(أويت) أى ملت وانضممت (الفترات) جمع فترة وهى الهدنة والسكون فكأنه قال مشيت فى بعض السنين الآمنة ، والفترة أيضا ضعف الأعضاء والفترة أيضا ما بين نبى ونبى (سقى الفرات) بلاد يسقيها الفرات والفرات نهر شق بلاد الروم وبلاد العراق ويقع فى البحر الحبشى وجريانه خمسمائة فرسخ ، وقال الرشاطى : ابتداء الفرات وفوهته من قاليقلا من بلاد ارمينية ثم يسير إلى منبج من كور قنسرين إلى سميساط ثم إلى ملطية ثم إلى كيسوم من ارض الرقة ثم إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة وكسور الفرات ثم إلى الأنبار ثم إلى الكوفة ويلتقى مع الدجلة مابين واسط والبصرة ومنها انصابها إلى البحر وجريانها من الشمال إلى الجنوب ، وقال شيخنا ابن جبير هذا النهر كاسمه فرات وهو من أعذب المياه وأخفها وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن وتنحدر وأما سقيه فى أحواز بغداد فيبين لك قدره أنه ذكر أنه عاينه فى طريقه من الكوفة إلى بغداد وأنه رحل مع أمير الحاج من الكوفة يوم السبت قال ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات ورحلنا من ذلك الموضع وبتنا ليلة الأحد سلخ محرم بقرية من الحلة ثم جئناها يوم الأحد وهى عتيقة الموضع مستطيلة متصلة بالفرات من جانبها الشرقى وهى على شاطئة ويمتد بطولها ولها أسواق حفيلة جامعة للمرافق قوية العمارة وديارها بين حدائق النخيل وألفينا بها جسرا معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط إلى الشط أمر الأمير بعقدها اهتماما بالحاج فعبر ناها ونزلنا على الفرات على فرسخ من البلد ، والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق واجملها فى بسائط وعمائر تتصل بها القرى يمينا وشمالا ويشق هذه البسائط أغصان من الفرات تسقيها ، فللعين فى هذه الطريق مسرح انشراح وللنفس مرادانبساطوانفساح . ومن مدينة الحلة يتسلسل الحاج أرسالا وأفواجا لايعرج المتأخر على المتقدم فحيثما شاؤا نزلوا ، ومن جملة الدواعى لافترقهم كثرة القناطر المعترضة فى طريقهم إلى بغداد لا تكاد تمشى ميلا الا وتجد قنطرة على نهر متفرع عن الفرات فلو زاحم ذلك البشر تلك القناطر دفعة لتراكموا وقوعا بعضا على بعض ، فرحلنا من الحلة ضحوة يوم الإثنين أول يوم صفر ونزلنا بعصره بقرية تعرف بالقنطرة كثيرة الخطب كبيرة الساحة متدفقة فيها جداول الماء وارفة الظلام بشجرات الفواكه من احسن القرى وأجملها بها قنطرة محدودة تصعد اليها وتنحدر عنها على فرع من فروع الفرات فعرفت القرية بها ثم رحلنا عنها بسحر الثلاثاء ونزلنا ضحوة بالفراش قرية كثيرةالعمارة يشقها الماء وحولها بسيط أخضر جميل المنظر ، والقرى من الحلة إلى بغداد على صفة الفراش فى الحسن والاتساع ، ثم رحلنا منها ونزلنا عشى النهار بدريدان ، وهى قرية من أجمل قرى الأرض وأحسنها منظرا وأفسحها ساحة وأوسعها اختطاطا وأكثرها بساتين ورياحين وحدائق من نخيل ولها سوق تقصر عنه أسواق المدن وحسبك من شرفها أن دجلة تسق شرقيها والفرات يسقى غربيها وهى كالعروس بينهما ومن

كُتَّاباً أَبْرَعَ من بَنى الفُرات ، وأَعْذَبَ أخلاقاً منَ الماء الفُرات فأَطَفْتُ بِهِمْ لِتَهَذُّبِهم ، لا لِذَهَبِهم، وكاثَرْتُهم لادَبِهم ، لَا لِمَآدبِهم ، فجالَسْتُ مِنْهُمْ أَضْرابَ قَعْقاعِ بنِ شَوْر ؛

شرفها من بازائها إيوان كسرى وهو بناء عال فى الهواء على مقدار الميل منها وأمامها بيسير مدائنه ، واجتزنا على المدائن فعاينا من طولها واتساعها مرأى عجيبا ؛ ونزلنا قافلين بصر صروهى أخت دريدان حسنا يمر بجانبها القبلى نهر متفرع من الفرات وهى من القرى التى تملأ النفوس حسنا وجمالا لها أسواق حفيلة وجامع وجسر معقود على مراكب من الشط إلى الشط وهى من بغداد على ثلاثة فراسخ،ورحلنا قبل الظهر وجئنا بغداد قبل العصر على بساتين وبسائط يقصر الوصف عنها فمن أراد أن تعرف قدر سقى الفرات فليقف على هذا الفصل الذى ذكرناه (كتابا أبرع من بنى الفرات) أى أحذق وأزيد فضيلة والفرات رجل من عجل كان له أبناء مشاهير بالكتابة والحذاقة والبرعة وتقلد الوزارة قال فى بعضهم صالح بن موسى رحمه الله

آل الفرات ندامم على الفرات يزيد وأنت فضلك فيهم عليك منه شهود

وقال ابن المعتز فى على بن محمد الفرات :

أبا حسن ثبت فى الأمر وطأتى وأدركتنى فى المعضلات الهزاهز
وألبستنى درعا على حصينه فناديت صرف الدهر هل من مبارز

وقال على بن بسام

وقفت شهورا للوزير أعدها فلم تثنه نحوى الحقوق السوالف
فلا هو يرعانى رعاية مثله ولا أنا أستحيي الوقوف وآنف

وكان موسى ابن الفرات عاملا لأحمد بن الخصيب وزير المنتصر بن المتوكل ، واستوزر أبا الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات يعزله ثم يرده ، وكان أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وزيره ، وتولى بعض دواوين المقتدر أبو طالب بن جعفر بن الفرات والحسن بن أبى الحسن بن الفرات فكان محل آل الفرات الوزارة والكتابة والبراعة والحذاقة . . وحكى أن بعض الأدباء جوز بحضرة الوزير أبى الحسن بن الفرات أن السين تقام مقام الصاد فى كل موضع فقال له الوزير أتقرأ جنات عدن يدخلونها ومن سلح من آبائهم أو ومن سلح فخجل الرجل وانقطع ، ومثل هذا النادر أن النضر بن شميل مرض فدخل عليه قوم يعودونه فقال له رجل منهم يكنى أبا صالح مسح الله مابك فقال له لا تقل مسح بالسين ولكن بالصاد بمعنى أذهب وهو كلام العرب فقال أبو صالح إن السين تبدل من الصاد كالصراط والسراط وصقر وسقر فقال له النضر فأنت إذا أبو سالح فخجل الرجل (أعذب من الماء الفرات) أى أحلى والماء الفرات العذب الحلو (أطفت) أى الممت ونزلت (لتهذبهم)لظرفهم وتخلصهم من عيوب الجفاء (كاثرتهم) صاحبتهم فكثرت عددهم بى(مآدبهم)طعامهم (أضراب) امثال (القعقاع بن شور) قال المبرد هو رجل سيد من عبد الله بن دارم وكان إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا فى ماله وأعانه على عدوه وشفع له فى حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك ، قال الفنجديهى : هو القعقاع بن شور بن عمرو بن ذهل بن ثعلبه بن حكانة بن صعب بن على بن بكر بن وئل

ووصَلْتُ بهم إلى الكَوْرِ بَعْدَ الحورِ ، حتى إنَّهُمْ أثْرَ كُونى

الشيبانى وهو من الاجواد والأسخياء يضرب به فى المثل فى حسن المجالسة والمعاشرة وإتيان الجليس بالشىء النفيس ، قال أبو عبيدة وكان من جلساء معاوية فأهدى إلى معاوية هدايا يوم المهرجان فيها جامات ذهب وفضة فدفعها إلى جلسائه ودفع إلى القعقاع جام ذهب وفى القوم اعرابى إلى جنب القعقاع فدفع اليه الجام فأخذه الأعرابى ونهض ينشد

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن أمر بخير ... وعند الشر مطراق عبوس

ومما يستحسن فى البر بالجليس قول صاعد اللغوى

لى من سر بنى العباس خل وجليس
شهد المجد عليه أنه العلق النفيس
فاذا جالسته لم ندر من منا الجليس؟

وقال كشاجم : جليس لى أخو ثقة كأن حديثه خبره
يسرك حسن ظاهره وتحمد منه مختبره
ويستر عيب صاحبه ويستر انه ستره

وقال آخر : جليس لى له أدب رعاية مثله تجب
لو انتقدت خلائقه تبرج عندها الذهب

وقال آخر لى صديق غلطت بل لى مولى ... من لمثلى بأن يكون صديقى؟
نتلاقى التقاء روح بروح ... بضروب التقبيل والتعنيق
ليس فى الأرض من يميزنا ... عاشقانى اللقاء من معشوق

أين ما وصف به القعقاع من قول والبة المشهور :

قلت لندمانى على خلوة ... أدن كذا رأسك من راسيا
ونم على وجهك لى ساعة ... إنى امرؤ أنكح جلاسيا

والبة بن الحاجب شيخ الحسن بن هانىء أدبه صغيرا فتخلق بخلقه ، وقال الحسن

وجليس كأن فى وجنتيه ... كل شىء تسمو اليه النفوس
قد أصبنا منه فنستغفر الله كثيرا وقد يصاب الجليس

(الكور والحور) أى الزيادة والنقصان ، وكلام العرب نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة فقلت اللفظ على مراده وهو من كور العمامة وهو استعارة من نقض الأمر كنقص العمامة بعد كورها وهو شدها وكار عمامته شدها على رأسه وجمعها وحارها فنقضها وافسدها . . . وأمر الحجاج رجلا على جيش ثم بعثه مرة أخرى تحت لواء أمير آخر فقال : هذا الحور بعد الكور ، فقال له الحجاج وما الحور بعد الكور؟ قال

فى المَرْتَعِ والمَرْبَعِ ، وأَحَلُّونى مَحَلَّ الأَنْمُلَةِ مِنَ الإِصْبَعِ ، واتَّخَذُونى ابنَ أُنْسِهِمْ عندَ الوِلايةِ والعَزْلِ ، وخازِنَ سِرِّهِمْ فى الجِدِّ والهَزْلِ ، فاتَّفَقَ أَنْ نُدِبُوا فى بَعْضَ الأوقاتِ ، لاسْتِقْراءِ مَزارِعِ الرُّزْداقات ، فاختاروا مِنَ الجَوارى المُنْشَآت ، جارِيَةَ حالِكَةَ الشِّيات تَحْسَبُها جامِدَةً وهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب ،

النقصان بعد الزيادة فعلى هذا أكثر أهل اللغة ، وقيل معناها نعوذ بالله من الخروج عن الجماعة بعد كوننا فى الكور وهو الاجتماع من كار عمامته جمعها فى رأسه وحارها أفسدها ، ويروى بعد الكون من قولهم حار بعد ما كان أى كان على حالة جميلة فرجع عنها ، وقيل معناه نعوذ بك من خروجنا عن الجماعة بعد الكون على الاستقامة فحذف للعلم به (فى المرتع والمربع) يعنى المأكل والمنزل والمرتع الاتساع فى الأكل الكثير والشرب والمربع المنزل فى الربيع من ربعت فى الموضع أقمت فيه (الانملة) طرف الأصبع أى عظموه ورفعوه فوق رؤوسهم (ابن أنسهم) أى الذى يأنسون به (عند الولاية والعزل) أى ومن العمل والعطل (خازن) كاتم وحابس (ندبوا) أى دعوا (استقراء) أى تتبع (الرزداقات) العمالات والانظار وأراد أنهم خرجوا عمالا على الزرع وكل موضع أو قريه انفصل عن المدينة بعمله فهو رزداق ورستاق ومخلاف وكورة فالرزداق بخراشان وهو فارسى عربى المخلاف لليمن والكورة لغيرهما من الأرضين (الجوارى) السفن (المنشآت) المصنوعات (حالكة الشيات) مسودة اللون والشية فى الفرس لون يخالف لونه كالغرة والتحجيل وغير ذلك فأراد أن موضع البياض فى غير السفينة هو منها أسود فهى كلها سوداء (جامدة) ساكنة ؛ وركب السلامى دجلة فى زورق ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال :

وميدان تجول به خيول ... تقود الدرعين ولا تقاد
ركبت به إلى اللذات طرفا ... له جسم وليس له فؤاد
جرى فحسبت أن الأرض وجه ... ودجلة ناظر وهو السواد

وقال القاضى التنوخى يصف دجلة فى الظلام والقمر يلمع عليها وينتظم فى سلك أبيات السلامى رحمه الله تعالى

أحسن بدجلة والدجى مصوب ... والبدر فى أفق السماء مغرب
فكأنها فيه بساط أزرق ... وكأنه فيها طراز مذهب

وقال منصور بن كيغلغ :

كم ليلة سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
والبدر يجنح للافول كأنه ... قد سل فوق الماء سيفا مذهبا

وتسميته للسفينة جارية لجريانها على الماء ، قال تعالى فى السفن العظام ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ، ولبعضهم

يامن تأهب مزمعا لرواح ... متيمما بغداد غير ملاح
فى بطن جارية كفتك بسيرها ... رقلان كل شناحة وشناح
فكأنها والماء ينطح صدرها ... والخيزرانة فى يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى ... يهوى بصوت واصطفاق جناح

تَنْسابُ فى الَحبابِ كالُحباب ، ثم دَعَوْنى إلى المُرافَقَة ، فَلبَّيْتُ بِلِسانِ المُوافَقة ؛ فلما تَوَرَّكْنا على المَطِيَّةِ الدَّهماء

الشناح الجمل التام الخلق . . . وقال عبد الجليل بن وهبون يصف الاسطول :

يا حسنه يوما شهدت زفافها بنت الفضاء إلى الخليج الأزرق
من كل لابسه الشبـاب ملاءة حسب اقتدار الصانع المتأنق
ومجادف تحكى أراقم ربوه نزلت لتكرع فى غدير متأق
والماء فى شكل الهواء فلا ترى فى شكلها إلا جوارح تلتق

ولابن حريق : وكأنما سكن الأراقم جوفها من عهد نوح صاحب الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت من كل خرت حية بلسان

(تنساب) أى تمشى بسلاسة (الحباب) طرائق الماء (الحباب) بالضم الحية وتشبيه المشى السهل بحباب الماء أفشى وأعرف من تشبيه بمشى الحية وتشبيه الحية قد استعمل وهو متمكن فى المعنى وبه وقع التشبيه هنا فى المقامة . . وقال امرؤ القيس فى تشبيه بحباب الماء

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

وقال ابن الرومى : فصغت ذلك من قولى إلى قمر يلهو بمكتحل طورا ومختضب
جرت تدافع من وشى لها حسن تدافع الماء فى وشى من الحبب

وقال عمر بن ربيعة فى مشى الحية :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروح رعيان ونوم سمر
وخفض عنى الصوت أقبلت مشية الحباب وركنى خيفة القوم أزور

ثبت فى الكتب الصحاح ضم الحاء ، وقول الاعرابى :

من المتصديات لغـير سوء تسيل إذا مشت سيل الحباب

يروى بالفتح والضم وابن الاقليلى يأبى إلا الضم . وقال أبو القاسم بن هانىء فجمع بين التشبيهين

قامت تميس كما تدافع جدول وانساب أيم فى نقا يتهيل
وأتت تزجى ردفها بقوامها فتأطر الأعلى وماج الأسفل

وقال آخر ورفع الاحتمال :

لما دنا الليل بارواقه ولاحت الجوزاء والمرزم
أقبلت الوطء خفيف كما ينساب فى مكمنه الأرقم

وما أحسن ابن شهيد فى معناه

ولما تمكن من سكره ونام ونامت عيون العسس
دنوت اليه على رقبة دنو محب درى ما التمس

وتبطّنَّا الوَلِيَّةَ الماشِيَةَ على الماء ، ألفَيْنا بها شَيْخاً عليه سَحْقُ سِرْبال ، وسِبُّ بال ، فعافَتِ الجماعَةُ مَحْضَرَه، وعَنَّفَتْ مَنْ أحْضَرَه ، وهَمَّتْ بإِبْرازِهِ من السَّفينة ، لَوْلا ما ثابَ إليها مِنَ السَّكينة ، فلما لمحَ مِنّا استِثْقالَ ظِلِّه ،

أدب اليه دبيب الكرى وأسمو اليه سمو النفس
أقبل منه بياض الطلا وأرشف منه اللمى واللعس

(المطية الدهماء) هي السفينة السوداء (توركناها) قعدنا عليها متكئين (تبطنا) دخلنا بطنها (الولية) المطية وأوهم بقول الناس فلان ولى يمشى على الماء فلما كانت مطيعة لخدامها ماشية على الماء سماها ولية (ألفينا) وجدنا (سحق سربال) اى قميص خلق (السب) الخمار فيريد أن عليه مئزرا أو خمارا باليا والمئزر كالخمار للمرأة (عافت) كرهت (عنفت) لامت وأغلظت له القول والعنف ضد الرفق (ثاب) رجع ، قال الفراء رحمه الله تعالى : معنى السكينة الطمأنينة ، قال أبو عبيدة : هى فعيلة من السكون وتشبه حالة أبى زيد هنا فى إهانته اولا وإكرامه آخر حالة معبد فى دخول السفينة وقد تقدمت فى الثامنة عشرة (لمح) رأى (الظل) يوصف بالثقل مبالغة فى ثقل صاحبه للمستثقل ظلك على ثقيل أى أخف ما يمكن أن يوجد منك الظل السريع الانتقال يثقل علينا فيصور شخصك أى منزلته من الثقل وإنما يتصور ثقل الظل حقيقة إذا أخذ عليك إنسان عين الشمس فى زمن البرد أو ضوءها وأنت تنظر ما يدفىء ، ومما قيل فى ثقيل :

أنت يا هـذا ثقيل وثقيـل وثقيل
أنت فى المنظر إنسا ن وفى المخبر فيـل
لو تعرضت لظل فسد الظل الظليل

وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيل ينشد :

فما الفيل تحمله ميتا بأثقل من بعض جلاسيا

وذكر ثقيلا كان يجلس إلى جانبه فقال والله إنى لأبغض شق الذى يليه منى ، وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله قرأ : ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، عائشة رضى الله عنها : نزلت آية فى الثقلاء فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، الشعبى : من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء ؛ وكان أبو هريرة رضى الله عنه إذا رأى ثقيلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه ، قيل لجالينوس لم صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لأن ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين القلب بالجوارح عليه ، وقال طبيب للحجاج إياك ومجالسة الثقلاء فانا نجد فى الطب أن مجالستهم حمى الروح ، وقال حكيم لآخر لا تصحبن ثقيلا فمن يصحبه فانما يعذب روحه وقيل سخنة العين النظر إلى الثقلاء وكان بعضهم إذا رأى ثقيلا غشى عليه وكان آخر إذا رأى ثقيلا غمض عينيه وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلا قال قد جاءكم الجبل فان جلس عندهم قال قد وقع عليكم ، وسمع الأعمش كلام ثقيل فقال من هذا الذى يتكلم وقلبى يتألم ؛ قال رجل لخالد بن صفوان أتستثقل فلانا قال أوه كدت والله أن تصدع قلبى بذكره والله لهو أثقل من شراب الترنجبيل بماء التين فى أيام الحكاك يعقب التخمة وأوان

واستبرادَ طلّه ،

الحجامة ؛ سلم ثقيل على بعض الظرفاء فقال وعليك السلام شهرا ، قعد ثقيل عند ظريف فسئل عن ذلك فقال كانت نفسى قد شمخت على فأردت أن أهينها بذلك ، وقال رجل لغلام هاشمى يا بغيض فشكاه إلى أبيه فقال قد علمت أنك بغيض فكرهت أن أقول لك حتى يكون بغضك بإسنادك ، وسئل إنسان له ثلاث بنين ثقلاء أى بنيك أثقل ؟ فقال ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلا الأوسط ،كان أبو العتاهية يقول لابنه محمد أنت والله يامحمد ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم بارد حامض منتن ، قال سهل بن هرون من ثقل عليك نفسه وغمك سؤاله فأعره أذنا صماء وعينا عمياء وأنشدوا :

مشتمل بالبغض لا ينثنى ... اليه طرفا لحظه الرامق
يظل فى مجلسنا قاعدا ... أثقل من واش على عاشق

وقال بعضهم : يامن تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الاجفان بالسهد
إنى لا أذكره حينا فاحسبه ... من ثقله جالسا منى على كبدى

ولبعضهم : نظر العين نحوه ... علـم الله يمرض
فاذا ما أردتم ... أن تروه فغمضوا
لا تصبكم ملـة ... والملمـات تعرض

وقال بعضهم : شخصك فى مقلة النديم ... أوحش من نحسة النجوم
يارجلا وجهه علينـا ... أثقل من منة اللئيم
إنى لأرجو بما أقاسى ... منك خلاصى من الجحيم

وقال بعضهم أيضاً : ولى خلتان على هامتى ... جلوسهما مثل حد الوتد
ثقيلان لم يعرفا خفة ... فهذا الصداع وذاك الرمد

والاشعار فى الثقلاء كثيرة وفى كتب الأداب مشهورة فلنقتصر على هذه النبذة (استبراد طله) الطل أضعف المطر وهو الرذاذ وأكثر نزوله ساكنا بغير ريح ولا برد فى الغالب يكون معه فكنى هنا بالطل عن كلامه القليل وأنه عندهم بارد الحديث وأن كل ما جاء منه ثقيل مؤذ وقد جاء فى ذلك :

ولو مازج النار فى حرها ... حديثك أطفأ منها اللهب

وقال آخر فى شعر الصولى :

دارى بلا خيش ولكننى ... عقدت من خيشى طاقين
- دار متى ما اشتد بى حرها ... أنشدت للصولى بيتين

وكلامه : ويوم كتنور الطهارة سجرته ... على أنه منه أحر وأوقد
ظللت به عند المبرد جالسا ... فما زلت فى الفاظه اتبرد

لقى برد الخيار المغنى ابا العباس المبرد فى يوم ثلج بالجسر يقال له انت المبرد وانا برد الخيار واليوم كما ترى اعبر بنا لا يهلك الناس من الفالج بسببنا ، وقال كشاجم رحمه الله تعالى :

تَعَرَّضَ لِلمُنافَثَةِ فَصَمَّت ، وحَمْدَلَ بعدَ أن عَطَسَ فما شُمِّت ، فأخْرَدَ يَنظُرُ فيما آلَتْ حالُهُ إليه ، ويَنْتَظِرُ نُصْرَةَ المُبغِيِّ عليه ، وجُلْنا نحنُ في شُجُون ، من جِدٍّ ومُجون ،

عناء مديح بأرض الحجاز يطيب وأما بحمص فلا
لبرد الغناء وبرد الهواء فان جمعا خفت أن يقتلا

(تعرض) أى تهيأ (المنافثة) الكلام معهم (صمت) سكت ، ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موقع حديث الرجل من القوم كموقعه من قلوبهم(حمدل) قال الحمد لله (ماشممت) ما دخل عليه السرور بقولهم يرحمك الله تعالى ، ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع بها عنه سبعون داء أهونها الجذام ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله والذى يشمت يرحمك الله وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم . . ومما يستطرف من حديث العطاس أن صوفيا فى بلد اكان حافظا للشعر فلا يعرف فى مجلسه معنى الا وينشد عليه شعراً فاتفق أن عطس رجل بمحضره فشمته الحاضرون فدعا لهم فرأى الصوفى إن شمته قطع إنشاده بما لايشاكله من النظم وإن لم يشمته كان تقصيرا فى البر فاصبح للطلبة راغبا أن ينظم له هذا المعنى فقال الوزير الحسيب أبو عمرو بن محمد :

ياعاطسا يرحمك الله إن أعلنت بالحمد على عطستك
أدع لنا ربك يغفر لنا وأخلص النية فى دعوتك
وقل له ياسيدى رغبتى حضور هذا الجمع فى حضرتك
وأنت يارب الندا والندى بارك الله رب الناس فى ليلتك
فان يكن منك لنا دعوة فأنت محمـود على عودتك

وهذا الوزير الشريف إنما يصرف شعره فى أوصاف الغزلان ومخاطبات الاخوان . . وكتب إلى يستهدينى كتاب العقد :

أيا من غدا سلكا بجيد معارفه ومن لفظه زهر أنيق لقاطفه
محبك اضحى عاطل الجيد فلتجد بعقد على لباته وسوالفه

وتوعك فى بعض الأعياد فعاده من أعيان الطلبة جملة فلما هموا بالانصراف أنشدهم ارتجالا :

لله در عصابة أمجاد شرف النداء بقصدهم والنادى
لما أشاروا بالسلام وأربعوا أنشدتهم وصدقت فى الانشاد
فى العيد عدتم وهو يوم عروبة يافرحتى بثلاثة الأعياد

(أقرد) أى سكت ذلا ويروى أخرد أى سكت حياء واستتر تقول أخردت وخردت من حر الشمس اى استترت . وأقرد من لفظ القرد أوالقراد وأخرد من لفظ الخريدة(آلت)رجعت(المبغى عليه)أى المظلوم وأراد أن ينظر النصرة على أعدائه من قوله تعالى ثم بغى عليه لينصرنه الله (جلنا) تصرفنا (شجون) ضروب من

إلى أن اعترَضَ ذِكْرُ الكِتابَتَيْنِ وفَضْلِهما، وتِبْيانِ أفضَلِهما، فقال: قائلٌ إنَّ كَتَبَةَ الإنشاءِ أنبَلُ الكُتَّاب؛ ومالَ مائلٌ إلى تَفْضِيلِ الحُسَّاب، واحْتَدَّ الحِجاج، وامْتَدَّ اللَّجاج، حتى إذا لم يَبْقَ للجدالِ مَطْرَح، ولا للمراءِ مَسْرَح، قال الشيخُ: لقد أكثَرْتُمْ يا قومُ اللَّغط، وأثَرْتُمُ الصَّوابَ والغَلَط، وإنَّ جَلِيَّةَ الحُكْمِ عِندى؛ فارْتَضوا بنَقْدى، ولا تَسْتَفْتُوا أحداً بَعْدى؛ اعلَموا أنَّ صِناعَةَ الإنْشاءِ أرْفَع، وصِناعَةَ الحِساب أنفع وقَلَم المكاتَبَةِ خاطِب؛ وقَلَم المُحاسَبَةِ حاطِب؛ وأساطيرَ البَلاغَةِ تُنْسَخُ لِتُدْرَس، ودَساتيرَ الحُسْبانات تُنْسَخُ وتُنْدَرس، والمُنْشِىء جُهَيْنَةُ الاخبار،

الكلام ومنه الحديث شجون أى فنون ومشتبك بعضه ببعض وفى الحديث الرحم شجنة من الله معناه مقرابة مشتبك بعضها ببعض كاشتباك العروق (اعترض) تصلب وظهر (الانشاء) الكتابة وكتبة الانشاء هم كتبة بين يدى السلطان وهم المترسلون (أنبل) أعظم قدرا (الحساب) كتبة الزمام (احتد) اشتد (الحجاج) جمع المحاجة (اللجاج) ركوب الرجل على الباطل (مطرح) موضع يطرح فيه (المراء) قد تقدم (آثرتم) فضلتم (جلية) بيان (نقدى) تمييزى (خاطب) أى جامع للكلام (حاطب) جامع للحطب يريد أن المنشىء كالخطيب يختار من الكلام النفيس فيسرقه ولا يبالى كاتب الحساب بما كتب ويكون حاطب بمعنى مجمع للمال (أساطير) أحاديث وهى جمع أسطار وأسطار جمع سطر وقيل الاساطير جمع أسطورة واسطارة (دساتير) أزمة (تدرس) تمحى أو تترك حتى تتغير (جهينة الاخبار) أى العارف بها واختلفوا فى المثل قال الأصمعى رحمه الله تعالى جفينة بالجيم والفاء، وقال أبو عبيدة رحمه الله تعالى حفينة بحاء غير معجمة؛ وقال ابن الكلبى جهينة بالجيم والهاء وهو الصحيح وأصله أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج يطلب فرصة فاجتمع برجل من جهينة يقال له الاخنس بن كعب فنزلا فى بعض منازلهما وتعاقدا أن لا يلقيا احدا إلا سلباه وكلاهما فاتك يحذر صاحبه فلقيا رجلا فسلباه كل ما معه فقال لهما هل لكما أن تردا على بعض ما أخذتما منى وأدلكما على مغنم فقالا نعم قال هذا رجل لخمى قدم من بعض الملوك بمغنم كثير وهو خلفى فى موضع كذا فردا عليه بعض ماله وطلبا اللخمى فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدامه طعامه وشرابه فحيياه وحياهما وعرض عليهما الطعام فنزلا وأكلا وشربا مع اللخمى ثم إن الاخنس ذهب لبعض شأنه فلما رجع أبصر سيف صاحبه مسلولا واللخمى يتشحط فى دمه فسل سيفه وقال ويحك قتلت رجلا قد تحرمنا بطعامه وشرابه فقال اقعد يا أخا جهينة فلهذا وشبهه خرجنا ثم إن الجهنى شغل صاحبه بشىء ثم وثب عليه فقتله وأخذ متاعه ومتاع اللخمى ثم انصرف إلى قومه راجعا بماله وكانت لحصين أخت تسمى صخرة فكانت تبكيه فى المواسم وتسأل عنه فلا تجد من يخبرها بخبره فقال الأخنس حين أبصرها:

وكم من فارس لا تزدريه ... إذا شخصت لرؤيته العيون
علوت بياض مفرقه بعضب ... يبين لوقعه الهام السكون
يذل له العزيز وكل ليث ... من العقبان مسكنه العرين

وحَقِيبَةُ الأسْرار ، ونَجِيُّ العُظَماء ، وكَبيرُ النُّدَماء ، وقَلَمُه لِسان الدَّوْلة ؛ وفارِسُ الجَوْلة ، ولُقْمانُ الحِكْمة ؛ وتَرْجُمانُ الهِمَّة ، وهوَ البَشِيرُ وَالنَّذِير ، والشَّفِيعُ والسَّفِير ، بهِ تُسْتَخْلَصُ الصَّياصِي ، وتُمْلَكُ النَّواصِي ؛ ويُقْتادُ العاصِي ، ويُسْتَدْنَى القاصِي ، وصاحِبُهُ بَرِيءٌ مِنَ التَّبِعات ، آمِنٌ كَيْدَ السُّعاة ، مُقَرَّظ بَيْنَ الجَماعات ، غَيْرُ مُعَرَّضٍ لِنَظْمِ الجَماعات ، فلما انْتَهَى فى الفَصْل ؛ إلى هذا الفَصْل ، لَحَظَ مِنْ لَمَحاتِ القَوْمِ أَنَّهُ ازْدَرَعَ حُبًّا وَبُغْضا ، وأرْضَى بَعْضاً وأَحْفَظَ بَعْضا ، فَعَقَّبَ كَلامَهُ ، بأنْ قال إلَّا أَنَّ صِناعَةَ الحِسابِ مَوْضُوعَةٌ على التَّحْقِيق ، وصِناعَةَ الإِنْشاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّلْفِيق ، وقَلَمَ الحاسِبِ ضابِط ، وقَلَم المُنْشِيءِ خابِط ، وَبَيْنَ إتاوَةِ تَوْظِيفِ المُعامَلات ، وتلاوَةِ طَوامِيرِ السِّجِلَّات ، بَوْنٌ لا يُدْرِكُهُ قِياس

فأضحت عرسه ولها عليه ... هدوا بعد رقدتها أنين

كصخرة إذ تسائل فى مراح ... وفى جرم وعلمهما ظنون

تسائل عن حصين كل وكب ... وعند جهينة الخبر اليقين

فمن يك سائلا عنه فعندى ... لسائله الحديث المستبين

مراح وجرم قبيلتان (حقيبة) وعاء (نجى) متكلم (الندماء) الجلساء على الخمر يريد أن أصحابه أعيان وأشراف (النذير) المخوف (السفير) الرسول بين القوم (تستخلص) تملك وتحصل (الصياصى) الحصون (النواصى) الرؤوس وأصل الناصية شعر مقدم الرأس (القاصى) البعيد (التبعات) المطالبات (السعاة) جمع ساعى وهو جابى الصدقة (مقرظ) ممدوح (نظم الجماعات) تجميل الحساب والجماع الاخلاط وضروب من الناس والجماع كل شيء انضم بعضه إلى بعض وتجمع أراد أن كاتب التراسل قد أمن من مكر عمال الزكوات الذين يسرقون مال الرعية والسلطان ولا يعرض لأن يؤلف ماافترق من الخراج حتى يصير جماعات (الفصل) أى القضاء والحكم وأراد أنه فصل فى القضاء بين الصنفين من الكتاب (إلى هذا الفصل) أى إلى هذا الحد والفرق فالاول من فصل الحاكم بين الخصمين فصلا قضى والثانى من فصلت بين الشيئين فصلا وفصولا فرقت يريد أنه فصل بين الكلام المتقدم والكلام المستأنف وأراد أنه ازدرع فى قلوب كتبة الانشاء حبه لمدحه لهم وفى القلوب كتبة الحساب بغضه لما قصر بهم فأخذ يستأنف مدحهم (أحفظ) أغضب (عقب) اتبع ، وأراد بالتحقيق أن صنعة الحساب برهانية محققة (التلفيق) ضم شيء لطيف إلى مثله ولفقت الشيء تلفيقا ضممت بعض أجزائه إلى بعض (ضابط) محقق والضبط الأخذ بشدة ورجل ضابط للشيء إذا قوى عليه فلم يفلت منه (خابط) مغرور وخبط مشى على غير هداية (الاتاوة) الخراج والجباية إلى بيت المال (توظيف) تقسيط وظف على الناس الغرم قسطه عليهم والوظيفة نصيبك الذى تغرمه (المعاملات) أنواع من علم الحساب وأصلها مصدر عاملت الرجل معاملة إذا وافقته على بيع أو كراء أو إجارة أو غير ذلك مما يتعامل به الناس بعضهم مع بعض (تلاوة) قراءة (طوامير السجلات) بطائق الترسيل والطومار الكتاب (بون)

ولا يعتوره التباس ، إذ الإتاوة تملأ الأكياس ، والتلاوة تفرغ الراس ، وخراج الأوارج ، يفنى الناظر ، واستخراج المدارج ، يعنى الناظر ؛ ثم إن الحسبة حفظة الأموال ، وحملة الأثقال ، والنقلة الاثبات ، والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف ، والشهود المقانع فى الاختلاف ، ومنهم المستوفى الذى هو يد السلطان ؛ وقطب الديوان ، وقسطاس الأعمال ، والمهيمن على العمال ، وإليه المآب فى السلم والهرج ؛ وعليه المدار فى الدخل والخرج وبه منناط الضر والنفع ؛ و فى يده رباط الإعطاء والمنع . ولولا قلم الحساب ، لأودت ثمرة الاكتساب ، ولاتصل التغابن إلى يوم الحساب ، ولكان نظام المعاملات محلولا ، وجرح الظلامات مطلولا ، وجيد التناصف مغلولا ، وسيف التظالم مسلولا ، على أن يراع الإنشاء متقول ، ويراع الحسان متأول ، والمحاسب مناقش ، والمنشىء أبو براقش

بعد (يعتوره) يتداوله وبقصده (التباس) شك (الاكياس) أوعية الدراهم (الاتاوة) رشوة العمال قال النبي صلى الله عليه وسلم هدايا العمال رشوة (تفرغ الرأس) تهوسه بكثرة الدروس والسهر (الاوراج) أزمة الخراج وقيل صنف من الخراج (الناظر) العامل فيها وأورجها إذا تولى عملها والقيام بها (المدارج) الرسائل سميت بذلك لانها تدرج أى تطوى على مافيها ، واستخراجها تتبع معانيها بجودة النظر ودرس ألفاظها (يعنى) يتعب (الناظر) سواد العين يريد أن كاتب الزمام فى راحة وهو يملى على أكياسه بالدراهم وكاتب الرسالة متعوب قليل المال (النقلة الاثبات) أى هم على يقين وثبات فيما ينقلون (السفرة) الكتبة (الثقات) الأمناء (أعلام الانصاف) يريد المشاهير بانصاف السلطان من الناس والناس منه وتقول أنصفت الرجل أعطيته حقه وانتصفت منه أخذت حقك (المقانع) الذين يقنع بفعلهم أى يرضى (الاختلاف) جودة الزرع تقول أخلف الزرع إذا طلب ورد على أصحابه أضعاف ماأنفق عليه (المستوفى) رأس المشارب (قطب) أصل وقطب القوم سيدهم الذى يدير أمرهم ويدورون على رأيه بمنزلة قطب الرحى الذى تدور عليه (الديوان) دار كتاب الخراج وهو فارسى معرب (قسطاط) ميزان يريد أنه ميزان العمل الذى يعتدل به (المهيمن) الشاهد (المآب) الرجوع (السلم والهرج) الصلح والحرب (المدار) المعول أى عليه يعول فى إدارة مايدخل على السلطان من المال من رعيته وما يخرج عنه من لوازم الاجناد وغيرهم وفلان كثير الدخل والخرج إذا كثر ما يدخل عليه من الفوائد وما يخرج عنه من الانفاق (مناط) تعلق (أردت) هلكت (نظام) خيط (مطلولا) هدرا أى باطلا لا حق له فيه (التناصف) أخذ الحق واعطاؤه واستعار له عنقا وجعله مغلولا أى محبوساً بغل ، والتظالم ضد التناصف (يراع) أقلام (متقول) متحول مايقوله (متأول) مدبر يريد أن الملك يلق للكاتب مقصده فيحسن الكاتب الالفاظ ويرتب الفقر فيزيد فى كتابته ألفاظا على ما حد له بالضرورة فتلك الزيادات ضرب من التقول وهو أن يقول على الرجل مالم يقل وكاتب الحساب لا يحتاج إلى تقول (مناقش) مباحث (أبو براقش) أى يأتى بأنواع مختلفة وأبو براقش طائر فيه ألوان شتى مشتق من البرقشة وهى النقش والرقم يقال برقشت الثوب ، وأنشد سيبويه وعزاه أبو

واكليهما حمة حين يرقى ، إلى أن يلقى ويرقى ، وإعنات فيما ينشاحى يغشى ويرشى ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم .

عمرو بن العلاء لبعض بنى أسد :

إن يبخلوا أويفحشوا أو يغدروا لايحفلوا
يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا
كأبى براقش كل حين لونه يتحيل

وأبو براقش وأبو قلمون كنية للرجل الكثير التلون القليل الارتباط وأصل أبى قلمون كنية لثياب إبريسم تنسج بمصر والروم تتلون للعيون ألوانا شتى وفى البديعية أنا أبو قلمون فى كل لون أكون (حمة) بالتخفيف سم شر (يرقى) يصعد فى منزله ويرتفع فى أصابع الكاتب حين يكتب به(يرقى) إشارة للرشوة لأنها تسكن شره كما تسكن الرقية الوجع (اعنات)مشقة (ينشى) يكتب (يغشى) يقصد ويدخل عليه ... هذه المقامة بناها أبو محمد على حكاية حائك الكلام المشهور لأنهم حقروه أولا فى السفينة ثم عظموها آخرا بعد الاختبار ، ونذكر الحكاية وإن طالت لموافقتها المقامة ، حدث عمرو بن مسعدة أن المعتصم لما رجع من الثغر وصار بناحية الرقة قال لى ما زلت تسأنى فى الرجحى حتى وليته الأهواز وقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا بدرهم واحد اخرج اليه من ساعتك واحلف أن لاتقيم ببغداد إلا يوما واحدا فحلفت له وقلت فى نفسى أبعد الوزارة أصير مستحثا لعامل خراج ؟ ولم أجد بدا من طاعته فخرجت إلى بغداد ففرش لى زروق وحشى بالملح فلما صرت عند دير هرقل وإذا رجل يصيح ياملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب إلى الشط فقال هذا شحاذ وإن قعد معك آذاك فأمرت الغلمان فأدخلوه فى كوثل الزورق فلما حضر الغداء دعوته فأكل أكل جائع إلا أنه نظيف فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معى مايستعمل العوام مع الخاصة أن يقوم فيغسل يده فى ناحية فلم يقفل فغمزه الغلمان فلم يفعل فقلت ياهذا ما صناعتك فقال حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الأولى ثم قال لى جعلت فداك سألتنى عن صناعتى فأخبرتك فما صناعتك فقلت هذه والله أعظم فكرهت ذكر الوزارة فقلت كاتب فقال الكاتب على خمسة أصناف كاتب رسائل يحتاج أن يعرف الفصل من الوصل والتهانى والتعازى والصدور وجملا من الاعراب وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة والتقسيط والحساب وكاتب جند يحتاج إلى أن يعرف شباب الخيل وحلى الناس وكاتب شرطة يحتاج إلى أن يعرف الجراح والقصاص والديات وكاتب قاض يحتاج إلى أن يعرف الفقه والوثائق وما يتعلق بذلك فأيهم أنت أعزك الله تعالى قلت كاتب رسائل قال فأخبرنى إن كان لك صديق تكتب له فى المحبوب والمكروه فتزوجت أمه كيف تكتب اليه تهنيه أوتعزيه قلت والله لا أدرى وهو بالتعزية أولى قال صدقت فكيف تعزيه قلت والله لاأدرى قال فلست بكاتب رسائل فأيهم أنت قلت كاتب خراج قال فما تقول وقد ولاك السلطان عملا فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنصفهم وكنت تحب العدل وتؤثر حسن الأحدوثة وكان لأحدهم براح فأردت مساحته قلت أضرب العطوف فى العمود قال إذن تظلم الرجل قلت فامسح العمود على

قال الحارثُ بنُ هَمَّامٍ: فلما أمْتَعَ الأسْماع ،

حدة والعطوف على حدة قال إذن تظلم الناس قلت والله فما أدرى ، قال فلست بكاتب خراج فأيهم أنت ؟قلت كاتب جند فقال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع السفلى كيف تكتب عليهما قلت أكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم قال وكيف ورزق هذا مائة درهم ورزق الآخر ألف درهم فيقبض هذا دعوة هذا فتظلم صاحب الألف قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فأيهم أنت قلت كاتب قاض قال فما تقول فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية وللزوجة بنت وللسرية ابن فتنازعتا فيه فقالت كل واحدة منهما هذا ابنى وأنت خليفة القاضى قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاض قال فأيهم أنت قلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل وثب على رجل فشجه موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه مأمومة فقلت لا أعلم وقد سالت ففسر لى ما ذكرت ، قال أما الرجل الذى تزوجت أمه فتكتب اليه أما بعد فان أحكام الله تعالى تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للمخلوق فخار الله لك فى قبضها إليه فان القبر أكرم لها والسلام ، قال وأما البراح فتضرب واحدا فى واحد فى مساحة العطوف فتم بابه ، قال وأما المقطوع العليا فتكتب عليه أحمد الأعلم وعلى المقطوع السفلى أحمد الأشرم ، وأما المرأتان فيوزن لبنها فأيتهما كان لبنها أخف فهى صاحبة البنت ، وفى الموضحة خمس من الإبل وفى المأمومة ثمانية وعشرون ، قلت فما نزع بك إلى هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فلقيته معزولا فخرجت إلى بعض النواحى أضطرب فى المعاش قلت أليس ذكرت أنك حائك قال أنا أحوك الكلام ولست بحائك الثياب فلما بلغنا الأهواز أمرت الحجام فأحفى من شعره وأدخل الحمام فكسوته من ثيابى وكلمت الرجحى فيه فى الأهواز فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فقال لى المعتصم ماكان من خبرك فى طريقك فأخبرته خبرى ثم خبر الرجل فقال هذا لايستغنى عنه فلأى شىء يصلح قلت هو والله يا أمير المؤمنين أعلم الناس بالمساحة والهندسة فولاه البناء فكنت ألقاه فى الموكب النبيل فينزل عن دابته فأمنعه فيقول ياسبحان الله إنما هذه نعمتك وبك أفدتها .. ومثل إبهامه هنا أنه حائك إبهام أبى زيد فى التاسعة أنه نظام (أمتع الأسماع) أى متع الآذان ولذذها ومنه يقال فى الكتابة أبقاك الله وأمتع بك ومعناه أطال الله عمره من الماتع وهو الطويل عند العرب ومنه متع النهار اى علا وقال الأنصارى :

واها لأيام الصبا وزمانه   لو كان امتع بالمقام قليلا

ونبلاء الكتاب يكتبون بها إلى الأتباع والأدنياء ولا ولا يكتبون بها إلا الأكفاء والأعوان ، وكتب محمد ابن عبد الملك الزيات إلى عبدالله بن طاهر كتاباً فى صدره وأمتع بك فكتب اليه ابن طاهر :

أحلت عما عهدت من أدبك   ام نلت ملكا فتهت فى كتبك
ام قد ترى ان فى ملاطفة   الإخوان نقصا عليك فى اديك
إن جفاء كتاب ذى مقة   يكون فى صدره وأمتع بك
اتعبت كفيك فى مخاطبتى   حسبك مما لقيت من تعبك

فأجابه ابن الزيات : كيف أخون الإخاء يا أملى ... وكل شىء أنال من سببك
إن يكن جهل أتاك من قبلى ... فعند بفضل على من حسبك
أفكرت شيئا ولست فاعله ... ولن نراه بخط فى كتبك
فاعف فدتك النفوس عن رجل ... يعيش حتى الممات فى أدبك

ومن ملح أجوبة ابن الزيات أن الحسن بن وهب مرض فلم يعده ولا تعرف خبره فكتب إليه الحسن :

أيها ذا الوزير أبدك الله ... وأبقاك لى زمانا طويلا
أجميلا تراه يا أكرم النا ... س لكيما أراه أيضا جميلا
إننى قد أقمت عشرا عليلا ... ماترى مرسلا إلى رسولا
إن يكن يوجب التعهد فى الصحـ ... ـة منا على منك طويلا
فهو أولى ياسيد الناس برا ... وافتقادا لمن يكون عليلا

فأجابه ابن الزيات : دفع الله عنك نائبة الدهـ ... ـر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ماعلمت وما ذا ... ك من العذر جائزا مقبولا
ولعمرى أن لو علمت فلازمـ ... ـتك حولا لكان عندى قليلا
فاجعلن لى إلى التعلق بالعذ ... ر سبيلا إن لم أجد لى سبيلا
فقديما ماجاد بالصفح والعفـ ... ـو وماسامح الخليل خليلا

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له يعاتبه على عيادته :

يا جافيا ترك السؤال بعبده ... نفسى فداؤك من ملول قاطع
أعتل عبدك من تشكى رأسه ... ستا وأردفها بيوم سابع
فحبست رسلك عن تعهد علتى ... وقطعت من سبب الوصال مطامعى
وعلمت منك تماديا فى جفوتى ... فرجعت فى عفوى كاحسن راجع

فأجابه الآخر : لا والذى قسم الجمال بفضله ... فحباك منه بالضياء اللامع
ما إن علمت بعلة لك سيدى ... إلا بخطك فى القريض البارع
وإذا أتتك رسالتى فقرأتها ... فاقبل فديتك من مقر خاضع

وكان الحسن بن وهب يتعشق غلاما لأبى تمام روميا وكان أبو تمام يعشق غلاما للحسن خزريا فرآه أبو تمام يعبث بغلامه فقال والله لئن أعنقت فى الروم لأركضن إلى الخزر وما أشبهك إلا بداود وأشبه نفسى بخصمه فقال الحسن لو كان هذا منظوما خفناه والمنثور عارض لا حقيقة فقال أبو تمام :

أبى على لصرف الدهر والغير ... وللحودث والأيام والعبر
أذكرتنى أمر داود وكنت فتى ... مصرف القلب فى الأهواء والذكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها ... وأنت مضطرب الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الخبيب إلى ... جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر

بما راقَ وراعَ ، اسْتَنْسَبْناهُ فاسْتراب ، وأَبى الانْتِساب ، ولو وَجَدَ مُنْساباً لانْساب ، فحَصَلْتُ من لَبْسِهِ عَلَى غُمَّة ، حتى ادَّكَرْتُ بَعْدَ أُمَّة ، فقلتُ : والذي سَخَّرَ الفَلَكَ الدَّوَّار ، والفُلْكَ السَّيَّار ،

وكان الحسن يكتب لابن الزيات فلما وقف على ما بينهما من أمر الغلامين تقدم إلى بعض ولده وكانوا يجلسون عند ابن وهب أن يعلموه مايدور بينهما فعزم غلام أبى تمام على الحجامة فكتب إلى الحسن يعلمه بذلك ويسأله توجيه نبيذ مطبوخ فوجه اليه مائة دينار وخلعه وبخورا وكتب اليه :

ليت شعرى ياأملح الناس عندى هل تداويت بالحجامة بعدى
رفع الله عنك لى كل سوء باكر رائح وإن خنت عهدى
قد كتمت الهوى بمبلغ جهدى فبدا منه غير ماكنت أيدى
وخلعت العذار فليعلم النا س بأنى اليك أصغى بودى
وليقولوا بما أحبوا إذاكنـ ت وصولا ولم ترعنى بصد
من عذيرى من مقلتيك ومن اشرا ق وجه من تحت حمرة خد

ووضع الرقعة تحت مصلاه واعلم ابن الزيات خبرها فأرسل فى الحين وشغله بشىء ووجه من جاءه بها فلماقرأها كتب فيها على لسان ابى تمام :

ليت شعرى عن كتب شعرك هذا أبهزل تقوله أم بجد
فلئن كنت فى المقال محقا يا ابن وهب لقد تطرفت بعدى
وتشبهت بى وكنت أرى انى أنا العاشق المتيم وحدى
إن مولاى عبد غيرى ولولا شؤم جدى لكان مولاى عبدى

ثم قال ضعوا الرقعة مكانها فلما قرأها الحسن قال إنا لله افتضحنا عند الوزير وأعلم أبا تمام فتلقياه فقالا إناجعلنا هذين الغلامين سببا لمكاتبتنا بالأشعار فقال لهما ومن يظن بكما غير هذا فكان قوله عليهما أشد محمد .. محمد بن اسحق : قلت لأبى تمام غلامك أطوع للحسن من غلامه لك قال إنى أعطى غلامه قيلا وقالا ويعطى غلامى ثيابا ومالا ، وقالا أبو تمام فى غلامه :

يا عمر قل للقمر الطالع اتسع الخرق على الراقع
ياطول فكرى فيك من حامل لرقعة مفكوكة الطابع
ما أنت إلا رشأ جؤذر حل بمغنى أشد جائع

(راق) أى أعجب (راع) أفزع لافراط حسنه (استنسباه) سألناه عن نفسه وهذا من قول النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فان ذلك أوصل للمودة (استراب) دخلته الريبة (منسبا) موضعا يدخل فيه (لبسه) تخليطه (غمة) القلب مايغطيه من الشك أو الهم فأراد أنه لبس عليه فلم يعرفه (ادكرت) أى ذكرت (أمه) حين (الفلك) مدار النجوم (والفلك السيار) اى السفينة السريعة والفلك

إِنّي لأَجِدُ رِيحَ أَبِي زَيْد ، وإن كُنْتُ أَعْهَدُهُ ذا رُوَاءٍ وأَيْد ، فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً من قَوْلي ، وقال : أنا هُو على اسْتِحالةِ حالي وحَوْلي ، فقلت لأصحابي : هذا الذي لا يُفْرَى فَرِيُّه ، ولا يُبارَى عَبْقَرِيُّه ، فَخَطَبُوا منهُ الوُدّ ، وبَذَلوا له الوجْد ، فَرَغِبَ عَنِ الأُلْفَة ، ولم يَرْغَبْ في التُّحْفَة ، وقال : أما بَعْدَ أَنْ سَحَقْتُمْ حَقِّي ، لأجْلِ سَحْقِي ، وكَسَفْتُمْ بالي ، لأخْلاقِ سِرْبالي ، فما أَراكُمْ إلَّا بالعَيْنِ السَّخِينَة ، ولا لَكُمْ مِنِّي إلَّا صُحْبَةُ السَّفِينة ، ثم أنشد :

لفظ يقع للواحد والجمع (أعهده) أعرفه(رواء)فتوة وحسن هيئة (أيد) قوة (استحالة) تغير (الحول) القوة وأيضا الحيلة ولو خاطبه ابن همام بشعر لكان للشريف الرضى فى جوابه للصابى وقد شكا اليه الهرم والجلوس فى المحفة وامتناعه من التصرف فقال :

لئن رام قبضنا من بنانك حادث ... لقد عاضنا منك انبساط جنان
وإن أقعدتك النائبات فطالما ... سرى موقرا من مجدك الملوان
وإن هدمت منك الخطوب بمرها ... فثم لسان للمناقب بان

(لا يفرى فريه) أى لا يقطع قطعه ولا يعمل عمله قال الحوفزان :

وما ارتعشت كفى ولا طاش ضربها ... إذا طرحوا بالفارس المتهلل
ولكنها إذ ذاك تفرى فريها ... وتقرع رأس الفارس المتقتل

(يبارى عبقريه) يجارى جنيه ولفظ الحريرى كله منتزع من الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأنى على بئر وأرى جميع الناس فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفيه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر رضى الله عنه فاستحالت بيده غربا فلم أر عبقريا من الرجال يفرى فريه حتى ضرب الناس باعطانهم يقال رجل عبقرى أى كامل قوى والعبقرى أيضا الحسن من كل شىء (الوجد) المال (رغب عن الألفة) أى تباعد عن الصحبة (ولم يرغب فى التحفة) أى لم يطمع فى العطية أى لم يقبل عطيتهم ولا صحبتهم (سحقتم) نقضتم وغيرتم (سحق) ثوبى البالى (وكسفتم بالى) تنقصتم حالى وغيرتموها (سربالى) قميصى (السخينة) الساخطة الحارة الدمع (شاب) أى خلط (محضه) خالصه (غشه) عيبه وفساده وللزاهد بن عمران فى النصيحة :

اسمع أخى نصيحتى ... والنصح من أصل الديانة
لا تعرضن إلى الشها ... دة والوساطة والأمانة
تسلم من أن تعزى لزو ... رأو فضول أو خيانة

وقال آخر فيمن لا يقبل النصيحة :

إذا ماهديت أمرأ مخطئا ... أضل السبيل إلى قصده
ولم تلفه سامعا قابلا ... فحسن له المشى فى ضده

(لا تعجلن) وما بعده من قول الشاعر :

لا تمدحن امرأ حتى تجربه ... ولا تذمنه من غير تجريب

اسْمَعْ أُخَيَّ وصيَّةً من ناصحٍ ... ماشابَ مَحْضَ النُّصْحِ منهُ بغشِّهِ
لا تعجلَنْ بقضيَّةٍ مبتُوتةٍ ... فى مَدْحِ مَنْ لم تبلُهُ أو خَدْشِهِ
وقِفِ القضيَّةَ حتى تَجْتَلِى ... وصْفَيْهِ فى حالى رضاً وبطشِهِ
ويَبِينَ خُلَّبُ بَرْقِهِ من صِدْقِهِ ... للشَّائمين ووبْلُهُ من طَشِّهِ
فهناكَ إنْ تَرَ ما يَشِينُ فَوارِهِ ... كَرَماً وإنْ تَرَ ما يَزِينُ فأفْشِهِ
ومَنِ استَحَقَّ الارْتقاءَ فَرَقِّهِ ... ومَنِ استَحَطَّ فَحُطَّهُ فى حَشِّهِ
واعلمْ بأنَّ التِّبْرَ فى عِرْقِ الثَّرى ... خافٍ إلى أنْ يُسْتَثارَ بنَبْشِهِ
وفَضِيلَةُ الدِّينارِ يَظْهَرُ سِرُّها ... مِنْ حَكِّهِ لامِنْ مَلاحَةِ نَقْشِهِ
ومِنَ الغَباوَةِ أنْ تُعَظِّمَ جاهلاً ... لصِقالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ رَقْشِهِ
أو أنْ تُهِينَ مُهَذَّباً فى نَفْسِهِ ... لدُرُوسِ بِزَّتِهِ ورَثَّةِ فُرْشِهِ
ولَكَمْ أُخِى طِمْرَيْنِ هِيبَ لِفَضْلِهِ ... ومُفَوَّفِ البُرْدَيْنِ عِيبَ لفُحْشِهِ
وإذا الفَتَى لم يَغْشَ عاراً لم تَكُنْ ... أسْمالُهُ إلَّا مَراقِى عَرْشِهِ
ماإنْ يَضُرُّ العَضْبَ كَوْنُ قِرابِهِ ... خَلَقاً ولا البازِى حَقارَةُ عُشِّهِ

ولابن عمران أيضا :

تحر سبيل القصد فى الناس ولتكن ... على حذر منهم ولا تسىء الظنا
ولا تمدحن من لم تجرب ولا تقل ... على غير علم ذاك من ذاكم أسنى
فما كل من يرضيك ظاهر حاله ... لدى الخبر محمودا وقد يحمد الأدنى

(القضية)الحكم(مبتوتة) مقطوعة (تبله) تجربه (خدشه) عيبه وأذيته (تجتلى) تنظر (بطشه) صولته عند الغضب يقول لا تحكم بشىء على أحد حتى تجربه فى الشدة والرخاء وقال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إن فلانا لرجل صدق قال أسافرت معه قال لا قال فهل كانت بينك وبينه خصومة قال لا قال فهل ائتمنته على شىء قال لا قال فأنت الذى لا علم لك به وإنما أراك رأيته يرفع رأسه ويخفضه فى المسجد (يبين) يظهر (خلب) كاذب (الشائمين) الناظرين إلى البرق (وبله) مطره الكثير(طشه) مطره القليل (يشين) يعيب (واره)استره (كرما) أى تكرما منك عليه (أفشه) حدث به وانشره (الارتقاء)الترقيع(رقه) رقعه (استحط) اتضع (حشه)كنيفه وهو المستراح (التبر) الذهب قبل السبك (يستثار) يستخرج (النبش) البحث عليه (الغباوة) الجهالة(رونق رقشه) حسن زينته (مهذبا) مخلصا (دروس) أخلاق (بزته) لبسته (رثة) ضعف (طمرين) ثوبين خلقين (هيب) خيف (مفوف) مزين (لفحشه) لقبح كلامه (يغش عارا) يدخله (أسماله) ثيابه البالية (مراقى) سلالم ومدارج (عرشه) سريره ومنزلته (العضب) السيف (قرابه)

جفنه . . ،ومما ينتظم فى هذا السالك أن النجاد العدوى دخل على معاوية فى عباءة فاحتقره فقال يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه بيانا ثم خرج ولم يسأله شيأ فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه ، وقال بعضهم

وإنى وإن كنت أثوابى ملفقة ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد همانى وفى لغتى فصاحة ولسانى غير لحان

وقال آخر
هل ينفعنك بعد شيبك فى الهوى توقير مكتسب ولبس ثياب
هيهات ما فخر المهند فى الوغى بحلى غمد فوقه وقراب

وقال الخابزرزى :

لا تنظرن إلى أثواب مغترب نائى المحل بعيد الأهل والدار
وانظر اليه إذا ما قام فى ملأ بمنطق لذوى الألباب سحار

وقال المعرى : وإن كان فى لبس الفتى شرف له فما السيف إلا غمده والحمائل

وقال أبو هفان: لعمرى لئن ما بعت فى دار غربة ثيابى إن ضاقت على المآكل
فما أنا لا السيف أخلق جفنه له حلية من نفسه وهو عاطل

وقال لبيد : وأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد السيف والسيف قاطع

وقال النمرى : فان تك أثوابى تمزقن عن بلى فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

كان بالكوفة رجل يعرف بأبى ذؤيب وكان مقصد الشعراء فدخل مجلسه محمد بن حازم الباهلى وعليه ثياب رثه وهم يتكلمون فى معانى الشعر فسأله ابن حازم عن بيت الطرماح فرد أبو ذؤيب جوابا محالا وهو فى ذلك كالمزدرى لابن حازم فوثب مغضبا فقيل له ماذا فتحت على نفسك من الشر أتدرى من احتقرت قال لا قيل هو أخبث الناس لسانا وأهجاهم هذا ابن حازم فوثب حافيا حتى لقيه وحلف أنه لم يعرفه واستقاله فأقاله وقال

أخطا على ورد غير جوابى وزرى على وقال غير صواب
وسكت من عجب لذاك فزادنى فيما كهرت بظنه المرتاب
وقضى على بظاهر من كسوة لم يدر ما اشتملت عليه ثيابى
من عفة وتكرم وتجمل وتجلد لمصيبة وعقاب
لكنه رجعت عليه ندامة لما يسب وحاف مض عتابى
فأقلته لما أقر بذنبه ليس الكريم على الكريم بناب

وكان ابن حازم ساقط الهمة يرضيه اليسير على انطباعه فى شعره . . . وقال حماد بن يحيى قال لى ابن حازم يوما على شىء من اللذات إلا بيع السنانير فقلت له ويحك وأى شىء فى ذلك من اللذة قال يعجبنى أن تجى العجوز الرعناء تخاصمنى وتقول هذا سنورى سرق فأخاصمها فتشتمنى فأشتمها وأغيظها ثم أنشد

صل خمرة بخمار وصل خمارا بخمر
وخذ تصيبك من ذا وذا إلى حيث تدرى

ثم ما عَتَّمَ أنِ استوقَفَ المَلاَّح ، وصَعِدَ مِنَ السَّفِينَةِ وساح ، فَنَدِمَ كلٌّ مِنَّا على ما فَرَّطَ فى ذاتِه ، وأغْضَى جَفْنَهُ على قَذَاتِه ، وتَعاهَدْنا على أنْ لا نَحْتَقِرَ شَخصاً لِرَثاثَةِ بُرْدِهِ ؛ وأنْ لا نَزْدَرِى سَيْفاً مَخْبوءاً فى غِمْدِهِ .

فقلت إلى أين ويحك فقال إلى النار يا أحمق (ما أعتم) أى ما أبطأ ولا تأخر ويقال عتم القرى إذا تأخر وأعتم حاجته أخرها ومنه صلاة العتمة لتأخر وقتها (استوقف الملاح) أمر خادم السفينة بالوقوف (صعد) ارتقى وارتفع (ساح) ذهب فى الأرض (فى ذاته) أى فى نفسه (أغضى جفنه) سد عينه (قذاته) عاره وعيبه الذى تلق به السروجى عند الدخول فى السفينة والقذاة ما يسقط فى العين فيوجعها (نزدرى) نحتقر (لرثاثه برده) لأخلاق ثوبه ، والله تعالى الموفق :

الصفحة	السطر	الكلمة	صحتها
٢٤	١٦	مزجها	مزاجها
٢٤	٢٢	مطوق	الطوق
٢٤	٢٣	كواعب	كواكب
١٠١	٨	تبعيده	تبعيد

المقامة الثالثة والعشرون الشعرية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: نَبا بِي مألَفُ الوطَن، في شَرْخِ الزمن، لخَطْبٍ خُشِي؛ وخوفٍ غَشِي؛ فأرَقتُ كأسَ الكرَى، ونَصَصْتُ رِكابَ السُّرَى، وجُبتُ في سَيْرِي وُعُوراً لم تُدَمِّثْها الخُطا، ولا اهتدَتْ إليها القَطا؛ حتى وردْتُ حِمى الخِلافة، والحرَمَ العاصِمَ منَ المخافة، فسَرَوْتُ إيجاسَ الرَّوْعِ واستِشْعارَه، وتَسَرْبَلْتُ لِباسَ الأمنِ وشِعارَه، وقَصَرْتُ همّي على لذّةٍ أجْتَنيها، ومُلْحَةٍ أجْتَليها، فبرَزْتُ يوماً إلى الحَريم لأرُوضَ طِرْفي؛ وأُجيلَ في طُرُقِهِ طَرْفي، فإذا فُرْسانٌ مُتتالُون، ورِجالٌ مُنْثالُون، وشَيْخٌ طَويلُ اللِّسان، قَصيرُ الطَّيْلَسان؛ قد لبَّبَ فَتًى جَديدَ الشَّباب، خَلَقَ الجِلْباب؛

شرح المقامة

(نبابي) أى قلق بي ولم يوافقني (الوطن) المنزل (مألفه) موضع الاجتماع به والتألف فيه (شرخ) أول أراد في أول زمانه وشبابه (خطب) أمر مخوف (خشي) خيف (غشي) نزل وعطى (أرقت) هرقت وجعل للكرى وهو النوم كأسا مجازا وكنى بهرقها عن إزالة النوم عن عينه (نصصت) رفعت وحركت (ركاب السرى) إبل السير (جبت) قطعت (وعورا) طرقا صعبة (تدمثها) تسهلها وتلينها (الخطا) هنا الاقدام وقوائم الحيوان (القطا) طائر وقد تقدم (هدايتها) فيما زعموا أنها تترك فراخها بالصحراء وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة فما دونها فيردنه ضحوة يومهن فيحمل الماء لفراخهن فينهلنهن ثم يرجعن بعد الزوال إلى تلك المسافة فيشربن ويأتين فراخهن في عشية يومهن فيسقينهن عللا بعد نهل ولا يخطئن مواضع فراخهن، فيقال لذلك أهدى من القطا، قال الشاعر:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة ... رأته تميم يوم زحف لولت

وقال حميد بن ثور: كما اتصلت قدرا لتسقى فراخها ... بعروة رفقا والمياه شعوب
فجاءت ومسقاها الذى وردت به ... إلا الصدر مشدود العصام كتيب
تبادر اطفالا مساكين دونها ... فلا لاتخطاه الركاب رغيب
وضعن لها غوثا بأرض تنوفة ... فما هي إلا نهلة وتؤوب

(حمى الخلافة) هي بغداد (الحرم) موضع الأمن (العاصم) المانع (سروت) أزلت (إيجاس الروع) إحساس الفزع والخوف (استشعاره) استفعال من شعرت بالشيء (تسربلت) لبست سربالا (قصرت همي) حبست همتي وارادتي (ملحة) طرفة وشيء عجب (أجتليها) أنظرها (الحريم) موضع متسع حول قصر الملك يجتمع فيه أجناده وغيرهم (أروض) أعلم وأسوس (طرفي) فرسي (أجيل) أمشي (متتالون) متتابعون (منثالون) منصبون لكثرة جريهم (الطيلسان) ثوب خز أخضر (لبب) جعل في عنقه ثوبا وقاده به وأخذ بتلابيبه وهي أطواق ثوبه والتلابيب مأخوذة من اللبة وهي وسط الصدر (جديد الشباب) أى فتي السن وقد تقدم

فَرَكَضتُ فى إثْرِ النَّظَّارَة ، حتى وافَيْنا بابَ الإمارَة ، وهُناك صاحبُ المَعُونةِ مُتربِّعاً فى دَسْتِه ، ومُرَوَّعًا بِسَمْتِه

فقال له الشيخُ : أعزَّ اللهُ الوالى ، وجعل كَعْبَهُ العالى ، إِنى كَفَلْتُ هذا الغُلامَ فَطِيما ، ورَبَّيْتُه يَتِيما ؛ ثم لم آلُه تَعْليما ، فلما مَهَرَ وبَهَرَ ، جَرَّدَ سَيْفَ العُدْوانِ وشَهر ، ولم أخَلْهُ يَلْتَوى علىَّ ويَتَّقِح ، حين يَرْتَوى مِنِّى ويَلْتَقِح .

فقال له الفتى : علامَ عَثَرْتَ مِنِّى ، حتى تَنْشُرَ هذا

الجلباب (ركضت فى أثر النظارة) أى خلف النظارين لما يفعل به نمن شأن الغوغاء والعامة إذا رأوا محبوسا أو مضروبا أن يتبعوه ويتكاثروا عليه ونظر عمر رضى الله عنه إلى قوم يتبعون رجلا مريبا فقال لامرحبا بهذه الوجوه التى لاترى الا عند الشر . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما اجتمعوا قط الا ضروا ولا تفرقوا الا انفعوا ، قيل له قد علمنا ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى كياره وكل صانع الى صنعته .. وقال دعبل :

ما أكثر الناس لابل ماأقلهم   والله يعلم أنى لم أقل فنـــدا
انى لأفتح عينى حين أفتحها   على كثير ولـكن لا أرى أحد

ومر على بن الجهم بمبرسم والناس قد تجمعوا حوله وحلقوا به فلما رآه المبرسم أخذ بعنان فرسه وأنشأ يقول:

لا تحفلن بمعشر الهمج الذين تراهم
فبحق من أبلى بهم نفسى ومن عافاهم
لو قيس مولاهم بهم كانوا اذا مولاهم

ثم نظر حوله فرأى غلاما جميلا الوجه حسن اللبسة فهجم عليه وشق ثيابه وهو يقول :

هــذا السعيد لديهم   قد صار بى أشقاهم

(وافيا) وصلنا (صاحب المعونه) والى الجنايات وقال الرسمى ولى فلان المعونة أى ولى العون أى ولاه السلطان عونه على حفظ المدينة ولفظها مفعولة وهى بتاويل المصدر بمنزلة قولهم ماله معقولة أى عقل ولا مجلود أى جلد (مروعا بسمته) أى مفزعا بهيئته ووقاره (جعل كعبه العالى) أى جعل أسفل شىء منه يعلو أرفع شىء فى غيره (كفلته) ضممته وقمت بمؤونته . أبو هريرة رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين وهو يشير بأصبعيه وخير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشرها بيت فيه يتيم يساء اليه ، أبو أسامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : من مسح على رأس يتيم لم يمسه الا لله كانت له بكل شعرت مرت عليها يده حسنة ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة كنت أنا واياه فى الجنة كهاتين وفرق بين اصبعيه (فطيما) أى صغيرا كما منع الرضاع (لم آله) أى لم أقصر فى تعليمه (مهر) ظهر وصار ماهرا أى حاذقا (بهر) غلب أمثاله (العدوان) الظلم (يلتوى) ينعطف لضرى وهو من فعل الحية إذا اتبعها الرجل النوت عليه لتلسعه (يتقح) يسقط حياؤه (يلتقح)يشرب لقحتى واللقحة الناقة ذات اللبن(عثرت) اطلعت

الخزىَ عنّي ، فوالله ماسَتَرْتُ وَجْهَ بِرِّك ؛ ولا هَتَكْتُ حجاب سِتْرِك ، ولا شَقَقْتُ عَصا أَمْرِك ، ولا أَلْغَيْتُ تِلاوَةَ شُكْرِك . فقال له الشَّيخُ : وَيْلَكَ وأيُّ رَيْبٍ أخزَى مِنْ رَيْبِك ، وهَلْ عَيْبٌ أفحَشُ مِنْ عَيْبِك ، وقد ادَّعَيْتَ سِحْرِي واستَلْحَقْتَه ؛ وانتَحَلْتَ شِعْرِي واسْتَرَقْتَه ؛ واسْتِراقُ الشِّعرِ عندَ الشُّعَراء ، أفظَعُ من سَرِقَةِ البَيْضاء والصَّفراء ؛ وغَيْرَتُهُم على بَنَاتِ الأفكارِ ؛ كغَيْرَتِهم على البناتِ الأبكار . فقال الوالى للشَّيخِ : وهلْ حينَ سَرَقَ سَلَخَ ، أمْ مَسَخَ أمْ نَسَخَ ،

(الخزى) العار والشر والخزى الهوان (هتكت) خرقت (حجاب سترك) أى ثوب طاعتك (ولا شققت عصا أمرك) أى ماخالفت حكمك وشق فلان العصا خرج عن الأمر مخالفا وشق عصا المسلمين فرق جماعتهم والأصل فى العصا الائتلاف والاجتماع ومنه قولهم للمطمئن ألقى العصا وقيل شق العصا صار منها فى شق وخرج عن الجماعة وفسر قوله تعالى شاقوا الله ورسوله بالمباينة لأن من صار فى شق عن شق صاحبه فقد باينه وقيل معنى شق العصا ذهب إلى شقها أى كسرها فجىء بالشق الذى هو من صفة العصا وفى ضمنه المجاهرة بالخروج عن الجماعة قال الشماخ :

تصدع شعب الحى وانشقت العصا　　كذاك النوى بين الخليط شقوق

(ألغيت) تركت (تلاوة) قراءة (الريب) الريبة والتهمة (أخزى) أضر وأكثر هوانا (أفحش) أقبح (أدعيته) نسبته لنفسك وليس لك (سحرى) بديع كلامى (استلحقه) ألحقته بنفسك (انتحلت) ادعيت (أفظع) أمر (البيضاء والصفراء) الفضة والذهب (بنات الأفكار) هى الأشعار (سلخ) أخذ المعنى (مسخ) قلب الكلام وغيره (نسخ) نقله بعينه والقائلون بالتناسخ لهم ألفاظ تشبه هذه وهى النسخ والمسخ والرسخ والفسخ فالنسخ عندهم أن يحول الأدنى إلى الأعلى والمسخ أن يحول الأعلى من الحيوان إلى الأدنى والرسخ رد الحيوان جمادا والفسخ أن يتلاشى فلا يكون شيأ وقال شاعرهم :

تعــوذ بالا من المسوخ　　وسله أن تكون من المنسوخ
لقد خاب الذى أضحى وأمسى　　ينقل فى فسوخ أو رسوخ

وقال المعرى : وقال بأحكام التناسخ معشر　　غلوا فأجازوا الفسخ فى ذاك والرسخا

وتقسيم الحريرى السرقة فى قوله سلخ ومسخ ونسخ يدخل تحت أحكام السرقات التى عدها أبو محمد الحسين ابن على بن وكيع رحمه الله تعالى فى كتابه المترجم بالمنصف فى الدلالات على سرقات المتنبى فانه جعلها عشرين وجها : عشرة أوجه يعفر فى سرقتها ذنب الشاعر للدلالة على فطنته :

الأول منها استيفاء اللفظ الطويل فى الموجز القصير كقول طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بماله　　كقبر غوى فى البطالة مفسد

اختصره ابن الزبعرى فقال :

والعطيات خصاص بينهم　　وسواء قبر مثر ومقل

ففضل صدر بيته وجاء ببيت طرفه فى عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح .

الثانى نقل اللفظ الرذل إلى الرشيق الجزل كقول العباس بن الأحنف :

زعموا لى أنها باتت تحم ابتلى الله بهذا من زعم
اشتكت أكمــل ما كانت كما يتشكى البدر إذا ما قيل تم

فهذا معنى لطيف أخذه ابن المعتز فقال :

طوى عارض الحمى سناه لخالا وألبس ثوبا للسقام هزالا
كذا البدر محتوم عليه إذا انتهى إلى غاية فى الحسن عاد هلالا

الثالث نقل ماقبح مبناه دون معناه إلى ماحسن مبناه ومعناه كقول أبى نواس .

بح صوت المال مما منك يدعو أو يصيح ما لهذا آخذفو ق يديه من يصيح

معناه صحيح ولفظه قبيح ، أخذه مسلم فقال :

تظــلم المــال والأعداء من يده لازال للمال والأعداء ظــلاما

فجود الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والأعداء وكل ذلك مليح جزل نقل عن ضعيف المبنى .

الرابع عكس مايصير بالعكس ثناء بعد ما كان هجاء كقول البلاذرى :

قد يرفع المرء اللئيم حجابه ضعةودون العرف منه حجاب

معكوسه : ملك أغر محجب معروفه لايحجب

الخامس استخراج معنى احتذى عليه وإن فارق ما قصد اليه كقول أبى نواس فى الخمر :

لاينزل الليل حيث حلت فدهر شرابها نهار

اخذه البحترى وفارق مقصده فجعله فى محبوب فقال :

غاب دجاها وأى ليــل يدجو علينا وأنت بدر

السادس توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق كقول أبى تمام :

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

أخذه من قول الأعرابى أنشده الأصمعى رحمه الله تعالى :

فكان عليه الفتى الاقدام فيها وليس عليه ما جنت المنون

فجرد لفظة من لفظ من أخذ منه وهو فى معناه متفق معه وهذا من أدل الاقسام عــلى فطنة مشاعر :

السابع فى توليد معان مستحسنات فى ألفاظ مختلفات وهذا من أشد باب وأقله وجودا وإنما قل لأنه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته كقول ابى نواس :

واسقنيها من كميت تدع الليل نهارا

ثم قال أيضاً : لاينزل الليل حيث حلت فدهر شرابها نهارا

ثم قال أيضا : ألمبتغى المصباح قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا

فكل هذه معان متقاربات وألفاظ متشابهات مولد بعضها من بعض .

الثامن مساواة الآخذ المأخوذ منه فى الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام وإن كان الأول أحق به لأنه ابتدع والثانى اتبع من ذلك قول العكوك فى فرس :

مطرد يرتج من أقطاره   كالماء جالت فيه ريح فاضطرب

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكونه فأخذه ابن المعتز فقال :

فكأنه موج يذوب إذا   أطلقته فاذا حبست جمد

فجمع بين الصفتين .

التاسع مماثلة السارق المسروق بزيادة فى المعنى ما هو من تمامه كقول أبى حية :

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت   بأحسن موصولين كف ومعصم

أخذه من قول النابغة :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد

فلم يزد النابغة على اتقائها باليد وزاد عليه أبو حية بقوله دونه الشمس وخبر عن المتقى بأحسن خبر فاستحقه .

العاشر رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظ على لفظ من أخذ عنه كقول حسان :

يغشون حتى ما تهر كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

وقال أبو نواس رحمه الله تعالى :

إلى بيت حان لاتهر كلابهم   على ولا يخشون طول ثوائى

ولا فرق بين المعنيين ... والسرقات المحمودة أكثر من أن تحصر ونريك وجه السرقات المذمومة ، وهى كالمحمودة عشرة أقسام :

الأول نقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير كقول سالم الخاسر :

أقبلن فى رأد الضحى بنا   يسترون وجه الشمس بالشمس

أخذه الثانى فقال: وإذا الغزالة فى السماء تعرضت   وبدت النهار لوقته يترحل

أبدت لعين الشمس عينا مثلها   تلقى السماء بمثل ما تستقبل

المعنى صحيح والكلام مليح غير أنه تطويل وتضييق والبيتان جميعا نصف بيت سالم .

الثانى نقل الرشيق الجزل إلى المستضعف الرذل كقول القائل :

كأن ليلى صبير غادية   أودمية زينت بها البيع

وأخذه أبو العتاهية فقال :

كأن عتابة من حسنها   دمية قيس فتنت قسها

فقصر لفظه عن الفصاحة ومعناه عن الرجاحة .

الثالث نقل ما حسن معناه ومبناه إلى ما قبح مبناه كقول امرىء القيس :

ألم تريانى كلما جئت طارقا   وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فأتى بما لا يعلم وجوده فى البشر من وجود طيب ممن لم يمس طيبا وجاء ببيت فى مراده حسن النظام مستوفى التمام أخذه كثير فقال :

فما روضة بالحسن طيبة الثرى يمج الندى جنجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا إذا أو قدت بالمندل الرطب نارها

فطول وحسن وقصر غاية التقصير وأخبر أنها إذا تطيبت كالروضة فى طيبها وذلك مما لا يعدم فى أقل البشر تنظيفا.
الرابع عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد أن كان ثناء كقول أبى نواس رحمه الله تعالى :

فهو بالمال جواد وهو بالعرض شحيح

عكسه ابن الرومى فقال :

ما شئت من مال حمى يأوى إلى عرض مباح

الخامس نقل ما حسنت أوزانه وقوافيه إلى ما قبح وثقل على لسان راويه كقول مسلم رحمه الله تعالى :

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

أخذه أبو تمام فقال :

قال لى الناصحون وهو مقال ذم من كان جاهلا اطراء
صدقوا فى الهجاء رفعة أقوا م طغام فليس عندى هجاء

فبين الكلامين فرق بعيد.
الثامن (١) نقل العذب من القوافى إلى المستكره الجافى كقول أبى نواس :

فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

فهذا الكلام أتم بهاء من قول مسلم :

تجرى محبتها فى قلب عاشقها جرى المعافاة فى أعضاء منتكس

التاسع نقل ما يصير على التفتيش والانتقاد إلى تقصير وإفساد كقول القائل :

ولقد أروح إلى النجار مرجلا مد لى بمالى لينا اجيادى

وإنما له جيد واحد وهذا وإن جاز عند بعض العرب فهو عند الآخرين غير حميد ولا سديد.
العاشر أخذ اللفظ والمعنى وهو أقبح السرقات وأدناها وأوضحها وقد أكثر الشعراء ذم السرقة والسارق وأول من ذم ذلك طرفة حين قال :

ولا أغير على الاشعار أسرقها عنها غنيت وشر الناس من سرقا

وقال الأعشى : فكيف أنا وانتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاك عارا

ومن سرقة اللفظ والمعنى ما يحكى عن ابى المعافى انه لما مدح ابا العباس محمد بن ابراهيم الإمام بقوله :

اليك بمدحى ياخير ابنا رسول الله من تلد النساء
ستأتيك المدائح من رجال وما كف أصابعها سواء

فأخذه آخر وغيره بأن وضع الرجال موضع النصاء وغير عجز البيت الآخر فقال كما اختلفت إلى الغرض النبال

(١) هنا سقط فى جميع النسخ، حيث سقط السادس والسابع.

فاستعدى عليه أبا المعالى صالح ابن اسمعيل وهو على شرطة محمد بن ابراهيم بالمدينة فقال:

ماسارق الشعر فيه وسم صاحبه إلا كسارق بيت دونه غلق
بل سارق البيت أخفى حين يسرقه والبيت يستره من ظلمة غسق
من جيد الشعر أن يخفى لسارقه وجيد الشعر قد سارت به الرفق

فقال صالح فما تحب أن أفعل به فقال تحلفه عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا ينشد هذا الشعر إلا لى ، وكان محمد بن زهير يشرب فاذا سكر لا يفيق إلا بانشاد الشعر فأمر يوما جبار بن محمد الكاتب أن ينشده فأنشده بيانا لأبى نواس ادعى أنه قائلها وهى :

صاح مالى وللرسوم القفار ولنعت المطى والاكوار
شغلتنى المدام والقصف عنها وسماع الغناء والمزمار

ومضى فى الشعر وأبو نواس قاعد فوثب وتعلق به قدام محمد بن زهير وأنشأ يقول :

اعدنى يامحمد بن زهير ياعذاب اللصوص والذعار
يسرق السارقون ليلا وهذا يسرق الشعر جهرة النهار
صار شعرى قطيعة لجبار أفهذا لقلة الاشعار
قل له فليغر على شعر حما د أخى الفتك أو على بشار

وسرق محمد بن الأموى شعر الحبيب فقال حبيب :

من بنو مجدل من ابن الحباب من بنو تغلب غداة الكلاب
من طفيل وعامر ومن الحا رث أو من عتيبة بن شهاب
إنما الضيغم المصور أبو الاشب ال جبار جيش وغاب
من عدت خيله على سرح شعرى وهو للحين راتع فى كتاب
غارة أسخنت عيون المعانى واستباحت محارم الآداب
لو ترى منطق أسيرا وأصبحـ ت أسير بعبرة وانتحاب
ياعذارى الاشعار صرتن من بعـ دى سبايا تبعن فى الأعراب
طال رهبى اليك يارب يارب ورغبى اليك فاحفظ ثيابى

وعارض أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قصيدة البحترى فاستعار من ألفاظها ومعانيها ما أوجب أن قال البحترى :

ما الدهر مستنفد ولا عجبه تسومنا الخسف كله نوبه
نال الرضا مادح وممتدح فقل لهذا الأمير ما غضبه
أجلى لصوص البلاد يطردهم وظل لص القريض ينتهبه
اردد علينا الذى استعرت وقل قولك يعرف لغالب غلبه

واستعدى ابن الرومى العلاء بن عيسى على البحترى فقال :

قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت ... به الدواهى نصوص الآل فى رجب
أيسرق البحترى الناس شعرهم ... جهراً وأنت نكال اللص ذى الريب
وتارة يبرز الأرواح منطقة ... فالقوم ما بين مقتول ومغتصب
نكله ان أناسا قبله ركبوا ... بدون ما قد اتاه باسق الخشب
إذا أجاد فأوجب قطع مقوله ... فقد بدا شعراء الناس بالحرب
وإن أساء فأوجب قتله قوداً ... بمن أفات إذا أبقى على السلب
يسىء عفا فان أكدت مسائله ... أجاد لصا شديد البأس والكلب
حى يغير على الموتى فيسلبهم ... حر الكلام بجيش غير ذى لجب

وقال فيه ابن الحاجب

والفتى البحترى يسرق ما قا ... ل ابن أوس فى المدح والتشبيب
كل بيت له يجود معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

ولابن الحاجب أيضا :

هل لى محنة تخبر من فا ... ضلنا فى القريض والمفضول ؟
محنة تفضح اللصوص وتقضى ... بالذى فيهم قضى التنزيل
سارق المال تقطع الكف منه ... واللسان مسروق منها بدليل
ليسود الذى يحق له السو ... دد منا ويرذل المرذول

وبلغ الصاحب بن عباد أن بعضهم سرق شعره فقال أبلغوه عنى :

سرقت شعرى وغيرى ... يضام فيه ويخدع
فسوف أجزيك ضعفا ... يكل رأسا وأخدع
فسارق المال يقطع ... وسارق الشعر يصفع

فاتخذ السارق لذلك جملا وهرب من الرى ... وبين السرى الموصلى والخالد يين مستظرفات فى هذه السرقات اشتهرت فى كتب الآداب فلنلم ببعض ما قال السرى فيهما وفيه يقول الثعالبى : السرى وما أدراك ما السرى صاحب الشعر الجامع بين عقود الدر والنافث فى عقد السحر ولله دره ما أعذب بحره وأصفى قطره وأعجب أمره وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ويعلق فى كعبة الظرف ، وكتبت منه محاسن وملحا وبدائع وطرفا كأنها أطواق الحمام وصدور البزاة البيض وأجنحة الطواويس وسوالف الغزلان ونهود العذارى الحسان وغمزان الحدق الملاح ، قال يتنظم إلى سلامة بن فهد من الخالدين :

تحيف شعرى يا ابن فهد مصالت ... عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى
وفى كل يوم للغبيين غارة ... تروع ألفاظى المحجلة الغرا
إذا عن لى معنى تضاحك لفظه ... كما ضاحك النوار فى روضة الغدرا
غريب كنشر الروض لما تبسمت ... مخايله للفكر أو دعته سطر

فوجه من الفتيان يمسح وجهه	وصدر من الأقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثر من الجهل معدم	من العلم معذور متى خلع العذرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها	وأدنستما تلك المطارف والازرا
فويحكما هلا بشطر قنعتما	وأبقيتمالى فى محاسنه الشطرا

وقال يخاطب أبا الخاطب وقد سمع أن الخالديين يرجعان إلى بغداد :

بكرت عليك معرة الاعراب	فاحفظ ثيابك يا أبا الخطاب
ورد العراق ربيعة بن مكدم	وعتيبة بن الحرث بن شهاب
أفعندنا شك بأنهما هما	فى الفتك لا فى صحة الانساب
جلبا اليك الشعر من أوطانه	جلب التجار لطائف الاجلاب
شنا على الآداب أقبح غارة	جرحت قلوب محاسن الآداب
فحذار من حركات صلى غارة	وحذار من فتكات ليثى غاب
تركت غرائب منطق فى غربة	مسبية لاتهتـــدى لإياب
أعزز على بأن أرى أشلاءها	تدمى بظفر للعدو وناب
جرحى وماضربت بحد مهند	أسرى وماحملت على الاقتاب
إن عز موجود الكلام عليهما	فانا الذى وقف الكلام ببابى
كم حاولا أمرى فطـال عليهما	أن يدركا إلا مثار ترابى

والقصيدة طويلة جمعت منها ماوافق الغرض وسنلم بشيء منها فى الثالثة والثلاثين بعون الله تعالى ... وقال يتظلم منهما لأبى البركات :

يا أكرم الناس إلا أن تعد أبا	فات الكرام بآباء وآثار
أشكو اليك حليفى غارة شهرا	سيف العقوق على ديباج أشعارى
ذئبين لو ظفرا بالشعر فى حرم	لمزقاه بأنياب وأظفار
سلا عليه سيوف البغى مصلتة	فى جحفل من شنيع الظلم جرار
وأرخصاه فظل العطر منهمـا	لديهما يشترى من عطار
إن قلداك بدر فهو من نحى	أو ختماك فياقوتى وأحجارى
كأنه جنة راقت حدائقها	بين الغبيين فى نار وإعصار
عار من النسب الوضاح منتسب	فى الخالديين بين الخزى والعار

وشتان بين قول السرى فى أبى بكر وأبى عثمان بن هشام الخالديين وبين قول الثعالبى فيهما حين قال إن هذين لساحران يغربان فيما يجلبان ويبدعان فيما يصنعان وكان مايجمعهما من أخوة الأدب مثل ماينظمهما من أخوة النسب وهما فى الموافقة والمساعدة يحيآن بروح واحدة ويشتركان فى قول الشعر وينفردان ولا يكادان فى السفر والحضر يفترقان وكانا فى التساوى كما قال أبو تمام :

فقال والذى جعل الشِّعْرَ دِيوانَ العَرَب ، وتَرْجمانَ الأدَب ، ما أحْدَثَ سوى أنْ بَتَرَ شَمْلَ شَرْحِهِ ، وأغارَ على ثُلُثَىْ سَرْحِهِ ، فقال له : أنْشِدْ أبْياتَكَ بِرُمَّتِها ، لِيَتَّضِحَ ما احْتازَهُ مِنْ جُمْلَتِها ؛ فأنشد :

يا خاطِبَ الدُّنْيا الدَّنِيَّةَ إنَّها ... شَرَكُ الرَّدَى وقَرارَةُ الأكْدارِ
دارٌ متى ما أضْحَكَتْ فى يومِها ... أبْكَتْ غداً بُعْداً لها من دارِ
وإذا أظَلَّ سحابُها لم يَنْتَقِعْ ... منْهُ صَدًى لِجهامِهِ الغَرَّارِ
غاراتُها ما تَنقَضِى وأسيرُها ... لا يُفْتَدَى بِجَلائِلِ الأخْطارِ

رضيعى لبان شريكى عنان ... عتيق رهان حليفى صفاء

بل كما قال البحترى :

كالفرقدين اذا تأمل ناظر ... لم يعد موضع فرقد عن فرقد

بل كما قال الصابى:

أرى الشاعرين الخالدين نشرا ... قصائد يفنى الدهر وهى تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه ... يقصر عنها راجز ومقصد
تنازع قوم فيهما وتناقضوا ... ومر جـــدال بينهم يتردد
فطائفة قالت سعيد مقدم ... وطائفة قالت لهم بل محمد
وصاروا إلى حكمى فاصلحت بينهم ... وما قلت الابالتى هى أرشد
هما الاجتماع الفضل روح مؤلف ... ومعناهما من حيث ألفت مفرد
كفرقد الظلماء لما تشاكلا ... علاه أأشكى ذاك أم أمجد
فزوجهما ماثله فى اتفاقه ... وفردهما بين الكواكب أسعد
فقاموا على صلح وقال جميعهم ... رضيناوساوى فرقدا الأرض فرقد

وأفاضل الشام والعراق بعضهم يفضل السرى عليهما وبعضهم بفضلهما ... فهذا كله فصل فى السرقات مستظرف احتوى على فوائد من علم الأدب وهى عشرون وجها والعشرون وجها فى السرقة جلبتها من كتاب الوكيعى على اختصار (والذى جعل الشعر ديوان العرب) أى كتابا تدون فيه أخبارهم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الشعر جزل من كلام العرب به يعطى السائل ويكظم الغيظ وبه يؤتى القوم فى ناديهم ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من الشعر لحكمةرواه ابن عمر رضى الله عنه ، وقال تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوىء تتقى وحكمة للحكماء ويدل على مكارم الاخلاق (قوله ياخاطب الدنياالدنية) أى التى لاخير فيها(شرك) مصايد (الردى) الهلاك (قرارة) موضع يستقر فيه الماء (الاكدار) مايتكدر به الماء الصافى (أظل) دنا وقرب (ينتقع) يرتوى (صدى) عطش (جهامه) سحابه الذى لاماء فيه (العار) الخداع (تنقضى) تنقطع وتتم أراد أن الدنيا تهلك من فيها فكنى بالأسير عن ذلك وأسير الموت لايفدى (الجلائل) جمع جليلة وهى

كم مُزْدَهى بغرُورها حتى بَدَا ... مُتَمرِّدًا مُتجاوزَ المقـــدارِ
قَلَبتْ له ظَهْرَ المِجنِّ وأوْلَغتْ ... فيه المُدَى ونَزَتْ لأخْذ الثّارِ
فارْبأ بعُمْرِكَ أنْ يَمُرَّ مضيَّعًا ... فيها سُدًى من غير ما استظهار
واقطعْ عَلائقَ حُبّها وطِلابِها ... تلقَ الهُدَى ورَفاهَةَ الاسْرارِ
وارْقُبْ إذا ما سالَمَتْ مِن كيْدِها ... حَرب العِدَى وتوثُّب الغدّار
واعْلَمْ بأنَّ خُطوبَها تفجا ولوْ ... طالَ المَدَى ووَنَتْ سُرَى الأقدارِ

الشيء الرفيع ؛ وتقدمت الأخطار (مزده) معجب (غرورها) خداعها (متمردا) متجاوز الحد فى الفساد (المجن) الترس (أولغت) جعلتها تلغ الدم (المدى) جمع مدية السكين (نزت) وثبت عليه (الثار) طلب الدم وأراد أنها لما بسطت الأرزاق للانسان فاعجب بها وركب رأسه فى الفساد تحولت عليه وسقت سكينها من دمه والعرب تقول قلت له ظهر المجن أى غيرت له حالى وهو مثل يضرب للمحاربة بعد المسالمة وأصله فى الحرب لأن الرجل إذا صالح صاحبه جعل بطن مجنه مما يلى صاحبه المصالح فاذا حاربه قلب له ظهره للقتال ، ومن جواب رسالة المهلب إلى الحجاج وزعمت إلى إن لم ألقهم فى موضع كذا أسرعت إلى صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن ثم إذا كانت الواقعة ، فهذا يبين ماذكرناه (أربأ بغمرك) أى ارفع عنها نفسك واحتفظ فيها بعمرك وتقول ربأت القوم أى صرت لهم ربيئة وهو الحارس لهم والمربأ الموضع المشرف الذى يقعد فيه الناظر فمعنى اربأ بنفسك أى ارتفع بموضع ممتنع واحترس فيه لتنجو (سدى) مهملا (استظهار) استعداد وقد استظهرت بالشيء فظهرت به وأظهرته إذا جعلته خلف ظهرك حماية ووقاية والظهير المعاون (العلائق) كل مايعلق القلب بحب الدنيا (الرفاهة) الخفض والعيش الهنيء (الإسرار) البواطن يريد أن سر الانسان وخاطره إذا قطع علائق الدنيا كان مترفها خالى السر والبال (أرقب) أحرس (سالمت) صالحت (كيدها) مكرها (الغدار) الذى يؤمنك فاذا أمنته خانك (وتوثبه) تهيؤه للوثب عليك (خطوبها) أمورها ونوازلها (تفجأ) تأتى على غفلة (ونت) فترت (السرى) مشى الليل (الاقدار) مايقدره الله على العبد من خير أو شر فيقول إذا أمنتك الدنيا من مكرها فلا تأمنها فخطوبها تأتى على غفلة بعد أمد طويل وضمن هذا الشعر وصايا فى التحذير من الدنيا .. ونسوق هنا من النظم والنثر ماينتظم فى سلك مانظم قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لايشبع ، وقيل لعلى بن طالب رضى الله عنه : صف لنا الدنيا فقال : ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ، وقال ابنه محمد بن الحنفية من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وقيل لبعض الحكماء صف لنا الدنيا فقال أمل بين يديك وأجل مطل عليه وشيطان فتان وأمانى جرارة العنان تدعوك فتستجيب وتزجرها فتخيب ، وقيل لآخر صف لنا الدنيا فقال ناقضة للعزيمة مرتجعة للعطية كل من فيها يجرى إلى مالايدرى ، وقال هرون الرشيد لو قيل

للدنيا صفى نفسك ماوضعت نفسها بأكثر من قو أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف ... له عن عدو فى ثياب صديق

وقال آخر : ياخاطب الدنيا إلى نفسه ... تنح عن خطبتها تسلم

إن الذى تخطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم

وقال أبو العرب الصقلى :

ولايغررك منها حسن برد ... له علمان من علم الذهاب

فأوله رجاء من سراب ... وآخره رداء من تراب

وقال أبو العتاهية :

أصبحت الدنيا لنا فتنة ... والحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها ... وما أرى منهم لها تاركا

وله أيضاً : هى الدنيا إذا أكملت ... وتم سرورها خذلت

وتفعل فى الذين بقوا ... كما فيمن مضى فعلت

وقال المتنبى : أبدا تسترد ماتهب الدن ... يا فياليت جودها كان بخلا

وهى معشوقة على الغدار لاتح ... فظ عهدا ولا تتمم وصلا

كل دمع يسيل منها عليها ... وبفك اليدين منها تخلى

شيم الغانيات فيها فلا أد ... رى لذا أنث اسمها الناس أم لا

وله أيضاً : فذى الدار أخون من مومس ... وأخدع من كفة الحابل

تفانى الرجال على حبها ... وما يحصلون على طائل

وقال المعرى : وجدنا أذى الدنيا لذيذا كأنما ... جنى النحل أصناف الشقاء الذى نجنى

على أم دفر غضبة الله إنها ... لاجدر أنثى أن تخون وأن تخنى

كعاب دجاها فرعها ونهارها ... محيا لها قامت له الشمس بالحسن

كأن بنيها يولدون وما لها ... حليل فتخشى العار إن سمحت بابن

وقال ابن عبدربه :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب

هى الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها ولا اللذات إلا مصائب

فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة ... على ذاهب منها فانك ذاهب

وقال أبو العتاهية :

رضيت بذى الدنيا لكل مكاثر ... ملح على الدنيا وكل مفاخر

ألم ترها ترقيه حتى إذا سما ... فرت حلقه منها بشفرة جازر

وقال أبو بكر البلوى : إن الذى أصبح لاوالد ... له على الأرض ولا والده

فقال له الوالى : ثم ماذا ، صَنَعَ هذا ، فقال : أقْدَمَ لِلُؤْمِهِ فى الْجزاء ، عَلَى أَبْيَاتِى السُّدَاسِيَّةِ الْأَجْزَاء فَحَذَفَ مِنْهَا جُزْأَيْنِ، وَنَقصَ مِنْ أَوْزَانِهَا وَزْنَيْنِ ، حَتى صَارَ الرُّزْءُ فِيهَا رُزْأَيْنِ ، فقال له : بَيِّنْ ما أَخَذَ ، وَمِنْ أَيْنَ فَلَذَ ، فقال: أَرْعِنِى سَمْعَكَ ، وَأَخْلِ لِلتَّفَهُّمْ عَنى ذَرْعَكَ ، حتى تَتَبَيَّنَ كَيْفَ أَصْلَتَ عَلَىَّ وَتَقْدُرَ قَدْرَ اجْتِرَامِهِ إِلَىَّ ، ثمَّ أنشد ، وَأَنْفَاسُهُ تَتَصَعَّدُ :

قد مات من قبلهما آدم ... فأى نفس بعده خالده
إن جئت أرضا أهلها كلهم ... عور فغمض عينك الواحده

وقال ابن عمران: أف لدنيا قد شغفنا بها ... جهلا وعقل للهوى متبع
فتانة تخدع طلابها ... فلا تكن ممن بها ينخدع
أضغاث أحلام إذا حصلت ... أو كوميض البرق مهما لمع

وقال ابن قاضى ميلة: لدنياك نور ولكنه ... ظلام يحاربه المبصر
فان عشت فيها على أنها ... كما قيل قنطرة تعبر
فلا تعمرن بها منزلا ... فان الخراب لما تعمر
ولا تدخرن خلاف التقى ... فتفنى ويبقى الذى تدخر

ابن عمران : واعلم أن الانسان لا يحب شيأ إلا أن يجانسه فى بعض طباعه وأن الدنيا جانست الانسان فى بعض طبائعه فأحبها بكله ، وقال :

نراع لذكر الموت فى حال ذكره ... ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها ... وما كنت منه فهو شىء محبب

وقال ابراهيم بن أدهم:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

وهذا مثل قول أعرابى قيل له كيف أنت فى دينك فقال أخرقه بالمعاصى ولا أرقعه بالاستغفار ، وللاعمى الطليطلى:

تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا ... ان سوف تقتلهم لذاتهم بددا
قل للمحدث عن لقمان أو لبد ... لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
والذى همه البنيان يرفعه ... إن الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
مالا بن آدم لا تفنى مطالبه ... يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

تأمل هذه المقاطع فانها تضمنت حكما وآدابا وكل قطعة منها لها تعلق بشعر الحريرى إما باللفظ أو بالمعنى (أقدم) أى تقدم (لؤمه فى الجزاء) يريد أنه جازاه على ما فعل معه من الخير مجازاة لئيم فسرق شعره (السداسية الاجزاء) لان عروضها من الكامل وأجزاؤها متفاعلن ست مرات (الرزء) المصاب (فلذ) قطع (أرعنى سمعك) أى أسمع منى (ذرعك) بالك وقلبك (أصلت) جرد سيفه (تتصعد) تتطلع إلى فوق

يَا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّـــةِ إنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى   دَارٌ مَتَى أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدا
وَإذا أَظَلَّ سَحَابُهَا لم يَنْتَقِـعْ مِنه صَدى   غَارَاتُهَا مَا تَنقضى وَأَسيرُها لا يُفتدى
كم مُزدَهَى بغُرورهَا حَتَّى بدا مُتَمَرِّدا   قَلَبَتْ له ظَهْرَ المِجَنِّ وَأَوْلَغَتْ فِيهِ المُدَى
فَارْبَأْ بعُمرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضَيَّعاً فِيهَا سُدى   واقطعْ عَلائقَ حُبِّهَا وطِلابِهَا تَلقَ الهُدَى
وارْقُبْ إذا ما سَالَمَتْ مِنْ كَيْدِهَا حَرْبَ العِدَى   واعْلَمْ بأنَّ خُطُوبَهَا تفجَا ولو طَالَ المَدَى

فالتفتَ الوالى إلى الغُلامِ وقال: تَبًّا لَكَ مِنْ خِرِّيجٍ مارِق، وتِلْمِيذٍ سَارِق، فقال الفَتى بَرِئْتُ مِنَ الأَدَبِ وَبَنيه، وَلَحِقْتُ بِمَنْ يُنَاوِيه، وَيُقَوِّضُ مبانِيه، إنْ كانَتْ أَبْيَاتُهُ نَمَتْ إلى عِلْمِي، قبلَ أَنْ أَلَّفْتُ نَظمى، وَإنَّما اتَّفَقَ تَوارُدُ الخَوَاطِرِ، كما قَدْ يَقَعُ الحَافِرِ عَلَى الحَافِرِ

(الخريج) الذى خرجه معلمه وفلان خريجك أى الذى خرج بتهذيبك وتعليمك (مارق) خارج عن الطاعة (وتلميذ) طالب متعلم (برئت) زلت وانفصلت (يناويه) يعاديه (يقوض) يهدم (نمت) اتصلت وعيت الحديث أسندته (ألفت نظمى) جمعت شعرى (توارد الخواطر) تواطؤ الاذهان أى وقع لذهن الفتى من الكلام ما وقع لذهن الشيخ مثل الحافر الذى يقع على الحافر وهذا الكلام يعزى لابى الطيب المتنبى وسئل عن اتفاقات الخواطر فقال: الشعر ميدان والشعراء فرسان فربما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر، قال الأصمعى رحمه الله تعالى قلت لأبى عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان فى المعنى ويتواردان فى اللفظ لم يلق أحدهما صاحبه ولا سمع شعره فقال لى تلك عقول رجال توافقت على ألسنتها .. ومن مشهور ذلك ما وقع فى القصيدتين البائيتين لامرىء القيس وعلقمة وكذلك اتفاقه مع طرفة فى قوله:

وقوفا بها صحبي على مطيهم   يقولون لاتهلك أسا وتجلد

وقال امرؤ القيس: تجمل: ومن توارد الخواطر قول ربيعة بن مقروم:

لوانها عرضت لاشمط راهب   عبد الاله صرورة متبتل

وقال النابغة: صرورة: متعبد. وقال:

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها   ولهم من تاموره يتنزل

وقال النابغة: لرنا لرؤيتها وحسن حديثها   ولخاله رشدا وإن لم يرشد

تاموره صومعته ومن ذلك ماحكى أبو على أنه خرج جرير والفرزدق مردفين إلى هشام بن عبد الملك فنزل جرير يبول فتلفتت الناقة فضربها الفرزدق وقال:

الا تلتفتين وأنت تحتى   وخير الناس كلهم أمامى
متى تردى الرصافة تستريحى   من التهجير والدبر الدوامى

ثم قال الآن يجىء جرير فأنشده البيتين فيرد على:

تلفت إنها تحت ابن قين   إلى الكيرين والفاس الكهام

متى تردى الرصافة تخز فيها لخزيك فى المواسم كل عام

قال فجاء جرير والفرزدق يضحك فقال لى مايضحكك ياأبا فراس فأنشده البيتين فقال جرير « تلفت انها » البيتين كما قال الفرزدق سواء فقال والله اقدقلت هذين البيتين فقال جرير أماعلمت أن شيطاننا واحد . . . ومر رجل بالفرزدق بالمربد فقال من أين أقبلت قال من اليمامة قال فأى شيء احدث ابن المراغة فأنشده :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج — فقال الفرزدق : فانظر بتوضح باكر الاحداج . فقال الرجل :

هذا هو شغف الفؤاد مبرح — فقال الفرزدق : ونوى تقاذف غير ذات خلاج — فقال الرجل :

إن الغراب بما كرهت لمولع — فقال الفرزدق : بنوى الأحبة دائم التسحاج — فقال الرجل هكذا والله، قال أفسمعتها من غيرى؟ قال : لا ولكن هكذا ينبغى أن يقال ، فقال : أماعلمت أن شيطاننا واحد..ودخل الفرزدق على امرأة من عقيل لحدثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل فأقبلت عليه تحدثه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك وقال للفتى أتصارعنى قال ذلك اليك فقام الفرزدق فلم يلبث أن أخذه الفتى مثل الكرة فصرعه وجلس على صدره فضرط الفرزدق فوثب الفتى عنه وقال هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ماجرى فقال والله ما بى ذلك ولكن كأنى بابن المراغة جرير قد بلغه الخبر فقال :

جلست إلى ليلى لتحظى بقربها فخانك دبر لا يزال خؤون

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها كما شد خرقا بالدلاص قيون

فلما بلغ الخبر جرير قال البيتين . . . وأمر سليمان بن عبد الملك الفرزدق أن يضرب رقاب أسرى فاستعفاه فلم يفعل وأعطاه سيفا لا يقطع يضرب به عنقه رومى فنبا السيف فضحك سليمان ومن حوله فجلس وهو يقول :

أيعجب الناس أن أضحكت سيدهم خليفة الله يستسقى به المطر

لم ينب سيفى عن رعب ولادهش عن الأسير ولكن أخر القدر

ثم قال ما إن يعاب فرس إذا كبا ولا يعاب صارم إذا نبا ثم جلس وهو يقول كأنى بابن المراغة قد بلغه الخبر فقال :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

وانصرف فجاء جرير وأخبر الخبر فقال بسيف أبى رغوان البيتين ثم قال كأنى يا أمير المؤمنين بابن القين قد أجابنى فقال :

ولا تقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فأخبر الفرزدق القصة فقال :

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحيانا مناط التمائم

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا اثقل الأعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومى جاعلة لكم ابا عن كليب او ابا مثل دارم

فهذا إن صح من اعجب اتفاق الخواطر . . . وقال الا قيشر :

جزيت مع الهوى طلق العتيق وهان على مأثور الفسوق

قال فَكأنَّ الوالى جوّزَ صِدْقَ زَعْمِهِ ، فَندمَ عَلَى بَادِرَةِ ذَمِّهِ . فظَلَّ يُفَكِّرُ فِيما يَكْشِفُ له عَنِ الحَقَائِق ،

وجدت ألذ عارية الليالى قران النغم بالوتر الخفوق
ومسمعة إذا ما شئت غنت متى نزل الأحبة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى وصل بعر االصبوح عراالغبوق

وقال أبو نواس رحمه الله تعالى :

جريت مع الهوى طلق الجموح وهان على مأثور القبيح
وجدت ألذ عارية الليالى قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة إذا ما شئت غنت متى كان الخيام بذى طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى وصل بعراالغبوق عراالصبوح

ومن ذلك ما نسب السرى للخالدى فيما قدمناه من سرقة شعره قال السرى :

وكأن كأس مدامها لما ارتدت بحبابها توريد وجنتها إذا مالاح تحت نقابها

قال أبو بكر الخالدى : فكأن الكأس لما ضحكت تحت الحباب
وجنة حمراء لاحت لك من تحت النقاب

وقال السرى فى وصف جام فيه فالوذج :

بأحمر مبيض الزجاج كأنه رداء عروس مشرب بخلوق
له فى الحشا برد الوصال وطيبه وإن كان تلقاه بلون حريق
كأن بياض اللوز فى جنباته كواكب در فى سماء عقيق

وقال أبو بكر الخالدى :

مداما كأن الكف من طيب نشرها وصفرتها قد خلقت بخلوق
تعاينها نورا علاه تجمد وتشربها نارا بغير حريق
كأن حباب الماء فى جنباتها كواكب لاحت فى سماء عقيق

وقال السرى رحمه الله تعالى:

رأت شيبا يصاحبنى فصدت وكان جزاءه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للمشط فيه سوادا لا يشاكله نفيسا
تلق العاج منه بمشط عاج ودع للآبنوس الآبنوسا

وقال أبو عثمان أيضا .

تركتنى ما بين هجر وبوس وانثنت بعد ضحكة بعبوس
إذ رأتنى مشطت عاجا بعاج وهى للابنوش بالآبنوس

وهذا إما توارد أو تسابق والتسابق أشبه بهم (زعمه) الزعم قول معه اعتقاد (بادرة) سابقة وهى الكلمة الرديئة

وَيُمَيِّزُ بِهِ الفائقَ مِنَ المائق ؛ فلم يَرَ إلَّا أخذَهما بالمُناضَلة ، ولزَّهما في قَرَنِ المُساجَلة ؛

تبدر من المتكلم (الفائق) الفاضل وفاق الناس فضلهم وعلاهم بقول أوعلم (المائق) الأحمق الضعيف التدبير (المناضلة) المرماة (لزهما) ضمهما وشدهما (قرن) حبل يقرن به بين الشيئين (المساجله) أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما من المـاء مثل مايخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب ، وقال الفضل بن عباس بن عتبة ابن ابي لهب :

من يساجلنى يساجل ماجـدا   يملأ الدلو الى عقد الكرب
وأنا الأخضر من يعرفنى   أخضر الجلدة فى بيت العرب

ومر الفرزدق بالفضل وهو يستق وينشد البيتين فشمر ثيابه عن نفسه وقال أنا أساجلك ثقة بنسبة فقيل له هذا الفضل بن العباس فرد ثيابه وقال مايساجله الا من عض ابن أبيه . ثم صارت المساجلة يقصد بها قصد المفاخرة وأراد هنا بالمناضلة والمساجلة أن يقول هذا بيتا وهذا بيتا حتى يعلم لمن الغلب وأكثر ماجرت به العادة فيها بأنصاف الابيات كما شهر فى قصة امرىء القيس والتوأم .

حين قال امرؤ القيس : أحار ترى بريقا هب وهنا .
فقال التوأم كنار مجوس تستعر استعارا .

ثم مضى على القطعة بالانصاف حتى كملت وهى مشهورة . . قال أبو العيناء وقف على غيرم يسألنى ما أحسبه بلغ الحلم ولا قاربه وخرج غلام لى أسود قد اغتسل وهو يرعد وكان خبيثا فأومأت إلى الأسود فقلت : كأنه ذئب غضى أزل . فقال الغلام : بات الندى يضربه والطل . فوصلته بدراهم وانصرف . . واجتاز ابن أبى الخصال من بلده شقوره بأبدة وهو صبى صغير يطلب الأدب فاضافه بها القاضى ابن مالك ثم خرج معه إلى حديقة معروشة فقطف لهم منها عنقودا أسود . فقال القاضى : انظر اليه فى العصا . فقال ابن أبى الخصال : كرأس زنجى عصا . فعلموا أنه سيكون له شأن فى البيان . . ومثل ذلك ماحدثنى به الشيخ الفقية ابو الحسن بن زرقون عن ابيه ابى عبد الله ان ابا بكر بن المجل وابا بكر بن الملاح الشبلين كانا متواخيين متصافيين وكان لهما ابنان قد برعا فى الطلب وحازا قصب السبق فى حلية الأدب فتهاجى الابنان بأقذع هجاء فركب ابن المجل فى سحر من الاسحار مع ابنه عبد الله فجعل يعتبه على هجاء ابن الملاح ويقول له قطعت مابينى وما بين صفي ابى بكر باقذاعك فى ابنه فقال له ابنه انه بدأنى والبادىء اظلم وإنما يجب ان يلحى من بالشر تقدم فعذره ابوه فبينما هما على ذلك إذ أقبل على واد تنق فيه ضفادع ، فقال ابو بكر لابنه اجز : تنق ضفادع الوادى . فقال ابنه : بصوت غير معتاد . فقال الشيخ : كان نقيق مقولها . فقال ابنه : بنو الملاح فى النادى . فلما احست الضفادع بهما صمتت ، فقال ابو بكر : وتصمت مثل صمتهم ؛ فقال ابنه : اذا اجتمعوا على زاد . فقال أبو بكر ولاغوث لملهوف . فقال ابنه : ولاغيث لمرتاد .

والاجازة بالابيات بكمالهـــا كثيرة مشهورة ، وحكى الماوردى ان الناس تذاكروا حفظ السر بمجلس عبدالله بن طاهر فقال عبدالله :

فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل، واتضاح الحق من الباطل، فتراسلا فى النظم وتباريا؛ وتجاولا فى حلبة الإجازة وتجاريا، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، فقالا بلسان واحد، وجواب متوارد: قد رضينا بسبرك، فمرنا بأمرك، فقال: إنى مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس، وأراه لها كالتأنيس، فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها بوشيه، وترصعانها بحليه، وضمناها شرح حالى مع إلف لى بديع الصفا، ألمى الشفة؛ مليح التثنى كثير التيه والتجنى، مغرى بتناسى العهد،

ومستودعى سرا تضمنت ستره فأودعته من مستقر الحشى قبرا

فقال ابنه عبيد الله وهو صبى:

وأما السر فى قلبى كشاو بحفرة لأنى أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى أخفيه حتى كأنه من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وحكى الفقيه أبو الحسن أن أباه حدثه أن الأديب أبا الطاهر ابن أبى ركب حضر عنده ببستانه بقرية سنان فى نزهة شعبان لاستقبال رمضان فاكل مع من حضر ضروبا من الأطعمة والألوان. فقال أبو الطاهر رحمه الله تعالى لأبى عبد الله بن زرقون أجز:

حمدت لشعبان المبارك شبعة تسهل عنى الجوع فى رمضان

فقال أبو عبد الله رحمه الله تعالى:

كما حمد الصب المتيم زوره أطاق لها الهجران طول زمان

فقال أبو الطاهر دعوها بشعبانية فلوانهم دعوها بشعبانية لكفانى

وحدثنى أيضا أن أباه شيخنا الفقيه أبا عبد الله المذكور قعد مع صهره أبى الحسن عبد الملك بن عياش الكاتب على بحر المجاز وهو مضطرب الأمواج فقال له أبو الحسن أجز:

وملتطم الغوارب موجته بوارح فى منا كبها غيوم

فقال أبو عبد الله: تمنع لا تعوم به سفين ولو حدقت به الزهر النجوم

(افتضاح العاطل) أى شهرة الفارغ من قول الشعر (تراسلا) تجاريا والتراسل فى الغناء والنشيد أن يتجاذب الصوت المغنيان والتراسل فى الخيل أو ترسل فرسين فى الطلق (تباريا) تجاريا (وتجاولا) تصرفا (والحلبة) يأتى ذكرها فى المقامة وأراد تجاريا فى الشعر كما يتجارى خيل الحلبة فى الميدان (بسبرك) قياسك وتجربتك لنا (متوارد) متسابق متتابع (التجنيس) أن تكون الألفاظ متناسبة والمعانى متباينة (تلحمانها) تنسجانها (وشيه) رقمه (ترصعانها) تزينانها وكل ما خرزته أو عقدته فهو مرصع (ألف) معشوق يؤلف ويؤنس به (بديع) غريب (ألمى) اسمر واللمى ان تتحقق حمرة الشفة حتى تضرب الى السواد (التثنى) الانعطاف (التيه) الاعجاب والاحتقار بغيره (التجنى) ادعاء الجناية على عاشقه وذلك ان المعشوق يحسب كل ما يفعله عاشقه ذنبا عليه وجناية ليتوصل بذلك إلى هجره ثم سمى الصد والاعراض تجنيا (مغرى) مولع (والتناسى) استعمال النسيان

وإطالةِ الصَّدِّ ، وإخلافِ الوَعْد ، وأنا له كالعَبْد ، قال : فَبرزَ الشَّيْخ مُجلِّيا ، وتَلاهُ الفتَى مُصَلِّيا ، وتَجاريَا بَيْتاً فبَيْتاً على هذا النَّسق ؛ إلى أنْ كَمُلَ نظمُ الأَبياتِ واتَّسَقْ ، وهى :

وأحْوَى حَوَى رِقِّى برِقَّةِ ثَغْرِه ... وغادَرَنى إلفَ السُّهادِ بغَدْرِه
تَصَدَّى لقَتْلى بالصُّدُودِ وإنَّنى ... لَفى أَسْرِه مُذْ حازَ قلبى بأَسْرِه
أُصَدِّقُ منهُ الزُّورَ خَوْفَ ازْوِرارِه ... وأرْضَى اسْتماعَ الهُجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِه
وأسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ منه وكلَّما ... أجَدَّ عذابى جَدَّ بى حُبُّ بِرِّه
تَنَاسَى ذِمامى والتَّناسى مَذَمَّةٌ ... وأحْفَظُ قلبى وهْوَ حافظُ سِرِّه
وأعْجَبُ ما فيه التَّباهى بعُجْبِه ... وأُكْبِرُهُ عَنْ أنْ أفُوهَ بكِبْرِه
له منِّىَ المَدْحُ الذى طاب نَشْرُه ... ولى منه طَىُّ الودِّ مِن بَعْد نَشْرِه
ولو كانَ عَدْلاً ما تجَنَّى وقد جَنَى ... علىَّ وغَيْرى يجْتَنى رَشْفَ ثَغْرِه
ولولا تَثَنِّيهِ ثَنَيْتُ أعِنَّتى ... بداراً إلى مَنْ أجْتَلى نورَ بَدْرِه
وإنِّى على تَصْرِيفِ أمْرى وأمْرِه ... أرَى المُرَّ حُلْواً فى انْقِيادى لأمْرِه

أراد أنه يعد عاشقه بالزيارة وغيرها فاذا ذكر بها قال نسيت (والصد) الاعراض (على هذا النسق) أى على هذا التتابع والانضمام (اتسق) انضم واجتمع ونسقت الشىء بالشىء ضممته (أحوى) أسمر الشفة والحوة حمرة تضرب إلى السواد يقال شفة حواء حمراء (رق) أى ملكى والرق الملك ورق الرجل رقا صار عبدا (برقة لفظه) بحلاوة كلامه (غادرنى الف السهاد) تركنى صاحب سهر (بغدره) بقلة وفائه (تصدى) تعرض (أسره) حبسه (بأسره) بجملته (الزور) الكذب (ازوراره) انقباضه (الهجر) الفحش (استعذب) استطيب (أحد عذابى) جدد عذابى (جد) زاد واجتهد (بره) أكرامه يريد متى زادنى عذابا وهجرانا زدت فيه حبا وبرا (ذمامى) عهدى (مذمة) عيب (أحفظ) أغضب (التباهى) التفاخر (أكبره) أعظمه وأراه كبيرا (أفوه) أنطق (نشره) تحرك رائحته (رشف ثغره) تقبيل أسنانه (ثنيت) عطفت (اعتنى) جمع عنان (اجتلى) أنظر (نور بدره) حسن وجهه يقول لولا حسن تثنيه لتركته وملت إلى غيره ثم قال وانى على ما يلقانى به من الهجر والجفاء والقاه به من البر والصفاء ليرجع عندى المر من أفعاله حلوا فى اتباعى لما يحب ويأمر به ، وقد أنشدوا فى ذلك :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة ... لقد سرنى أنى خطرت ببالكا

وقال فى مثله :

وأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

فهذا غاية الانقياد لمراعاة مراد الحبيب ، وقال الشاعر :

ولقد منحتكم المودة محضة ... وكتمت ما اشتملت عليه ضلوعى

جاز يتموني بالوصال قطيعة   شتان بين صنيعكم وصنيعي
فاذا أتيتك زائرا متشوقا   قصر الطريق وطال عند رجوعي

وفى معنى قوله له منى المدح يقول ابن رشيق وزاد معنى مستظرفا

أراك أتهمت أخاك الثقه   وعندك مقت وعندى مقه
وأثنى عليك وقد سؤتنى   كما طيب العود من أحرقه

وقال ابن زيدون: بنى جهور أحرقهم بجفائكم   جنانى فما بال المدائح تعبق
تعدوننى كالعنبر الند إنما   تطيب لكم أنفاسه حين يحرق

وهما وإن توارد على هذا المعنى فانما أخذاه من قول حبيب :

لو استعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود

ونذكر هنا جملة من الشعر الرائق المستظرف الفائق تنسحب على أوصاف الغلام المذكور وتتعلق بشعر الحريرى من جهة التجنيس أو من جهة الانقياد للمحبوب وإن جفا وصد، ونبدأ بذكر حكاية أبى اسحق الحضرمى لتعلقها بما انبنت عليه المقامة من توارد الخواطر . . كان أبو أسحق يختلف إلى بعض مشيخة القيروان وكان الشيخ كلفا بالمعذرين وهو القائل :

ومعذرين كأن نبت خدودهم   أقلام مسك تستمد خلوقا
قرنوا البنفسج بالشقيق ونظموا   تحت الذبرجد لؤلؤا وعقيقا
فهم الذين إذا الخلى رآهم   وجد الهوى بهم اليه طريقا

وكان يختلف اليه غلام من أعيان أشراف القيروان وكان به كلفا فبينما هو عنده والحضرمى قد أخذ فى الحديث إذا أقبل الغلام وهو يقول :

فى صورة كملت خلت بأنها   بدر السماء لسنه وثمان
يعشى العيون ضياؤها فكأنها .   شمس الضحى تعشى بها العينان

فقال الشيخ ياحضرمى ماتقول فيمن هام بهذا القد وصبا لهذا الخد ،فقال الحضرمى: الهيمان والله بهذا غاية الظرف لاسيما إذا شام كافورة خده ذلك المسك الفتيت وهجم على صبحة ذلك الليل البهيم والله ماخلت سواده فى بياضه إلا بياض الإيمان فى سواد الكفر أو غيهبا فى ضوء الفجر فقال للحضرمى صفه فقال من ملك رق القول حتى انقاد له صعابه فذل له جموحه حتى سطع له شهابه أقعد منى فى ذلك فقال صفه فانى معمل فى دلك فكرى فأطرق ساعة فقال الحضرمى :

أورد قلبى الردى   لام عذار بدا   أسود كالكفر فى   أبيض مثل الهدى

فقال له الشيخ أراك اطلعت على ضميرى أو خضت بين جوانحى فقال له الحضرمى ولم ذاك قال لأنى قلت

حرك قلبى فطار   صولج لام العذار   أسود كالليل فى   أبيض مثل النهار

فهذا غاية فى بابه ، وقال السرى :

بلانى الحب فيك بما بلانى   فشانى أن تفيض غروب شانى

أبيت الليل مرتقبا أناجى	بصدق الوجد كاذبة الامانى
ويشهد لى على الأرق الثريا	ويعلم ما أقاسى الفرقدان
ستصرف طاعتى عمن نهانى	دموع فيك تلحى. من لحانى
ولم أجهل نصيحته ولكن	جنون الحب أحلى فى جنانى
فياولع العواذل خل عنى	ويا كف الغرام خذى عنانى

وهذا مما يأخذ بمجامع القلوب ويحتوى على النوعين من معنى المطلوب وقال السلامى:

ماضن عنك بموجود ولا بخلا	أعز ماعنده النفس التى بذلا
يحكى المطايا حنينا والهجير جوى	والمزن دمعا واطلال الديار بلا

وقال أيضا: منيت بمن إذا منيت أفضت	مناى الى بنفسج عارضيه
وفاضت رحمة لى حين ولى	مدامع كاتبى وكاتبيه

وقال فى غلام بدوى: وعلقته بدوى اللسا	ن والوجه والزى ثبت الجنان
أعانق عن قده صعدة	ترى اللحظ منها مكان السنان
أدار اللثام على خده	فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
ومسك ذوائبه سائل	على آس ديباجه الخسروانى
أحييه بالورد والياسمين	فيصبو إلى الشيخ والابهقان

وله فى غلام غزى رام: قمر من الأتراك تحسب أنه	خود الحصان على أقب حصان
يرمى بلحظيه القلوب وسهمه	فعجبت كيف تشابه السهمان
بطل حمائله كعارضه وحا	جبه الأزج كقوسه المرنان
حييته لما فامطر راحتى	قبلا فليت فمى مكان بنانى

وللشريف الرضى: ياصاحب القلب الصحيح اماا شتفى	ألم الهوى من قلبى المصدوع
أأسأت بالمشتاق حين ملكته	وجزيت فرط نزاعه بنزوع
وتركتنى ظمآن أرشف دمعتى	أسفى على ذاك اللمى الممنوع
قلبى وطرفى منك هذا فى حمى	قيظ وهذا فى رياض ربيع
كم ليلة جرعته فى طولها	مضض الملام المؤلم التقريع
تفرق أنامله التراب تعاللا	وأنا ملى فى سنى المقروع
أبكى ويبسم والدجى مابيننا	حتى أضاء بثغره ودموعى
قمر إذا استعجلته بعتابه	لبس الغروب فلم يعد لطلوع
لوحيث يستمع السرار وقفتما	لعجبتما من عزه وخضوعى
أعزز على إذا امتلأت من الكرى	أنى ابيت بليلة الملسوع

وللوزير ابن المغربى: دنف بمصر وبالعراق طبيبه	يضنيه طول بعاده ويذيبه

ما ناله إلا الذى هو أهله ... إذا غاب عن بلد وفيه حبيبه
لزم السهاد تحيرا وتلذذا ... وتأسفا إذا أوبقته ذنوبه
زعم الفراق دعابة فأجابه ... ونعم دعاه فلا اراه يجيبه

وله أيضا . ولقد أراه فى الغذيـــر يشقه من جـــانبيه
والمـــاء مثل السيف وهو فرنده فى صفحتيه
صبغت بياض النيل حمرة ورده فى وجنتيه

ولابن الرقاق : تمنيت من أهوى به وهو قاتلى ... ورب منى للمرء فيه مناياه

قسا فرمانى عن قسى حواجب ... تنوب لهادأبا عن الرشق عيناه
اد لنا دماء فى هواء وادما ... وضن لنا ظلما بظلم ثناياه
فما برح الشوق المبرح ساميا ... لأحوى حوى كل المحاسن مرآه
فنظره والثغر منه وعرفه ... وقامته والردف منه وخداه
لشمس الضحى والدار والمسك نفحة ... وغصن النقا والدعص والورد اشباه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ومهفهف نبت الشقيق بخـــده ... واهتز أملود النقا فى برده
ماء الشبيبة والجمـــال أرق من ... صقل الحسام المنتضى وفرنده
يحيى الأنام بلمحه من وصله ... من بعد ما وردوا الحمام بصده
أن كنت أهديك الفؤاد له فقل ... أى الجوى لجوانحى لم يهده

وقال أيضا أرق نسيم الصبا عرفه ... وراق قضيب النقا عطفه
ومر بنا يتهادى وقد ... نضا سيف أجفانه طرفه
ومد لمبسمه راحة ... تخلت الاقاح دنا قطفه
أشار لتقبيلها فى السلام ... فقال فمى ليتنى كفه

ولادريس بن اليمانى :

وذى لعس للاقحوان ثناياه ... وللورد خداه وللاس صدغاه
وللسوسن الريان صفحة خده ... وللظى عيناه وللمسك رياه
فريد جمال تم لى توأم الهوى ... به ولكل العاشقين فراداه

ولبعض أصحابنا كف عنى الملام يامن يلوم ... إن لوم الشجى الحب لوم
جل همى بأن أهيم حيا ... صغرت همة امرىء لايهيم
أبدا أطلب الغرام مجدا ... فكأنى إلى الغرام غريم
إن ريمارمت برامة قلبى ... مقلتاه حبى له لا يريم

صح حبى واعتل جسمى لحسبى ... ان كلى إلى هواه سقيم

وكل ما تضمنت هذه الجملة مع قطاعة الحريرى من التذلل والخضوع إلى المحبوب فهو حكم الباب والمجمع عليه عند ذوى الألباب إلا قوله «وغيرى يجتنى رشف ثغره» فان أكثر أهل هذا الشأن يأبون أن يكون المحبوب بين عاشقين وينسبون محبه إلى خساسة الهمة ويعتدونها على المحبوب من أكبر التهمة قال امرؤ القيس:

إنى بحبلك واصــل حبلى ... وبريش نبلك رائش نبلى

الم أجدك على هـدى أثر ... يقرو مقصك قائف قبلى

يقول أنا أديم من مواصلتك مالم أجد غيرى يتبعك طمعا فى مواصلتك وقال أبو ذؤيب:

تريدين كيما تجمعينى وخالد ... وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد ؟

فهذا قد أبى الشركة على التساوى فكيف الاقامة على الجور الذى ذكر الحريرى وقد قدمنا فى العاشرة للمولدين قنا غير هذا على أن المحبوب إذا كان حسن الخلق حسن القبول زاد فى أبهة جماله كما أن الجفاء فى المحبوب والخلق الذميم يطمس نور حسنه وينقص من كماله وأنشدوا:

أيا حسنا أزرت قبائح فعله ... عليه كما أزرى الكسوف على البدر

وقال عبد الصمد المصرى:

فلو زين الحسن من جهه ... بهجر الصدود ووصل الوصال

لنم ولكن ما إن رأى ... جميل المحيا جميل الفعال

وقال آخر

صحا عن حبك القلب المشوق ... فما يصبو اليك ولا يتوق

جفاؤك كان عنك لنا عزاء ... وقد يسلى عن الولد العقوق

فهذه جملة كافية ونرجع إلى ذكر أنواع البلاغة فى صناعة الشعر التى سماها المحدثون صنعة البديع، والشعراء يتفاضلون فى سـ افها والاقتدار عليها وهى فى أشعار العرب موجودة وفى الشعر المولد أكثر وأنا آتى منها بما للناظر فيه كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ونبدأ منها بالتجنيس الذى أولـع به الحاكم فى المقامة

التجنيس: هو اتفاق اللفظ أو أكثره واختلاف الحـكم قال أبو بكر حازم بن حازم التجنيس أن تجىء الـكلمة تجانس أخرى فى بيت شعر أو كلام وهو أضيق أنواع البديع فمنه قوله تعالى وأسلمت مع سليمان وأقم وجهك للدين القيم وفى الحديث عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله والظلم ظلمات يوم القيامة وقال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبدا الدار هشمك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الأبواب إذا أقبلت وتغلقها إذا ادبرت . . . والتجنيس أنواع فمنه تجنيس اللفظ وهو ما تقدم ومنه تجنيس الخط وهو مايصح تصحيفه كقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفى حديث سعد بن أبى وقاص لما أسلمت راغمتنى امى فهى مرة تلقانى بالبشر ومرة تلقانى بالبسر . . . البحترى من سعادة جدك وقوفك عند حدك وفى رساله: عاد إلى المسامحة والمحاسبة بعد المشامخة والمخاشنة: وقال البحترى.

ولم يكن المعتز بالله إذ سرى ... ليعجز والمعتز بالله طالبه

وقال البحترى أيضا:

وحالا كريش النسر مهما رأيته جناحا لشهم عاد ريشا على سهم

ومنه تجنيس السمع كقوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربهـا ناظره ، ومن رسالة : لم يكن لأمره مضيعاولا لسرة مذيعا ، البستى : من لم يكن لك نسيبا فلاترج منه نصيبا ومن لم يكن لك صدره بالحاجات فسيحا فلا تسمع له بها لسانا فصيحا

أبوك كريم غير أنك سابق مداه فلا ضيم عليك ولا ذيم
فلا تعجبن الناس مما أقوله وأقضى به فالغيث يقد ه الغيم

وقال المعرى رحمه الله تعالى :

أعوذ بالله من قوم إذا سمعوا خيرا أسروه أو شراأذاعوه
وخالد بن سنان ليس ينقصه من قدره الكون فى حى أضاعوا

ومنه تجنيس المضارعة فمنه من رسالة أنا به بين احتفاء واحتفال وبين ذكر مطر مطرب وثناء مغر مغرب وقال أبو تمـــام : يمدون من أيد عواص عواصم تطول بأسياف صوار صوارم

وقال المعرى : من اتقى الله فهو السالم السارى ؛ وقال ابن عمار

إذا ركبوا فانظره أول طاعن وإن نزلوا فانظره آخر طاعم

وباب التجنيس فاق الناس فيه حبيب والناس له تبع ؛ كما انفرد بحسن القطع فى آخر قصائده فلايكاد الشاعر الماهر يزيد بيتا فى آخر قصائده فى الغالب كما انفرد الحسن بحسن الابتداء فله ابتداآت لايجارى فيها كما انفرد ابن المعتز بجوده التشبيه يكاد على كثرته فى شعره أن لايسقط له تشبيه واحد كما انفرد المتنبى بلطف من التغزل إلى المدح . : . ومن تجنيس حبيب قوله :

عداك حر الثغور المستضامة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصب

السلسال العذب والحصب الجارى على الحصباء شبه الريق به فى هذا البيت من صنع البديع التجنيس والطباق والتميم والترديد والتبليغ وتأتى هذه الأنواع فى هذا الفصل وحبيب أكثر الناس استعمالا لصنع البديع ومن شعره يتعلم . . وقال أيضا :

كم نيل تحت سناهامن سنى قمر وتحت عارضهامن عارض شنب
وقال أيضا : يا من تدمى عينه تلك الدمى فيه ويقمر ليلة الأقمـــار

أخذه البحترى فقال :

جافى المضاجع لا ينفك فى لحب يكاد القمر من لألائه القمر

رأنشد أبو على الفارسى فى نوادره لأبى الغول الطهوى يصف سحابا

وقرى كل قرية كان بقرا هاقرى لاتجف منه القرى

وفى المقامات من التجنيس كثير وفى هذا الشرح منه مايستظرف ويستبدع فمما يستحسن منه قول السرى يمدح سيف الدولة

أغرتك الشهاب أم النهار ... وراحتك السحاب أم البحار
خلقت منية ومنى فأضحت ... تمور بك البسيطة أو تمار
تحلى الدين أوتحمى حماه ... فأنت عليه سور أو سوار
سيوفك من شكاة الثغربر ... ولكن للعدا فيها بوار
وكفاك الغمام الجود يسرى ... وفى أحشائه ماء ونار
فيمنى من سجيتها المنايا ... ويسرى من عطيتها اليسار

ومن الشعر الذى جمع إلى التجنيس حسن التقسيم والطباق جواب الصابى أبا أحمد الشيرازى من شعر يشتكى له نقرسا أصابه وأوله :

إلى الله أشكو ضنى شفنى ... وكم قبله من ضنى قد شفانى

فأجابه الصابى :

عنانى من الهم ماقد عنانى ... فأعطيت صرف الليالى عنانى
ألفت الدموع وعفت الهجوع ... فعيناى عينان نضاختان
لسقم ألح على سيد ... به قد غفرت ذنوب الزمان
وكيف سطا بهما واستطال ... إلى عصبة عصبت بالهوان
إذا ماسعى لطلاب العلا ... فكل أوان هم فى توان
أتتنى بالأمس أبياته ... تعلل روحى بروح الجنان
كبرد الشباب وبرد الشراب ... وظل الأمان ونيل الأمانى
وعهد الصبا ونسيم الصبا ... وصفو الزمان ورجع القيان
اجبت عن الشعر مستر سلا ... بطبع شجاع وقلب جبان
ولولا سكونى إلى فضله ... قبضت بنانى بقبض اللسان

وقال ابو الفتح البستى :

إن اسيافنا العضاب الدوامى ... صيرت ملكنا قرين الدوام
باقتسام الأموال من وقت سام ... واقتحام الأموال من وقت حام

التشبيه : وقد اوردنا فى هذا الكتاب منه كل غريب والتشبيهات على ضروب مختلفة فمنهما تشبيه الشىء بالشىء صورة وهيئة ومنها تشبيهه به معنى ومنها تشبيه به لونا ومنها تشبيه به صوتا ومنها تشبيه به حركة وسرعة ، فالأول كقوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالى

اجمع اهل العالم بالشعر كأبى عمرو بن العلاء والأصمعى ان احسن التشبيه مايقابل به تشبيهان فى بيت واحد وان احدا لم يقل من ذلك كبيت امرىء القيس « كان قلوب الطير » ، وقال بشار مازلت منذ سمعت قوله كان قلوب الطير لراود نفسى ان اشبه شيئين بشيئين ولا استطيع ذلك إلى ان قلت :

كأن مثار النقع فوق رؤسنا　　وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ويا بعد ما بين البيتين على أن بيت بشار غريب ولا أحفظ للبيتين ثالثا ، إلا أن بشارا قد قال أيضا :

من كل مشتهر فى كف مشتهر　　كأن غرته والسيف نجمان

وأما تشبيه المعنى فكتشبيه الشجاع بالأسد والجميل بالقمر وكقوله :

وكالسيف إن لاينته لان متنه　　وحداه إن خاشنته خشنان

واللون كقول ابن هرمة :

وليل كسربال الغراب ادرعته　　اليك كأخبث اليمانى أجدل

والصوت كقوله النابغة : له صريف صريف القعو بالمسد — والحركة والسرعة كقول امرىء القيس :

كجلمود صخر حطه السيل من عل .... وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض فاذا اتفق فى الشيء المشبه معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وأصدق التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقض بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه ويكون صاحبه مشبها به صورة ومعنى كقول امرىء القيس :

نظرت اليها والنجوم كأنها　　مصابيح رهبان تشب لقفال

فتشبيه النجوم بالمصابيح لفرط ضيائها صحيح وتشبيه المصابيح بالنجوم صحيح وربما أشبه الشيء الشيء صورة وخالفه معنى وقد تقدم ذكر ذلك فى الثانية ، وربما قاربه وداناه وشابهه مجازا لا حقيقة — وأدوات التشبيه كأن والكاف ومثل ؛ وتسقط الكاف مع المصدر فيشبه بالمصدر ، وقد يشبه بقولهم تخاله وتحسبه فما كان منه صادقا قيل فيه كأن أو كذا وما قارب الصدق قيل فيه تراه أو تخاله فاذا حققت هذا الفصل انكشف لك أسرار التشبيه ، وقد تقدم نوع من التشبيه فى الثانية ؛ وسيأتى فى الأربعين تشبيهات الغريب العقم فى حكاية الأصمعى .

الاستعارة : هى من العارية لأن الشاعر يعير المعنى ألفاظا غير لفظه الموضوع له ، وهى على ثلاثة أوجه : أحدها مايستعيره الشاعر من الألفاظ على سبيل التمثيل وتتميم المعانى وهذا الضرب يعد فى البديع ومحاسن الشعر وهو كثير فى كلامهم وعليه انبنى كتاب المقامات وقلما يوجد بيت يخلو منه ، وما جاء منه فى القرآن سماه بعضهم مجازا وأباه بعضهم نحو قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة واشتعل الرأس شيبا ؛ وقال النبى صلى الله عليه وسلم دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ؛ وقال امرؤ القيس : وليل كموج البحر أرخى سدوله — وقال علقمة وهو بديع : والصبح بالكوكب الدرى منحور — وقال زهير فى الحرب : ضروس تهز الناس أنيابها عصل — وقال عمرو بن كلثوم :

ألا أبلغ النعمان عنى رسالة　　فمجدك حولى ولؤمك قارح

وقال الحسن

فى مجلس ضحك السرور به　　عن ناجذيه وحلت الخمر

وقال العباس بن الأحنف

قد سحب الناس أذيال الحديث بنا　　وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالظن غيركم　　وصادق ليس يدرى أنه صدقا

الثانى أن ينتحل الشاعر قولا لغيره فيدخله فى شعره وهذا هو الاجتلاب الذى نفاه جرير عن نفسه بقوله

ألم تعلم مسرحى القوافى　　فلا عيا بهن ولا اجتلابا

الثالث أن يستعير الشاعر ألفاظا كان غنيا عنها والمعنى مفتقر إليها ويسمى الحشو والاستعانة ويحسن بقدر ما يتحمل من الفوائد ويقبح إذا أفرغ منها

الاشارة : قال قدامة الاشارة هى اشتمال اللفظ القليل على المعانى الكثيرة باللمحة الدالة ولم يات أحد منها بمثل قول زهير

وإنى لو لقيتك فاجتمعنا　　لكان لكل منكرة كفاء

وقال امرؤ القيس :　على هيكل يعطيك قبل سؤاله　　أفانين جرى غير كز ولا وان

فتأمل ما اشتملت عليه لفظه أفانين مما لو عدكان كثيرا وما اقترن به من جميع أصناف الجودة طوعا على غير طلب ولا مسئلة ، ثم نفى عنه الكزازة والونى وهما أكبر عيوب الخيل . والاشارة من غرائب الشعر وملحه ولا ياتى بها الشاعر مبرز وتسمى اللمحة الدالة وأصلها الاختصار . وهى أنواع فمنها الوحى كقول جاهلى فى يزيد بن الصعق

تركت الركاب لأربابها　　وألزمت نفسى على ابن الصعق

جعلت يدى وشاحا له　　وبعض الفوارس لا تعتنق

فقوله جعلت يدى وشاحا له إشارة بديعة دالة على الاعتناق بغير لفظة

ومنها الايماء : فمن ملحه قول قيس بن ذريح .

أقول إذا نفسى من الوجد أصعدت　　لها زفرة تعتادنى هى ماهيا

وقول كثير　تجافيت عنى حين لالى حيلة　　وغادرت ماغادرت بين الجوانح

فقوله غادرت ما غادرت إيماء مليح

ومنها التلويح : ومن أجوده قول النابغة فى طول الليل

تطاول حتى قلت ليس بمنقض　　وليس الذى يرعى النجوم بآيب

فالذى يرعى النجوم هنا الصبح أقامه مقام الراعى يغدو فتذهب الابل والماشية فتلويحه هذا عجب فى الجودة .

ومنه قول المجنون . لقد كنت أعلو حب ليلى فلم يزل　　بى النقض والابرام حتى علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحا عجيبا

ومنها التعريض : كقول عمر بن معد يكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم　　نطقت ولكن الرماح أجرت

أى لو أن قومى صدقوا فى القتال وطعنوا برماحهم أعداءهم لنطقت بمدحهم ولكنهم صرفوها عن أعدائهم منهزمين فكأنها أجرت لسانى أى شقته كما يجز لسان الفصيل فكأنها أسكتتنى فهذا تعريض ينوب عن التصريح وأخذه أبو بكر بن دريد فقال

يابنى مالك عقلتم لسانى　　كيف يجرى المقيد المعقول

إن سلكتم إلى الفعال سبيلا　　وضحت لى إلى المقال سبيل

ومن التعريض قوله

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

ومنه قول حميد بن ثور وقد تقدم:

أرى بصرى قد خانني بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما

ومنها التفخيم : كقول الغنوى .

أخى ما أخى لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب

ونحو هذا حكاية الأعرابي في نوادر أبي على حين سئل أله بنون فقال نعم وخالقهم لم تقم عن مثلهم منجبة فلما ذكر أسماءهم قال جهم وماجهم غشمشم وما غشمهم عشرب وما عشرب ، ومن هذا التفخيم ما يجئ على التهويل والتعظيم نحو قوله تعالى الحاقة ما الحاقه والقارعة ماالقارعة وهو كثير في كلام العرب ، ومما جاء في الاشارة على معنى التشبيه قولى الاعرابي يصف لبنا ممذوقا : جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط فأشار إلى تشبيه لونه إذا غلب عليه المذق بلون الذئب كما صرح به الآخر حين قال .

فيشربه مذقا ويسقى عيـاله سحابا كأقراب الثعالب أورقا

المطابقة : أبو الفرج على بن الحسين . قلت لأبى الحسن على بن سليمان الأخفش وكان أعلم من شاهدته بالشعر طائفة وهم الأكثرون تزعم أن الطباق ذكر الشيء وضده فيجمعها اللفظ لا المعنى وطائفة تقول هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد مثل قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكـاهل وللؤم فيهم كاهل وسنـام

فكاهل قبيلة وكاهل للعضو ، فقال من ذا الذى يقول هذا قلت قدامه وغيره فقال هذا يابنى هو التجنيس ومن ادعى أنه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل والاصمعى قلت أفكانا يعرفان هذا فقال سبحان الله وهل غيرهما في علم الشعر وتمييز خبيثه من طيبه قلت فأنشدنى أحسن طباق للعرب فقال قول عبدالله بن الزبير الأسدى

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

وقال أبو الفرج ، وأنا أقول إن احسن بيت قيل فيه .

للسوداء في السود آثار تركن بها لمامن البيض يثنى أعين البيض

يعنى أن الليالي بمرورهن تبيض سواد الشعر ، قال أبو حاتم سألت الاصمعى عن صنعة الشعر فذكر في بعض قوله المطابقة ، وقال أصلها وضع الرجل في موضع اليد فقلت أنشدنى أحسن ماقالت العرب في ذلك فقال قول زهير .

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ماكذب الليث عن أقرانه صدقا

وقيل المطابقة ، أن يأتى الشاعر بلفظين مختلفين في المعنى في بيت واحد أو في كلام نحو قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال على رضى الله عنه . من رضى عن نفسه كثر من يتسخط عليه وقال أعظم الذنوب ماصغر عند صاحبه وقال الحسن كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعروف الحق وقال الفرزدق

لعن الاله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار
يستيقظون إلى نهيق حميرهم وتنام أعينهم عن الأوثار
وقال حبيب : يرى العلقم المأدوم بالعز أرية يمانية والأرى بالضيم علقما

ومنها التقسيم . قال أبو الحسن على بن هرون بن على بن حماد بن إسحاق الموصلى هو أن يستقص الشاعر تفصيل ما ابتدأ به فيستوفيه فلا يغادر قسما يقتضيه إلا أورده، وإلى هذا كان يذهب أهلنا ، وأحسن ماقيل فى ذلك قول زهير يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ماضاربوا اعتنقا
وقول عنترة . إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدد وإن يرموا بضنك أنزل
أبو العيناء . أجمع علماء الشعر أن أحسن تقسيم أتى به متقدم قول عمر بن ربيعة
تهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا أنت تصبر
ولا قرب نعم إن دنت لك نافع ولا بعدها يسنى ولا أنت مقصر
المبرد : لم أسمع أحسن من تقسيم لقيس بن ذريح وهو
وقد كان فيها للامانة موضع وللكف مرتاد وللعين منظر
وقد تقدم فى شرح الثانية بيت المتنبى فى التقسيم وهو بدت قمرا البيت ونسج على منواله الراهى فقال
سفرن بدورا وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا
وأطلعن فى الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا
وقال الناشىء : رأيت على أكوارنا كل ماجد يرى كل ما يفنى من المال مغنما
ندوم أسيافا ونعلو قواضبا وننقض عقبانا ونطلع أنجما
وقال السلامى : ماضن عنك بموجود ولا بخلا أغر ما عنده النفس التى بذلا
يحكى المطايا حنينا والهجير جوى والمزن دمعا وأطلال الديار بلا
والتقسيم فى الشعر كثير .

التسهيم قال على بن هرون هذا لقب نحن اخترعناه وصفة الشعر المسهم أن يسبق المستمع إلى قوافيه قبل أن ينتهى اليها راوية حتى لو سمع الشطر الأول استخرج الآخر قبل أن يسمعه وأحسن ماقيل فى ذلك قول جنوب اخت عمرو ذى الكلب ترثى أخاها .

فأقسمت ياعمرو لو نبهاك إذا نبها منك داء عضالا
إذا نبها ليث عريسة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
وخرق تجاوزت مجهولة بوجناء لاتشتكى الكلالا
فكنت النهار به شمسهم وكنت دجى الليل فيه الهلالا

قال الحاتمى فانظر إلى ديباجة هذا الكلام ماأصفاها وإلى تقسيماته ما أوفاها وانظر إلى قوله مفيتا مفيدا ووصفها إياه بالشمس بالنهار والهلال بالليل تجد المطمع الممتنع الغريب البعيد

التتميم هو أن يذكر الشاعر معنى فلا يترك شيأ يتم وبتكامل الإحسان معه فيه إلا أتى به ؛ وأحسن ماقيل فى ذلك قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمى

فقد تم الاحسان فى المعنى الذى ذهب اليه بقوله غير مفسدها ، ويتلوه قول خليفة بن نافع العنزى :

رجال إذا لم يقبل الحق منهم ويعطوه عادوا بالسيوف القواطع

فالمعنى تم بقوله ويعطوه ولو لا كان ناقصا وقال حبيب :

حتى اقد ظن الغواة وباطل أنى تجسم فى روح السيد

فتم الاحسان فى المعنى الذى أراد بقوله وباطل ، والسيد الحميرى له فى الشيعة مذهب ردىء والغواة هنا القائلون بالتناسخ ، يقول لافراط حبهم فى أهل البيت توهم الغواة أن روح السيد تجسم فى توهمهم باطل .

الترديد : هو تعليق الشاعر لفظه فى البيت بمعنى ثم يرددها فيه ويعلقها بعلها بمعنى آخر وأكثر ما يستعمله المحدثون وأجمعوا أن أباحية النميرى سبق إلى الاحسان جميع من تقدمه وتأخر عنه فى قوله :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلا مما لبسن اللياليا

إذا ما انقضى للمرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ابتدأ بالمصراع الأول فأحسن الابتداء وردد فى المصراع الثانى فأحسن فى الترديد ثم ابتدع فى البيت الثانى ماليس لأحد مثله ، أبو تمام لا أعلم أحدا أحسن صنعة فى الترديد من زهير فى قوله

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

الخاتمى : وأحسن الخليع الباهلى فى الترديد بقوله :

لقد ملأت عينى بحسن محاسن ملأت فؤادى لوعة وهموما

التجريد : وهو أن يجرد الشاعر موصوفا من صفته ويسندها لأجنبى فى الظاهر وهو يريد الأول فى المعنى مثل قول الأعشى :

ياخير من ركب المطى ولا يشرب كأسا بكف من بخلا

فظاهره أنه لا يشرب كأسا بكف رجل ينسب إلى البخل إنما يشربها بكف كريم وذلك الكريم هو الممدوح فى المعنى ، فجرده فى الظاهر ، وهو يريد بكف بخيل من نفسه ، وأبو على الفارسى اختار لهذه الصنعة اسم التجريد ومنه قول طرفة :

جارت البيدا إلى أرحلنا آخر الليل بيعفور حذر

يعنى بيعفور حذرا من نفسها وقال الأخطل :

ربيع حياما يستقبل بحمله سؤوم ولا مستنكس البحر ناضبه

أى مايستغل بحمله سؤوم من نفسه أى ليس بملول وقال النابغة :

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتق مذكار

ومما يتعلق بنوع من التجريد قول امرىء القيس : على لاحب لا يهتدى بمناره — فظاهره أن المنار الذى يهتدى به إلى الطريق لايهتدى به وهو فى المعنى قد جرد الطريق من المنار وإنما أراد به ليس به منار أصلا فليس ثم اهتداء فنفى المسبب الذى هو الاهتداء وأثبت الذى هو المنار فى اللفظ واتكل على قوة دلالة المعنى وإن مراده

نفى سبب الهداية الذى هو المنار فتنتفى الهداية ، ومثله قول النابغة :

يحفه جانبا نيق ويتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

أى ليس بها رمد فتحتاج إلى كحل ، وقال الراجز : ولم يقلب أرضها البيطار ، وقال الله عز وجل ولم يكن له ولى من الذل .. وهو كثير فى الكلام :

التتبيع : هو أن يريد الشاعر معنى فلا يأتى باللفظ الدال عليه بل بلفظ تابع له فاذا قال التابع أبان عن المتبوع ، وأبدع مافى ذلك قول عمر بن أبى ربيعة

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها واما عبد شمس وهاشم

ذهب إلى طول العنق فلم يذكره بلفظ خاص به بل أتى بمعنى دل به على طوله وهو قوله بعيدة مهوى القرط ومثله قول الآخر :

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا وما بينها والكف مهوى نفانف

فأراد نعلق سيوفنا فى أعناق مثل السوارى فى الطول والاعتدال وما بين العنق والكف طول كثير فكنى عن طول القامة بغير لفظه الخاص به ؛ وأبدع ما فى التتبيع قول امرىء القيس :

نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل — فدل على ترفهها وأن لها من يكفيها المؤنة باللفظ التابع لذلك .

التبليغ : وسماه قوم الايغال وهو أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما قبل انتهائه إلى القافيه ثم يبلغ القافية بزيادة مفيدة تزيد معنى البيت براعة ... النورى قلت للاصمعى رحمه الله تعالى من أشعر الناس قال من يأتى إلى اللفظ الخسيس فيجعله بلفظ حسن أو يقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفادبها معنى مثل قول ذى الرمة .

أظن الذى يجدى عليك سؤالها دموعا كتبديد الجمان المفضل

فتم كلامه ثم احتاج إلى القافية فقال المفصل فزاد شيأ ؛ ومن التبليغ قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فقد أتى على التشبيه قبل القافية وزاد بقوله « الذى لم يثقب » بلوغا إلى الغاية القصوى فى الجودة وكذلك قوله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مرت بأثاب

فمرت بأثاب زيادة على التشبيه التام والأثاب شجر يكون للريح فى أغصانه حفيف شديد فأفادت الزيادة فى التشبيه معنى بديعا ؛ وقال زهير :

كان فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

وسمى أصحاب البديع هذه الزيادة فى آخر البيت الايغال والتبليغ وفى حشوه المبالغه والتتميم .

التصدير : هو أن يبدأ الشاعر بكلمة فى البيت ثم يعيدها فى عجزه أو فى النصف منه ثم يرددها فى النصف الآخر منه فاذا نظم الشعر على هذه الصنعة كسى استخراج قوافيه قبل أن يطرق أسماع مستمعيه وأحسن ما فيه قول عامر بن الطفيل :

وكنت سناما فى فزارة تامكا وفى كل حى ذروة وسنام

التامك الشديد ، وقال الآخر :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه ... وليس إلى داعى الندى بسريع

وقال آخر . جهول إذا أزرى التحلم بالفتى ... حليم إذا لم يزر بالحسب الجهل

والتصدير والترديد المتقدم يسميه كثير من البلغاء رد الأعجاز إلى الصدور .

الاستثناء : قيل إن أول من بدأ به النابغة وأحسن كل الاحسان فى قوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وهذا كقوله الجعدى :

فتى كملت أخلاقه غـير أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا

فتى تم فيه مايسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

ويستحسن قول أبى هفان :

فان تسألى عنا فنحن حلى العلى ... بنى دارم والأرض ذات المناكب

ولا عيب فينا غير أن سماحنا ... أضر بنا والبأس فى كل جانب

فأفنى الردى أعمارنا غير ظالم ... وأفنى الندى أموالنا غير غائب

ويسمى هذا تأكيد بما يشبه الذم .

الالتفات : اسحق الموصلى : قال لى الأصمعى رحمه الله تعالى أتعرف التفات جرير قلت لا فأنشدنى :

أتنسى اذ تودعنى سليمى ... ببطن بشامة سقى البشام

ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له .

الاعتراض : ويسمى الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذا فى معنى فيعدل عنه آخذا فى غيره أن يتم الأول ثم يعود اليه فيتمه فيكون فيما عدل اليه مبالغة فى الأول وزيادة فى حسنه ، قال ابن المعتز الالتفات انصراف المتكلم عن الأخبار إلى المخاطبة وعن المخاطبة إلى الأخبار ومن أحسن ما فى ذلك قول النابغة :

ألا زعمت بنو عبس بأنى ... ألا كذبت كبير السن فان

وقيل بل قول كثير :

لو ان الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله ألا كذبت وقوله وأنت منهم اعتراض بين أول الكلام وآخره وفيه زيادة حسنة ويستحسن قول الآخر

فانى إن أفتك يفتك منى ... فلا تسبق به علق نفيس

فقولا فلا تسبق به اعتراض لطيف فى معناه وموضعه ، ويسمى هذا أيضا وما تقدم من قول طرفة الحشو المفيد ، ومنه قول الأخطل :

وأقسم المجد حقا لا يحالفهم ... حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فقوله حقا حشو وأفاد معنى حسنا وكذلك قول امرىء القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فحول خبائنا وأرحلنا لوسقط لكان التشبيه تاما والوزن ناقصا فأورده حشوا وفيه زيادة بارعة رائعة وهى الأخبار عن كثرة الصيد والتمدح بأنه مرزوق فى صيده وأما قول ابن المعتز رحمه الله تعالى :

وخيل طواها السير حتى كأنها ... أنابيب سمر من قنا الخط ذبل
صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيد خفاف وأرجل

فوقع ظالمين أحسن موقع لأنه نفى بذلك عنها هجنة البطء . وأخذه من قول اعرابى :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه ... إذا هاج شوقى من معاهدها ذكر
وقلت له ذلفاء ويحك سببت ... لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر

فحسنه ابن المعتز ماشاء . . . وأما الحشو القبيح فكقول أوس بن حجر :

وهم لمقل المال أولاد علة ... وإن كان محضا فى العمومة مخولا

فذكره للمال مع قوله مقل حشو لافائدة فيه وكذلك قول الهذلى رحمه الله :

ذكرت أخى فعـاودنى ... صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس مع الصداع حشو لافائدة فيه وأهجن منه قول الأعشى :

فرميت غفلة قلبه عن شاته ... فأصبت حبه قلبها وطحالها

فتكريره ذكر القلب لافائدة فيه وهجنه بذكر طحالها ودون هذا قول ديك الجن :

فتنفست فى البيت إذا مزجت ... بالماء واستلت سنا الذهب
كتنفس الريحان مازجـه ... ماورد جور قاطر السحب

فذكر الماء مع المزج حشو لافائدة فيه وأخذه من قول أبى نواس :

سلبوا قناع الطـين عن رمق ... ى الحياة مشارف الحتف
فتنفست فى البيت إذا مزجت ... كتنفس الريحان فى الأنف

فلم يذكر أبو نواس الماء مع المزج وذكره ديك الجن فقصر عنه ، زاد الحسن عليه بذكر الأنف حسنا وذكر ديك الجن ماء الورد مع الريحان ولم يذكره الحسن لأن ذكاء الريحان أكثر مايكون إذا أصابه بلل لكنه فى ذكره ماء الورد زيادة معنى بلاشك إلا أنه قد انضاف اليها العيوب المتقدمة ومع هذا فالحسن قد استوفى المعنى فى بيت واحد وديك الجن فى بيتين وصاحب بيت أبداعندهم باتفاق أشعر كقول امرىء القيس :

أراهن لايحببن من قل ماله ... ولامن رأين الشيب فيه وقوسا

فاحتوى عليه هذا البيت أتى به علقمة فى ثلاثة أبيات مشهورة وإن كان المعنى أبسط وأجل فالفضل لصاحب البيت والزمان واحد لأن من قال علقمة شرقة فقد أخطأ ، فأما إذا كان السابق مستوفى المعنى فى بيت واحد ويسوقه المتأخر فى أبيات فالكلام فى هذا كقول امرىء القيس :

نمس بأعراف الجياد أكفنا ... إذا نحن قمنا عن شواء مهضب

أخذه عبدة بن الطبيب فقال :

لما نزلنا نصبنا أخبية ... وفار للقوم بالغلى المراجيل

ورد وأشقرها ينهيه طابخه ... ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا إلى جرد مسومة ... أعرافهن لأيدينا مناديل

وقال يوما عبد الملك لجلسائه وكان يجتنب غير الأدباء ماخير المناديل فقال قائل مناديل مصر كأنها عرق البيض وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ماصنعتما شيأ أفضل المناديل ماقال أخو تميم يعني عبدة وأنشد الأبيات وهي مع جودتها قصرت عن بيت امرىء القيس ، وكذلك قول طرفة :

نطرد القر بحر صادق ... وعليك القيظ إن جاء بقر

وقال الأعشى : ونبرد برد رداء العدو ... س بالصيف رقرقت فيه العبيرا
ونسخن ليلة لايستطيع ... نباحا بها الكلب إلا هريرا

الاستطراد : البحتري أنشد أبو تمام لنفسه يهجو عثمان بن ادريس الشامي :

وسابح هطل التعداء هتان ... على الجزاء أمين غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظماء قوائمه ... فخل عينيك فى ظمآن ريان
فلو تراه مسيحا والحصى زيم ... بين السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت إن لم تثبت أن حافره ... من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال هذا من الشعر ؟ قلت لاأدرى فقال هذا هو الاستطراد فقلت فما معنى ذلك فقال يريك وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان فأخذه البحتري فقال فى فرس :

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت ... صيدا وينقض انقضاض الاجدل
ماإن يعاف قذى ولو أوردته ... يوما خلائق حمدويه الاحوال

وكان حمدويه عدوا لممدوحه فاستطرد به ويقال إن البحتري لما عير بسرقة هذا البيت أزاله من شعره ، وقال دعبل :

فلو أنني أصبحت فى جود مالك ... وعزته ما نال ذلك مطلبي
فتى شقيت أمواله بسماحه ... كما شقيت قيس بارماح تغلب

فخرج فى استطراده من مدح إلى ذم وهو مقلوب استطراد زهير فى قوله :

إن البخيل ملوم حيث كان ... ولكن الجواد على علاته هرم

فخرج من ذم إلى مدح وقال جرير :

ترى برصا بمجمع اسكتيه ... كعنفقة الفرزدق حين شابا

والسابق إلى هذا المعنى والناس له تبع السموأل حيث قال :

وإنا أناس لانرى القتل سبة ... إذا مارأته عامر وسلول

ومما يستحسن قول بشار :

خليلي من كعب أعينا أخاكما ... على دهره إن الكريم معين
ولاتبخلا بخل ابن قزعة إنه ... مخافة أن يرجى نداه حزين
إذا جئته فى حاجة سد بابه ... فلا تلقه إلا وانت كمين

فقف على هذه الجملة من صناعة البديع ففيها كفاية بعون الله سبحانه وتعالى ... وأما قوله فبرز الشيخ مجليا وتلاه الفتى مصليا فأصل ذلك في الخيل ، ونذكر من ذلك جملة تليق بهذا الموضع ، وينتظم المجلى والمصلى فى حكاية الرشيد مع المأمون وذلك أن الرشيد أجرى الخيل يوما بالرقة فوقف متلوما حتى طلعت فاذا فى أولها فرسان فى عنان واحد فتأملهما فقال فرسى والله ثم تأمل وقال وفرس وابنى عبد الله لجاء الفرسان أمام الخيل فرسه السابق وفرس المأمون المصلى فسر بذلك الرشيد سرورا عظيما ؛ قال الأصمعى فقلت للفضل ياأبا العباس هذا من أيامى فاحتل حتى توصلنى فقال الفضل ياأمير المؤمنين إن الأصمعى قد أعد فى أمر الفرسين شيأ يريد به سرور أمير المؤمنين فقال هات ياأصمعى فقلت ياأمير المؤمنين كنت وابنك اليوم وفرسا كما قالت الخنساء وقد قيل لها كيف تفضلين أخاك على أبيك فقالت :

جارى أباه فاقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر
وهما كانهما وقد برزا صقران قد حطا إلى وكر
حتى إذا جد الجراء وقد سارت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس أيهما قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صفيحة وجه والده ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى ان يساويه لولا جلال السن والكبر

قيل لأبى عبيد ليس هذا فى مجموع شعرها فقال العامة أسقط من أو يجودوا عليها بمثل هذا ، فقولها ملاءة الحضر تعنى بها غبرة الفرسين التى أثاراها جعلتها كملحفة يرتديانها ويتحاذبانها ، وسيأتى من أخذ منها هذا المعنى ومن سبق إليه فى الأربعين .. ومراتب الخيل فى الحبلة السابق منها يسمى المجلى ثم المصلى ثم المسلى ثم التالى ثم المرتاح ثم العاطف ثم الحظى ثم المؤمل ثم اللطيم ثم السكيت ، قال الأصمعى وأبو عبيدة نسمع فى سوابق الخيل اسما لشىء منها ممن يوثق بعلمه إلا الثانى واسمه المصلى ؛ قال الأصمعى هو من الصلاة وهو جانب والعاشر واسمه السكيت وماسواهما فانما يسمى الثالث والرابع إلى التاسع ، وكان عند المتقى العباسى فتى راوية للخبر والشعر أنس به فقال ليلة لجلسائه عودوا إلى ذكر الخيل فقال الفتى ياأمير المؤمنين حدثنى كلاب بن حمزة العقيلى قال كانت العرب ترسل خيلها أراسيل عشرة عشرة والقصب سبعة سبعة فلا يدخل الحجرة من الخيل إلا ثمانية : الأول السابق المجلى لأنه جلى عن وجه صاحبه الكرب والثانى المصلى لأنه وضع جحفلته على قطاة المجلى وهو صلاة والصلا عجب الذنب والثالث المسلى لأنه كان شريكا فى السبق فسلى عن صاحبه بعض همه والرابع التالى لأنه تلا المسلى دون غيره والخامس المرتاح وهو المفتعل من الراحة لأن الراحة خمس أصابع فلما كان الخامس على خامسة الأصابع سمى مرتاحا والسادس حظى لأنه نال حظا فحظى به وان قل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى السادس نصيبا وهو آخر حظوظ الحلبة وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لأنه قد عطف بشىء وإن خس إذ كان قد دخل الحجرة الثامن المؤمل على القلب والتفاؤل كما سمى اللديغ سليما فسمى مؤملا لقربه من ذوات الحظوظ التاسع اللطيم لأنه لو رام الحجرة لطم دونها لأنه أعظم جرما من السابع والثامن العاشر السكيت لأن صاحبه يعلوه خشوع وذلة ويسكت خزيا وعيا وكانوا يجعلون فى عنقه حبلا ويحملون عليه قردا يركضه

ليعير بذلك صاحبه ، أبو عبيدة: يشدد السكيت وسمى سكيتا لانه آخر العدد الذى يقف عليه العادو السكت الوقوف وسميت حلبة لأن العرب تحلب إليها خيولها أى تضمرها وأنشد ابن الأنبارى أبياتا تجمعها وهى قوله :

جاء المجلى والمصلى بعده ثم المسلى بعده والتالى
والخامس المرتاح ينقص عدوه والعاطف الصهال كالريبال
نسقا وقاد حظيها فى صهوه ذاك المؤمل غير ذى الأشكال
ثم اللطيم يقودها بجميعها قبل السكيت العاشر الذيال

ونذكر هنا جمله مقاطيع فى أوصاف الخيل يكمل بها الغرض المقصود قال امرؤ القيس :

إذا ماركبنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب

وقال عمارة بن عقيل: وأرى الوحش فى يمينى إذاما كان يوما عنانه بشمالى

وقال حبيب : مخلق وجهه على السبق تخليق عرس عرس لليلة عرس
يقتل عشرا من النعام به بواحد الشد واحد النفس

وقال أيضا : إن زار ميدانا سبى أهله أو ناديا قام إليه الجلوس
نرى رزان مقوم قد أسمحت نفوسهم فى حسنه وهى شوس
كأنما لاح لهم بارق فى المحل أو زف إليهم عروس
سام إذا استعرضه رثته أعلى رطيب قده أريس
كأنما خامره أورق أو عارضات هامته الخندريس
عوذه الحاسد بخلا به ورفرفت خوفا عليه النفوس

وقال البحترى : وأغر فى الزمن البهيم محجل قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبنى إلا أنه فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالرداء المسبل
تتوهم الجوزاء فى أرساغه والبدر غرة وجهه المتهلل
وتراه يسطع فى الغبار لهيبه لونا وشدا كالحريق المشعل
هرج الصهيل كأن فى نغماته هزات معبد فى الثقيل الأول
ملك العيون فان بدا أعطينه نظر المحب إلى الحبيب المقبل

وقال عبدالله بن المعتز :ولقد وطئت الغيث يحملنى طرف كلون الصبح حين وقد
يمشى ويعرض فى العنان كما صدر المعشق ذو الدلال وصد
جماع أطراف الصوار فما الا أخرى عليه إذا جرى بأشد
بل المها بدمائهن ولم يبتل منه بالحميم جسد
وكأنه موج يذوب إذا أطلقته وإذا حبست جمد

وقال المتنبي : وعينى إلى اذنى أغر كأنه من الليل باق بين عينيه كوكب

له فضلة عن جسمه فى إهابه ... يجىء على صدر رحيب ويذهب
شققت به الظلماء أدنى عنانه ... فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب
وأصرع أى الوحش قفيته به ... وأنزل عنه مثله حين يركب
وما الخيل إلا كالصديق قليلة ... وإن كثرت فى عين من لا يجرب
إذا لم تعاين غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقال ابن نباتة يصف فرسا أغر حمله سيف الدولة عليه :

قد جاءنا الطرف الذى أهديته ... هاديه يعقـــد أرضه بسمائه
يختـال منه على أغر محجل ... ماء الدياجى قطرة من مائه
وكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه لخاض فى أحشائه
لاتعلق الألحاظ فى أعطافه ... إلا إذا كفكفت من غلوائه

وقال أيضاً : وأدهم يستمد الليل منه ... وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشياً ... ويطوى خلفه الأفلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه ... تشبث بالقوائم والمحيا

وقال أبو منصور يخاطب أبا الفضل الميكالى :

يامهدى الطرف الجواد كأنما ... قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شىء أسرج منه إلا خاطرى ... فى شكر نا أيدى اللطيف الموقع
ولو أننى أنصفت فى إكرامه ... لجلال مهديه الكريم الأروع
أقضمته حب القلوب لقضمه ... وجعلت مربطه سواد الأدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق ... برد الشباب بجله والبرقع

وقال القسطلى : سامى التليل كان عقد عذاره ... فى رأس غصن البانة المياد
يهدى بمثل الفرقدين وناب عن ... رعى السماك بقلبه الوقاد
فكأنما أطأ الأباطح والربا ... بعقاب شاهقة وحية واد
وكأنه من تحت سوطى خارجا ... فى الروع شعلة قادح بزناد

ولأبى تمام الأندلسى: وأقب تنقد البروق إذا جرى ... من غيظها حسدا بأن لم تلحق
ملك الرياح قوائما فجرى بها ... فيكاد ياخذ مغربا من مشرق

وقال فيه أيضاً : وتحتى ريح تسبق الريح إن جرت ... وما خلت أن الريح ذات قوائم
له فى المدى سبق إلى كل غاية ... كأن لنا فيه نفوذ عزائم
وهمة نفس نزهتها عن الونى ... فيا عجبا حتى العلا فى البهائم

وكان للمتوكل قبطليوس فرس أحضر أغر محجل على كفله ست نقط بيض فبذل كل شاعر فى وصفه جهده فما سبق الغاية إلا البجلى بقوله

فلمَّا أنشدَاها الوالىَ مُترسِّلَين ، بُهِتَ لذكاءِ يهما المُتعادِلين ، وقال : أشهدُ باللهِ أنَّكما فرقدا سَماءٍ وَكَنزَ نَدَين فى وعاء ، وَأنَّ هذا الحدَثَ لَيُنفِقُ مما آتاهُ الله ، ويستغنى بوُجْدهِ عمَّنْ سِواه ، فَتُبْ أيها الشَّيخُ من اتهامِه ، وَثُبْ إلى إكرامِه ، فقال الشَّيخُ : هَيْهاتَ أنْ تُراجِعهُ مِقَتى ، أو تَعلقَ بِهِ ثِقتى ، وَقَدْ بَلَوتُ كُفرانَهُ لِلصَّنيعِ ، ومُنِيتُ منه بالعُقوقِ الشَّنيع

حمل البدر حواد سابح تقف الريح لأدنى مهله
وكأن الصبح قدخاض به فبدا تحجيله من بلله
لبس الليل قميصا سابغا فالثريا نقط فى كفله
كل مطلوب وإن طالت به رجله من أجله فى أجله

والباب لا يدخل تحت الحصر فانكتف بهذا القدر (بهت) أى تحير (المتعادلين) المتماثلين وشبهها بالفرقدين لرفعتهما وتوقدهما وأخذ الحريرى هذا التشبيه من البحترى فى قوله : كالفرقدين إذا تأمل ناظر ، وتقدم فى الثانية ، وبالزندين لما فيهما من النار وفى هذين من الذكاء ، وجعلهما فى وعاء يريد متى التمسهما الإنسان وجدفيما وقعت عليه يده حاجته (وجده) غناه وما عنده من الملم (ثب)ارجع (هيهات) معناها بعد(مقتى) محبتى (تعلق به ثقتى) يريد لاأثقه بعدما جربته (بلوت كفرانه للصنيع)أى جربت قلة شكره لفعل الجميل معه (منيت) بليت (العقوق) المقاطعة (الشنيع) المشتهر بالقبيح ... ونسوق هنا فى كفران الصنيع فصلا يليق بهذا الموضع ، قال رسول صلى الله عليه وسلم من عباد الله عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم قلنا من أولئك يارسول الله قال المتبرىء من والديه رغبة عنهما والمتبرىء من ولده ورجل أنعم الله عليه نعمة فكفرها ، وفى التوراة من صنع معروفا إلى أحمق فهى خطيئة تكتب عليه ، وقال الحجاج لابن الكلبى أخبرنى عن خمسة أشياء أضيعت فى الدنيا قال نعم أصلح الله الأمير سراج يوقد فى شمس ومطر جود فى أرض سبخة وامرأة حسناء تزف إلى عنين وطعام اجتهد صاحبه فى صنعته فقدمه إلى سكران أو شبعان ومعروف تصنعه إلى رجل لا يشكرك عليه ... عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنفع الصنيعة إلاعند ذى حسب ودين كما لاتنفع الرياضة إلا فى نجيب المدائنى : خرج فتيان فى صيد لهم فأثاروا ضبعة فنفرت ومرت فأتبعوها فلجات إلى بيت رجل فخرج اليهم بالسيف مسلولا فقالوا له ياعبد الله لم تمنعنا من صيدنا فقال أنها استجارت بى فخلوا بينها وبينه فنظر اليها فاذا هى مهزولة مضرورة فجعل يسقيها اللبن صبوحا ومقيلا وغبوقا حتى سمنت وحسنت حالها فبينما هو ذات يوم متجرد اعدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه فقال ابن عم له :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله يلاق الذى لاقى مجير أم عامر
أعد لما استجارت بقربه مع الأمن ألبان اللقاح الدرائر
فاشبعها حتى إذا ماتمكنت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من يوجه معروفا إلى غير شاكر

فاعْتَرَضَهُ الفَتى وقال : يا هذا إنَّ اللَّجاجَ شُؤْم ؛ والحَنق لُؤم ، وتَحْقيقَ الظِّنَّةِ إثم ، وإعْنَاتَ البَرِىء ظُلْم ، وهَبْنِى اقْتَرَفْتُ جَرِيرَة ، أوِ اجْتَرَحْتُ كبيرة ، أما تَذْكُرُ ما أنْشَدْتَنِى لِنَفْسِكَ ، فى إبَّانِ أُنْسِكَ :

سامِحْ أخاكَ إذا خَلَط ... منه الإصابَةَ بالغَلَط
وتجافَ عنْ تَعْنيفِهِ ... أنْ زاغَ يوماً أو قَسَطْ
واحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَه ... شَكَرَ الصَّنِيعَةَ أمْ غَمَط
وأطِعْهُ إن عاصَى وهُنْ ... إنْ عَزَّ وادْنُ إذا شَحَط

وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه ومعروفه فى اهل الحفاظ وإذا أراد به سوأ جعلها فى أهل المضائع وقال حسان

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت . وأنشد عبد الله بن جعفر هذا البيت فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادفت موضعه فهو الذى قصدت وإلا فكنت أحق به قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فإنه يشكرك عليه من لم تصنعه اليه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس أهله فان أصبت أهله فقد اصبت اهله وإن لم تصب اهله فأنت اهله ، وقد قال الحريرى بعد هذا:

واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط

أى لا تفسد معروفك بالمن شكره من أنعمت عليه أم كفره وغمط ستر وهو ضد شكر (اعترضه) أى واجهه وقابله (شؤم) نحس وطيرة (الحنق) الغضب (الظنة) التهمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا زمات أمتى سوء الظن والحسد والطيرة ، قيل ما يذهبهن ؟ قال إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فاستغفر وإذا تطيرت فامض (إعنات) مشقة (هبنى) أحسبنى (اقترفت واجترحت) معناهما اكتسبت (جريرة) جناية (إبان أنسك) أى وقت انسى بك (تجاف) تباعد (تعنيفه) لومه (زاغ) مال (قسط) جار وقوله (وهن إن عز) لفظ المثل إذا عز اخوك فهن يروى بضم الهاء وكسرها فالضم من هان يهون قال ابن احمر :

ذبيت لها الضراء وقلت أبغى ... إذا عز ابن عمك أن تهونا

ورواه بالكسر ابو عبيدة وثعلب وقال ابو عبيدة معناه ان مياسرتك صديقك ليست بضيم يركبك فتدخلك خالك منه حمية إنما هو حسن خلق وتفضل منك فإذا عاسرك فياسره فالضم الذى ذكره هو الهوان بعينه ، قال ابن درستويه معناه إذا صار اخوك عزيزاً قوياً عليك فأطعه واخضع له تسلم من ظلمه ورواية الكسر من هان يهين ويكون معناه عز تصعب واشتد لا من العزة ومعناه إذا صعب اخوك فلن له والمثل لهذيل بن هبيرة وسببه انه أغار على ضبة فغنم واقبل بالمغانم فقال له اصحابه اقسمها بيننا فقال اخاف ان يدرككم الطلب فأبو افعتدها قال المثل ونزل

وَاقْنَ الوَفَاءَ ولو أخَلّ   بِمَا اشْتَرَطْتَ وَمَا اشْتَرَط
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إن طَلَبْـ   ـتَ مُهَذَّبًا رُمْتَ الشَّطَط
مَنْ ذا الذي ما سَاءَ قَطّ   وَمَنْ له الحُسْنَى فقط
أوَ مَا تَرَى المحبوبَ وَالْـ   ـمَكْرُوهَ لُزًّا في نَمَطْ
كَالشَّوْكِ يَبْدُو في الغُصُو   نِ مَعَ الجَنِيِّ المُلْتَقَطْ
وَلَذَاذَةُ العُمْرِ الطَّوِيـ   ـلِ يَشُوبُهَا نَغَصُ الشَّمَط
وَلوِ انتَقَدْتَ بَنِي الزَّمَا   نِ وَجَدْتَ أَكْثَرَهُم سَقَط

فقسمها (شحط) أى بعد (واقن الوفاء) أى الزمه وقنيت الحياء بكسر النون أقنية قنيانا لزمته (أخـــل) نقص (بما اشترطت وما اشترط) أى بما جعلتما بينكما من علامة ومنه أشراط الساعه اى علاماتها ومنه الشرط لأن لهم علامة يعرفون بها (مهذبا) مخلصا (الشطط) مجاوزة القدر قال الفضيل بن عياض من طلب اخا يلاعيب بقى بلا اخ وقال الحرث المحاسبى ثلاثة اشياء عزقزة او معدومة حسن الوجه مع الصيانةوحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخاء مع الأمانة وقال النابغة :

ولست بمستبق اخا لا تلمه   على شعث اى الرجال المهذب

وقال يزيد بن محمد الجاهلى :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء فضلا ان تعد معايبه

(قط) بمعنى الدهر والابد (الحسنى) الفعل الحسن (فقط) حسب (لزا) ربطا (النمط) ثوب من الصوف المصبوغ والنمط الطريق تقول الزم هذا النمط والنمط النوع من العلم والخير فيريد ان الخير والشر قد نظما فى سلك واحد فاذا اتى يوم يرضى اتى بعده يوم يسخط (الجنى) الطرى مما يجنى فعيل بمعنى مفعول وأصل مجنى مجنون فاعل (الملتقط) من قولك لقطت هذه الفاكهة واحدة واحدة اى اخترتها وانتخبتها ، ابو امامة قال النبى صلى الله عليه وسلم إن الناس اليوم كشجرة ذات جنى ويوشك الناس ان يعودوا كشجرة ذات شوك إن ناقدتهم ناقدوك وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم طلبوك قيل فكيف المخرج من ذلك قال تقرضهم من عرضك اليوم فقرك وانشد عمر بن الجعد :

طب عن الأمة نفساً   وارض بالوحدة انسا
لست بالواجد حرا   او ترد اليوم امسا
ماوجدنا احدا يسـ   ـوى على الخبرة فلسا

(نغص) تكدير العيش ونغص الرجـل إذا لم يتم له أمره وتكدر عيشه (يشوبها) يخالطها (الشمط) اختلاط الشيب بالسواد (انتقدت) فتشت (السقط) من لاخير فيه وللزاهد بن عمران فى معنى ابيات الحريرى رحمه الله تعالى :

رُضْتُ البلاغةَ والبرا عةَ والشَّجاعةَ والخطَط
فوجدتُ أحسنَ ما يُرى سَبْرَ العلومِ معاً فقطْ

قال : فجعلَ الشيخُ يُنضنِضُ نضنضةَ الصِّلِّ ويُحملِقُ حَملقةَ البازى المطلّ ؛ ثم قال : والذى زيّنَ السّماء بالشُّهُب ؛ وأنزلَ الماءَ مِنَ السُّحُب ، ما رَوَعى عَنِ الإصْطِلاح ، إلّا لتوَقّى الافتضاح ، فإنّ هذا الفتى اعْتادَ أن أمونَه ، وأراعى شُؤونَه ، وقدْ كانَ الدّهرُ يَسُحّ ، فلمْ أكنْ أشُح ؛ فأمّا الآنَ فالوقتُ عَبوس ، وحَشْوُ العَيْشِ بُوس ، حتى أنّ بزّتى هذه عارَة ، وبيْتى لا تَطُورُ به فارَة ، قال : فرَقَّ لمقالِهما قلبُ الوالى ،

إذا وغد جفاك فلا تلمه لأنك إن فعلت أثرت جيفه
وإن يصل الكريم عليك فاصفح ستعطفه أصالته الشريفة
ومن يك بين ذاك فأغض عنه تنل مجدا ومرتبة منيفة
وسل الضغن إن آنست ضغنا ببسط الوجه والحيل اللطيفة

أخذ البيتين الأولين من قول حاتم :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

(ينضنض) أى يحرك لسانه (الصل) الحية (يحملق) ينظر بحملاقه وهو باطن جفنه وذلك نظر الغضبان (المطل) المشرف على فريسته (الشهب) النجوم (روعى) قرارى (توقى) خشية (الافتضاح) الشهرة (أمونه) أتكلف لوازمه (أراعى) أحفظ (شئونه) أمور (يسح) يصب الرزق (الحشو) ماحشى به (بوس) ضر (بزتى) ثوبى (عاره) أى عارية (تطور) تقرت منه يريد أن الفارة ليس لها فيه ما تأكل وأخذ هذا المعنى من قول امرأة وقفت على قيس بن سعد بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الجرذان فقال ما أحسن هذه الكناية املؤا بيتها خبزا ولحما وسمنا ، وقد أعاد هذا المعنى منظوما فى الثالثة والثلاثين فقال :

وأمحلت ربعى حتى خلت من ربعى الممحل جرذانه

وحكى الفنجديهى بسنده إلى أبى محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا أنسخ فى سراج وبين يدى قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فارة فأخذت لوزة فمضت ثم عادت فأخذت أخرى فبددت الماء الذى فى القدح فعادت الفارة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلى ساعة فاذا فارة أخرى قد جاءت فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك والفارة الأخرى تشقشق من داخل القدح فلم تجد حيلة فى خلاصها فمضت أختها فأتت بدينار فوضعته ووقفت ولم أرفع القدح عن الفارة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت ولم أرفع القدح ففعلت ذلك إلى أن أتت بسبعة دنانير ووقفت ساعة ولم أخل من الفارة فمضت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شىء فخليت عن الفارة ، قال الفنجديهى : رويت هذه الحكاية عن أشخاص وأشياخ ثقات .. وعلى ذكر الفارة والجرذان كتب أبو حفص الوراق رقعة إلى الصاحب منها : وحال عبد مولانا فى الحنطة مختلفة جرذان دارة عنها منصرفة فان رأى أن يخلط عبده بمن أخصب عنده فعل إن شاء الله تعالى ، فوقع فيها

وأَوَى لَهما مِن غَيَر الَّليالى ؛ وصَبا إلى اختِصاصِهما بالإسْعاف ، وأمَر النَّظَّارَةَ بالانْصراف .

قال الراوى : وكُنْتُ مُتَشَوّقاً إلى مَرْأَى الشَّيخ لَعَلِّى أَعْلَمُ عِلمَهُ ، إذا عايَنْتُ وَسْمَه ، ولم يَكُن الزحام يَسْفر عنه ، ولا يُفرَجُ لى فأَدْنوَ منه ، فلما تَقَوَّضَتِ الصُّفُوف ، وأَجْفَلَ الوُقوف ، تَوَسَّمْتُه فإذا هُوَ أبو زيدٍ والفتى فَتاه ، فعَرَفْتُ حينئذ مَغزاه فيما أتاه ، وكِدتُ أنقَضُّ عليه ، لأَستَعرِفَ إليه ، فزَجَرَنى بإيماض طَرْفِه .

أحسنت يا أبا حفص قولا وسنحسن اليك فعلا فبشر جرذان دارك بالخطب وأمنها من الجدب فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع إن شاء الله تعالى (أوى) أشفق (غير) تغير وهو من تغير الحال وهو اسم واحد بمنزلة النطع ، والغير مذكر وجمعه أغيار قول الكسائى ويجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة وهذا قول ابن عمر ويقال للدية غيرة لأنها تغير الفؤاد إلى الرضا به (صبا) مال (الاسعاف) قضاء الحاجة (النظارة) الناس الناظرون اليه (متشوفا) متطلعا (وسمه) علامته (يسفر) يكشف (يفرج) يفتح لى فرجة (تقوضت) تفرقت وأصلها الهدم (أجفل) أسرع المشى (توسمته) نظرته (مغزاه) مذهبه ومقصده (انقض) انحط وأنصب (استعرف) أعرفه بنفسى (زجرنى) إنتهرنى (إيماض) إشارة بالعين خفية وكثيرا ما يصرف الحريرى فى المقامات تنبيه أبى زيد لابن همام على نفسه يخفى الاشارة المغنية عن تصريح العبارة وهو مذهب للعرب ونبلاء أهل الأدب وقد قالوا رب كناية تغنى عن إيضاح ورب لحظ يدل على ضمير . . وفى إشارة اللحظ يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن اللحظ قد قال مرحبا ... وأهلا وسهـلا بالحبيب المتيم

وقال أبو نواس: لهفى على النجل العيون ... النهد القب البطون
الناطقات عن الضمـ ... ير لنا بألسنة الجفون

وقال المهدى بن المنصور :

ومطلع من نفسه مايسره ... عليه من اللحظ الخفى دليل
إذا هو لم يبد الذى فى ضميره ... فنى اللحظ والايماء منه رسول

وقال تميم بن المعز :

سبحان من خلق الخدو ... دشقـا تبسم
وأعارها الالحاظ فهـى ... بلحظها تتكلم

وقال آخر : العين تبدى الذى فى نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال أعرابى : وليـل لم يقصره رقاد ... وقصر طوله وصل الحبيب
بمجلس لذة لم نقو فيه ... على شكوى ولا عد الذنوب
بخلنا أن نقطعه بلفظ ... فترجمت العيون عن القلوب

واستوقَفَنى بإيماء كفّه ؛ فَلَزِمْتُ موْقِفى ، وأخَّرْتُ منْصرَفى ، فقال : ما مَرامُك ، ولأيِّ سَبَبٍ مُقامُك ، فابتدَرَهُ الشيخُ وقال إنه أُنيسى ، وصاحبُ مَلْبُوسى ، فَتَسَمَّحَ عندَ هذا القَول بتأْنيسى ، ورخَّصَ فى جُلوسى ، ثم أفاضَ عليهما خِلْعتَيْن ، ووصَلَهما بنِصابٍ مِنَ العَيْن ، واستَعهدَهُما أن يتعاشَرا بالمعْرُوف ، إلى إظلالِ اليَومِ المَخُوف ، فنَهَضا مِنْ نادِيه ، مُشيدَيْنِ بشُكرِ أيادِيه ، وتَبِعْتُهما لأعْرِفَ مَثْواهُما ، وأتَزَوَّدَ مِن نَجْواهُما ، فلما أجَزْنا حِمَى الوالى ، وأفضَينَا إلى الفَضاءِ الخالى ، أدْرَكَنى أحَدُ جِلاوِزَته ؛ مُهيباً بى إلى حوزَتِه ، فقلتُ لأبى زَيدٍ . ما أظُنُّه استَحْضَرَنى ، إلَّا ليَستَخبِرنى فماذا أقول ، وفى أىِّ وادٍ معَهُ أجول فقال

وقال الحسن بن بشير :

أما ترى لى ناظرا شاهدا بالحب والأعين رسل القلوب
ودون الحاح جفونى هوى يخبر عما فى ضمير الكئيب
وأنت لاشك به عالم لأن عند اللحظ علام الغيوب

قال الاحوص :

ودعتهن ولا شىء يراجعنى إلا البنان وإلا الأعين السجم
إذا أردن كلامى عنده عرضت من دونه عبرات فارعوى الكلم
مسندات وقد مالت سوالفها وما بهن سوى مس الهوى ألم

وقال مانيا لموسوس :

بنان يد تشير إلى بنان تجاوبنا وما تتكلمان
جرى الايماء بينهما رسولا فاحكم وحيه المتناجيان
فلو أبصرتنا لغضضت طرفا عن المتحدثين بلا لسان

والباب لا يحصى كثرة فلنقتصر على هذه اللمعة (واستوقفنى بايماء كفه) أى أمرنى بالوقوف والايماء الإشارة (مرامك) مرادك (مقامك) تلبثك ووقوفك (أنيسى) صاحبى الذى أتأنس به (فتسمح بتأنيسى) أى أولانى منه المؤانسة (رخص) لين وسهل (أفاض) صب (خلعتين) كسوتين (النصاب) عشرون دينارا (العين) الذهب (استعهدهما) استحلفهما (يتعاشرا) يتصاحبا (اظلال) قرب ودنو (اليوم المخفوف) يوم موته (ناديه) مجلسه (مشيدين) رافعين بشكره أصواتهما (أياديه) نعمه (مثواهما) مسكنهما (فحواهما) معنى كلامهما ويروى نجواهما أى سرهما (أجزنا) خلفنا (أفضينا) وصلنا (الفضاء) المتسع من الأرض (جلاوزته) شرطه واحدهم جلواز والجلاز عقب ملوى على القوس وجلزت القوس والسوط والسكين عصبتها بالعقب فسموا جلاوزة لأنهم يعصبون بالسياط الناس عند الضرب أو لأن السياط لا تفارق أيديهم والجلز الشد وهم يربطون الناس ويشدونهم (مهيبا) داعيا (حوزته) موضعه الذى يحميه ويحوزه (استحضرنى) طلب حضورى (يستخبرنى) يسألنى خبره (أجول) أتصرف وأمشى أى علمنى فى أى غرض من الحديث آخذ

بَيَّنَ له غَباوَةَ قَلبه ، و نلعا بي بلبهِّ لِيَعْلم أنَّ رِيحَهُ لاقَتْ إعْصارًا ، وجَدْوَلَهُ صادَفَ تَيَّارا ، فقلتُ : أخافُ أنْ يَتَّقِدَ غَضَبُه ؛ فيَلْفَحَكَ لَهَبُه ؛ أو يَسْتَشْرِيَ طَيْشُه ؛ فيَسْرِيَ إليكَ بَطْشُه ، فقال : إنِّي أرْحَلُ الآنَ إلى الرُّها ، وأنَّى يَلْتَقِي سُهَيْلٌ والسُّها ، فلما حضَرْتُ الوالي وقدْ خَلا مَجْلِسُهُ ؛

معه (غباوة) جهل ورجل غبي غير فطن (تلعابي بلبه) أى لعبي بعقله والتلعاب بنيت للمبالغة (يستشرى) ينتشر (طيشه) خفته من الغضب (يسرى) يسير (بطشه) إيقاعه وتناوله بما يكره (الرها) بلد من كورة الجزيرة تجاورها الرقة وحران سميت باسم صاحبها الرها بن البلوى بن مالك بن دعر وهو أول من نزلها وقال اليعقوبى الرها من ديار مضر وهى مدينة رومية ذات عيون كثيرة عجيبة تجرى منها الأنهار وبها الكنيسة التى للنصارى وهى إحدى عجائب الدنيا الموصوفة وكان بالرها رجل ضعيف الحال متجمل بين الناس نخرج ذات يوم من منزله وعليه جبة له فلقيه سائل فسأله شيأ يدفئه فقال والله ما أملك غير جبتى هذه فقال السائل ألا تحب أن تكون من قال الله تعـالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فدفعها اليه (أنى) كيف (سهيل والسها) كوكبان لايلتقيان لأن السها نجم خفى فى بنات نعش وبنات نعش لاتغرب أبدا فى بلاد أرمينية وفى سمتها بلاد الشام والمغرب والاندلس وسهيل لايرى فى شىء من هذه البلاد إلا رؤية لايعتد بها فى ايام قلائل فلا يلتق سهيل والسها بوجه وإنما أخذ هذا من لفظ عمر بن أبى ربيعة حيث قال :

أيها المنكح الثريا سهيلا　　عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا مااستقلت　　وسهيل إذا استقل يمـان

والثريا هذه بنت على بن عبد الله بن الحرث وكانت موصوفة بالجمال وكان عمر يشبب بها فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها إلى مصر فضرب لها عمر المثل بالكوكبين وأبدل الحريرى لفظ الثريا بالسها وأفاد عـدم الالتقاء ، وسهيل هو كوكب أحمر يخيل اليك لشدة اضطرابه أنه يستدير وقال المعرى فى صفته فأحسن :

وسهيل كوجنة الحب فى اللو　　ن وقلب المحب فى الخفقان
مستدير كأنه الفارس المعـ　　ـلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسـ　　ـرع باللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادى　　فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه وهو فى العجـ　　ـز كساع ليس له قدمان

قالوا ولاتقع عين بعير على سهيل إلا مات من حينه وقد أشار المعرى إلى هذا فى قوله .

لاتحسبن ابلى سهيلا طالعا　　بالشأم فالمرئى شعلة مقبس

ومتى طلع صرفت الابل كلها وجوهها عن مطلعه وقابلته باعجازها وقال المتنبى :

وَانْجَلَى تَعبُّسه ، أَخَذَ يَصِفُ أبَا زَيدٍ وَفَضلَه ، وَيَذُمُّ الدَّهْرَ له ؛ ثم قَال : نَشَدْتُكَ اللهَ أَلَسْتَ الذى أعاره الدَّسْت ، فقلتُ لا والذى أَحَلَّكَ فى هذا الدَّسْت ، ما أَنا بِصَاحِبِ ذلكَ الدَّسْت ، بلْ أَنتَ الذى تَمَّ علَيهِ الدَّسْت ، فازْوَرَّتْ مُقْلَتَاه ؛ وَاحمرَّتْ وَجَنتَاه ، وقَال : واللهِ مَا أعجَزَنِى قَطُّ فضحُ مُرِيب ، وَلا تَكْشِيفُ مَعِيب ، ولَكِنْ مَا سَمِعتُ بِأَنَّ شيخًا دَلَّس ، بعدَ مَا تَطَلَّسَ وَتَقَلَّس ؛ فبهذا تمَّ له أَنْ لَبَّس ؛ أفتَدْرِى أَيْنَ سَكَعَ ، ذلك الُّلكَع ، قلتُ : أشفَقَ مِنْكَ لِتَعَدِّى طَوْرِه ، فَظَعَنَ عنْ بَغْدادَ مِنْ فَوْرِه ؛ فقَال : لا قرَّبَ اللهُ له نَوَى ، ولا كَلَأَهُ ابن ثَوَى ، فما زَاوَلْتُ أَشَدَّ من نُكْرِه ؛ وَلا ذُقتُ أَمَرَّ من مَكْرِه ، ولولا حُرْمَةُ أدبِه ، لأوْغَلتُ فى طَلَبِهِ ، إلى أَنْ يَقَع فى يدِى فأُوقِعَ بِهِ ،

وتنكر قتلهم وأنا سهيل طلعت بموت أولاد الزناء

وفى معنى تخويف ابن همام للسروجى بعقاب الوالى: ما حدث أن أبا الحسن العباس بن حيون دخل عليه فى السجن من أعلمه أن ابراهيم بن الاغلب يريد قتله فلم يجد مفرا فقال لمعلمه بالخبر وأحسن فى قوله :

تخوفنى بمخلوق ضعيف يهاب من المنية ما أهاب
له أجل ولى أجل وكل سيبلغ حيث بلغه الكتاب

(انجلى) أى زال وانكشف (نشدتك) حلفتك (الدست) الاول هو الثوب والثانى المجلس والثالث هو الأول والرابع هو الخداع والحيلة وقد قدمه فى الحادية عشرة حيث قال متى مادسته ثم (ازورت مقلتاه) اعوجت عيناه وتغير نظرهما (والوجنتان) ما أحاط بالعين من أسفل (أعجزنى) غلبنى (فضح مريب) كشف تهمة (تطلس) لبس الطيلسان وهو من لباس الخواص وهو كساء خز (لبس) خلط (سكع) ذهب (اللكع) اللئيم العاجز قال بعض أهل العلم كان يقال خمس خصال من أقبح شىء فيمن كن فيه الحدة فى السلطان والكبر فى ذى الحسب والبخل فى الغنى والحرص فى العالم والفسق فى الشيخ وثلاث هن أحس شىء فيمن كن فيه تؤدة لغير ذل وجود لغير ثواب ونصب لغير الدنيا (أشفق) خاف (تعدى طوره) تجاوز قدره (ظعن) رحل (فوره) حينه (نوى) بعد وسفر (كلأه) حفظه (ثوى) أقام (زاولت) حاولت (نكره) منكره (مكره) خداعه (أوغلت) أبعدت (أوقع به) أتناوله بالشر والمكروه والضرب وقال أبو حازم فى معنى دعاء الوالى على السروجى :

إذا استقلت بك الركاب فحيث لادرت السحاب
زالت سراعا وزلت تجرى ببينك الظبى والغراب
بحيث لا يرتجى اياب وحيث لا يبلغ الكتاب

والذى استعمل الناس فى الدعاء على الغائب أن لا يرجع قول زهير : لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم — وقال آخر : كما سار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

ومثل هذا رقية المرأة إذا سافر زوجها قالت نافرك القمر وظل الشجر شمال تشمله ودبور تدبره ونكباء تنكبه شيك ولا انتقش وتعس ولا انتعش ، ثم ترمى أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول: حصاة حص أثره ونواة

وإنّي لأَكْرَهُ أنْ تَشِيعَ فَعْلَتُه بمدينةِ السَّلام، فأُفْتَضحَ بينَ الأنامِ وتَحْبَطَ مكانَتِي عندَ الإمامِ، وأَصِيرَ ضُحْكَةً بينَ الخاصِّ والعامِّ، فعاهَدَني على أنْ لا أفُوهَ بما اعْتَمَد، ما دُمْتُ حِلاًّ بهذا البَلَد.

قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ: فعاهَدْتُه أنْ لا يتأوَّل، ووَفَيْتُ له كما وفَى السَّمَوْأَل

نأت داره وروئه راث خبره وبعرة تبعره، ولو أوغل فى طلبه كاذكر فادركه لانشده المروجى:

فانك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال المعرى: إذا ما أخفت المرء جن مخافة وأيقن أن الأرض كفة حابل

يرى نفسه فى ظل نفسك قائما وبينكما بعد المـــدى المتطاول

وقال محمد بن هانىء رحمه الله تعالى:

فلا مهجة فى الأرض منك منيعة ولو قطرت من ريق أرقط شجعم

ولو أنها نيطت بمخلب طائر ولو أنها بانت على قرن أعصم

وقال أشجع السلمى فى الرشيد حين بعث لادريس بن عبد الله العلوى من اغتاله بالمغرب:

أتظن يا أدريس أنك مفلت كيد الخلافة أو يقيك حذار

إن السيوف إذا انتضاها عزمه طالت وتقصر دونه الأعمار

هيهات إلا أن تكون ببلدة لا يهتدى فيهـــا إليك نهار

ولأبى العرب الصقلى.

كأن بلاد الله كفك إن يسر بها هارب تجمع عليه الأناملا

فأين يفر المرء عنك بجرمة إذا كان يطوى فى يديك المراحلا

(تشيع) اى تتصل يقال شاع الخبر فى الناس أى اتصل بكل واحد فاستوى علم الناس به ويقال سهل شائع ومشاع إذا كان فى جميع الدار فاتصل كل جزء منه بكل جزء منها واصله فى الناقة يقال أوزعت الناقة ببولها ايزاعا إذا فرقته فاذا أرسلته متصلا قيل أشاعت به (تحبط) تسقط وتبطل (مكانتى) منزلتى (ضحكة) يضحك الناس به وتسكين عينها للمفعول وتحريكها للفاعل (أفوه) أنطق (اعتمد) أى قصد من الخداع (حلا) مقيما (يتأول) يحتال ليمينه فيحملها فى الباطن على غير ما أوقعها فى الظاهر عليه فيريد أنه ثبت له اليمين (السموال) هو ابن عاديا يضرب به المثل فى الوفاء... وقصة وفائه ان امرأ القيس لما ألح المنذر فى طلبه لحق بعمرو بن جابر ابن مازن يستجير به فقال له يا ابن حجر انى اراك فى خلل من قومك وانا أنفس بك افلا ادلك على رجل لم أر احسن جوارا منه فدله على السمرأل بتيماء ووصف له حسبه وحصنه فقال ومن لى به فقال أصحبك من يوصلك فأصحبه الربيع بن ضبع وكان الربيع يأتى السموأل ويمدحه فيحمله ويعطيه فمشوا حتى قدموا على السموأل فأنشدوه اشعارا فعرف حقهم وانزل هندا بنت امرىء القيس فى قبة من ادم وانزل القوم فى مجلس له براح فكان عنده ما شاء ثم طلب ان يكتب له للحرث بن ابى شمر الغسانى بالشام ليوصله إلى قيصر ففعل فاستودعه بنته وادراعه الخمس وهى الفضفاضة والصافية والمحصنة والحريق وام الذيول وكن لبنى آكل المرار

وهم أجداده يتوارثن ملـكا عن ملك فمضى إلى قيصر وأقام عنده حتى جهزه بجيوش ثم بعث له بالحلة المسمومة فلما لبسها تقطع لحمه ومات فلما بلغ خبر موته المنذر قصد تيماء حصن السموأل فبعث اليه أن يعطيه أدرع امرىء القيس وما ترك عنده من المال فقال له إنما أدفع ذلك لابنته ولورثته فحاصره فى الحصن حتى أخذ ابناله صغيرا فقال للسموأل إما أن تعطينى ما ترك امرىء القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر اليه فقال له والله لا وفيت له فى حياته وأغدره بعد وفاته أبدا فشانك بابنى فافعل به ما شئت فذبحه وهو ينظر اليه ولم يرض بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدرع فدفعها لا بنته وورثته وقال :

وفيت بادرع الكندى إنى   إذا ما خان أقوام وفيت
وقالوا انه كنز عظيم   ولا والله اغدر ماحييت
بنى لى عاديا حصنا حصينا   وبئرا كلما شئت استقيت

فضرب به المثل فى الوفاء... وانظر فى الثلاثين ابتداء الحكاية

ترجمة ابن خلكان لصاحب المقامات

أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري

نقلا عن كتاب « وفيات الأعيان »

هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى البصرى الحرامى ، كان أحد أئمة عصره ، ورزق الحظوة التامة فى عمله المقامات ، وقد اشتملت على كثير من بلاغات العرب فى لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ؛ ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته . . وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال : كان أبى جالسا فى مسجد بنى حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة ، فسألته الجماعة من أين الشيخ ؟ فقال : من سروج ، فاستخبروه عن كنيته ، فقال : أبو زيد ، فعمل أبى المقامه الثامنة والأربعين المعروفه بالحرامية ، وعزاها إلى أبى زيد المذكور ، واشتهرت ، فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أبو شروان بن خالد بن محمد الفاشانى وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، فأشار على والدى أن يضم اليها غيرها فأتمها خمسين مقامة ، والى الوزير المذكور أشار الحريرى فى خطبة المقامات بقوله : « فأشار من إشارته حكم ، وطاعته غنم ، الى أن أنشىء مقامات أتلو فيها تلو البديع ؛ وان لم يدرك الظالع شأو الضليع »

هكذا وجدته فى عدة تواريخ ؛ ثم رأيت فى بعض شهور سنة ست وثمانين وستمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات ، وجميعها بخط مصنفها الحريرى وقد كتب أيضا بخطه على ظهرها أنه صنفها للوزير جلال الدين عميد الدولة أبى الحسن على بن ابى العز على بن صدقة وزير المسترشد ايضا ؛ ولاشك ان هذا اصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف ، والله اعلم . وتوفى الوزير المذكور فى رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ؛ فهذا كان مستنده فى نسبته الى ابى زيد السروجى .

وذكر القاضى الاكرام كمال الدين ابو الحسن على بن يوسف الشيبانى القفطى وزير حلب فى كتابه الذى سماه « إنباه الرواة على انباه النحاة » ان ابا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلار ، وكان بصريا نحويا لغويا ، وصحب الحريرى واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به .. وروى عنه القاضى ابو الفتح محمد بن احمد بن المندارى « ملحة الأعراب » للحريرى وذكر انه سمعها منه عن الحريرى ؛ وقال قدم علينا واسط فى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ؛ فسمعتها منه وتوجه منها مصعدا الى بغداد فوصلها ، واقام بها مدة يسيرة وتوفى بها رحمه الله تعالى كذا ذكره السمعانى فى الذيل والعماد فى الخريدة وقال : لقبه فخر الدين وتولى صدرية المشان ومات بها بعد عام اربعين وخمسمائة . .

واما تسمية الراوى لها بالحرث بن همام فانما عنى به نفسه هكذا وقفت عليه فى بعض شروح المقامات وهو مأخوذ من قول النبى صلى الله عليه وسلم : كلكم حارث وكلكم همام « فالحارث الكاسب والهمام الكثير الاهتمام وما من شخص الا وهو حارث وهمام لأن كل كاسب ومهتم بأموره .

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير، فنهم من طول ومنهم من اختصر، ورأيت فى بعض المجامع أن الحريرى لما عمل المقامات كان قد عملها أو بغين مقامة، وحملها من البصرة الى بغداد، وأبداها، فلم يصدقه فى ذلك جماعة من أدباء بغداد وقالوا: إنها ليست من تصانيفه، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه اليه فادعاها، فاستدعاه الوزير الى الديوان وسأله عن صناعته، فقال أنا رجل منشىء، فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعة عينها، فاخذ الدواة والورقة وانفرد فى ناحية من الديوان ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله عليه بشىء من ذلك، فقام وهو خجلان، وكان فى جملة من أنكر دعواه فى عملها أبو القاسم على بن أفلح الشاعر؛ فلما لم يعمل الحريرى الرسالة التى اقترحها عليه الوزير أنشد هذين البيتين، وقيل إنهما لأبى محمد بن أحمد المعروف بابن جكينا الحريمى البغدادى الشاعر، وهما:

شيخ لنـــا ربيعة الفرس　　ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما　　رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريرى يزعم أنه من ربيعة الفرس، وكان مولعا بنتف لحيته عند الفكرة، وكان يسكن فى مشان البصرة، فلما رجع الى بلده عمل عشر مقامات آخر وسيرهن واعتذر من عيه وحصره فى الديوان بما لحقه من المهابة.

وللحريرى تآليف حسان، منها دره الغواص فى اوهام الخواص، ومنها ملحة الاعراب المنظومة فى النحو، وله أيضا شرحها، وله ديوان رسائل؛ وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات، فمن ذلك قوله وهو معنى حسن:

قال العواذل ما هذا الغرام به　　أما ترى الشعر فى خديه قدنبتا
فقلت والله لو أن المفندلى　　تأمل الرشيد فى عينيه ما ثبتا
ومن أقام بأرض وهى مجدبة　　فكيف يرحل عنها والربيع أتى

ومنه ما ذكره عماد الدين الاصبهانى فى كتاب الخريدة:

كم ظباء بحاجر فتنت بالمحاجر　　ونفوس نفائس حذرت بالمحاذر
وثنى الخاطر هاج وجدا الخاطر　　وعذار لأجله عاذلى عاد عاذرى
وشجون تضافرت　　عند كشف الضفائر

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيرا، ويحكى أنه كان دميما قبيح المنظر، فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيأ، فلما رآه استزرى شكله ففهم الحريرى ذلك منه؛ فلما التمس منه أن يملى عليه قال له اكتب:

ما انت اول سار غره قمر　　ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل　　مثل المعيدى فاسمع بى ولاترنى

فخجل الرجل منه وانصرف.

وكانت ولادة الحريرى فى سنة ست واربعين واربعمائة، وتوفى سنة عشر وقيل خمس أو ست عشرة

وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حرام وخلف ولدين ، قال أبو منصور الجواليق : أجازنى المقامات نجم الدين عبد الله وقاضى قضاة البصرة ضياء الدين عبد الله عن أبيهما منشئها .

ونسبته بالحرامى الى هذه السكة رحمه الله تعالى ، وهى بفتح الحاء المهملة والراء وبعد الالف ميم ، وبنو حرام قبيلة من العرب سكنوا فى هذه السكة فنسبت اليهم ، والحريرى نسبة الى الحرير وعمله أو بيعه ، والمشان بفتح الميم والشين وبعد الالف نون بليدة بعد البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم ، وكان اهل الحريرى منها ، ويقال : إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخله ، وإنه كان من ذوى اليسار . . والوزير ابو شروان المذكور كان فاضلا نبيلا جليل القدر وله تاريخ لطيف سماه « صدور الصدور وفتور زمان الفتور »

تعريف قصير بالمقامات

المقامة الأولى الصنعانية : تتضمن أن أبا زيد كان واعظا ثم عكف مع تلميذ على شراب النبيذ .
المقامة الثانية الحلوانية : تتضمن محاسن من التشبيهات والاعتراضات
المقامة الثالثة الدينارية : وتسمى أيضا القيلية تتضمن مدح الدينار وذمه .
المقامة الرابعة الدمياطية : تتظمن محاورة أبى زيد مع ابنه فى المواصلة والقطيعة .
المقامة الخامسة الكوفية : تتضمن وقوف أبى زيد بباب بيت يطلب منه القرى ومجاوبته له .
المقامة السادسة المراغية : وتسمى أيضا الخيفاء تتضمن الرسالة التى احدى كلماتها معجمة والاخرى مهملة .
المقامة السابعة البرقعيدية ، تتضمن تعامى ابى زيد وأن أمرأته تقود وتفرق له الرقاع بمصلى العيد .
المقامة الثامنة المعربة : تتضمن مخاصمة أبى زيد وابنه فى الميل والابرة .
المقامة التاسعة الاسكندرانية : تتضمن مخاصمة ابى زيد مع امراته وأنه باع أثاثها ورحلها .
المقامة العاشرة الرحبية : تتضمن دعوى أبى زيد على غلام مليح أنه قتل ابنه وترافعا الى قاضى البلد .
المقامة الحادية عشرة الساوية : تتضمن وقوف أبى زيد بالمقابر واعظا .
المقامة الثانية عشرة الدمشقية والغوطية : تتضمن كون أبى زيد خفيرا وأنه خفر القافلة بدعوات لقنها فى المنام .
المقامة الثالثة عشرة البغدادية : تتضمن كون أبى زيد فى صفة عجوز مكدية ومعها أولادها صغارا جياعا .
المقامة الرابعة عشرة المكية والحجازية : تتضمن ان أبا زيد وأبنه متغربان معدمان وأحدهما يطلب راحلة والآخر طعاما .

المقامة الخامسة عشرة الفرضية : تضمن أن أبا زيد عرض عليه لغز فى مسئلة فرضية فحله وأظهر سره .
المقامة السادسة عشرة المغربية ، تتضمن العبارات التى تقرأ طردا وردا أى لا يغيرها عكس حروفها .
المقامة السابعة عشرة القهقرية : تتضمن الرسالة التى تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه آخر .
المقامة الثامنة عشرة السنجارية : تتضمن قصة أبى زيد مع جاره النمام .
المقامة التاسعة عشرة النصيبية : تتضمن كون أبى زيد مرضيا وزيارة أصحابه له وكيف كنى لابنه الكنايات الطفيلية .

المقامة العشرون الفاروقية : تتضمن طلب أبي زيد تكفين ميت .
المقامة الحادية والعشرون الرازية : تتضمن كون أبي زيد واعظا وتعريضه بالأمير ينهاه عن الظلم .
المقامة الثانية والعشرون الفراتية : تتضمن تفضيل أبي زيد للكتابتين الانشاء والحساب .
المقامة الثالثة والعشرون الشعرية أو الحريمية : تتضمن كون أبي زيد مدعيا على ابنه أنه سرق شعره .
الرابعة والعشرون القطيعية والنحوية . تتضمن القاء أبي زيد على جلسائه مسائل ملغزة فى النحو
الخامسة والعشرون الكرجية : تتضمن كافات الشتاء وطلبه ثيابا يكتسى بها
السادسة والعشرون الرقطاء : تتضمن الرسالة التى حروفها أحدها منقوط والآخر بغير نقط
السابعة والعشرون الوبرية أو البدوية : تتضمن طلب الحرث ناقته الضالة وما حصل من أبي زيد معه فى ذلك
الثامنة والعشرون السمر قندية : تتضمن وقوف أبي زيد بربوة يخطب خطبة عرية من الاعجام
التاسعة والعشرون الواسطية : تتضمن اجتماع الحرث مع أبي زيد بالخان وكيف صرع أبو زيد أهل الخان باطعامهم الحلواء وأخذ مالهم
الثلاثون الصورية . تتضمن كون أبي زيد خطيبا فى تزويج مكدية لمثلها
الحادية والثلاثون الرملية : تتضمن وعظ أبي زيد للحجاج فى حال مسيرهم وكونه حج فى ذلك العام ماشيا
الثانية والثلاثون الطيبية أو الحربية : تتضمن أن أبا زيد قام فقيها بمائة مسئلة فقهية ملغزة
الثالثة والثلاثون التفليسية . تتضمن أن أبا زيد قام فى المسجد مكديا أى سائلا
الرابعة والثلاثون الزبيدية : تتضمن أن أبا زيد باع ولده فى صفة غلام واشتراه الحرث
الخامسة والثلاثون الشيرازية . تتضمن أن أبا زيد له بكر وطلب ما يجهزها به وكنى بذلك عن الخمر
السادسة والثلاثون الملطية : تتضمن ألغاز أبي زيد بالمقايضه أى بما يماثلها من الكلام
السابعة والثلاثون الصعدية : تتضمن مخاصمة أبي زيد عند القاضي مع ابنه ينسبه إلى العقوق
الثامنة والثلاثون المروية : تتضمن كون أبي زيد دخل مكديا عند الوالى فلم يجبه وتعريضه له بذلك
التاسعة والثلاثون العمانية والصحارية . تتضمن ركوب أبى زيد البحر وانه كتب عزيمة الطلق للحامل فوضعت حملها
الأربعون التبريزية . تتضمن تخاصم أبى زيد وزوجته وأخذهما منه دينارين
الحادية والأربعون التنيسية تتضمن قيام أبى زيد واعظا وقيام ابنه طالبا وكيف أمال الناس أبو زيد على ابنه
الثانية والأربعون النجرانية : تتضمن القاء أبى زيد ألغازا فى بعض الأشياء
الثالثة والأربعون البكرية وتسمى البدوية : تتضمن ذكر خبر ناقة أبى زيد وتتضمن مدح البكر والثيب وذمها وذم الأدب
الرابعة والأربعون الشتوية وتسمى اللغزية : تتضمن إنشاء أبى زيد قصيدة فى ألغاز
الخامسة والأربعون الرملية : تتضمن مخاصمة أبى زيد مع زوجته وانه لم يطرقها إلا مرة واحدة
السادسة والأربعون الحلبية : تتضمن كون ابى زيد معلم صبيان وأمره للصبيان العشرة بالانشاء فى فنون مختلفة

السابعة والأربعون الحجرية : تتضمن كون أبى زيد حجاما ومحاورته مع ابنه
الثامنة والأربعون الحرامية : تتضمن رواية الحرث عن ابى زيد انه راى رجلا يسأل كفارة لذنبه فأجابه بأن طلب منه ان يعينه على فداء ابنته من الأسر
التاسعة والأربعون الساسانية : تتضمن ان ابا زيد لما هرم اوصى ابنه بأن لا صناعة انفع من الكدية
الخمسون البصرية : تتضمن توبة ابى زيد ولزومه المسجد

تم الجزء الثانى من المقامات بعون الله تعالى
ويليه الجزء الثـــالث
وأوله المقامة الرابعة والعشرون

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقـاته
أن الحريرى حرى بأن نكتب بالتبر مقـاماته
معجزة تعجز كل الورى ولو سروا فى ضوء مشكاته
« العلامة الامام الزمخشرى صاحب الكشاف »

فهرست الجـــزء الثانى

(١) معنى صدر قصة موسى مع فرعون فى المقامة الخامسة .